

السعيد

د. راجح



تاريخ الحركة الشيوعية المصرية



المجلد الأول

٢٥
د. رفعت السعيد

تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

المجلد الأول

١٩٤٠ - ١٩٠٠

يضم هذا المجلد كتابين

١٩٠٠ : ١٩٢٥ اليسار المرمى

١٩٢٥ : ١٩٤٠

في هذا المجلد

* تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر

١٩٢٥ - ١٩٠٠

الطبعة السادسة

* اليسار المصري

١٩٤٠ - ١٩٢٥

الطبعة الثالثة

•• وكانت البداية

منذ أكثر من عشرين عاما ••

طرحت أمامي كل ما يمكن أن يغلطني من أحلام وطموحات ، وبدأت أنتقي منها ما اعتقد أنه الأجمل والأكثر بهاء ، والأكثر جدارة بأن أمنحه بمضامني ذاتي ••

وكانت الأيام صعبة ، الغاية تفانرت أشجارها ، قراره الحل ، يخيم مثل كابوس قدي مخيف ، « يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه » وكان البعض يرفض أن يعود بأبصاره إلى الخلف ، خضية أن يسيء ، السادة ، فهم هذه الانشغالات ، وكان البعض وكأنه يريد أن يغتسل مما مضى ، والبعض يؤمن بالحاضر ، وحده •• والبعض الآخر يرتجف من هول أن يكون وحيدا فيسمى إلى دروس الماضي تطلما واكتسابا للخلف ، واستعدادا للآتي من الأيام ••

وبينما كان أكثر من حلم يتلقى في خاطري ، برز من بينهما أمل أن أعمد دراسة أكاديمية متكاملة عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية •• منذ أيامها الأولى •• أي ما قبل مطلع القرن العشرين ••

وامتزج العام بالخاص :

أن يصبح الحلم طموحا ، وأن يتحول الطموح إلى قطعة من الهم الذاتي كل يوم بل وكل لحظة •• ولقد أشفق الكثيرون من هذا الحلم •

للبعض أشفق منه على ، فهو عيب ، أكبر من أن يحتمل فرد كل انتقاله •

وللبعض أشفق على منه ، خضية ألا أكون بالقدرة المطلوبة ، ولا بالحياة المفترض •

ونصحتني البعض أن أنتظر ، والنح البعض أن أتخطى حتى لا يساء فهمي ، أو فهم ما أريد ، وكثر البعض من « السادة » عن أنياب غير راضية •• وأكثر من مرة وقفت أمام النياحة والقضاء لأفسر وأبرر ، لماذا ، و « ما الدافع » وما هو القصد والهدف ؟؟

ولكن •• ما أمتع أن يخوض الإنسان معركة يمتحن فيها نفسه وقدرته على الفعل ، وقدرته على التعلم وقدرته على التحدي •

وما أمتح أن يتحصن الإنسان في ساعات الشدة ، ولحظات الإحباط بحلم
يتأق دوماً في سماء فعله اليومي ...

طرحت كل المحاذير ، كل التحذيرات ، كل المخاوف ... وخضت غمار
التجربة .

لم أكن أتخيل أنها بكل هذه الصعوبة ، ولا هذه الخسوية ، ولا هذا
الدق .

في أسمى ساعات الشدة حيث تشعيرية الوحدة تمنح كل الأحياد الما
بارداً وقاتلاً ، كنت أشعر بدق الماضي وعطره ، وأمتحن قدرتي على التطلع
للمستقبل .

وانغمست حتى أعمق أعمامي في هذه الغاية الجميلة من المعرفة المتممة .

صرت أتابع الحدث ... وأصحابه وأتوحد معهم ، أعيشهم ، أحلم بهم ،
أحمل همومهم فوق كأطى ، أفكر في مشكلاتهم ناسياً أن قرابة القرن قد مضت ...
صرت أتعرف على الأسماء والخ في متابعة التعرف عليها حتى كنت أبني في
مخيلتي ملامح متكاملة لكل من هؤلاء الرجال ... وبإختصار شغنتي التجربة
بأكثر مما توقعت ، وبأكثر مما توقع أحد ...

وانجزت الجزء الأول من هذه الدراسة ... وحصلت به على درجة
دكتوراة الفلسفة في التاريخ الحديث وآثار صدوره ضجيجا ، وصخباً .

ولقد أوشك أن يحيطني وأن يحيط كل مشروعى أن الكتاب قد منح طبعه
بمصر ، وكذلك منع تداول الطبعة البيروتية منه ، فما جسدى أن تحكى عن
الماشوق والمشوقة لا تعلم ؟

إن مصر ... وطبقها العاقلة هي محور الحلم الذي عشت ، فما جسدى
أن أكتب للآخرين ؟ ... لكننى ومع ذلك قررت أن أوصل ... هل هو الإصرار ؟
أم هو الإلهام الذى وفد الى عبر همسة أبلغتني أن بعضاً من الشباب ينسخ
الكتاب بخط يده وينظم تداوله مخطوطاً ؟ أم هو حلم التطلع الى مستقبل ينسج
خيوطه من الماضي ؟

وواصلت ... وتواصلت الدراسة ، كل حلقة منها تسلمني للآخرى ،
تأميرني أن أوصل ، الدراسة الأكاديمية تجبرك على أن تتكامل معرفتك
بموضوعها . وتحتّم أن أدرس مع تاريخ الحركة الشيوعية تاريخ صحافتها ؛
وحدود موقفها من القضية الفلسطينية ، ورؤيتها لقادة العمل السياسى
المعاصر ...

... تواصلت الدراسة ، وتواصلت معها حتى توجت بحثين كانا بتبويب
خلى الجميل ... صدر الجزء الأخير من هذه الدراسة ، تاريخ الحركة الشيوعية

المصرية - ١٩٥٧ - ١٩٦٥ ، و أكاديميا قدمت دراسة مضمّنية حصلت بها
على دكتوراة العلوم في التاريخ الحديث ،

اخيرا نفضت الصعداء .

وقبل ان استثمر تمام الراحة .. كان الحظ الجميل يتململ ، وكانت
عيناي تتوقفتان امام ملفات عديدة تحتوي على بيانات اضافية تراكمت عبر
السنوات العشرين .. اضافات ، وثائق ، تصحيحات ، انتقادات تتعلق بما
كُتبت .

واحسست اننى لم ازل مدينا .

للقارىء الذى استنفذ كل ما صدر من طبعات بحيث اصبح من الضروري
اعادة طبع كل ما صدر منها .. وللحقيقة التى تظل تلح حتى تتكامل .

.. احسست اننى لم ازل مدينا ..

للقارىء الذى يستحق ان اقدم له كل ما تجمع لى من معرفة والا اضمن
عليه بشئ منها . ولابطال اللحمة القذائى والمعاصرين .. بان اقدم تاريخهم
باكبر قدر من التدقيق والتصويب .. فعدت مرة اخرى اراجع كل حرف وكل
موقف ، واضيف وامحو واصحح ، واحاول ان اقدم الحقيقة في صورتها
الحقيقية .

وإعود فأتى للقارىء من جديد ..

وكان عشرون عاما لا تكفى .. هكذا عاتبني البعض ممن احب .

واجبت .. ولا حتى كل ما تبقى من عمر يكفى كى ينى بالدين ..

وهكذا ستصدر هذه الكتب جميعا في مجلدات متتابعة .. يضم المجلد
الاول منها :

✦ تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥

✦ الليبرال المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠

ولقد طبع من الدراسة الاولى خمس طبعات .. وما هي السادسة ..
اما الدراسة الثانية فقد طبعت ثلاث مرات ، وقد نفضت منذ امد بعيد لكننى
رفضت اعادة طبعها لاننى احسست اننى قد امتلكت عليها اضافات هامة ،
ولما كنت منغمسا بكليتي في متابعة حلقات الدراسة فقد وعدت نفسى او توعدتها
بان ارجع ، اعادة طبعها حتى انتهى من الجزء الاخير ثم اعكف عليها بالتمديد
والاضافة .

وما قد أوفيت بوعدى ووعيدى .. مما

... وبعد

ما من كلمات يمكنها ان تصف امتنانى للقارىء الذى كان للاحاحه المستمر
منسؤالا وضغطا بل وتوعدا اكبر الأثر فى ان اواصل حتى فى سنوات الزمن
لصعب .. البحث والكتابة ، وفى ان انتزع الوقت الضرورى لها . وهو كثير
من برائث الانتشغال بالحاضر والمستقبل مما ..

وما من كلمات يمكنها ان تفر بينى لاستاذى البروفيسور رايمان عميد
جامعة كارل ماركس بالمانيا الديمقراطية ومعاونيه ، فقد تلمت على يديهم
الكثير ، سواء فى مجال المعرفة العلمية بالتاريخ ، أو فى مجال البحث الاكاديمى
وادواته ..

وما من كلمات يمكنها ان تصف المرفان بالجميل لاسرتى .. زوجتى
ولبنائى خالد وغادة .. فقد احتملوا منى كل ما تطلبته دراسة طويلة الأمد كهذه
من انتشغال بهمومها ، وانطواء على ادواتها ..

وما من كلمات يمكنها ان تكشف عن عمق المحبة التى تحتشد فى وجدانك
وانت تتابع عبر اجمل سنوات حياتك سيره ونضال وعذابات ومعارك رجال ..
وحبوا حياتهم للمبدأ وللشعب وللوطن ..

وما من كلمات يمكنها ان تصف كون انسان يحقق حلمه .. بل اجمل
احلامه ..

القاهرة - ١١ اكتوبر ١٩٨٦

تاريخ الحركة الاشتراكية
١٩٢٥ - ١٩٠٠

- ١٩٧٢ الطبعة الأولى : دار الفارابي - بيروت
١٩٧٥ الطبعة الثانية : دار الثقافة الجديدة - القاهرة
١٩٧٥ الطبعة الثالثة : دار الفارابي - بيروت
١٩٨٠ الطبعة الرابعة : دار الطليعة - بيروت
١٩٨١ الطبعة الخامسة : دار الثقافة الجديدة - القاهرة -

واستاذنا

وصديقنا

الى

خالد محي الدين

اذا وصديقنا واستاذنا

مقدمة الطبعة الخامسة

نمة مناسبتان وليس مناسبة واحدة .

الطبعة الخامسة من هذا الكتاب تصدر ..

وهي تصدر في الذكرى الستين لتأسيس الحزب الاشتراكي المصري
الأول .

والكلمة عاجزة تماما عن التعبير .

فالإحساس وانت تكتب مقدمة كتاب مختلف تماما عن الإحساس وانت
تقدم كلمة للطبعة الخامسة منه ..
تماما مثل الاختلاف بين أن تحرر شهادة ميلاد ابنك أو ابنتك ، وأن
تحتضر حفل زفافه .

خمس طبعات .. شيء لم يكن أحلم به ولا أملك ازاءه إلا أن أحنى راسي
احتراما للقارىء الذى غمرنى باهتمامه وتشجيعه .

ثمة أيام كان فيها هذا الكتاب ممنوعا في مصر ، وفي هذا البلد العربي
أو ذلك ، وكان القارىء يتألمه برغم المنع ، يظلم بحيازته ، أو حتى مجرد
قراءته ، لكنه مع ذلك ظل متمسكا بحقه في أن يتعرف على تاريخ هذا العمل
لفذ . المحاولة الأولى لتأسيس حزب اشتراكي مصري ..



وتتوالى الطبقات فتصبح خمسا ، وبرغم تصحدها وبرغم سفوات
عديدة تمنى يظل ثمة دين مطق في عنقى أشعر أنه لا بد من الوفاء به ..
كلمة تحية لميالم جليل ، وأحد من آباء التاريخ الحديث في عالمنا المعاصر
البروفسور لوثر رايمان عميد جامعة كارل ماركس بالمانيا الديمقراطية
.. ذلك الرجل الذى فبح أمامى بسخاء وتفان أبواب التصرف على إمكانات
علم التاريخ ، ومناهج البحث فيه والذى أشرف في صراحة العالم وحنان الصديق
عنى رسالة للتكثورة التى اعتمدت أساسا على موضوع هذا الكتاب .. عنسه
تطلعت كيف ابحت وأكتب في التاريخ . واليه أهدى تحية وفاء .. واحترام .

والمنام الصتون يأتي ...

رحلة طويلة وشاقة خاضتها اعلام الاشتراكية عبر الشوك ووسط
أحضان المجامير ..

سنوات سقوت من التفاني المخلص والوفاء المتقبل للوطن والشعب
... وللإشتراكية .

الرحلة الشاقة هي موضوع مائة الآلاف من أولئك الرجال والنساء
الذين تمسكوا براهية مبدأ آمنوا به وتقبلوا في سبيل هذا الإيمان تضحيات
لا حصر لها .. تضحيات يصعب على المؤرخ أن يتناولها بالوصف .. فطم
التاريخ علم صارم لا يصرّف اللين أمام العاطفة حتى ولو كانت صادقة .
ولعل الدور يأتي الآن على الأدب والفن بفناعاته المختلفة ليقدّم لنا صوراً شتى
من هذه الرحلة الطويلة ..

لعل المؤرخ يلعب في هذا العمل دور المستكشف .. الباحث المدقق ،
المتخبط لحاجز الحب والشوق ، والتمسك بأكاديمية البحث والجزارة على
الانتقاد والتقييم وأعمال مقاييس الصحة والخطأ ، ولعله يتجاسر بذلك
على تضحيات رجال خاضوا الصعب ، بذلوا الدم والعرق .. والحياة .
فيأتي الآخرون في جلساتهم المسترخية يمسكون بقلم المدرس محاولين إجازة
هذا الموقف وتخطئة ذلك ناسين أن كل موقف كان بذاته معركة تطلبت عرقاً ودماً
وجهداً .. وحياة .

للدور الآن على الأدب كمن يقول بكلمته بأعمال درامية تسجل تلك
الأحداث .

ليس لأننا أنجزنا مهمتنا ، فلم ينزل إيماننا الكثير . وإنما لأن
الأدب قد تأخر كثيراً عن الجرى في موعده .

.. وتمضي رحلة البحث تستهدف أن تغطي هذه الحقبة المبررة البالغة
للشراء ..

تحاول .. وستحاول .

لكن التقدم للامام لايجل المشكلة .

فالمؤرخ انسان كتبت عليه مماناة البحث الدائم ، وانت تتقدم
للأمام في بحثك تشكك معلومات جديدة الى الخلف تستكمل ما اعتقدت يوما
انه قد اكتمل .

وهكذا وعبر السنوات التي مضت منذ الطبعة الاولى تجمعت معلومات
روثائق اضافية .. كان لا بد من اعادة النظر في موضوع هذا الكتاب
على اساسها ، ومن تضمن ما هو هام ، وملفت للنظر ، في اطار الطبعة
الجديدة .

وفي الطبعات الأربع كان الاهداء دوما لخالد محيي الدين اخا وصديقا
واستاذا ..

وتنفض السنوات واشعر انه يستحق أكثر .

اليه ايضا اهدي هذه الطبعة ..

ولكن ثمة بسمة تضيء الآن في اشراق باهرة ..

بسمة تشق ظلمة الحياة .. وتغرس الأمل ..

هل يفخر لي ان اشركها معه في اهداء هذه الطبعة ..

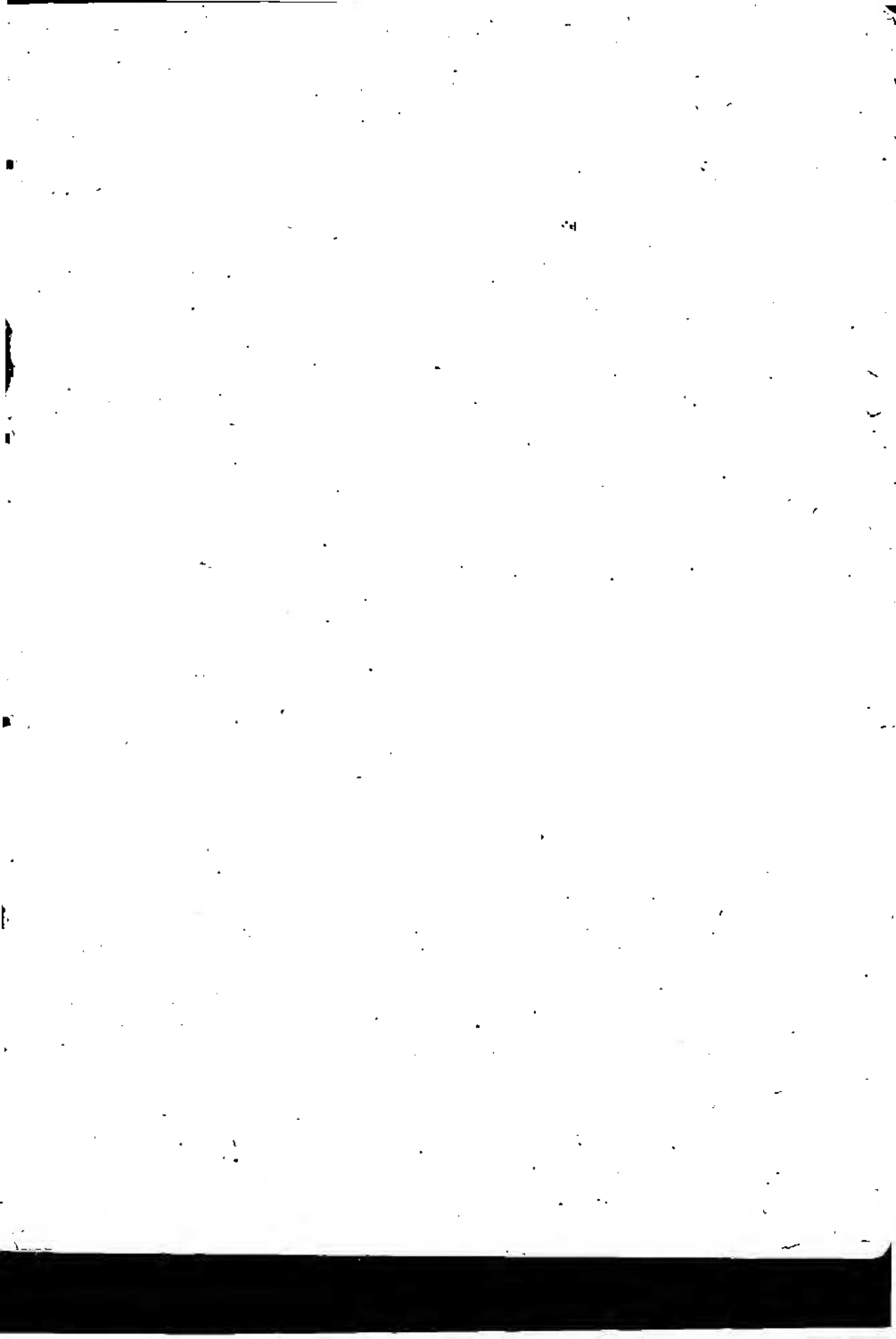
* * *

والرحلة لم تنته ..

لا رحلة البحث ولا رحلة النضال ..

وسيزل المؤرخ دوما مطالب بان يوزع نفسه - ان استطاع - بين معالجة
فترة جديدة - هي بذاتها جزء من الماضي - وبين التطلع الى ما يجري الآن
- استكمالا وتطويرا للماضي - .. وبين الأمل في المستقبل والاسهام في
صناعته .

القاهرة ٣ سبتمبر ١٩٨٠



القسم الأول

مصدر
في مطلع القرن العشرين

- * التجمعات الطبقية والقوى الاجتماعية المختلفة *
- * الحركة وسط الفلاحين *
- * النضال النقابي والسياسي للطبقة العاملة *
- * المتفقون .. طريقان تؤدي اليهما الليبرالية *

التجمعات الطبقيّة والقوى الاجتماعيّة المختلفة

دخل الانجليز مصر على بساط من خيانة الاقطاع للثورة العرابية ،
والحقيقة ان ارتقاء الاقطاع بهذه الصورة المسافرة في احضان القوات
الانجليزية الغازية كان خيرا دليلا على النضج الطبقي لهذه الفئة ؛ فقد
أدركت على الفور - دون أي تردد - ان الخطر الحقيقي الذي يهددها هو ثورة
الفلاحين الذين يقودهم عرابي ؛ وأن أي عدو لهذه الثورة ايا كانت اهدافه
هو بالضرورة صديق .

وهكذا نسي سلطان باشا وعلى مبارك باشا وشريف باشا
وغيرهم ، كل ما كانوا ينادون به من مطالب اصلاحية ودستورية .. وارتموا
تحت وطأة الخوف من ثورة الفلاحين في طريق الخيانة المسافرة ..
وباعوا انفسهم للانجليز .. وباعوا معها مصر ..

وقد بنى كرومر خطته في مصر على عدة أسس أهمها دعم طبقة
كبار الملاك ، والاستعانة بها اتباعا مطيعين - وسيياطا تنهب ظهر
الشعب المصري .

وهكذا بدأ كرومر في دعم هذه الطبقة التي اسماها ، طبقة أصحاب
المصالح الحقيقية ، ففي ديسمبر ١٨٨٢ صدر القانون المدني الأعلى ليرسي
دعائم حق الملكية فينص في مادته الثامنة ، تسمى ملكا العقارات التي يكون
لنفسه فيها حق التملك التام وتعتبر في حكم ذلك الاطيان الخراجية التي دفعت
عنها المقابلة ، .

وفي عام ١٨٩١ يحذف من القانون المدني الأعلى شرط دفع المقابلة وأصبح
انتفع بالأرض مالكا لها ملكية تامة دون قيد أو شرط (١) .

ثم ان هذه الطبقة قد نالت على الفور ثمن خيانتها للثورة العرابية
وتواطؤا مع الاحتلال .. وعلى سبيل المثال ، منح سلطان باشا عشرة آلاف
جنيه مدية لما حصل له من الضرر والتعمد من العصاة على شخصه

(١) محمد صبيح - مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية -

وأقاربه وأقلاف موجوداته ومقدار جسم من مزروعاته (١).

وتم عامل آخر ساعد على سرعة تدعيم هذه الطبقة وراثتها هو ان تقدم الزراعة وعمليات استصلاح الاراضى في اطراف الوادى سواء في البحيرة او الشرقية قد دفع عددا من قبائل البدو الى الاستقرار والاشتغال بالزراعة ، وبطبيعة الحال أصبحت الارض ملكا لشيخ القبيلة بينما عمل بقية افرادها مزارعين او مستأجرين او اتباعا للشيخ (٢).

والحقيقة ان عمليات استصلاح الاراضى قد نشطت نشاطا كبيرا بعد الاحتلال ، فكرموز الذى اراد مصر مزرعة خصبة للقطن اللازم لصانع لانكشير قد طور وسائل الري والصرف فما كان من كبار الملاك الا ان انتهزوا الفرصة واستصلحوا مساحات كبيرة من الاراضى . وفي مديرية البحيرة وحدها زادت الارض المنزرعة من ٤٣٦١٨١ فدان الى ٥٨٧٤٥٥ فدان أى بنسبة ٣٦٨٪ .
وبنك خلال الفترة من ١٨٩٣ حتى ١٩٠١ ، واذا كانت مساحة الارض المنزرعة قد زادت في البحيرة أكثر من غيرها من المديرىات الأخرى (كانت نسبة الزيادة في مصر كلها ١١٪) فان نسبة الملكيات التى تزيد عن ٥٠ فداناً الى مجموع الملكية الزراعية كانت في البحيرة اعلى ايضا من اية مديرية أخرى فقد بلغت ٦١٦٪ بينما كانت نسبتها في القطر كله ٤٥٦٪ . وهكذا يتضح ان اتساع المساحة المنزرعة كان مرتبطا بزيادة الملكيات الكبيرة فكبار الملاك والشركات المقارية كانوا يستولون في الحقيقة على كل ما يستصلح من اراضى جديدة . (٣)

وهناك عامل آخر ادى الى زيادة ملكية هذه الطبقة ، هو بيع املاك الدائرة السنية . وقد ذكر المؤرخون عبيداً من الاسباب لبيع املاك الدائرة السنية لكننى اعتقد ان السبب الاساسى في بيعها هو ان الضدام بين الخديوى عباس حلمى الثانى وبين سلطات الاحتلال قد نبه كرومر الى ضرورة اضعاف الاسرة المالكة وتخفيضها من مرتبة الحليف الى مرتبة التابع المطيع .

واستعمل وسيلة لاضعاف الاسرة المالكة في مجتمع كالمجتمع المصرى هو تجريدها من ملكياتها الكبيرة . . . وهكذا بدأت في نهاية القرن ١٩ عملية

(١) زكى فهمى - سفرة الضر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر - الجزء الاول .

(2) GABRIEL BAER — A HISTORY OF Landownership
IN MODERN EGYPT — P. 56.

(3) Ibid — P24

تصفية املاك الدائرة السنوية .. وقد بيع اكثر هذه الارض في الفترة من ١٩٠٠ حتى ١٩٠٦

وفي عام ١٩٠٠ بيع ٦٦٠٠٠٠ فدان

وفي الفترة من ١٩٠١ حتى ١٩٠٥ بيع ٢٢٤٠٠٠ فدان ..

ثم انجزت العملية ببيع ١٦٠٠٠٠ فدان في الفترة من اكتوبر ١٩٠٥ حتى مارس ١٩٠٦ (١) .

ولقد كانت هذه السنوات الست فرصة العمر لكبار الملاك ، فان معظم هذه الاراضى او كلها قد بيع لهم .. وكان هذا هو السر في نشاط هذه الطبقة .. واتجاعها المحموم في هذه الفترة بالذات لتكوين حزب سياسى لها .. بل لقد احست هذه الطبقة بقوتها الى الحد الذى دفعها الى الاصطدام في بعض الاحيان بسلطات الاحتلال .. وسوف نرى ذلك تفصيلا فيما بعد ..

فقد اشترت اسرة سلطان عدة قرى من تفتيش النيا ، وكذلك اسرة عمرو وشعراوى .. كذلك اشترت مساحات كبيرة اسر اقطاعية اخرى مثل بشرى حنا و لطف الله ويوسف كمان ..

ويمكننا ان ندرك الاثر الحقيقى لبيع املاك الدائرة السنوية على توزيع ملكية الارض من الجدول التالى :

نسبة مساحة الملاكيات التى تزيد عن ٥٠ فداناً الى المساحة الكلية للاراضى (٢) .

السنة	النسبة
١٩٠٦	٣٤ر٤%
١٩٠٦	٤٥ر٦%

والحقيقة ان هذه الطبقة كانت غنية بالفعل ، وكانت تكتنز مخدرات ضخمة .. وسوف اكتفى بايراد بعض الامثلة ..

يروى محمد فريد في مذكراته عن يومى ١٩ ، ٢٠ فبراير ١٨٩٣ و فى هذه الغضون باع الدومين كثيرا من اطيانه .. باع تفتيش البدرشين لاخوان

(١) EDI' LA FORTUNE IMMOBILIERE DE L'EGYPTE
ET SA DETTE HYPOTHECAIRE' PARIS. 1907. P. 108.

(٢) بآيزا - المرجع السابق - ص ٢٢٤ .

سوارسن بثلاثة وثمانين ألفاً جنيه وكانوا قد اشتركوا منذ سنتين تقريبا بتقريب
 رافع بالصعيد لحد اقباط اسيوط الاغنياء بمبلغ ١٣٢ ألف جنيه وغيره من
 الاراضي المتفرقة فاشترى رياض باشا بنحو اربعمائة فدان بمديرية
 بنى سويف (١)

ويروى كرومر قسماً آخرى فيقول: يتجرى كثير المال في مصر بدرجة
 لا يصدقها اوروبي. ولقد بلغني منذ قليل من الزمن ان ثريا مصرية توفى
 عن تركة مقدارها ٨٠٠٠٠٠ جنيه ذهب مخبأ في اقبية، وبلغني ايضا ان
 فلاحا ميسور الحال اشترى ضيعة بنحو ٢٥٠٠٠ جنيه، وبعد نصف
 ساعة من توقيعها على عقد المايعة اذا بقطار من الجمر قد اقبل يحمل
 المال المطلوب، وكان قد خبأه في حديقته (٢)

وهكذا يحقق كرومر الشق الاول من هدفه وهو دعم طبقة واصحاب
 المصالح الحقيقية وزيادة ثرائها كي تزداد تبعه
 لكن واقع الامر قد غير من النتيجة فالذين ازدادوا ثراء ازدادوا
 تطلعا للمزيد من الثراء، ودفعهم هذا التطلع الى الصدام مع المحتلين
 فكثير الملاك الذين استكروهم تشبوه الخلاص من عرابي ومن ثورة
 الفلاحين بدأوا يفتشون ليجنوا ان مصر تفلت من ايديهم وتنتشر بكل
 ثرواتها الى الاجانب

وهذه الاستثمارات الاجنبية تزداد زيادة ضخمة في مصر منذ سنة ١٩٠٧

السنة	الاستثمارات الاجنبية بالجنيه (٣)
١٨٩٢-١٨٩٣	٧٣٢٦٠٠٠
١٩٠٧	٨٧١٧٦٠٠٠
١٩١٢	١٠٠١٥٢٠٠٠

لكن هذه الاستثمارات الاجنبية تنمو بنوعا مشوها. عن عمد فقد
 استهدفت بناء اقتصاد يعتمد على الاستيراد من الخارج. وفي عام ١٩١٤
 كانت ١٢٪ فقط من هذه الاستثمارات موجهة الى مشاريع صناعية بسيطة بينما
 اتجهت ٧٣٪ منها الى الاستثمارات الزراعية والرفونات (٤) وكافة الاستثمارات
 الصناعية تنمو ببطء شديد للغاية وفي مواجهة مقاومة شديدة من الاحتلال

(١) صبري ابو المجدب - مقال بالهلال عدد ديسمبر ١٩٦٤
 (٢) روثشتين - دمار مصر - ترجمة على شكري - حاشية ص ٤٤٩
 (٣) صبحي وجيدة - في اصول المسألة المصرية - الطبعة الثانية ص
 ٢٣٤ - (ومذه الإحصائية لا تشمل الدين ولا رأس مال شركة قناة السويس)
 (٤) A.E. Crouchly - The investment of Foreign Capital in Egyptian
 Companies and Public debt. (New York-1977) P. 105

البريطاني (١) وببيئهما كان القطن وبذرة القطن يمثلان ٧٩٪ من مجمل الصادرات المصرية في أعوام ١٨٨٥ - ١٨٨٩ - نجد ان الحال يزداد سوءاً فترتفع النسبة في أعوام ١٩١٠ - ١٩١٣ إلى ٩٠٪ (٢) .

وفي عام ١٩١٦ كان هناك في مصر كلها خمسة عشر مصنعا فقط تدار على النسق الاوربي الحديث بعماله يبلغ مجموعها ٣٠٠٠٠٠ - ٣٥٠٠٠٠ فقط (٣) .

وقد بدأ كبار الملاك يتطعمون الى آفاق جديدة من الثراء مثل شركات الاراضي ٠٠ والشركات المساهمة والسندات والأسهم ٠٠ الخ وبدأت صورة الأرباح الوفيرة تداعب خيالهم فتتسيهم ولاهم للسيد المطاع وتدفعهم الى محاولة انشاء شركات مصرية .

ويروى محمد فريد في مذكراته ، وفي يوم ٢٣ فبراير ١٨٩٣ اشيع أن جماعة من نوات مصر وفي مقدمتهم البرنس حسين باشا عم الخديوي ووحيد باشا يكن وعمر باشا مصطفى شرعوا في انشاء شركة زراعية يكون رأسمالها ٢٥٠ ألف جنيه لشراء اراض من السومين أو الدائرة السنية واستغلالها وجعلها شركة مساهمة قيمة كل سهم منها عشرة جنيهات مصرية ٠٠ وقد اكتتب كثير من الوطنيين ، وبلغت قيمع المبلغ المكتتب به ٢٠٠٠٠٠ جنيه (٤) .

والحقيقة ان هذه المحاولة تستحق التأمل فهي توحى بأن طبقة كبار الملاك قد بدأت تتحرك أهمية اساليب الاستثمار الرأسمالي ٠٠ وان محاولات خلق اشكال هذا الاستثمار لم تقم بهما في الاساس الفئة البرجوازية التي كانت تفتقر الى المدخرات الوفيرة وانما قامت بينها طبقة كبار الملاك .

(1) Roger Owen — Lord Crommer and the development of Egyptian industry 1882-1907 — Middle Eastern Studies - July 1966 - P.283.

(2) Roger Owen — The Middle East and the world Economy - (London-1981) P. 214

(3) Charles Issawi — The Economic History of the Middle East - 1800-1919 (CHICAGO 1966) — P.453.

(٤) قهري أبو الجد - الهلال - ديسمبر ١٩٦٤

مثل على المهتم ان كرومرا قد ازغجه هذا الاتجاه فكتب في عام (١٩٠٦) مخذرا:
كوباما، فيلما يخص اصحاب الاسهم من المصريين فانى اغتيم هذه الفرصة
لتكرار التحذير الذي قلته من قبل وهو ان الذين يضيعون اموالهم في الشركات
يحسن بهم ان يتبصروا (١)

زواله سنة ثمان مائة وثمانين في كرومرا في مصر في سنة ١٨٨٩ عندما
يحاول كرومرا فرض ضرائب جديدة على الاراضى الزراعية قيمتها ١٥٠٠٠٠٠
جنيه مقابل الغاء السخرة ترفض الجمعية العمومية ذلك (٢)

ويرتفع فيها اكثر من صوت رافضا فرض ضرائب جديدة (٢)
لكن التمرد لم يكن سياسة الجميع ، فثمة فئة من بين الذين تبرعوا
في اولى قمة السلم الطبقى كانت تنتهج اسلوب الخضوع الدائم والمستمر
تلك هي فئة كبار الموظفين ، والحقيقة ان الوزراء وكبار موظفى الدولة ، كانوا
هم ايضا كبار ملاك لكن مكانتهم في قمة السلم الطبقى كانت تعتمد
اساسا على استمرارهم في سلك الوظيفة ، اى استمرار رضى سلطة
الاحتلال منهم

وثمة مثال يوضح هذا التفاوت بين موقف الفئتين ، ففي ١٩٠٨ ثار
نقاش في مجلس شورى القوانين حول مسألة وجود المجلس النيابى
وتعلق جريدة المؤيد على النقاش فتقول

ويوجد في المجلس الآن فريقان مختلفان ، فريق يضم كل الاعضاء
المنويين تقريبا ، وهؤلاء يطلبون الحكومة النيابية على كل حال
ويتقاضونهم قليلون منهم سعادة طلبة باشا سمودى الذى تردد في عدم
طلب المجلس النيابى من اصله او في طلب توسيع اختصاصات المجلس
النيابية الحاضرة وايده سعادة موسى باشا غالب قاطعا بعدم طلب المجلس
النيابى اصلا ، وكذلك مفتاح بك معبد ، وهؤلاء الثلاثة كانت الوكالة
البريطانية قد اشحتهم لعضوية المجلس (٣)

(١) (٢) (٣) راجع نص مضر الجمعية العمومية في انتخابات جريدة المؤيد عن
عام ١٨٩٠ ص ٩٠ وما بعدها
(٣) المؤيد ١٩٠٨ ص ١٢٠

١٩٠٨ ص ١٢٠

ويعترف جورست بهذا التفاوت بين موقف النظارة - كبار الموظفين - وموقف مجلس شورى القوانين - كبار الملاك - فيقول: « ان السياسة التي يقصد بها حكم مصر بمعاونة نظارة من الموظفين لا تتفق الآن مع السياسة التي ترمى اليها تنشيط السعي فيما يسمى بالمجالين السياسية فلا بد من اختيار احدي السياستين ، وبواضل جورست حديثه مفضلا النظر على كبار الملاك ، فالنظاره يختارون من اقدر المصريين واعطاهم كفاءة وهم ادرى برغائب اهل وطنهم وارادتهم الحقيقية من اعضاء مجلس لا يذوبون في الحقيقة الا عن فئة البكوات والباشوات الاغنياء (١) » .

بقي ان نعرف التركيب الاجتماعي لاحدي الجمعيات العمومية التي اجتمعت جورست وهي الجمعية العمومية التي انتخبت عام ١٩١٣ .

الملاك	٤٩
المحامون	٨
التجار	٤
المهندسون	٣
رجال لادين	١

وفي احدي هذه الجمعيات وقف اسماعيل باشا اباظة قائلا : اننا لم نتقدم سوى في مجال النفاق والثروة والديون . ان الامور تتدهور فقيا هو العلاج ؟ العلاج هو الحكم الذاتي لكننا طوال الثلاثين عاما الماضية لم نتقدم خطوة واحدة نحو الحكم الذاتي وهكذا فان متمردى هذه الطبقة كانوا يرفعون شعارات باهتة ومتخاذلة يرفضها الشعب ويعتبرها خيانة فهم يطالبون بالبرلمان (في ظل الاحتلال) وبالحكم الذاتي (في ظل الاحتلال ايضا) ومع ذلك يهاجم جورست في تقريره قائلا : صبحر تقريرى المستأق في زمن حرج والمظاهرات العنيفة التي جرت ضد الانجليز على تسبيل الحماسة والجهالة حتى بلغت شدتها برفض الجمعية العمومية لمشروع قنائة السويس بلا مناقشة حقيقية

ويقول في مكان آخر : ان مجلس شورى القوانين هو والجمعية العمومية اظهرا في سنة ١٩٠٩ وفي النصف الاول من سنة ١٩١٠ ميلا متزايدا الي ان يكونا آلتين بايدي الحزب الوطنى يستعملهما في تحريضه (١) جورست - تقريره عن عام ١٩١٠ صفحة ٧٤

وتهيجه ضد الاحتلال البريطاني ، فان طلبهما المتكرر لحكومة دستورية تامة ،
 وحملاتها المنكرة على الحكومة فيما يتعلق بالميزانية والسودان ، والصدارة
 والرياسة اللتين أظهرهما في مشروع قناة السويس وتجاوزا فيهما حد
 الاعتدال . . . كانت كلها في جوهرها مظاهرات ضد الانجليز . . . ان الجمعية
 الوطنية ومجلس شورى القوانين قد اتخذتا ما قاله مؤخرنا من علو الشيطان
 سلاحا لقتال الذين هما مدينان لهم بانثالثهما آياه . . . وعليه لم نتجسس في
 مجلس شورى القوانين جماعة تعين الحكومة على عملها بالمناقشات المعقولة
 بل وجدنا فيه جماعة معادية للهيئة الحاكمة اى لمجلس النظار - ومستشاريهم -
 ادارة شديدة ومتعمدة لاحباط مساعيهم وتثبيط مهمم وجعل العمل متعذرا
 على الحكومة وقد رضيت الاقلية المعتدلة فيه - ان صح انه كانت فيه تلك
 الاقلية - ان يسودها الغلاة المتطرفون ويمحقوها .

.. لكن تمرد كبار الملاك لا يطول مده . . . وفي تقرير عام ١٩١٢
 يسجل كتشنر قضاءه على الجمعية العمومية لانها بدأت طورا جيديدا هو
 طور الاعمال النافعة التي يذكر خبرها بالرضى والسور (١)

والحقيقة ان هذه الطبقة كانت بالرغم من التمرد العاجز الذي ابتهت
 كانت اعجز عن ان تعبر عن مصالح الجماهير . . . والشعارات التي رفعتها
 لم تنجح في التأثير في الجماهير ولا في اثارة حماسها

وعندما حاولت هذه الطبقة ان تكون جزيا لها بايعاز من سلطات
 الاحتلال وحشدت فيه كل قواها من اغني عائلات مصر . . . سلطان
 الهلالي ، ابو علي ، الفاسل ، قوده ، ابو حسين ، الشريفي ، الاتريبي
 شعراوي ، سيف النصر ، البديراوي عاشور ، اباظة ، الطزوي ، الخ (٢)

وحشدت فيه افضل مفكريها احمد لطفي السيد ، محمد محمود الخ . . . فان
 هذا الحزب ما لبث ان اختنق بصورة سريعة بعد ان فشل تماما في ان يجذب
 الجماهير او حتى جزءا ضئيلا منها الى تلك الافكار التي حاول لطفي السيد
 مفكر الاقطاع في مصر - ان يصوغها

والحقيقة ان لطفي السيد لم يخف موقفه فهو يتحدث بصراحة
 غريبة . . .

(١) كتشنر - تقرير ١٩١٢ - ص ٩ . . .
 (٢) القائمة الكاملة منشورة في د . حسين فوزي النجار - احمد لطفي
 السيد - حاشية ص ١٣٥

••• انه يؤكد فيما من علاج شريع لما تعنائيه مصر . . . وكان قيل ان ثوما
معارضته لهؤلاء السياسيين الذين يحرضون الجماهير على التحرك الشريخ
فيقودونها بذلك الى الفشل الشريع فليس من الممكن مقاومة الاحتلال ولا مقاومتها
للخديو . . . ولذا فليس هناك سوى طريق واحد للتقدم الحقيقي هو طريق
التطوير التدريجي للمعادن الجديدة ، وللأخلاقيات الجديدة للمجتمع ، (١) . . .

••• وفي سنة ١٩١٤ كتب لطفى السيد يرثى صديقه فتحي زغلول
فقال « كان فتحي يؤمن بالتقدم عن طريق التطور وكان يكره الثورة حتى
ولو كانت مجرد فكرة » (٢) . . .

ولتوضيح العبوة الواسعة التي تفصل بين هؤلاء الذين يكرهون الثورة
حتى ولو كانت مجرد فكرة وبين جماهير الشعب يكفى ان نتذكر كلمات
قالها كرومر حاول ان يصف بها حالة مصر في ذلك الحين فقال « ان مصر
تذوب شوقا الى الثورة . . . »

ولم يكن ممكنا ان يلتقى هؤلاء الذين يكرهون الثورة بهؤلاء الذين يذوبون
شوقا الى الثورة ، وهكذا أشهر كبار الملوك انجليسهم وحتى محاولاتهم للتمرد
ما لبثت ان تلاشت بعد ان هزم الخديو عباس ، وبعد حادثه قاشودة
وبعد الوفاق الفرنسى الانجليزى . . . وبعد الاضرابات العنيفة التي خاضها
العمال تلك الاضرابات التي اوعيتهم وجعلتهم يلوذون بحمى الاستعمار . . . وبعد
اعلان الحماية على مصر وما صنعها من قوانين استثنائية ، كل ذلك دفع كبار
الملوك الى الخضوع بغير تمرد . . . ومات حزب الامة بالأسكتة القلبية واغلقت
جريدة « الجريدة » ، وتفزع لطفى السيد برئاسة الفلسفة . . .

••• وباختصار ، فشلت هذه الطبقة في ان تصبح قيادة مصر . . . وظلت
عاجزة تماما عن ان تفعل شيئا حتى تحركت فجأة عام ١٩١٩

••• واذا كان كبار الملوك قد اقلسوا فماذا عن الطبقة الوسطى
ولابد للحديث عن هذه الطبقة ان يتشعب مستقيضا فهي ليست فئة
واحدة متجانسة وهي أيضا قد غيرت مواضعها اكثر من مرة . . .
لكن اهم ما يميز هذه الفئة هو :
••• أولا : عدولها للاستعمار . . . وتأكيدا بشكل او بآخر وبدرجات متفاوتة
على اهمية الاستقلال . . .

J. A. AHMED — THE INTELLECTUAL ORGINS OF EGYPTIAN
NATIONALISM — P. 69.
(٢) المرجع السابق - ص ٨٩

ثانيا : انها خاضت معركة العداة هذه معتمدة على اللب على الحبال وليس على الجماهير فهي تعتمد تارة على الخديو وتارة على السلطان وتارة على فرنسا ، لكنها لم تلجأ الى الجماهير الا في حالات نادرة . وعلى أية حال فان مناهيا المختلفة قد اتخذت وعلى الدوام مواقف متناقضة بكل التناقض .

ففي داخل هذه الطبقة كان هناك ثلاثة اجنحة اليمين . . . والوسطى . . . اما الجناح الثالث فانا نحشى ان اسميه اليسار فيظن البعض اننى اعنى به جناحا يقبل الى الاشتراكية لكننى اعنى باليسار هنا قرية من الجماهير وتفهمه لبعض تضايها ، ووطنية الصحيحة وللصافقة وعلى أية حال فلنسمه جناح الوطنية المتطرفة . . .

والشيخ على يوسف هو قائد يمين هذه الطبقة بلا منازع فهو زعيم فئة من مقفى الازهر وكبار التجار الكلاسيكيين . . .

والحقيقة ان الشيخ على يوسف كان يعبر بالرغم من نفوذه الواسع في ميدان الضخامة عن فئة ضعيفة التأثير في المجال الاقتصادي والاجتماعي . . . وهي فئة لا تستطيع ان تسخير مجعريات الخيانة الجديدة ولا ان تحول تراكمات اموالها نحو الاستثمارات الجديدة . . .

وهي فئة لا تثق في الجماهير ولا تهتم بها لكنها تشعر بوطأة التحكم الاجنبى وترى الاموال والارباح الطائلة التي يجنيها التجار والمستثمرون الاجانب فيسيل لعابها .

ولانها ضعيفة اقتصاديا واجتماعيا ولانها لا ترتبط بالجماهير فليس امامها سوى اللب على الحبال . . . بين الخديو والاحتلال والسلطان وفرنسا . . .

ويقدم جمال احمد تحليلا غاية في العمق لهذه الفئة ولحزبها و حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية ، فيقول :

« كان الحزب يبدو منظما لكنه لم يكن في الواقع سوى اعلان لمياسة الشيخ على يوسف نفست فهو الذى كتب البرنامج وكون التنظيم وجمع الاعضاء . . . وكانت نقطة الضعف الاساسية في الحزب هي التناقض والارتباك في التفكير السياسى للشيخ على يوسف . . . فقد طلب من الحكومة ان ترسل ممثلا لها في الحزب ، لكنه في نفس الوقت اعلن مساندة للخديوى . وقد احدث هذا الموقف التناقض ارتباكا شديدا لدى الاعضاء . . . وقد اشار العقاد الى ان طبيعة هذا الحزب تبو واضحة من الاسم الذى اختاره فهو توخى بانه يريد اللب على تخمين الخيال فكلمة « دستورى » موجهة للمهتمين بالشئون السياسية بينما كلمة « اصلاح » تستهدف كسب الانجليز . . . والنتيجة هي ان الحزب قد

فشل في كسب أي من هذه القوى .. لا الوطنيين ولا الخديو ولا الاحتلال .. وكانت النهاية الحتمية هي الفشل ، (١) .

ونظرة واحدة على برنامج الحزب توضح هذا التحليل
ويمكن تلخيص البرامج في سبع نقاط أساسية (٢) :

- ١ - الدفاع عن العرش .
- ٢ - احترام انجلترا لتعهداتها .
- ٣ - انشاء جمعية تشريعية .
- ٤ - نشر التعليم الابتدائي اجباريا بالمجان .
- ٥ - جعل اللغة العربية اساسية في الدراسة .
- ٦ - زيادة عدد الموظفين المصريين في الادارات الحكومية .
- ٧ - محاكمة الاجانب جنائيا امام المحاكم المختلطة .

ولقد تعمد واضع البرنامج الا يشير بكلمة واحدة للاستقلال أو الجلاء مكتفيا بعبارة مطاطة ترضى الانجليز أكثر مما ترضى غيرهم وهي « احترام انجلترا لتعهداتها » .

ومع ذلك فان « المؤيد » تشن حملتها الشهيرة على اللورد كرومر عندما يصرح في خطابه الوداعي ان الانجليز باقون في مصر وترد عليه قائلة :

« فما بال انجلترا بعد ما كررت مواعيدها الخطوة المرة تركت عميدهما العظيم في وادي النيل يختم أعماله بالتصريح بان الاحتلال فيه باق الى الابد أن جناب اللورد جاء مضر مرشدا فصار حاكما مستبدا يخرب مبادئ الآمال ولم يخدم اللورد الامة المصرية الا من جهة الفروة فاشترك في التمتع بها الاجانب بل نالوا القسط الاوفر منها ثم هو يريد ان يجعلهم اصحاب الامر والنهي في ادارة مهام البلاد . »

كان اللورد كرومر كل مدته في مصر معارضا لكل ما تريده مصر من مطالب الرقي الادبي فلم يؤيد لها مطبا منذ ٢٤ سنة ولا أحسن بها ظنا ولا رد عنها تهمة ، بل كان أول رجل مسموع للكلمة قال عنها قولا منكرا واتهما بتهم غريبة وغرس في عقول أوروبا أنها أمة قاصرة متعصبة ليس فيها رجال اكفاء ولا تصلح ان تكون أمة أبدا ، (٣) .

-
- (١) جمال أحمد - المرجع السابق - ص ١١ .
 - (٢) أحمد رشاد - مصطفى كامل حياته وكفاحه - ص ٢٥٢ .
 - (٣) مقالات قصر الحويارة - وهو كتيب يضم ما نشرته جريدة المؤيد من مقالات عن اللورد كرومر وسياسته - ص ٢٩ .

الكن الشيخ علي يوسف يهود فيحدد موقفه صراحة فهو يتحدث عن الجرائد وموقف كل منهما فيقول :

« ومنها الجرائد المتطرفة التي لا تفرق بين الانجليز والاحتلال خيرا على الاطلاق ثم هي احيانا تتجاوز الحد في غيرتها الوطنية ، ومنها الجرائد المعتدلة التي تحترم الحقيقة وتريد ان تكون المرأة النافعة للوطن واطلة في كل حادثة ، ومنها الجرائد المتطرفة من جانب آخر فلا تفرق بين الانجليز والاحتلال تنبؤا او خطأ على الاطلاق ثم هي تتجاوز الحد في ميلها الى الانجليز واكثر الاحتيان في نكايه المصريين وايلامهم » (١)

والحقيقة ان الشيخ علي يوسف قد وضع نفسه وجماعته في موضعها الصحيح فهي معتدلة ، لا تعادي الانجليز على طول الخط ولا تؤيد لهم على طول الخط .

بل انه يؤكد في مكان آخر ان الانجليز يستطيعون ان يستميلوا هذه الامة بالمعاملة الحسنة فيستولوا على الثلوب بدلا من الاكتفاء بالاستيلاء على الثلوب » (٢)

السؤال الذي هو بحسن معاملة الانجليز للمصريين وليسيت حلاء الانجليز عن ارض المصريين .
وكان طبيعيا ان موقفا كهذا لم يكن ليرضى الجماهير التي تتطلع الى الثورة بل لم يكون ليرضى الفئات الاخرى من الطبقة الوسطى .
وقد هاجمه اعضاء الحزب الوطني محوما شعبيا قاسيا فتحدث عنه الشيخ جاويش قائلا :

« ما بلغت الزديلة ولوم الطبع من رجل مقدار ما بلغت من صاحب المؤيدة » (٣)
وعندما مات الشيخ علي يوسف كتب محمد فريد في مذكراته « توفي الشيخ علي يوسف يوم ٢٥ اكتوبر فانتمى بهوته ركن النفاق والخبيثة » (٤)

(١) المرجع السابق - ص ٩٧ - راجع الى ص ٩٤ - ٩٥
(٢) المرجع السابق - ص ٩٧
(٣) العلم - ٢٥ مارس ١٩٠٩ - ص ١٩٠
(٤) محمد صبيح - المرجع السابق - ص ٢٧٨

لكن الطبيعة المعقدة لموقف الطبقة الوسطى تفرض نفسها على أي تحليل
ولا بد لنا هنا أن نتذكر ما نشره الشيخ على يوسف في جريدته « المؤيد » من
أحداث وطنية : بل ولا بد لنا من أن نتذكر أنه أفسح صدر مجلته في عام
١٨٩٠ لبعض الاشتراكيين لينسجوا على صفحاتها بعض آرائهم (١) .

لنتحدث الآن عن الوسط في هذه الطبقة :
وتزداد الصورة تعقيدا إذا ادركنا أن الوسط لم يكن فئة متجانسة
فهناك متوسطى الموظفين والمثقفين الليبراليين المستنيرين الذين احسوا بثقل
القهر الاستعماري فتفجر سخطهم على الاحتلال مقالات وقصائد واضرابات
طلابية .

وهذا أيضا الرأسماليين المستنيرين وهم جناح ضئيف كان يجاهد لينمو
ويشق طريقا باحثا عن الربح « لنفسه » - أيضا - رافعا شعار
« مصر للمصريين » بمعنى أن خيرات مصر يجب أن تكون للرأسماليين
المصريين ، بل أنهم في كثير من الأحيان كانوا يقبلون مجرد المشاركة مع الأجانب
في هذه الأرباح .

والحقيقة أن أكثر من عامل قد دفع هذه الفئة إلى اتخاذ موقف المعارضة
من الاحتلال . ولقد كانت معارضتها أكثر ايجابية وأكثر عنفا . لكنها أيضا
لم تصل إلى حد الارتباط الوثيق بحركة الجماهير .

ولنلق نظرة سريعة على تلك العوامل التي تواجدت ففجرت سخط هذه
الفئة .

كانت الأسعار ترتفع باستمرار . وجاءت سنوات الحرب ليزداد الغلاء بصورة
لم يسبق لها مثيل فبالمقارنة مع أسعار عام ١٩١٤ ارتفعت الأسعار ٢١١٪
عام ١٩١٨ ، ٣١٢٪ عام ١٩٢٠

ونقصت نسبة الموظفين المضرين في الوظائف الكبيرة من ٢٠٪ سنة
١٩٠٥ إلى ٢٣٪ سنة ١٩٢٠ ، في حين ارتفع نصيب البريطانيين من ٤٢٪
إلى ٥٩٪ في نفس المدة (٢) .

وإذا كان الموظفون يسيروهم ذلك فقد وجدت الفئة الأخرى ما يسوؤها
هي أيضا .

(١) لمزيد من التفاصيل راجع - رفعت السعيد - تاريخ الفكر الاشتراكي
في مصر - ص ٢٧٨ وما بعدها .

(٢) فوزى جرجس - دراسات في تاريخ مصر السياسي - الطبعة الأولى
(١٩٥٨) ص ١٢٩

الأجانب بدأوا يحكمون قبضتهم على مصادر الثروة الحقيقية فقد أنشئت في الفترة ما بين ١٩٠٠ إلى ١٩٠٧ أكثر من ١٦٠ شركة برأس مال قدره ٤٢ مليوناً من الجنيهات وتزايد رؤوس الأموال المستثمرة فتصل إلى ما بين ١٠٠ و ٢٥٢ مليوناً جنيه (١).

ولست بحاجة إلى أن أقرر هذه الاستثمارات كانت جميعها تقريباً استثمارات أجنبية ، وثمة إحصاء يقول أن ٩٢٪ من هذه الأموال كان أجنبية و ٨٪ فقط أموال محلية . وكلمة « محلية » هذه ذات مغزى فهي تختلف عن كلمة « مصرية » . وعلى أية حال فإن معظم الـ ٨٪ هذه كان مملوكاً لأجانب متمصرين أمثال سوارسو ومصيرى ومنشيه وسليم وصيدناوى لكن ثمة جزءاً ضئيلاً من هذه النسبة كان مملوكاً لمصريين أصلاً كانوا نواة الرأسمالية المصرية . ونواة هذه الفئة التي نتحدث عنها (٢).

ولعل خير دليل على وجود هذه النواة ونشاطها هو قيامها في عام ١٩١٧ بتأسيسين : لجنة التجارة والصناعة ، من بعض المصريين والأجانب المصريين وكان من دعائها الأول طلعت حرب وإسماعيل صدقي .

وكان من أغراض هذه اللجنة التوفيق على مبلغ تأثير الحرب في صناعة البلاد والنظر في التدابير التي تؤدي إلى إجلال بعض المصنوعات المصرية محل الاصناف التي انقطع وأردفها . وأعدت اللجنة تقريراً جاء فيه « أن مصر في حاجة إلى قيام الصناعة بجانب الزراعة حتى لا تضطرب الحالة الاقتصادية إذا انخفضت اثمان المحاصيل الزراعية . وإذا حدثت حرب تؤدي إلى قطع العلاقات التجارية . وأن الصناعة وعلى الأخص الصناعة الصغيرة متأخرة جداً . ومن الممكن قيام كثير من الصناعات المصرية ونجاحها » (٣).

وقد كان اندلاع الحرب العالمية سبباً في انعاش الصناعة المصرية . ومن ثم انعاش هذه الفئة النامية . فقد أدى انقطاع المواصلات وازدياد تكاليف الجهود الحربية إلى إجبار سلطات الاحتلال على تشجيع بعض أنواع الصناعة .

وتورد « لجنة التجارة والصناعة » في تقريرها أن شركة السكر قد زادت إنتاجها إلى ١٠ ألف طن عام ١٩١٧ وقامت بتوسيع ورش الأشغال التابعة لها « فأصبحت فيما يختص بمعدات الصناعة والآلات مستقلة بعض الشيء ».

(١) المرجع السابق - ص ٩٤ .
(٢) المرجع السابق - ص ٩٦ .
(٣) المرجع السابق - ص ١٣١ .

الاستقلال عن المصانع الأجنبية ، وهي من هذه الوجهة تؤدي إلى القطر خدمة
جلية بتكوين صناعات وطنيين ماهرين في جميع الحرف والصناعات .

وظهرت صناعات جديدة مثل صناعة النشيط ، ورفعت شركة الغزل
الأهلية بالاسكندرية إنتاجها بما يتراوح بين ١٥ و ٢٠٪ كما أنشئ مصنع
للملابس لمواجهة احتياجات الجيش البريطاني .

وهكذا ازدهرت الصناعة وازدادت أرباحها زيادة مذهلة . وازدادت
بالتالي غضبة هذه الفؤاة التي تحفنا عنها ، والتي كانت تحلم بهذا السيل
من الأموال يتدفق إلى جيوبها هي وليس إلى جيوب الأجانب .

وثمة أسباب أخرى أثارت استياء الشعب كله وعلى الأخص
المتقنين الليبراليين . منها موجة الإرهاب الواسعة التي شنتها سلطات
الاحتلال ضد حرية الصحافة وضد حريات المواطنين جميعا .

وتبدأ سلطات الاحتلال بتقييد حرية الصحافة كتمهيد طبيعي لتقييد
حرية المواطنين جميعا وفي مارس ١٩٠٩ أصدرت قرارا بإعادة العمل بقانون
المطبوعات القديم وعلت ذلك ، بتمادى الجرائد في التطرف والخروج عن الحد
حتى أدى ذلك لشكوى الناس ،

و ثم أصدرت قانونا بجعل القضايا الصحفية من اختصاص محاكم
الجنايات بدلا من محاكم الجنج ذلك أن محاكم الجنايات أحكامها أشد ولأن
أحكام محاكم الجنج يمكن استئنافها أما أحكام محكمة الجنايات فهي نهائية
لا تقبل طعنا . إذ لم تكن محكمة النقض قد أنشئت بعد ، (١)

وسرعان ما وضعت سلطات الاحتلال هذا القانون موضع التطبيق
الفعلي فعملت جرائد الحزب الوطني وغيرها من الصحف .

ثم كانت الخطوة الثانية وهي تعديل قانون العقوبات ، فبعد حادثة
اغتيال بطرس غالي باشا ادعت سلطات الاحتلال أن ثمة نقصا في القانون
فمركب الجريمة ، شاب ثبت أنه ينتمي لجمعية سرية معينة وأن آخرين
اشتركوا معه في التفكير في ارتكاب الجريمة ، ولكنه انفرد دونهم بالتنفيذ
ولم يجد القضاء يومئذ سبيلا إلى معاقبة أولئك الشركاء الذين تبادلوا الرأي
بمع لقاتل ولم يكونوا محرضين له أو شركاء معه في التنفيذ .
وأضيفت مادة إلى قانون العقوبات هي المادة ٤٧ مكرر وهي مادة شهيرة

(١) أحمد بهاء الدين - أيام لها تاريخ - ص ٦٩

في تاريخ التشريع الجنائي المصري لانها وضعت في ظروف سياسية معينة من النشاط السياسي.

وتجاء في المذكرة الايضاحية لوزارة النخبة ان الحكومة ارادت بهذه الاضافة ان تضرب على يد الاجتماعات او الاتفاقات التي يكون العيب بالنفس او الاموال او الهيئة الاجتماعية غرضاً من اغراضها او وسيلة من وسائل تحقيق الغرض المذكور ، (١)

والحقيقة ان هذه المادة قد لعبت دوراً هاماً في تاريخ مصر السياسي فقد اصبحت سيفا مشطاً على كل الجمعيات السياسية التي يثبت انها تتكون من شخصين أو أكثر ، والتي كثيراً ما يسئل أن تلتصق بها تهمة العيب بالنفس أو الاموال أو الهيئة الاجتماعية .

ولا شك ان لهذه المادة علاقة كبيرة بموضوع هذه الدراسة فقد ظلت زلزالاً طويل سبباً لازدياد أي تجمع للقوى الاشتراكية .

وليس من قبيل الصدفة ما سنلاحظه في كتابات الاشتراكيين وبلا استثناء في هذه الفترة وهو اعلانهم ان هذه الآراء التي يفشرونها لا تعنى الدعوة لتكون حزب أو جماعة أو ما شابه ذلك .

وعلى أية حال فإن المادة ٤٧ مكرر لم تكن التقيد الوحيد ، فتمه قيوداً أخرى على الحريات تضمنها القانون ٢٨ لسنة ١٩١٠ منها ما يجيز للمحاكم في كل الأحوال التي يمكن ان يكون من وراء نشر المرافعات فيها خطر على النظام العام بسبب نوع الجريمة ، ان تمنع نشر المرافعات كلها أو بعضها وتعاقب من يخالف ذلك بالحبس مدة لا تتجاوز ستة أشهر أو بغرامة لا تزيد على مائة جنيه . لانه اذا كان يجب اطلاق الحرية التامة للدفاع وقت المحاكمة ، فانه يجب ان لا يسمح بان يصبح استعمال هذه الحرية مصدر خطر على الأمن العام . والمحاكم تبيح احيانا ايضاً نظريات ثورية في المرافعات أو شهادة الشهود في أثناء المحاكمة بناء على ان لها شيئاً من العلاقة بالدفاع عن المتهم ولكنه يجب ان لا تتحول هذه المرافعات أو الشهادات الى وسيلة لنشر المبادئ والافكار الثورية . (٢)

(١) محمد عبد الله عثمان - تاريخ المؤتمرات السياسية - دار الهلال - (١٩٢٨) ص ٣٥

(٢) غوربست - تقرير عام ١٩١٠ - ص ٨١

وفي سنة ١٩١٤ أعلنت الحماية البريطانية والإحكام العرفية، وقانون
النجمهر الذي يمنع اجتماع أكثر من خمسة أشخاص سواء في طريق عاب
أو في محل عمومي وفينجت المعتقلات وبلغت موجة الإرهاب قممتها

فماذا كان اثر ذلك، كله . . . ؟ . . .
لقد كانت الجماعير تغلى حقا ورفضنا لهذه القيود . . . وللغلاء الشديد
وكان استمرار زيادة الموظفين الانجليز وزيادة سيطرتهم على المناصب الكبرى
يزيد الموظفين سخطا ، لكن قيود وظيفتهم تعوقهم عن العمل الجدى ضد
الاحتلال الامر الذي دفع شباب الحزب الوطنى وقادته الى الاعتقاد بان
الوظيفة تتناقى مع الوطنية الحقبة

ولكن السخط كان يتجمع في نفوس الموظفين ، فاذا ما انتفض الشعب
في عام ١٩١٩ سارع الموظفون ليفجروا هم أيضا سخطهم اضرابا واعتصاما
ورفضا للتعاون مع المحتلين

والتحكم الاجنبى في الاقتصاد يثير غضب النواة الراسمالية الوليدة . .
لكنها ضعيفة اقتصاديا وأقصى ما تتمناه أن يسمح لها بالمشاركة في جنى
الارباح. ومع ذلك فهي تظل أيضا تختزن السخط وتخشى من المواجهة حتى
يؤثر الشعب

لكن هناك جناحا من هذه الطبقة يرفض القهان ويرفع صوته
بالاحتجاج وهو الجناح المثل للفئات الدنيا من الطبقة الوسطى . . . أو كما
أسميناه سابقا، جناح الوطنية الصادقة . . . وهو يضم صغار التجار
ومتوسطيهم . . . والمثقفين الليبراليين . . . وبعض الفئات الدنيا من النواة
الرأسمالية وبعض متوسطى الملاك الزراعيين وأصحاب المهن الحرة . . المحامون
والاطباء والمعلمون وبعض ضباط الجيش . . . (١) . . .
وابناء كل هؤلاء من الطلاب

ولم يتخذ نضال هذه الجناح طريقا واحدا بل اتخذ سبلا
مختلفة

فهناك الطلاب الذين نظموا سلسلة من الاضرابات والاعتصامات العنيفة
والذين اصطدموا صداما مباشرا مع قوات الاحتلال

وقد بدأ الطلاب سلسلة اضراباتهم في ١٠ يناير ١٩٢٦ عندما وضعت
وزارة المعارف نظاما لإدريسة الحقوق كان يفرض منه استمراز شعور الطلبة

(١) يلاحظ أن قائمة الوطنيين المعتقلين عقب اعلان الحماية كانت
تضم عددا من الضباط من بينهم النيوزباشى حافظ محمود قيودان واليوزباشى
أحمد حمودة

والتصديق عليهم نتيجة لتظاهرهم بالشعور الوطني .. وبهدف اذلالهم وكبح جماحهم (١) ..

واعتصم طلاب جميع المدارس العليا تاييدا لاخوانهم وتكونت لجنة لقيادة الاضراب باسم د اللجنة العامة للمدارس ، ثم توالى الاضرابات بعد ذلك في مناسبات وطنية عديدة عقب حادثة دنشواي .. وعقب اصدار لقانون المطبوعات .. وبذات تتكرر المصادمات بين الجموع المتظاهرة وقوات البوليس .. انها بروفات .. ١٩١٩ ..

وهناك ايضا جماعات الشبان الذين كثر على صحرهم حماسا بكراهية الانجليز والذين كانوا يؤمنون بضرورة تطهير الوطن منهم .. والذين انتقدوا رغم حماسهم الشديد ووطنيتهم الدافقة النظرية الواعية والشفقة بالعمل الجماهيري .. فلم يكن امامهم من سبيل للعمل ضد الاختلال سوى الازهاب السياسي متأثرين بطبيعة الحال بموجة الازهاب والحركات الفوضوية التي انتشرت في اوريا في ذلك الحين ..

وتكاثرت الجمعيات السرية التي تهدف الى الابتعاد من المحتلين واغتيال الخونة ويؤكد جورست د ان التحقيق في حادثة الورداني قد اظهر ان الجمعيات السرية قد نمت نموًا يوجب الاسف (٢) ..

وتبدأ هذه الجمعيات عملها ..
ويذكر محمد فريد في مذكراته تسلسلة من هذه الاعمال ..

* د سبتمبر ١٩١٢ اطلعت في جريدة لايبورن على خبر من مصر يقول بانه ضبط بعض المواطنين في الفيوم بتهمة تشكيل جمعية سرية بقصد استعمال الازهاب ..

* د ٩ ابريل ١٩١٥ نشرت الجرائد تلغرافا من مصر بان شيابا مصريا اطلق الرصاص على البرنس حسين الخائن .. والضارب اسمه محمد خليل تاجر من المنصورة وقد جوكم امام محكمة عسكرية وشنق رحمه الله ..

* د ٩ يوليو ١٩١٥ القيت قنبلة على البرنس حسين اثناء ذهابه الي الصلاة ولكنها لم تنفجر وملكها لم يقبض عليه بل فر من الاسطح بعد ان افاها من شباك اوده كان استأجرها لهذا الغرض من شهرين .. وهذا

(١) عبد الرحمن الرافعي - مذكراتي - دار الهلال (١٩٥٢) - ص ١١
(٢) جورست - تقرير عام ١٩١٥ - ص ٨١

العمل يدل على وجود جمعية منظمة للانتقام من الخونة الذين باعوا الوطن
للانجليز

✽ ثم يذكر بعد ذلك بأيام أسماء المتهمين في حادث القنبلة وهم تسعة
اشخاص

✽ ٤ سبتمبر ١٩١٥ ضرب شخص اسمه « صالح انعدى
عبد اللطيف » : ابراهيم باشا فتحي « بسكين في رقبتة قاصدا قتلته وذلك على
رصيف محطة مصر وبينما كان يقف بين كثيرين من الضباط المسافرين الى
السودان لكنه لم يمت ويظهر من الجرائد المصرية أن المعتدى قال أنه كان
يريد قتله ، وأن هناك اتفاقا على قتل كل الوزراء

هذا المعتدى عمره ٢٥ سنة وهو صراف في المالية . . الجنائية
سياسية محضة وتدل على ان الأفكار الازهابية تسربت من الشبان المتهمين
بالتهور الى من هم اكبر منهم سنا . . وتدل على أن التذمر والفكرة الثورية
عمت أو ستعم قريبا جميع طبقات الأمة ربما عن لشدة التي تستعملها
الحكومة في حبس كل من تشم منه رائحة الميل الى هذه الاعمال

وارتعد الموظفون البريطانيون . . وعملاء البريطانيين خوفا من هذه
الموجة الازهابية وتمهد سلطات الاحتلال الى تعديل المادة ٢٨٤ من قانون
العقوبات لان النص السابق كما يقول جورست في تقريره « لم يكن يعالج
على التهديد الا اذا كان بقصد سلب المال . . وكان مجرد التهديد يراى بالكتابة
غير معاقب عليه مهما بلغت شدته فكان لابد من سد هذا النقص نظرا الى
تكاثر رسائل التهديد . . وواضح أن ذوى الامزجة العصبية الذين يتلقون
يومية رسائل تهدهدهم بالقتل قد يستولى عليهم الرعب من جراء ذلك ويحتمل
أن يتحولوا عن القيام بواجباتهم اذا كانوا من موظفى الحكومة . . (١)

وإذا كان هذا هو رأى جورست وهو المسئول الاول في سلطات الاحتلال
فان رد الفعل كان غنيا جدا في الأوساط المالية الأجنبية

« ان لجنة غرفة التجارة البريطانية في مصر تنظر بقلق وانشغال بال الى
حاساس القلق وعدم الامن التجارى في مصر ، لان ذلك يؤثر في مصالح البلاد
التجارية كثيرا

وترى اللجنة ان هذه الحالة ناتجة بالاكتر من افعال المحرضين
الوطنيين فتلج مع مراعاة واجب الاحترام على حكومة جلالة الملك في اتخاذ

(١) جورست - تقرير عام ١٩١٠ - ص ٨٣

التدابير المبطة لهذا التحريض ورد السكنية اللازمة لرواج التجارة. ولخير
مصر عموماً (١)

لكن موجة الاضطراب هذه بالرغم من استفحالها لم تحقق مكسباً
حقيقياً للامة بل ان الاعمال الاهلية كانت على الدوام وسيلة لتعطل
سلطات الاحتلال بفرض مزيد من القيود . . . وهكذا لم تستطع الحركات
الارهابية بالرغم من عطف الحزب الوطني عليها ان تؤثر في الاتجاهات
الغريضة للجماهير ولا في افكارها . . .

وإذا كانت سلطات الاحتلال قد نجحت في اسكات مناوئرات الخديوى
عباس حلمى ثم نجحت في خلعها ، ونجحت في ارضاب كبار الملاك واقتناعهم
بان الموقف الافضل هو السكوت ، ثم ارضيت بسيف الحماية وقوانين
الطوارئ ، قطاعات كبيرة من الطبقة الوسطى . . . فان ثمة قطاعات من هذه
الطبقة كان مصمماً على النضال . . . ويصمد المثقفون الوطنيون الذين يمثلون في ذلك الحين الفئات الدنيا
من الطبقة الوسطى . . . والحقيقة ان الذين صنعوا بعد انهيار الخديوى
وتبعه حادثة فاشودة كانوا قليلين جدا وكانت الصورة بالغة القتامة . . .
او هكذا خيل لمصطفى كامل وهو يحاول ان يصور الموقف لضيقه ورقيق
نضاله محمد فريد . . .

أخى العزيز فريد . . . وصلنى خطابك الكريم وانه لا يسعنى الا ان
اشكر ذلك الصالح النادر المثال في مصر فهو تعزيتى عن هموم بلادى ، وتسليتى
عن تعود بنى وطنى عن اجابة ندائى والاجتماع حول راية الوطن لانقاذ
واسعادته . . .

وانه يحزننى حقاً ان ارى الفرص مناسبة لخدمة الوطن ولا احد
غيرك في المصريين نصيراً يساعدى على ذلك ، فتجذنى ان تكلمت او دعوت
انكلم كتيباً اسيفاً وأدعوا وأنا عارف بأنه ليس فى مصر من يساعدى على
القيام بالواجب واكرام الضيف ان واقى . . .
أخى . . . ساسافر الى برلين بالرغم من شدة كبرى من عدم وجود ارادة
مشتركة بين من يريدون او يدعون خدمة الوطن وعدم وجود خطة ثابتة يجرى
العمل عليها . . . وبما على الا الامتثال لارادة الخالق جل شانه الذى كانه اراد
ان اكون الوحيد فى خطتى ، الفرد المطالب بالاستقلال (٢)

(١) المرجع السابق - ص ٣ - تاريخ مصر - (١٩١٩) - (٢)

(٢) عبد الرحمن الرافعى - مصطفى كامل - ص ١٢٤ -

هذه الرسالة غنية عن أى تعليق وهى توضح كيف تسارع البخرات والاقطاعيين وكبار الموظفين وكبار الموظفين وأبناء الطبقة الوسطى إلى التسليم للاحتلال بعد أن فقدوا الثقة فى فرنسا والأمر ليس بحاجة إلى تفسير فهم جميعا يستقنون جماهير الشعب عن حسابهم ، بعضهم يقف منها موقف المستغل والبعض الآخر يحتقرها ولا يثق فيها فإذا ما انهار الحليف الأجنبى انهار كل شىء

لكن لماذا صمد مصطفى ؟

لانه كان الوحيد الذى ارتبط بالجماهير والذى بادلتها الجماهير حبا بحب ، والذي منحته تاييدها وثقتها ومساندتها واستقبلته فى الإسكندرية استقبال الفاتحين فزاره فى اليوم الاول لوصوله أكثر من ثلاثمائة شخص

وعند مغادرته الإسكندرية كان فى وداعه فى المحطة ، نحو ثمانية آلاف نفس وفى مقدمتهم رائدوا الوطنية وحماتها وفوق رؤوسهم الاعلام وقدموا له نيشانا من النضة رسم على أحد وجهيه صورة النخيل المصرى ومسلة الثغر وكتب على الوجه الآخر هذه الجملة : « برهان الاخلاص من أهالى الإسكندرية للوطنى الغيور مصطفى كامل » (١)

ولقد كان مصطفى كامل يستحق كل هذا التأييد فهو وطنى دافق للوطنية ، يحب مصر حبا ملك عليه كل وجدانه ، ولقد أثر إخلاصه المتفانى فى الجماهير التى تشقت به وكان لا بد لهذا التعلق من جانب الجماهير أن يترك أثره أيضا على شخص الزعيم

لكننا يتعين علينا الا نبالغ فى دور هذه الجماهير فقد كانت الحركة الجماهيرية عموما ضعيفة تفتقر الى التنظيم والى الثقة بنفسها وكانت أيضا - وهذا هو المهم - ذات نوعية خاصة فقد تركزت أساسا فى جماهير الطبقة الوسطى والبرجوازية الصغيرة فى المدن وهى ذات طاقة ثورية محدودة وخاصة فى ظل ظروف يسودها بطش الاحتلال وفى ظل انتكاسة الثورة العربية تلك الانتكاسة التى كانت لا تزال تلقى ظللا من الشك على جدوى حركة الجماهير

وقد تردد مصطفى كثيرا فى تكوين حزب بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة ، ولفترة طويلة ظل الحزب الوطنى مجرد لافتة تضم جملة من الوطنيين غير المنظمين ، ولم يعلن مصطفى تكوين حزبه الا فى ١٩٠٧ وكنتيجة لاعلان حزب

(١) على فهمى كامل - سيرة مصطفى كامل - ج١ - ص ٢٨٨

الأمة وحزب الإصلاح على الجادى الدستورية . هنا وهنا فقط أرسل مصطفى
اللى فريد يقول : ان ظهور حزب الأمة من اولئك الذين خربنا نفسيتهم وميلهم الى
مساوية المحتلين وأن ما علمته كذلك من عزم صاحب المؤيد على تأليف حزب
بأنتم الإصلاح لخدمة سياسة السراى هذان الأمران يحتملان علينا كل
التحتميم أن نظهر حزبنا الوطنى بالرغم منا فى مظهرة الحقيقى ، حتى يعلم
العالم كانه أن للوطن المصرى حزبا يطلب بعزيمة صيادية الجلاء
والدستور ، (١)

٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ احتشد فى مسرح زيزينيا بالاسكندرية
٦٠٠ شخص يمثلون الكتلة الجماهيرية لهذا الحزب . وارتفعت هتافاتهم

عالية ولتحى مصر ،
سألا من الله
! وأعظمى مصطفى كامل المنصة ليصت فى آذان مصر كلها أنعاما من
الحماس الجافق والوطنية الصادقة ، بلادى ، لك حبى وفؤادى ، لك حياتى
ووجودى ، لك ديمى ونفسى لك عقلى ولسانى ، لك لبي وجنانى ، فانت أنت
الحياة ولا حياة الا بك يا مصر ،

زيزينيا ويحدث مصطفى فى خطابه أهداف حزبه

« أننا لو تخطينا الموت من هذه الديار واحدا بعد واحد لكانت آخر
كلماتنا أن بعدنا كونوا أسعد حظا منا ، وليبارك الله فيكم ويجعل النصر
على أيديكم ويخرج من الجماهير المثات والالوف بدل الأحتاد للمظالمه بالحق
الوطنى والحرية والإطية والاستقلال القديس »

ويتحدث عن التعليم ، ويقول بلامة خذى من العلم أوفر فسط وتملحى
بأسلحته وأملى وادى النيل من نوره ، وردى الى الفقير حقه ونصيبه من
النهل العذب ، ما فائدة الاموال التى تجمع والخزينة التى تملأ بالذهب الوهاج
إذا كانت الاسوار قائمة بين الفقراء والعلم ،

وتحدث عن الدستور فقال ، ان اعطاء المصريين مجلسا نيابيا حقيقيا
لا صورة يراد بها السخرية ، وفر الرماد فى العيون ، هو تجريد للاختلال
من كل سلطة

المصريون يطالبون اتباع الجادى الوطنية وتعظيم التعليم وإقامة
الدستور مقام الظلم والاعتساف وينادون بأنهم لا يرضون بحكومة الرجل
الفرد سواء كان مصريا أو اجنبيا

وتحدث بعد ذلك عن موقف الحزب من تركيا فقال : « زمانا الطاعون
بأننا نريد أن نخرج الانجليز من مصر لنعطيهما لتركيا فمنا عذبة التهمة
الا تصريح بيان معرفتنا ليقوق الامم وواجباتها لم ترشحنا الا أن نكون
عبيد ارقيا »

فليعلم أعداء مصر أننا نطلب لها الاستقلال ونطلب لها ذلك الاستقلال
بأعلى أصواتنا وعلى مسمع من أمم الأرض كلها . وإنما إذا أخلصنا الود
لأمة أو لدولة فإنما نعمل كغيرنا ونتبع ناموس الطبيعة بأن من انتقبت
مصالحهم يتجمعون ويتناصرون .

إننا نعلن للملا كلة أن الحزب الوطني مستقل عن كل الدول والحكومات
والملوك والإمراء . . . وتحدث عن الفلاح فقال :

« الفلاح الذي قضى القرون من السنين وهو ممتد أنه ملك للحاكم
ومتأخر إلا إرادة به ، فأسمى عمل تقوم به هو انهاض ذلك الفلاح العزيز
واعلاء مكانته فهو ممثل النشاط المصرى ومصدر كل خير ونعيم ، فليخيني
عصر ينطق فيه التاريخ بأن الفلاح ألقى أئصال القرون الماضية وصار رجلا
حرا بفضل أبناء وطنه المعلمين المجاهدين في سبيل حريته
وسعادته . . . »

ولست أعتقد أنني بحاجة إلى أن أتحدث عن مدى التقدم الذي أحرزه
العمل الوطني بإعلان برنامجه بهذا . . . فهو يختلف اختلافا كئيبا عن برامج
الاحزاب الأخرى . . . وهو يمثل نقطة انطلاق جديدة للنضال الوطني بأشرف

لكنه مع ذلك لم يحدد أهدافا واضحة تمثل مطالب الجماهير . . .
وحديثه عن النهوض بالفلاح يتناول آمالا غامضة بلا معالم محددة . . .
على أن إعلان الحزب الوطني كان علامة هامة . . . كان فيصلا بين
الوطنية الصادقة وبين العمالة أو التهاون أو المناورة . . . أو التقرب من
سلطات الاحتلال .

كما أن الحزب الوطني قد لعب دورا هاما في كشف العناصر الضارة
في حقل العمل السياسى ومن جملة غايبه على خصومه السياسيين كاشفا
أمام الجماهير سياستهم المتهاذنة أو العميلة . . .
ولنتأمل هذه العبارات التي هاجم بها الشيخ جاويش جريدة المقطم
. . . تحت عنوان :

« لا كرامة لماجور . . . ليخرس المقطم . . . » ما بال أولئك الغرباء عن
جميع الاوطان كلما رفع وطنى صميم صوته في شان من شئون وطنه صاحوا

بانكر صوت باقمين ؟ وما حكوه طاعنين ؟ وسخروا منه حاقدين ؟ عرفت
الامة هؤلاء الأعداء الذين لا يهنا لهم عيش الا اذا ضاع لها حق
من وعرفت صحيفتهم الصفراء بوقا للاحتلال يصوت فيها فتردد صداه
وأله يديرها فتستدير .. الا ليخرس المقطم فانه أحقر عند الامة من ان تلقى
له بالا او تقيم لحماقته وتضليله وزنا ، (١)

ويشدد اللواء هجومه على حزب الامة .. و « الجريدة » قائلان :
« ان سياسة الجريدة قدلنا على انبيها أشد الجرائد تعلقا بالاحتلال
وحسبنا قدحها فيمن استنكروا الاحتفال باللورد كترومن ، أعدى أعداء
المصريين والطاعن على الاسلام والمسلمين » (٢)
ثم توجه « العلم » هجومها الساسق الى لطفي السيد أيضا
فتناديه :

« اي عدو بلاده .. مكانك مكانك ايها الجبان فمالك بميادين تميكن
صورتها . وتضعيك ذكرا ما .. فخير لك ان تحفر الارض باظفرك ، وأن تنتردى
فيها ثم ارطم رأسك بالحجارة حتى يخرج من دماغك ذلك المنع الذي كان
سبب شقائك وأصل بلائك » (٣)

حتى الخديو لم يسلم من هجماتهم عندما باع نفسه للانجليز
وردا على تصريح أدلى به الخديو لجريدة الديلي تنجرف ايد فيه
الاحتلال الانجليزي . قالت جريدة « ليتندار » جريدة الحزب الناطقة
بالفرنسية :

« اننا نصرح جهارا بان الخديو احرق في تفكيره . ولكن لا نقبل ان
نكون مقيدين بهذا الكلام ، ان مصر لا يمكن ان تحكم بواسطة الخديو
فقط او بواسطة المعتمد البريطاني او بهما معا .. يجب ان تحكم مصر
بمعربة ابيائها .. لقد تكلم الخديو عن الازدهار المادي ولم يقل كلمة
واحدة عن الازدهار الادبي ، ذلك لانه لا يمكن تحقيقه الا بواسطة ارادة
الشعب المتمتع بكامل حقوقه » (٤)

(١) المزج السابق ص ١٠٥ .
(٢) اللواء - ١٩٠٧/١١/١٧ .
(٣) العلم - ١٩١١/١/٣١ .
(٤) ليتندار - ١٩٠٧/٥/٢٦ .

كما أن الحزب قد نجح بفضل علاماته الخارجية وبفضل ارتباطاته
بجماعات المثقفين المصريين الذين كانوا يتلقون العلم بالخارج . . . في أن
يربط بين القضية المصرية وبين الحركة العالمية المناهضة للاستعمار واليحرط
. . . وفي كثير من مؤتمرات السلام والمؤتمرات المناهضة للاستعمار ، وفي عصبة
الشعوب المظلومة ، ومؤتمر الاجناس المضطهدة ارتفع صوت أعضاء الحزب
مطالباً بالامتناع لمر والجلاء التام عنها . . . ومعلناً تضامن الأمة
المصرية مع كل الشعوب والاجناس المضطهدة . . .

كما أن الحزب قد نجح في أن يقدم لأول مرة في تاريخ مصر نموذجاً
للمعمل الحزبي السياسي الذي يعمل بوعي لكسب الجماهير وتنظيمها والوصول
ليها من خلال احتياجاتها اليومية والمحنة . . .
وهناك أمثلة عديدة . . .

وضع الحزب صحيفة موحدة للمطالبة بالحدسثور . . . وطبع منها عشرات
الآلاف من النسخ ودعا الشعب الى توقيعها وارسالها اليه ليقدمها الى
الخدويو وذلك في محاولة لاطهار مدى تأثير الحزب على حركة الجماهير
وارتفع عدد التوقيعات الى رقم مذل ٦١٠٠٠ توقيع . . .

كما اظهرت قيادة الحزب فيها عميقا لاهمية العمل - الجماهيري . . .
فقررت الاستفادة من المعركة الانتخابية التي جرت في ديسمبر ١٩١٣ لانتخاب
الجمعية التشريعية . . . ويكتب محمد فريد في مذكراته : « جميع الاجتماعات
الانتخابية التي حصلت بالقاهرة وبعض جهات الارياف كان الصوت العالى
فيها لرجال الحزب الوطني فالحركة في الحقيقة من أعمال الحزب وان كانت
الظروف السياسية منعت اللجنة الادارية من الظهور فيها » (١) . . .

وكانت هناك أيضا فكرة التعاون . . . التي اعتم بها الحزب اتماما
كبيرا كوسيلة لحل المشاكل اليومية للجماهير والارتباط بها . . .

وهناك أيضا مدارس الشعب وهي مدارس ليلية كان الغرض منها تعليم
الفقراء والعمال مجانا . . . وقد تطوع شباب الحزب للتدريس فيها وفقا لبرنامج
اعده الحزب يتضمن المواد التالية : القراءة والكتابة ودروس الدين - قانوني
الصحة والاحتياطات الصحية - القوانين الخاصة بالمعاملات اليومية - الحسابي
السنون الاجتماعية - تاريخ مصر والتاريخ الاسلامي - جغرافية وآداب
وقد افتتح الحزب أربعة مدارس في اقسام بولاق وشبرا والعباسية
والخليفة وكان محمد فريد يقوم بنفسه بالتدريس فيها (٢) . . .

(١) عبد الرحمن الرافي - محمد فريد - ص ٣١٨

(٢) عبد الرحمن الرافي - مذكراتي - ص ١٦

ثم أن الحزب قد اهتم اهتماما كبيرا بالطبقة العاملة .. والحقيقة
أن هذا الاتجاه لم يصبح ملحوظا إلا بعد أن تولي فريد قيادة الحزب ..
ويكتب فريد سلسلة من المقالات دفاعا عن حقوق العمال معلنا أنه ..
« لا يوجد بمصر قوانين خاصة بحماية العمال ولا قوانين تحدد سنهم
ولإبعاد الساعات التي يجب أن يقضوها في العمل فنجد العمال مثقلين
بالكواهل بلا رحمة .. » (١)

وعندما أضرب عمال النرام ساندتهم جريدة اللواء معلنة « أن المتأمل
في المطالب التي عرضها هؤلاء العمال يعرف مبلغ غلها وصوابها
لأنهم لم يمتاثروا على الشركة ولم يطالبوا منها بالاستحيل وإنما طلبوا أن
يحفظ التناسب بين الحقوق والواجبات وأن يأخذوا الكفالة الكافية لهم ،
وأن لا يضاموا ولا يرهقوا ، وأن يكون الاجر على قدر العمل ، وللعمل وقت
محدود ، وهذه الروح التي سرت في أولئك العمال فأشعرتهم أن لهم حقوقا
ضائعة وجميعت صفوفهم لطلبها بطريقة عادلة روج تبشر بدخول طوائف
العمال عينا في عهد جديد من الحياة الحية والتضامن الاجتماعي » (٢)

كذلك كون الحزب نقابة الصنائع اليدوية وهي أكبر تنظيم عمالي شهدته
مصر حتى ذلك الحين ..

والحقيقة أن فريد باتجاهه هذا نحو العمال والتشكيلات النقابية كان
متاثرا ببعض القادة العمالين الاوربيين وخاصة الزعيم العمالي كير هاردي
أحد مؤسسي حزب العمال الانجليزي ويتضح هذا التأثير من كلمات فريد
نفسه ..

« نقابات العمال قوة ماثلة تخضع لها الحكومات وتطاطء رأسها
إمامها ولقد أصبح حزب العمال في انجلترا من الاحزاب المسموعة الكلمة
بهمه من كرسوا حياتهم للخدمة هذه الطبقة من الاهالي مثل كير هاردي
ولجوانيه .. » (٣)

وفوق كل ذلك فإن قادة وكوادر الحزب الوطني قد قيدوا للحركة
النضالية المصرية نميادج رائجة من الابداء الثوري .. والتعالي علي مغريات
المحتلين والتضحية بالذات في سبيل الوطن .. مسلحين الجماهير بطاقات

(١) أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى ١٩١٩ -

ص ١٢٥

(٢) اللواء - ١٨/١٠/١٩٠٨

(٣) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ١٢٨

كبيرة من النضال وبالقدرة على رفض أساليب الجماعات والأحزاب الأخرى للمهادنة .

ولنتأمل هذا الحديث الذي دار بين مصطفى كامل وبين « السير كامبل بانرمان » رئيس وزراء بريطانيا ..

تبعدهم محاوراة طويلة سأل بانرمان « هل تقبل تكوين نظارة بمعرفتك ؟ »

ولنتأمل جواب مصطفى كامل « ان وطنيتي تفرض على رفض كل مركز في الحكومة طالما ظل الاحتلال في البلاد » (١) .

وكذلك فريد .. يعرض عليه المحتلون الوزارة ملوحين له بضعف مركزه المالي وباستعدادهم لتسوية كل مشاكله المالية فيقول لسدويهم « ان ضياع ثروتي لا يؤثر في مبادئى واننى أرفض أى مركز في الحكومة مادام الانكليز في مصر » .

وعندما يلح عليه الرجل يصمم فريد معلنا « اننى ساصر على الرفض حتى مماتى » (٢) .

ولما حكم عليه بالسجن زاره في سجن الاستئناف الدكتور عثمان غالب مؤيدا من قبل الخديوى ليخبره أن الخديوى مستعد للعفو عنه اذا تقدم طلبا بذلك .. فرد عليه فريد « أنا لا اطلب العفو ولا أسمح لأحد من عائلتى بطلبه .. واذا صدر العفو فلن أقبله » (٣) .

وهكذا كان الحزب الوطنى - فى كثير من الاحيان - مدرسة للتطرف الوطنى الذى يجابه سياسة المهادنة والملاينة والضعف وموالة الانجليز .. لكن كل ذلك لم يتح للحزب ان يفقد جماهير الشعب ، فقد كانت حماسته حماسة البرجوازية الصغيرة التى تتروح عاليا ثم سرعان ما تنطق .. الامر الذى لم يمكنه من ان يقدم الصياغة الفكرية الملائمة التى تعبر عن آمال الجماهير .. وأن يحشد هذه الجماهير بصورة فعالة دفاعا عن المبادئ التى صاغها .

ومنذ البداية كان مصطفى كامل يدعو الى انتهاز خطة معتدلة ..

(١) أحمد رشاد - المرجع السابق - ص ٢٢٣ .

(٢) محمد على غريب - الثدائى الاول - ص ٧٤ .

(٣) أحمد بهاء الدين - المرجع السابق - ص ٧٨ .

والحقيقة أن ذعرة مصطفى للاعتدال كانت خطة متكاملة تعبر عن إيمان محدود بطاقات الجماهير وقدراتها ، وعن خوف شديد من حركتيها الواسعة ، وباختصار لقد كانت ظلال فشل ثورة عرابي تشوب فكره ومواقفه .

••• وعندما اتحدث عن الاعتدال فيأني أعني أن مصطفى كامل قد تعمد - عن وعي - الابتعاد عن الأساليب الثورية في الكفاح مكتفيا بالاعتماد على الكتابة والخطابة والتشهير بالاحتلال محليا وعالميا .
وحتى عندما التفت حوله جموع الإسكندرية لتمنحه دفعا أرسل إلى أهالي الإسكندرية رسالة شكر جاء فيها :

••• وقد برهنتم في هذه المظاهرة المحدودة على أنكم الد أعداء الديكتاتور عرابيهم بإفلامكم والسنتكم حتى تتبدد طغمتهم » (١) .
وفي مرة ثانية وجه مصطفى كامل حديثه للجماهير قائلا :

••• العبرة التي تستعمل في غير موضعها تكون دوما مضرا من البلاد والعمول فلذا أنا ديكم مناداة محب لبلاده أن تنفوا باعتدالكم وسكونكم تهمة من يرمونكم بحب الهياج والاضطراب ، ومثل مصر مثل مريض قارب على الشفاء يتصح له الضبيب بزيادة التحفظ وعدم التعرض للمياه الباردة ينكسر بالعلة فتعود عليه بويل أشد من ويلها الأول ، (٢) .

وفي عام ١٨٩٦ نشرت الخديوي الضخيف النمساوية حديثا لمصطفى كامل جاء فيه :

••• ولما كانت الأمة المصرية مثقلة ولها حقوق الخلاص من النير الإنجليزي فترى للوصول إلى عرضها سبيلين : سبيل الثورة ، والسبيل السلمي .
فأما سبيل الثورة فتح لا نريده ، لاننا قبل كل شيء قوم مشهورون بالدعة وحب السكينة ونيفض المذابح والجرائم . ومن جهة أخرى فإن لأوروبا عندنا مصالح تضرر بها الثورة لذلك أعرضنا عن سبيل الثورة الذي

(١) على فهمي - المرجع السابق - ص ٢٢٧ - (٢) على فهمي - المرجع السابق - ص ٥٠٥ - (٣) أحمد رشاد - المرجع السابق - ص ٥٠٥ - (٤) على فهمي - المرجع السابق - ص ٢٢٧

فكره بفطرتنا واخترتنا السبيل السلمى ، (١) .
ويبدى مصطفى بحثيخ آخر لمراسل تيويورك هيرالد يقول فيه :

« لقد قمنا نلقت أنظار أوروبا لينا بالقلم واللسان ، ولسنا بغير
القلم واللسان نريد أن نخاطب أوروبا ونستفزها للنظر فى مصلحة
بلادنا .. » (٢) .

وثمة مواقف أخرى كثيرة تحمل نفس المضمون .. لكن أهم ما لفت نظري
موقف ذو أهمية خاصة فى اعتقادى .. فهو يعبر عن موقف مصطفى كامل
من قوة هامة فى المجتمع وهى ضباط الجيش .. فقد كان أخوه - على فهمى
كامل - ضابطا بالفرقة المصرية فى سواكن وعندما قدم مصطفى عريضته
الشهيرة الى البرلمان الفرنسى بلغ حماس ضباط الجيش المصرى فى سواكن
ذروته فكتبوا لمصطفى رسالة زاخرة بالشجاعة والوطنية والاقدام ..

« الى الشهم الغيور للوطنى المصرى مصطفى كامل أفندى أيدى الله ..
السلام عليكم .. ان الذين يخاطبونك يجدون أنفسهم أمام وطنيتك النادرة
وتفانيك فى حب مصر المقدسة صفارا ، لان قلمك الحق أمضى من سيفنا ،
وحججك القوية أفعل من رصاصنا فان قصرنا فى شىرك فلنا من عملنا أكبر
عذر وفى عفوك أعظم أمل .. »

اتنا نشكرك ايها السيد المجل شكر المصرى الصميم لأخيه الخميم
فانقبل شكرنا وأعلم ان ارواحنا طوع اشارتك فى خدمة بلادنا العزيزة ،
ثم ٣١ توقيعاً ..

فماذا كان رد مصطفى كامل ؟

« من الحكمة الا نمكن العدو من رقابنا .. وانى لا اود ان يدخل
الضباط فى جركتنا السياسية بخولا ظاهرا لان هذا يضر بالمسألة المصرية
ضررا بليفا حيث يجد الاحتلال مسوغا لخلق التهم الثورية بمصر ، وغير
ذلك مما لا يخفى عليكم .. » (٣) .

ولم تكن هذه هى الوثيقة الوحيدة الشجاعة لضباط الجيش من مصطفى
ودعوته بل لقد أعلنوا فى مرة أخرى استعدادهم للعمل رهن اشارته ..

(١) على فهمى كامل - المرجع السابق - ص ٢٨٧ .

(٢) المرجع السابق - ص ٣٠٠ .

(٣) المرجع السابق - ص ٥٥١ .

ولنستمع الي على فهمي وهو يروى بنفسه قصة وثقة آخرى شجاعة لضباط الجيش بعد ان لقيت له تهمة باطلة وحكم عليه مجلس عسكري بتجريدته من رتبته وسجنه

وقد استقبلني الضباط المصريون متأثرين لما لقيت من هذا الظلم بل لقوني غاضبين صاخبين لما اصابني من اعداء وافتراء ورأيت منهم حركة هي التي كنت أنتظر ان اراها منهم . وتقدم الي احدهم وهو الشهم المحرم شفيق بك الحضري وقال لي انك انت الذي اصابنا بهذا الظلم يا اخانا المظلوم . انفسنا نعتقد ان رئاسه الجيش المصري قد مثلت اليوم روية من اشنع وافظع الروايات . ان ظلموا ضباطا مصرينا بريننا وتخالموا زورا وعدوانا على رجل ذنبه انه اخو مصطفى كامل فهورنا فاننا طوع اشارتك .

ظلم يعنى الا ان شكرت لهم عنايتهم بشائى واشرت عليهم فاستعمان الحكمة والروية حتى يقضى الله امرا كان مفعولا (١)

كذلك فان الحزب كانت تمرقة خلافات فكرية عنيفة . . . فهناك اتجاه يمثله الشيخ عبد العزيز جاويش وهو ما يمكن تسميته باتجاه الجماعة الاسلامية وهو اتجاه ينادى بحق الامة المصرية فى الحرية والديستور والجلالة فى ظل وحدة العتائم الاسلامي ممثلا فى الدولة العثمانية التي يتعين الحفاظ على وحدتها ومقاومة تمرقها فان فى تمرقها ضياع الوطن كله . . . (٢)

والحقيقة ان اتجاه الشيخ جاويش الذي كان مسؤولا لفتخرة من الوقت عن اهم اجهزة الحزب وهي جريدة اللواء قيد اوقع الحزب فى حيرة شديدة . فاذا كانت الدعوة الاسلامية ترضى البعض فانها توقع المطالبين بالحرية والاستقلال والديمقراطية فى حيرة . . . اذ كيف يمكن تحقيق كل ذلك فى ظل الوحدة مع الدولة العثمانية وبكل ما تحمله سلطة هذه الدولة من جيروت وتسلط وقهر . . .

ويعلق فى جمال احمدية على هذا الاتجاه قائلا به انه قد اكسب الحزب بعض الجماهيرية التي مكنته فى بعض الوقت من ان يملأ شوارع القساهرة .

(١) المرجع السابق - ص ٢٣٥ . . .
(٢) انور الجندى - عبد العزيز جاويش - ص ٨٢ . . .

بمظاهراتٍ صاخبةٍ. لكنه - وفي نفس الوقت - قد أفتقده تأييد عناصر كثيرة (١).

أما الاتجاه الآخر فهو اتجاها محمد فريد الذي قاوم آراء الشيخ جاويش قائلا ، ان حبه للدولة العثمانية أدى الى نسيان مصر ومصالحها ، فأصبحوا يقولون أن مصر للمسلمين لا للمصريين وقد وصلت الحالة بالشيخ جاويش الى أن ينصحني بعدم حمل الدبوس الذي علمناه في جنيف والكتوب عليه « مصر للمصريين » والذي قررنا أن يكون شعار المصريين المخلصين وقال أن منظره في صدرى وصدر أخوانى يغيظ العثمانيين كما يغيظهم محانفتى شئى قومية مصر (٢).

ويمضى محمد فريد متحدثا في مذكراته عن معارضته لآراء جاويش قائلا : « ان جاويش لم يزل يحارب فكرة الوطنية في الاسلام وقد قال أخيرا في برلين لأحمد بك ان يطلع عن فكرة الوطنية او الجنسية المصرية قائلا انه لا وطنية في الاسلام » (٣).

ولم يكن هذا المظهر السلبي الوحيد في الحزب ... لكن سياسة عدم التعاون مع الاحتلال تطرقت الى شعار يمنع الوطنيين من قبول الوظيفة في ظل الاحتلال . ولم يبق أمام الكثيرين من متقضى الحزب سوى الهجرة الى الخارج . . .

ثم ارتكب قادة الحزب الخطا القاتل فهاجروا هم أيضا تاركين شعبا أحبهم وأعجب بهم ، والتف حولهم ، ومنحهم من التأييد ما لم يمنحه لحزب سياسى آخر . . .

وفي البداية هاجر جاويش وبعدها بشهر واحد تبعه فريد . . . ثم الكثيرون عبد الملك حمزة ، اسماعيل كامل ، عوض البحراوى ، الدكتور أحمد طاهر وعشرات غيرهم . . .

وعكذا. وبالتدرج انتقل مركز الكفاح من وسط الجماهير ، من مدارس الشعب الليبية وجمعيات التعاون ونادى طلبة المدارس العليا ونقابة الصنائع النخبوية وشوارع القاهرة وغيرها من المدن ، الى الابستانية ودول أوروبا وكان طبيعيا أن تتبعثر جهودهم وأن تسودهم وهم في المنفى وفي عزلة عن العمل اليومي المنظم وبسط جماهير الشعب روح الفرقة والخلافات الشخصية والمؤامرات والمناورات الصغيرة . . .

(١) جمال أحمد - المرجع السابق - ص ٨٧

(٢) صبيح - المرجع السابق - ص ٧٨٩

(٣) صبيح - المرجع السابق - ص ٣١٨

والحقيقة اننى فكرت في هذه الهجرة الجماعية التي اندفع اليها هؤلاء
القادة وأكثر ما حيرنى هي هجرة فريد وهو زعيم واع ومخلص يترك كل شيء
هربا من قضية حكم عليه فيها « بالحبس لمدة سنة » .

وأيا كانت الدوافع ، وأيا كانت المبررات فهي في اعتقادى خطأ فادح
تهدم كيان الحزب وأتقدمه قدرته على التأثير في الجموع التي كانت تغلظ
عضيا .

وكان طبيعيا أن تتجدد قوى هذا الحزب بعد أن تركها القادة مبتعدين
بأنفسهم عن بطش سلطات الاحتلال . . . وكان طبيعيا أن يرسم المختلون
سياسة تهيف إلى البعاد ، القيادة إلى الخارج وضرب القاعدة في الداخل . . .

وتتوالى الأحداث سريعا وفي أغسطس ١٩١٥ تنشر الامور خطابا
مفتوحا من محمود بك فهمى سكرتير الحزب يعلن تبراه من الحزب . . .

كذلك تنعكس هذه الأحداث على تفكير محمد فريد وهو في عزلة القاسية
بعيدا عن شعبه وعن وطنه وعن جماهيره . . . وبعد أن شهد كيان حزبه وهو
يتهم ، فيكتب في مذكراته معبرا عن يأس لا حدود له « اتضح لى من كثرة
اتصالاتى ومساعى انه لا أمل من جهة في قيام الجامعة الإسلامية باسم الدين ،
ومن جهة لا أمل في ان المانيا تساعدنا ضد الترك لانهم محتاجون اليهم لا يريدون
أن يفضيهم في شيء . . . ونحن في مثل هذه الظروف نفضل بقاء الانجليز والاتفاق
معهم على أخذ الدستور ولو تدرجيا » (١) .

وكان طبيعيا بعد كل ذلك أن تجزى أحداث ثورة ١٩١٩ بعيدا عن الحزب
وحتى بعيدا عن خيالات قادته . . . وكان طبيعيا أن يكتب فريد في مذكراته
معلقا على أحداث هذه الثورة فيقول « من الامور التي كانت غير منتظرة ،
ما حصل بمصر في شهرى مارس وابريل من هذه السنة وهو قيام ثورة عامة
اشتركت فيها الأمة بجميع طبقاتها واتخذ فيها الاقباط والمسلمون مطالبين
بتاسقلال مصر التام . . . » .

وهكذا . . . ورويدا رويدا . ادركت الجماهير ان آمالها ليست جيبسة ارادة
ولا شعارات المثقفين ولا الفئات الوسطى وان ثمة قوة أخرى أكثر قدرة على
الصدام وأكثر قدرة على الصمود وأكثر قدرة على المجابهة .

(١) صبيح - المرجع السابق - ص ٣٦٨ -

الحركة وسط الفلاحين

والحقيقة ان ثمة طبقات اخرى كان الفقر يطحنها ، وكانت ظروفها الاجتماعية والاقتصادية تدفعها الى التمرد ، والى تبني شعارات ثورية حقا . . .

وكانت هذه الشعارات وتلك المواقف اكثر مما يمكن ان يحتمله حزب البرجوازية الوسطى أو الصغيرة . . .

ولنبدا بالفلاحين هؤلاء الناس الذين قال كرومر انهم اكثر من استمتعوا بنعم الاحتلال . . . لقد رأينا في البداية كيف استحوذ كبار الملاك على كل شبر يستصلح من الارض فارتفعت بذلك ارقام الملكيات الكبيرة ومساحتها بصورة مخيفة . . . ولم يبق شيء للفلاحين الصغار سوى مساحات ضيقة من الارض ترهقها ديون متراكمة وضرائب تتزايد كل يوم ومحصول ضعيف ورجال يخذطون للعمل في السلطة .

والحقيقة ان الحالة التي عاشها الريف المصرى في مطلع القرن العشرين بحاجة الى مزيد من التامل والدراسة . . . فيدون دراستها دراسة تفصيلية لن يمكننا ان نفهم حقيقة الدوافع التي كمننت وراء العنف المسلح الذى انفجر فجأة عام ١٩١٩ .

وإذا كان صعبا ان نورد هنا دراسة تفصيلية لهذه المسألة ، فإننا سنحاول ان نقدم بعض الملاحظات السريعة .

ولنبدا بهذه الصورة التي أوردها مراسل الاهرام في مطوبس . . .
« كان هبوط الائتمان الذى أصاب الزراعة في هذه السنة أنكى الضربات التي نزلت عليهم ، وقد أصاب هذا الهبوط محصول الارز مع وفرة نفقاته وقد ساءت حالتهم كثيرا بكيفية تسليم الارز للدائنين ، فانهم لا يقبلون اخذه الا بزيادة نحو الخمس على كل أردب ، والزراع لا يسعهم الا التمسيم على كل حال . لانه لا توجد جهة لتوريد هذا الصنف غير ثغر رشيد ، ثم يرجع الزارع لبلده خائبا حزينا فيعامله الحاكم بقسوة وصرامة في طلب الاموال الاميرية وهو لا يستطيع وفاءها اذ لا شيء لديه لقوته وقوت عياله » (١) .

(١) الاهرام - ٢٢/١٢/١٨٩٢

وإذا وصل الامر بالفلاح الى هذا الحد ، فإنه لا يجد أمامه سوى أن يستدين ، أو أن يبيع محصوله الشتوي قبل أن ينضج ، ويستغل السماسرة والتجار (ومعظمهم من الأجانب) حاجة الفلاح اللحة الى المال ليشتروا منه محصوله للشتوي بأبخس الأثمان ٠٠ وسرعان ما يقبل الخريف ويحتاج الفلاح الى زراعة المحاصيل الشتوية فيضطر الى أن يشتري من التجار ما يباعه لهم بالاملش لكنه يشتريه بسعر أعلى بكثير

ويؤكد أحد الاقتصاديين الأجانب أن الفلاحين كانوا يخسرون في فروق الأسعار هذه مبلغا يصل الى مليون جنيه سنويا عندما يشترون في أكتوبر مما ياعوه في مايو (١) .

أما الطريقة الثانية فهي أن يستدين مبلغا بالربا ٠٠ وفوائد الربا خيالية ٥٪ شهريا ، أي ٦٠٪ سنويا ٠٠ وإذا لم يرد أن يلجأ للمرابي فأمامه الاستدانة من بنوك الرهن العيارية ، التي اتسعت أعمالها كثيرا في هذه الايام

والحقيقة أن نظام المحاكم المختلطة قد شجع كثيرا على انتشار زهن الأرض ، فبقي من ناحية أتاحت للفلاح أن يقدم أطيانه كضمان قانوني للدين ٠٠ ومن ناحية أخرى أتاحت للدائنين الأجانب سهولة بالغة وحقوقا واسعة في بيع الاطيان المرتهنة

وتتراكم الديون بصورة مخيفة يوضحها الجدول التالي (٢) :

عدد الملاك المدنيين	جملة الارض المدنية بالفدان	جملة الدين على مالكي الخصسة أفندة فأقل	جملة الدين على كل فدان قرشا جنيها
٦١٩٨١	٥١٩٢١٤	١٦٩٩٠٠٠٠	٢٥٠٨٧

وكان طبيعيا أن يعجز الفلاح عن السداد ، وتبلغ متأخرات الفلاحين لدى البنك الزراعي وحده ٤١٦٨٨٧ جنيها في يناير ١٩١٠ ، وييسأثر هذا البنك وحده اجراءات التقاضي لنزع ملكية الارض من ٢٥٤٤ مدينا (٣) لكن الامر لم يقف عند هذا الحد ، فهناك نكبات أخرى

فمواشي الفلاح يحصدها الطاعون البقري بصورة لم يسبق لها مثيل ، وكان مذبذب الخسائر في المواشي من هذا المرض ١٠٠ رأس في الاسبوع ، وقد بلغت الخسائر في عشر سنوات (١٩٠٧ - ١٩١٧) ٤٠٠٠٠ رأس قيمتها

(١) عبد الرحمن الرافعي - نقابات التعاون الزراعية - ص ١٧٦
 (٢) ككتشنر - التقرير السنوي لعام ١٩١٢ - ص ٢٥
 (٣) ككتشنر - تقرير عام ١٩١٠ - ص ١٠٠

كذلك تلاحق جودة القطن المحصول الرئيسي للبلاد. وتكلف في عام ١٩٠٤ ما قيمته مليون جنيه ، وافترق لذلك عدد كبير من صغار الفلاحين وهلكوا هم وأسراهم جوعا ، وانقابت الفلاحين مثل هذه النائبة في عامي ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ ، فقد قيل أنهم خسروا في العامين المذكورين ٨ مليون جنيه .

بل ان الكارثة نكمن في الهبوط المستمر في انتاج الفدان ، فقد دلت الاحصائيات الرسمية على ان متوسط محصول الفدان من القطن في عام ١٩٠٦ كان خمسة قناطر وكسور ، ثم هبط في ١٩٠٢ الى ٤ر٥٨ ثم هبط مرة اخرى في ١٩٠٤ الى ٤ر٣٩ ، ثم استمر الانخفاض فيلغ في سنة ١٩٠٥ الى ٣ر٠٨ وفي سنة ١٩٠٦ هبط الى ثلاثة قناطر فقط ، (٢) .

لكن كل هذه الكوارث كانت تهون الى جانب الكارثة الكبرى : **السلطة العسكرية** .

حيث ساق المحتلون مليوني من الفلاحين والعمال المصريين ليعملوا تحت سوط الارهاب في خدمة جيوش المحتلين في سيناء وفلسطين وسوريا وأماكن أخرى كثيرة .

والحقيقة ان قصة هؤلاء الرجال الذين ذهبوا بأعداد غفيرة ، وعاد منهم القليلون ، تستحق من ايضا مزيدا من الدراسات التاريخية والفنية والدرامية .

ولست أريد ان اطيل هنا ، لكنني ساكتفي بوصف أوردته جريدة انجليزية لعملية السخرة هذه ، فقالت : وضع نظام للتطوع ظهر عدم كفايته فصدرت الاوامر بأخذ العمال من الحقول بالاكراه ، والطريقة هي ان يدخل رجال الحكومة القرية وينتظرون رجوع الفلاحين الى منازلهم في الغروب فيحيطوا بهم وينفقوا خيبرم للخدمة ، فاذا رفض أحدهم هذا التطوع الاجباري جلد حتى الاقرار بالتقبل ، وعلى هذا النحو ساقوا صبيانا من سن اربعة عشر عاما وشيوخا في السبعين . وكانت الجموع المريضة الذهكة تلساق لتأدية الاعمال الحربية والكرياج كقبيل يتسخيرهم من غير حساب . وأصبح الجلد من الاعمال اليومية ، وكان المكلفون بالجلد هم الاطباء أنفسهم حتى ان المرضى كانوا يخافون ان يختلط الامر فينقلوا خطا من طابور المحتاجين للعلاج الى طابور الحكوم عليهم بالجلد . . . (٣) .

(١) عزيز خانكي - شئون مصرية - ص ٣٤ ، ٣٥

(٢) روثشتين - المرجع السابق - ص ٤٥٦ .

(٣) أحمد بهاء الدين - المرجع السابق - ٨٩ .

والآن ماذا بقى للفلاح سوى أن يتمرد . . .

١٩١٤ هذا الفلاح الذي تخاض عشرات الهبات المسلحة ، والذي أثبتت دوماً أن أحماسه الطبقى أكثر حدة مما يتصور الكثيرون ، والذي سارع ليحتضن ثورة عراقى ويحولها الى ثورة فلاحية يقوم رجالها بتوزيع ارض كينار الملك . . .

سعد هذا الفلاح لم يكن يمكننا ان نقوده شعارات معتدلة ولا اساليب غير ثورية . . . ربما كانت تنفضه القذرة على المبادرة ، لكنه ما ان اشتعلت أحداث الثورة حتى مارس العنف الثورى الى اقصى مداها . . . الى النخبة الذى ازعج قادة الوفد انفسهم وجعلهم يصدرون بياننا يقول : ان الاعتداء على الانفس او على الاملاك محرم بالشرائع الالهية والقوانين الوضعية . . . وان تطهير طرق المواصلات يضر اهل البلاد ضرراً واضحاً ، اذ يحول بينهم وبين مباشرة مصالحهم ويوقف حركة نقل المحاصيل والارزاق . . . ومثل هذا العمل يضيع على المصريين ما ينتظرونه من عطف عليهم . . . (١)

ثمة ايضاً وكان طبيعياً ان ينزعج قادة الوفد من حركة الفلاحين هذه . . . فالحقيقة ان الثورة قد تحولت على ايدى الفلاحين البسطاء من مجرد حركة وطنية الى معركة طبقية يقف فيها الفلاحون المسلحون ضد الاحتلال وضد كينار الملك ممثلاً . . .

وفي كثير من الاماكن التى اعلنت التمرد المسلح كان السلاح يوجه ضدهم الانكليز والاعنياء معا . . .
ويعلم ويحاول فكري أباطة . . . وهو من رجال الحزب الوطنى . . . ان يصيب احدانا شيئاً فيها في مديرية اسيوط ، فيقول : ويزحف اليوساء المنزل زحف الأسود الكاسرة على مستودعات الذخيرة الحدية وعلى سلاح البوليس فيتخاطفونه تخاطفاً ، ويقتلونه فارغاً ومملوءاً . . . ويتكون في ملح البصر جيش الثورة بين اصحاب الجلابيب . . . (٢)

ويرتعد الأجنب ويرتعد معهم كينار الملك . . . فالفلاحون المسلحون شيء مخيف حقا . . .
والثورة ضد الانكليز ، والثورة ضد الثورة . . . نعم كانت هناك حقا ثورة ضد الانكليز يقودها بعض المتورين . . . وثورة ضد الثورة يقودها

(١) صديح - المرجع السابق - ص ٣٩٢ . . .
(٢) فكري أباطة - الضاحك الياسى - ص ٤٤٣ . . .

الإشراق الفقراء •

لكن ثورة الفقراء ضد من ؟

• كانت صفائح البنزين تكوم على مجاذاة جدار القصر - قصر محمد محمود باشا أحد قادة الوفد النقبيين إلى مالطة - ويوشك الثائرون أن يشعلوها ببيدات الكبريت ••

وطلت لهم : هذا قصر محمد محمود •• ولاجل حريته وحرية بلاده
•• شرتهم

وقال وحش من الوحوش : أسكت •• هل وزع محمد محمود أرغفة العيش على الجامعين ؟ نحن طلاب قوت ••

وكانت صدمة لي •• خلط عجيب بين طلاب الاستقلال وطلاب القوت •• وخلط غريب بين الكفاح الوطني والاستراكية السانجة ، (١) ••

ولقد تعمقت أن أروى القصة كاملة ، ليس فقط لأوضح الأساس الطبقي لحركة الفلاحين •• وإنما أيضا لكي أوضح مدى عزلة ونفور رجال الحزب الوطني من هذه الحركة الطبقيّة ••

وثمة رواية أخرى يرويها واحد من رجال الحزب الوطني أيضا ، هو عبد الرحمن الرفاعي •

وكان يعود أثناء الثورة من القاهرة إلى بلدته في قارب بالنيل ، بعد أن قطعت خطوط المواصلات •• ويصف حالة القرى التي مر القارب بجوارها ، فيقول : شامدنا معالم الثورة ، فكنا نسمع نداءات : لتحيي مصر •• ليحيي الاستقلال •• لتحيي الثورة •• واسترعى سفعي بوجه خاص نداء كنت أسمعه بين حين وآخر (ليحيي العدل) •• وقد تسالطت أولا عما يقصد من هذا النداء ؟ وهل ظنونا قضاة جئنا بينهم بالعدل ؟ •• ثم أدركت شعورهم الحقيقي وأنهم لا يطلبون العدل لأنفسهم بل يطلبونه لصر •• ، (٢) •

ولقد كانت الثورة عنيفة أكثر مما يتصور الكثيرون ، وأكثر بكثير مما صور المؤرخون ، فلقد قتم الفلاحون ثلاثة آلاف شهيد (وفقا لإحصاء الرفاعي) ••

وإن كان هارموت وكيل الخارجية البريطانية قد قال في بيان له أمام مجلس العموم أنهم ١٠٠٠ قتيل فقط و ١٦٠٠ جريح و ٣٧٠٠ سجين أعدم

(١) المرجع السابق - ص ٤٥

(٢) : الرفاعي - مذكراتي - ص ١٠٣٥

منجم ١٤٩ شخصا وحكم على ٤٧ بالاشغال الشاقة المؤبدة (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

وقد قدم الفلاحون بطولات خرافية، فقد حاربوا قوات الاحتلال بقوة وسهولة، وانزلوا بها هزائم منكرة، واضطروها الى ان تستعمل الطائرات السراعية في القاء قنابل خارقة عليهم (في منطقة دير مواس وديروط) وفي دير مواس هذه قبض على ٥١ شخصا بتهمة قلب قطار عسكري وقتل ثمانية من ضباط وجنود الاحتلال وحكم على ٢٤ شخصا بالاعدام، وظلت سلطات الاحتلال تطلب التي المحكوم عليهم ان يطلبوا العفو عنهم، مجرد طلبت على اثره حكم الاعدام، ورفض الفلاحون الابطال، واعدوا

تسببوا مذابح اخرى كثيرة في يثفنا العزب، ومنيت القرشي، وعشرات من القرى الاخرى، كل هذا والفلاحون يواصلون الثورة، بل ويعلنون تشكيل جمهوريات مستقلة في زفتي، والمطرية وفارسكور، والنسي، عيلين، تمردهم ليس فقط على الاحتلال، وانما ايضا على النظام الملكي كله، والحقيقة ان سلوك قادة هذه الجمهوريات خلال فترة استقلالها كان سلوكا يستحق الاعجاب، ويقتل على معنى طبعي زان، يعبر عن أحلام الفلاحين في مجتمع جدي، من الذي جمهورية القرشي اصحرت، والجنة الثورة، وهذا هو الحكم قيادة الجمهورية التي انتخبها الفلاحون في اختراع غنام من سلسلة من البيانات يقول احدها ولا بد من حماية الامن من كل جانب، ولا بد من تحقيق العدالة لكل ساكن، ولا بد من اقامة منشآت جديدة

منها احتشيدت مجموع المطورين امن الفلاحين لقرود العزب والمجتمعات المحيطة بالمنطقة، ويتصلح الجنود، وتكونت فرق امن الطيلاء لحماية الامن، ونظمت دوريات تراقبية الجود، وكان عمير الجمهورية ١٨ يوما فقط لم يتحرك قادتها في جمل من احلامهم الا وحققوا حتى انهم اقاموا كنيسا تحرف فيه الموسيقي كل يومين (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

وازلت سلطات الاحتلال فرقة من الجنود الاستراليين لتخفيض الجمهورية المتمردة، من ذلك كعبية، والاشغال الشاقة المؤبدة، وكان موقف اللجنة الثورة من القوات الاسترالية دليلا على وعيهم وبحقيقة الحركة التي يقومون بها، فقد طبعوا منشور باللغة الانكليزية

(١) صلاح عزام - مارس ١٩١٩ الماضي والفلاحون - ص ١٦٧ (٢)

وَزِعوه على الجنود الأستراليين يقول لهم ، أيها الجنود ، انكم مثلنا ،
واننا نشور على الإنكليز لا عليكم إنتم ، اننا نشور من أجل الخبز والحرية
والاستقلال ، (١) .

• الخبز والحرية والاستقلال • انه شعار يختلف تماما عن شعار
المطالبة باستقلال مصر بالوسائل المشروعة ، الذي رفعه الوفد •• يختلف
في المحتوى الطبقي ، وفي الاسلوب •• وفي كل شيء .

وهكذا كان الفلاحون يتحركون في الظاهر تحت قيادة الوفد . لكنهم
في الواقع كانوا يمارسون ثورتهم صم التي طالما حلموا بها •• الامر الذي
أزعج قيادة الوفد ازعاجا شديدا ، ودفعها أكثر من مرة الى ادانة التمرد
المسلح واستنكاره .

أما رجال الحزب الوطني ، فقد شهدنا كيف أن أحدهم - وهو فكري -
أباطة - وصف الفلاحين بأنهم وحوش وأشرار •• وأنهم يخلطون خلطا
عجيبا بين الكفاح القومي والاشتراكية الساذجة .

وإذا كان الفلاحون بحكم تكوينهم الاجتماعي قد صبروا حتى تفدئج
الثورة كي يعلنوا تمردهم المسلح ، فإن العمال - بحكم تكوينهم الاجتماعي
أيضا - لم ينتظروا بل رفعوا شعارات النضال عالية منذ فجر القرن
العشرين .

(١) المرجع السابق - ص ٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعلنا من عباده الخلق
الذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض

والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض
والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض
والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض

والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض
والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض
والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض

والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض
والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض
والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض

والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض
والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض
والذين يمشون على الارض والذين يمشون على الارض

النضال النقابي والسياسي

للطبقة العاملة

والحقيقة أن أهمية حركة الطبقة العاملة في ذلك الحين تكمن في أنها كانت معلما للشعب كله ، ولهما لمسيح من الفئات الأخرى التي رأت الطبقات الأخرى وهي تتهاوى تحت ضربات الاحتلال .

وطوال السنوات العشر الممتدة من ١٩٠٩ حتى ١٩١٩ كان الكثير من الأصوات قد تلاشى ، وكان الصوت الأعلى هو صوت الأضرابات العمالية والاعتصامات ومظاهرات العمال العاطلين التي أثرت في كثير من المثقفين ولفت انتباههم نحو فكر جديد وطبقة جديدة لم تستسلم ولم تتهاون ولم تهزب من ميدان الكفاح .

من هذه الزاوية يتعين تقييم دور الحركة العمالية في ذلك الحين . ومن هذه الزاوية يتعين دراستها .

ولسنا نستطيع أن نقدم دراسة وأنية عن هذا الموضوع ، لكننا سنكتفي بملخص سريعة (١) .

والحقيقة أن الطبقة العاملة كانت تعاني من ظروف غاية في القسوة . فالأجور منخفضة إلى حد لا يصدق . كان أجر العامل غير النقي بالمجالج ثلاثة قروش يوميا ، وأجر عامل الترام ٨ قروش يوميا . غذا مقابل ساعات عمل يومية تبلغ ١٣ ساعة في مجال النقل و ١٧ ساعة في مجال القطن و ١٦ ساعة في المطابع (٢) .

ذلك في الوقت الذي ارتفعت فيه الأسعار ارتفاعا فاحشا ، فقتنذ / ارتفع ثمن نصف كيلو اللحم من قرشين إلى أربعة قروش ، وارتفع سعر أردب القمح من ١٤٥ قرشا إلى ١٥٠ قرشا بالاسكندرية وبلغ ٢٤٠ قرشا بالارياض ، وارتفع سعر الفول من ١٢٥ قرشا إلى ١٤٠ قرشا .

(١) لمزيد من التفاصيل راجع :

- * أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى ١٩١٩ .
 - * عبد المنعم الغزالي - تاريخ الحركة النقابية ١٨٩٩ - ١٩٥٢ .
 - * رؤوف عباس - الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ - ١٩٥٢ .
- (١) الغزالي - ص ٢٤

كما ارتفعت اجور المنازل بنسبة ١ : ٩٠٠ وهكذا (١)

وحاول العمال أن يلفتوا انظار الراى العام الى قضيتهم ، وامطروا الجرائد برسائل تشرح حالتهم. وبؤسهم ، وكتب احد عمال السكة الحديد الى جريدة الاهرام يقول :

• ان أعمال مصلحة السكة الحديد صعبة جدا وخطرة للغاية ،
وعمالها جميعا محفوظون بالاطار ، والوردية تمكث ١٢ ساعة متوالية ،
وإذا مرض أحدكم لا يجد طبيبا ولا دواء حتى يموت ، (٢)
وعامل آخر من شركة القرام يبعث برسالة الى الاهرام يتوقّع ان ف
محب للانسانية تقول :

• ان شركة بزام القاهرة تشغل عمالها أكثر من ١٤ ساعة في اليوم
وتتقدّمه مرتبا اثنين جنيه في الشهر ، وإذا مرض يوما من شدة التعب واليأس
والقيام المبكر تخصم منه ايام الانقطاع وتأمّر بايقانه ورقته لاسباب وأمية
ان شركة مثل هذه لا تسرق أورانا ولا تختلس مليما واحدا ، ولكنها تسرق
أرواح العمال وتتسبب في قصف حياتهم ، ان العمال كثيرا ما قدّموا
شكاواهم ولا حياة لمن يتسدى ، فلا الشركة تجيب ولا الحكومة تصغي ،
ولو كان لهؤلاء العمال وامثالهم بمصر جمعيات أو احزاب لما كانت الشركة
تعاملهم هذه المعاملة السيئة ، ولخشيت من بأسهم ، (٣)

ولعل هذه الرسالة توضح - الى حد ما - وعمل طبقيا وفهما لاهمية
اللتظيم النقابي والسياسي في تقوية نضال العمال ودعم حركتهم

والحقيقة ان الطبقة العاملة قد بادرت منذ مطلع القرن الى تكوين
سلسلة من النقابات والجمعيات لتوحد صفوفها ،

وفي سرعة غريبة تكونت عشرات النقابات والجمعيات ، نقابة عمال
السجاير ١٨٩٩ ، اتحاد عمال الخياطين ١٩٠١ ، نقابة الحلاقين
١٩٠١ ، جمعية عمال المطابع ١٩٠١ ، جمعية عمال الادوات المعدنية ١٩٠٢ ،
جمعية كتبه الحامين ١٩٠٢ ، وفيما بعد تشكلت نقابة عمال الصنائع
اليهودية ونقابة عمال القرام ونقابة عمال السكة الحديد (٤)

بل ان الامر قد وصل الى حد تكوين جمعيات سرية عمالية مثل

(١) الاهرام - ١٥/١/١٩١٠

(٢) الاهرام - ١٩/٨/١٩٠٨

(٣) الاهرام - ١٢/٣/١٩٠٧

(٤) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ٦٩٠

« الجمعية السرية ليؤساء السكة الحديد ، .. وقد تصدت هذه الجمعية
لقيادة عدة اضرابات واعتصامات ضد تعسف الإدارة . »

.. وفي ١٣ اغسطس ١٩٠٨ ، عندما أصدرت مصلحة السكة الحديد
منشورها رقم ٤٥٧ الذى يقضى بالعمل يوميا لمدة ١٢ ساعة متواصلة
يعقبها ١٢ ساعة راحة (١) ، تقدمت هذه الجمعية على الفور لقيادة العمال
وإذا بتلغرافات ذات صياغة موحدة تنهال على الإدارة والصحف .. تقول :

« منشور الإدارة نمرة ٤٥٧ صارم وغير مستطاع .. نرجو تقليل
ساعات العمل وتحسين رواتبنا ، ولا نهذا حتى ننال مطالبنا .. »

وتشكلت قيادة سرية لاضراب حدد قائمة بالمطالب التى يناضل العمال
من أجلها .. ومن بينها :

١ - ٨ ساعات عمل بدلا من ١٢ ساعة عمل (وهى أول مرة يرفع
فيها شعار ٨ ساعات عمل) .

٢ - يوم راحة فى الاسبوع .

٣ - تحسين الماهيات والرواتب بقدر صعوبة الاعمال .

٤ - الامتياز فى المعاش بحسب صعوبة وخطر الاعمال .

٥ - ترقية العمال بحسب الاقدمية .. وليس بالخواطر .

وفى منتصف شهر أكتوبر ، عندما حاولت المصلحة الانتقاص من
حقوقهم مرة أخرى ، قرر العمال الاضراب يوم ١٨ أكتوبر مطالبين بالمطالب
السابقة .

وامام وحدة العمال وتنظيمهم .. تراجعت الإدارة ومنحت العمال
بعض ما يطلبون .

.. وفى نفس الوقت كان عمال الترام يعنون العدة لاضراب كبير حدثوا
له أيضا يوم ١٨ أكتوبر .. وهذا التحديد ذو دلالة واضحة ، فهو يعنى تقديم
العمال لاهمية وحدتهم النضالية ، وهو يوحى بجنين فكرة الاضراب العام .

ومنذ يوم ٤ اكتوبر صاغت لجنة عمال الترام مطالبها ووزعتها على
الصحف (٢) .

وتتلخص فى « خفض ساعات العمل الى ثمانى ساعات فى اليوم بدلا من

(١) الامرام - ١٩٠٨/٨/٣ .

(٢) الامرام - اللوا - المؤيد ١٩٠٨/١٠/٤ .

١٢ ساعة ، -زيادة المرتبات بنسبة ٤٠٪ مع زيادتها حرة كل عام ، ومنح العمال اجازة في حالة المرض واجازات اعتيادية سنوية ، واعادة العمال المنصولين إلى العمل ، وتاليف لجنة للتحقيق في شكاوي العمال على ان يمثل فيها العمال ، - في ١٢ تموز ١٩٠١ اجتمع ممثلو عمال مصر من مختلف - وقام العمال باخطار الشركة ومحافظة القاهرة بمطالبهم ، معلنين عزيمتهم على الاضراب ان لم تجب مطالبهم ، - محددين يوم ٢٨ اكتوبر موعدا لاضرابهم ، - وإذا كان البونيس قد تمكن من تصفية الاضراب بالعرف وباعتقال ٧٢ من قادة العمال ، فإن عمال الترام قد حققوا مطالبهم ، وقد لفتوا الانتظار إلى مطالب العمال .

والحقيقة ان العمال قد خاضوا قبل ذلك سلسلة من الاضرابات والاعتصامات ، ففي عام ١٩٠٠ اضراب العمال الايطاليون بحزان أسوان وفي نوفمبر ١٩٠١ اضراب عمال الخزفية ، فقد اجتمع العمال في قهورة الف ليلة وليلة بالآريكية وكانوا قد اعدوا ليم علما خاصا ، فاقسموا امامه ضمن الطاعة ، وقرروا الاضراب عن العمل حتى يجابوا إلى طلبهم ، وهو تعيين اجر على كل قطعة ، وساروا في مظاهرة يهتفون بحياة العدل وسقوط الظلم ، فقبض رجال الشرطة على ٢٧ عاملا ، وزجوا بهم في السجن ، واخيرا اُجيب العمال إلى طلبهم ، وانتهى الاعتصاب ، (١)

وفي اوائل ديسمبر ١٩٠١ اضراب عمال مصانع النسيج ، وساروا في مظاهرة عظيمة بجهة باب الحديد ، ثم تجمعوا بعد ذلك في شارع نوبار ، فارتسلت المحافظة ثلاثين خيالا لطارتتهم وتفريق جموعهم فدارت معركة اصيب فيها كثيرون بجروح بليغة ولم يحقق هذا الاعتصاب نتيجة لان مصانع النسيج فصلت العمال المشاغبين ، (٢)

باسم : وفي يناير ١٩٠٢ اضراب الحلاقون الذين يعملون عند اصحاب محلات الحلاقة ، مطالبين بتخفيض ساعات العمل ، واعطائهم اجازة نصف يوم الاجد ، واجتمع سبعون منهم في شارع المهدي بالآريكية ، ومرروا على محلات الحلاقة في بعض الاحياء لتخريف عمالها على التضامن معهم ، اما اصحاب محلات الحلاقة فقد رفضوا ان يجيبوا العمال إلى طلبهم بحجة انهم يتكبدون خسائر ، وبذلك انتهى الاعتصاب إلى غير نتيجة ، (٣)

- (١) محمد سيد كيلاني - ترام القاهرة - دار الفرجاني - القاهرة - (ردى ت) ص ٦٤ - نقلا عن المؤيد ١٩٠١/١٧/٢٦
 (٢) اللواء ١٩٠١/١٢/٧ وايضا : ١٩٠١/١٢/٢٣ -
 (٣) محمد سيد كيلاني - المرجع السابق ص ٦٥ - نقلا عن اللواء ١٩٠٢/١/١٩

وفي يناير ١٩٠٢. أضرب عمال شركة الغزل الأهلية بالاسكندرية .
وفي مارس ١٩٠٢ أضرب عمال مطيعة الكورييري اجسنانو بالقاهرة . وفي نفس
الشهر أضرب عمال السجايز بالاسكندرية (١) .
وفي أبريل ١٩٠٧ أضرب عمال الفحم في ميناء بورسعيد وتضامن معهم
عمال ورش قناة السويس وعمال النظافة . . .

ومرة أخرى يعود عمال السكة الحديد الى التمرد ، وتنشر اللواء خيرا
يقول « اعتصام هايل في عنابر السكة الحديد في العاصمة ،
وقد حدد العمال مطالبهم بعزل المستر بكيت وكيل المهندس المشرف على
العنابر والذي كان يعطيهم الاعمال بالمقابلة بعد ان كانوا يشتغلون
باليومية وطالبوا أيضا بزيادة رواتبهم كل ثلاثة أعوام وتأييف لجنة للنظر
في شكاوى العمال تضم ثلاثة منهم . . .
وفي صباح يوم الاضراب وضع العمال بيانات على جدران الورش
تحدد مطالبهم وشعارات تقول « لا نريد بكيت » ، « لا نريد بكيت لاننا
يظلمنا . . . »

وبدأ العمال اولى الخطوات الايجابية بمنح القطارات من مسيطرة
العنابر وبتقطع خطوط السكة الحديد . . . لكن البوليس تدخل بوحشية لينهى
الاضراب في يومه الاول . . .

وفي اكتوبر ١٩٠٨ اضرب عمال الترام ، وجلسوا على الخطوط في مخزن
شبرا وللعباسية والجيزة ، وكان مطالبهم تنحصر في ان تكون مدة العمل ٨
ساعات بدلا من ١٢ ساعة ، وزيادة المرتبات ، وحقهم في الاجازات الاعتيادية
والمرضية . . . وعدم جواز فصل العامل الا بناء على اسباب معقولة . . . وان
يعفى العمال من دفع ثمن النقل والاحزمة والسنط والنمر النحاسية التي
تصرفها لهم الشركة . وقد استعانت الشركة برجال البوليس الذين انهالوا
على العمال المضربين بالعصى والكرابيح حتى اجلواهم بعيدا عن الخطوط ومن ثم
خرجت عربات الترام يقودها سائقون كانوا يعملون بالشركة من قبل ثم
فصلوا . . . ولكن البوليس لم يستطع التغلب على المضربين في مخزن الجيزة
لما ابدوه من مقاومة عنيفة ، وفي اليوم التالي توجه اليهم حكماء العاصمة
على رأس قوة ضخمة من رجال البوليس وعربات الاطفاء واولسوا العمال
ضربا ثم قبضوا على ثمانين منهم . . . وبهذا انتهى الاضراب (٢) . . .

. . . وفي اكتوبر ١٩١٠ وعندما اضرب عنابر السكة الحديد يكتب
صادق غير في جريدة اللواء قائلا : « ان الاعتصاب هو خير درس لحكامنا ،

(١) رؤوف عباس - المرجع السابق - ص ٥٢ .

(٢) المقطم ١٨/١٠/١٩٠٨ .

يقفونهم على تطور فكر المصري، ويظهره لهم بثوبه الجديد، ذوب العليم، نفصاحتها الجريص عليها، التفاضلي في المطالبية بها، ويتمتع بآخر اننا قد رأينا اليوم مظهراً من مظاهر الاشتراكية، لا يبعد ان يصير هلاله على توالي الأيام بجزءاً كاملاً، (١)

ولعنها المرة الاولى التي تشهد فيها الصحف المصرية هذا الربط الذكي والتواصي بين الاضراب والمطالب العمالية والاشتراكية، وتعلينا أيضاً تكتسب دلالة هامة تلك الامنية التي نشرتها جريدة اللواء، بان يصير هلال الاشتراكية بجزءاً كاملاً.

بل ان مجلة محافظة وهي والتجريدة، كتبت هي الاخرى تقول وتسرى عدوى الافكار، كما تسرى عدوى العسل والادواء، فمن فرد لفرد، ومن بلد الى بلد، ويكون لها من النتائج في كل بقعة ما تجد من الاستعداد في نفوس الناس، واذا فكرت في اعتصاب عمال الترامواي في العاصمة ثم قيام زملائهم اليوم بالاسكندرية باعلان اعتصاب جديد، حكماً مع الاعتقاد القام، بان ما يجري هو نتاج من تلك الرياح الاشتراكية التي تجوب المعمورة بلداً بلداً (٢)

ويكون مقال «الجريدة» تحييراً عن الفرع من وصول الموجة الاضرابية التي ذروتها في عام ١٩١١. يا صيخ اضراب شهيدته البلاد، وهو اضراب عمال الترام الذي بدأ في ٣٠ يوليو ١٩١١ والذي نفذته ٤٠٠٠ عامل وموظف، وورد على هدمه الوجدة الجماعية. أصدرت الشركة، بياناً تطالب فيه العمال بالعودة للعمل خلال ٢٤ ساعة، والا اعتبروا مفسولين، وستتمين الشركة، بدلا منهم عمالاً جدد، ووقراً زعماء الاضراب النشور على العمال المضربين بقرار الجميع رفضه والاستمرار في الاضراب، وربط العمال في مجموعات عند مخازن عربات الترام ليمنعوا الشركة من تسيرها، اجمعوا على عدم العودة للعمل، بل اصرروا على استمرارهم، ويتميز هذا الاضراب بعدة ظواهر هامة، اولاً: التنظيم الحقيقي، ثانياً: الوجدة الشاملة بين العمال،

(١) اللواء ١٠/٢٢/١٩١٠
(٢) التجريدة ٦/٨/١٩١١ - نقلًا عن د. سليمان محمد الشخيلي - الحركة العمالية في مصر وموقف الصحافة والسلطات المصرية منها من ١٨٨٢ الى ١٩٥٢ - ص ١٦، ص ٧٣

ثالثاً : وهذا هو المهم .. اهتمام قيادة الاضراب اهتماما واعيا بكسب
تأييد ومساندة الرأي العام ..

وهكذا نظم العمال المضربون عددا من المظاهرات في باب الحديد وبولاق
والجيزة والعباسية وكانوا يحملون لافتات تقول : أن العمال المنقسمين
يظلمون من الجسم ، ورمد يد المساعدة اليهم ، كذلك كانوا يحملون صنابير لجمع
تبرعات من المواطنين ..

وبواصل العمال اضرابهم أياما عديدة كانت الشركة تخسر في كل يوم
منها ١٢٠٠ جنيه (١) . وفي اليوم الخامس ارادت الشركة أن تسير إحدى
قطاراتها بالقوة تحت حماية البوليس واصطدم بها العمال وحدثت مصادمة
عنيفة اشتدركت فيها الجماهير التي تقدمت لتحمي العمال المضربين من
تسلف البوليس وإذا ما نجحت الشركة تحت حماية حراب البوليس ان تسير
أحدى عرباتها على خط العباسية في طريقها الى العتبة وبينما خيل للجميع
أن الاضراب قد فُشل اذا بالجماهير تتقدم مرة أخرى لتساعد العمال
المضربين ، وخرج أهالي حى الحسينية وأوقفوا العربية وضربوا ركابها
وأشعلوا فيها النار ولم يلبث هذا الأسلوب ان انتشر في جميع الاحياء
الشعبية كلما حاولت الشركة تشغيل أحد خطوطها وخاصة في حى بولاق
والعباسية وهكذا عجزت الشركة والبوليس عن تسير الخطوط بفضل تأييد
الشعب للعمال ، (٢)

والحقيقة ان صدام العباسية هذا .. أو كما سمته الصحف مذبحه
العباسية ، قد اثار مشاعر الجماهير ، وأن بسالة العمال قد ألهمت الكثيرين
الشجاعة وتقدم الكثيرون لادانة الحكومة والبوليس وارتفع اكثر من صوت
دفاعا عن حقوق العمال ..

وتكتب اللواء قائلة : أحدث البوليس مجزرة في العمال ، وداس الشعب
في ساحات المدينة بسنابك خيله ، واوسعه ضربا واغراقا بالدماء وعامل
الجمهور معاملة السيد لعبيده ، وداس القوانين فلا نعلم لما نسكت نحن ونقف
عند الحدود التي لا نتف عندما الحكومة والبوليس والشركات .. هم يدوسون
النظام وينتهكون حرمة القوانين ويعاملون الشعب معاملة العبيد فلا نعلم نحن
لماذا لا ندوس - ولو مرة وعلى الورق - على ذلك الظلم الفاضح والبهيمية ،
ولذلك نقول للعمال انهم يخيفونكم ويرهبونكم ويريدون التحويل عليكم لظنهم
أنكم من غير طينة العمال في أوروبا وانهم اذا عاملوكم بالشدة حينئذ
وخضعتهم ، وتستمر الشركة في حلب البقرة الحوب والبوليس يمسك رأسها

(١) اللواء - ١٩١١/٨/٢

(٢) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ١٦٦

تسهيلاً لحليها ، ولكن فاعلموا ان الاعتصام حتى من حقوقكم الطبيعية واذا اردتم الاستمرار فيه فما من قوة قادرة على التأثير عليكم . ان قضيتكم ليست قضية عمال الترام فقط بل هي قضية جميع العمال في مصر . وقد جاءت خادقتكم بعد خادته عمال السكة الحديد بليلاً على انه اصبح في مصر قوة لا يستهان بها وهي يفتة العمال في البلاد الشرقية وتبهمهم الى مصالحهم وحقوقهم ورغبتهم في ان يكونوا بشرأ كسائر البشر ، (١)

ويواصل الشعب في كل مكان تأييده للعمال المضربين وتنهال برقيات الاحتجاج على الصحف .

برقية من اهالي دمنهور تقول : « العذل يندب حظه وملاك الرخصة ينتحر على ربة الاهزام من اجراءات البوليس ازاء عمال الترام » . وبرقية من طنطا تقول : « نطلب من ناظر الداخلية ان يعين بوليسياً جديداً لمراقبة البوليس في اعماله ، قد اصبح الناس في مصر بحاجة الى الحماية ، والاضطروا للنجاة عن انفسهم » .

وبرقية اخرى يتوقع قلاح تقول : « ان الشعب اصبح يكره البوليس لهذه الاقاعول بعد ان كان يظن ان البوليس حماية له » . وقد وجه العمال المضربون نداء الى عمال المرافق العامة لمساندتهم في اضرابهم والاضراب تضامناً معهم . وفي ٦ اغسطس اعلن عمال ترام الاسكندرية اضرابهم التضامني .

وعندما انتشرت موجة البطالة بين العمال عامي ١٩١٤ و ١٩١٥ كانت مظاهراتهم المعاصرة تهر القاهرة والاسكندرية :

وفي يوم ٣١ اغسطس ١٩١٤ تجمهر بالاسكندرية ١٥٠٠ من العمال العاطلين يطلبون « قوتنا او عملاً » . وفي يوم ٣ سبتمبر ١٩١٤ اجتاحت القاهرة موجة عارمة من مظاهرات العمال العاطلين الذين ساندتهم جماهير الشعب او كما اسمتهم بيانات الحكومة « بالرعاغ » . وتصدى البوليس لهم ونقض على ١٥٠ شخصاً .

والذي يوضح انتشار هذه الموجة من الاضرابات ان النيابة سُممت المتهمين الى ثلاث قضايا . قضية مظاهرة الدرب الاحمر والخليفة ، وقضية مظاهرة بولاق وقضية مظاهرة الجمالية وباب الشعرية (٢) .

(١) اللواء - ١٩١١/٨/٥
(٢) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ١٣٩

بيل إن العمال لم يكتفوا بذلك فقد حاولوا ان يؤسسوا حزبا لهم . .
وفي ١٢ يوليو ١٩٠٨ نشرت كلا من الأهرام واللواء بيانا عن دعوة
عامة بوجهها « حزب المقاصد المشتركة للعمال » ويقول البيان « ان محمد
أحمد الحسن أحد مؤسسي الحزب قد قرر القاء خطبه عمومية في حديقة
الازبكية موضوعها وجوب انضمام اصحاب الحرف المصرية والاجنبية على
إختلاف طبقاتهم الى حزب مشترك المنافع . . ليتكون منه جماعة قوية
مسموعة الرأي والصوت في الأعمال النافعة . . واقامة جريدة يومية
و الوضاح ، لسان حال للحزب . . »

ولعلها لم تكن المحاولة الاولى لتأسيس حزب اشتراكي . .
ففي مارس ١٩٠٨ نشرت جريدة الاقيدام تحت عنوان « حزب
الاشتراكيين » تقول : « علمنا انه قد تأسس هذا الحزب برياسة الدكتور
شمس الدين شميل ، وعضوية كل من الدكتور شحودي ، وسامي افندي جريديني
وتوفيق حبيب ، ونجيب افندي ألكاريوس ، وغرضه كنجح جماح الغنى العاتى
ليكف عن دوس الفقير بقدميه » (١)

وإذا كانت محاولة المثقفين الشوام هذه لم يكتب لها الاستمرار ، فإن محاولة
العمال المصريين قد وجدت فيما يبدو سبيلا للاستمرار ولو لبعض الوقت . .
وعبرت عن نفسها وعن وجودها بشكل أو بآخر .

فعمدما صدر قانون المطبوعات في ١٩٠٩ نشرت الأهرام بيانا
صادرا عن هذا الحزب يقول « بالنيابة عن حوالي خمسين الفا من العمال
نحتج على ظهور قانون المطبوعات القاتل للحرية ونظاب الغناء ولسوف
يحتج العمال احتجاجا فعليا اذا لم تتدارك الحكومة الامر وتحترم صوت
الشعب » (٢)

وفي ١٦ يوليو ١٩٠٩ نقرا في الأهرام بيانا عن محاولة جديدة لتأسيس
حزب للعمال والبيان بتوقيع محمود أبو عثمان ويقول « كنا يعلم مركز
العمال في أوربا ، فالعامل هناك لا فرق بينه وبين التفاضى والمخامى . ولنا
كان الإنسان من فطرته الطبيعية ميال الى الارتقاء قام جماعة من خيار عمال
المصريين الذين يقدرون الأشياء وأسسوا حزبا باسمهم ليربط كلمتهم . . »

(١) الاقدام : ١٩٠٨/٣/٢٠

(٢) الأهرام : ١٩٠٩/٣/٢٧

••• ويقول الثيبان في ان الجلسة الاولى انعقدت وحضرها جمع غفير من العمال والوجهاء وان الحزب انتخب السيد افندي على مديرا له ، والسيد محمد احمد الحسن رئيسا ••• (وهو مؤسس الحزب الاول)

والحقيقة ان صحف هذه الفترة لا تحمل لنا اخبارا ذات قيمة عن هاتين المحاولتين لتأسيس حزب عمالي •••

••• لكن ثمة مسألة يامة يتعين الاشارة اليها ••• هي ان السيد افندي على مدير الحزب قد ظهر اسمه من جديد عام ١٩٢٠ كصاحب مجلة « النظام » وهي مجلة ذات ميول يسارية وان كانت تميل الى اليمين ، وثمة مسألة هامة اخرى هي ان احد محرري مجلة « النظام » هذه هو رفيق جبور وسوف تشهد فصولا قادمة من هذه الدراسة دور رفيق جبور كواحد من قادة الحزب الشيوعي وكريئيس لتحرير مجلة الحساب التي اصخرها الحزب عام ١٩٢٥ ••• وهنا يتعين علينا ان نسأل انفسنا هل يمكن ان نربط بين محاولة السيد افندي على لتأسيس حزب عمالي عام ١٩٠٩ وبين علاقته باليسار ورفيق جبور على وجه التحديد •••

ولسنا نستطيع ان نقدم اجابة دقيقة لكننا نطرح السؤال كواحد من الاحتمالات التي يتعين البحث الدقيق عن اجابات واضحة لها •••

كذلك ادرك العمال أهمية الصحافة كسلاح في معركة الدفاع عن مصالحهم الطبقية وفي عام ١٩٠٨ صدرت « الوضاح » جريدة حزب العمال ••• وفي نفس السنة صدرت مجلة عمال السكة الحديد وفي عام ١٩١٢ صدرت في طنطا مجلة « التعاون » معلنة انها تبحث وراء منفعة العامل ••• (١) •••

والحقيقة ان الطبقة العاملة كانت بسميتها المتواصل ونضالها المستمر تقدم نموذجا فريدا في مجتمع شهد عيدا من الطبقات تقم من ميدان المعركة ضد الاحتلال ، وعيدا من الاحزاب تنشأ ثم تنهار ••• وخلال السنوات المظلمة التي تلت اعلان الحماية وطوال الفترة التي نجح فيها الاحتلال في تكميم كل الانواء ••• كان ثمة صوت يرتفع أقوى وأقوى هو صوت الطبقة العاملة ••• التي استطاعت ايضا ان تلهم كثيرا من المثقفين الثوريين الشجاعة والقدرة على التطلع نحو فلسفة جديدة ونظرية جديدة للعمل الثوري والوطني •••

ان نضال الطبقة العامة الجاد والمتواصل والذي اتسم بصنعة طبقية واضحة كان نموذجا جديدا استطاع ان يقدم البديل عن التعاون والفرار وحالة التمزق والضياح التي عانى منها كثير من المثقفين •••

(١) قسطاكي عطارة - تاريخ تكوين الصحف المصرية منذ ١٩١٢ •••

ومع ارتفاع رليات النضال العمالي ارتفعت جنباً إلى جنب صيحات
عديد من المثقفين الثوريين معلنة في نوى كلمة الاشتراكية ...
وهذه هي القيمة الأساسية للنضال العمالي في هذه الفترة ، لقد كان
مدرسة حقيقية لجيل جديد من المثقفين .

ولعل هذه الحقيقة هي التي أزعجت الرجعية المصرية من الاضطرابات
العنيفة ففى عام ١٩٠٢ .تتألم مجلة « للجريدة » لسان حال حزب الأمة
فكرة الاضراب وتصفها بأنها « داء جديد جلبه الغرب الى الشرق » . وهذا
هو مبدأ الفوضى ، وأول مراتبها « .

وفي نفس العام تقول الاهزام عن العمال المصريين المضربين « انهم
يقلدون العمال الأوروبيين تقليد القردة ولكنه تقليد فاسد ومضر بهم » .

وفي عام ١٩٠٨ وعقب اضراب عمال الترام تهاجم « المقطم » - لسان
حال الاحتلال - الحكومة على تهاونها ازاء هذه الطبقة قائلا :

« انه اغفال شديد لا يقبل فيه عذرا لمعتذر ، ولا يدعو الناس للاطمئنان
بعد الآن . ان قيام العمال بالاتفاق السرى فيما بينهم على الاضراب دون
علم الحكومة وبوليسها العلنى والسرى وغيونها وارصادها لامر خطير .
فماذا يمنع ان يدبر العمال المكائد والمؤامرات ليضرموا في البلاد نيران
الثورات قبل ان تعلم الحكومة بأمرهم » .

وهكذا تتيقظ الرجعية منذ للومة الاولى . وتدرك خطر حركة العمال
وتدرك مغزاهما الطبقي ، بل ان « الجريدة » تصف اضراب عمال السكة
الحديد بان فيه « شئ من روح الاشتراكية » .

.. وثمة مقال آخر نشرته الجريدة بقلم يوسف اليستاني بعنوان
« بين مصر وأوربا على نكر الاعتصام الأخير » (١) جاء فيه :

« ان التشبه بالمطرفين الأوربيين في مقاومة الحكومة ويال على
السامل وعائلته » .

ثم نشطت الحكومة لتسن سلسلة من التشريعات . منها قانون التجمهر
وقانون التشرد الذى يمكنها من فصل أى عامل ، ثم تطبيق عليه هذا القانون
باعتباره عاطلاً لا عمل له .

.. وبدأت السلطات في اعتقال ونفى القادة النقابيين .. ومن بينهم
أحمد لطفى عضو شرف نقابة عمال الترام ، وأحمد رمضان زيان رئيس

(١) الجريدة - ٢٣/١٠/١٩١٠ .

شركات الصناعات الحيوية بالاستفندية ، ومحمد عوض جبريل سكرتير نفس النقابة ٥٠ وعشرات غيرهم . وقد كانت النقابة قد قامت بوضع خطة لثورة ١٩١٩ ولكن ذلك كله لم يكن قادرا أن يوقف الزحف الجيد للطبقة العاملة التي أكدت التجارب أنها أصعب الطبقات وأكثرها ثباتا في مواجهتها سلطات الإحتلال .

وهكذا تاتى ثورة ١٩١٩ لتجسد جيش العمال المستبعدة ومجهزا لخدوض غمارها ، وإذا كان أبناء الفئات العليا هم الذين قاموا بالمواجهة الأولى من أجل السعي للاستقلال بالوطنائل المشروعة فإن العمال قد انبطقوا بالثورة التي أتت مداها ٥٠. وتبعا كما فعل الفلاحون امتزج صراعهم ضد الإحتلال بصراع طبقي واضح المعالم .

وبسوء قد بدأ الطلاب الحركة بمظاهرة صياحية تصدى لها البوليس ، وفي اليوم التالي تدخل العمال بالحركة ، دخلوها بعد أن ارتفعت قيادة الثورة من الانتفاضة الثورية ، وبعد أن صاح عبد العزيز فهمي في المظاهرات والكلمة تلعبون بالنار . دعونا نعمل في هدوء ولا تزيدوا غضب الانجليز ، لكن العمال يلهبون الثورة ويفيرون الى أقصى حد غضب الانجليز ، وفي يوم ١٣ مارس ١٩١٩ بدأ عمال الترام وعمال المترو وعمال ترام هليوبوليس اضرابهم الكثير الذي شمل حركة الواضلات تماما في العاصمة والذي استمر حتى ٢ مايو ٥٠ ولقد ارتبط الاضراب بالأهداف العامة للثورة لكنه ارتبط في نفس الوقت بمطالب اقتصادية تتضمن :

- ١- جعل الأجرة اليومية خمسة عشر قرشا .
 - ٢- ان تقدم الشركة الملايين للعمال مجانا .
 - ٣- ان تكون مدة العمل ثماني ساعات يوميا .
 - ٤- يمنح كل عامل راتب شهر سنويا .
 - ٥- عدم اضطهاد العمال النقابيين .
 - ٦- يوم عطلة كل اسبوع .
 - ٧- منح علاوة غلاء معيشة ٣٠٪ .
- ومطالب أخرى عديدة ، وكانت أهم نتائج هذا الاضراب هي استجابة الشركات لبعض هيبة الطلاب ، وتكوين نقابة عمال الترام ٥٠ التي جاء في المادة الأولى لقانونها الأساسى انما تأسست للدفاع عن حقوق أعضائها وترقية حالتهم المادية والأدبية . وتمتدحهم كل مساعدة ممكنة لهم بالطرق المشروعة (١) .

(١) الزغالي - المرجع السابق - ص ١٥٦ .

وفي ١٥ مارس أعلن عمال عنابر السكة الحديد الاضراب وسناروا
في مظاهرة صاخبة قولها: ٤٠٠ عامل ، واستمر الاضراب حتى ٢ مايو .

وفي ١٨ مارس انضم عمال المطبعة الاميرية الى الضربين وسارت
مظاهراتهم تهز شوارع العاصمة ، واستمر الاضراب حتى شهر مايو
ايضا .

وفي ٦ أبريل انضم عمال شركة الغاز الى الضربين متقدمين ايضا
بمطالب اقتصادية .

كذلك اضراب عمال الكنس والرشي في العاصمة . . . وبعد ان استمر
اضرابهم عدة ايام قاموا باعلان مطالب اقتصادية ، اعلنوا انهم لن يدخلوا
عن الاضراب دون تحقيقها . . .

كذلك اضراب عمال ورشة البوستة الخديوية وعمال ورش جبل الزيتون
التابعة لمصلحة السكة الحديد وسائقي وعمال السكك الحديدية . . . وبهذا
شئت كسافة مظاهر النشاط في البلاد ، وكانت التجربة الاولى لاضراب عام
شامل يستمر اكثر من شهر ونصف يشل الحركة الاقتصادية تماما ويوقف
كل مظاهر النشاط في البلاد .

والظاهرة الاساسية التي تلفت النظر في هذا الاضراب للعام هي :

اولا : انه - وللمرة الاولى - ادرك العمال اهمية اتحادهم على النطاق
القومي كله ، وادركوا ان الاضراب ليس مجرد سلاح هين وانما هو سلاح
قادر على ارغام المستغلين على الخضوع . . . كذلك فان الاضراب قد زاد من
ثقة الطبقة العاملة في نفسها ، وقد زاد من ثقلها الاجتماعي لتجاء
لطبقات الأخرى ، ولفت انظار كثير من المثقفين الثوريين الى اهمية
الطبقة العاملة في المعركة من أجل الاستقلال ومن أجل الديمقراطية .

ثانيا : ان العمال قد دخلوا المعركة دفاعا عن الحقوق الوطنية ،
لكنهم كانوا في نفس الوقت يدركون الابعاد الحقيقية للثورة الشعبية
وانها يجب ان ترتبط بتحقيق مطالب اقتصادية واجتماعية لهم ولجماعه
الشعب .

ثالثا : ان الاضراب الشامل الناجح الذي استمر طوال هذا الوقت
قد حقق وحدة عمالية قوية اكتسبت اتجاهها يساريا ، بحكم انها قد افلتت
من الاطار الذي رسمته قيادة الوفد للانتفاضة ، وبحكم ان المثقفين
اليساريين كانوا على اتصال وثيق بهذه الحركة وكانوا اكثر المتحمسين لها . . .

وهكذا ، وعندما ابتداء الاشتراكيون الدعوة للقاسمين ، التجباد عام العمال
تسببوا عت القضايات للاتضمام اليه ، وأصبح اتحاد العمال بهذا سبيلا لخلق
رابطة قوية بين القوى الاشتراكية وبين الطبقة العاملة .

وانعما ان هذه الحركة لم تكن تتم في مواجهة المحتلين وخدمهم وانما
في وجه كبار الملاك الذين تصدوا للقيادة ، وبينما كان الاضراب الشامل
يهز كيان الاحتلال ، فانه كان أيضا يهز - الى حد ما - كيان الطبقات
العلوية في المجتمع ، فالتقى اضرابات عدة بينات متخالفة تحاول ان تسكب
ماء باردا على الثورة اللتهبة .

مستوعفما وصل الجنرال اللطفي في ٢٥ مارس ١٩١٩ معلنا ان واجبه
الاشيائي ان يضع حدا ، ونهائية للاضرابات الحالية ، الاصدر قادة الوقت
المثقفون في القاهرة بيانا ضعيفا يناشدون فيه للضعيف الا يخرجوا احتشد
في اعماله عن حدود القوانين ، حتى لا يسد الطريق في وجه الذين يخدمون
الوطن ، وأعلى الجميع ان يقولوا انوا لواجب عليهم من الامور المعروفة والنهي عن
المتكر ، فاستأذوا الى اتخاذ جميع ما لديهم من الوسائل لمنع وقوع كل ما يندم
عنة هزرا للبلاد (١) .

وقد صدر هذا النداء يوم ٢٦ مارس ، وأخرج عن سيد ورفاقه يوم
٧ ابريل ، ومع ذلك فان الاضراب العام قد استمر حتى ٢ مايو ، بل ان
اضرابات مستفيدة قد وقعت أيام ٨ و ٩ و ١٠ ابريل سواض ضحكيتها مئات
القتلى والجرحى .

واذا كان الاضراب العام قيد توقف في ٢ مايو ، فان هذا التوقف لم يكن
غير جنة لأمد قصير ، تسبب في هذا الطبقة العاملة انفاستها ، فمما لبثت ان
خاصيت بمعارك اضرابية عديدة أخرى .

في ١٢ يونيو ١٩١٩ اضراب عمال القناز ، وفي ١٢ يوليو اضراب
الحلاقون في مدينة الاسكندرية مطالبين بزيادة الاجور بنسبة ٤٠٪ ، وفي ١٦
يوليو اضراب عمال شركة السكر وعمال تفتيش كوم امبو ، وفي ٢٨ يوليو
اعلقت نقابة عمال القهاوى للاضراب ، وفي ٤ أغسطس اضراب عمال الشحن
والتفريغ في ميناء الاسكندرية ، ثم اضراب عمال القوام ، في ١٨ أغسطس
وتوالت الاضرابات لتصبح شيئا شبيها بالاضراب العام ، فالى جانب كل هؤلاء
المضربين اضراب عمال السجاير وعمال الترام في الاسكندرية وعمال شركة
بونديستورز و عمال مصنع السفن النيلية والتجارية وعمال شركة النور
في الاسكندرية (٢) .

(١) صبيح - المرجع السابق - ص ٤٢١
(٢) القراني - المرجع السابق - ص ٧٥

والجنيفة ان هذه الموجة الثانية كانت موجة طبقية ، فقد امتحن العمال قواهم في الجولة الاولى واكتسبوا مزيدا من الثقة في انفسهم . . ثم ما هم يشنون الان معركة طبقية عنيفة تقوم أساسا على المطالبات الاقتصادية والاجتماعية .

وتنشر جريدة « الأهالي » رسالة لاجد القراء تقول « تشتدت الحرب للقائمة بين العمال وأصحاب الاعمال طلبا لزيادة الاجور وزيادة تتناهي مع ما وصلت اليه الحالة المعيشية من الشدة والضيق » .

وفي نهاية الرسالة يقول كاتبها « وبعد . . فقد حدا بنا لكتابة هذه السطور ما نشاهد من أعمال أصحاب الاملاك والمتاجر وزيادة الائتمان زيادة مطردة وما نراه من اغفال أصحاب الاعمال أمر الصغار من موظفيهم اغفالات حد النسيان . . » (١) .

وثمة احصاء يقول انه خلال الفترة من ديسمبر ١٩١٩ وحتى نهاية عام ١٩٢١ نظم العمال ٨١ اضرابا كبيرا شملت مختلف فروع الاقتصاد من بينها ٦٧ اضرابا شمل كل منها فروع متكاملة من امرغ الصناعة (٢) .

وهكذا ارتفع صوت العمال عاليا بصورة تكفى ليقاط قطاعات كبيرة من المجتمع ، وبصورة تطرح الصراع الطبقي واضحا وغنيدا وحاسما .

وكان لابد لزيادة الصراع الطبقي هذه ان تؤثر في الكثيرين وان تدفعهم - في وقت مبكر جدا - الى ان يختاروا الى اى المسكرين ينحازون .

وكان طبيعيا بحد كل ذلك ان تنشط المساعي لتكوين حزب اشتراكي ليقود هذا الصراع ويقوده .

(١) الأهالي - ١٣/٨/١٩١٩ .

(2) Suliman Bachar - Communism in the ARAB EAST - 1918-1928, (London - 1980) P 54

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
الذين هم خيرة خلق الله تعالى في كل زمان ومكان

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وبعد فقد حضر في هذا المجلس الشريف
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان

الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان

الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان

الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان

الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان

الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان
الذي هو من اجازة لعلامة هذا الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
الذين هم خيرة خلق الله تعالى في كل زمان ومكان

المثقفون

طريقتان ثوڊى اليهما الليبرالية

وكان المثقفون يخوضون هم أيضا نضالا مريرا ضد قوات الاحتلال وتفجرت اضرابات الطلاب في مدرسة الحقوق والازهر وغيرها ، واتجه البعض الى الارماڤ - كما رأينا - واتجه البعض الاخر الى تأسيس جمعيات فوضوية . . . وأخذ الكثيرون يبحثون عن طريق جديد .

وفي هذه السنوات الحاسمة من تاريخ مصر الحديث كانت تقبل اشياء غاية في الغرابة وغاية في الاهمية . . .

فالافكار تنتقل سريعا الى مصر من كل أنحاء العالم . . . أفكار تولستوى ، داروين ، كروبتكين ، برنارد شو ، ماركس ، أوين ، . . . وغيرهم . . . وعديد من كتب الاقتصاد السياسى تصدر . . .

الاقتصاد السياسى لخليل غانم عام ١٨٢٩ . . .

أصول الاقتصاد السياسى لرفله جرجس عام ١٨٨٩ . . .

الاقتصاد السياسى لجيومتس ترجمة جيمية، التعريب عام ١٨٩٢ . . .

مبادئ الاقتصاد السياسى تأليف محمد حسين فهوى . . .

الموجز فى علم الاقتصاد لبول لروا بوليه - ترجمة حافظ ابراهيم وخلي مطران (١) . . .

ويكتب سلامة موسى كثيرا عن تولستوى ، غاندى ، آيسن ، شوبنهاور ويصدر كتابا عن نظرية داروين ، ويترجم قصة الجريمة والعقاب لديستوفسكى . . .

ويقيم طه حسين رسالة الدكتوراه عن « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » . . .

في وتحدثنا الدارونية التى دعا اليها شبلى شميل وفرح انطون ومجلة . . .

(١) عمر السومى - فى الأدب الحديث ص ٢٩٩ ، رقم (١)

المتطف كثيرا من الباحثين عن الحقيقة ، وتدفعهم الى الايمان بالعلم والى خلق مدرسة فكرية جديدة ذات منهج جديد لفهم الحياة ونشاتها .

يقول اسماعيل مظهر في مقدمة كتابه « مذهب النشوء والارتقاء » :
« انى مكب على ترجمة كتاب اصل الانواع والاطلاع على ما كتب في مذهب النشوء الحديث واجتماع مواد البحث فيه منذ اوائل عام ١٩١١ حيث كنت اذ ذاك مكبا على الفلسفة القديمة انهل من موارد العرب باقى ما تصل اليه استطاعتى . . حينذاك وقعت في يدي نسخة من كتاب دكتور شميل « فلسفة النشوء والارتقاء » ، فأحدثت قراءتها في ذهني من الانقلاب والاثر ما تعجز الكلمات واللغة عن التعبير عنه او وصفه ، فدلقت بقدمي الى مفازة الآراء المادية (١) .

والحقيقة ان جهود د. شميل في نشر النظرية الدارونية والافكار المادية قد اثمرت بسرعة ، الامر الذي يؤكد ان المناخ الفكرى وسط المثقفين كان مستعدا للتمرد على القيود القديمة .

فسلامة موسى يكتب كثيرا في مجلة المستقبل عن دازوين ونظرية اصل الانسان ويصدر في ١٩٠٩ كتاب « مقدمة السوبرمان » ، ويترجم رسالة « جرائت آلين » عن « نشوء فكرة الله » (٢)

وخليل جبران يصدر كتابا بعنوان « شبلي شميل العالم والفيلسوف » (٣)

وكان فرح انطون يواصل رسالته في نشر الفكر التقدمى في جريدة « الامالى » ، وفي كتابات اخرى عديدة .

ونقولا حداد أيضا يقدم مقترحاته لمجتمع جديد . . وتشهد سوق الثقافة سيلا من الكتب عن الاشتراكية والانظمة الاجتماعية .

وإذا كانت الاتجاهات التقدمية في الثقافة قد بدأت تعلن عن نفسها في العقد الأول من القرن العشرين ، فان الرجعيين لم يقفوا مكتوفى الايدي ويتقدم دعاة الرجعية ليترجموا غديدا من الكتب ضد الثورة وضد الاشتراكية وضد التقدم .

ويصبح جوستاف لوبون اماما لكثير من المثقفين الرجعيين يترجمون كتبه ويتعاهدون على انجاز ترجمة كل مؤلفاته ، فيترجم فتحى زغلون

(١) اسماعيل مظهر - مذهب النشوء والارتقاء - الجزء الأول - ص ٤

(٢) محمود الشرقاوى - سلامة موسى - الفكر والانسان - ص ١٠٧ .

(٣) المرجع السابق - ص ١٠٧ .

« روح الاجتماع » . قوة سر تطور الأمم ، عام ١٩٠٩ ، واعدت قراءته بأن
يترجم « روح الاشتراكية » . و« روح السياسة » .
لكنه يموت قبل أن يفي بوعدده ، فيتقمم آخر لانجاز هذه المهمة
هو عادل زعيتر الذي يترجم « روح الاشتراكية » ، و « الثورة الفرنسية وروح
الثورات » .

وهذه الكتابات جميعا هي في الاساس دعاية مضادة للاشتراكية .
ولنحاول أن نلقى نظرة سريعة على بعض ما كتبه لوبون وما ترجمه
« فتحي زغلول » ، أو « عادل زعيتر » .

« اذا نظرنا الى الاشتراكية من حيث انتشارها رأينا انه لا يؤبه لمثل
هذه النظرية ، لان عقول الجموع لا تستمرئها » (١) .

« فلما كئبت الحوادث صحة مبادئ ماركس الذي ظل زمنا طويلا حبر
الاشتراكية الأعظم ، اضطر اشد اشياعه اخلاصا الى تركها » (٢) .

« ان اكثر نظريات الاشتراكية يناقض مقتضيات العالم الحديث ،
وان تحقيقها سيقودها الى ادوار الهمجية التي قطعناها منذ زمن بعيد ،
ولهذا قررنا أن مستوى الأمم على سلم الحضارة يقاس بدرجة مقاومتها
لمنازع الاشتراكية » (٣) .

« ويفسى أنصار الاشتراكية أن مبتكرات العلم والفن والتصناعة هي سر
قوة البلاد وسعادة من فيها من ملايين العمال ، وان هؤلاء العمال مدينون
لأصحاب العقول السامية الذين اتوا بذلك المبتكرات » (٤) .

وتحاول هذه الكتابات ان تستثير الطبقة الوسطى محذرة اياها من
خطر الاشتراكية .

« ان اشد اوهام الاشتراكيين بطلانا هو حكمهم بالتقصاء على الطبقة
الوسطى » (٥) ، بل ان هذه الكتابات كانت تهاجم أبسط قواعد العدالة .

(١) جوستاف لوبون - روح الاشتراكية ترجمة عادل زعيتر - ص ٦ .

(٢) المرجع السابق - ص ٥ .

(٣) المرجع السابق - ص ٣٠٢ .

(٤) جوستاف لوبون - روح الثورات - ترجمة عادل زعيتر - ص ١٥٨ .

(٥) جوستاف لوبون - روح السياسة - ترجمة عادل زعيتر - ص ١٢٦ .

٤٠ « فالمساواة شيء لا يمكن تطبيقه إلا بين المنحطين ، وهي تبطلح آمالنا صغائيك العقول ، يحلمون بها وهم يأخلاقهم من التغنياء » (١) زور . . .
- كذلك فإنه « لا حاجة - لأن يكون الانتيان ضليعا في علم النفس ولا في علم الاقتصاد لينبئ بان العمل بمقتضى ميادى ، الإشتراكية يفضى بالاعم الى أرذل درك الانحطاط ، وأخرى صور الاستبداد » .

وثمة مؤلف مصرى هو فريد وجدى حاول هو أيضا أن يتصدى لتيار الذكر المادى ، فأصدر كتابا في ثلاثة أجزاء ، بعنوان « على أطلال المذهب المادى » ، وهو هجوم شديد على الفكر المادى ، استند فيه أساسا الى حجج وبراهين شوبنهاور .

٥٠ وقد استقبل العقاد هذا الكتاب بتقليل كبير قائلا أنه « مختص لنقض المذهب المادى وإيراد أقوال طائفة من كبار الفلاسفة والعلماء على بطلانه والدلالة على قصر نظر المتشبهين بالمادية البحتة يطنونها آخر ما يعرف من حقائق هذا العالم ، ويخيل اليهم أن « لا » التى يقولونها ليس بعدما « نعم » . وإن يأتى بعدها جواب آخر » .

٥١ ويضئ العقاد مؤكدا « أن فائدة كتاب وجدى الوطنية والأخلاقية أكبر من فائدته الدينية ، لأننا نهلم أننا لم نصيب في نهضتنا الوطنية أضر من ضعف اليقين وقلة الثقة بمبادئ الاخلاق السماوية ، وهى عيوب فى النفس - كما قلنا - قبل أن تكون عيوباً فى طرق التفكير . ولولا هؤلاء الملاميت الذين ملاهم جهلهم حتى لم يبق فيهم فراغا لجهل أو لعلم لما كانت حالتنا الآن ما نرى » (٢) .

رد - ولست أريد أن استفيض فى التطبيق على هذه الظاهرة . . . ظاهرة اصدار كتابات معادية للاشتراكية ، مكتفيا بالإشارة الى أنها لا بد وأن تكون رد فعل لتلك الحركة الجارفة التى كانت تجتاح الفكر المصرى فى ذلك الحين دافعة إياه فى طريق العلم والتقدم والوعى الطبقي . . .
ولعلها أيضا دليل على اليقظة الشديدة والاحساس الطبقي لكبار الملوك والرجعيين المصريين . . . الذين سارعوا الى مقاومة التيار الجديد بسيل جارف من الأفكار المعادية . . .

(١) جوستاف لوبون - سر تطور الأمم - ترجمة أحمد فتحى زغلول .
(٢) عباس العقاد - على أطلال المذهب المادى مقال فى جريدة الافكار ١٩٢٢/١٠/٢٨

وثمة ظاهرة أخرى تستلفت النظر هي خفوت صوت الاشتراكية الإسلامية في هذه الأيام ، فإن ارتفاع درجة حرارة الصراع الطبقي وتقدم الشيوعيين إلى الميدان ، كذلك انتصار البلاشفة الروس في عام ١٩١٧ . كل ذلك قد دفع الكثيرين إلى الخوف من الاشتراكية ، بعد أن تحولت من مجال ممتع للبحث النظري والفلسفي المعقّد إلى خطر يهدد ، ويستثير المشاعر الطبقية .

• وتردد الصحف والمجافل المصرية في مرات عديدة الفتوى الشهيرة التي أصدرها شيخ الإسلام بالاسفانة ضد الاشتراكية والبشيفية قائلًا : « يستعمل الدين الإسلامي من الأحكام الأساسية ما يناقض جميع المسالك الاشتراكية ، وخصوصا البشيفية ، التي هي عبارة عن شكل خطر لها لأن من شأنها الإخلال بالملكية الشخصية وحقوق التصرف فيها » (١) .

كذلك سوف نشهد فتوى شرعية أخرى تصدر في مصر عقب تأسيس الحزب الاشتراكي ، وسوف نشهد عجزاً شديداً من الشيخ الثقتنازاني وغيره من كبار العلماء .

وقد كان ذلك كله - في إعتقادي - أحد الدلائل على نضج الصراع الطبقي ، وعلى أن الاشتراكية قد أصبحت مسألة واقعية تمس الحياة اليومية ، وليست مجرد أبحاث نظرية لا تتعلق بالواقع الفعلي للبلاد . لكن تيار التقدم كان أعمق من أن يقهر ، ونزعة التجديد والايان يألم وبضرورة التخلص من تقاليد وتبويد الماضي كانت جارفة وشاملة لميادين عديدة في الأدب وأسلوب الكتابة ومنهج التفكير ، وحتى في صياغة الشعر والأدب .

• ويكتب حافظ إبراهيم :

آن يا شعر ان تفك قيودا - قبحتنا بها دعاء المحال
تغارفقوا هذه الكمائم عنا - ودعونا نشتم ربح الشمال
(يقصد ربح الحضارة الغربية)

ولقد خاض المثقفون معركة ضارية من أجل حرية الفكر وحرية التعبير وثمة نماذج عديدة •• لكننا سنكتفي ببعضها ••

هاك أبيات من الشعر قالها مطران :
شردوا أخيها بحرا وبرأ - واقتلوا أحرارها حبرا فحسرا
أنما الصالح يبقى صالحا - آخر الدهر ويبقى الشر شرا

(١) جريدة الأخبار - ١٩٢٠/٩/٢٠ .

تكتسروا الأتلام .. هل تكسروها
 إقطعوا الأيدي هل تقطعها
 اطفئوا الأعين هل اطفئوها
 اقمقروا الأنفاس .. هذا جهنكم
 وتمنع الأيدي أن تنقش صخرا
 ينفخ الأعين أن تنظر سندا
 وتمنع الأنفاس أن تصعد زقرا
 وبه منجاتنا منكم فمشكرا

ويكتب خليل مطران ملحمة نثرية يدافع فيها عن الجماهير وحرية الصحافة
 محتجا أشد الاحتجاج على قانون الطبوعات الذي يقيد حرية الكتابة
 فيقول

« في مصر وفي الأستانة العلية خطان رسمتا للتضييق على الصحافة يزد
 بهما أن تضطر الجريدة كما يخرج الكلب المقور من بيت صاحبه وفي غمبه
 كرامة .. »
 « ان التقييد للانكار كلما زادها الاقوة وانتشارا .. »

« اليس الشعب قوى شتى : قطرات سيل عرم ، شرير لهيب آكل .. »
 مجال ألوف المقول .. متكاتف أجساد لو اجتمعت لحكمت الروابي ؟ (١) .. »

« ان أخص معنى وإشريف معنى من معاني الحرية هو حرية الصحافة .. »
 بل أن ثمة لحسات في شعر مطران تهاجم الاغنياء والملكية الخاصة .. »

« ان يجهل الشعب فالحكم الخليق به .. حق الغريزين من وال وسلطان
 أو يرشد الشعب يمسى الأمر في يده .. ولا اعتذاد بأملاك وأعيان
 والحقيقة ان شعره قد لعب دورا كبيرا في معركة النضال ضد
 الاستغلال ومعركة الدفاع عن حقوق الكادحين .. »

فهؤلاء الشعراء والمفكرون الذين خاضوا معركة الدفاع عن حقوق
 الوطن وعن الحرية والديمقراطية وجدوا أنفسهم يخوضون بالرغم منهم معركة
 طبقية ضد كبار الملاك الذين تعاونوا مع المحتل وضد كيان الملاك
 من الأجانب .. »

« وهكذا ظهر الى الوجود شعر ثوري وطبقى يمكن اعتباره سلاحا
 في معركة التوعية الاشتراكية .. »

ففي عام ١٩١٤ عندما تشدد أزمة البطالة ويخرج جموع العمال العاطلين
 تحمل ريات حمراء تطالب بالخبز أو العمل .. يصرخ الشاعر عبد الرحمن
 سالم في جموع العاطلين صائحا (٢) :

(١) ظاهر الطنحاني - حياة مطران - ص ٢٥٧
 (٢) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ١٤٣

برح اليزم بالظهور الخفاء . . . فكلوا الاغنياء بها فقسرا ،
 امضوهم . وعلقوا الاثم في جيدي فمهم بانتحارنا الاثما ،
 واطعموهم . . . وكلكم مستمد . . . لايتلاع الاحجار لولا الحياء
 . . . وثمة قصيدة اخرى كتبها الشاعر القروي ووجهها الى « الاغنياء
 الجائرين » تقول (٢) :

مضى عصر اليخاسة من زمان . . . ولاح على البرية غير شمسه
 زمان كان فيه العبد يشقى . . . ليبعد قلب سيده بنحسه
 لقد حان الزمان لوضع حد . . . لظلم المستبد وسحق رأسه

وثمة نماذج كثيرة لتثقيف من أبناء هذا العصر بدأت خطاهم على
 طريق المطالبة الليبرالية بالحرية والديمقراطية ، ثم قادتهم خطاهم الى
 الصدام بالاحتلال وباعوان الاحتلال ثم اتخاذ موقف طبقي صريح ضد
 هؤلاء الملاك الكبار والاغنياء الكبار بالتعاون مع الانجليز فانقلوا من
 الليبرالية الى الدفاع عن الكادحين . . .

ولنقدم نموذجا واحدا من هؤلاء هو ولي الدين يكن . . .

ويكن اديب ليبرالي التفكير عشق الحرية باحساس مرهف وتغنى بها
 تغنى الحب بمحبوبته « يا حرية . . . انا عرفتك وهمت بك مياما ، فانا احبك
 من قبل ومن بعد ولن اخاف منذ اليوم رقبيا » (١) .

بل هو يتشرب فيها شعرا . . . (٢) :

تشواق حرية فيؤسسينا . . . من دهرنا عن حالها ضنن
 او هننا حبيبا وتيمنا . . . حتى ترانا وشهقنا الوهن

ويمضى في حديثه عن الحرية :

« الحرية طاقت بلاد الله فكما نخلت ارضا اعتقت المعتقلين فيها فلما
 طرقت تركيا اعتقلوها في سجنها ، بيلدز » (٣) .

لكن دفاعه عن الحرية يقوده للنضال ضد المستبدين :

« فالحرية حبيبة الشعوب وعدوة الملوك » .

(٣) مجلة الهلال مجموعة عام ١٩١٩ .

(١) ولي الدين يكن - المعلوم والمجهول - الجزء الثاني - ص ٤ .

(٢) محمود الشرفاوي - مقال بالهلال - مارس ١٩٦٧ .

(٣) ولي الدين يكن - المعلوم والمجهول - الجزء الأول - ص ٦٣ .

وهو يهاجم الحكام المستبدين قائلا :
بغضب تبسوس الأستبدير سياسة ما ساس أسدا قبل ذلك بغال (١)
وهو يشن هجوما قاسيا على رجال الدين :

« فالعامة تحب الشيء إذا حبه إليها زعماءها وتبغضه إذا بغضه
إليها زعماءها ، وزعماء العامة عندنا رجال الدين وهؤلاء لا يرغبهم في
الشرى شيء فهم يحبون أن يظنوا متحكمين على الرقات وأن يبقوا عيالا على
الامة وأن يلثم الناس أيديهم ويملؤوا أكياسهم » (٢).
وهو يتهم عليهم في جراءة : قائلا :

« لو جمعنا العثمانيين التي بالبلاد العثمانية وجمعناها بعضها فوق بعض
بنينا حصنا يعجز عن حمله أسطول إنجلترا بأبصره » (٣).
! وهو يرفع صرخة المظلومين عالية :

« أيتها النفس .. بلغي خالك انا مظلومين .. انضى اليه بخاجتنا
.. هو يعلمها ولكن لا بد من نوجة لديه » (٤).

لكن الأمر لم يقتصر عند هذه الحدود فيمكن الذي دفعه حبه الدافع
للحرية التي مجابهة الظالمين والمستبدين تدنعه هذه اللجاجة للظالمين
الى مساندة الكادحين في معركتهم ضد الاستغلال .

ولعل أهم ما يلفت النظر في هذا الصدد مقالين وردا في كتابه
« الصحائف السود » الأول بعنوان « مقتل فري » و « فري » هذا مناضل
أسباني دافع عن حقوق شعبه فحكموا عليه بالأعدام . وتنتطق كلمات
ولي الدين يكن خاتمة قوية صارخة .

« من ثلاث رصاصات رميت باسبانيا فجاوبت دويها بلاد الله في أوروبا
وأسيا وأفريقيا وأمريكا .. ثلاث رصاصات رمتها حكومة متمدنة بمشهد من
حكومات متمدنة فقتلت رجلا متمدنا ، حزا أشقته حريته ، عارفت أجهده
معرفته ، ومنصف أراداه انصافه ، أبى زعامة الفرد على الجمع ، وكره أن يرى
أناسا يرفلون في ثيابهم المجهلة يجرون أسياهم وتحقق على رؤوسهم خرق

-
- (١) سامي الكيالي - ولي الدين يكن - ص ٤١ .
 - (٢) ولي الدين يكن - المداوم والمجهول - الجزء الثاني - ص ٩ .
 - (٣) ولي الدين يكن - التجاريتب - ص ٣١ .
 - (٤) ولي الدين يكن - عفوا الخاطر - ص ٥٨ .

فوق قضبان يسمنونها أعلاما ، وأن تكثر حكومات الأرض من جمع هؤلاء في أزيانهم. النضحكة لتقتل أمثالهم ، أنف أن يرى أخوته أبناء آدم يتنازعون أكنافا من الأرض ليست لهم ولا لغيرهم ولكنها لكل الناس ، فما يجزع علي فرر سكان القصور العالية ولا المدخرون للذهب والفضة ولا سيرة القوم ولا الوزراء ولا كبار الموظفين وإنما يجزع عليه الأنفيون التي اتصى سيبيريا حين يعض الحديد على سواعدهم ، والمقيمون في ظلمات السجون في سنائر أقطار الأرض بل يبكي عليه كل من ذاقوا مرارة الظلم والاستبداد في أسر المستبدين ، الأرمني الذي قتل أذربوه في مذابح الاناطولي ، والتركي الذي ألقى ذروه في لبح النوسفور والعمال في أعماق الموانئ محروما من نور الشمس ولطف الهواء ، والبختر الذي يحس بالفاقة ولا يتجاسر على شكايتها . كل ينسب فرر وكان فرر يندبهم « (١) »

أن أهم ما يلفت النظر في هذا المقال هو الروح الاممية الدافقة والاحساس الطبقي الواضح .

أما المقال الثاني فهو بعنوان « العمال في البلاد العثمانية » (٢) كتبه ولي الذين يكن ردا على رسالة وصلتته من عامل عثمانى يدعوه التي نصره العمال فقال :

« أيها الأخ العامل . . . لبيك الفاء ، هذا يمين الاخاء أمده اليك فإن كنت خاطبا ودا للود لك ، وان كنت شاكي ظلم فيراعي لسانك وبياني ترجماتك ، وأنا وحياتي دريئة لك من المخاوف » .

ويمضى ولي الدين متاجما الاغنياء والحكام :

« ادخل حجرة الوزير تلق بها الاواني المذهبة في نقوشها وتصاويرها وهو مضجع على سرير أطل مسمار فيه أعلى من مالكة ثمنا وأنفس قدرا : هو يحسب أن العامل يدور كاللؤلؤ لا يجيده تعب ولا يضنيه كد ولو رآه في معمله متقصدا جبينه عرقا مشعرا عن ساعدين مفتولين عزما ، متهللا فرحسا في حزنه ، شاديا في مناحه حظه ، لأخذه الروح ولخسازت تلقاء ذلك المشهد المهيب قواه » .

ثم هو يقدم صورة بشعة لحياة العامل التركي :
« ان بين الخيطان السود تحت سحب الدخان ، أمام النار يذكيها

(١) ولي الدين يكن - الصحائف السود - ص ٥٢ .

(٢) البرجع السابق - ص ٥٧ .

الكبير الزافر وتحت أعماق من الأرض فزرعها ثلاث مائة ذراع أو أكثر رجالا
شغلت الفواصي ، غير الوجود نجا عن أجسادهم النعيم وأجفلت عنهم الاستفادة
يخبثون بنى الانسان كأن لم يكونوا من بنى الانسان .
ثم تعلق صيحة ولى الدين :

« من أراد أن يجور على العمال فليستغنى عن العمال ، ليقبل هؤلاء
الكبراء والأوسمة تشرق على صدورهم والأثواب المخملة تكساد تلتفت على
أجسادهم وهم نجوم أفق الدولة ودرر عقدها المنظوم ، أنفا في غنية عن
العمال ، وإذا نزعنا عنا هذه الحال الياهرة ملنا الى العمال وشمرنا
عن ساعدنا وصنعنا لأنفسنا وليصنع العمال لأنفسهم هنالك يعلم كل عمله ،
ويختتم ولى الدين رسالته مخاطبا العامل قائلا :

« ان كان هذا يكفيك ايها الاخ العثماني فالحمد لله على خدمتك وخيمة
اخواني »

وقد كان ولى الدين يخوض هذه المعركة وهو يحلم بمجتمع جديد ، قدم
له صورة غاية في الشاعرية ، يجتمع أمواله كثيرة ولو أحسن انفاقها لصارت
« أعمدة النور في الطرقات من الفضة ، ولو بذلت في تعليم الأبناء لصاروا
كالأنبياء ، ولو بذرت في الأرض نبتت للسنابل ذهبا ، ولو أنفقت على
الفقراء لأصبح السائلون يشكرون ملايسهم من « ريبو » ويفطرون على
« الشكولاتة » (١) .

وبعد .. فان ولى الدين لم يكن هنا أكثر من نموذج لهذا التحول الذى
طأ على مواقف كثير من المثقفين الليبراليين الذين تحولوا في خضم الصراع
الطبقى العنيف ونتيجة لاملاس الطبقات المالكة وللصمود الشجاع للطبقة
العاملة ، تحولوا من الليبرالية الى معركة الصراع الطبقي منحازين الى
صنوف الكادحين .

ولم يكن ولى الدين وحده هو الذى تحول .. فهناك كثيرون غيره ..

وإذا كان ولى الدين يمثل جيلا من هؤلاء الليبراليين الذين توصلوا
بعواظهم المرهفة واحاسيسهم الغبيلة ومواقفهم الاخلاقية الى الدفاع عن
الكادحين فثمة ليبراليون آخرون دافعوا عن الديمقراطية بل وعن الاشتراكية
في بعض الأحيان ثم انساقوا بعد ذلك في طريق آخر ..

(١) محمود الشرقاوى - مقال مخملة، الهلال - المرحح السابق .

رأى أحد هؤلاء عباس العقاد . . .
وأمل عذا يبدو غريباً بعض الشيء، فنحن نعرف موقف العقاد الطبيخي
وموقفه من الفكر النادى، وتمجيده لكتاب فريد وجدى . . . لكننا مع ذلك
لا نملك إلا أن نتأمل كتابات العقاد عن الاشتراكية ومحاولاته الظهور بمظهر

المدافع عنها . . .
ولنبدأ بتعليقات سريعة أوردتها عرضاً في بعض مقالاته . . .

فهو مثلاً يقدم دراسة عن أبى العلاء المعرى ويفرد فيها فصلاً عن
« اشتراكية المعرى »، ويورد عدداً من قصائده يدافع فيها عن الفقراء والمظلومين
لكنه لا يلبث أن يعلق عليها بجملة ذات مغزى كبير فيقول « نعم ان الاشتراكية
لا تعتمد في حقوقها على الرحمة والكذب لا تطلب من شعرائها أكثر مما
قال المعرى » (١)

أنه يحاول أن يقدم فهماً متقدماً لمعنى الاشتراكية . . .

لكن أهم ما كتبه العقاد بهذا الصدد هو محاولة لانتقاد كتاب « سر
تطور الأمم » لفريستاف لوبون وذلك عقب نشر الترجمة العربية التى أشرنا
إليها فيما سبق . . .

ويهاجم العقاد الكتاب ، يهاجم فيه تعنته ضد الاشتراكية واعتراضه
على فكرة المساواة . . . فهو يقول « والكتاب يجعله حملة منكرة على المساواة
والاشتراكية ، يخيل اليك أن الدكتور لوبون يكتب عن المساواة بتلم شارل
الاول أو لويس السادس عشر وأنه يكتب عن الاشتراكية بتابعاز من روتشيلد
أوزوكفلر ، فقرأه يتنى على مبدأ المساواة ولكنك لا تعلم منه كيف يبرر عدم
المساواة ، وتراه يتشائم من الاشتراكية كما يتشائم الناس من نعيب اليوم
لا يعمنون لذلك التشاؤم سبباً » (٢)

ويمضى العقاد قائلاً « الحقيقة أن نظام مجتمعنا الحاضر مشتمل على
نقائص ومثالب لا ينفرد بالسخط عليها وطلب تبديلها الاشتراكيين . . . ومن
العلماء من لا يحسبون أنفسهم من الاشتراكيين ، ولا يحسبهم الاشتراكيون
منهم . . . وهم مع هذا يشكون ظلم النظام الحاضر شكوى غلاة الاشتراكية
ويرون رأيهم في بعض الحول التى يقترحونها . . . »

وإن الاشتراكية الصحيحة ليست أسطورة من الاساطير ولا هي وعد
خيالى يبشر الناس بالتنازل في الاقدار والتشاكل في المنزلة والارزاق كلا ،
فليست المساواة بين الناس من همها ولكنها انما ندعو الى المساواة بين الاجز

(١) نظرات في فلسفة المعرى - مقال في المقتطف - عدد نوفمبر ١٩٦٦

(٢) عباس العقاد - الفصول - طبعة عام ١٩٢٢ - ص ١٥٥ . . .

والعمل وتطلب ان تعطى كل عامل ما يستحقه بعمله، وان ينتفع المجموع
بإكثرتها، يمكن الانتفاع به من قوى الافراد فاذا كانت الذئيل قيد حل اهلها
وقارت يومها لان جائعها يزيد ان يشبع ويغنيها، يتمي زمان يستريح
وظلة ما يؤد ان يتصف، يتشدد ما اعزلت هذه الدنيا، في ان
وكالصادة يلجا العقاد الى التراث الاسلامي ليستمد منه متدا في دفاعه
عن الاشتراكية فيقول

وقال عبد الله بن معاوية ما رأيت تشديرا لفظ الاصول التي جاذبة حسن
مصرح ولو سماه زعيم من زعماء الاشتراكية اليوم، بان يتخذها لذئله
شعرا لما زاد على تلك الحكمة حرفا فالاشتراكية الصنحية تقوم اليوم
لتسترد ذلك الحق المضيع

وكذلك فان العقيد يهاجم النظام الرأسمالي و فالنظام الاقتصادي
الحاضر قد صير العامل قوة آلية وسلية كل وسيلة لاستخدام ذكائه وحقه ،
ومذا النظام الاقتصادي المودى بالمواهب المعطى للمقول هو النظام الذي نشور
عليه الاشتراكية، فما قامت الاشتراكية الا لترقى مدارك العامل وترفع عينه
حيف صاحب العمل وتجعله انسانا ذا رغبة في عمله وبغيرة عليه شديدة وليس
كفاه هو الآن آلة تدوير آلي

قال في رقة فلهذا علمه من يدركه، ويبدأ بوجوه العلم للناس تلك الآلات
والتي هو يهاجم الرأسماليين قائلا: ومنذ خرج العلم للناس تلك الآلات
الصنحية أصبح كل صاحب معمل يتمتع بجمع الألوف من الصناعات الخفية
يستخدمهم في معمل، يكيان التفت والخزبان من نصيب فريق، والراحة
والربح من نصيب الفريق الأقل، فلهذا سيقم

وهو في النهاية يؤكد لا بد للامم من معتقد جديد، أفندرى ما هو
هذا المعتقد؟ نحسبه هو وحدة الاخاء أي هو التضامن الإنساني أو هو - في
بعض مظاهره التي يفهمها سواء الناس - الاشتراكية
فإذا كان المعتقد بالرغم من ذلك كله لم يكن داعية للاشتراكية الحقبة
فهو يفهم الاشتراكية على نحو خاص

فيقول يتحدث عن اشتراكية أمريكية قائلا: ان حكومة الولايات
المتحدة قد طارت منذ سنوات أكبر شركات الاحتكار فحلقتها والزميتها غرامة
فأدرك ان كان لو بون يعنى بالاشتراكية مظهر انقوى من هذا فليبدأ فليس
في أمريكا ولا في أوروبا، بل ولا في الدنيا جميعها اشتراكية

يلاحظ ان العقاد كتب هذا المقال بعين ثورة أكتوبر 1917

وكل ما ينادى به العقاد هو بعض الخطوات الإصلاحية ، فالواجب على ولاة الأمر في كل أمة أن يعترفوا بنقائص المجتمع ولا تفتنهم عن إصلاحها عصبية الطبقات ، لان الكثير من هذه النقائص قابل للإصلاح وتخفيف لولا تعنت من بعض الطبقات القويّة يجر إلى تعنت الطبقات الأخرى وتقسيم النزاع على غير جدوى ،

ولست بحاجة الى التعليق على كلمات كهذه فهي تتصور ان حل قضايا الصراع الطبقي من أجل الاشتراكية يمكن ان تحل من خلال بعض التسهيلات او الإصلاحات . . . تقديمها للطبقات الغنية . . .

وفي عام ١٩٢٢ يخطو العقاد خطوة أخرى . . .

فهو يقدم لقراءه في جريدة البلاغ كتابين لماكس نوردو (١) « الاضمحلال » و « الأكاذيب المقررة في المدنية الحاضرة » . . .

••• وحول الكتاب الثاني يقول العقاد انه « حمله على المجتمع فصح فيها نوردو كل ما ظهر من أكاذيب الحضارة الأوروبية كالكثوبة الدين وأكثوبة الحكم المطلق . وكان نوردو حين أصدر كتابه هذا عظيم التساؤل كبير الأمل في مستقبل الانسانية ، فتنبأ بمجيء عصر تمحي فيه العيوب في حضارة العصر وتحل محلها حضارة قائمة على الحب والاخاء والتضامن بين الناس وقال في ختام كتابه :

« انظر الى هذه المدنية منسية اليوم التي شعارها التسيؤم والأكاذيب والجشع فارها تتوارى وتخلفها منسية أخرى قائمة على الحق والسعادة ويعتد تصبح الانسانية حقيقة واقعة لا فكرة مجردة - فطوبى للاجيال القادمة التي سيكون من نصيبها ان تحيا في جو المستقبل الصافي مقسمة عليها انواره المشرقة . . . انها ستحيا في ذلك الاخاء الدائم في أفق من الصدق والمعرفة والإصلاح والحرية ،

••• ونوردو يهاجم في كتابه هذا أسس الحكم البورجوازي أو كما كانت تسمى في ذلك الحين الحكم الديمقراطي « فليست حكومة الديمقراطية بحكومة الشعب كما يقولون ولكن هي حكومة فئة قليلة من ذوى الطامع المهيمنين على تنظيم الاحزاب ونشر الدعوة ومخادعة الجمهور واستحلاب الاعوان بالعود والمكافآت والمناصب . فالديمقراطية طراز جديد من الحكم المطلق القديم أو هي ذمرة عميقة في آنية جديدة ،

••• وكان هناك آخرون غير العقاد اتفهموا في نفس الاتجاه الليبرالي . . .

(١) البلاغ - ١٢ فبراير ١٩٢٢ . . .

ثم انبثاقوا خطوة تحت ضغط الصراع الطبقي وتحت تأثير الخوف من حركة
 الطبقة العاملة التي تنبض تحتها. كما انبثاقها في مصر سنة ١٩٢٤م في
 مصر ومن بين هؤلاء كثيرون من أبناء الاقطاع الذين ساءلوا إلى أوروبا
 وتأثروا بالفكر الليبرالي الفرنسي والأوربي عموماً. ثم عادوا يناقشون
 موضوعات الحرية والديمقراطية والاستراكية من قبيل الترفب الفكرى والمنفعة
 الذهبية، حتى اذا جسد الجسد وبرزت الطبقة العاملة والتجمعات الاستراكية
 عظاماً يتحرك في سرعة وشجاعة اثنان ثورة ١٩٢٩م تبدل الجميع يعرذون إلى
 صوابهم، بل انهم انطلقوا متراجعين إلى موقعهم الطبيعي في أقصى اليمين
 حزب الأحرار الدستوريين في مصر سنة ١٩٢٤م ٦٦٦١

والطبي السيدون هو أحد الذين بشروا طويلاً بفلسفة تولستوي
 وحتى جريدة الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة كانت سنيلاً
 لبعض الحيات الديمقراطية وليبرالية أيضاً. وقد كان في مصر
 ويرثي مصطفى عبد الرزاق الجريدة قائلاً: "هذه جريدة
 في ظلها دعوة الحرية والتقدم بين جاه العلم والعقل، وجاه المصنعية والغنى
 ثم ماتت الجريدة وتفرق عنها أصحابها غافلين لا يمين يمشأه أقيامهم
 وأموالهم. ان الرزوين في الجريدة هم أهل الجسد من فتياتها الذين كانت
 صانعة الاعيان مظهراً لداخيتهم الحرة وأفكارهم الحديدية (١)

وبعد الجريدة في كانت هناك "السفور" و"السياسة" و"الجامعة"
 والويلي صدرت هيكل قصة زينب وهي أول قصة تتحدث عن حياة الزينب
 وماشية. وقد كانت في مصر سنة ١٩٢٤م في مصر سنة ١٩٢٤م في مصر سنة ١٩٢٤م
 وباختصار فان المثقفين من أبناء الذوات قد استطاعوا ان يكتبوا
 ضجة ثقافية هزت الركود الفكرى الذى نمسجته سنوات الحرب والحماية
 الانجليزية واستطاعوا ان يوقظوا كثيراً من الأذهان ويحركوا عتيداً من الشعراء
 زدهوا اذا كانوا قد تخلوا عن ذلك كله فيما بعد، فان ما قدموه قد ترك
 آثاراً لا تمحى قوا عقل وذهن المثقف المصرى. وقد كانت في مصر سنة ١٩٢٤م في مصر سنة ١٩٢٤م
 وقد كانت هذه السنوات سنوات من البحث المصنى عن طريق التفكير

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٤ سنة ١٩٦٢ ص ٢٠٧ كلمة
 الأستاذ شفيق غربال في تابين الدكتور محمد حسين هيكل بخلمة مجمع اللغة
 العربية في ١٩٥٧/١١/٤ . ٦٦٦١ - ٦٦٦٢

والوطنية والقومية والنهج الفلسفي ، وكان المثقف المصري قد استيقظ فجأة ليجد سوق المذاهب والافتكار والمتحدث مزدحما فانشغل طويلا في التأمين والدراسة والتنقل بين هذا وذلك . . . وبعد هذه الموجة العارمة من البحث المختلط . . . السريع التقلب . . . ونتيجة للتمايز الذي حددته بصراحة مواقف العمال المضربين في ١٩١٩ ، وبيانات الاشتراكيين وبرامجهم . . . انطلق كل من هؤلاء الباحثين المترددين الى موقع طبقي يتحصن فيه .

وهكذا فان كثيرا من المواقف التي اتخذت في ذلك الحين يجب ألا ندفعنا الى تحديد تقييمات سريعة ومتعجلة لهذا الشخص او ذلك فقد كان الجميع منغمسين في غمرة الاختيار والمفاضلة والتنقل بين الافكار . ولكي يكون التقييم موضوعيا يتعين عليه أن يتأني سنوات قليلة بعد ثورة ١٩١٩ ليرى كلا من هؤلاء وقد اتخذ موقعه الصحيح . . .

والحقيقة أن مثقفي هذه الفترة كانوا يدركون ذلك ، كانوا يشعرون أن ما يجمعهم هو الرغبة المشتركة في البحث عن شيء جديد وأن الايام لن تلبث أن تفرقهم في طرق مختلفة بل ومتصارعة . . .

. . . ويقدم العقاد صورة لهذا الاحساس عندما يتحدث عن فرح انطون . . . رلوييا قصة لقائه الاول به في جريدة الامالي . . . وقوله له ، انك يا فرح انندي طالبة مبكرة من طلائع هذه النهضة العاملة وسيعرف لك المستقبل من عملك ما لم يعرف الحاضر ، وستكون حين تفرق الطريقان خيرا مما كانت في هذا اللحقي المضطرب « (١) » .

ولقد تحققت نبوءة العقاد فسرعان ما افتقرت الطرق واتجه البعض يسارا واتجه الكثيرون يمينا . . . بل والى أقصى اليمين . . .

(١) عباس العقاد - مطالعات في الكتب والحياة - ط ٢ - ص ٦٥ .

فمنه في كبريتات و...
والنظام في كبريتات...
تطبيقات...
والصلا...
...
...

استلقت...
...
...
...
...

...
...
...
...

...
...
...
...
...

...
...
...
...

تدريجاً حتى يتحقق مبدأ الديمقراطية الحقيقية، وهذا هو الهدف الذي نسير نحوه في كل خطوة نأخذها، ونحن نؤمن بأن تحقيق هذا الهدف هو واجبنا على كل من الشعب والوطن، ونحن نؤمن بأن تحقيق هذا الهدف هو واجبنا على كل من الشعب والوطن، ونحن نؤمن بأن تحقيق هذا الهدف هو واجبنا على كل من الشعب والوطن.

القسم الثاني

في هذا القسم نناقش القضايا التي تتعلق بالسياسة الخارجية، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة.

نحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة.

نحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة.

* القضايا

في هذا القسم نناقش القضايا التي تتعلق بالسياسة الخارجية، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة.

* اشتراكية الدولية الثانية

نحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة.

* الماركسية

نحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة.

نحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة.

نحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة، ونحن نؤمن بأن السياسة الخارجية يجب أن تكون متوازنة ومتعادلة.

وفي هذه السنوات الخصبة ، أتت شهيدت فيها مصر صراعات فكرية وطبقية عنيفة والتي خاض فيها كثير من المثقفين المصريين غمار التجربة ، تجربة البحث ، ومحاولة لاختيار موقع فكري أو منطلق فلسفي لأرائهم لسياسية والقومية .

في هذه الفترة وفدت الى مصر عديد من الاتجاهات الفكرية والفلسفية وقد استطاعت بعض هذه الافكار أن تؤثر في المناخ الفكري للثلاثينيات تأثيرا متميزا ، بينما اكتفى البعض الآخر بتأثير عابر . في حين عجزت بعض هذه المدارس عن أن تكسب لها انصارا برغم كثرة ما قدمت من كتابات وما بذلت من جهود .

فالفلسفة كسبت في مصر واحدا من أبرز مثقفيها هو سلامة موسى الذي نشر مئات المقالات وعديدا من الكتب ، وترك في الفكر المصري آثارا هامة . . . لكن فاعليته عجزت عن أن تجد لها أي نفوذ حقيقي . . .

واشتراكية الدولية الثانية وبالتحديد الجناح اليميني منها وفدت الى مصر على أكتاف المثقفين الذين تلقوا العلم في أوروبا واحتكوا بأحزابها الاشتراكية الديمقراطية .

ولأن الكثيرين منهم كانوا أبناء لطبقة الارستقراطية وهي الطبقة التي كانت تملك القدرة على إرسال أبنائها للتعليم في الخارج . . . فقد تأثروا بأشده أنواع هذه الاتجاهات اصلاحية وأكثرها اعتدالا . . .

بينما وجدت الماركسية اللينينية لها هي الأخرى انصارا عديدين تأثروا بإتباع الثوري العام وبالطاقات الكبيرة التي ولجتها الحركة الشيوعية للبروليتاريا المصرية والفلاحين المصريين ، وتأثروا أيضا بانتصار الثورة البلشفية في روسيا وما حققتة هذه الثورة من منجزات . . .

واسوف أكتفى في هذا الفصل بالحديث عن هذه الاتجاهات الثلاث رغم أنها لم تكن الوحيدة . . .

فهناك مثلا التأثير الهيجلي المباشر والذي انعكس في أنكار د . علي العناني أحد مؤسسي الحزب الاشتراكي ، والذي حاول أن يصوغ فكرا متماسكا أسماه « النظرية الاشتراكية العلمية العممية » لكن صحف هذه الفترة لا تحمل أثرا لأي مجهود فكري للدكتور علي العناني الذي اكتفى بإعلان اسم مذهبه في أكثر من مناسبة دون أن يهتم بعرضه تفصيلا على القراء . . .

تكن البحث في الصحف الصادرة في الثلاثينيات مكننا من العثور على مقالين للدكتور العناني يمجد فيها الفلسفة الهيجلية ويشير بالتحديد

للى ايمانها بدور الاديان ويعدى اعجابا شديدا بالديع الذى ازجاء هيجس
للدين الاسلامى مشيرا بالتحديد الى فكرة التوحيد عند عيجل محاولا ربطها
بالوحدانية فى الاسلام .

وهكذا يمكننا ان نفهم مطالبة العنانى فى كتاباته القلية خلال فترة
تأسيس الحزب الاشتراكى باشتراكية تلتزم بنمائيم الشريعة .

ان العنانى لم يستطع ان يشرح افكاره ولم يكن فى نشاط سلامة
موسى ولا فى عمقه على التأثير ولا فى مثابرتة على نشر آرائه .

وهكذا لم يكن « للاشتراكية العلمية العملية » وجود يذكر .

كذلك وجدت بعض الاتجاهات الفوضوية وخاصة وسط النقابيين الأجانب
ووسط شباب الحزب الوطنى الفين أسسوا جمعيات عديدة للاغتيال لكن هذا
الاتجاه لم يكن قائما على أية أسس فكرية واكتفى بالنشاط الارهابى العملى
دون الفوضى فى أية تفسيرات أو تبريرات ايدولوجية (١) .
وهكذا يمكننا ان نقيم بتجاهل اى فكر جاد - ان نكتفى بتقديم
اتجاهات ثلاث :

* الفابية *

* اشتراكية الدولية الثانية (الاتجاه اليميني)

* الماركسية *

(١) ثمة تفصيلات هامة ومثيرة عن التوجهات والانشطة الفوضوية
نشرت فى مصر فى منتصف عام ١٨٩٩ حول محاكمة عشرة من الفوضويين بتهمة
محاولة اغتيال امبراطور النمسا . . . وذلك فى مجلة كانت تصدر فى مصر باللغة
الايطالية هي :
L'impazzial

وذلك فى الاعداد الصادرة ما بين ١٠ يونيو ، ٢١ يونيو ١٨٩٩ ومجموعة
هذه المجلة مودعة بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم (دوريات ١٨٣) .

من غيره واما في هذا الموضوع فانه في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
مما سبق انفسه في هذا الموضوع في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني

في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني

في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني

في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني

في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني

في سنة 1974 في عهد الامام الخميني

في سنة 1974 في عهد الامام الخميني

في سنة 1974 في عهد الامام الخميني

في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني

في سنة 1974 في عهد الامام الخميني
في سنة 1974 في عهد الامام الخميني

الفابية

إذا كان الفكر الفابي قد لعب دوراً في مصر ، وفي التكوين الفكري تعدد من متفتيها ، فإن صاحب هذا الدور هو سلامة موسى بغير منازع .

والحقيقة أن سلامة موسى شخصية محيرة ، فقد اجتمعت فيه الصفات عديدة وتراكمت في كتاباته كل التناقضات التي يتحتم عليها أن تتراكم في أفكار شخص يعيش في مجتمع متخلف ومقهور ومستعمر . ولكنه ينشأ بالفاشية .

وفي اعتقادي أن سلامة كان فابياً ذا طابع خاص فهو شيء يختلف عن فاببي إنجلترا رغم أنه عاش أربعة سنوات في إنجلترا كان خلالها عضواً في « الجمعية الفابية » هناك ورغم أنه تأثر كثيراً جداً ببرنارد شو ، بل لعله قد استعار منه كثيراً من تشبيهاته وأحكامه .

لكنه لم يكتف ببرنارد شو فلقد تأثر بأخرين . نيتشه ، آبن خلون ، تولستوي ، غاندي ، أوين ، أبسن . وحتى كروبتكين . تأثر به وترجم له « نداء إلى الشباب » (١) .

كذلك تأثر سلامة موسى بماركس . تأثراً كبيراً . وأن كان قيد ظل لفترة طويلة يتجاشى الإشارة إلى ذلك . وأخيراً وبعد ثورة عام ١٩٥٢ كتب سلامة موسى يقول :

« ومع أنني في كتاب « هؤلاء علموني » قد ذكرت نحو عشرين من الأدباء والعلماء والفكرين الذين وجهوا نشاطي الذهني وربوا نفسي فإني لم أذكر معهم كارل ماركس داعية الاشتراكية ، والان أحب أن اعترف أنه ليس في العالم من تأثرت به وتربيت عليهِ مثل كارل ماركس . وإنما كنت أنفادي فكر اسمه خشية الاتهام بالشيوعية » .

ولو كنت قد وجدت الخزيه أيام

(١) محمود الشراوى - المرجع السابق - ص ١٢٢ .

الحكومات الملكية السابقة ألقت عن الاشتراكية بما كان يوجه ويرشد ، (١)

وثمة قصة أخرى يرويها عنه أحد أصدقائه إليها بانغمة الدلالة في الكشف عن شخصية سلامة موسى ، في عودته من إحدى رحلاته الى أوروبا سنة ١٩٥٠ كان يقرأ و انجيل ماركس ، (رأس المال) في السفينة يبرا وكان يفتنه وخوفه من التجسس والمطاردة يلقى في البحر كل ورقة يقرأها بمجرد الانتهاء منها ، (٢) في حين يروي سلامه في كتابه "تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر" (٣)

وسلامة موسى هو واحد من أول دعاة الاشتراكية في مصر أصدر في ١٩١٣ كتابا بعنوان "الاشتراكية" ولكنه مجرد داعية ، زجل بقول كلمته "الاشتراكية تؤمن بالاشتراكية لكنه فاني" ، فالاشتراكية سوف تقتصر لا بالنضال ولا بالثورة ولا بالتنظيم الحديدي ، وإنما بنشر التعليم وتحريم الرأية وتنظيم الزواج والعمل من أجل تحسين النسل ولتاحة الحرية للأفراد .

وهو يصدر كتابه هذا عام ١٩١٣ محدثا نوبا كبيرا ، ثم لا يلبث بعد عام وأخذ عندما تلقى الحماية البريطانية ويستند الأزمان أن يخذل حذو الآخرين فيهرب ، رجال الحزب الوطني هربوا الى الخارج أما هو فقد كان أكثر تواضعا فقد هرب الى عزبة في الريف حيث قضى هناك كل سنوات الحزب منقطعا عن كل شيء .

عاش كذلك فان أفكار سلامة موسى قد اختلطت كثيرا بأفكار وعقيدة ، وخصوصا في بداية حياته في مقدمه السوبرمان (٤) (١٩١٠م) ، زدد في الأساس أفكار نيتشه بكل ما فيها من عنصرية وتخطيط ، فهو ينصح المصريين بجمعهم الزواج من مصرليات (حتى يحميتوا النسل) وهو يؤيد سيادة الأبيض على الزنجي ويقول ان الزنجي كان منذ مائة سنة فقط ياكل الانسان ومن المستحيل أن تكون مشاعره كمشاعرنا مهما طلى نفسه بأدب السلوك (٥) .

لكن ذلك كله لا يقلل من قدر سلامة موسى كمثقف موسوعي المعرفة ، آمن بالعلم والاشتراكية ووهب حياته كلها نفاعا عاما آمن به من أفكار ، في سنة ١٩٢٠م كتب سلامة موسى كتابا بعنوان "الاشتراكية في مصر" ، فيه يبيّن مبادئ الاشتراكية ، فان فائبة سلامة موسى ومسائل للاعداد والطبقيين وإعلانه في رفضه لفكرة الثورقراطية من العلوية ان تعتمد على الثورة الحاسمة التي تفضيل

(١) تربية سلامة موسى - ص ٢٩٠

(٢) (٣) هو الأستاذ محمود الشراوى ، يرويها في كتابه "سلامة موسى الفكر والانسان" - ص ٤٤٠

(٤) المرجع السابق - ص ١٠٥

بيننا وبين انماضي. (١) كل ذلك قد اتاح له فرصة يمكنه من ان يستمر في نشر افكاره خلال سنوات طويلة على صفحات عشرات الصحف والمجلات والكتيبات وخلال عديد من الجمعيات.
والآن وبعد هذه المقدمة القصيرة لنحاول ان نقدم عرضاً سريعاً لفكرة سلامة موسى عن الاشتراكية كما اوردها في كتاباته الاولى .
لنبدأ بكتابه الاول (مقدمة السيرمان) وقد صدر في عام ١٩٦٠ .
وفي هذا الكتاب يتحدث سلامة موسى عن الاشتراكية .

« فالعلمانية نزعة اوروبية تشمل جميع الامم المتقدمة تقريباً . وهذه النزعة هي علة نزعات اخرى منها نزعة الاشتراكية التي انتهت في أقصى أوروبا بالشيوعية وليس في العالم قطر متمدين الا وبه حركة اشتراكية قومية مصبوغة بصيغة الوسط الذي نشأت فيه وكل الدلائل تدل على ان العلمانية يتجه نحو نظام اشتراكي ، ان لم يكن في جميع صناعاته نفى نحو النصف او الثلثين ، (١) »

ويقول « ومما يساعد رقي الامة ان نجعل تاموس تنازع البقاء يجري بلا اجحاف بين الناس ولا يكون ذلك الا اذا استوت امامهم الفرص المعيشية بحيث لا يمتاز احدهم عن الآخر الا بكميائته الذهنية او الجسمية ، فيجب ان يتساوى الناس في فرصة الاتراء وذلك باصطناع نظام اشتراكي او شبيهه بالاشتراكي حتى لا يولد واحد غني وآخر فقير وقد يكون الغنى اخطأ ذهنياً وجسماً من الفقر ، ولكن امتيازها بالمال الموروث يعينه على زيادة نسله في الامة من حيث ان فقر ذلك يمنع من الزواج » (٢)

لكنه مع ذلك يردد مجموعة من الافكار الغريبة .

فهو يرى ان الانسان السليم القوي هو الذي يستحق ان يعيش او على الاقل هو الذي يجب ان يسمح له بان ينجب اطفالاً
« فالرقي الذي نجده في كفايات الحيوان انما لانه يقوم بقتل الضعيف أولاً ليأول غذاءه يبقى غير الاقنوى الذي يفشل نسلاً على غرارهم حاصله على كفايته »

(١) مقدمة المجلة الجديدة - ديسمبر ١٩٦٩ .

(٢) سلامة موسى - مقدمة السيرمان - الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٢ ص ٦

(٣) المرجع السابق - ص ٩

والانسان حيناً ولكنه يختلف عنه من حيث أن نسله العاجز يعيش ..
 فالعزالي الإعرج يموت والاسد البطيء يهلك جوعاً في العافية ولكن الانسان
 الأعرج يعيش بالصدقة والانسان البطيء يعيش أيضاً بأي عمل من .. وليس
 في مقدورنا أن نعود بالانسان الى توحش الطبيعة في العافية وإنما نعرف أنه
 يمكن أن نقصر الزواج على الفئات السليمة في الأمة ونعرف أيضاً أن أهم
 مخترعات القرن التاسع عشر وأخطرها مستقبل الانسان هو كما قال شو
 للتعليم الاختياري (١).

وشمة رأى آخره في مسأله ..

«... فالاخلاق يجب أن تكون جرة .. لأن حرية الاخلاق تدعو الى انقراض
 الفاضل منها وبقاء الصالح .. وليس من مصلحة الانسان أن يعيش في قفص
 من الواجبات الاخلاقية لأن من طبيعة الاخلاق العاصدة أنها تقتل ضاحتها
 وتترك الفكيك يسكر كما يشاء لأن سكره ينتهي بموته المبكر ولتترك النهم
 يشتره الى كل طعام فان معدته تتسوقه التي تفره بأسرع مما تتصور ..»

وهكذا تامت أفكار سيلامة موسى التقدمية وسيطر ضباب من أفكار
 او مقترحات ربية وغير معقولة ..

... أيضاً الموقف المرتبك الذي اتخذته أسلامة موسى من قضية
 الدين فهو ما نرى دارويني .. وهو ينتقد الأديان الراهنة لأنها تتدخل
 في أمور العالم وتعرق سير الترقى لأن الترقى يقتضى التغيير .. ولا تغيير
 بدون بدعة جديدة .. ولكن الأديان للضفة المقدسة التي تتصف بهتا تقف
 جامدة لا تقبل تغييراً فتعمل بذلك الجمود الأمة ..

والدين اذا خرج من دائرة علاقة الانسان بالكون وأخذ يقرر اصول
 لعاملة بين الناس من تجارة وزواج وامتلاك وحكومة ونحو ذلك فانه عندئذ
 يقرر الموت لكل من يؤمن به ..

... فذلكم يتم فذلكم يؤكد في اصرار .. ان الدين ضروري لكل أمة ولكل
 فترة .. ولا يمكن أن يعيش الانسان بلا دين .. ولانه مادام قد شرع يفكر في الكون
 زماناً ومكاناً فقد شرع يفكر في الدين .. ومن ينظر الى السماء في ليلة صافية
 ويتأمل في ابناء النجوم والكواكب يعجب كيف يمكن لانسان أن يجزم بهذا
 المذهب او بذلك عن اصل هذا الكون ونهايته .. (٢)

(١) المرجع السابق - ص ٢٧
 (٢) المرجع السابق - ص ٣١

ويكتب سلامة موسى مقالا بعنوان ويلز بعنوان وأديب ينشيد ربك ، يتحدث فيه عن دين جديد، يؤمن بوجود الله لكنه لا يؤمن بوجود له من حيث السيادة أو الفضاء ، لكن له وجود زمني كوجود التيار الفكري وهو ينمو بنمو الإنساني وينظر باعيننا الى هذا الكون ويعمل بأيدينا فيه . وكل ما لنا من حقائق وكل ما لنا من قصص أو عمل عظيم يجمعها في نفسه . فهو الذاكرة الإنسانية التي لا تموت وهو الإرادة الإنسانية الدائمة في الازدياد . وليس للدين الجديدة وحى وليس لها مؤسس ومن ينشدها ينشد حقيقة لا يرشده اليها غير ما في نفسه من القداسة (١)

وآفكار كهذه ، وبارتباك مثل هذا ، لم يكن بإمكان أحاديث سلامة عن الاشتراكية ان تصل الى كثير من الاذهان
لكنه وبالرغم من كل شيء لعب دورا كبيرا في ارساء قواعد الفكر الاشتراكي في مصر
ففي عديد من المقالات رفع سلامة موسى لواء الاشتراكية ، مستخدما حديثه العذب وسعة اطلاعه وطريقة برنارد شو في العرض
هذه المقالات التي وردت في مقال بعنوان الآلات والحضارة
في أوروبا الآن حركة اجتماعية تهزها من انصافها الى اقصاها هي حركة العمال الاشتراكية ، هذه الحركة التي ستقلب الجمعية البشرية رأسا على عقب هي ثمرة آلات الإنتاج التي اخترعت في القرن التاسع عشر والذي اخترع هذه الآلة التي سمي بها في أوروبا لم يكن فيلسوفا أو كاتباً ابن اديبا وإنما كان صاحب معمل . . . رأى ان مبدأ الملكية كما هو متعارف عليه في زماننا قد مضى وقته وحان تعديله أو الغاؤه .

كان الخراف قديماً تصنع الخرف بيديه وبطليبه بنفسه
الآن ويخرقه ويبيعه
ان يكون خرافا يوماً ما وكثيرا ما كان يتحقق زجاءه مكان المسالك في ذلك الوقت
عاملا وتاجرا لا يستغله أحد

فلما جاء القرن التاسع عشر وكثرت الآلات وعظم حجمها انقسمت الناس فثنتين فئة أصحاب المعامل وفئة العمال وزال أقل العمال في أن يكونوا أصحاب معامل ويتخذ جمع المال باللازم لشراء الآلات العظيمة
العمال لا يشتغلون ، فتغير بذلك مركز العامل الاجتماعي إذ كان قديما يطمح في

(١) مختارات سلامة موسى - منشورات مكتبة المعارف (بيروت)

الطبعة الثانية - ص ٢٢٢ - ٢٢٣ - بيروت - ١٩٦٥ - ١٩٦٦

أن يكون صاحب مغل فيكون : أما الآن فلا مجال لهذا الطمع وكان صاحب المصنف قديماً لا يحصل إلا على الكفاف : أما الآن فصار يحوز الأوف بل الملايين من خد العمال وكبحيم .

فالآلة هي البتة في الاضطرابات الاجتماعية الجاضرة وهي أصل الاشتراكية ، ومن انبثت والجوز أن نطبق مبدأ الملكية القسيم على طريقة الاستغلال الجاضرة فقد تغيرت الأحوال ، فينبغي أن تتغير المبادئ .

ثم يمضي سلامة موسى مهتداً :

وكما زالت نشاطة الاشتراكية في أواخر القرون الوسطى فكذلك ستتوزل سلطة أصحاب رؤوس المال في هذا القرن ، ومن يعيش تيراً (١) .

وهناك أيضاً الكتيب القيم الذي أصدره سنة ١٩١٣ بعنوان (الاشتراكية) وهو كتيب صغير في ثلاثين صفحة أشبه ما يكون بمقتضيات متوسط الطول في بيده إسلامه موسى .

بفاتحة تقول : هذه الرسالة الوجيزة كثيرة السخافات والغبوات التي تحكي عن الاشتراكية . تفرضي الأول منها تنوير الرأي العام عن ماهيتها مع بيان أغراض الاشتراكيين في أوروبا وأمريكا وذكر ما أثرهم في التشريع وما وصلت إليه حالة العمال من الرضاينة بمساعيهم .

وكالقادة يفتي سلامة موسى فكرة وجود الحزب وإن كان لا يستتبعه وجوده في المستقبل .

ولست ظامعا أن تعد هذه الرسالة دعوة للجمهور إلى الاشتراكية ولا أن تكون سبباً في تأليف حزب أو جمعية . ولكني أطرحها أمام الجمهور القاري عسى أن تكون خميرة تختمر بها الأفكار إلى حين تستعد البيادق للاشتراكية . (٢)

وبعد سلامة موسى دراسته بأسطر معقدة لا يمكن أن تحتجب القاري ، البيادق إلى تكلمة الكتاب بالكلمات الأولى تقول :

ولما قام لوشيروس بدعوته كانت أفكار الأوربية قد تنبتهت بعض التنبيه في أثر اكتشاف أمريكا وترجمة الكتب اليونانية بواسطة المهاجرين الجيرون .

(١) المرجع السابق ص ٨٠ .
 (٢) سلامة موسى - الاشتراكية - الطبعة الثانية ٧ ص ٥٠ .

الذين فروا من وجه الاثراك ، وكانت الدعوة اللوثرية في الحقيقة احدى نتائج هذا القنبي ، (١) .

•• وهكذا كان الغيب في كتاب سلامة موسى هو انه حاول ان يشرح الاشتراكية بكلمات شديدة الغموض ، ولجا الى انحناءة طويلة مارا باسماء .

لم يسمح عنها يسوى غلاة المثقفين .

ثم ان سلامة موسى يكتب متأثرا بالافكار الفابية ، بل ويكاد ينقل به كلمات بيرنارد شو في شرحه للاشتراكية •• فيسمى بملك الحكومة المصر في ذلك الحين للسكة الحديد بانه عمل اشتراكي النزع .

•• وعندنا الآن من الاعمال التي تعملها حكومتنا ما هو اشتراكي النزع مثل مصلحة السكك الحديدية الاميرية •• فان هذه المصلحة تدار الآن لفائدة الأمة ويجمع الفائض من ايراداتها ويصرف على مرافق الأمة ، (٢) .

•• وعندنا ايضا بلديات كثيرة توزع المياه والضوء على سكان المدن وتبني المتنزعات العمومية وتؤلف الجوقات الموسيقية للذة الجمهور ، (٣) .
وإذا كان الامر كذلك ••

•• فان غاية ما يطلبه الاشتراكي ان تتدرج البلاد من امتلاك المياه والضوء كما هو حاصل عندنا الآن الى امتلاك الترامات والمخازن والنياترات والمساكن والمكاتب العمومية .

ويطلب ان تتدرج حكومتنا من امتلاك السكك الحديدية الى الاراضي والمعامل والمناجم وتديرها كما تدير هذه السكك الآن •• ، (٤) .

هكذا وبكل بساطة يتخيل سلامة موسى الفرق بين المجنمين وبين الحكومتين •• حكومة ومجتمع الرأسمالية وحكومة ومجتمع العمال .

لكن النزعة الفابية تبدو واضحة غاية الوضوح في الاسطر التالية التي يحدد فيها أسلوبه في العمل •• يطلب الاشتراكيون ذلك عن سبيل التدريج الوثيد لا الطفرة السريعة ، وكل خطوة نخطوها نحو الاصلاح

(١) المرجع السابق - ص ٧

(٢) المرجع السابق - ص ٢١

(٣) المرجع السابق - ص ٢٢

(٤) المرجع السابق - ص ٢٢

الاشتراكية تكون مصحوبة دائما بل ومتوقفة على درجة التطور السياسية في الأمة (١) .

وحتى عندما يتحدث عن مصر يتخذ موقفا فائيا واضحا . . .
فتقول فينباع كيف تكون الاشتراكية في بلادكم مصر . . .

ويجيب : تكون بتربية الجمهور على الحكم الديمقراطي والاولاد ثم نشر المبادئ الاشتراكية وادخال بعضها بالتدريج في جسم الحكومة حتى تتشرب بها الامة وتتصبح عزيزة فيها . فتتوخى فكرة الاصلاح التي توجهت اشتراكية فائيا . . . هذا مع تقدم العلم وتفتيح الامم . وانتم بالمطوغات على مصالحها الحقيقية . . .

وهو يقيم صورة مفرقة في الخيال للمجتمع الذي ايزيد . . .
« فبدلا من ان يحكم القرية عمدة ليس لامل القرية رأى في تعيينه يحكمها مجلس منتخب من سكان القرية الراشدين ذكورا واناثا . . . ويعين هذا المجلس خزانة القرية وفاضلها ومهندستها وطبيبها . . . وتؤسس المدارس الزراعية العالية فلا يشتغل في الارض الا من نال شهادة عنها . . . فزرع على اصول من الزراعة » (٢) .

وهو يوضح في هذا الصدد ان الاشتراكية لا تعني ان يزرع الفلاح في الارض الا من نال شهادة عنها . . .
والاشتراكية لا تعني ان يزرع الفلاح في الارض الا من نال شهادة عنها . . .
والاشتراكية لا تعني ان يزرع الفلاح في الارض الا من نال شهادة عنها . . .

وهو يحاول ان ينفي عن الاشتراكية و تهمة « القرية فيقول :
ومن الاعتراضات ايضا القول بان الاشتراكيين ثوريون يمتون
الاستيلاء على الحكومة عنوة ويعملون بعد ذلك على مصادر الاملاك
ومطاردة الاغنياء . . . فان هذا الكلام اولي ان ينسب الى تخطيط المتوهين
منه الى تفكير العقلاء . . . وجهاد الاشتراكيين في الانتخابات البرلمانية دليل

- (١) المرجع السابق - ص ٢٢
- (٢) ص ٣٠
- ٧٠ - راجع ص ١١٠
- ١١ - راجع ص ١١٠
- ٦٢ - راجع ص ١١٠
- ٦٢ - راجع ص ١١٠

عنى أنهم يدخلون البيوت من أبوابها :، ويريدون الوصول الى أغراضهم
بالوسائل الشرعية (١) .

وتبدو نزعة الإصلاحية الفابية واضحة عندما يسمى كل ما يحدث
في أوروبا من إصلاحات كقانون الثماني ساعات والثامنات الاجتماعية بأنها
مجهودات اشتراكية (٢) .

ولكن الرجيل يقنم بالرغم من كل هذه العيوب، دفاعا مجيذا عن
الاشتراكية، ويؤكد أنها منتصرة حتما ، ويصد عنها اتهامات الغرضين قائلا :
« ومن اتهامهم اتهام الاشتراكيين بأنهم ضد الدين ينوون الغاءه عندما
يستولون على أزمة للحكومة ، وهذه فرية لا أساس لها فان الاشتراكية تضم
بين دعائها المؤمن والمطل ، والمسيحي واليهودي على السواء ، وهي تقبل
كل شيء نظام لا يدخل له في الدين » (٣) .

وهو يشن موجما ساحقا على النظام الرأسمالي موجهة اليه سلسلة
من الإدانات والإتهامات لا يد ، وأنها قد فتحت عين الكثيرين على مساوي
النظام وضرورية تغييره . ويبدأ سلامه موسى قرار اتهامه الشجاع قائلا :
« سيأذكر بعض نقائص النظام الحاضر متوخيا الاختصار والاكتفاء بإشارة
عن التطويل والايضاح » .

١ - أننا كنا باستثناء صغير نشغل أولا وأخرا لجمع المال بحيث لا يبقى
هذا الشغل مجالا لعمل آخر . أننا مدفوعون كلنا الى التنافس
والتحاميد والتكاثر . بالمال على قلة قيمته الحقيقية . وهناك ما كان
يجب أن يشغلنا ويملا وقتنا كتأليف كتاب أو اختراع آلة أو تصوير
صورة أو اكتشاف حقيقة خفية أو التمتع بالسياحة أو غير ذلك من
الأعمال التي يكاد يكون كل الشرف الانساني معلقا بها .

٢ - أننا انقسمنا الى فئتين : فئة غنية تكتظ معها بالمأكولات الدسمة
والاخرى فقيرة ترمق العيش ترميقا ، والفئتان تشتغلان بجمع المان
حتى الغنية منهما فاصبحت لذلك قرانا قذرة بيوت الفقراء وعمالنا
ضعفاء القلة الغذاء . واضنح الأغنياء في خيرة كيف يصرفون أموالهم
فمنهم من يركب متن الشهوات فيشجع الناس على البغاء واتجارات
المسكرات ، ومنهم من يخزن أمواله فيضيق على الناس معاشهم .

(١) ص ٢٨
(٢) ص ٢٨

٣ - ثم انظر الى وجد نظامنا الحاضر جملة وظائف غير طبيعية، وغير لازمة اجتماعية، بشرية منظمة مثل الحمامة والبغاء والمقامرة الخ، فان هذه الوظائف، وجملة كفتيجة للنظام الحاضر، وهي اول ما يلحق في نظام اشتراكي.

٤ - ان نظامنا الحاضر اصاع من النفوس شرقها ومن الضعفاء حياضها، بهم فالتاجر يكذب ويخدع ويغش مصنوعاته، حتى انه ليسم الخبز اذا

٥ - ان اكثر الجزائم الحاضرة، ومنا تكلفنا، من سجون فيسبوا الفقراء، فالجوع كافر والبرد اكثر والعراء انكى من الاثين، وهذه تلقى الجحيم في صدور الفقراء وتدفعهم الى الاجرام.

٦ - ان جمع المال يحتاج الى اشياء كثيرة من خزائن الذمة وموت الضمير، وضعف الاحساس، والذين يذون اقرانهم في جمعة هذه الوسائل، يبرهنون على حطة طبائعهم ومع ذلك فهم الذين يبيع لهم ثراؤهم انسال النسل في الامه.

٧ - ان الحروب الحاضرة على ما فيها من بشاعة وشناعة وتوحش وخسائر في الناس والمال والوقت لا تنسب الا لاجل المال وليس الاستثمار الا احدى نتائج نظامنا الحاضر مع ما فيه من الظلم والاسترقاق.

٨ - اقدر واحط ما يقع الناس اليه نظامنا الاقتصادي الحاضر هو الزواج المالي . فان الشيخ الفاني يتزوج بالصنيفة الحسناء الفتية شاريا عرضها بالمال . ولو لم تكن للمال قيمته الحاضرة لما اضطرت فتاة الى قهر عواطفها والرضى بالعيشة مع من هو في عمر خنودها (١) وتعلن الجمافية، وبيداء الكثير من المثقفين مسيرة الهرب، ويلجأ سيلاهما مودى الى الرفق، من الخوف، وما يندم عليه من مراهقة خيالية.

(١) المرجع السابق - صفحة ١٥ وما بعدها .

٨٦ - ٥ (٢)

٨٦ - ٥ (٣)

• رويح تصاعديا: المقاومة الشعبية والعمالية تعود اليهم الثقة في انفسهم
وفي افكارهم ، تفهموا سلامة موسى من جديده ليخوضوا غمار الدعوة الى
الاشتراكية •• اكثر جراءة في هذه المرة •• فلماذا الحذر والعيال يرفعون رايات
للنضال ، ويخوضون بشجاعة نادرة اضرايهم العام •• ولماذا الحذر
والفلاخون يحملون السلاح ، ويقاومون قوات الاحتلال ، ويعلمون جمهورياتهم
الستفنة ويحقتون جزءا من احلام سلامة موسى •• فيقيمون اكشاكا للمؤسسيين
لتعريف الحانا لم يسمعوها من قبل ••

وهكذا يبدأ سلامة موسى فترة جديدة من حياته هي فترة العمل الحزبي
من أجل الاشتراكية ، وهي فترة وجيزة جدا ، ذلك ان قصرها مرتبط يقصر
الانتفاضة الثورية والحد الثوري العظيم الذي صاحبها •• فما ان يبدأ
الحذر •• حتى يعود سلامة موسى ادراجه ، ليكتب في الصحف محاولا ان
يستلهم من افكاره النائية آمالا لغد مشرق •• كتابات شخص وحيد في بعض
المجلات ••

ولن نستفيض هنا في الحديث عن الحزب الاشتراكي المصري
الذي شارك سلامة موسى في تاسيسه ، فهذا الحديث فضل مشتغل
لكننا سنعرض بعضا من مواقف سلامة موسى حتى تستكمل الصورة
عمليا ••

فسلامة موسى واحد من اربعة وقعوا النداء لتاسيس الحزب الاشتراكي
المصري ، وكان يوقعه دلجلا على تطور هائل في موقفه وانعكاسا لتأثره
باحتياجات النضال الثوري العام التي كانت مصر تموج بها في ذلك الحين
والحقيقة ان سلامة موسى كان يسمى في ذلك الحين التي تأسست
« جمعية » اشتراكية غايتها الدرس اكثر من السياسة (١) •• لكن روزنتال
اقنعهم بتاسيس حزب يضم جميع الاشتراكيين •• وسرعان ما تأسس هذا
الحزب ليضم بين صفوفه الماركسيين واشتراكيي الدولية الثانية والفابيين
لكن الجمعية المصرية لم تقرب لهذا الحزب فرصة يتنافس فيها
فبأثره بمحوم مركز ساهمت فيه أطراف عديدة ، من بينها رجال الدين
وهنا يعود سلامة موسى ليتحصن في قبايته ، فيكتب ردا على هذه
الهجمات المركزة يقول فيه : (٢)

(١) الاضرام ١٨٤/٨/١٩٢١

(٢) رؤوف عباس - المرجع السابق - ص ٢٣٦

وإذا كان الوقت أسوأ الأوقات لتأليف هذه الجمعية لاعتبارين :
أولهما : أن البولشفية الروسية قد أخفقت أخفاقتا يكاد يكون تامنا
ونشرت على ربوع البلاد الروسية الوية الخراب والدمار .
وثانيهما : أننا في مازق سياسي لا ينبغي أن يزيد حرجا بما يكفي أن
يتخزع به المعارضون لاستقلالنا في إنجلترا من أن في مصر شيوعيين
وبولشفيين ، وهذه الفاظ تستطير لب سياسة الإنجليز .

وقد بحث زمعوا تأليف هذه الجمعية هذين الاعتبارين ، وقد رأيتهم على
أن التحوف من أن أقامتها قد يكون عاثقا في سبيل المفاوضات الحاضرة ،
أو في نشر المبادئ الاشتراكية المعتدلة ، لا محل له . وذلك لأن البولشفية
قد صرح كثير من الاشتراكيين بعدم موافقتهم عليها ، لأنها لجأت إلى تحقيق
غايتها ظفرة وغالت في تطبيقها . والاشتراكية ينبغي أن تكون بطبيعتها
وبالوسائل التي تتذرع اليها والتدابير التي تتخذها فكرة نسوة وتطور ،
بحيث لا يمنع منها للامة شيء الا بمقدار ما حصلت عليه من الترقية .
فيشرب أفراد الامة مبادئ الإنجاز والفيرة على المصلحة العامة . أما من
جهة المفاوضات فإن أكثر أعضاء الجمعية المزمع تأليفها يحسنون اللغات
الأوربية الائمة ويجيدون كتابتها ، ولن يقصروا عندما يرفع الاستعماري
عقبرته ويندذ بها في الرد عليه وانحامه .

والتأويلين أن الغاية القصوى من الاشتراكية هي إلغاء الملك الفردي
واستبداله بالملك العمومي . ولكن دون هذه الغاية مراحل ينبغي أن تقطع
وهذه المراحل هي في الواقع غايات صفري أهمها : نشر التعليم بين عمال
الامة حتى يدخلوا في دور الوعي الاقتصادي ويتكاتفوا على العمل
لمصلحتهم ، ثم تسمى الجمعية بواسطة النشر في انتاع أولى الأبراريا
كانوا لكي يتبنوا القوانين اللازمة لتحسين مساكن العمال وزيادة أجورهم
وتأسيس معاشات لكل من يبلغ منهم الخامسة والسبعين ، وما إلى ذلك
من الإصلاحات . ونحن على علم تام بأن علاقة الأخر الزراعي مع الممول
المصري هي علاقة انسانية أكثر منها اقتصادية ، بل هي بعيدة عن تلك
العلاقة الجامدة التي تربط ، أو بالأحرى لا تربط الممول الأجنبي بالمامل
الذي يشتمل في معمله . والمالك المصري في الواقع ينبغي أن تكون له
مكانة الموظف العمومي من حيث المسئولية الادبية والقانونية ، لأن سعادة
العائلات المصرية الفقيرة وشقاءها متوقفان على كيفية نظرت بطرق
الاستغلال . . . استغلال الأرض واستغلال العامل . . .

فلماذا السبب لأن تنفق الجمعية موقف القسداً ضد الملك المصري
وأما هي صديق يدلهم على مصالحهم ، كما يدل العمال على مصالحهم
أيضاً ، لأن مصلحة الاثنين واحدة »

والكلمات واضحة الدلالة . ولا تحتاج إلى تعليل . ولكنني فقط
أريد أن ألفت النظر إلى أن سلامة موسى ظل حتى بعد إعلان الحزب
يستخدم كلمة « جمعية »

وبعد أيام يعود سلامة ليعلن بأعلى صوته « نحن فابيون »
ويقول في مقال نشره في الأهرام رداً على هجوم سنته جريدة الإحيثيان
جازيت ، إن حملتكم على الحزب الاشتراكي المصري لا مبرر لها ، فأنفأ ثم
تولف حزباً جديداً وإنما انضممنا إلى الحزب الاشتراكي الذي عاش ونما
منذ مدة بعيدة في الاسكندرية ، وكان أول ما فعلناه في القاهرة أننا إنكرنا
البولشفية بكل صراحة وجددنا مبادئها بلا قيد ولا شرط . وقد كنت أنا
نفسى عضواً في الجمعية الفابية الإنجليزية ، وهي جمعية الاشتراكيين المعتدلين
في لندن ، وغايتنا ووسائلنا هي غايات هذه الجمعية ووسائلها .

وقصدنا الحاضر إن نجمع المعلومات المفيدة عن النظام الانتخابي
الحاضر ، وسياتم بالدعاة الانجليز أمثال « شو » و « ويتز » ، ونعني بهم
أكثر مما ناتم بماركس وانلز ، وسيكون شعارنا التطور والنشوء . لا الثورة
والانقلاب . وسنبداً عملنا متواضعين بالسعى في اجساد القوانين من
معاشرات للشيخوخة ومساكل العمال . وتعليم للأطفال . وامشال ذلك
وسنسترد في كل ذلك بالقوانين الانجليزية .

وهكذا . ومع كل هجوم من جانب الرجعية . كان سلامة موسى
يتخذ خطوة إلى الخلف . متراجعا عن المبادئ التي وقع عليها بنفسه في بيان
تأسيس الحزب الاشتراكي .

وكان طبيعياً بعد ذلك كله أن يكون سلامة موسى من بين هؤلاء الذين
أثروا السلامة ، وانسحبوا من الحزب منذ البداية . معلنين رفضهم
الانتماء للدولة الثالثة .

لكن البعض ينسحب من الحزب ومن العمل العام أيضاً ، بينما يبقى
سلامة موسى في الميدان محاولاً أن يؤدي رسالته على الوجه الذي يراه
ملائماً .

وإذا حاولنا أن نتتبع خطوات سلامة بعد الانسحاب من الحزب
فسوف نجد أنفسنا أمام سلامة موسى القديم ، الفاني كما كان قديماً ،

الذي يدعو إلى الداروقية والالتزام بالمعلم ويهاجم الخرافة ويدعو لحرية
الرأى وإلى التصنيع ، معتقداً إنه يمكنه بذلك أن يهيئ الإذهان للاشتراكية .

وقد كان سلامة موسى فابياً حقاً ، فاختار طريقاً طويلاً جداً ، مؤملاً
أن يصل إلى غايته .

وهو على أية حال يوضح حقيقة منجيه في هذه الفترة في كلمات ذكرها
عرضاً حول الجمعية الفابية في مقال بعنوان « اللورد الاشتراكي وزوجته
الديمقراطية » ، فيقول (١) :

« وناقت « الجمعية الفابية » نشر الاشتراكية في إنجلترا عن طريق
التسرب والانسلاخ ، فقد رأيت طائفة من رجال الأدب والاجتماع أن ينشروا
الاشتراكية بين جمهور إنجلترا دون أن يحتاجوا إلى مضادة وجهتها
لوجه آراء غربية تفازق المألوف مفاومة كثيرة . فيكون من نتائج هذه
المضادة الصحود بدلا من القبول والقتل بدلا من الذبح . فعمدوا إلى
تأليف هذه الجمعية واشتقوا اسمها من « فانيوس » القائد الروماني الذي
حارب هاتينبال البرطنجي وأضعفه بمناوشات جانبية ، يتون أن يصدمه
وجها لوجه . واتخذت الجمعية هذه الطريقة ، فكان أعضاؤها يكتبون
المقالات ويؤلفون الرسائل ويخالفون الأحرار . فينشررون الاشتراكية من
حيث لا يشعر أحد بالخطر الخفي ، حتى يستطيعوا أن يستولوا على الحكومة
وتباج في القاعة مجلة يخرزها أعضاء من هذه الجمعية لا يمكن للقارىء
أن يحش بانها تعمل لنشر الاشتراكية إلا بعد أن يوالى قراءتها لبصحة
أعدادها ، وهذه المجلة هي « ذي فيوستيتسمان » وهي ادبية علمية تشتم
للشيوعيين وكانت مدة الحرب تشيتم الألمان وهي الآن أجرا على الدعوة
الاشتراكية مما كانت قبلا . »

هذه هي بالضبط خطة سلامة موسى ومنهجه في العمل ، وكانه قد
حازق في هذه الأسطر القليلة أن يلخص خطته وآراءه تلخيصاً واعيياً .

مرة أخرى سنحاول أن نلقى مزيداً من الضوء على أفكار سلامة
موسى لتعرف بالتحديد ماذا كان يعنى بالفاظ مثل الاشتراكية والشيوعية
والبولشيفية .

وفي أحد أعداد المجلة الجديدة ثمة سؤال من القارىء ع . ج . من
الاشكثرية يسأل ما الفرق بين هذه الالفاظ : الاشتراكية ، الفابية ،
البولشيفية ، والشيوعية ؟ (٢) .

(١) المجلة الجديدة عدد مايو ١٩٣٠ من ١٩٦٧ ، ص ١٢٨٧ .
(٢) المجلة الجديدة ١٩٣٠/٨/١٩ ، ص ١٢٨٧ .

والجواب الذي قدمه سلامة موسى هو:

« الاشتراكية هي التدرج بالطرق البرلمانية القانونية إلى جعل المقارنات المغلة التي تحتاج لاستغلالها إلى استخدام عمال كالأرض والمصانع والمناجم ملكا للامة .. فالبريد والشكك الحديدية والتعليم والمستشفيات هي في مضمرة إلى حد كبير جدا اشتراكية ، لان الحكومة تقوم بها دون الافراد .. ولسنا نتحب أن تكون هذه الاشياء في أيدي الافراد دون الحكومة .. »

أما الشيوعية والبولشفية فلكلثما مسمى لشيء واحد ، وهي تشبه الاشتراكية في النتيجة ولكنها تختلف في الوسيلة ، لانها تعتمد على الثورة والانقضاض كما حدث في روسيا .. بينما الاشتراكيون يطلبون التدرج عن طريق السبل القانونية ، ولذلك فهي تمثل استبداد العمال بالمالكين

أما الفاشية فهي نقيض الشيوعية ، وهي تمثل استبداد المالكين بالعمال .. وكل منهما ، أي الفاشية (كما في إيطاليا) والشيوعية (كما في روسيا) ، لا يبدأ بالقوانين وإنما يحقق أغراضه اغتصابا وقهرا .. وفي ذلك من الضرر بالناس ما فيه .

.. ولقد انسحب ممثل الفأبية الأول من الحزب الاشتراكي .. ليعمل رئيسا لتحرير مجلة « كل شيء » التي كانت تصدر عن دار الهلال .

.. وفي مجلة « كل شيء » يكتب سلامة موسى بالحديث عن العلم والتعليم وتحرير المرأة ..

وفي بعض الاحيان يهاجم البلاشفة تحت عنوان « المظلومين يظلمون .. » « ليس ينكر أحد أن حكومة القيصر كانت ظالمة .. ولكن هل نحن ينكر الان ان الحكومة الشيوعية ظالمة أيضا .. لقد حكمت إحدى محاكم البولشفيين أن كتب تولستوى يجب مضادرتها واحراقها ، وهذا مع العلم بأن تولستوى كان ينصر العمال في كل ما يكتب ويجهر بظلاماتهم .. ولكنه لم يكن يدرى أن المظلوم يعود ظالما ، (1) »

وفي عدد آخر يؤكد ان اليهود يحكمون روسيا ، وأن ٩٥ بالمائة من أعضاء السوفيئات يهود (2) .

وفي نفس العدد من « كل شيء » ، خبر طويل بعنوان « الجريمة في بلاد السوفييت » .

(١) كل شيء ، ١٩٢٦/١/٤

(٢) المرجع السابق ١٩٢٦/٢/١

وفي بعض الأحيان كان سلامه موسى يفتقد كثيرا من حذره فيقرأه مثلا

بمقدح فورد قائلا:

الملاهي فقد عني بهذا المعنى زيادة إلى زيادة الأجور زيادة فاحشية (١) أما هذه
بل هو يفتقد حذره إزاء هيتلر في مكتب في مقال بعنوان الوطنيه
العاملة :

وفي أوروبا أخذت الوطنية الحديدية أشكالاً مختلفة ، ففي ألمانيا حركة
وطنية ولكنها في الوقت نفسه حركة اشتراكية يقودها الزعيم هتلر (٢) .
لكنه بالرغم من هذه الإخطاء كان يتخذ في الأساس موقفاً مخلصاً
وصادقاً .

لقد فهو يدعو للديمقراطية والحرية . ويكتب افتتاحية بعنوان روه ركينا
الحضارة : - العلم والديمقراطية (٣) . أعلننا . - أن الديمقراطية هي الركن
الثاني الذي تقوم عليه هذه الحضارة .

ثم يقدم تفسيره لكلمة الديمقراطية قائلا : إن فكرتها الأساسية هي
التسوية بين البشر في الحقوق والواجبات ، والغاء الأثرة التي يتألفها فريق
من جزاء الاختيار الأموال وتوارثها جيلاً بعد جيل ، حتى يتسنى لكل فرد
أن ينال ثمرة تعب الحق . فلا يكون امتيازاً إلا لقدر الناس على بخدمته
الناس . ثم يفتقد نفوذ هذه الفكرة نفوذاً سريعاً في العشري وكان من نتيجته
انتشار ما كان اتجاه التقدم الاجتماعي ثلاث وجهات رئيسية :

- ١ - وجهه الغاء الفوارق بين الطبقات الاجتماعية .
 - ٢ - وجهه الغاء امتيازات الرجل على المرأة .
 - ٣ - وجهه الغاء استغلال الشعوب القوية للشعوب الضعيفة .
- ولا شك ان كلمات كهذه كانت عظيمة الأثر ، جمة الفائدة .

بل هو ينتهز الفرصة في بعض الأحيان ليمتدح على استحيا بعض
مواقف البلاشفة . ففي افتتاحية عدد آخر من كل شيء يقول (٤) :

- (١) جيوبنا وجيوب الأجانب ص ٥٦
- (٢) المرجع السابق - ص ١٠
- (٣) كل شيء - ١٩٢٦/١/٤
- (٤) ١٩٢٦/١/١٨

رأه أن الملشنيين = بين سيئاتهم الكثيرة - حسنة واحدة يحق لهم
أن يفتخروا بها ، وهي أنهم أدرکوا شأن العلم في المجتمع . فعملوا له
المكانة الأولى في نظامهم .

ثم قد طالعنا أنهم قسموا المهن إلى بضعة أسام باعتبار فائدتها
للمجموع ، فعملوا في مرتبة واحدة = وهي المرتبة الأولى = المعلمين والوزراء
وسواهم بينهم من حيث الاجر والمكافاة ،

وعلى صفحات نفس المجلة - وفي أعداد لاحقة - كتب دفاعا عن الفلاح
بعضوان = ابونا الفلاح ، (١) يطالب فيه بتحديد القيمة الاجارية
للارض الزراعية .

وفي كلمات تلهب حماسا يدعو سلامة موسى إلى مقاطعة المضائق
الاجنبية فيقول :

و انما في حاجة إلى اخلاق مضرية جديدة تكون لها قوة الايمان الخبيث
في النفوس . فلا نذوق كسرة خبز نعرف انها خلطت بقيق اجنبي ولا نأمن
بذخول شيء من الطعام الاجنبي في منازلنا ، فلا لحم ولا حنظل ولا فواكه
اجنبية تمسها اليد المصرية . بهذا وحده نحقق لبلادنا كرامة اقتصادية
تزيدنا شروة وقوة . (٢)

ولقد واصل سلامة موسى مسيرة طويلة ومجيدة حقاً .

فحدث قراءة كثيرا عن غاندي ، ودعا كل فلاح إلى أن يكون له مغزل
الخشبي ليصنع ملابسه . وأسس في المدينة جمعية للمصري للمصريين .
ودعا إلى التصنيع وإلى التعليم وإلى أشياء كثيرة جدا .

ولقد مضت على الأمة المصرية فترات عصيبة ومظلمة ، كان صوت
سلامه موسى هو الوحيد الذي ارتفع فيها . منددا بالظلم مدافعا عن الحق
والعدل والديمقراطية . أحيانا في جراءة . وأحيانا في منساوره . يدعو
إلى ما يظن أنه اشتراكي . لكنه في واقع الامر مجرد خيالات فانية لا يمكنها
أن تتحقق بغير نضال جزئي جاد .

لكن صوت سلامة موسى كان بغير شك صوتا شريفا وإنسانيا

(١) ١٩٢٧/٨/٢٩
(٢) سلامة موسى - جيوبنا وجيوب الاجانب ص ٥٤

وهذا خصيا... كما انه... وبغير شك ايضا... قد اثر تأثيرا بالغا في دائرة
واسعة من المثقفين المصريين...
... ولهذا فان الحديث عن سلامة موسى لن ينتهي بهذه الصفحات

ذلك اننا سنتحدث عنه كثيرا في صفحات قادمة... فهو جزء اساسي من
تاريخ النضال المصري الذي امتد بعد هذه الفترة...
يبقى بعد ذلك سؤال هام: لماذا اعجزت الغابية عن ان تجد لها

انصارا في مصر بالرغم من المحاولات الدؤوبة والمثابرة المتفانية لثقف مرموق
كسلامة موسى...
والاجابة على هذا السؤال ليست سهلة فهي بحاجة الى تحليل
عميق لطبيعة المجتمع المصري الذي حاول سلامة موسى ان يزرع فيه الفكر
الفاني

ولطبيعة موقف الجماهير المصرية والمثقفين المصريين اليساريين من
هذا المجتمع...
ان اساس الغابية يقوم على فكرة اصلاح النظام القائم والتغيير العملية
ادارة الحكومة لبعض المنشآت (السكة الحديد والبريد والبرق) بحيث تمتد
لتشمل قطاعات اوسع في مجال الانتاج

لكن المصريين كانوا اقدم حذوا وموقفنا صيارما من النظام ككل والنظام
نفسه كان فاسدا بحيث لا يمكن مجرد بث الامل في اصلاحه ، وادارة
الحكومة للنشازيع التي تمتلكها لم تستخدم بصورة اذرة اطلاقا لاجذب اى
اهتمام بها

وباختصار لقد حاول سلامة موسى ان يزرع احلامه عن الاصلاح
التدريجي للنظام في ارض كانت ترفض النظام برمته...
ولقد بذل سلامة موسى كثيرا من الجهود المباشرة والاطمئنان بعشرات
الشبان والمجموعات وغير المباشر بما كتبه من مئات المقالات وعشرات
الكتب مستهدفا اقسام قرائه ، واصدقائه بفتناده النظام القائم وضرورة
اصلاحه وتطويره لكن الكثيرين ممن تأثروا بسلامة موسى تأثرا مباشرا او تلامذوا
على كتاباته اكتفوا بالشق الاول من تعاليمه فاقنعوا بفساد النظام
القائم لكنهم ساروا في ركب المطالبين بالاطاحة به ، واقامة مجتمع اشتراكي
حقيقي بدلا منه

وليس هنا مجال ترديد الاسماء، فهي عديدة .. أسماء هؤلاء الشبان الذين التقوا حول سلامه موسى في الثلاثينات سواء في جمعية المصري للمصري أو في جمعية الشبان المسيحية ، وكونوا معه حلقات للدراسة وندوات مستمرة ربما وصلت في بعض الاحيان الى حد ايجاد شكل شبه تنظيمي .. لكن هؤلاء جميعا ما لبثوا أن انفلتوا من بين يدي سلامه لينضموا الى المنظمات الماركسية ..

والغريب في الامر أن سلامه موسى لم يكن يعارض هذه الخطوات من جانب تلاميذه .. بل انه لم يخف ارتياعه تجاه المنظمات الشيوعية التي نشأت في الاربعينات .

ذلك أن سلامه موسى كان فابيا من نوع خاص .. وربما كانت فابيته مسألة متعلقة بقدراته الشخصية على مواجهة النظام وتحديه ..

والتسليم الى ايدى اعدائهم . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .
في هذا اليوم في يومنا هذا . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .
فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .
فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .
فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .

وانه اذا اذعنوا اليه . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .
فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .
فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .
فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .

فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .
فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .
فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .
فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . . فليدعوا اليه اعداءه ليؤذيوا وجهه له . . .

... ..

الإشتراكية الدولية الثانية

... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

والحقيقة أن فكر الدولية الثانية قد تسلسل الى مصر من خلال أكثر من موقع . وقد لعب الى حد ما دورا ايجابيا في لفت أنظار قطاعات واسعة من المثقفين المصريين نحو الإشتراكية .
ولسوف نرى فيما بعد أن الحزب الإشتراكي المصري الذي تأسس في عام ١٩٢٠ كان تحالفا بين إشتراكيي الدولية الثانية وبين القوى الماركسية والإشتراكية الأخرى .

ومن هذه الزاوية فإن دراسة المصادر المصرية لهذا الفكر وآرائها وأوضاعها الطبيعية والمستار الذي اختارته لنفسها تصدق أن بدأت مطاردة السلطات للقوى الإشتراكية. كل هذه المسائل ضرورية حتى نلتقي بالضوء على معالم هذا الحزب الذي تكون شريعا في مطلع العشرينيات ز ابعاد راية الماركسية لأول مرة في مصر .

ولقد قلنا ان أفكار إشتراكية الدولية الثانية قد ترتببت الى مصر عبر مسالك مختلفة. ونحن نحاول هنا أن نستخدم بعض النماذج وهي مجرد نماذج في الأفكار والواقف والاتجاهات التي عبرت عنها ايدولوجية الدولية الثانية عندما تلاحمت مع فكرة البرجوازية الوطنية والعلية في المجتمع .

ولنبدا بالحزب الوطني . وخاصة محمد فريد . الذي اقام علاقات وثيقة مع الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية في أوروبا . وقد حرص فريد على حضور سلسلة المؤتمرات الدولية التي دعت اليها الدولية الثانية . فحضر المؤتمر الثامن عشر للسلام وتمتع الحزب الذي

عقد في استكهولم في أغسطس ١٩١٠ وعقب عودته الى مصر أسس جمعية
للسلام العام بوادي النيل برئاسة عزت بك شكري كفرع مصرى لهذا
المؤتمر ..

وقد قررت اللجنة الدائمة للمؤتمر في بون منح هذه الجمعية عضوية
المؤتمر العالمى للسلم (١)

وقد حضر فريد أيضا مؤتمر السلام العام بجنيف في سبتمبر ١٩١٢
ثم مؤتمر السلام العام في لهاي في أغسطس ١٩١٣ ومؤتمر الاجناس
المضطهدة Nationalities and subject Races Conference

الذى عقد في لندن (يناير ١٩١٤) ثم مؤتمر
المؤتمر الثانى للاجناس المضطهدة الذى عقد في لوزان في يونيو
عام ١٩١٦

وإذا كان حزب محمد فريد ليس عضوا في الدولية الثانية ومن ثم فان
الفرصة لم تتح له لحضور المؤتمرات العالمية لاجزاب هذه الدولية
فقد حرص على ان يقيم علاقات بهذه المؤتمرات وأن يقدم اليها واستمرار
مذكرات عن تطور الاحداث في مصر فمقدم مذكرات الى مؤتمرات استكهولم
في اكتوبر ١٩١٧ ثم مؤتمر برن في فبراير ١٩١٩ ثم مؤتمر لوسرن في
اغسطس ١٩١٩

شأن وفي هذه المؤتمرات كان فريد يقيم علاقات مباشرة وفعالة مع اكثري
من ممثلى احزاب الاشتراكية الديمقراطية ومن بينهم هندرسون رئيس حزب
العمتال الانجليزى الذى تقابل معه اثناء انعقاد مؤتمر برن والذى تقدم له
وعودا كثيرة ..

كذلك اهتم فريد بدعوة كثير من الاشتراكيين الاوربيين للحضور
المؤتمر الوطنى المصرى الذى عقد في بروكسل ١٩١٠ فحضر من الانجليز
كير هاردى Keir Hardi زعيم حزب العمال ومن الحزب الاشتراكى
الفرنسى جوستاف رومانيت Gustave Rounanet نائب رئيس واشتراكيون
آخرون من المانيا وبلندا واطاليا ..

وقد تولى الرئاسة الشرفية للمؤتمر على التوالي مستر بلنت وكين
رعدا (١) عبد الرحمن الرافعى محمد فريد ص ٢٧٨

هاردي وراوجانيور *Auegugneur* النائب الاشتراكي-الفرنسي عن ليون
والسنيور *Degubernati* عضو مجلس الشيوخ الايطالي

وقد اعتذر السنيور *Degubernati* عن حضور الجلسات لانشغاله في أعمال
المؤتمر القومي الايطالي للسلام الذي عقد في ذلك الحين بزوما (١).

ومن على منصة المؤتمر وجه محمد فريد تحية حارة الى أعضاء مؤتمر
السلام العام في استكهولم مؤكدا تقديره العميق لنضالهم (٢) كذلك وجه تحية
حارة الى د. كير هاردي الزعيم البريطاني المشهور ورئيس حزب العمال
صديق المصريين والذي يعلن باستمرار تأييده العميق لكل للشعوب وخاصة
للأمة المصرية، ان كير هاردي انجليزي يكرس حياته من أجل إقرار السلم
والعدل واننى أدعو الى تحيته حارة (٣)

وقد تلقى المؤتمر سيلا من برقيات التأييد من القوى الاشتراكية
والسلامية في أوروبا فهناك برقية من لوسيان لوفوراي *Lucien Le Foryer*
ممثل جمعية السلام من أجل العدل الفرنسية

وبرقيات أخرى من المجر وإيطاليا وبلجيكا وإيرلندا وألمانيا

والحقيقة أن هذا المؤتمر - الذي لم يهتم المؤرخون بدراسة أعماله
يمثل مرحلة هامة للغاية من تاريخ نضال الحزب الوطني فهو محاولة لإحداث
التحام حقيقي بين مثقفي الحزب ومثقفي أوروبا وخاصة اشتراكييها وهنوة
أيضا محاولة جادة لوضع أساس اجتماعي مدروس للنضال الحزبي
أنه محاولة من الحزب الوطني لكي يقدم لجماعته ولاصدقائه في
أوروبا ولنفسه أيضا جهدا فكريا ممتازا ودراسات عميقة لمختلف المشكلات
الاجتماعية والسياسية التي تواجهها مصر

فقد قدمت للمؤتمر سلسلة من التقارير الهامة مثل (٤) :

- * مستقبل مصر
 - * الامتيازات الاجنبية في مصر
 - * التعليم في مصر
 - * التشريع في مصر
 - * دور الصحافة في مصر
- حامد العلايلي
مصطفى الشوريجي
رفعت وفيق
عبد السلام ذهني
عبد الرحمن الزافعي

(1) Ouvree du Congrès National Egyptien tenu à Bruexelles 1910. P. 10.

(٢) المرجع السابق ص ٧

(٣) المرجع السابق - ص ١٣

(٤) المرجع السابق ص ٤٨٥

* الصناعة في مصر
 * تقرير عن حالة الجيش المصري
 * على بك ثروت
 * أعدده عدد من ضباط الجيش المصري
 * لم يذكروا أسماءهم
 * الصحة العامة في مصر
 * منصور زفعت
 * الحالة الاجتماعية في مصر
 * طه العبد
 * وفي اعتقادي أن هذه التقارير تمثل أول دراسة شاملة وعلمية يقوم بها حزب مصري بهدف تحديد موقف واضح من مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية
 * وفي اعتقادي أيضا أنها كانت خطوة ضرورية لأحداث تحول اجتماعي جاد في مناهج الحزب وبرامجه وأفكاره

كذلك فإن هذا المؤتمر كان فرصة هامة لتجميع قوى عديدة خلف شعارات الحزب الوطني والذي يطالع وثائق هذا المؤتمر يلاحظ كثرة عدد المنادين المصريين وحماستهم ويلاحظ أن بينهم شخصيات لم تكن مفتومة للحزب الوطني أو على الأقل لم يعرف عنها ذلك - مثل محمد حسين هيكل (١) وآخرين

ولقد كان المؤتمر فرصة لكثير من اشتراكي أوروبا ليستعرضوا فيه آراءهم تجاه مسألة المستعمرات وهو موضوع تحدث فيه كثير هاردي في أكثر من جلسة من جلسات المؤتمر
 وكذلك وقف الاشتراكي الفرنسي جوستاف زوانيه ليلقي كلمة هامة قال فيها:

أود أن أعرب لكم عن أسفي ، أولا باعتباري فرنسيا ينتقد موقف الحكومة الفرنسية من القضية المصرية وباعتباري اشتراكيا ذلك أن حزبنا قد أسهم مساهمة كبيرة في عقد الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا لكنني أعلن بأعلى صوتي أننا لم نكن نستهدف مطلقا إلحاق الضرر بمصر ، وإن النتائج التي ترتبت على هذا الاتفاق لم تكن سوى نتيجة لخيانة انجلترا والحكومة الفرنسية ، لقد كان هدفنا الوحيد من هذا الاتفاق هو إقرار السلام ، ولكن لا يمكن لبيلام أن يستقر طالما كان هناك استعباد ، أنني كوطنى فرنسي وكاشتراكي فرنسي أتمنى تحرير الأمة المصرية تحريرا عاجلا ونافيا (٢)

(١) المرجع السابق - ص ٣١
 (٢) المرجع السابق - ص ٤٣

ونلاحظ أيضا أن محمد فريد بدأ أولى بحديث هام لجريدة الأومانيقية الفرنسية في أغسطس سنة ١٩١٠ وأنه واصل فيما بعد محاولاته لإقامة علاقات مع القوى الاشتراكية في أوروبا. . .

.. وفي الداخل فأننا نلاحظ هذا التحول الذي طرأ على سياسة الحزب من تأييد للعمال في إضراباتهم ومن تأسيس لنقابة عمال الصنائع اليدوية .. ثم إقامة مدارس الشعب الليلية .. ثم انشاء التعاونيات التي ألح فريد كثيرا على الاهتمام بها ..

ومن الإستانة يرسل فريد إلى عبد الرحمن الرافعي يقول :

« لم اسمع من عدة بتشكيل نقابات جديدة أو جمعيات تعاون .. ولعلني استمع قريبا بأخبار ما تؤسسونه من النقابات والجمعيات .. واني أقترح عليك أن تكتب تقريرا عن حالة النقابات بمصر وتاريخها وبعض إحصائيات عنها وعن أعمالها لظهر للعالم شيئا من آمالنا العملية » (١) .
وفي برلين يدلي فريد بحديث لمراسل Berliner Tageblatt يقول
فيسه :

« اننا نبذل جهودنا لتعليم الشعب المصري .. ولقد أسسنا في المدن عددا من النقابات ، وفي المدارس نقوم بتعليم العمال للقراءة والكتابة .. كذلك أسسنا جمعيات تعاونية زراعية وبنك تعاوني .. لقد تعلمت أن اتحدث عن هذه الجهود بالتفصيل لكي أوضح أن حركتنا ليست مجرد حركة سياسية وإنما هي أيضا حركة اجتماعية واقتصادية » (٢) .

لقد كان طبيعيا أن تتحرك هذه العلاقات والاتصالات بإشراكين الدولية الثانية أثرا هاما في مواقف فريد وآرائه .. وبدأت خطبه تتخذ اتجاهات جديدة تدافع عن العمال والفلاحين والقوى الكادحة ..

وفي الجمعية العمومية للحزب الوطني التي عقدت في ١٩١٢/٣/٢٢ وقف فريد ليطلب أعضاء حزبه بواجبات جديدة :

« لا بد لكم من العناية بنقابات العمال وبت مبدا التضامن بينهم والدفاع عن حقوقهم واستصدار القوانين الضامنة لهم عدم التكف عن المشيخوخة او عند الاصابة بما يمنعهم من الكسب . ارجعوا البصر الى حال العمال في مصر سواء عمال المصانع او عمال الزراعة واقصد بهم جماعة الفلاحين

(١) عبد الرحمن الرافعي - مذكراتي - ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق .

الذين لا يملكون أرضاً ويعيشون من العمل باليومية أو من استئجار الأرض
لا يتجدوا أنفسهم في أحط درجات الفقر، فالعامل لا يحصل على قوت يومه
إلا بعد أن يشتغل اثنتي عشر ساعة كل يوم على الأهل والفلاح لا يحصل
على ما يسد الرمق إلا أرباب أنواع الخبز بلا إدام ولا يشق النفس (١)

وعلى صفحات اللواء تنعكس هذه الانتاجات في كتابات ضريحة عن
الاشتراكية أو أن المصري كان لا يعرف شيئاً عن الاشتراكية قبل عهد
اسماعيل من الموظف الصغير الى العامل الفقير إلا أن تطور النظام الاجتماعي
أدى الى ظهور الاشتراكية ونظراً لأن الأموال المستثمرة اجنبية، وأن هناك
الدين المصري الرسمي والاهلى فان نظرية ادخال مبدأ الاشتراكية في الحكم
لا يمكن تطبيقها على حالنا في مصر بدون خطر يهدد كياننا، أما الاشتراكية
من حيث تعاليمها الاجتماعية فاننا في مقسمة من يدعو إليها ويبشر بها
لأننا نرى فيها الضمان لحفظ التوازن ما بين غنينا الجاهل المتكبر وفقيرنا
المجدّب الفقير (٢)

ولقد تارة نوع من الخلل حول طبيعة هذا المسلك وهذه العلاقات التي
انماها الحزب الوطني تحت زعامة محمد فريد .. يحاول البعض أن يؤكد
انها كانت اراءيات لاجاه نحو الاشتراكية .. وينفي الآخرون ذلك (٣)
لكن الشيء الذي لا شك فيه أن هذه العلاقات مع اشتراكي أوروبا قد تركت
آثاراً واضحة على ذلك العديد من شباب الحزب الذين سوف بزاهم بعد
قليل جداً من الزمن يكونون الجمعية المصرية في باريس ثم ترى أسماء
البعض منهم ضمن مؤسسي الحزب الديمقراطي .. وأسماء أخرى تسبهم
بديور في تأسيس الحزب الاشتراكي .. ثم الحزب الشيوعي، أسماء مثل
محمود عزمي، عصام الدين حفني ناصف، محمد الدين حفني ناصف، طراف،
عبد جوده، عبد سعيد الفتاح القاضي، ومنصور فهمي .. وآخرون (٤)

١٩١٦ (١) عيد الزعيم الراحل محمد فريد المرجع السابق ص ٢٦٦
(٢) اللواء ١٩١١/٧/١
(٣) راجع رؤوف عباس المرجع السابق : ومحمد عبد العظيم رمضان
تطور الحركة الوطنية في مصر
(٤) راجع مختصر النقاش مع عصام الدين حفني ناصف حيث يقرز انه
كان عضواً في الحزب الوطني ثم اتجه يساراً بتأثير الفكر الاشتراكي الألماني
راجع كذلك محمد أنيس دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ حول الدورة
الثوري المتطرف الذي لعبه مجد الدين حفني ناصف الى الحد الذي دفع سعد
زغلول الى محاولة ابعاده عن باريس واعادته الى مصر لاضعاف تأثيره
على جماهير الطلاب المصريين بأوروبا ص ٢٢٩ - ٢٥٣ (٥)

هذا عن أبناء الطبقة الوسطى . . . والبرجوازية الصغيرة من أعضاء الحزب الوطني والعاطفين عليه . . .

لكن أفكار الدولية الثانية وجيت لنفسها سيلا آخر . . . عن طريق أبناء الذوات وأبناء الفئات العليا من الطبقة الوسطى الذين أتاح لهم شراء أسلحتهم القدرة على السفر لتلقى العلم بالخارج . . .

وعاد هؤلاء بعد عدة سنوات تعج عقولهم وكتاباتهم بالحديث عن العدالة وعن الحرية . . . وعن الاشتراكية . . .

ولقد كان تأثير البعض محصورا في مجرد الاتجاه نحو الليبرالية مع مفاهيم اجتماعية متقدمة . . . لكن عديدا من هؤلاء ما لبثوا أن تحالفوا مع دعاة الاشتراكية ، فان أفكار الدولية الثانية في ذلك الحين لم تكن لتختلف كثيرا عن أفكار الليبراليين . . .

ويكتب توفيق دياب ليصور موقعه وأفكاره عند عودته من بعثته البراسية في لندن . . . يكتب موجها حديثه إلى « جون بول » قائلا أنه عاد إلى بلاده « وفي صدره شعلة من نار الحماسة ونور المعرفة ، أما الحماسة فللمثل العليا التي قرأها في كثير من كتبكم ، وأخذها عن كثير من علمائكم وأما المعرفة فبوجوه الإصلاح التي لا بد منها لكل شعب يريد النهوض . . . وأشعار ذوى السلطان أو العلم أو المال بأن سلطاتهم وعلمهم ومالهم إنما هي أدوات في أيديهم لخدمة المجتمع وان قوام الحياة لادنى المواطنين يجب أن يكون غذاء يكتفي . . . ومسكنا صحيا يأويه ، ورعاية طبية تحمي أو تشفيه وظرفا من التربية والتهاميم يسيروا بانسانيته ويحقق نفعه لنفسه وللوطن » (١) . . .

لكن النموذج المثالي للتحالف بين الليبراليين من أبناء الفئات العليا من المجتمع وبين بعض ممثلى اشتراكية الدولية الثانية هو « الحزب الديمقراطي » . . .

فالحزب الديمقراطي لم يكن سوى تجمع سريع لعناصر ليبرالية (متأثرة بالفكر الغربي) وعناصر دينية متحررة وعناصر اشتراكية . . .

ومحمد حسين هيكل نموذج لهؤلاء الليبراليين الذين تأثروا بالفكر الغربي وهو يتحدث عن زيارته لباريس فيقول « ومرت الايام وأنا أرى في مدينة النور ألوانا من الحياة تقسح أمام النظر دافق التفكير وتزيد

(١) توفيق دياب - اللوحات - المجموعة الأولى - ص ١٠٢

الانبيان ايماننا بحرية العقيدة والرأى . وبيان التعصب قميم وان اول واجب
للايمان ان يديم البحث عن الحقيقة ، (١) .

ويترجم هيكل أجزاء من كتاب زوسو ويهتينا ، التي مصر الحرة ، الى
القلوب الخفاقة بمعاني الحرية والعدالة والاخاء ، (٢) .

والشيخ مصطفى عبد الرازق نموذج للعناصر الدينية المتحررة التي
تجمعت في اول الامر في جماعة « السقور » ، لتدافع من اجل التحرر في فلهم
الدين والحياة . وكان هو ايضا من دعائم الحزب الديمقراطي ، بل ان الاجتماع
التاسيسي للحزب تم في قصر أسرته .

اما رواد الاشتراكية الدولية الثانية في الحزب الديمقراطي فيمثلهم
د منصور فهمي وعزيز ميرهم ومحمود عزمي .

ويروى محمود عزمي قصة تأسيس الحزب الديمقراطي فيتحث عن
لقاء يقينه وبين د منصور فهمي الذي حدثه عن « تأسيس حزب سياسي
تحدث بشأنه بالفعل الى بعض اصدقائه من قبل وتم التفاهم فيما بينهم
عليه وعلى الاسم الذي يطلقونه عليه وهو « الحزب الاشتراكي » ، (٣) .

لكن محمود عزمي يقنعه بان يعمل عن تسمية « المولود الجديد
بالحزب الاشتراكي وان يستبدل به اسم « الحزب الديمقراطي » .

ولم يكن هذا هو المظهر الوحيد لصراع هذه التيارات داخل الحزب
للوليد فهناك أيضا الصراع بين محمد حسين هيكل (الليبرالي ذو اليمين
الرأسمالية) وعزيز ميرهم (الاشتراكي الراديكالي) .

يقول شفيق غريال ، نشأ الحزب الديمقراطي في جو النشيط
للسياسى الذى بعثته الثورة المصرية . والطريف ان عزيز ميرهم عمل على
ان يوجه الحزب نحو الاشتراكية بينما عمل هيكل على توجيهه نحو الفرديّة
و . واختلف الرجلان اختلافا كادا ان يفضى الى حل الحزب وهنا تدخل بينهما
الشيخ مصطفى عبد الرازق بطريقته الحذابة ، واكاد اراه وهو يحكم بينهما ،
واكاد اسمع صوته وهو يسأل هيكل « افانت تضن على الفقراء
بحتمهم في التعليم والتداوى والعيش عيشا انسانيا ؟ واجاب هيكل بطبيعته

(١) مجلة اللغة العربية . المرجع السابق كلمة شفيق غريال في تابين

الديكتور هيكل - ص ٢١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٦

(٣) محمود عزمي ، خبايا سياسية ص ٣٦

الأحبال لا... ثم سأل ميرهم وهل أنت تريد إلغاء الملكية الخاصة في مصر جلالاً
فقال عزيز ميرهم لا... قال مصطفى: أمامكم إذا ميدان فستبيع مشيترك
و... استطيعان المنزل فيه متفقين فتأذا جاء اليوم الذي لا مفر فيه من
اجتلائكم ولا احسبه يجي، قبل سنوات طويلة نظرنا جميعا في الامر وفضلنا
فيه بما يقضى به الحال حينئذ، (١)

وبهذه البساطة امكن للطرفين ان يتفقا وكان ثمرة الاتفاق برنامج
أقرته الجمعية العمومية للحزب بجلستها المنعقدة في ١٠/٩/١٩١٩ تحت اسم
« قانون الحزب » وقد جاء هذا البرنامج خاليا تماما من أية اشارة الى
الاشتراكية لكنه يؤكد في مقدمته ان « مبادئ هذا الحزب تقوم على اساس
المساواة بين الامم والاخاء بين الافراد والذخوض الى اسماى ما يتصور من
الرقى وتأييد سيادة الشعب » واتامة العدل مقام القوة ،

وجاءت المادة الثالثة من قانون الحزب لتحدد عشرة اهداف تمهد
الحزب بالنضال من أجلها ..

والاهداف العشرة تعبر عن سيطرة الفكر الليبرالى مثل :

* تفويض الشعب سلطته الى هيئة نيابية تنتخب على اكمل طريقة
تمثله تمثيلا صحيحا ، ويكون من اختصاصها التشريع ومعرض الضرائب
وحاسبة الحكومة المسؤولة أمامها على اعمالها ..

.. * توحيد التشريع في حدود مصر وتميم تطبيقه على من يسكن
البلاد (٢) ..

* الاعتراف بحق كل شعب في حكم نفسه .

* أما ما يمكن تسميته بالانكار الاشتراكية فقد تردت على استحياء
بعبارات مطاطة مثل :

.. ترقية الطبقات العاملة ادبيا وماديا واعانة من لا يستطيع العمل (٢)

(١) شفيق غربال - المرجع السابق - ص ٢١٨

(٢) وهو مطلب هام يستهدف (١) القضاء على امتيازات الاجانب فيما
يتعلق بالتقاضى .

(ب) احلال التشريع المبنى الموحد محل التشريع الدينى الذى يحتكم
الاحوال الشخصية .

(٣) راجع النص الكامل . مجلة الطليعة . عدد فبراير ١٩٦٥ ص ١٥

ويحاول عزيز ميرهم أن يضع تفسيره الخاص لبرنامج الحزب فيقول : أن الحزب لم يأخذ بالنظرية المصطلح عليها بين كثير من علماء القانون الدستوري والقانون العام ، في اعتباره الديمقراطية سياسية فيجب بل عدما سياسة واقتصادية واجتماعية وخلفية مما . ولن يكون بنوا ديمقراطيا حقا الا اذا حقق - الى جانب نواحي الديمقراطية في النظم السياسية - النواحي الديمقراطية الاخرى في ميادين الاقتصاد والاجتماع والاخلاق ، وعلى هذا الاساس لا نجد البلاد الكبيرة في القارة الاوربية - فيما عدا بلاد السوفييت - بلادا ديمقراطية بالمعنى الصحيح السابق الكامل لان السيطرة الاكبر من ثروة هذه البلاد يستأثر به نفر ضئيل من الاهلين ، بينما المنتجون الحقيقيون لهذه الثروة - وهم السواد الاعظم من السكان - محرومون من كد ايديهم وثمرات اذمانهم (١) .

كما ان الحزب - كما قال محمود عزمي - قد اهتم بحركة العمال وكانت لا تزال باقية في الافق فتقاهما برعايته واشرف بعض الشيء على نقاباتها وتاليفها وشكاوى العمال والدفاع عنها ، (٢) .

لكن هذا الخلف الذي تجمع سريعا ما لبث ان تفرق سريعا ايضا . اتجه البعض الى اليمين وربما اليمين المتطرف (الاحرار الدستوريين) واتجه البعض الآخر الى اليسار وربما اليسار المتطرف . لكن ذلك لا ينهي الحديث عن هذا الحزب . ولا عن تلك القوى التي تجملت في داخله ، فثمة اشخاص يتيمين على الدارس ان يتكبح مواقفهم عبر للفترة التالية كي يمكن ان نفهم حقيقة الدواعي والافكار التي حركتهم .

ومن بين هؤلاء ثلاثة ساكتين بالحديث عنهم في عجلة . هيكل عزمي . عزمي . ميرهم .

فكل منهم يمثل جانبا من الصورة :

هيكل : ليبرالي من اسرة اقطاعية يؤمن بالحرية ويكره الاشتراكية . عزمي : مثقف يلعب على الحبال ويتأرجح بين الاشتراكية عندها تقوى وبين خدمة الاقطاع والسير في ركابه عندما تضعف وينتهي به الامر الى خدمة الخديو المخلوع .

(١) عزيز ميرهم - الديمقراطية - ص ٣٨ .
 (٢) محمود عزمي - المرجع السابق - ص ٤٢ .

مهم : أرستقراطي يؤمن بالاشتراكية ايماناً راديكالياً ، لكنه مجرد
إيمان عقلي لا يدفعه إلى اتخاذ أية خطوة ايجابية. وينتهي به
الامر عضواً في مجلس الشيوخ ، وأحد وسائل الوفد لاختضاع
الحركة العمالية لنفوذ البرجوازية .
هذا الحلف الذي تجتمع في «الحزب الديمقراطي يستحق التأمل»
وموافقة المستقبلية تستحق الدراسة . .

فهيكल : الذي كان يظن أن قضية الاشتراكية لن تطرح الا بعيداً
سنوات طويلة ، والذي اتعنه الشيخ مصطفى عبد الرزاق بأن أمامه ميدان
فسيح للعمل مع الاشتراكيين ، لم تلبث أحداث الصراع الطبقي العنيف الذي
فجره اعلان تكوين الحزب الاشتراكي المصري أن تدفعه الى أن يفصم عرى
هذا الحلف ، ويعمل في صراحة معارضته لتأسيس الحزب الاشتراكي . فينشر
في الاحرام مقالا بعنوان « الاشتراكية في مصر » جاء فيه (١) :

« أريد أن أسأل اخواننا الاشتراكيين : هل ترون البيئة المصرية
الحاضرة صالحة لتقيام مبدئكم فيها أم انها على عكس من ذلك معادية له ،
فمحاولة ادخاله اليها - فضلاً عن انها غير منتج - قد يكون من ورائها
ارتباك يجعل بهم الا يجروا البلاد اليه . لا شك أن اخواننا يعلمون عن
يقين أن من أقوى ردود الفرديين على الاشتراكيين أن نظريتهم اذا صحت
في الصناعة فهي لا تصلح في الزراعة ، لأن الناس فيها يعتقدون ليست بينهم
جامعة ضرورية كعمال الصناعة ، ولأن الملكية الصغيرة لا تزال منتشرة جد
الانتشار في النظام الزراعي . . الا يضح أن نسأل اخواننا الاشتراكيين
المصريين عن مبلغ تطور نضال الطبقات في مصر وإلى أي حد وصل ؟ وهل
لامست فكرة النضال نفس العمال واستفزتها الى حد تمكن الاحساس بها
من فؤادهم ؟ واذا صح ان كان لذلك شبه وجوده في بعض الصناعات فهل
هو موجود في الصناعات الاخرى ؟ وهل يمكن أن يكون موجوداً في الأرياف ؟ . .
فاذا قدر لحزبنا الاشتراكي أن يتولى الحكومة أول ما يتم لمصر الاستقلال افترده
يقتصر على ترك الفلاحين كما هم ، أم هو يعمد الى إلغاء الملكية حتى الصغيرة
منها ؟

انني أشرك اخواننا الاشتراكيين فيما يرمون اليه من ضرورة اصلاح
الطبقات الفقيرة ووضع قوانين لضمان المعيشة وما الى ذلك من النظم . .
ولكن شتان بين هذا وبين الاشتراكية . . وان هذا كله ممكن التحقيق والملكية
الفردية قائمة ، ولن تكون اشتراكية الا اذا ألغيت الملكية الفردية . . فاماننا

١٩٢١/٩/١٧

(١) الاحرام ١٧/٩/١٩٢١

إذا رأى لخواننا الأكتفاء بهذا والسعى له ، حتى إذا تم كان لنا أن ننظر في النظام الذي يجيء بعده مستلهمين الراى من تاريخ تطور مصر الاقتصادية فهم طلاب اصلاح اجتماعى لا اشتراكية . . . ولما أن كانوا يزرون البيئة سالحة لنشر الاشتراكية . . . فليقتضوا بانها منا هذا على طريقة علمية دقيقة . . . وقد يمكن بعد الإخذ والرد إن نقيهم وإياهم فما نريد الا مصلحة البلاد . . .

انما محاولة ماهرة جديدة لاعادة تكييل الاشتراكيين في اسار حزب كالحزب الديمقراطي . . . وعندما تفشل المحاولة ، يبرز هيكل قطبا من اقطاب حزب الاقطاع (الأحرار الدستوريين) . . . وان كان قد ظل لوقت طويل يردد افكارا ذات صبغة ليبرالية ، لم تنس في أية لحظة عدائها للاشتراكية وللبلشفية وفتحت صدرها لاي هجوم عليها . . . ولتتابع سريرا بعض أعداد السياسة . . .

مقال بعنوان « تولستوى والثورة البلشفية » (١) والمقال في جوهره هجوم على البلشفية واتهام لها بأنها تنشر الحقد والإرهاب . . .

وفي رسالة من باريس حول اختلافات أول مايو هناك ، تقول السياسة « كان الحزب الشيوعى قد أغرق باريس في عيد العمل بمنشوراته وغطى جوانب جدرانها بإعلاناته ، تساءلت « الأيكودي بارى » من أين له هذه النقود ؟ . . . إن أحدا ليس من البساطة بحيث يعتقد أنها من جيوب العمال . . . أن الحزب الشيوعى له مصادر خاصة بنوع العنادة ، ونحن من الشجاعة بحيث نقول ان مصادر هذه في الخارج . . . فهو وكيل أكبر مشروع مخيف للخيانة وضع ضد بلادنا المسكينة » (٢) . . .

وفي عدد آخر تقول السياسة بعنوان « بسلام العالم » ، لا ريب أن غاية غايات السياسة الروسية هي إحداث ثورة عالمية لنشر المبادئ الشيوعية . . . وأقطاب السياسة الروسية يبذلون جهود الجبابرة لتحقيق هذه الفكرة . . . بل هم يستحلون الحرب ويفضلونها على السلام لتحقيق فكرتهم هذه . . . وقد أدركت أوروبا هذه الحقيقة فصارت تعتمد على قواها المسلحة أكثر من اعتمادها على المعاهدات ، (٣) . . .

وفي عدد آخر مقالين الأول بعنوان « القضية التركستانية » ، تعاضد الشعوب الروسية في محاربة البلشفية . . . والثانى بعنوان « المشائق

(١) السياسة الاسبوعية ١٢/٢/١٩٢٧

(٢) ١٩٢٧/٥/٢١

(٣) ١٩٢٧/٦/١٨

في بلاد البلشفة . . . ايمان زعماء السوفييت في حكم الارهاب ، (١)

وتصف « نصر الله اسماعيلوف » بأنه رئيس الشناقين البلشفيين (٢) .
وهكذا سلسلة لا تنتهي من الهجوم المستمر والمتعدد الجوانب في كل
عدد من اعداد السياسة . . .

وإذا كنت سأحدث تفصيلا في فصل قادم عن الحملة المعادية
للبلشفية ، الا انني فضلت أن أشير هنا الى قليل من هذا الكثير في محاولة
لاعطاء للصورة ابعادها الحقيقية . . .

وإذا كانت هذه الكلمات كافية لتحديد حقيقة الاتجاهات والآراء التي
دافع عنها هيكل ، فانها تصلح ايضا - وبنفس الدرجة - لتحديد طبيعة
موقف هؤلاء الذين تعاونوا معه في اصدار « السياسة » مثل محمود عزمي
ومحمد عبد الله عنان . . .

. . . اما محمود عزمي هو مثقف يعلن اشتراكيته أحيانا ويخفيها أحيانا
كثيرة ، وقد كان متزوجا من روسية يضاء لها ابن عم بلشفي معروف
. . . فكان يستغل الموقف على الوجهين أيضا . . .

ومحمود عزمي انتقل من الحزب الديمقراطي الى الحزب الاشتراكي ،
لكن عزمي ظل طوال حياته يؤكد أنه ضد البلشفية . . . وقد اقام محمود عزمي
في العشرينات علاقات مع بعض الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا ،
وفي عام ١٩٣٠ كون مع عدد من المصريين المقيمين بأوروبا « لجنة تابعة
لجماعة حقوق الانسان » . . . وهو يفاخر بأن الاتحاد الدولي لحقوق الانسان
قد اعلن « عداه لكل نظام ديكتاتوري يميني أو يساري ، فاشي أو
بلشفي » (٣) . . .

وهو مرة أخرى يفاخر بأنه « مسجل عند الشيوعيين في عداد
الرجعيين ، لاني مثقف من ناحية والمثقفون في عمومهم خصوم لذلك النظام
الاحمر ، ولان لي مقالات ضد « الشيوعية » (٤) . . .

وعقب بدء الحملة على الشيوعيين عمل عزمي في جريدة « السياسة »
جريدة حزب الاحرار الدستوريين (٥) . . .

(٢) ١٩٧٢/٨/٢٠

(١) ١٩٢٧/٦/٢٥

(٣) محمود عزمي - خبايا سياسية - المرجع السابق ص ٨٠

(٤) المرجع السابق - ص ٨٢

(٥) المرجع السابق - ص ٧٠

وعلى منصات السياسة تحدث، مخفوف عزمي كثيرا عن الأخيرة وعن الديمقراطية وعن حقوق الانسان، لكنه يسخر قلمه في الهجوم على الاتحاد السوفيتي والبلشيفية والحزب الشيوعي في أي مكان أتت منه الصناعات التي تفرسنا من التي نفسنا من

فهو يتحدث عن أحداث الحرب الأهلية في الصين، مؤكداً أن الشيوعيين الصينيين كانوا يتلقون التعليقات والأسلحة والأموال من المحقق العسكري السوفيتي (١)

وتحت عنوان «فرنسا والشيوعية» يتحدث عزمي عن الحملة الضخمة التي شنها ميلران عندما كان رئيساً للوزراء على جماعة الاتحاد العام للعمل والنقابات التي حذت إغلاق دار نقابة الجماعة إغلاقاً تاماً ويحدث يتحدث في إزتياع عن الهجمات التي شنها مشيو ساروت على الشيوعية، وعن دوره الحازم القاسي في استجواب كاشان بشأنها (٢)

ثم هو يتحدث عن مظاهرات نظمها الشيوعيون والاشتراكيون في فيينا ويقول: «وأهم ما نذكره خلال ذلك كله أننا هو الموقف العظيم الذي وقفته رئيس الحكومة النمساوية القس زينبل» فقد قامت قيسامة الشعب في فيينا وكثرة أعضاء بلديتها من الإشتراكيين والشيوعيين واضطر الجيش أن يطلق رصاصه دفاعاً عن نفسه ثم جعل للنظام وقتل في خلال ذلك خلق كثير وتقييم الإشتراكيون ومن إليهم إلى رئيس الحكومة بمطالب يلجون في تحقيقها وكان في أولها استقالة الوزارة أو إبطال تعديل فيها بحيث ينخرط في سلكها ثلاثة من نوابهم لكن رئيس الحكومة أظهر من الشجاعة ما أعجب من أجله العالم كله فوقف في وجه المشاعين وقبضه عزيمة مجيدة وأبى أن يذعن لأي من هذه المطالب، إلا أن تقف الثورة ويعود العمال جميعاً إلى العمل وتستنصف الحياة العادية، ورفض بخاصة أن يعترف لأولئك الإشتراكيين بأية صفة، ورفض أن يحسب نفسه مسؤولاً إلا أمام البرلمان وأمامه مجتمعاً في حسنة لا أمام أفراد النواب بل ذهب إلى حد الامتناع عن دعوة المجلس النيابي إلى الانعقاد قبل أن تهدأ الحالة تماماً وسرعان ما تقهر الشيوعيون والاشتراكيون أمام هذا الخلق المتين

ولا يكتفي عزمي بذلك بل هو يؤكد أن موقف حكومة النمسا هو مثل يجب أن يحتذى إزاء كل خروج على النظام (٣)

- (١) السياسة الشيوعية ١٤/٥/١٩٢٧
- (٢) ١٩٢٧/٦/١١
- (٣) ١٩٢٧/٨/٢٧

... في هذا، ينتهي الرجل، تماماً، فهو يهاجم الشيوعيين والاشتراكيين
على السواء، واضرابات العمال تخرج على النظام، وتعنت الحاكم، ورفضه
الضئوف، لارادة الشعب ورفضه عقد الجسائت للبرلمان خلق متين
وموقف شجاع .

... ان عزمي قد تدهور بربيعا .

وهو يواصل رحلته الى مداها . . . فيعمل لحساب الخديو المغزول
لعدة سنوات . سنوات كنت اعمل خلالها الى جانب الخديو باوربا يمزق
شهرى قبره مائة جنيه تضاف اليه مصاريف الاقامة في غير باريس تجعله
قريباً من المائة والخمسين ، (١)

وهو مبلغ مغر بغير شك . . .

وإذا كان محمود عزمي قد انتهى هذه النهاية . . . فان مصير عزيز
ميريم يستحق التأمل هو أيضا . . . وميرهم رجل يتميز براديكاليته . . . يقول
الفكرة ناضجة مدددة واضحة وحاسمة ، لكنك يكتفي بالفكرة ولا يبرح
نفسه في التنفيذ . . . انه يفكر للاشتركية لكنه لا يحب أن يعمل من أجلها
ولا أن يضحى في سبيلها . . .

لكنه مع ذلك رجل يقول ما يريد بشجاعة ، وتستدويه التعبيرات
الحاسمة ، ولا يتقبل التحايل أو الخاورة في الافكار . . .

وعندما اشتد الهجوم على الحزب الاشتراكي ، وعندما بدأ سلامه
مؤسسى وغيره من قادة الحزب يتراجعون . . . هاجمهم ميرهم هجومًا شديداً .
معنا انهم قد خرجوا على الاشتراكية الحقبة . . . قال (٢) : ه انهم لم يتجاسروا
على أن يتحملوا امام الرأي العام المصرى مسئولية اعتناقهم المبادئ
الاشترائية كاملة . . . وأنهم بذلوا جهودهم كي يبندوا التهم التي رماهم بها
خصومهم من أنهم متطرفون خارجون عن الدين هادمون لنظم البلاد الاجتماعية
ولتوانينها الوضعية . . . نتصلوا جميعا من تهمة التطرف . . . ويؤخذ من
اقوالهم أن الاشتراكيين المصريين يقررون أن النظم الحالية نظم مرضية
يحتفظون بها مع تغيير بسيط لا يمس جوهرها . . . وهذا وجه ضعفهم . . .

أولا : لانهم بذلك قرروا أن وجودهم وأن كان مستحسنا فهو غير
ضرورى .

(١) محمود عزمي - خبايا سياسية - المرجع السابق - ص ١٢٦
(٢) الاهرام - ١٩٢١/٩/٢٠

ثانيا : لانهم بالغوا في رضاهم عن الانظمة الحاضرة حتى تهاونوا في الاصلاحات التي يفتقدونها الاشتراكيون الاصمام ، وكانت النتيجة انهم اكتفوا بان ياخذوا من الاشتراكية اسمها - والاسم فقط - دون مبادئها ، وكانوا في الواقع اول الهادمين لوجودهم .

•• ثم ادان ميرهم هجوم بعض قادة الحزب على البلشفية . وقال : « وصل الاشتراكيون المصريون في مجارة الرأي العام ان انكروا البلشفية وطمعنوا في مبادئها ، مع ان البلشفية اصابت او اخطأت - هي على كل حال من الاشتراكية •• واني كنت اود الا يكون لخواننا الاشتراكيون « تفتازانيين » ، اكثر تفتازانية من التفتازاني * ، والا يرموا البلشفية - رغم غلطاتها - بطعنات صدروا بها بياناتهم ولم ينتخبوا منها مبدئيا .

فان البلشفية لم تحقق اخفاقا يكاد يكون تاما - كما يزعمون ولم تنشر على ربوع البلاد الروسية اللوية الدمار والخراب كما يزعمون ، انما البلشفية ناضجة حية •• والبلشفيون عاملون على تعميم المدارس للمولودين وانشاء حدائق للاطفال وملاجئ للشيوخ ومستشفيات للمعوم •• واصبح للغذاء عندهم مشاعا ومخازن البلديات تصرف للأفراد حاجياتهم ، ويدفعون ثمنها من عملهم دون وساطة التجار واصحاب المصارف ، والشعب يختار نوابه وله حق اقالة من يفقد ثقته ، والناس جميعا يعيشون عيشة عادلة منظمة •• وان ما ياخذة اعداء البلشفية برهانا على تخريبها للبلاد الروسية هو برهان فاسد ، فالمجاعة راجعة الى اسباب جوية طبيعية محضة •• اني لا أقول بان البلشفيين لم يرتكبوا اغلطا نظمية ، ولكن هذا شأن القاميين بتحقيق الانظمة الجديدة لا بالتطور بل بالقوة ، اى باستعمال العنف والقلب الفجائي •• ولكنى ارى انه من الفضيحة بالنسبة لهم ، وبصفتهم اشتراكيين ، ان يطعنوا على البلشفية ويفترون عليها لكرهيتهم لوسائلهم •• •• وهكذا فاذا كان اعضاء الحزب من اشتراكيي الدولية الثانية والفايبيين قد اصبحوا « تفتازانيين » ، اكثر من « التفتازاني » •• فان ميرهم - وهو خارج الحزب وبالرغم من انتقاداته للبلشفية قد دانع عنها بحيث بدا وكأنه بلشفي اكثر من البلاشفة ••

وفي مجال آخر يقدم ميرهم افكارا جريئة •• فهو يوجه رسالة الى صاحبة جريدة الامل بعنوان : الثائرة ، يقول فيها : (١)

* الشيخ للتفتازاني هو احد الذين شنوا حملات ضارية ضد الاشتراكية وضد الحزب الاشتراكي في ذلك الحين :

(١) الامل ١٤ / ١١ / ١٩٢٥

« الجهور يتابع ثورته التي لم تتحقق أغراضها بعد » .

ويتحدث عن الثورة فيقول « ليست الثورة في أعمال الهدم والتخريب ولا في اراثة الدماء والقضاء على الانفس » . وإنما الثورة في قلب القديم الفاسد المنحل وفي الانشاء والتجديد . . . فهي دليل الصحة ، دليل القوة ، دليل الحياة . » .

ويقول « بالطبع انما نستحسن عدم الثورة ، ونستحسن الاخذ بنواحي الإصلاح عن طريق التدرج والتطور . . . ولكن ما العمل اذا كانت هناك مقاومة ؟ ما العمل اذا كانت هناك عناصر قوية رجعية تؤخر الجماعة دون أن تسير بها حسب السنن الطبيعية للمتقدم العالمى ؟ ما العمل اذا تقشى الفساد في البلاد بدرجة تجعل النفوس تياس من كل اصلاح تدريجى ، فتوقن أن الهدم أسرع طريق للبناء من مجرد المعالجة » .

« ان الشعب ثائر لا محالة ، ثوران القوى المعتز بحقه ، ثوران الصحيح الحريص على صحته ، ثوران كل كائن يريد الحياة فيقاوم عوامل المرض والغناء » .

« . . . وهو في مقال آخر يطلق فيه على برنامج جديدة الامل . . . يقول « انه من أنصار التجديد الحاسم ، من أنصار معالجة أمور الجماعة باستئصال لداء منها لا باستعمال المخدر أو الملقف من الادواء » . (١) . »

« . . . لكنها مجرد كلمات جميلة وثائرة . . . فساحب هذه الكلمات لم يسهم بأى عمل سوى هذه الكلمات الجيدة . . . وفي عام ١٩٢٩ نجد اسمه ضمن أعضاء مجلس الشيوخ . »

« . . . وفي عام ١٩٣٠ يحاول أن يخضع الطبقة العاملة لقيادة ألفرد . . . وفي عام ١٩٤١ يلقي محاضرات في الجامعة الامريكية . . . يقول فيها ان « الاشتراكية السمحاء بعيدة عن حرب الطبقات وعن الطفرة والعدوان ومصادرة الاموال » . »

ويتحدث عن العلاقة بين العمال واصحاب الاعمال فيقول انها « بدأت تنتج نحو الصفاء والشعور بضرورة التعاون لمصلحة الانتاج العامة ولللمصلحة الخاصة للعمال واصحاب الاعمال جميعا ، وترفع الولايات المتحدة

(١) عزيز ميرهم - الديمقراطية - المرجع السابق - ص ٤١

الأمريكية لواء الزعامة، في نشر هذه الآراء الحديثة، (١) -

لكنه مع ذلك يقرر في نفس المحاضرة « أن البلد المخلص في ميادته ،
العظيم في اقتصاده ، هو الإتحاد السوفييتي ، وهو محط الأنظار لجميع
الإحرار ، والمؤهل الذي تلجأ إليه الديمقراطية الصادقة ، (٢) »

لكنني أستطيع أن أقرر أن عزيز ميرهم رغم كلماته الحاسنة
والواضحة ، ورغم أنه اكتفى بمجرد الكلمات ، قد مر في تاريخ الفكر
المصري مؤزراً عابراً، أن يتذكر أثره يذكر ، وربما كان ذلك لأنه اكتفى
بمجرد الكلمات .

والحقيقة أن الانهيار السريع ، والذي يشبه إلى حد كبير حالة الوفاة
بالتفكك القلبية ، الذي أصاب الحزب الديمقراطي ، لم يكن مستوى تغيراً
عن عجز أفكار الدولية الثانية عن أن تنبت في مصر نباتاً أصيلاً ، ولشوقنا
نرى أن انهيار التحالف الذي كونه الحزب الاشتراكي كان أيضاً تعبيراً
عن نفس الظاهرة .
وقائمة اشتراكي الدولية الثانية كثيرة .

الدكتور علي العناني أستاذ الفلسفة وهو أحد الإريبيه الذين وقعوا بيان
تأسيس الحزب الاشتراكي ، يعلن أنه « يمتنها كل المقب ، وأنها تتنافر مع
طبيعة الوثام الأنساني العام ، وهو يعلن أن اشتراكيته هي الاشتراكية
العملية العملية المعدلة (٣) »

وجنك حسني العرابي أحد الإريبيه المؤسسين أيضاً ، فهو بالرغم
من أنه تزعم فيما بعد عملية تحويل الحزب إلى حزب شيوعي ينتمي للدولية
الثالثة ، إلا أنه يتعين علينا أن نذكر أنه قد ترجم في مطلع العشرينات كتاب
« الحيركة الاشتراكية » لرايمزي ماكدونالد ، وقدمه للقيصري المصري
قائلاً أنه رئيس الحكومة الإنجليزية وزعيم « الدولية الثانية » .

وقد اكتفى العرابي بالترجمة ولم يكتب أي تعليق أو مقدمة ، لكن
مجرد ترجمة كتاب كهذا تمثل بالنسبة لنا دلالة هامة .

(١) المرجع السابق ص ٥١ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٢ .
(٣) الامزام ١٩/٨/١٩٢١ ، وفي وقت لاحق (١٩٢٤) نشر أدته على
العناني مقالا في مجلة كل شيء أكد فيه تمسكه بالفلسفة الهيكلية .
مفكرة الاحادية / Monoisem . فيها ويربط بينها وبين فكرة التوحيد في الانسلام .

- ولست أريد أن أستعرض هذا الكتاب ، لكننى سأكتفى بإشارة واحدة . . . ففى الكتاب الذى ترجمه حسنى المرابى سكرتير الحزب فصل بعنوان « ما ليس من الاشتراكية » . . .

وتحت هذا العنوان كلمتان « الفوضوية والشيوعية » (١) .

أما رابع الاربعة المؤسسين للحزب الاشتراكى فهو « محمد عبد الله عنان » . . .

ومحمد عبد الله عنان « نموذج كلاسيكى لمدرسة الدولية الثانية » . . .

وعنان واحد من الذين سارعوا الى التراجع تحت وطأة الهجوم المموم الذى شنته الرجعية على الحزب . . . فهو ينشر مقالا بعنوان « الاشتراكية المصرية لا تدعو الى ثورة أو فوضى » (٢) .

وأشاد فى هذا المقال بمقالى « الرفيق » سلامة موسى و « الرفيق » على العنانى . . . وتحدث عن الفروق بين الشيوعية والاشتراكية فقال :
« أما اقتران الاشتراكية بالفوضى والشيوعية فهو خطأ جسيم ، لأن الشيوعية تقوم على اعتبار الثروة كتلة عامة يمتلك منها المستهلك حاجته ، لا بالنمى الى خدماته ولكن وفقا لحقوته الطبيعية فى أن تسد حاجاته . . . أما الاشتراكية فانها تعلق المنح على قوة الانتاج وقيمة الخدمات ، فكلا الجداين يتفق فى توحيد الثروة ولكنهما يختلفان فى تحديد حقوق الفرد بالنسبة اليها ، لان الاشتراكية تقرر التوزيع طبقا للكفاءة الشخصية ، والشيوعية تقره طبقا للحاجة البشرية . ان القول على اطلاقه بان الاشتراكية ترمى الى محو الملكية الشخصية خطأ شديد كخطأ قرنهما بالفوضى ، فالاشتراكية لا تريد الا القضاء على النتائج السيئة التى تؤدى اليها الملكية الشخصية بشكلها الحاضر وتحقيق أنظمتها العادلة المستطاعة . »

. . . ان الاشتراكية لا تحتم الغاء الوراثة ولا تعترض عليها الا حيث تقضى الى امتناع السوء الاعظم . . . وبالجمله فان برنامج الاشتراكية الاقتصادية يرمى الى تحطيم نظم الاستثمار والاستغلال بتحديد حق الملكية الشخصية . . . أما المساواة فى الاشتراكية فليست مساواة فى الحالة الاجتماعية مطلقا ، وما هى الا مساواة فى « الفرص » فببدا الطفل حياته وجميع الابواب مفتوحة فى وجهه ، فلا يخلق ثمة منها فى وجهه ما يستطيع

(١) رامزى ماكونالد - الحركة الاشتراكية - ترجمة محمود حسنى المرابى - ص ٨٧

(٢) الاهرام ١٩٢١/٨/٢٥

بولوجيه .. إن: استبعاد رأس المال هنا شيان بالغ حد الارهاق ، وإن
استثنائي طائفة برأس المال هنا يقترن به طغيان فإدح يوضحه لك عنيف
أصحاب الضياع بالفلاح البائس القس ، ..
الى هنا والكلمات لا غير عليها فهي قد تكون مقبولة - الى حد ما -
من كلا الطرفين الاشتراكيين والشيوعيين ..

لكن الضدام الحقيقي يبدأ عندما يقود عنان الحملة ضد الاتجاه الذي
ترعمه حسنى المرابى ومارون وصفوان أبو الفتوح بضرورة الانضمام
للدولية الثالثة ..

وأنفصل محمد عبد الله عنان عن الحزب معلنا اعتراضه ..
وأنفصل ليعمل هو أيضا في رجاب « الأحرار الدستوريين » في مجلة
« السياسة » ومجلة السياسة ليست بحاجة الى مزيد من الايضاح ..
لكن المهم ان محمد عبد الله عنان واصل الكتابة فاصدر سلسلة من الكتب
شرح فيها آراءه في الاشتراكية .. والشيوعية ..

والحقيقة ان عنان قد خزن كثيرا فهو في أحيان يمجذ البلاشنة
والماركسين ، وفي أحيان أخرى بل وبعد صفحات قليلة يتأخرون .. ولتأمل
أحد كتبه « تاريخ الجمعيات السرية » والحركات الهدامة (١)
فهو يتحدث عن ياركس قائلا انه « رجل من أئمة الثورة وأقطاب
الهدم » (٢) وهو من أعظم دعاة الشيوعية بل هو واضح أصولها العلمية
ومبنيها أساسها الثورية (١)

وقد فهم ماركس وانجلز العالم ان الاشتراكية ليست عطفا على رؤساء
المجتمع من قوى الأبنية والطبائع البارزة بل هي بالعكس انقلاب
اجتماعي حائل وانه لا خلاص للعمال ولا فوز الا بصراع هائل ينشب بينهم
وبين الطبقات الحاكمة المستترة بالثروة والهيمنة وكانت آراء ماركس
وانجلز المنطقية ضربة ساحقة للمثالية والطوبارية فقويت الاشتراكية
واشتد ساعدها حتى أصبحت صراعا ماديا واضحا بين الطبقات وارتفع
ما حاق بها من الغموض وأصبحت قضية يدركها الفرد العادي .. فشمز
العمال بقوة التضامن مع زملائه من كل البلاد ودوت في أفن صرخة ماركس
وانجلز « يارعمال العالم اتحدوا » (٣)

صدر في ١٩٢٦ عن دار الهلال ..
يستخدم المؤلف كلمة الهدم كإبدال لكلمة التغيير ، وهو يقصد
بالحركات الهدامة الجركات التي تستهدف تغيير نظم الحكم بالقوة بغض النظر
عن تقويم أهدافها ذاتها ..

(٢) ص ١٨٩ ، (٣) ص ١٨٦

(١) ص ١٨٦

ويعد أن شرح شرحا مستفيضاً نظرية ماركس ولخص تلخيصاً وافياً
 « البيان الشيوعي » ، ينقل ليقول « كلمة موجزة عن الرجل الذي استنتج
 معزومه انفياض ، وذلكائه الخارق أن يجعل مثل ماركس حقيقة واقعة وأن
 يقيم بمؤثرة زملائه أول جمهورية اشتراكية في التاريخ . . . ذلك الرجل هو
 لينين ، اعظم تلاميذ المدرسة الماركسية واعظم دعاة الثورة العالمية ،
 وعضو الدولية الشيوعية الثالثة وأول رئيس لجمهورية روسيا
 الاشتراكية (١) »

• • • وقد ظهرت مواهب هذا الرجل العبقري رائعة خارقة فقد
 استنتج في غمار هائلة من الصعاب والخطوب أن يسير بقية المجتمع الجديد ،
 لنفذ في نظمه وغاياته بمهارة مدعشة واستنتج أن يرعى الثورة الفتية • •
 ولم يمض عام حتى كانت الجمهورية الجديدة قد اجتازت أشواطاً في سبيل
 النظام والاستقرار ، (٢) • •

ويعد مديح طويل للينين والبلاشفة وللاتحاد السوفيتي • • يعود عثمان
 يتخذ الموقف النقيض ويبدأ الهجوم بعد صفحتين فقط • •

• • • « الدولية الشيوعية قوة خفية • • فكرة يحملها جيش هائل من الدعاة
 يجتاحون أرجاء العالم ، تشهد أعمالهم ولا تراهم ، وتهيمن أشباحهم المظلمة
 في أفق كل اضطرابات وثورة ، ويهرع الي لوائهم كل ناقم وبائس ومغامر • •
 هذه هي الدولية الشيوعية التي تقبض موسكو على ناصيتها ويسيرها
 خلفاء لينين وتلاميذه » (٣) • •

• • • ويقول « ولكن الدولية لا تستطيع رغم جهودها أن تقنع السواد
 باعتناق أهدافها الخلافة ومثل روسيا قائم يشهد بأن التجربة الشيوعية
 كانت خيبة ، وأن تعاليم ماركس ما زالت حلماً وحشياً لم تحقق مثله
 إلا لمحات ضئيلة » (٤) • •

• • • كل هذا التناقض في كتاب واحد • • بل وفي صفحات متقاربة • •
 ولعله يفسر في ذاته ذلك الاضطراب والخلط والتناقض الذي يقع فيه وأحد
 من اشتراكيي الدولية الثانية عندما يحتمى من موجة العناء للاشتراكية في
 رحاب حزب الاقطاع • •

• • • (١) ص ٢٠٥ • • • (٢) ص ٢٠٧ • • • (٣) ص ٢١٢ • • • (٤) ص ٢١٢ • • •

••• وثمة مثقفون آخرون غير هؤلاء كانوا هم أيضا اصدقاء مصرية لفكر
الدولية الثانية ومن هؤلاء حسين نامق (*)

••• وحسين نامق يقول عن نفسه وعلى غلاف كتابه انه خريج جامعة
أكسفورد ، والكتاب عبارة عن أسئلة واجوبة حول الاقتصاد السياسي ••• وفي
الكتاب فضل عن الاشتراكية ••• ولنتأمل الاسئلة ••• والاجوبة (***)

س : ما هي الاشتراكية ؟

ج : هي التعاون الاجبارى فى الانتاج

س : ما المراد بالتعاون الاجبارى ؟

ج : ان يكون منظما وتحت اشراف الحكومة

س : فقيم يكون التعاون الاجبارى ؟

ج : فى جميع المرافق الانتاجية كالمسك الحديدية والتلغراف والتليفون
والبريد والطرق للزراعية والمعامل والمصانع والحقول وغيرها •

س : ما نوع الحكومة التى يكون تحت اشرافها التعاون الاجبارى ؟

ج : يجب ان تكون حكومة ديمقراطية لا مركزية بمعنى ان يعطى
الحكم الذاتى لكل اقليم ولكل بلد ولكل قرية ••• حتى يتسنى لجميع الاسراد
الاشترك فى ادارة شئون امتهم •

ثم اسئلة اخرى اكثر تصراحة •••

س : ما راي الاشتراكيين فى الملكية ؟

ج : يرون ان يقضى على التملك الفردى لتصبح الارض وما عليها
مشاعة بين الناس ينتفعون بها على السواء والملكية فى نظرهم هي السرقة
والاغتصاب •••

س : ما راي الاشتراكيين فى رأس المال ؟

ج : يرون جعل رؤوس الاموال مشتركة بين جميع الناس حتى يصبح
كل افراد الامة ممولاً فى هذا المال المشترك •

س : ما راي الاشتراكيين فى المرء العاطل ؟

(*) مؤلف كتاب خلاصة الاقتصاد ونبذة من التاريخ الاقتصادى

(**) المرجع السابق ص ١١٤ • ويلاحظ ان أسلوب الاسئلة والاجوبة
كان أسلوباً معتمداً فى الكتابات الماركسية فى أوروبا فى ذلك الحين •

ج : العاطل غنياً كان أو فقيراً لص لأنه يأخذ من مال الأمة ولا يبذل لصالحها . . .

وتتوالى أسئلة واجوبة أخرى كثيرة أهم ما يلفت النظر فيها أنه يقول ان : اتباع كارل ماركس يسمون بالاشتراكيين الفئتين ، (١) . . .
وأن من حسنات الاشتراكية أنها تنادي بنشر التعليم المجاني وبإبطال الحروب ويمنع الخمر . . .

وان من مزايا الاشتراكية أنها « حركت فينا عواطف الشفقة والمحبة نحو الطبقة الفقيرة وانها غير راضية عن الحكومات الاستبدادية وانها لا تتنازل الديانات الحقبة . . . » (٢)

. . . ولكن أخطر ما يقوله نامق في كتابه هو تأكيده أن الاشتراكية يمكن أن تنشأ في ظل النظام الاجتماعي والدستوري الحالي نانياً أن الاشتراكية تسعى لتغيير هذا النظام . . . فهو يسأل « هل الاشتراكية مشتقة من النظام الدستوري الحالي ؟ والجواب نعم وبيان ذلك أن كثيرا من الحكومات الآن تملك أو تدير أغلب المرافق الانتاجية ، والاشتراكية تنادي بجعل هذه المرافق تحت اشراف الحكومة ولكن على نطاق أوسع وأهم ممنا هي الآن . . . » (٣)

ولا ينسى المؤلف بطبيعة الحال أن يدعو لحزبه . . . فثمة سؤال « هل ظهرت الاشتراكية في مصر ؟ » . . . والجواب « نعم نهض نفر من أخوان العمل في مصر والنفوا حزبا يسمى بالحزب الاشتراكي المصري . . . »

وسؤال آخر . . . « هل لهذا الحزب مبادئ معلومة ؟ » . . . نعم له مبادئ تنقسم الى ثلاثة أقسام وهي سياسية واقتصادية واجتماعية . . . (٤)
ثم يستطرد فيورد تقريرا النص الكامل لبرنامج الحزب . . .

. . . وإذا كانت أفكار حسين نامق هي نموذج لذات الطالب المصري في جامعة أكسفورد بأفكار حزب العمال البريطاني فثمة طلاب آخرون تأثروا بالاشتراكية الاشتراكية الاوربية الاخرى . . . البعض بالحزب الالماني مثل عصام ناصفة ، عبد الفتاح القاضي وآخرون . . . والبعض بالتيارات الاشتراكية في فرنسا وهؤلاء هم أعضاء الجمعية المصرية في باريس . . .

(٢) ص ١١٩

(١) ص ١١٨

(٤) ص ١٢١

(٣) ص ١١٥

والجمعية المصرية في باريس تكونت في الاساس كتجميع لشباب الحزب
 الوطني هناك يستهدف تعبئة الجهود المصرية في الدعاية للقضية الوطنية امام
 مؤتمر الصلح ، لكن هذه الجمعية سرعان ما اتخذت اتجاها يساريا . . .
 مؤسسها الجمعية خليفه بوبلي وعبيده جوده كانوا عضوين في الحزب
 اليساري لحزب حقوق الانسان بفرنسا شعبة الحزب الخامس بباريس وقد
 اينتطاعا ان يقيما علاقة وثيقة بين الاشتراكيين الفرنسيين وبين هذه
 الجمعية . . .

فانتما « لوسيان باركسيو » رئيس شعبة الحزب الخامس بالدفاع
 عن القضية المصرية في مؤتمر الحزب « (١) » ، كذلك اتامت الجمعية علاقة بالحزب الاشتراكي الفرنسي . . . وخاصة
 بزعيمة مارسيل كاشان ، وقد قام كاشان بزيارة مقر الجمعية معربا عن تأييد
 حزبه للقضية المصرية واستعداده لمساعدة حزبا بكل ما في وسعه . ثم طلب
 من الاعضاء ان ينتدبوا احدهم ليشرح للطلبة الاشتراكيين اصل المسئلة
 ويفهمهم ما يغيب عنهم من تفاصيلها ، « (٢) » . وبالفعل ارسلت الجمعية ثلاثة من اعضائها الى مؤتمر نظمته الحزب
 الاشتراكي الفرنسي ليشرحوا تطورات القضية المصرية . . . وفي ختام الحفل
 هدف الاشتراكيون الفرنسيون و لتحيا مصر ، ووقف المصريون والفرنسيون
 مما لينشدوا نشيد الدولية ، « (٣) » .

كذلك قام كاشان بتقديم عدد من ممثلي الجمعية الى بعض مشاعدي
 ويلسون في مؤتمر الصلح . . . وعندما وصل سعد زغلول والوفد المصري الى باريس اقام الحزب
 الاشتراكي الفرنسي وحزب حقوق الانسان حفل تكريم له راسه مارسيل
 كاشان . . .

والقى مارسيل كاشان كلمة قال فيها : « اذا كنتم قد طرقتم ابواب
 الاستعماريين فاقفلوها في وجوهكم فان الشعب الفرنسي يفتح لكم
 ابوابه » ، « (٤) » .

(١) محمود ابو الفتح - المسئلة المصرية والوفد - ص ١٣ .
 (٢) المرجع السابق - ص ٢٣٤ .
 (٣) المرجع السابق - ص ٢٣ .
 (٤) المرجع السابق - ص ٢١ .

وقد اهتمت الجمعية بإقامة علاقات بالحزب الاشتراكي الإيطالي ويكثرت
من القوى اليسارية في أوروبا . . .
وإذا كانت ثورة ١٩١٩ قد اتخذت لنفسها راية وطنية هي رقيقة
خضراء وثلاث نجوم رمزا للديانات الثلاث . . . فإن الجمعية المصرية في باريس
اختارت علما أحمرًا ذا ثلاث نجوم . . .
ولامد طويل ظل العلمان الأخضر والأحمر يرغرغان في سماء مصر . . .

كذلك عندما وصل الوفد إلى باريس حاول أعضاء الجمعية اقناعه بأنه
لا جدوى من أحزاب اليمين وأنه لا سبيل سوى التحالف مع الأحزاب اليسارية
ورفض سعد زغلول ذلك . (١) .

وإذا كان الوفد يميل إلى البحث عن حل وفاق ، بينما تطالب
الجمعية المصرية وهي في الأساس تجمع لشباب الحزب الوطني . عندما
يبتعدون يسارًا يبنون بضرورة اتخاذ موقف صارم وحاسم وهو : لا مفاوضة
إلا بعد الجلاء التام . . .

فلا بد أن يحدث صدام . . .

ويترجم هذا الصدام شايان يساريان متأثران بالحزب الاشتراكي
الالماني مما مجد الدين حنفي ناصف وعصام الدين حنفي ناصف . . .

ويقول عصام أنه قال لسعد : اننا نسحب منك الثقة . فامتعض سعد
قائلًا انه يمثل الأمة كلها وليس حنفة من الطلبة . (٢) .

كذلك يبدو أن الجمعية المصرية قد أزججت الوفد لانها بدأت تمد
نشاطها إلى مصر وتؤسس لها فروعًا بالقاهرة وتجمع التبرعات وتحرض الشعب
على المقاومة ورفض التهادن ويبدو أنه عندما وقع الخلاف امتنع الوفيد
عن تمويل نشاط الجمعية فلجأت إلى جماهير الشعب المصري التي تبرعت
لها بسخاء . . .

وينزعج الوفد من ذلك ويرسل على ماشر من باريس رسالة
سرية إلى عبد الرحمن فهمي تقول : « يظهر ان مسألة الجمعية المصرية
قد اتسعت أخيرًا وذلك لعطف البلاد على أعضائها وتمتعتهم بجبال الذهب
وإيجاد لجنة لهم في مصر . . . وظاهر أن مثل هذه التصرفات لا تتفق مع وحدة
الوطن . . . »

(١) المرجع السابق - ص ٩٠ .

(٢) راجع محضر النقاش مع عصام الدين حنفي ناصف - الملاحق .

العمل ووحدة الوجهة فانهم ربما كان شعورهم عظيما يقعون في الاغلاط كثيرا ، ولا يؤمن عليهم من غير اشراف الوفد ، ولذلك يكون الاولي ان يترك الامر للوفد فهو يقدم لهم ما يلزمهم من النقود ويشرف على أعمالهم بوجه الاجمال .

•• والى من وقت وصولي كان عمى ضم الجمعية للوفد حتى يعمال اعضاؤها كائنانه ويساعدهم بكل ما يلزمهم الا انهم كانوا في غاية العيب واشدهم عنادا هو مجد الدين أفندي ناصف فذلك ارى أنه اذا عاد ليخدم القضية في مصر يكون اصح للوفاق هنا ، (١) .

لكن هذا الصدام لا يعنى أن سعد زغلول لم يكن يدرك أهمية الحركة اليسارية في أوروبا أو أنه لم يحاول الاستعانة بها . . . فسعد كان يحاول اللجوء الى الحركة الاشتراكية ولكن بقدرة محدودة بحيث لا يسمح للانجليز باتهامه باليسارية . . . فهو يكتب مقالات في الإومانييتيه وفي الديلي ميرالد . . .

كذلك قام الوفد في ٩ نوفمبر ١٩١٩ بإرسنال مذكرة الى المؤتمر الاشتراكي الدولي تحدث فيها « عن مطالب مصر وما تنتظره من الاشتراكيين من العون والمساعدة » . . . وأخذ بيرمن على ان الاسلام يتفق مع روح الاشتراكية . . . ثم أشار الى روح التضامن التي بين المزارع وصاحب الارض والتي مسألة الاوقاف الخيرية وقال ان الرابطة الزوجية عندنا تعادل الرابطة الحرة التي يقول بها الاشتراكيون . . . ومع المذكرة أربعة ملحقات عن التعليم والانظمة السياسية والمالية العامة والمسألة الاقتصادية ، (٢) .

وفي ٥ ديسمبر ١٩١٩ أرسل الوفد مندوبين رسميين عنه لادلاء بانوالهم أمام اللجنة المركزية لحزب حقوق الانسان . . . وكان مندوبوا الوفد أحمد لطفي السيد ، مصطفى الخحاس ومحمد علي (٣) .
وعقب المناقشة قررت اللجنة المركزية تأييد القضية المصرية وعقدت سلسلة من المحاضرات لشرحها .

وفي ١١ ديسمبر نظم الحيزب اجتماعا جماهيريا تحدث فيه واصف بطرس غالي وفي نهاية الاجتماع أعلن المجتمعون انهم ويرسلون الى الشعب .

(١) محمد أنيس - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ - ص ٢٥٢ -

(٢) محمود أبو الفتح - المرجع السابق - ص ١٣٩ .

(٣) المرجع السابق - ص ١٤٩ .

المصري سلامهم وأمانهم . . . ويرجون أن ينال هذا الشعب الفيل امانيه
الشرعية في ظل السلام . . .

٠٠ وفي ٤ أغسطس أرسل الوفد برقية الى هندرسن رئيس المؤتمر
الاشتراكي المنعقد بلوسرن وقد احتج الوفد في برقيته على معاهدة الصئح
طالباً باسم مصر عون المؤتمر الاشتراكي على الظلم القاسى الذى حاق
بمصر ، (١) .

كذلك قرر الوفد أن يقدم نوعاً من المساعدة المادية لجريدة « الاومانتيه »
فتبرع لها بمبلغ ١٥٠٠٠ فرنك لكن مجلس ادارة الجريدة رفض - من ناحية
المبدأ - قبول هذا التبرع ، فأرسله سعد زغلول الى اكنتاب كان متوقفا
لتخليد ذكرى الزعيم الاشتراكي « جوريس » ، (٢) .

لكن كل هذه العلاقات لم تكن أكثر من محاولة للاستفادة من اليسار
دون أى ارتباط به .

وعندما أنشأت الجازيت في ١٩ مايو ١٩٢١ الى أن سعد أتى
بتصريحات لجريدة الديلى ميرالد والمحت الى عطفه على مبادئ حزب
العمال سماع الى نعى ذلك قائلاً « أدهشنى ما قرأته في صحيفتكم : ان
ارتياحى لخطة الديلى ميرالد الاجتماعية . . . ولكننى أقول لكم ولقرانكم انى
لست ممن يهتمون بالمباحثات في هذه الشؤون الاجتماعية ، وانى لا أجهد
نفسى في امر الكرمونة أو البلشفية . . . اذ ليست عندي أى فكرة عن هذه
الوجبة ، . . .

وفي الوقت الذى كان الوفد في باريس يتلمس تأييد اليسار كان سعد
يرسل سرا الى عبد الرحمن فهمى مؤكداً « أن الوفد غير راض عن المنشورات
التي تتضمن الانتصار للبلشفيك ، فان هذه المنشورات يستفيد منها
أعداؤنا » ، (٣) .

وهكذا فاذا كانت علاقات التيارات المختلفة باليسار الاوربي وبحركة
الدولية الثانية يمكن تفسيرها بمضامين سياسية أو اجتماعية ، فان علاقات
الوفد المصرى بهذه الحركة كانت موقفاً عملياً بحثاً يستهدف الاستفادة من
هذه القوى فحسب .

فسعد زغلول كان قد حسم الامر أكثر من مرة معلناً انه ضد
الاشتراكية .

(١) محمود أبو الفتح - مع الوفد المصرى - ص ٨٦

(٢) عبد العظيم رمضان - المرجع السابق - ص ٢٠٩

(٣) محمد أنيس - المرجع السابق - ص ٢١

...
 ...
 ... (1) ...

...
 ...
 ...

...
 ...
 ...

...
 ...
 ... (2) ...

...
 ...
 ...

...
 ...

(1) ...
 (2) ...
 (3) ...

الماركسية

وكما وجدت المدارس الاشتراكية الاخرى كان طبيعيا ايضا أن تجد الماركسية نفسها دعاة مخلصين في مصر ..

.. والغريب في الامر أن هؤلاء الدعاة قد وجدوا في وقت مبكر جدا ، في وقت لم يكن يتخيل فيه انسان أن الماركسية قد وجدت طريقها إلى مصر ..

وليس بالامكان - للأسف - أن يتقدم الانسان خصراً متكاملًا أو حتى شبه متكامل للماركسية التي ترددت في ذلك الحين ..

غان الكثيرين قد عبروا عن هذه الافكار في همس وسرية ، والمؤرخون اجتمعوا على تعمد تجاهل هذه الافكار ، وما يعثر عليه الان يتطلب بحثًا مضنياً وجهدًا شاقًا .. لكننا مع ذلك سنحاول أن نقدم بعض النماذج للافكار الماركسية التي ترددت في مصر في هذا الوقت المبكر ..

وأول ما نعتز عليه هو مقال بغير ترقيع ، منشور في مجلة المؤيد في عام ١٨٩٠ تحت عنوان « الاقتصاد السياسي » كل ما نعرفه عن كاتبه أنه « أحد الفضلاء القراء » (١) .

ولنقرأ معًا كلمات الرجل الذي لا نعرف اسمه ، واضمين في الاعتبار بطبيعة الحال أنه يستخدم أسلوب عصره في الكتابة .
« في مسألة اقتسام الأموال » :

« إذا كانت الاموال كمية غير محدودة ، فليس من حاجة تلزمنا البحث عن كيفية اقتسامها إذا كنا نترك كل انسان يأخذ منها ما يشاء .. نعم أن الاموال ليست كمية محدودة ، ولكنها تقرب من ذلك .. فيجب حينئذ اقتسامها بالعدل على قدر الامكان .. ولهذا تعددت المذاهب ولكن مذهب قاعدة ، فمن قائل أنه ينبغي أن يكون لكل انسان على قدر احتياجه .. ومن قائل أنه يجب أن يكون لكل انسان على قدر شغله .. وهذا القول يمكن توجيهه إلى معنيين : الاول اعتبار التعب والمشقة ، والثاني اعتبار

(١) منتخبات المؤيد لعام ١٨٩٠ - ص ٢٩١ .

النتيجة فينقسم إلى مائتين للماعنتين لكل انسان على قدر ما يتعب ،
ولكل انسان على قدر ما يتعب . . .

وعنك مذهب آخر يقول : لا يلزم البحث عن قاعدة بها تنقسم الاموال
بالعمل ، لان ذلك امر طبيعي ، فهي مقسمة بنفسها كالماء يتبع الانحدارات

وليس الفنى والفقر من حيلة الفتى ولكن احاط قسمت وجدود

فنجيب على هذا المذهب الاخر قائلين انه اذا كان الماء يتبع الانحدار فهذا
لا يمنع الجبانين او الميئس ان يفرقه كما يشاء بواسطة جداول صناعية ،
وحسب ذواتهم . علم اجراء الماء وارتفاعه . . . فواضح للقانون يمكنه
ان يعمل ذلك فيما يختص بتفريق الاموال ، لان الملكية الشخصية والبادرة
في الاعمال هما العاملان اللذان يحكمان تفريق الاموال في جمعيات (مجتمعات)
زمننا ، وهما قانونان صناعيان وعلى فرض كونهما طبيعيين فمن الممكن
تعديل ما ينتج عنهما ونحن نشاهد ذلك في كل لحظة . . .

و سنشرح لك مضمون هذا . . . فينبغي ان نذكر ان بحثنا على
الطرق التي بها يمكن تقسيم الاموال بين الافراد بالكمسطة المستقيم ينجم
عنه بلا ريب فوائد جمة حينما نجزم ان تقسيمها في الوقت الحاضر مختلف
للعمل . . .

ولذلك سنأتى على جميع ما ذهب اليه العلماء على التوالي فنقول :

مذهب المساواة . . .

هذا المذهب يريد مساواة حصص افراد الناس معتصما بانه لا داعي الى
اعطاء الواحد اكثر من الاخر ، وبساطة هذا المذهب قد هيات له مكانة
في صدر اهل العصور الاولى . . . وفي الواقع ان واضعي شرائع القدماء كمينيس
المصرى ونيكبرج اليونانى وروميليس اليونانى قد قسموا الارض بالمساواة
بين العائلات ، وكانوا يعيدون تقسيمها بعد زمن محدد عندها تضعف
المساواة السابقة . . .

ولكن هذا المذهب لا يمكن قبوله فعلا الا في جمعية صغيرة من الناس
وبما يخص نوعا واحدا من الاموال التي هي الارض . . . فليس من الممكن
تقسيم الاموال التي توجد في بلد كفرنسا الى سبعة وثلاثين جزءا . . .

ثم يتحدث الرجل عن الشيوعية ويدافع عنها قائلا :

و بعض دعاة المساواة يذهبون الى دعم تقسيم الاموال ويستحسنون
التمتع بالملكية اشتراكا . . . وهذا هو المذهب المسمى « بالكومينزم » ولا تظن
انه غير ممكن السلوك بمقتضاه . . .

ولا تظن أنه من الواجب على أعضاء تلك الجمعيات (المجتمعات) أن يعيشوا عيشة انضمام والتزام ، بل يمكن أن توضع لوازمهم في أماكن معلومة على قدر الامكان . . . فكل منهم يأخذ منها ما يحتاجه مقدرا بما يأخذ الآخر كما كان جاريا في الجمهوريات اليسوعية الشهيرة . . .

ويستمر الرجل في دفاعه عن « الكومينيزم » قائلا :

« نال مخالفوا هذا المذهب أنه يضعف الغلة ، وهذا خطأ . . . لو تأملنا في اجتهاد أعضاء هذه الجمعيات المنتظمين في سلك هذا المذهب ، وهذا سهل الفهم إذ أن كل انسان منهم يعرف أن ما يخصه انما هو كل ما ينتجه ، غير أن حالتهم أحسن بدون شك من حالة العامل الذي يعمل لمنفعة غيره كما هو واقع في هيئتنا الاجتماعية لمعظم أفرادها . . .

ثم يمضى الرجل في رحلته عبر مختلف المذاهب والنظم الاشتراكية ، فيقدم نظاما آخر قوامه . . . أكل انسان على قدر احتياجه . . .

« يلزمنا أولا أن نقول ان قاعدة هذا المذهب هكذا : ان الاموال يجب اقتسامها على قدر احتياج كل انسان بالقياس الى الآخر ، وذلك لان الاموال ليست كمية غير محدودة فضلا عن كونها ليست بمقدار زائد ليتسنى لكل انسان ان يأخذ منها على قدر احتياجه ، . . .

ويتشكك صاحبنا في امكانية تطبيق هذا المذهب ، او على حد قوله « اخرجه من القول الى الفعل لاننا لا نجد طريقة نتوصل بها الى تقدير احتياجات كل انسان ، بل ما هي السلطة التي تحكم برفض وقبول طلبات الناس حسب ما تكون حقيقية أو باطلة . . .

وبعد أن يتبركم كاتب المقال على أفكار لوييس بلان وعلى مناداته بمنح الرجل المتزوج حصتين ورب العائلة حصصا بقدر عدد اولاده . . . يستعرض لنا مذهبها آخر . . . هو . . .

لكل انسان على قدر مشاقته . . .

معتقدا ابناء عو الاخر قائلا :

« لا تخفى علينا أنه اذا فرضنا أن الذين اشتهوا بعمل واحد ، وبذل ادمتاً من الجهد ما بذله الآخر . . . فقد يمكن أن تختلف النتيجة وتتساوى المشقة ، وقد يمكن أن تتساوى النتيجة وتختلف المشقة . . . فشرعة دعاء هذا المذهب النظر الى تقدير الكفاءة بالمشقة لا بالنتيجة ، وهذا على جانب من العدل . . . ولكن لو تأملنا لوجدنا العمل به متبعثا ، وسبب ذلك هو

عند وجود طريقة يمكننا بها أن نقيس -عناء- هذين العاملين ولو في أبسط
الأشكال لاختلاف قوة الاحساس في الأشخاص .

وتمد يمكننا بواسطة مقياس القوة أن نعرف قوة الإنسان ، ولكن
لا يمكننا أن نقدر تبعه . . . وقد أشار كارل ماركس أحد علماء الاقتصاد
السياسي أن نقيس التعب بمقدار عدد ساعات الشغل ، ولكن ذلك غير كاف
أذ إن الأعمال تختلف باختلاف الرغبات والميول والاحساسات وغيرها
تنتهي متعبة وغير متعبة ، وهي كثرية وخطرة . . الخ ، لا سيما ونحن نعلم
أن من يشتغل بالمقاولة تكون نتيجة عمله ومقدار تبعه أكثر ممن يعمل
بالتلقائية . . وهذا والصعوبة تزداد عند اختلاف أنواع الأعمال ، فمن يمكنه
أن يقيس عمل الحرات الذي يحترق الأرض وعمل المصور بمجرد الزمن ؟ . . .

وبعد ، مرة أخرى يؤكد صاحبا أنه قد اطع على كتابات كارل ماركس ،
وبالتحديد على كتاب رأس المال ، فيواصل حديثه موردا بعضا مما جاء
في هذا الكتاب . . .

ولكن خوفا من أن الكميل يصد أطنابه من تسيج هذا الذهب ارتأي
كارل ماركس أن الزمن الضروري لعمل شيء ما يحدد بمقدار النتيجة على
نأموس الاحصاء (أو ما نقول نحن يحدد بمقدار ساعات العمل الاجتماعي
للإلزامة الإنتاجيا) . . . فمثلا لو عرفنا مقدار أرانب القمح التي أخذت من
أرض في نية من البنين ، وعلمنا عدد العمال ومقدار الزمن الذي بذل في
ذرائعهم ، فيقسمة بسيطة يمكننا أن نقول مثلا أن الأرب عمل رجل
واحد . . . وبذلك نقدر عمل الفلاح في اليوم بدينار ، الذي هو ثمن الأرب
من القمح . . . هذا إذا كان الفلاح قد أنتجه عمله في اليوم الواحد . . .
تفريج المسألة الى قاعدة الذهب الاتي : **أكل إنسان بقدر ما يفتح . . .**

ثم هناك أيضا قاعدة : لكل إنسان بقدر ما يعلم . . .

وأول من رفع عماد هذه القاعدة القديس سيمون (سان سيمون)
وأصحابه قائلين : بمقدار معرفة الإنسان وبمقدار ما يعلم يكون نصيبه . لكن
صاحبا ليس من أنصار مذهب سان سيمون ، فهو ينتقده مؤكدا عيديم رضاه
عن توزيع ثروة المجتمع على كميل بقدر علمه . . . ويقول : وعلى ذلك
قال المستحسن أن تستبدل عنايتهم بما قاله الإسكندر عندما حضرته الوفاة
وقد سئل من هذا الملك : فقال لأكثر مستحق . . . وهذه الجملة صريحة فيما
يريدون ، فكان أصحاب هذا المذهب يتصورون هيئة اجتماعية تحل كل فرد

من أفرادها في المنزلة التي يؤمله لها عمله وتكافئه بمقدار تلك الدرجة .
وأحياناً من ذلك لو صفت لنا الفواميس الإنسانية بتقدير درجات
الأشخاص بمقدار أهليتهم . . . ولكن مع الأسف أن ما نحى تلك القوة في رأى
البعض هم أعضاء الهيئات الحاكمة الذين خدعهم الإقدار وتبصفت لديهم
الآمال فأحلوا الوضيع في منزلة الرفيع ووضعوا المستحق في درجة غير
المستحق . . .

ويواصل الرجل هجومه على مذهب سان سيمون ، بل ويصفه بأنه
أكثر ظلماً مما هو كائن من أوضاع . . . فيقول . . .

« ولو قيل لنا أن تلك الحالة هي أحسن نتيجة وأسهل احتمالاً من
الحالة الفوضوية المتروكة تحت رحمة الإقدار ، ثلثنا أن هذا الأمر مما يوجب
التفافية . . . فإن الشخص الذي يحرم من واجباته يدعى أنه ليس أهلاً
لأسوأ حالة وأكثر مشقة ممن يحرمها علماً بذلك مرتكناً الى نفس طالعه
وخصيصة بخته . . . إذ أنه في الحالة الأولى مغضوب حقاً يعلم استحقاته له
متصوراً ما يتردد في قلوب مباشريه من أن ذلك لعدم أهليته وكفايته فيكون
مصابه من جهتين ، وأما في الحالة الثانية فهو ممنوع حقاً يعلم استحقاته
له ولكن لا يشعر من نفسه بامتهان . درجته ويسند ذلك الى رحمة الحوادث
» . . . فويل أهون من ويلين . . .

« ويُعد أن يفند صاحبنا حجج السان سيمونيين ، يعود مرة أخرى الى
أفكار كارل ماركس ليقدمها كالتمودج الذي يرتضيه . . . والذي يختاره من
بين كل المذاهب التي استعرضها فيقول :

« فلهلوا بنا الى أن نجعل القاعدة التي تحاولون المعدل بها هكذا . . .
لكل انسان بمقدار ما ينتج لا بمقدار ما يعلم . فتكون قد أخذنا بعناصر
الأفراد على حين لا نجحف بقسطاس المعدل . ولكن هذا هو المعدل الذي
لا يمكن أن يتصور المعدل أكمل منه . . .

بعمله بدون التفات الى عقله أو حظه أو رداءة بخته . . .
ويواصل الرجل تمجيدَه وامتداحه للمبدأ الذي اختاره قائلاً :

« ولنا على فضل هذا المذهب من الشواهد التي تجعله محلاً سامياً
تقاطر الناس أفواجا للتمسك بعروقه الوثقى . فانا لو نظرنا في جميع
. . . ان الهيئة الاجتماعية ملزومة بتقسيم الاموال على نواميس هذا
المذهب السابقة بعين التأمل لحيثنا مغبة هذا المذهب . . .

المعدل المطلق ، وهي مضطرة الى أن تكافئ كل انسان بمقدار ما يفيدها
ويمضى صاحبنا محاولاً التمييز بين القيمة والثمن فيقول :

« علمناً الآن ان هذا العبر تحي بولية هذا المذهب مقبلاً بين نجواه
قاعدة لكل انسان على قدر ما ينتج ، وكل ذي عقل يعلم ان ما يخص

الإنسان إنما هو قيمة النتيجة لا ذاتها ، وهذا ناشئ من تبادل النتائج على
تقوم الاحتياج . ومن الواضح البين أن منفعة الأشياء والرغبة فيها
وظلها لا تدخل لها في العمل بل لا تعلق لها بإرادة المنتج ، فما دامت قيمة
كل شيء تتغير حسب قانون التقدم والطلب فالمكافأة تتغير كذلك وربما
لا تفي بالعمل .

وبعد . . .

لنت اعتقد أن الكلمات بحاجة إلى تعليق ، لكنني فقط أود أن ألفت
نظر القارئ إلى سعة اطلاع هذا الكاتب المجهول وتعرفه على مختلف المذاهب
الاشتراكية واتخاذها موقفا انتقائيا واعيا منها .

وأود أن ألفت نظره ثانيا إلى أن كثيرا من الامثلة التي أوردها هذا
الكاتب ، وخاصة في انتقاد البيان سيمونين وفي الحديث عن القيمة والتمن
وقانون العرض والطلب ، قريبة الشبه جدا بما أورده ماركس في كتابه رأس
التمال .

وأود أن ألفت النظر ثالثا إلى أنه كتب هذه الكلمات في وقت مبكر جدا
في عام ١٨٩٠ ، لكن صاحبنا قد كتب كلماته هذه في عصر كان يتبع فيه
على أمثاله أن يتحدثوا «مسا» فكتبها بغير توقيع . . .

كم نأتمنى أن أعرف اسمه . . . فهو واحد من إعمق دعاة الاشتراكية
فهما ورعيا ووضوحا .

ويتقدم الزمن ، ويزداد الماركسيون جرأة فيعلنون عن أسمائهم . .
ويستطيع الباحث أن يتتبع بعضا من هذه الكتابات .

ويتقدم الزمن ، ويزداد الماركسيون جرأة فيعلنون عن أسمائهم . .
ولعل كتاب مصطفى حسنين المنصوري (ناظر مدرسة طوخ الاعداية)
و تاريخ المذاهب الاشتراكية ، هو واحد من أهم هذه الكتابات التي توضح
مدى العمق الذي وصل إليه الماركسيون المصريون . . .

وإذا كان أحد الفضلاء القراء ، فقد فضل أن يخفي اسمه . .
فإن مصطفى المنصوري يتحدث بشجاعة نادرة عن الماركسية . .
لقد شهدت مصر قبله كثيرا من الاشتراكيين ، وربما شهدت قبله عددا
من يؤمنون بالماركسية . . لكن أحدا لم يدافع صراحة ويجرأ كاملة
عن الماركسية كما دافع مصطفى حسنين المنصوري . . (١)

(١) لمزيد من التفاصيل عن حياة مصطفى حسنين المنصوري راجع :
أمين عز الدين - المنصوري - شجرة مثقف ثوري - دار العقد للعربي -
لقاهرة (١٩٨٤) . . .

فالنصوري لا يخفى موقفه ولا مذهبه ، بل هو يعنى صراحة ، ان
ماركس بلا شك هو اعظم دعاة الاشتراكية واكبر انصارها ، فهو الذي عضد
الحزب الديمقراطي الذي أسسه لاسال وحافظ على كيانه رغم هجمات بسمارك
العنيفة عليه ، وهو أول من وضع برنامجا لحزب اشتراكي ، وهو صاحب كتاب
رأس المال الذي يسميه الاشتراكيون انجيل الاشتراكية ، وهو الذي
وضع قانون الجمعية الدولية . . والى القارىء خلاصة مذهبه ، (١) . .

وبعد أن يلخص آراء ماركس يقول : « هذا مجمل آراء ماركس ومن شاء
أن يطلع عليها بجذاهيرها فأمامه كتاب الاشتراكية العلمية واليوتوبية بقلم
فريدريك انجلز أصدق أصدقاء ماركس واكبر انصاره ، فعلم بان هذا الكتاب
مترجم الى معظم اللغات الأجنبية . »

والحقيقة ان النصوري كان رمزا لنضج الفكر الاشتراكي ودليلا على ان
الحركة الاشتراكية المصرية قد تفتحت أمامها الافاق الرحبة للفكر العلمى
.. وانها قد أصبحت الان قادرة على أن تناقش وعلى أساس انتقادي
خلاق كل المذاهب الاشتراكية التي ماجت بها أوربا خلال القرن التاسع
عشر ومطلع القرن العشرين .

وليس مهما أن النصوري قد اختار الماركسية كمذهب سياسى
واجتماعى يدافع عنه ويروج له ، لكن المهم أن الفكر الاشتراكي الذى حقق
انطلاقة واسعة وجبارة من خلال التزاوج الذى تم بين الحركة الوطنية
والحركة العمالية .. ان هذا الفكر قد أصبح من المنحرفة ومن الرسوخ بحيث
يستطيع أن يواجه انحرافات الاصلاحيين والفايبيين وغيرهم ممن رفعوا
رايات الاشتراكية الاصلاحية .. كما ان المهم أيضا هو ان النصوري لم
يستطع فحسب أن يقدم فكرا متكاملا للاشتراكية العلمية وبرنامجا غايبا فى
الواقعية وغايبا فى الثورية .. وانما استطاع أيضا ان يصد عن الفكرة
الاشتراكية هجمات خصومها ، وأن يفند كل ادعائهم وانتقاداتهم ..

لكننا بذلك نتخطى الاحداث ..

فلنسر مع الكتاب صفحة صفحة نستعرض الفكر الخلاق لعيسى

مصرى ..

(١) مصطفى حسين النصوري - تاريخ المذاهب الاشتراكية - (١٩٦٥)

(١٩٦٥)

ص ٤٩ .

في أعلى الغلاف كعادة كتاب عصره . . . يكتب الناصري حكمة تلخص
 شكل ما يريدون : *الاشتراكية هي الطريق الوحيد لإنقاذ البشرية*

من جسمه . . .
 من رويدنا نعتصم طوال القرون الماضية بالباطل . نحنينا ولا زلنا
 نجني الشقاء والتمار . . . وقد جان الوقت الذي يجعل بنا فيه أن نغير طرفنا
 الفاسدة وأباليينا العقيمة . . .
 ويبدأ الكتاب بمقدمة يتناول فيها : « كثيرا ما نسمع عن الاشتراكية

ولكن القليل منها من يفهم حقيقتها . . .
 12. والاشتراكية هذا المذهب الذي ينتشر انتشارا عظيما في قارة أوروبا ،
 بل تعداها الى أمريكا واخترق المحيط الهادى ووصل الى أستراليا ونيوزيلنده
 الجديدة . . . وظهرت برادره في مملكة الشمس المشرقة . . .

وفي صفحات أخرى من الكتاب يتحدث الناصري عن انتشار الاشتراكية
 وقوتها فيقول : « قد علمنا الآن كيف نشأت وانتشرت الاشتراكية في
 فرنسا وألمانيا وروسيا . . . ولكن انتشارها لم يقف عند هذه الممالك رغم
 مقاومة الحكومات والأغنياء له . . . ولكن ما تضمنته الاشتراكية من الحقائق
 وما أظهرته من عيوب هذا المجتمع الحقيقية كان خير كفييل لنجاحها . . .
 الآن الفكرة الصالحة لا حد لانتشارها ، ولأن الحق مهما سعى ذوو الإغراض
 في إخفائه لا يد وأن يتسرب الى الناس يوما من الأيام . . . (1)
 ثم يقدم الى القراء جدولاً ببيان عدد الاشتراكيين في دول أوروبا (2)

البلد	عدد الاشتراكيين	البلد	عدد الاشتراكيين
ألمانيا	١٠٠٠٠٠٠	انجلترا	٢٠٠٠٠٠
فرنسا	١٠٠٠٠٠٠	سويسرا	١٠٠٠٠٠
النمسا	١٢٥٠٠٠	الدانمارك	٥٠٠٠٠
الروسيا	٥٥٠٠٠٠	السويد	٥٠٠٠٠
إيطاليا	٣٥٠٠٠٠	اسبانيا	٣٥٠٠٠٠

(1/٥) - حجة على الاشتراكية - د. محمد أبو الحسن محمد (1)
 (1) ص ٦٧

ويضي قائلًا ، ويظهر من هذا الجدول أن باروبا ما يزيد على عشرين مليون اشتراكى على وجه التقريب ، وهناك ملايين غيرهم يميلون إلى هذا المذهب ، ولكنهم لا يعتقدونه جهارا خوفاً على مراكزهم أو لأسباب أخرى . وبالاختصار يمكننا القول بأنه سيأتى يوم تكون فيه الاشتراكية مذعب جميع الأمم المتقدمة .

أما بالنسبة لصر . . . فإن التصورى يؤكد :

« نحن واصلون حتما إلى ما وصلت إليه أوربا ولا يد من مجيء يوم يكون للاشتراكية فيه شأن يذكر بيننا . »

ولنعد إلى المقدمة حيث يحاول التصورى أن يقدم تعريفا للاشتراكية . . . وبعد أن يورد سلسلة من التعريفات التى صاغها عدد من المفكرين يقول :

« وبالاختصار يمكننا أن نقول أن الاشتراكية هى مذهب القائلين بافتقار النظام الاجتماعى إلى اصلاح اقتصادى واجتماعى وسياسى ودينى نظرا للخلل الذى أصابه من جراء اطلاق سبل المزاومة ، سيما بعد اكتشاف قوة البخار واختراع الآلات العديدة التى حلت محل الأشخاص فى إنتاج المنوعات وأجريت مركز الصناع لاشتداد التنافس بينهم ، وضاعفت مكاسب أصحاب الأموال حتى وصلوا إلى ذروة الغنى وتحكموا فى الصناع وعاملوهم بالقسوة والشدة ، فانزلوا عن أجورهم وأطالوا ساعات عملهم طمعا فى انماء ثروتهم . . . نساء أمر العمال وفسدت اخلاقهم وانتشرت بينهم الأوبئة وتكاثرت بهم السبل فتكا ذريعا وطفقوا يستنجدون بالأغنياء فلا يجدون الا ألقا صماء ، حتى قبض الله لهم أشخاصا من ذوى العقول للراجة انتصروا لهم وساعدوهم بمؤلفاتهم وخطبهم بل ويمالهم . »

ولكن ذهبت صيحات هؤلاء القوم يادى ، ذى بدء اندراج الرياح والأتى أصحابها العقاب الصارم من أجلها فزج بعضهم فى السجن ونفى الآخرون إلى البلاد النائية حتى ظهر أخيرا « كارل ماركس » فتكمن من إذاعة مبادئه وتكوين حزب قوى فى ألمانيا من العمال وعقد عدة مؤتمرات دولية من عمال الأمم المختلفة بعدما لاقى فى طريقه كثيرا من الصعوبات ونفى من ألمانيا إلى فرنسا ومنها إلى بلجيكا ومن ثم أخذت الاشتراكية شكلا علميا وعلا شأنها واعتنقها كثير من كبار المفكرين والصحفيين والكتاب فهذبوا مبادئها ونبذوا منها ما كان غير قابل للتنفيذ ووضعوا البرامج الواقعية وسعوا فى سبيل تاييدها حتى الابطال . (١)

ويعدُّ مبدأ الفكر الاشتراكي المصري على يدى المنصوري مرحلة جديدة أساسية الإدراك الواعي للمغزى العلمي للاشتراكية ، مرحلة تتقبل فيها من الأمنيات والإجلام والتطلعات الى مجتمع أفضل . . . الى الايمان العلمى بنظرية ذات بنیان محيّد ، مرحلة يتم فيها التمييز بين التطلعات الخيرة نحو مجتمع عادل ، وبين التطلعات الفسادية نحو مجتمع اشتراكي . بين الدعوة للاشتراكية كطريق عام وبين الايمان بمدرسة محددة من مدارس الفكر الاشتراكي العلمى . . .

فألا اشتراكية بالمعنى الصحيح مذهب ولد وترينى في القرن التاسع عشر . . . ولكنه لم يبلغ رشده بعد . . . الا ان كثيرا من الأتقدمين أشاروا في كتبهم الى اصلاح المجتمع بعيد ما تبين لهم فسادہ في أيامهم (١) . . .

ويقتّم المنصوري بعد ذلك نماذج للاشتراكيين الخياليين الذين سعوا الى بناء مجتمعات تسودها العدالة دون ان يجدوا المسيل العلمى والنضالى الذى يبين امامهم طريق النجاح . . .

فهناك توماس مور ، الذى تحدث عن مدينة فرض وجودها في جزيرة سماها يوتوبيا . . . ووصف سكانها قائلا انهم ممتعون بالسعادة الكاملة ليس لاحدهم ملك خاص بل يشغلون جميعا بلا اجر معين والحكومة تتولى سد حاجاتهم بنظام مضبوط لا يعوزه نقص ويتناول الناس طعامهم على موائد مشتركة يضرب بها اليوسيتى وتنتشر الاطياب ، والثروة فيها محرومة على الافراد ، والحكام جميعا ينتخبون من بين الاهالى لمدة معينة . . . وانتشر كتاب مور وشرع الكثيرون في انشاء مدن تنطبق على كلامه وان كان اتباع هذا المبدأ اخذوا ينترضون شيئا فشيئا لما حل بهم من الفشل في مدينتهم . . . وهكذا اخفقت التجارب الاولى لانشاء مدن على مبدأ اشتراكي ولكن لم تكن هذه التجارب لتنتهى عزم القائلين بها ، وتقنعهم ببطلان ما يتطلبون بل ثابروا على سعيهم وكان فشلهم درسا لمن اتى بعدهم حتى ظهر كارل ماركس فوضع المبادئ الاشتراكية على اساس علمى ولم يكتف بالاصلاح الجزئى الذى ظهر له فشله بل اراد ان يجعل للاشتراكية دولية حتى اذا توحدت الأنظمة في سائر الممالك كان ذلك خيرا ضمن نجاحها . . .

وقد بقيت الاشتراكية محافظة لهذه الروح الدولية التى بثها فيها ماركس الى يومنا هذا وبذا أصبحت مذهباً معقولاً قابلاً للتنفيذ لا مجرد خيالات يحلو تصورهما ويستحيل تطبيقهما . . . وأصبحت مسائل العمال تعرض في مؤتمرات دولية وهى التى تقر مدة العمل اليومي واجز العمل وطرق

حمايتهم لتنفيذ في شبائر البلدان على نسق واحد مع بعض التعديلات التي يقتضيها مركز البلد. (١)

ولفتأمل هذه الجملة الأخيرة . . . فهي ذات دلالة كبيرة جدا على وعي صاحبنا وعلى تفهمه في فهم النظرية الماركسية فقد ورد في عام ١٩١٥ مسألة نظرية ردها لينين قبله بفترة وجيزة وهي بناء الاشتراكية بطرق مختلفة في البلاد المختلفة . . . والشئ المثير بالفعل هو أن هذه العبارة - لعمري - تكن مجرد جملة عارضة لكن التصوري يعود فيؤكدنا مرة أخرى بتخصصين أكثر عمقا وأكثر دلالة . . .

وتختلف مناهج الاشتراكيين باختلاف البلاد التي هم فيها . . . فتراهم في البلاد الديمقراطية كإنجلترا وفرنسا يقدمون مطالبهم الى ولاية الأمور ولا يتحرشون بالحكومات ولا يفاوضون موظفيها . . . أما في البلاد الاستبدادية كالروسيا مثلا فتراهم يجنحون الى الشدة وسفك الدماء ولأنهم رأوا أن الشلطة الادارية تطاردهم في كل مكان ، ولا تدع لارادتهم . . . ولا تلتفت الى مطالبهم وعلى ذلك يكون من الخطأ أن نتصور أن للاشتراكية مبادئ ثابتة غير قابلة للتعديل أو التحوير وان دعواتها يظهرون بمظهر واحد ورأي واحد في جميع الأمم ، وإن كانوا مققنين على الغرض الذي يريدون الوصول اليه ، ولكنهم يختلفون في الطرق التي تؤدي الى ذلك الغرض باختلاف شكل الحكومات والنظام الاجتماعي في بلادهم . . . (٢)

وهو يتحدث عن البيان الشيوعي قائلا أنه " اتقدم برنامج واضح للحزب الاشتراكية ولا يزال يرجع اليه في بعض الأمور وان كانت بعض مبادئه قد أصبحت عتيقة " (٢)

وهكذا وفي بساطة وبسر يردد المنصوري وأخدا من أهم المنجزات الفكرية التي لم يستطيع كثيرا من قادة الفكر الاشتراكي أن يستوعبوها . . .

والعبارات السابقة تستوقفنا لا لمجرد دلالتها على وعي الرجل ونهمه الاصيل والعميق للفكرة التي يعرضها . . . وإنما أيضا لأنها توحي لنا ان المنصوري ربما كان قد اطلع على بعض من كتابات لينين أيضا والذي يقوى هذا الاعتقاد هو أن الرجل يشارك لينين كثيرا من أفكاره حول قضية الحرب العالمية الأولى فيقول :

(١) ص ٧

(١) ص ٧

(٢) ص ٩

(٢) ص ٩

(٣) ص ٤٦

(٣) ص ٤٦

« وما يؤسف له كثيرا أن الأحزاب الاشتراكية في أوروبا قد فشلت في منع الحكومات عن الوقوع في هذه الحرب الشعواء » (١)

« ولا شك أنه سيكون انتشار الاشتراكية بين الناس احدي نتائج هذه الحرب سيما بعد ما لاقوه من مصائب الحرب ومصائبها » (٢)

والمعروف بعد ذلك يناقش قضية الحرب والسلام مناقشة غاية في الوعي والعمق ، فالاشتراكيون أكثر الناس سعيا في سبيل توطيد أركستان السلام في العالم لأنهم يعلمون أن معظم اعباء الحرب يقع على كاهل الفقراء تسوقهم الحكومات الى ساحات الوعي وهم لا يحفلون بضعفهم بلعومهم ولا يعرفون سببا لتقاتلهم ولا مآرب لهم خاص يريدون الوصول له ولا ربح الا لبعض الاولئمة ولا تفنى صاخبينا شيئا » (٣)

وهو يورد نقرة من قرارات الجمعية الاشتراكية الدولية (الأممية الأولى) تطالب « بالغاء الجيوش الواقفة والاستعاضة عنها بالاهالي الكريين على حمل السلاح الذين عليهم تلبية طلب الحكومة عند وقوع النبلد في خطر »

ويعلق المنصوري على هذه العبارة قائلا « وقد يقول البعض ان الغاء الجيوش يجعل الامة مهددة ، نعم بلا ينكر ذلك ، ولكن الاشتراكيين يريدون الغاء الجيوش في جميع الممالك مرة واحدة ، وبذا يزول الخوف من هجوم العدو ، واذا لوحظ فوق ذلك أن الجيوش تتطلب مضرورا هائلا لو صرفت في المسائل الحيوية كالترعيم لاتي بالفوائد الجمة ، وان الجيوش تجبرم الامة من ايد عاملة كثيرة ، لو استخدمت في الاعمال المثمرة لصاعقت ثروات الأمم ، لكان هناك حق للاشراكيين »

« يريد الاشتراكيون السلم التام الذي قد يتراى للبعض حلما من الاحلام فان الحروب اعمال وحشية محضة لا تليق بالانسان المتبعين وان في وسع البشر الوصول الى الشروط بدون الالتجاء الى السيف »

ثم هو يقدم التفسير العلمي للحرب قائلا « والحقيقة أن الاستعمار يأتي من طمع اصحاب الاموال الذين يدفعون حكوماتهم الى امتساق الحسام وقتل الالوف من الناس لتوسيع المجال لتجارتهم فلو تمكن الاشتراكيون من القضاء على هذه الطبقة لما بقي هناك

(١) ص ٩

(٢) ص ٩

(٣) ص ٨

صفت وأحد ينادي بالحرب شيعا بعد ما شاعده الإنسان من آلات الشخص
والثمنير الجهنمية (١)

وهو بعد ذلك يحدد أهداف النظرية التي يدعو إليها ويسائل فضالها
فإذا كان الرأسمالي يمتص دماء العامل عن طريق الآلة فإنه يحطم هذه
الآلة لتعيد الإنسان إلى فردونه المفترود ؟ .. ويجب التصوري على سلوكه
أظن أنه ليس هناك عاقل يريد بالعالم الرجوع إلى مدنية يعصرون المظلمة
لذا يجب علينا جعل الآلات خادما للإنسان لا مزاوما له. ولكن اني لنا
ذلك ومن المستحيل تغيير أخلاق الآلات ما دامت في قبضة اصحاب الأموال
الذين لا يراعون إلا صالحهم الخاص ولا يعيرون بما يلاقيه العمال من التعب
والإلم ما داموا يحصلون على معظم أرباح معاملهم ولا يتركون للعمال إلا
جزءا طفيفا لا يكفي لسد حاجاتهم .. فالطريق الوحيد لاسعاد البشري هو
منع التملك الفردي وجعل رأس المال في قبضة العمال أنفسهم (٢)

ويمضي موضعا أسس النظام الذي يريد ..
ان امتلاك الاراضى يعوق حون استغلالها بالقدر الذي في وتصح
الانسان عمله فيها بعكس ما لو كانت هذه الارض ملكا شائعا بين الناس
فاننا اذا نظرنا الى مصر نجد أن وجود مزارع صغيرة فيها قد جعل الدول
استعمال الآلات الزراعية التي لو استعملت لضاعفت نتاج الارض فالتنظيم
الاشتراكي يقضى بالغاء الملكية الفردية بمعنى أنه لا يجوز للفرد أن يمتلك
أرضا أو معملا أو منجما أو أى ثروة تحتاج في استغلالها الى عامل أو عمال
وعليه يجوز للفرد أن يمتلك أدوات بيته وملابسه وأمواله طالما كان لا يستغلها
بواسطة عمال بل ربما سمح له بامتلاك مسكن أيضا لان هذا الملك لا يضر
الآخرين (٣)

ولو كان الملك في الارض أو المسكن مبنيا على قاعدة الملك في القالب لسا
نشأت الاضرار الحاضرة .. وهذا مع العلم بأن امتلاك الاراضى والمناجم والتساكن
لا يحتاج من الاستنباط والتفوق العقلى عشر ما يحتاجه اختراع آلة أو استكشاف
نظرية في العلوم .. بل على العكس من ذلك قد يحتاج الى كثير من الندالة
والحطة والضمة كما نشاهد باعيننا في المربين والمغامرين والتجار (٤)
ونجد ان استعرض المنصوري أسس النظرية التي يدعو إليها يحسن
ان واجبه يحتم عليه أن يرد عنها هجمات الأعداء وأن يحصنها ضد

- (١) ص ٨٠
- (٢) ص ١١
- (٣) ص ٨٩

افتراءاتهم، واكاذيبهم : وهو يفند بهوء ما يردده اعداء الاشتراكية من انتقادات : فهم يقولون ان الاشتراكية تعنى ان الانسان لا يؤمن بالوطن ولا يؤمن بالاسرة ، ولا يؤمن بالدين .

لقد شاهدنا كيف كانت سيادة هذه المفاهيم الخاطئة عن الاشتراكية سببا في انتكاسة خطيرة لانكارها وقهرتها على الانتشار . ولهذا يتصدى المنصوري لهذه الانتقادات فيفندها واحدا واحدا . فاذا كان الاشتراكيون قد أصبحوا بعد تعاليم كارل ماركس دوليين الا ان العاطفة الوطنية لم تمت في نفوسهم كما يتوهم البعض وهي لا تثبت ان تتراجع اذا ما اغار غائر على بلادهم فهم لا يمتنعون عن الدفاع عن الوطن لكنهم يانفسون ان يكون لهم يد في حرب يراذ بها نسلب حرية امة ضعيفة (١)

اما رأى الاشتراكيين في نظام العائلة فهو لا يختلف عن رأينا مطلقا وان كان قد صدر من بعض دعاة المبدأ ما يشير الى رغبتهم في ردم هذا النظام واستبدال الزواج الحالي بزواج حر مبنى على الحب ، الا ان ذلك لا يعنونه ، لانه رأى فردي . أما مجمل آراء الاشتراكيين فمنسقة على ان نظام الأسرة مفيدس وانه يجب ان يحفظ ، غير انهم يطلبون مساواة المرأة بالرجل (٢)

ثم ينتقل المنصوري بعد ذلك الى مناقشة القضية الخطيرة : قضية موقف الاشتراكية من الدين ، ولا بد انه قد اطلع على كتابات شميل ، ولا بد انه قد أدرك مدى الخطأ الذي ارتكبه شميل . فالمنصوري يقبح لنا فكرة ناضجة غاية في النضج وغاية في الوعي . بقي علينا ان ننظر في رأى الاشتراكيين في الدين ، لا شك ان معظم الاشتراكيين قد تأثروا قليلا او كثيرا من المبادئ المادية وهم لا يعتقدون ان الدين يكتفى لاجتراح هذا المجتمع الا انه رغم ذلك نرى الذين والاشتراكية ليسا متناقضين ، وان كليهما يرمى الى نصرة الضعيف ، فان من يقترع على حياثق الدين الإسلامي والمسيحي يجد كثيرا من المبادئ الاشتراكية الحديثة كالزكاة التي تعادل ضريبة الدخل ويقصد بها تسوية الخلاف بين الفقراء والاعنياء . ولقد قام فريق من الكهنة واللاهوتيين في أوروبا في القرن التاسع عشر وغدوا الاشتراكية جزوا . يتمما للدين المسيحي ودعوا الناس الى اعتناقها والأخذ بمبادئها ولم يعدوا هذا خروجا على الدين (٣)

(١) ص ٨

(٢) ص ١٢

(٣) ص ١٣

وفي مكان آخر يقول المنصوري :

« فاذا سمعنا الاشتراكيين يطلبون إلغاء الميزانية الخاصة بأقامة الشعائر الدينية فليس هذا دليلاً على الحادهم بل هم يرون أن هذه الاشياء تستلزم نفقات كثيرة لو صرفت على التعليم أو بناء مساكن أو مستشفيات للفقراء لأفادت النوع الانساني كثيراً فضلاً عن أن العبادة ممكنة في أي مكان »

« ان الاشتراكيين لا يحارثون الدين وإنما يحارثون بعض رجاله الذين كانوا سبباً في كثير من المصائب ولا يزالون •• انهم يريدون ابعادهم عن التدخل في أمور السياسة والتعليم حتى لا يشوهوا وجه العلوم العصرية بخزعبلاتهم ولكنهم لا ينكرون ضرورة الدين للإنسان إذ لولاها لامتلأ العالم بالكذب والفتن والسرقة والظلم » (١)

لكن الزجل لا يكتب بالحدِيث العام • فاستغواض الفكر مجرداً لا يكفي ، ولا يكفي أن يمجّد الانسان الاشتراكية وأن يرد عنها هجمات خصومها ما لم يرتبط ذلك كله بالمعركة الدائرة على أرض وطنه ••

ولقد رأينا كيف كان المنصوري يؤمن بأن لكل بلد طريقة الخاص •• وأن الاشتراكيين لا يمكن أن يظهروا برأى واحد في جميع الأمم •• فلا بد أن سن حديث عن طريق مصري للاشتراكية ••

وهنا يصل بنا المنصوري التي قيمة من فهم الفهم الواعي والإدراك المتمكن •• فهو ليس مجرد تآري، استوعب ما قرأ، ولا مجرد داعية لفكرة عامة •• لكنه يتوج كتابه القيم بفصلين غاية في الابداع الفكري الخلاق •• أحدهما بعنوان « غرضي » نظامنا الاجتماعي ، والآخر بعنوان « مصر والاشتراكية » ••

والفصل الاول اذانة ساحتة للنظام الاجتماعي السائد في مصر •• و دفاع حار عن الكادحين المصريين ••

فان « كل من مارس الامور وكابد الاحوال وخبر الزمان لا ينكر ما في هذا المجتمع من تفاوت واضطراب •• هذا يرغل في الخز والذبيح وذاك يرتدى الاطمار والاسمال •• وهذا يمتطي سهوات الجياد وذاك يجوب فييا في الارض على الأقدام الحفاة ، هذا يسكن القصور المشاهقة وذاك يسكن الشوارع والأزقة •• وهذا اذا سئل تسابقت الاطباء لنحصه وذاك يجوب

(١) ص ٨٢ •

البا في حوخة فلا يجدا يدا وأخذة تجرعة القواء من اللهم لا أنتقادا ولا اعراضا - وما هذا الا من ظلم الانسان

يشتمل العامل طول النهار والعرق يتصبب من جبينه وصاحب العمل جالس امام مكتبة الجميل يشغل لفافة من وقت لآخر ويتحدث مع الزائرين عن لهوه وشجونه حتى اذا انتهى النهار كان الغنم كله له ، وباء العامل ببضعة قروش لا تكاد تكفي لشراء حاجياته الضرورية

يشقى المزارع طوال النهار في حرث الارض ورثها وتسميدها وحتى النهار وتقلع الجذور حتى اذا حل الليل تابط بنفثته وأقام نفسه لفاتحة كل من يريد الاعتداء على مزرعة سيده فاذا أتى وقت الحصاد خرج صاحب الارض وجيوبه منتفخة من النصار وباء المزارع بالحسرة وخيبة الرجاء

تبريك خبرني أيها القيارى الكريم عما يخالج ضميرك ان كان كنت من ذوى النفوس الحساسة عند مرورك على أحد العاطلين المعجمين وقد تكاثف عليه المرض والفقر والشيخوخة وحوله أولاده وعياله بيبكون ويوعولون اليس هذا المشهد كافيا لجمال الانسان أشد الباقين على هذا النظام ؟ (١)

ويمضى المنصوري في حومه الساخ على النظام الاجتماعي قائلا لو كانت هناك أسباب للمساعدة والشقاء لو كان الغنى غنيا لإجتهاده وجده - والفقر فقيرا لتماونه وضعفه لما تجشم الاشتراكيون متاعب الدعوة التي مذهبهم ولما كان هناك حق للفقر في تخمه وتافقه ولكن الشاهد والواقع ان الخيرات موزعة بين الناس على غير قاعدة فكم من جاهل كيبول يملك القصور والضياح وتحف به العبيد والاماء وكنم من البيت فطن لا يجد في جيبه فلسا واحدا يبتاع به لقمة يتبلغ بها نفسه

لقد أوجد نظامنا الاجتماعي من الناس فريقين متعاديين متنافرين فريق الاغنياء الذين لا يزالون جهندا في إيجاد طرق لاخضاع الناس فواللهم حتى تبقى لهم الكلمة النافذة والرأى الاعلى على ممر الأزمان وفريق الفقراء الذين لا ينفكون يبحثون عن طريق الانتقام من الاغنياء (٢) ويمضى المنصوري في ادانته للاغنياء

(١) ص ٩٢
(٢) ص ٩٣

الذآن هما «بناء الثروة كلها يعيشان في فقر مدقع ، والمعلم الذى يضىء جسمه في تهذيب الناشئين وتكوين رجال المستقبل لا نضيف له مطلقا في الاستفادة المادية بينما صاحب الماخور أو القواد سرعان ما تمتلئ ، جيوبه من الذهب والنصار . . . المرأة التى تصون عفتها تعيش فقيرة ذليلة بينما المرأة الفاجرة سرعان ما تمتلئ ، خزانتها ببارق الحلى وساطع الياقوت ، اليس في هذا الخط ما يشجع على هجر الاعمال الشريفة والالتجاء الى سافل الميس وأدنتها ما دام المال هو كل مطلوب الانسان . . . » (١)

ثم يتوج المنصوري هجومه بعبارة حاسمة . . .

« فلا عجب بعد ذلك اذا تشبث الاشتراكيون بمذيعهم فهو البلسم الشافي لجميع ادوائنا الاجتماعية . . . »

وبعد ذلك . . . بعد ان يوقف النظام عاريا تماما ويفضح كل متناقضاته يتقدم المنصوري ببرنامجه . . .

والبرنامج يستحق وقفة نتأمله فيها ، فصاحبه يترك طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه . . . ومصر كانت في ذلك الحين مستعمرة تتخذ فيها البرجوازية المصرية الناشئة حديثا بالرغم من كونها مستغلة موقفا وطنيا معاديا للاستعمار . . . ومن ثم فان أى برنامج يطالب بنزع ملكية وسائل الانتاج من أصحابها سوف يهدم الجبهة الداخلية ويمزق الوحدة الوطنية . . . وهنا تبدو المقدرة الحقيقية للمنصوري ، فنعهد ان يستعرض المبدأ الاشتراكي العلمى ويحدد ابعاده النظرية ، وبعد ان يبرز كل الادعاءات والايمانه التى تساق ضده ، وبعد ان يمزق كل أسنار النظام الاجتماعى ويكسفه . . .

بعد كل ذلك يتقدم المنصوري ببرنامجه اصلاحى يدعو لبعض الإصلاحات الاجتماعية والديمقراطية . . .

« وهنا تكمن الممخة الذكية للاشتراكي الواعى الذى يترك ظروف وطنه وظروف جبهتها النضالية . . . هنا يبدو المنصوري مفكرا متعمقا دون أدنى مبالغة . . . »

« وبرنامجه المنصوري بالرغم من اصلاحيته الا أنه أيضا برنامج حائتم وحازم معا لا يزال وحتى وقتنا هذا صالحا كأساس للتفكير الاشتراكي العامى في كثير من المجالات . . . »

ولنقرأ بعض نقاط البرنامج الذى قدمه المنصوري عام ١٩١٥م

قائلا :

في أن مجال الإصلاح واسع وأمامنا وأبوابه غديدة فمما علينا الإلتفات
 فقناسي الماضي ونظرة نفوسنا، مما هو عالق بها من الأدران ونشرع في نبشها
 مصر الجديدة وشعب جديد . . .
 وإلى انفازي بعض الإصلاحات التي يمكن أيجازها بمصر فقلها تكون
 عند استخفاف الجمهور (١) . . .
 وبعد ذلك ترد فقرة يبدو أنها كانت تقليدية في ذلك العصر . . .
 الفقرة التي داب كل الكتاب الاشتراكيين في ذلك الحين على ترديد ما . . .

رأى وليس قصدي أن تكون برنامجا لحزب اشتراكي مصري، فاني أرى
 الوقت لم يحن بعد للقيام بهذا العمل الذي يتطلب كفاءة علمية وأدبية،
 لم تتوفر لدينا بعد . . .
 والنصوري صادق فيما يقول وهو لا يتصل من الحزب باعتباره تهمته . . .

وأنما يقطع إليه باعتباره أملا يمكن أن يتحقق عندما تتوفر له الكفاءة
 العلمية والأدبية اللازمة . . .
 وبعد ذلك يضع التصوري البرنامج الذي يقترحه . . .
 لكنني سأكتفي بإيراد بعض نقاط منه كأمثلة (٢) . . .
 جعل رأي الجمعية التشريعية قطعيا . . .
 جعل الوزارة مسؤولة أمامها . . .

- * اصدار قوانين تكفل حرية الانتخاب
- * اصدار قانون يمنع تعدد الزوجات
- * جعل الطلاق على يد القاضي الشرعي للجميع ويتحتم ايجاد أسباب
- * تعيين نحد الذنى لأجرة المزارعين والعمال بحيث لا تقل عن خمسة
- قروش ومعاينة كل من يخالف ذلك من أرباب الاعمال بالحبس أو بغرامة
- مالية
- * يجب تقريب التفاوت الهائل بين موظفي الحكومة في المرتبات
- ولا يصح بأي حال من الأحوال أن يأخذ موظف أكثر من مائة جنيه أو أقل
- من خمسة جنيهات في الشهر

(١) ص ١١١
 (٢) ص ١١٢ وما بعدها

* على الحكومة توزيع الارض على المزارعين الفقراء .
* على الحكومة فرض ضريبة متدرجة على الدخل اذا زاد عن ٣٠٠ جنيه سنويا . وكذا ضريبة على التراكات تزيد كلما بعيد الوارث عن الموروث من حيث القرابة .

* الغاء الاقسام الادبية في المدارس الثانوية .
* تقرير اعانة قدرها ١٠٠٠٠٠٠ جنيه سنويا للجامعة .
* على الحكومة عمل معامل (ورش) للمصنوعات التي يمكن عملها بمصر .

* الغاء المحاكم المختلطة .
* الغاء امتيازات الاجانب .
* ايجاد محلفين بالمحاكم الاهلية .
* تعديل القانون الشرعى حتى يتماشى مع الروح العصرية .
* الغاء الرتب والنياشين وقصرها من الآن فصاعدا على اصحاب الكفاءات العالية .

* اصدار قانون بتحديد الحد الاعلى للارباح بحيث لا يضح ان تزيد على ٥ % .

* على الحكومة اصدار قانون بالزام اصحاب الاعمال الاجانب باستخدام قدير معين من الوطنيين لا يقل عن النصف .

* على مجالس المديرية تعيين الحد الاعلى لايجار الشدان كل في دائرة اختصاصها بحيث لا تزيد عن عشرة جنيهات .

* الغاء جميع القوانين التي تقيد حرية الاجتماع والخطابة والصحافة .

والآن لست اعتقد اننى بحاجة الى تعليق . لكن ثمة كلمة اخيرة هي ان هذا الكتاب القيم الذى قدمته للقارئ ليس كل ما انتجته مصطفى حسنين المنصوري فهناك كتاب آخر اصدره بعنوان « مسانوى النظام الاجتماعى وعلاجه » وهناك كتاب مترجم آخر بعنوان « التقدم والفقير » .

كذلك فان اسم المنصوري يظهر فيما بعد عضوا في الحزب الاشتراكي المصرى .

وبعد المنصوري ياتى مفكر آخر هو نقولا حداد .

ونقولا حداد واحداً من القلائل الذين انطلقوا الى خارج العالم العربي وتلقوا خبرة عميقة على أيدي اشتراكيين اجانب
وهو مثلاً ما كان مساهمة موسى قد سافر الى انجلترا وقابل برنارد شو وانضم الى القابيين وعاد ليُبشر بأرائهم الاصلاحية . . .

ان نقولا حداد قد عاش في أمريكا واستقر في نيويورك واتصل بواحد من قادة الفكر الاشتراكي الأمريكي هو اوجين ديبس . . . وفي عام 1910 أسس نقولا بالاشتراك مع أمين الريحاني وفرح انطون جمعية عربية اشتراكية في نيويورك وقد أصدرت هذه الجمعية مجلة اسمتها الجامعة لتبشر بأرائها . . . (1)

ويمود نقولا حداد الى القاهرة ليمارس نضاله من اجل الاشتراكية . . . مستعينا بسعة اطلاعه وبتمرسه في النضال العملي في مجتمع رأسمالي متقدم يعادى حكاه الاشتراكية عداً شديداً . . . ويحتل حداد ميدان الدفاع الفكري عن الاشتراكية والجموعه اليها مقدما . . . في اعتقاده اكثر الشروح علمية ووعيا للنظرية الاشتراكية . . .

ان الأهمية للتصوي لكتابات نقولا حداد انها تنقلنا من مرحلة الحماس الفكري الى مرحلة الفهم العلمي الاصيل والقدرة على الشرح المنطقي والكفاية العالية في الجدل وفي افحام المعارضين او المنتقدين . . . ان كتابات نقولا حداد هي قمة التطور والنضج للفكر الاشتراكي في مصر في ذلك الحين وكان صيورها في مصر ايداننا واعلانا بان الاشتراكيين قد بلغوا من النضج ما يمكنهم من مجابهة اعدائهم وجها لوجه ومن القدرة ما يمكنهم من ان يتقدموا لاجتماعهم بصياغة نظرية متكاملة متماسكة وعلمية . . . وكان ذلك كله بداية لمرحلة جديدة من النضال الاشتراكي . . .

فيما قسمته في 1920 . . . ونظالم كتابات نقولا حداد . . . اوتين ايداننا مقال في كتابنا عن مصر . . . ولتبدأ بالقبال . . .

(1) كامل ابو جابر - مقدمة لكتاب جنود الاشتراكية - دار الطليعة - بيروت - 1964 - ص 3 كائنه لا عيه به هذا مجله يغيره نون حننا صعب

••• كتبه نقولاً في عام ١٩١٨ ونشرته مجلة الهلال رداً على بعض مؤلاء
الذين تصبوا للهجوم على الاشتراكية
والقال بعنوان « الاشتراكية ما تطلبه وما لا تطلبه » (١) ويبدأ نقولاً
مقاله كما يلي :

« بعد أن اطلعت على ما جاء في الهلال الماضي تحت عنوان « حل
المشكلات الاجتماعية الكبرى بمشاركة العمال لأصحاب المال » رأيت أنه
إذا لم يذيل بإيضاح قضية الاشتراكية كما تنقبت وتصفحت أخيراً بقي الذين
لا يعلمون شيئاً عن حقيقة الاشتراكية ••• وهم كثيرون على ما اظن متورطين
في اعتقادهم السئ بها ولا سيما أن المقالة التي أشرت إليها مستهله بهذا
النص :

ويرى الاشتراكيون أن الحل الوحيد لمشكلة العمال إنما هو انتزاع
الوسائل التي تحدث الثروة من أيدي اصحاب المال وجعلها ملكاً للعمال
فيتقاسمون ربحها فيما بينهم بدلاً من أن يتقاسموا أجوراً معلومة ••• فهذا
القول قد يبرر جحود الذين لم يطلعوا على العقيدة الاشتراكية بل ويرجح
اعتقادهم ان بغية الاشتراكيين اغتصاب اموال الاغنياء واقتسامها فيما
بينهم وهو اعتقاد باطل •••

لذلك لابد من بيان موجز لحقيقة العقيدة الاشتراكية والا بقيت
الاشتراكية مظلومة فيما يرميها به من الخطل جاعلوا حقيقتها •••

ثم يتقدم نقولاً جداد ليفند عدداً من المذاهب الإصلاحية التي قد تختلط
مع الاشتراكية فيهاجم مذهب السند يكالزم وهو « مذهب استيلاء العمال
على الشركات التي يعملون فيها وتقاسمهم ارباحهم فان هذا المذهب لا يحل
مشكلة التنازع الشديد بين المال والعمال ••• زد على ذلك ان هذه الطريقة
لا تقطع شامة تسيّد المال على العمل لاحتمال ان جانباً من العمال يمكنهم
أن يثروا ويعودوا الى القبض على ناصية العمل والاستعداد في سنائر
العمال الآخرين •••

ثم يهاجم مذهباً إصلاحياً آخر هو « مذهب اشراك اصحاب الاعمال
للعمال بنصيب من الارباح علاوة على أجورهم فان هذا المذهب أيضاً لا يحل

(١) أعيد نشر المقال كاملاً في عدد الهلال الصادر في ١٢/١٩٦٧
ص ٤١ وما بعدها

المشكلة ولا ينزع زمام السيطرة من أيدي التمولين ولا يخفف من غلواء استبدادهم بالعمال ، وان لجى اليه في بعض الاحيان فلكي يتكسر حدة العمال ويسكن ثوراتهم ويجول دون اعتصابهم . فهو كالمورفين للمريض المتألم يسكن الألم ولكنه لا يشفى المريض .

اما المذهب الثالث فهو تقليل ساعات العمل وزيادة الاجور ، وهو كسبائنة لا يحسم النزاع بين العمال واصحاب العمل بل هو مورفين آخر ورضاء الاشتراكيين يهذين الذهبين مؤقتا كرضيا المريض بالعلاج المسكن لانه حينما يتسنى للطبيب العلاج الشافي . فذلك لا يتعد هذا الأسلوب أو سابقة عقيدة الاشتراكية ورضاء الاشتراكيين به أحيانا ليس حجة عليهم بانهم يعنونهم الاساسية .

اما المذهب الرابع فهو اغتصاب الثروات من أيدي ذويها ، سواء كانت مالا أو مرفقا أو تجارة الخ وتوزيع هذه الثروات على جمهور الأمة بالتساوى فان هذا المذهب لم يوجد الا في اذهان فريقين من الناس الفوضويين والتحاملين على الاشتراكية . وهكذا يندو الامر غريبا بعض الشيء . ولكنه مثير ايضا لعنان معركة لينين التي خاضها ضد هذه التيارات بالتحديد . وبمثل هذه الحجج بالتحديد ايضا لم تبق طويلا بعيدة عن مناخ الفكر الاشتراكي المصري

وإذا كان الاضطلاعيون قد استلوا الى مصر من خلال الفابية واشتراكية الدولية الثانية فان تخضوعهم من الاشتراكيين الحقيقيين فقد وجدوا سبيلهم الى افحامهم والرد عليهم

وبعد ذلك يسأل نقولا حداد ما هي الاشتراكية ثم يقدم تعريفا علميا غاية في الوعى وغاية في التحديد والايجاز

أما مذهب الاشتراكية فمبطل في معقول وهو مبني على سببه اجتماعية اقتصادية منصفة وهو يقتضي بقلب النظام الاقتصادي الحاضر ووضع نظام جديد

فهو أولا لا يقبل اي اصلاح أو ترفيع للنظام القائم وهو لا يقبل سوى قلب هذا النظام ووضع نظام جديد ، يقتضى بالغاء ما ادعاه المال - نقدا كان أو عتقا أو مرفقا - من حق الانتاج أي ان المال وأن يكن ثروة ويمثل قوة لا يجوز ان يكون منتجا ثروة أخرى لأن الوسيلة المشروعة الوحيدة للانتاج الثروة هي العمل فقط . يعرق حبيبتك تاكل فحزبك . فلا يجوز ان يكسب قرشا الا من عمل عملا يساوى القرش ولكن النظام الحالي ينافى لكل من

احتياز مالا أن يشتري أسهما في شركة أو عمارا يزرجه أو أن يسلف نقودا فيجنى ربحا من ذلك بنسبة ماله من غير أن يعمل عملا قط . . .

ووجه الإجحاف في النظام الحالي الذي يشكو منه الاشتراكيون هو أنه يفضي إلى تجمع الثروة التي هي ثمرة تعب العمال وخدمهم في أيدي فئة من الناس وحرمان العمال من هذه الثروة كما هو الواقع لأن في البلاد المتقدمة ولا سيما في أمريكا حيث استطاع أفراد قلائل أن يجمعوا في حياتهم من الأموال ما لا تتصوره مخيلة ، في حين أن الرغبا من العمال يتسولون ليس للرزق بل للعمل الذي يتعيشون منه فلا يجدونه . . .

أما النظام الذي يبتغيه الاشتراكيون فيمكن إجمالاً بكلمتين وهما نقل الشركات وجميع المرافق التي يقوم بها مجموعة عمال وجميع المصارف من أيدي ذويها مساهمين ومالكين إلى يد الحكومة بحيث تصبح هذه المرافق المنتجة للثروة ملك الأمة . . . وبدلاً من أن تكون ملكاً لفئة من الناس يبتزون أرباحها وخدمهم تصيب الأمة كلها كمساهمة فيها وأرباحها تعود للأمة كلها . . . فإذا تسنى ذلك لا يبقى للمال قوة الإنتاج أو التثمين بقاتا وإنما يبقى المال ممثلاً لثروة فقط يمكن جماعه أو مخزئه أن يتمتع بانفاقه على لذاته من حين لآخر ولكنه لا يمكنه من أن يجنى منه ربحاً . . .

وفي اعتقادي أنها المرة الأولى في تاريخ الفكر الاشتراكي المصري التي تطرح فيها مسألة الاشتراكية بهذا الوضوح العلمي البسيط والمنطقي . . . مرة أخرى أنها دليل على نضج الحركة الاشتراكية . . . وأنها تتبشير مرحلة جديدة من النضال الاشتراكي . . .

فإذا انتقلنا إلى كتاب نقولا حداد أحسننا أن الرجل يزداد عمقا في الفهم وقبرة على الأيضاح وكسب الانتصار والرد على المعارضين . . .

والكتاب صادر في ١٩٢٠ . . . وتحت عنوان مباشر مكون من كلمة واحدة هي « الاشتراكية » أصدرته إدارة مجلة الهلال . . . ولا بد أن تصدى مجلة كالهلال وهي مجلة معروفة بموقفها المحافظ لإصدار كتاب كهذا هو خير دليل على القوة التي كسبها الفكر الاشتراكي في هذه الأيام . . .

وتصدر الكتاب كلمة من إدارة الهلال فيها اعتذار . . . وتحمل بنين طياتها مغزى تهى تقول « قد أصبح للاشتراكية شأن عظيم في حياة الشعوب ولا سيما بعد الحرب العظمى فجدير بقراء العربية أن يطلعوا على حقيقة هذا المذهب وقضاياها ومراميها إلى غير ذلك من المباحث الخطيرة الدائرة على إصلاح المجتمع المصري ولما كانت اللغة العربية متقدمة إلى كتاب في هذا الموضوع . . .

طلبنا إلى الكاتب الاجتماعي نقولا أفندي الحداد وضع مؤلف وجيز لمسجد هذا النص . . .

وجا هو ذلك المؤلف تقدمه إلى القراء ويقيننا أنه يقع لديهم موقعا خشناً ويعينهم على فهم دقائق المشكلة الاجتماعية الكبرى - سواء وافقوا على العقيدة الاشتراكية أو لم يوافقوا فان غاية هذا الكتاب شرح تلك العقيدة وليس غايته نشر الدعوة الاشتراكية أو البحث على الانحراط في تلك الأحزاب الاشتراكية . . .

والكتاب يقع في حوالي مائة صفحة (١) ولربنا نستطيع أن نستعرضه هنا في هذه المقالة لكنني سأحاول ان اكتب ببعض نماذج منه . . .

والكتاب يمكن تقسيمه الى ثلاثة اقسام :

١ - في اجحاف النظام الفردي (الرأسمالي) . . .

٢ - في النظام الاشتراكي . . .

٣ - أوام خصوم الاشتراكية . . .

وأيضاً الخاتمة بعنوانها « مصير العالم الى الاشتراكية » . . .

وفي مقدمة الكتاب يقول نقولا حداد :

« ان ابرامج الاحزاب السياسية الاشتراكية في العالم الديمقراطية تختلف اختلافات متعددة وبعض هذه الاختلافات جوهرية . . . على أن روح العقيدة التي تحيي ابدان هذه الاحزاب واحدة وليس الفروق التي بيننا الا من الوجيهات السياسية التي ترمى الى كيفية تنفيذ النظام الاشتراكي واحلاله محل النظام الحاضر . . . »

ان الفكرة الاشتراكية بنيت العقل للظن أي انها نظرية عقلية تقتضيها الاحوال الاجتماعية وما تضاربت الآراء والاقوال فيها في ادوار متوفاها وتطورها الا لأن النظام الفردي الحاضر أصبح على التماذي أصيلاً في العقل الاجتماعي ، واحلال الخيل مما كان صواباً مكان الاصيل مهما كان خطأ لا يتسنى بسهولة . . . ولهذا تعذر على العقل الاجتماعي وجود عقيدة فردية واعتناق عقيدة الاشتراكية دفعة واحدة . . . هذا هو سر تدرج الحركة الاشتراكية وتطورها وسبب التضارب في آراء أهل الحركة واختلاف مذاهمم حتى يخيل اليك انهم كانوا يخطبون خطباً عشوائية إلى ان بزغت نكاة واهتدوا . . .

والله (١) اعاديت دار الطليقة بيروت طبع وهذا الكتاب عام ١٩٦٤ تحت عنوان جريدة الاشتراكية للكتاب سيمتد على الطبعة الاولى الصادرة في عام ١٩٦٤ . . .

أخيراً في ضيائها إلى العشيّدة بعد أن تمخضت وتصفّت وتنتفت من شوائب
التجارات والإباطيل ، ..

ثم يتزم بعد ذلك تفسيراً لكلمة «افرادية» ويقول إن المراد منها
«هون النظام الحاضر الذي يطلق العنان لسنة التنازع بين الأفراد بحيث يؤذن
لثقوى أن يتمتع بقيمة تعب الضعيف أو على الأقل يخوله حق مقاسمته
قيمة عمله ، وبعبارة أخرى يسمح للثقوى أن يعيش عائلة على الضعيف وهي
نتيجه الاشتراكية التي تقضى بأن يتمتع كل فرد بنتيجة تعبها كلها ، على
إعتبار أن الناس وهم مشتركون في الأعمال يجب أن يتقاسموا ثمراتها كل على
قيمتها عمله» (١) .

وبعد هذه المقدمة يبدأ الباب الأول من الكتاب وفيه يسجل نقولاً حداد
إدانية كاملة وصارخة للنظام الرأسمالي .. ويلجأ لأول مرة إلى استخدام
الأرقام والأسماء والوثائق كأدلة مادية لا تدحض .

* فخمسة آلاف أمريكي ، أي ١ : ٢٠٠٠٠٠ ، من سكان أمريكا يملكون
ثروة الولايات المتحدة كلها ..

* وروكنر يكسب من شركة واحدة من شركاته هي ستندارد أويل
١٠ ملايين ريال وكسور في العام ، أي ٢٧٧٣٨ ريال في اليوم» (٢) .

ويورد بعد ذلك أمثلة عن ترف الراسماليين ينقلها عن كتاب «الصراع
بين رأس المال والعمل» وهي أمثلة صارخة أيضاً ..

« سيدة غنية دفعت ١١ ألف ريال بسوزما جمركية على ملابس
استوردتها من باريس .. وسيدة أخرى انفتت على ملابس كلبها ورياض
غرفته نيف وألف جنيه» (٢) .

وهناك فصل بعنوان «المال ثمرة العمل» يشرح فيه نقولاً حداد في
بساطة فكرة ماركس عن القيمة بل يستخدم تقريباً نفس الأمثلة التي استخدمها
ماركس في كتابه رأس المال .

« لا يمكن أن يستخرج من الرزق ما يساوي جنيتها مثلاً إلا إذا بذل
الإنسان قوة في استخراجها تساوي جنيتها .. فإذا كان في حوزتك أردب
قمح يساوي ٣ جنيهات مثلاً ، وكانت اجرة العامل تساوي ريالاً ، فذلك
الأردب من القمح لم يصرف في حوزتك إلا لأن عاملاً (أنت أو غيرك) استغل
في الأرض ١٥ يوماً حتى استغل ذلك الأردب من القمح من الأرض ..

ثم هو يستخلص بعد هذا التشرح نتيجة غاية في الأهمية :
 وعلى هذه القاعدة التي لا غبار على صحتها يقال : أنه إذا كان
 في يدك مائة أو ألف أو مليون جنيه فاعلم أنه بما حصلت على هذه الجنيهاً
 إلا أن تعمل بذلاً من القوة في العمل ما يساويها ، فكل جنيه بذل لأجل
 تحصيله من التعب والغناء ما يساوي جنيهها ، فإذا كان زيد من الناس
 قد جمع في حياته مليون جنيه فهل يعقل أنه بذل من العمل وعانى وقاسى
 ما يساوي مليون جنيه ؟ وإذا فرضنا أن أجره العامل ريال في اليوم
 اقتضى أن تعيش هذا الزجل ٥ ملايين يوم أو نحو ٣٠ ألف سنة ، وهذا هو
 عمر صاحب المليون ، فما قولك بصاحب الملايين ؟ وما تقول بعمر روكفلر ؟

قد يقول البعض أن أنواع الأعمال تتفاوت قيمة فلماذا أن يكون
 زيد من الناس قد حصل على ثروته الهائلة بما بذل من العمل الثمين الغالي
 القيمة ؟ (١)

وهذا يضرب نقولاً سلسلة من الأمثلة

الرئيس الجمهورية الفرنسية الذي يتقاضى ٢٤ ألف جنيه في العام
 يجب أن يتراعى الجمهورية أكثر من ٤١ عاماً متوالية ، وأن يوزن كل ما هيته
 ولا ينفق منها شيئاً حتى يجمع المليون

وكذلك الرئيس ويلسون يجب أن يتراعى الجمهورية الأمريكية ٥٠ عاماً
 متوالية حتى يجمع المليون ، لأنه يتقاضى ٢٠ ألف جنيه في السنة ، وبناءً
 على هذا الحساب يجب أن يتراعى روكفلر الجمهورية الأمريكية ١٠ آلاف عام
 حتى يمكن أن يجمع من ما هيته ثروته التي بلغت ٢٠٠ مليون جنيه ، هذا
 إذا لم ينفق شيئاً واحداً منها (٢)

وأشبهه ، إننى لم أقرا يوماً للنظام الرأسمالى يمثل هذا العنف ، ولا شرحاً
 لمعاييه يمثل هذه السلسلة والاتساق

ويمضى نقولاً حداد في شرحه العبقري ليوضح كيف استحوذ الرأسماليون
 على ثروة المجتمع وكيف يمتصون في استغلال العمال ، وكيف يستخدمون
 اختراعات الحديد لزيادة أرباحهم ولزيادة استغلالهم للعمال ،
 فإن هذا التمييز العظيم الذى أحدثته الاختراعات في الحياة
 البشرية لم تنعم به طبقات الهيبة الاجتماعية على السواء ، بل على العكس

(١) ص ١١٦ : (٢) ص ١٣

كان بلا منأحة من جهة غلة لاكثر النعيم والراحة والهناء لطيفة الاعتناء
ومن جهة أخرى صار غلة لتمادي طبقات العمال في الثمارة والفاقة والفقر
حتى التصور والموت جوعاً (١) .
« ولما كانت الثروة حاصل عمل جسدي وعقلي - كما أسلفنا القول -
فلا يتعذر علينا بعد ما تقدم أن نعلم من الذي تعبت في تحصيلها . . . وبما صرح
عبارة تفهم جيداً ان العمال والمفكرين جنسهما وحسنهما وما وصلت الي ايدي
التمولين الا لانها اغتصبت من ايادي المحصلين لها ، فغنى أولئك يشيد على
فقر هؤلاء . . . ولولا ذلك ما كان هذا » (٢)

وقحت عنوان فرعي هو « صراع المال والعمل » يروى حذاد قصة
اختراع الترامواي ، وكيف أن مهندساً اخترع هذا الترام فذهب الي فلان
المالي وبسط له المشروع فاقترح بالفكرة لكنه خشي الفشل . . . فقال له
المهندس :

« ان اسمك ومركزك المالي يكتفيان لتنفيذ المشروع . . . فاذا اعلنت
انك مقدم على هذا العمل النافع وترضته بذوي الاموال لكي يشتركوا فيه
بالمساهمة وتوزع ارباحه على اسهمهم ، فلا ريب انهم يتهافتون على المساهمة
فيه لانهم سيقولون لانفسهم لو لم يكن فلان المالي العظيم التذذ ذا ثقة
ينجح المشروع ما اقدم عليه . . . وفي هذه الحالة تاخذ لنفسك اسهم تأسيسية
بلا ثمن وتجنس ربها بلا رأس مال . . . وان حبط المشروع سقط على رؤوس
المساهمين وجعلنا اللوم على مدير الشركة مهما كان بريئاً ولا ضرر ما دام
لا يضحى بمال من عنده » (٢)

وعلى هذا النحو تكثرنت الشركة المساهمة . . . وهكذا يستمر نقيولاً
حذاد في براعة لا مثيل لها في اداة كافة اشكال الاستثمار الرأسمالي . . .
« من يقوم بالمشروع ؟ » المهندس والمدير والكاتب والحاسب والفحاصم والوقاد
والسائق . . . الخ . . . اما المساهمون فلا يبدون شيئاً عن المشروع بنسبتي
انهم يركبون مركبات الترام تتسباب في الشوارع ، ولا يعملون للشركة
عملاً مطلقاً . . .

« فنترى مما تقدم ان المال استميد عقل الفكر وجسد العامل جفيعاً
واهتضم غلة تعديهما ، وصاحبه ناعم الببال يتقلب على اسرة اللذات . . .
وما اكننى المال بهذا الاستعباد فقط ، بل افضى الي قطع ارزاق كثيرين

(١) ص ٢٦ . (٢) ص ٢٨ . (٣) ص ٢٩ .

من مؤلاء العمال والمفكرين خدمة لسنة ، الاستقطاب المالى ، لانه لا يمكن ان يتجمع المال في قطب ما لم ينضب من القطب الآخر المقابل له ، ومعنى نضوبه موت من هم في ذلك القطب « (١) » .

وبعد ان يجهز على فكرة الشركات المساهمة يتقدم ليهاجم الاحتكار الذى يقول فيه يرفع شعار « السمكة الكبيرة تاكل السمكة الصغيرة » . الشركة تتعلم التاجر الصغير والشركة الكبيرة تتقلد الشركة الصغيرة « فعنى تم الاحتكار بعد ذلك الصراع واستقلت شركة بمشروع ولم يبق لها من مزارع تمادت في طمعها ولم تعد تعرض ثمرة عملها رخيصا كما كانت تفعل يوم كانت تزاحم في حلبة الصراع بل رفعت اسعاره ما استطاعت . وقد تتصالح جميع الشركات المتخاصمة او المتزاحمة وتتحالف لكي تقف على نهب الجمهور « (٢) » .

ويمضى نقولا حداد بأسلوبه السهل ليطن المجتمع الرأسمالى الطمعة تلو الاخرى ، فيتحدث عن « تفريط النظام الافرادى بالثروة العمومية » . وعن « تعطيل قسم من الثروة لرفع ثمن القيمم الاخرى » .

« فبينما كان جانب من العمال في بعض ولايات اميركا يتصورون جوعا اذ لا يجدون لانفسهم شغلا وعملا ، كانت بعض شركات الاراضى وبعض كبار الملاك يرفضون ان يؤجروا قسما من اراضيهم بل تركوها بورا لكيلا تهبط اجور الاطيان الزراعية » (٣) .

وفصل آخر عن « التفریط بالعمل حرصا على الثمن » - وقصصنا عن « الاعلانات » « فشركات الصابون في انجلترا كانت تنفق على الاعلانات نصف مليون جنيه . ومن يدفع هذه النفقات ؟ الشارى الاخير ، اى المستهلك » (٤) .

واخيرا . . . وبعد هذه الحثيات الرائعة ، يصدر نقولا حكمه بالادانة على النظام الرأسمالى فهو نظام يقضى « بان يتمتع فريق من الناس بثمرة اعمال السواد الاعظم من الناس ، وقدر لهم ان يبذخوا وينبذوا ويتصفوا في حين ان ذلك السواد الاعظم يرى ثمرة عمله ويشتهيها ولا يقدر ان يمد لها يدا . . . الفلاح يربى الفرخة ويستنتج منها البيضة ولا يذوق لحم الفراخ ولا بياض البيض ، يصنع الجبن ولا يأكله . . . يزرع التمح ويخصده ولا يأكل الا الفرخة » .

(٢) ص ٣٢ .

(١) ص ٣٠ .

(٤) ص ٤٠ .

(٣) ص ٢٦ .

فالنظام الفردي "أذن لم يستطع أسعاد الجنس البشري بزمته" .
أن في الجنس البشري قوة للعمل كافية أن تسعد ضعيفة جميعنا .

النظام الفردي فشل وخاب في مهمته . . . فلتر ماذا يستطيع أن يفعل
النظام الاشتراكي؟ (١)

وهكذا يبدأ نقولا حداد الباب الثامن من كتابه القيم فيتحدث عن
الاجتماع البشري بين التنافس والتعاون ، ويؤكد ، أن التعاون هو دليل انسانية
الانسان وأن التنافس بقايا من بهيميته . . . فلذلك تقول الاشتراكية : اذا كان
الناس متعاونين حتما في تحصيل الثروة ، أو بعبارة أخرى في استخراج
الارزاق واجتناء المعاشي . . . فلماذا لا يشتركون في التمتع بها على قاعدة
العدل والانصاف كل على قدر استحقاقه ؟

اذا كان المهندس والحداد والفجار والفاعل و . . الخ قد اشتركوا جميعا
في انشاء السكك الحديدية أو الترام في شوارع العاصمة وعم القاهمون
بإدارة حركته ، وتسييره . . . فلماذا لا يشتركون في أرباحه ؟ وما هو شأن زمرة
من العاطلين حتى يجنوا القسم الاعظم من ثمرات العمل المفيد ولا يدعوا
إلا النذر القليل لأولئك الذين يقومون بالعمل ؟ . .

قد يقول البعض من قدر أن يعمل ما عمله الممولون فليعمل ، لان سنة
التنافس تسوغ له ذلك . . القوى بقوته . . والدنيا لمن غلب وفاز ونال
وظفر . . عجا ! عجا ، اذا صرع القوى الجسم ضعيفة وسلب ما في جيبه
أوعزتم الى الشرطة المسجونين أن يتقبضوا على القوى ويسوقوه الى المحكمة
قائلين يجب أن يجرى العدل فيه مجراه . . يجب أن يعاقب على جنايته ، بالله
الا يجب أن يجرى العدل مجراه هنا ؟ . . أو لا يجوز أن يجرى مجراه بين
المتمول والعامل في قضية الترام مثلا ؟

. . الساطي قوى والمتمول قوى . . المسلوب ماله ضعيف والعامل
ضعيف . . فلماذا يجب أن ينصف المسلوب من الساطي عليه ، ولا يجوز
أن ينصف العامل من المتمول . . بالله قولوا لنا متى وأين يجب أن يستيقظ
العدل ومتى وأين يجب أن ينام ؟

قد نقول للسبط قانون عقوبة معروف ومدون ، والقوة الحاكمة موافقة
عليه ومنفذته . . لهذا يعد جريمة تستحق العقاب ، لكن ليس لاغتصاب

المتمول يجب العمل قانون، فلا يعد جريمة . . فنقول الاشتراكية تطالب
بمسئله هذا القانون . .

الاشتراكية تبسط هذا الحيف وهذا الإجحاف، وتسمى الى الإبلوب
الموافق لازالتها ، ولاقامة قسطاس العدل والانصاف بين المتمول والعمل .
حتى لا يبقى في طوق ذلك أن يقتصب ثمره عمل هذا ويتمتع بها ، وحتى
لا يعيش ذلك على جنى هذا . .

وما دامت الارزاق لا تجني الا بالتعاون والاموال لا تجمع الا بالتعاون
والثروات لا تحسد الا بالتعاون وجب أن يتقاسمها المتعاونون بجمعها على
قاعدة العدل والانصاف . هذه نواة العقيدة الاشتراكية ، (١)

وفي فصل بعنوان « فكرة النظام الاشتراكي » يقول :

فلقد رأينا ان الذي سبب النؤس والشقاء في المجتمع الانساني امرين
خارجين عن دائرة الخلق افضى اليها التطور الاقتصادي التمشي على مسنة
التنبيساز . .

الأول : امتلاك الارض . .

الثاني : تجميع المال المخز . .

فما ان امتلاك الأرض باطل ولا رائحة للحق فيه فلان الأرض ليست
نتيجة عمل الانسان حتى يحق له امتلاكها بل هي مشاع للحتمس البشري
كله فمن اشتغل فيها جنى منها . . فيجب الا يجنى منها الا من اشتغل فيها . .

واما ان تجميع المال باطل فلان المال ليس قوة عاملة تنتج عملا بل
هو معبر عن حاصل عمل . .

ولتلافى النتائج المخفة يجب ابطال هذين الامرين . .

فكيف ذلك ؟ وكيف يمكن تنفيذه . .

وعنا لابد من التنبيه الى امر جوهري خطير الشأن وهو ان تنفيذ
المبادئ الاشتراكية يجب ان يسبقه تنفيذ المبادئ الديمقراطية في الحياة
السياسية . . لان الاشتراكية ليست الا ديمقراطية لحياة اقتصادية فاذا
لم تكن الحكومة حكومة الشعب فلا يمكن ان يشترك الجمهور في الارزاق

على حد اشتراكهم في تخصيصها ،
.. لكن ما هي صورة المجتمع الذي يريده حداد ..

« تكون الأرض كلها في المملكة الواحدة ملك الأمة كلها وتكون حكومة
الامة قيمة عليها ويكون الذلاحون وسائر العاملين في الارض مزارعين في
ارض بالخاصة حسبما تجدد الحكومة ، أو بالاحرى لجنتها الزراعية ، تعيين
الحصص تعيينا عادلا ، »

وكما تشرف لجنة الزراعة على شيوع الارض تشرف لجنة الابنية على
شيوع الابنية ..

« وعلى هذا النحو يمكن أن تكون الامة مالكة لجميع المرافق بلا استثناء ،
فتكون مالكة للتلفون والتليفون والبريد والترام ومصحة المياه ومصحة
الغاز ومصحة اللبن ومصحة السكر ومصحة الملح ومصحة الصابون
وجميع أنواع العامل والمصانع والمرافق كالمخابز والمجازر والفنادق والملاهي
والتاجر حتى يمكنها أن تكون صاحبة الكافين والقهوات وكل مسترزق ويكون
جميع أفراد الناس مستخدمين في هذه المسترزقات والمرافق ولكل أجرته حسب
قيمة عمله بالتعاون والتكافؤ ، »

وبعد ذلك فصل عن محاسن النظام الاشتراكي يلخص فيه حداد هذه
المحاسن فيما يلي :

١ - سقوط دولة المال أي أنه لا تبقى لرأس المال قوة التثمين مطلقا
لان المرافق وجميع موارد الرزق ملك الجمهور بإدارة حكومته ..

٢ - ضمان الاسترزاق لكل فرد فاذا كان العمال أكثر من حاجة العمل
وكان ذلك قليل يسير ورخاء وتوزع الاعمال على الجميع ، ويمكن في هذه
الحالة ان يكفي للحصول على الرزاق الامة أن تشتغل الامة نصف النهار وتتمتع
بالراحة وحسن العشرة وترويض الاخلاق والتثقيف .. في النصف الآخر ..

٣ - تواجد السيطرة على الانتاج ..

٤ - يستغنى بقاتا عن اتفاق جانب من القوى العاملة في ترويض
البضائع ..

٥ - يختفي الميراث بانتفاء الملكية ولا يرث الابن من ابويه الا بحسن
بنيته وعقله واخلاقه وما فضل من النقود عندهما .. ولكنه يرث من الامة
كلها حقه في العمل والارتزاق وحمائته من الفقير والشقاء ..

٦ - السخاء على المنافع العمومية كالغناية والتعليم والصحة .
الخ (١)

وبعد ذلك يخصص نقولا جداد فصلاً للهجوم على النظريات الإصلاحية والنوصوية تحت عنوان « ما تبرأ منه العقيدة الاشتراكية » .
وفصل آخر بعنوان « أوامم خصوم الاشتراكية » . ولست بحاجة إلى استعراض ما جاء فيهما فقد لخصت مجمل آرائه في هذا الصدد في مقالتي السابق الإشارة إليه .

ثم هو بعد ذلك يورد فصلاً هاماً بعنوان « مورفين النظام الافرادى لتسكين اليم المجتمع » .

يقول في مقدمته « إن أعداء الاشتراكية بالرغم من تعنتهم في شجب المبادئ الاشتراكية ووجد هذه العقيدة شاعرون أن التيار ضيغهم ولهذا لا يرون بدا من مماشاه هذا التيار الحارف بقدر الإمكان » .

يروون أن المتالم لا يستطيع إلا أن يصرخ وتصراخه يزعجهم ويخسبون ان الكلب الجائع اذا اشتد جوعه أضرى وانهش فيضطرون أن يلقمونه .
يروون أن المجتمع يتالم ألماً شديدة تحت نير النظام الافرادى الثقيل فيحاولون أن يحققوه بمورفين تسكيناً لآلامه واليك أنواع المورفين (٢) :

١- ويتحدث عن عدد من هذه المسكنات ويهاجمها هجوماً شديداً . نحن لا نشكر لركفلر جودة معظم ثروته الطائلة لكن ينفق في المبرات والاحسان والمشروعات الخيرية لأنه ما جمع تلك الاموال الطائلة الا بعد أن انضك الوف ومالين من العمال في تحصيلها له . فلا كان انضك العمال في جمعها ولا كانت هذه المنحة من يد روكفلر . نحن نريد أن يقال العامل حقه وأن يتمتع بثمره عمله وأن يفاث وقت الضيق بحق له وليس بصدقة عليه .

ولا نشكر كارنجي الذي ملأ امريكا مكاتب للمطالعة لان الاموال التي انفقها في هذه المكاتب ليست من عرق جبينه بل هي ثمره اعمال ملايين العمال . فنحن لا نريداً مكتبة من يده بل من يد النظام الاشتراكي . ولا يحتاج العامل الى مكتبة للمطالعة بل يحتاج حقه من المال لكي يتسنى له ان يتعلم في المدرسة ويصير اهلاً لتفهم ما يطالع . (٣)

(١) ص ٦١ . (٢) ص ٨٢ . (٣) ص ٨٢ .

ويعد أن يفند حداد كل أنواع المورفين التي ابتدعها النظام الرأسمالي
يقرر أن الرأسمالية تجبر قيرها بيديها، وأنها تعد السبيل الختيمي للوصول
الى الاشتراكية.

وفي الخاتمة يؤكد حداد حتمية انتصار الاشتراكية بالرغم من كل
العقبات التي تصادفها. فمثلا فكرة الحكم الجمهوري قديمة وقد
حاولت الامم منذ القديم مزة غير مرة انشاء جمهورية لها فكانت تفشل
حتى كاد يقوم في يقين السواد الاعظم من الناس الذين لا يرون إلا ظواهر
الامور ان الحكم الجمهوري لا يثبت لانه غير طبيعي وان الحكم الملكي هو
الثابت الدائم الخالد لانه طبيعي بل كان فريق يعتقد بصحة دعوى الحكام
أن ساطة الملك مستمدة من الله. ولكن القرن التاسع عشر اثبت لنا ان الحكم
الجمهوري الذي كان يعد بدعة في السياسة هو الحكم الطبيعي الذي يجب
ان يقوم ويثبت حتى ان بعض الامم التي كنا نظنها عريقة في التقاليد القديمة
أخذت تندخ عنها غبار هذه التقاليد ونادت بالجمهورية كالصين واليابان.
إذا كان شأن الجمهورية هكذا فلا بدح أن يكون شأن الاشتراكية كذلك
هي ديمقراطية كذلك تبدو لفريق من الناس نظرية مستحيلة لكنها ستصبح
حين يتمد السبيل بها بحقيقة راعنة.

ثم عم يلبث نقولا الحداد ان اصدر كتابا جامعا بعنوان « علم الاجتماع
حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها » (١).

يتوج به معرفته باسس الماركسية ورؤيتها لتطور المجتمعات.

ونقرأ معه

« إن الطبيعي قابل للتغير لان عوامل الكون المختلفة متأبط بعضيا
بعضا ، وكل ما تراه من حوادث التغير انما هو نتيجة لهذه المناهضة ».

ثم يتحدث عن الديمقراطية قائلا « وما دامت الديمقراطية المناهضة
ناتجة ، ولا تزال تسمح بالفجوات الاقتصادية أي ما دامت لم تشمل العالم
بحسب المبادئ الاشتراكية ، وما دام مباحا للافراد أن يجمعوا الثروات
الطائلة ، ترى السلطة تغتصب اغتصابا من تحت ذن الديمقراطية ، لان
السلطة الاولى لم تنزل للمال منع ان حقاها أن تكون للنظم والأخلاق » (٢).

ويقول « وكان من أهم نتائج نظام الملكية الذي تطور على هذا النحو

(١) نقولا الحداد - علم الاجتماع - حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها -

ط ٢ - ١٩٨٢ - دار الرائد العربي - بيروت

(٢) - ص ١٥٠ -

(٢) أترجع السابق - ص ١٥٠ -

الاستقطاب. التالي له وهو تحول الفروة إلى جانب الأبنية التمويلية والمصر
 الخدم إلى جانب العبيد العمال. أو حركة الاشتراكيين المقاومة لاستفحال
 التمول تعد تطورا للرقى الاقتصادي إذ تحول الى وجهة أخرى (١).

ثم وبصراحة أكثر ولا يستطيع تقرير الحق الاقتصادي على قاعدة
 الديمقراطية ما لم تظل جميع الأنظمة ، وتترزع وتتداع ، ولا يستطيع
 بناء نظام اقتصادي جديد إلا يهدم كل نظام ذي علاقة بالاقتصاديات القديمة ،
 إلا إذا ألغيت الملكية ، وأصبح كل ذي قيمة ملكا للامة بإدارة الحكومة ،
 وصار كل شخص غاملا أو موظيا عند الحكومة يأخذ منها أجره عمله ، ويشترى
 منها حاجته ، أو يستأجر منزله ، فأى أسلوب من أساليب الحياة الحالية ،
 لا يتزعزع ، بل ولا ينتقص ؟ (٢)

وأخيرا لست أعقد أنتى املك وحدى إصدار تقييم لهذا الرجل . . . يكفي
 ان أقرر انه قمة القمة . . . قمة هذا التراث العظيم التي سيار شعبنا
 مشيرته المحيطة ليشق له طريقا وسط الصخر الصلب . . .

قمة الفهم الواعي والفكر المستنير والإيمان العميق بالعلم والشعب
 والعدالة . . . قمة الرحلة المحيطة التي بدأها رفاة وخاض غمارها ملمات بل
 الوف من المفكرين العباقرة والكادحين البسطاء . . . أجل أن يفتخروا في مصر
 ازهار الاشتراكية السعيدة . . .

وبعد للوصول الى هذه القمة يبدأ الفكر الاشتراكي مرحلة جديدة
 وأساليب جديدة ، يبدأ في العمل الفصالي المنظم والواعي من أجل تحقيق
 هذه الأفكار . . .

اننا لا نريد أن نبالغ في مدى نقاء هذا الفكر الماركسي ودقة التزامه
 بالتماليم اللينينية . . . لقد كان دعاة هذا الفكر مجرد رواد في مجال صعب ، ذليل وبالغ الصعوبة
 بالنسبة للمثقف المصري ، وكانوا يشقون طريقهم نحو فهم أعقق ووسط
 صواب قمة أهمها انعدام أية كتابات لينينية باللغة العربية ، وحتى بالنسبة
 للغات الأجنبية المتاحة للمثقف المصري وهي الإنجليزية والفرنسية فإن الكتابات
 اللينينية لم تكن متوفرة أيضا . . .

(١) المرجع السابق - ص ٢٢٥
 (٢) المرجع السابق ص ٣١٣ - ٣١٥

كذلك فإن هؤلاء المثقفين الماركسيين قد ظلوا لفترة طويلة يمارسون دوراً فكرياً محضاً ولم تتح لهم فرصة الاحتكاك بالنضال اليومي للبروليتاريا لا الاندماج المباشر في العمل الحزبي . .

كانوا مجرد مجموعات من المثقفين يدرسون ويتناقشون ويبحثون عن طريقين ، ولم يكن ممكناً أن تنضج أفكارهم ويصح مسارها وتتحول إلى مفهوم فكري عميق وأصيل إلا من خلال العمل الحزبي والممارسة اليومية للنضال . . وهو أمر لم يتوفر إلا مع تأسيس الحزب في أغسطس ١٩٢١ .

وهكذا يمكننا أن نعتبر هذه الكتابات الماركسية مجرد خطوة في الطريق الصحيح ولا شك أننا نعلم أصحابها لو حاولنا تقييمها وفقاً للمقاييس الدقيقة للماركسية اللينينية . فلا شك أن هناك أخطاء وشوائب ونقص في الفهم وبعض الانحراف . . ولم يكن ممكناً أن يصحح المسار إلا من خلال النضال الحزبي وهو أمر لم يتوفر إلا فيما بعد . .

وهكذا فإننا - كي لا نظلم هؤلاء الرواد الشجعان - يتعين علينا أن نقيم أعمالهم تقييماً موضوعياً مرتبطاً بظروف مجتمعاتهم وبظروف التكوين الفكري للمثقف المصري . . وأن نضعهم في موضعهم الصحيح رواداً في طريق صعب لم تكن قد اتضحت لهم بعد كل معالته . لكن ذلك كله لا ينفي عن كتاباتهم أصالتها وأهميتها .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي بعث في طينتنا نبيًا ربيًّا
مباركًا طيبًا غفر الله له ولوالديه
الذين آمنوا وهم على الهدى
سواء علموا أم لم يعلموا
فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله واسع العليم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي بعث في طينتنا نبيًا ربيًّا
مباركًا طيبًا غفر الله له ولوالديه
الذين آمنوا وهم على الهدى
سواء علموا أم لم يعلموا
فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله واسع العليم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي بعث في طينتنا نبيًا ربيًّا
مباركًا طيبًا غفر الله له ولوالديه
الذين آمنوا وهم على الهدى
سواء علموا أم لم يعلموا
فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله واسع العليم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي بعث في طينتنا نبيًا ربيًّا
مباركًا طيبًا غفر الله له ولوالديه
الذين آمنوا وهم على الهدى
سواء علموا أم لم يعلموا
فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله واسع العليم

القسم الثالث

من الفكر المجرد
إلى العمل المصنوع

١
* الخلايا الاشتراكية في مطلع

القرن العشرين

* اعلان الحزب الاشتراكي

* الاشتراكية المصرية من الدفاع

الى الهجوم المضاد .

شمة روايات. عفيفة لتلك القصة الجيدة. قصة بدء النشاط الحزبي
للاشتراكية في مصر لكن كل الروايات تتفق على أن البداية كانت بإيد
أجنبية

والحقيقة أن الخاليات الأجنبية في مصر التي تكاثرت عندما بعد الاحتلال
الانجليزي ونتيجة للامتيازات الأجنبية قد لعبت دورا هاما في التأثير على
المحتوى الفكري للطبقة العاملة المصرية ومتلقيها

والغريب أن هذا التأثير قد اقتصر - تقريبا في حدود العمال
والفكر العمالي . فالثقوف المصريون كانوا معزولين عن المثقفين الأجانب .
بعزلهم تعالى الأجانب واتجاههم الى تكوين مجتمعات خاصة بهم ، واختقارهم
للغة العربية وللمتحدثين بها وتزلهم الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها
. واحساس كل موظف اجنبي - ايا كان مركزه - بأنه جزء من فئة أكثر
تفوقا وأكثر احتراما .

أما العمال فقد كانوا الفئة - الوحيدة - في المجتمع التي امتزجت في مجال
العمل اليومي مع العمال الأجانب الذين كانوا يؤدون نفس العمل - ويتعرضون
لنفس القهر - ويقاومون نفس المستقل .

يساعد على ذلك أن غالبية هؤلاء العمال كانوا من غير الانجليز ،
أرمن ، يونانيون ، ايطاليون ومن خلال هذا الامتزاج في العمل ، بدأ الاحتكاك
الفكري

لكن التكوينات الحزبية كانت في البداية أجنبية صرفة وقد أدى إلى
ذلك تخلف العمال المصريين واحساسهم بتعالى العمال الأجانب عليهم ،
وعدم الثقة بهم ، كما أن هذه التكوينات كانت في الغالب تكوينات قومية
مغلقة في حدود جنسية واحدة تعمل كامتداد للأحزاب الاشتراكية في الوطن
الأم .

فالتنظيم الاشتراكي اليوناني ظل مستقلا بإستمرار واحتفظ بكيانه
المستقل حتى ما بعد النصف الثاني من القرن العشرين

يوظف هذا التنظيم قائما حتى صدور قوانين التخصير في عام ١٩٥٦
ثم قوانين التأميم في عام ١٩٦٠ التي اعقبتها موجات هجرة غادر فيها معظم
الأجانب مصر .

ربما وسوا العمال الأبطال اليونان - كان الكثيرون منهم يحضرون إلى مصر في مواسم
مؤخدة ثم يهربون إلى بلنطين فيرض العمل في إيطاليا ثم يعودون إلى بلادهم مرة أخرى
وقد أدى هذا إلى استمرار ارتباطهم بالحزب في الوطن الأم . . .

ولكن هذا لم يمنع من وجود محاولات لإقامة منظمات تضم اجانب من
هذه الجنسيات مختلفة
ونحاول الآن ان نتبع الخيط من بدايته إلى آخره

والحقيقة ان هناك روايات عديدة ، وربما اكانت كلها صحيحة طالما
ان كل رواية تتحدث عن تنظيم مختلف
ولنبدأ بأولى هذه الروايات
بناياكاس ، نيرديس - اليونانيون - والأرمن
اذا كان روزنتال قد بدأ نشاطه عام ١٨٩٩ فان هناك من بدأ قبله

ولعل المنظمة الشيوعية اليونانية تمتلك الحق في ان تقرر لها انهاء - ووقف
ما هو متاح من معلومات تاريخية - كانت اول مجموعة منظمة مارست نشاطا
شيوعيا في مصر

ونحن هنا نذكر اننا نعلم ان معلومات عن واقعة لا ضابط احد اليونانيين وهو
يوزغ منشورا (غوضيا) في ١٨ مارس ١٨٩٤ يخض فيه العمال على الاحتفال
بذكرى نبضة الكومون عام ١٨٧١

والجزم وكان كلمة شيوعية تترجم في صحيف ريماء الفجرية فوضوية . ثم أصبحت
فيما بعد تترجم اباحية
هذا المنشور فتتفل منه فقرة تقول : اذكروا ان هذا اليوم هو تذكار نهضة
الكومون في بارتيس وفلمم زاهية العمال المظلومين تتجدد جميعا في نهضة
فليهللوا المبرسون الضواري ، وليتجيات الثورة الاجتماعية ولتخيس الشيوعية
فهيمة ولا بد ان تشير ايضا في هذا الصدد الى اضراب قام به العمال اليونانيون
في شركة قناة السويس في ذلك العام

(١) الهلال - ١٨٤ ج ١٥ - السنة الثامنة نقلنا عن عبد الوهاب
بكر - أضواء على النشاط الشيوعي في مصر - ١٩٢١ - ١٩٥٠ - دار المعارف
(١٩٨٣) ص ١٨

(٢) دار الوثائق القومية - محفظه ١٠٥ داخلية أفونكي - تقرير محافظ
عثوم الفال عن ديبان الخواث القى وقعت بين الثمالي الكراكات وقومانية
القناة من أول اكتوبر ١٨٩٤ لغاية ١٥ منه
اليونانيين بالقومية

وونقل أبرز شخصيات يونانية لعبت ذوا مميزاتا ومستمرتا في هذا النشاط . كانت ساكيلاريدوتس ياناكاكس تاجرا الاسفنج الذي وصفه اجند وقتاقه بأنه وضخم الجسم منوتتطة القامة ، رأسه ضخم كسفناني الشبغراء ، جبهته خمراء ، عريضة ومنتفخة ، يقطف عينييه برود زمادى غامق . لكنه مؤثر ونفاد ، يعطيك انطباعا حادا بانك امام شخص قوى البنية . وطلب الارادة من أسرة أورتودوكسية يونانية متعصبة لم تغفر له أبدا أنه أصبح ماركسية . زوجته تانيا ممرضة ضخمة الجسم . لم يبد عليها أبدا أنه اماركسية لكنها وهبت روحها وكل حياتها لزوجها .

و كان أبوه تاجر الاسفنج الاول بالاسكندرية ، وكان تاجرا مرموقا ولم يكن يريد أن يخسر مركزه الممتاز في المدينة بسبب نشاط ابنه الذي يروج الشيوعية أكثر مما يروج الاسفنج في أسواق الاسكندرية ، لم يكمل ياناكاكس دراسته الابتدائية وتركها ليعمل في التجارة مع والده . كانت علاقته في السرق تدفعه للاحتكاك بوسط راق ، فالبرجوازية هي التي تستعمل الاسفنج ، بعد فترة بدا يقرأ بنهم . قال لي ياناكاكس ذلك ، وقال أيضا إن الاسكندرية كانت قبيل نهاية القرن التاسع عشر الميناء الرئيسي في البحر الابيض تغص بالصالونات الادبية والفنية والمنديات واللقاءات ، وكانت صقوة المفكرين والمهنيين الاجانب تقيم فيها ، وكان البرجوازيون اليونانيون كبارا وضغارا يتبادلون في المقامى والنوادي والصالونات والمنديات احاديث صاخبة في السياسة . لا أحد يتفق مع أحد ، كانوا يقولون لا يمكن ان يتفق اثنان من اليونانيين حول أية قضية قضية سياسية ، وكل اليونانيين سياسيين (١)

ولم يكن ياناكاكس وحده ، كان هناك أيضا مالانوس ، كازانتفلكس ، نيكوس نيقولاويدس ، جورج بيريدس ، كونستانتينيدس بيريدس (الشاعر الشهير) ، زريني (وكان مليونيرا وقد قدم مساعداات كبيرة للتجمعات اليونانية التقدمية وعندما فتحت وصية زريني بعد وفاته فوجيء الجميع بأنه يوصى بأن يشرف الرفيق ستالين على تنفيذ وصيته وطبعاً لم تنفذ (٢) .

١) نيقولاى باباريدوتس : تقرير عن ذكرياته ومعلوماته عن المجموعة الشيوعية اليونانية - كتبه بناء على طلب المؤلف وهو مكتوب على الآلية الكاتبة الفرنسية من اثنان وخمسون صفحة بعنوان : *Le Mouvement Politique Grec En Egypte et Toute Particuliere*

ment Au Caire

٢) المرجع السابق .

وكانت المجموعة الماركسية اليونانية تعيش في قلب الحياة الثقافية اليونانية. وأسست دار الكتب الشعبية اليونانية، ومجموعة من الصالونات الأدبية، وأصدرت، فالانوس، وكان صاحب مكتبة شهيرة بالاسكندرية، مجموعة من دواوين الشعر وكان كونستانتينيتس بيرديس واحداً من أشهر شعراء اليونانية الحديثة. وأصدر نيكولايدس مجموعة من الروايات، وكانت ترجمتها بيد فينان، بجوازدي صغير، يوناني قبرصي مصري ينفذ في أبطال رائعة عطرة من الحب الانساني العميق (١).

وتسبب نشاط هذه المجموعة لغزو حتى الصالونات الارستقراطية.

يقول نيقولاي بياريدوتي، كنت موظفا صغيرا في البنك الاهلي اليوناني ومند صغيرا كنت ضد الاعتياد منذ ١٩١٧ بدأت اقرأ الاث الروسي المترجم الي اللغة اليونانية. كنت احضر مجموعة للدراسات الادبية يرأسها يوناني زجبي اسمه لوكاس ديسنوميتس وتتخذ مقرها في المدرسة اليونانية للبنات تسارع ثوريه. وكان ديسنوميتس ملكيا يمضي معظم الوقت في امتداح صفات ملكه. وفي هذا المكان بالذات تعرفت على شيوعي كان يحضر المناقشات هو نيكوس نيقولايدس. وكان ذلك عام ١٩٢٠ واصبحت شيوعيا (٢).

يقول بياريدوتي انه لم يستجب او لاخر كان الاديب الروسي هو موضبة المصير. وكانت كتابات اتولوسيتوري وديستوميتسكي وليرمنتوف يجري تداولها بلهفة في اوساط المثقفين وتجرى حولها مناقشات عميقة (٣).

وقد اهتمت المجموعة بتقديم دراسات عن الطبقة العاملة واوضاعها والف جورج بيرديس بكتايا عن عمال القطن (٤).

ومن الواضح ان الافينيات الماركسية حتى المتممة منها لم تكن بعيدة عن هذه المجموعة. يقول بياريدوتي عن ياناناكاس: ان يقرأ كثيرا وخاصة المؤلفات من الثورة الروسية. ومؤلفات لينين وماركس وانجلز. وافق انه قرأ اتشي ونوهنغ وكثيرا من المؤلفات انجلز (٤).

اما متى بدأ اليونانيون نشاطهم الاشتراكي فان رواية الدكتور عبد الفتاح القاضي تقول: ان الحركة المصرية للتحرير الوطني كلفت في عام ١٩٤٢ بكتابه

- (١) المرجع السابق (١)
- (٢) المرجع السابق (٢)
- (٣) المرجع السابق (٣)
- (٤) المرجع السابق (٤)

تاريخ الحركة الماركسية في مصر فأتصل بيناكاكس الذي قال له "أن أول حركة اشتراكية ظهرت في مصر كانت وسط اليونانيين الذين اشتبكوا في تأسيس نقابة لعمال الأخذية وكانت مكونة أساسا من اليونانيين والأرمن" (١) .

وعندما بدأت محاولات تأسيس الحزب الاشتراكي المصري. قابلت الأهرام أن بيريدس شارك في المفاوضات بصفته سكرتيرا للفرع اليوناني بالاسكندرية (٢) .

ولكن لم تبد أية أسماء يونانية فيما بعد بين صفوف الحزب . ويبدو أن الأمر قد استقر على أن تستمر المجموعة اليونانية في نشاطها المستقل .

ولكن هذا النشاط المستقل قد تعرض أيضا للمطاردة من جانب أجهزة الأمن . . . فما أن وجهت الضربة للحزب الشيوعي المصري عام ١٩٢٤ حتى كان البوليس يلقي القبض دون إذن من النيابة على مجموعة من اليونانيين ضمن حملة القبض الواسعة . . . وضبطت لديهم مطبوعات تؤكد وجود منظمة شيوعية يتضمن برنامجها الاطاحة بالبرجوازية الاجنبية والمحلية وطرد الاستعمار الانجليزي من مصر واقامة حكم اشتراكي .

وعندما قدموا للمحاكمة صدرت احكام بالسجن على العديدين وكان من المحكوم عليهم ياناكاكس الذي انتقل في أعقاب الافراج عنه الى القاهرة حيث افتتح محلا لتجارة الاسفنج بشارع سليمان باشا ناصية عبد الخالق ثروت . . . وكان هذا المحل ملتقى الشيوعيين اليونانيين والهندي الذي يلتقون فيه باستمرار .

والشيء المؤكد ان هذه المجموعة من اليونانيين لم تكن بعيدة عن نشاط الحزب الشيوعي المصري . . . ويقال ان ياناكاكس الذي تعرف في السجن على عامل شيوعي مصري هو محمد عبد العزيز خرج من السجن ليقدم له تزكيته حتى توالى تصعيده في صفوف الحزب وأصبح اثر الضربات المتتالية التي اطاحت بالقيادات الأساسية سكرتيرا للحزب ثم اكتشف فيما بعد انه أصبح عميلا للبوليس . . .

وعند ذلك الحين اتخذ الشيوعيون المصريون واتخذ الكومفترن موقفا من ياناكاكس وقرروا عدم التعامل معه . . .

(١) راجع في الملاحق محضر النقاش معه .

(٢) الأهرام ١٦/٨/١٩٢١ .

أما الإزمين الدين كان تعداد جاليتهم يصل إلى ٣٠٠٠٠٠ وقد وجدت
بعض منظمات ماركسية قوية وأصدروا نشرات غير دورية وقد لعبت
الأزمين دورا هاما سواء في تأسيس الحزب الاشتراكي المصري وفي مواصلة
النشاط التنظيمي في صفوفه (١)

روزنتال وابنته واخرون

روزنتال ابنة روزنتال التي كانت تعيش في فرنسا منذ هجرة والديها
وروزنتال شخصية غريبة ٠٠ ترددت حولها زواياك كثيرة كحيوانات ابن
تنسج عنه صورة اسطورية ٠٠ فحسبته غير معروفة بالضبط يقال انه
بوينسيري أو روسي أو ايطالي واحيانا الماني وقد نشأت في
وقد اكد البعض انه الماني هاجر الى ايطاليا حيث حصل على الجنسية
الايطالية ثم جاء الى مصر ثم حصل على الجنسية المصرية في وقت لاحق

لكن تقارير أجهزة الأمن البريطانية تؤكد انه روسي الجنسية
والتيه ان روزنتال وابنته شارلوت كانا محاطا اهتمام بالعموم منذ فترة مبكرة
لغات من جانب هذه الأجهزة سواء العاملة منها في مصر أو في كل منطقة
الشرق الأوسط مذكورة سرية لمواجهة الإدارة الامن العام بوزارة الداخلية
المصرية مؤرخة في ١٩٢٨/٩ سنة ١٩٢١ تدون على البيانات السابقة عن

روزنتال
في وقت لاحق من ذلك
في وقت لاحق من ذلك
في وقت لاحق من ذلك

ج - ارفق مع هذا تقريرا مفصلا عن نشاط المذكور الختص ٢٧ فبراير

١٩٢١ سبق ان رفع الى مستشار وزارة الداخلية
في وقت لاحق من ذلك
في وقت لاحق من ذلك
في وقت لاحق من ذلك

مذكرة رقم ٥٠٧٥٤ في ١٠ مارس ١٩٢١
التي تم استشارة وزارة الداخلية عن
في وقت لاحق من ذلك

(1) w. Laqueur — Communism and Nationalism in the Middle East —
Ibid P. 232

سبيلها تلى مذكرة بالمعلومات التي في حوزتنا عن جوزيف وشارلوت روزنتال
في عام ١٩٠٣ بدأ اهتمام أجهزة الامن في المذكرتين كونهم في شديدة الغضب
يقوم بترويج دعايات مثيرة بين اليهود المحليين في لفسيف نسو وما تسمى بها

عام ١٩١٢ ر وردت ايمته بشكل اساسي في قضية ادموفيتشيم واليهود ليست
الروسي

يونيو ١٩١٦ : ورد تقرير من ادارة شيئون الالاجئين يتهمه بانه يثير للاضطراب
وانغضب في صفوف اليهود الروس في لفسيف نسو .
نوفمبر ١٩١٨ : خلال احتفالات السلام قام برفع علم الاشتراكيين وهو رقعة
حمراء في وسطها اركان يتصافحان .

١٩٢٠/٧/٧ : قام جوزيف روزنتال بصفته رئيسا لاتحاد المستأجرين بتنظيم
اضراب لمدة ٢٤ ساعة كاعلان عن احتجاج المستأجرين على ارتفاع اجارات
المحلات وقامت ابنته بالاشراف على عدة مجموعات من الامارات التي تولت مهمة
اجبار اصحاب المحلات غير الشيركين في الاضراب على اغلاق محالهم .
١٩٢٠/٧/١٦ : ورد تقرير من بوليس الاسكندرية يفيد بان المذكور كان
المنظم الاساسي لاضراب عمال القرزية كذلك اشترك في تنظيم اضراب عمال
محلات الجلابة متظاهرا بانه اشتراكي لكنه كما يقول تقرير بوليس الاسكندرية
ليس اشتراكيا وانما هو مجرد محب للاثارة ويعمل لتحقيق افكار خاصة به
وهو يبذل جهدا كبيرا كي يصبح رئيسا للمجلس البلدي بالاسكندرية وذلك
بالرغم من انه لم يحصل في الانتخابات السابقة للمجلس البلدي الا على
اصوات قليلة .

١٩٢٠/٨/٣٠ : منح بوليس الاسكندرية روزنتال وابنته تصريح
بالسفر الى ايطاليا وسويسرا والتمسها .
١٩٢٠/٨/٢٨ : زافادنا قومندان بوليس الاسكندرية بالاقترضة التالي
روزنتال معروف كنوضوي سياسي خطر مدرج في القائمة السوداء
معروف بانه ضريح في التعبير عن آرائه السياسية له علاقة بكل الحركات
الثقافية الموجودة بالاسكندرية يمكن القول بانه اشتراكي ثوري ذو ميول
شيوعية .
١٩٢٠/٨/٣٠ : عاشرت شارلوت روزنتال الاسكندرية على الباخرة
كارلسباد .

(١) تقرير بالانجليزية مرفوع من ي . كلايتون عن المدير العام لادارة
الامن العام بوزارة الداخلية المصرية الى ماكنجتون في ٢٨ سبتمبر
١٩٢١ (مودع في الارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية)

١٩٢٤/١٠/١٠ : وصلت الباخرة المظلة لشارلوت الي بور سعيد واقتاد
قومندان بوليس قناة السويس - وبور سعيد بيانه علم انها قد حجزت مكانا
على السفينة الى يافا بخلسطين

١٩٢٤/١١/١٢ : ورد تقرير من مساعد مدير الأمن - العام بالقاهرة

بأنه تفيد بأنه قد التقى القبض على - شارلوت روزنتال بسبب نشاطها
النياسي وان سلطات يافا تمتلك وثائق تؤكد انها بلشفية نشطة في
١٩٢١/١/٤ : عبرت شارلوت روزنتال القنطرة في طريقها

للاستكبرية (٢)

ان عربة روزنتال الشيوعية ظلت غير معلومة للبوليس لفترة طويلة
ان اجهزة الأمن كانت تركز جهودها مكثفة وعبر شبكتها البوليشة
انشطة روزنتال وابنته - كما ان يوم ١٩٢٤/١١/١٢
ان روزنتال كان شخصية اجتماعية وفعال في وسط النجاشات
الاجنبية - اتحاد المتحاربين - نقابات العمال - اضرابات العمال - مكتبته من
ان ينظم لترشيح نفسه رئيسا لجمعية الاستكبرية وهو منصب مزوم للغاية
في ذلك الحين

والحقيقة ان اهتمامات البوليس بروزنتال لم تنته وسوف تعود اليها
فيما بعد ولكن بعد ان نستمع الي ما يقوله روزنتال نفسه أولا - يزوي روزنتال
في شهادته امام النائب العام في ١٩٢٤/٢/٦ موجزا لجهوده المبكرة فيقول
انني منذ حدثتني اميل الي المبادئ الاشتراكية واخذ اليها وقد كان اعظم
الامال عندي ان تارقي الحالة العمال بتحسين بقوة التربية والنظام والبر وفيدت
الي مصر منذ ٢٥ سنة جملة اسمي لتاليف النقابات واول نقابة اشتراكية
في تاليفها كانت نقابة عمال السجايز وبعد ذلك اشتراكية في تأسيس بضع
نقابات اخرى للخياطين وعمال المادن وعمال المطابع وكانت تلك النقابات
كثما تقربيل للعمال الاجانب لان العمال الوطنيين كانوا في ذلك الوقت اقلية
في جميع الحرف ودوائر العمل بالنسبة لزملائهم الاجانب (١)

(٢) تقرير بالانجليزية مرفوع لمبتشار وزارة الداخلية المصرية مورخ
في ١٠ مارس ١٩٢٦ ات مودع بالارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية

وتلاحظ أن نقابة عمال السجاير قد تأسست عام ١٨٩٩ وروزنتال يترى في شهادته (١٩٢٤) أنه حضر إلى مصر منذ ٢٥ عامًا أي أنه حضر عام ١٨٩٩. ومعنى هذا إنه قد شرع فور وصوله إلى مصر في حوض معركة تأسيس النقابات العمالية، وممارسة نشاطه السياسي. أما البوليس فقد اتقىه إلى هذا النشاط كما نرى في التقرير السري السابق في عام ١٩٠١ ولم يكن اختيار عمال السجاير بالذات مجرد مصادفة، فقد كان البدء في استخدام الآلات الحديثة في لف للسجاير في أواخر القرن التاسع عشر -أيذانا بتسريع لفاي السجاير الذين كانوا يلفون السجاير بأيديهم وقد استمر الأضراب الأول للنسافي السجاير شهرين كاملين- (١).

ويلاحظ رؤوف عباس ملاحظة لم يجد لها تفسيراً وهي اشتراك لفاي السجاير وغيرهم من العاملين في مهن أخرى في أضراب الخياطين، ناسيا أن روزنتال كان المؤسس والموجه لمعظم النقابات في ذلك الحين والتسوق بين حركتها والتضامن في صفوفها (٢).

وثمة وثيقة أخرى تبدي اهتماماً بنشاط روزنتال المتعددة، الوثيقة مودعة في ملف خاص من ملفات وزارة الخارجية البريطانية بعنوان «مذكرات عن النشاط البلشفي في مصر عام ١٩١٩» . تقول الوثيقة عن روزنتال «أنه معروف للبوليس منذ عشرين عاماً (الأمر الذي يؤكد أنه كان تحت نظر البوليس منذ وصوله إلى مصر عام ١٨٩٩) وهو يتبنى عادة مواقف متطرفة للغاية فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية، وصفه البوليس من أن لآخر بأنه قوضي مهيج سياسي خطر، ويقول أحد المرشدين وهو يعرفه تمام المعرفة أنه لا شك لديه في أن روزنتال يعتقد أشد أنواع الشيوعية. تطرفاً وأنه يعمل بنشاط على ترويجها، وبرغم أنه يؤمن بضرورة تغيير الأوضاع القائمة إلا أنه لا يعتقد أنه يجب استخدام العنف، هدفه الرامن هو توحيد العمال في مصر في اتحاد ضخم وما من شك في أن أحد أهدافه من القيام بمثل هذا العمل هو نشر الشيوعية في صفوف العمال تحريجياً» .

ولا شك أن اعتناقه لهذه المبادئ يدفعه بطبيعة الحال إلى تشجيع إنشاء والإسهام في تأسيس ناد مثل «نادي الدراسات الاجتماعية» وهو ناد ينجح نهج الدولية الثالثة، وما من شك أيضاً في علاقة روزنتال كمثل أو كمراسل في مصر الدولية الثالثة، وهو على مراسلات متصلة بلديقيونف الذي يقال

(2) Vallet -- Contribution a L'etude de la Condition des Ouvriers de la grand Industrie au Caire (1911) P. 141.

أنه ممثل البلاشفة في ريفال. باستونيا، وكما أنه يُترجم أيضاً مع مكاتب
الدولية الثالثة في فيينا ونيويورك، ومن المرجح أنه أيضاً على علاقة بالعناصر
البلشفية في فلسطين، ويوجد في صفوف القيادات العمالية التي يؤسسها
عديد من العمال اليهود، ذوي الإختصاصات البلشفية، الذين لهم علاقات بشبكة
أو بناخري فلسطين، ووثمة شيكوك، توأجيت مؤخرًا في أنه يتواصل مع العناصر
البلشفية في فلسطين، عن طريق أشخاص، يشاهرون لهذا الغرض، ولكن هذه
الشيكوك لم تتأكد بعد، ولا يزيد أن نتذكر في هذا الصدد القضاء القطن على
ابنته أثناء زيارته لفلسطين، في نوفمبر الماضي، وتفيد خفا في تقريره اليونسكو
عنها أنها تعتقد أفكارا اشتراكية متطرفة، وتفيد بضبط في جازتها أوران

صادرة عن الدولية الثالثة -
ولغا روتنثال مع السيدة لورينس، كما أنه قد شارك في اجتماعات
لندن، وقد ألقى روتنثال بحديث إلى السيدة رافريس، سيمونس، في
رئيس تحرير الإحيسان جازيت في مايو الماضي، وثمة أشياء ملفتة للنظر في
هذا الحديث - فقد أعرب روتنثال عن ارتياحه لما يحزره من تقدم في عملية
تنظيم العمال في نقابات، وقال أيضاً أنه ما من فرصة ولو ضئيلة لنشر
الشيوعية الآن وسط الفلاحين المصريين، وأن عمل سعيه لينتج اتجاه الفلاحين
الموسطيين (الموجيك) - يهدف تلقن الشيوعيين دروساً جديدة لدى أنه محاولة
لنشر دعاياتهم في المستقبل، في صفوف الفلاحين المصريين، في هذا الصدد

ولد وقد طرحت مسألة إتخاذ إجراء عاجل ضد روتنثال، في شهر كانون الثاني
وعرض الأمر على الاستشارة، لكن الدكتور جازيت - أعزج - من اعتقاده بأنه لا
ضرورة لاتخاذ إجراء، كهذا، بل ما يتمتع به روتنثال من تأييد وشهرة تحسنت
في الاستكبرية الأمر الذي يؤهله لأن يطرح المشطبات الرئيسية للثورة الاشتراكية
كذلك أيضاً، المبتدئين الذين روتنثال يقوم بكل أنشطته في وضع الجهاز (أ) -
وهذا يتطلب لنا أن روتنثال كان شخصاً عامه وكان محط اهتمام
بالأجهزة المختلفة، كما كان أيضاً محط اهتمام المثقفين المصريين وخاصة
ذوي الإختصاصات الاشتراكية منهم، بل لعل أهم ما سخره أجهزة الأمن
المتشكلة أن روتنثال كان محط اهتمام أيضاً من جانب الرغبات السياسية الهامة
أيضا، وثمة وثيقة بالغة الأهمية من وثائق وزارة الداخلية المصرية - إدارة
الأمن - العام - مورحة في - ٢٨ - تمتمير - ١٩٣١ - تمتمير - ١٩٣١ - وثيقة بالغة الأهمية في ١٠
أغسطس ١٩٣١، قام مطبوع بلط الحاشي باختداء قيادة الوقتية بزيارة روتنثال
حيث عرض عليه تصفحه رئيساً لاتحاد العمال، بينما أجمع زعماء روتنثال
الانتخابات، في وقتها، فاستعدت له روتنثال، في وقتها، في وقتها

ولعل هذه الفقرة تشر المزيد من الإهتمام الذي يوليه روتنثال وعلاقته - كانت
مجهولة - بين زعماء حزب الوفد (سعد زغلول ومصطفى النحاس) وبين

(1) F. O. 141-779 F. C. (1919) Note on Rosenfal

العناصر الماركسية (التي كانت قد شكّلت في ذلك الحين الحزب الاشتراكي المصري) وعلى رأسها روزنتال الذين اتفقوا مع حزبنا على عقد مؤتمر في القاهرة والحقيقة ان روزنتال كان أيضا محط اهتمام العناصر الاشتراكية المصرية التي سعت اليه عندما بدأت في التفكير في تأسيس حزب اشتراكي .
 يقول سلفه موسى انه وزملاؤه عندما قرروا تأسيس جمعية اشتراكية كتبوا الى مسيو روزنتال باعتباره سكرتيرا للحزب الاشتراكي المؤلف من الجالية الاجنبية في مصر يسألونه عن برنامج هذا الحزب فاذا وافقهم انضموا اليه (١) .

ويقول د. علي العناني ، عرفت المسيو روزنتال الذي يسمى منذ امد بعيد لتأليف حزب اشتراكي في هذه البلاد وعرفت عنه هذه الجايدى الشريفة العادلة

لكن روزنتال برغم حيويته الدافقة ، ونشاطه الواسع لم يكن فيما يبدو ماركسيا أصيلا فما لبث ان ثارت خلافات عديدة حوله وبسببه وكان استبعاد من الحزب أحد شروط الكونغرس (الدولية الثالثة) لقبول الحزب المصري عضوا فيه . وان كانت شارلوت ابنته قد ظلت عضوا عاملا وربما قياديا في صفوف الحزب وتزوجت واحدا من منظّمي الاساسيين هو أمجدور *
 ولم يكن روزنتال وحده

كانت هناك شخصية أخرى أشد غموضا وأشد إثارة للجدل
 شخص لم تستطع أجهزة الامن الانجليزية التعرف على اسمه بالوقتة فاسمته زايدمان أو زيدرمان
 وقد عثرنا على عدد من الوثائق الهامة حول هذه الشخصية الغامضة في الأرشيف الخاص لوزارة الخارجية البريطانية
 عن اقوال زايدمان (زيدرمان) وتقول هذه المذكرة

في يناير ١٩٢١ أبلغ الميجور كورتنى ان لندن تطلب معلومات عن
 (١) الأهرام ١٩/٨/١٩٢١
 * ان اسمه الحقيقي بهيتل كوسى وهو واحد من كولدز (الكومنتزن)
 الأساسية المكلفة بالعمل في منطقة الشرق الأوسط وقد التقى القصر عليه في مصر عام ١٩٢٥ ، حيث حكم عليه بالسجن (لمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية راجع كتابنا اليسار المصري ١٩٢٥ - ١٩٤٠ وراجع أيضا والتر لاکور الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط)

شخص يُسَمَّى ادوارد زايمان وفي ١٩٢١/٢/٨ أفاد بوليس مدينة القاهرة بمذكرته رقم ب/س/ز/٧٢ جاء فيها المعلومات التالية والتي أرسلت مباشرة إلى الميجور كورتني باسمه .
رأى أن الشخص الوحيد الذي يحمل اسم ادوارد زايمان وقتها لتحريتنانا يقيم حالياً في الإسكندرية وهو من مواليد أوديسا وقد خدم خلال الحرب العالمية تحت العلم الإنجليزي وعندما أنهى خدمته في الجيش البريطاني في عام ١٩١٩ تزوج ابنة شخص يدعى أرون روزنفولد بمنتج مكتبة للسبورة بشارع السوق بجاردن سيتي

... وليس لادوارد زايمان أبوان مقيمان بمصر وليس له أقارب بهتنا سوى امرأة واحدة وهي السيدة علي التنصل من أبنه علاقة بزواج ابنته .
ويعمل ادوارد زايمان بتجارة الاثاث في مدينة الاسكندرية . وليس لدينا أية معلومات حقيقية تحوّل هذا الشخص ولا حول ممتلكاته أو احتياجاته ولكن الصراخ صهره علي التنصل من أبنه علاقة به وعلي عدم الانتشاره مطلقاً إلى زوجته ابنته وكذلك بعض سفارات من المعلومات تدفعنا إلى الشك في أن ثمة شيء ما يحيط بهذا الشخص وربما كان شيئاً ذات طابع أخلاقي .
وبعد هذا التقرير أقفل الملف مؤقتاً إذا لم توضح أية أهمية سياسية خاصة لمتابعة الدعو زايمان .

وفي أبريل الماضي تلقينا معلومات خاصة تشير إلى محادثة شخصية تمت مع البرنيس عزيزي حسن وقد قال البرنيس لمحده أنه يعلم أن هناك ٤٠٠ فلسطيني يعملون على بث الدعايات البلشفية وسط السكان العرب وذلك برغم أنهم أنفسهم لا يوجد فيهم من يتكلم العربية وأنهم قد أرسلوا شخصاً أو أكثر إلى مصر في محاولة لتجنيد بعض المصريين وقال البرنيس أنه يعرف أحد هؤلاء المؤيدين وأنه يهودي روسي وقد رفض البوح باسمه لكن محده يعتقد أن الاسم هو روزنبرج أو روزنبوم .

وفي أول مايو أشارت مذكرة لقومندان بوليس الاسكندرية إلى أن شخصاً يعتقد أنه عميل بلشفي قد ألقى خطاباً في اجتماع عمالي عقده بهذه المناسبة وقد بقي روزنبرج معروفته بهذا الشخص ويعتقد قومندان بوليس الاسكندرية أنه غير صادق في ادعائه هذا وفيما يلي وصف تقريبي لهذا الشخص وقتها دون هذا الوصف في المذكرة ب/س/٣١٤ = والمؤرخة في ١٩٢١/٥/٦ .
القوام : ضئيل .
الشعر : أشقر .

العيفان : زرقاوان
الشارب : صغير وأشقر
لون الملابس : بني فاتح
القبة : لينة ولونها بني فاتح، (١)

وتمضى المذكرة فتشير الى أن قومندان بوليس الاسكندرية قد كتب مذكرة اخرى في ٨ مايو ١٩٢١ يقول فيها انه يعتقد ان الشخص الذي ألقى خطاب اول مايو هو نفس الشخص الذي تحدث عنه البرنس عزيز حسن .

وتواصل أجهزة الامن ببحثها الدؤوب حتى تصل الى الحقيقة في ٢٦ سبتمبر ١٩٢١، وتمضى المذكرة قائله : أفاد بوليس الاسكندرية ان البحث قد توصل بشكل قاطع للشخص الذي ألقى خطاب اول مايو وان أسمه انوارد زايد مان وابنه صاحب مكتبة عنوانها ٢٥ شارع أنستاسي بالاسكندرية ، وما لبثت المعلومات ان تتالت من هذه الشخصية الغامضة .

وسرعان ما ربط البوليس بين اسم هذا الشخص وبين الحاج لندن في الحصول على معلومات عنه ثم ربط أيضا بينه وبين حديث البرنس عزيز حسن وأشارته مذكرة البوليس الاسكندرية ان اعتقاد المصدر الذي نقل حديث البرنس بان اسم البلشفي المشار اليه هو روزنبرج أو روزنبلوم هو اعتقاد نابع من الربط بين زايدمان واسم صهره روزنفولد .

وتمضى التقارير : أفاد قومندان بوليس الاسكندرية في ١٩ أغسطس ان السيد بيتروف القنصل الروسي بالاسكندرية قد ابلغه ان شخصا يدعى زيدمان وهو روسي يهودي ويمتلك مكتبة بشارع أنستاسي يقوم بتوزيع منشورات بلشفية وسط اللاجئين الروس المقيمين في سيدى بشر وذلك عن طريق الملازم ثان الكسندر نيكولايف الذي كان ضابطا بالجيش الاحمر والذي تم أسره بواسطة جيش دونكيت ، (٢)

وسرعان ما نجح بوليس الاسكندرية النشط في جمع معلومات اضافية عن هذه الشخصية وسجل تلك في مذكرة سرية جديدة تقول : زيدمان يهودي روسي دخل الى انجلترا خلال الحرب يجيد الانجليزية . قال لأحد مرشقيننا السريين انه قد افترق هذه المكتبة خصيصا لنشر الدعاية البلشفية ويقوم

(١) مذكرة باللغة الانجليزية معنونة : مذكرة عن انوارد زايدمان (زيدمان) مودعة بالارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية .
(٢) مذكرة باللغة الانجليزية تحت رقم ب/س/أ/٤١٩٨٩ بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٢١ .

المصريين ومحاولاتها المبكرة لترسيمة الأديبونات الماركسيتية الى اللغة العربية.

- جوزيف روزنتال
- شارلوت روزنتال

ع- جوزيف ابوارد زايدمان أو روزيدلمان ...
 ...
 نعم هناك اسم تلتقطه من ملفات أجهزة الامن ورد في تقرير مرفوع من كلايتون مساعد مدير الامن العام الى مستشار وزارة الداخلية يتضمن معلومات يحصل عليها البوليس من مراقبة العزيز الوارد الى جون سولوس ، صاحب صندوق البزيد رقم ١٨٥٥ الاسكندرية والتي تشير الى ان سولوس هذا كان يستورد (بشكل ما) كميات ضخمة من مواد الدعاية الماركسية ويتضمن التقرير نسخة من أحد هذه المواد (١) ...

وذاك أيضا اسم مثير للاهتمام هو الملازم ثان الكسندر نيكولايف الذي يقول تقارير البوليس انه كان ضابطا بالجيش الأحمر السوفييتي وأنه كان ينشط في عام ١٩٢١ وسط الحالة الروسية الاسكندرية ... ولا بد أن المزيد من البحث سوف يصل بنا الى المزيد من المعلومات والمزيد من الاسماء ...

الجماعات والاندية :

وكان طبيعيا أن تصب هذه الانشطة قبل أن يتبلور في شكل حزبي في صورة اندية وجميات وروابط واتحادات ...

وكان روزنتال هو المايسترو الذي إبتدى ومنذ البداية المبكرة من اقامة هذه التجمعات الديمقراطية بمختلف توجهاتها ... ففي العام الاخير من القرن التاسع عشر أسس روزنتال العديد من النقابات والروابط العمالية ثم جمع بينها جميعا في الاتحاد العام للعمال والذي وصلته عدد اعضائه الى قرابة ٤٠ ألفا ... كما تكونت في هذه ...

(١) مذكرة مرفوعة من ن . كلايتون مساعد مدير الامن العام بوزارة الداخلية التي منتهى تاريخها في ٢٨ سبتمبر ١٩٢١ . محررة بالانجليزية ومودعة في الارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية ...
 (٢) الاهرام ١٩٢٤/٢/٢٢

التقنيات، وفي المراكز المالية الهامة، صناعات المصنعة الخمرة، التي
تستهدف جمع منخرات عمالية استعداداً للانفاق على العمال عند إضرابهم
عن العمل.

وكان هناك أيضاً اتحاد المستأجرين الذي استهدف توحيده جهود
المستأجرين ضد ارتفاع اجارات المساكن والمحال، وقد نجح في تنظيم
إضراب شهير لأصحاب المحال التجارية احتجاجاً على ارتفاع الأيجارات في
٧ يوليو ١٩٢٠، وكانت هناك أيضاً الجامعة الشعبية التي نظمتها
الاشتراكيون الإيطاليون، والتعليم العمال، والمكتب الشعبية اليونانية التي
أسسها اليونانيون، وسلسلة من التجمعات اليونانية والأرمينية والإيطالية،
لكننا سننوقف عند جميعتين نعتقد أنهما أكثر أهمية من غيرهما، وهما
جماعة الدراسات الاجتماعية بالاسكندرية: **Clarte**
Groupe D, Etudes Sociales

وتصنفها تقارير الأمن بأنها مصدر أساسي للثورات والمطبوعات
الشيوعية باللغات الفرنسية والانجليزية والروسية والعربية وتقول أنها
تتخفي الى مواقع الدولية الثالثة (١) وكان روزنتال رئيس هذه الجماعة
جماعات الوضوح: **Clarte**

وقد ظل اسم هذه الجماعة يرد في تقارير الأمن بشكل غامض دون
توضيح لمايتها حتى تمكنا من الحصول على تقرير كامل أعدته أجهزة
الأمن عن هذه الجماعة يقول التقرير:

وتأسست هذه الجماعة مؤخراً في مدينة الاسكندرية، وهي تتخذ اسمها
من اسم المجلة الاسبوعية الشيوعية **Clarte** والتي تصدر في باريس وهي
مماثلة للجماعات التي تأسست تحت هذا الاسم في مختلف أنحاء فرنسا وهي
تتراسل بشكل منتظم مع المركز الرئيسي لهذه الجعيات في باريس ويوجد
على رأس هذا المركز شخصيات انبئية وثقافية بارزة، مثل إناطول
فرانس، هنري باربوس، رومان رولان، الخ.

موجودة بإرثيفيا وزارة الخارجية البريطانية، بالتحف البريطاني، لندن
١٩٢٠، ١٧٧٦/٧٢٧٢١١ (٦)

البرنامج :

تستهدف الجماعة السالفة الذكر نشر الأفكار والمبادئ الشيوعية عن طريق المحاضرات والمحادثات الشخصية مع العناصر العاطفة على هذه الجماعة. والذين يتزايد عددهم في هذه الايام . والذي لا شك فيه ان أعضاء الجماعة هم عناصر عالية الثقافة بصورة ملفتة للنظر تماما مثل أعضاء جماعة الدراسات الاجتماعية ، بينما تضم الاندية الشيوعية الاخرى التي يقيمها روزنتال مثل الاتحاد العام للعمل (C. G. T.) عناصر عمالية أساسا

وإذا كانت هذه التجمعات الشيوعية الثلاثة ذات أسماء مختلفة فإنها تشكل تجمعا واحدا من خلال عناصر عديدة تعمل في صفوفها جميعا. وهي جميعا تستهدف تحقيق نفس الهدف . . وهو نشر الشيوعية .

اللجنة القيادية :

- ويلاحظ أنها كالمادة في كل الاندية الشيوعية ليس لها رئيس
- * السكرتير : أوجوستي تيرني - موظف في شركة الملح وانصودا

* أمين الصندوق : م . ستيرن .

- كذلك تضم اللجنة القيادية أحد اليهود والآنسة روزنتال

الأعضاء : تضم الجماعة حوالي ٢٥ عضوا معظمهم من اليونانيين الذين ينشطون في صفوف جماعة الدراسات الاجتماعية مثل ياناكاكس . جوردانجيس ، بيريدس ، زوتو - الخ وتضم الجماعة أيضا ثلاثة أو أربعة من اليهود الروس منهم كوسوفسكي وهناك أيضا اثنان من الأفندية المصريين أحدهم يسمى عبد المنعم .

المقر : تتخذ الجماعة مقرا مؤقتا لها في مقر المكتبة الشعبية اليونانية شارع حمام الذهب (شارع سيدي المتولى) .

الاشتراك الشهري : عشرة قروش كحد أدنى .

الاجتماعات : كان الاجتماع الذي عقد في الساعة السابعة والنصف من مساء الخامس من الشهر الحالي اجتماعا بالغ الأهمية ذلك أنه قد تمت فيه مناقشة برنامج النشاط في المستقبل وقد لوحظ حضور آنسة من الباهرة لهذا الاجتماع هي الآنسة ليلي بيتاراكى Lili Petaraki وعنوانها

طرف مكتبة ستارينوس (شارع قصر النيل - القاهرة) وتعتبر هذه الأنسبة حلقة اتصال بين شيوعي القاهرة والاسكندرية . . . وقد تلى السكرتير قسما وقع عليه الاعضاء وفيما يلي نص هذا القسم . . .

« اذ نشعر القلق من انعدام العدالة في ظل النظام الرأسمالي ، ذلك النظام الذي يمكن حفة ضئيلة من ان تستغل وتستبد بالغالبية الساحقة التي تشكل الجماهير العاملة فاننى أعلن انضمامى الى نادى الوضوح واقسم اننى سوف أقدم كل ما أستطيع من عون للحركة الثقافية الثورية تلك الحركة التي تفتح الطريق وتمهده نحو الثورة الاجتماعية . »

وبعد أن ناقش المجتمعون حالة المجاعة المتفشية في روسيا أفاد احد الحاضرين أن روزنتال يقوم بجمع تبرعات لإرسالها الى ضحايا المجاعة هناك واتفق الحاضرون على الاسهام في هذه الحملة . . .

ثم تلى تيرنى رسالة واردة من هنرى باربوس الى فرع الاسكندرية . . .

* * *

الآن يكون الاشتراكيون قد اجتمعوا في حلقات واندية . . . ويكونون قد تعودوا على العمل المنظم . . . ويكون المبرح معدا للانطلاق نحو تأسيس الحزب .

مجموعة البلشفيك

وقد وصلت هذه المجموعة الى الاسكندرية عقب ثورة ١٩٠٥ . . . ومن المعتقد انها كانت مكونة اساسا من عدد من بحارة المدرجة « بوتومكين » . . . كذلك كان هناك عدد كبير من الروس الذين هربوا الى مصر من القهر القيصري ويؤكد مارسيل اسراييل انه كان من بينهم أعضاء في الحزب البلشفي . (١)

وتشير رسائل من كروبستكيا (زوجة لينين وسكرتيرة هيئة تحرير ايسكرا) الى أن اعداد مجلة ايسكرا التي طبعت في الفترة من مارس الى أغسطس ١٩٠٢ في ليدزج كانت ترسل الى ميناء باطوم بروسيا عن طريق طوبيل يهر من ليدزج الى برلين ومنها الى ميناء برينديزي الايطالى ثم منها الى الاسكندرية حيث يتم تخزينها سرا في مخزن تابع لطعم سياستوبل ويمتلكه روسي بلشفي هو يوستف بوزيفوفتش السذى يحتفظ بالاعداد لحين مرور

(١) مارسيل اسراييل ، المرجع السابق ، . . .

وقاد بأحد السفن الروسية أسمة الحركى فيرييسوتسكى واسمه الحقيقي تريتيكوف وفى سبتمبر عام ١٩٠٢ ضبط البوليس المصرى مجموعة من أعداد ايسكرا قبل نقلها الى السفينة الروسية بروجرم ووصل تريتيكوف الى روسيا ليبلغ أن الاسكندرية مدينة خطرة بسبب يقظة البوليس ونشاط القنصل الروسى (١) .

وثمة شخصية استغلت النظر هي تيودور روزنشتين وهو اشتراكى روسى فر من روسيا القيصرية الى لندن ثم جاء الى القاهرة ليعمل محررا فى الجريدة الانجليزية التى كان يصدرها الحزب الوطنى ، ذى اجيبسيان استاندارد ، وقد ألف كتابا فيما بعد عن تاريخ الاحتلال البريطانى لمصر اسمه « حمار مصر » وقد انتهى من تأليفه فى ١٩١٠ ثم غادر مصر الى لندن ليشارك بلنت فى اصدار المجلة الانجليزية 'EGYPT' وهى مجلة منع كرومر دخولها الى مصر .

لكن الغريب فى الامر هو ما يرويه على احمد شكرى مترجم كتاب « حمار مصر » ، والذي قال أنه تعرف بروزنشتين شخصيا . . . فهو يقول « وعلى اثر شبوب ثورة البلاشفة عاد المسيو روزنشتين الى روسيا حيث اختاره لينين سكرتيرا خاصا له . ثم عينته الحكومة الروسية فيما بعد وزيرا مفوضا لها فى طهران ، (٢) .

لكن البحث المتواصل أمكنه أن يجمع المعلومات التالية عن هذه الشخصية الفسدة :

- روزنشتين من مواليد ١٨٧١ فى بولتانا بأوكرانيا .
- كان من مجموعة الشعبيين حتى طلب القبض عليه فى ١٨٩٠ فهاجر الى لندن حيث درس الماركسية وانضم الى الحركة الاشتراكية البريطانية .
- فى ١٩٠١ انضم الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى حيث تعرف على لينين سنة ١٩٠٢ خلال وجودهما معا فى لندن .
- أصدر كتابه « حمار مصر » ردا على كتاب كرومر « بناء مصر الحديثة » .

(١) مراسلات لينين وهرثة تحرير ايسكرا الى منظمات الحزب فى روسيا من ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ . الطبعة الروسية (ثلاثة مجلدات) موسكو - (١٩٦٩) ، رسالة رقم ١٤٦ - ص ١٨٥ .

(٢) روزنشتين ، حمار مصر ، ترجمة على احمد شكرى ، مقدمة المترجم .

- عاد الى الاتحاد السوفييتى عام ١٩٢٠. وبقي وزيرا، منوطا في طهران حتى ١٩٢٣ ، حيث عاد ليعمل في وزارة الخارجية السوفييتية ، وفي ١٩٢٩ أصبح عضوا في اكااديمية العلوم السوفييتية . توفي عام ١٩٥٢ .
- طبع كتابه دمار مصر بالروسية عام ١٩٢٥ وصدرت له طبعة ثانية في ١٩٥٩ .

والآن ما هو الدور الذى كان يلعبه روزنشتين في مصر وهو الشخص الهام الوثيق الصلة بالرفيق لينين

عمل اثر في الحزب الوطنى وفي مريد بالذات ؟ بالإضافة الى ان جريدة اللواء قد نشرت مقتطفات من كتابه على صفحاتها . . . اغلب الظن ان هذا لم يكن كل الدور .

فثمة عبارة تسبّلت النظر في تقرير مارسيل اسراييل فهو يقول :
« عندما كان لينين في غزنسا وسويسرا كان يرسل كل رسائله الى الحزب البلشفى عن طريق مصر ، تصل الى مصر أولا ومنها الى روسيا وبذلك امكن تضليل الرقابة القيصريّة » . . .

فهل كان روزنشتين - سكرتير لينين فيما بعد - يقوم بهذه المهمة ؟
ربما . . .

والحقيقة ان المجموعة البلشفية الروسية بالاسكندرية كانت تنشط نشاطا ملحوظا وكانت توجه اهتمامها اساسا الى البحارة الروس الذين يصلون على السفن القادمة الى الاسكندرية ، وقد تمكنت هذه المجموعة من الاتصال بروسى يمتلك مطبعة في ظوان حيث كانت تطبع عنده مجلة باللغة الروسية اسمها « ماريانك » اى « النجار » لتوزيعها على هؤلاء البحارة الروس . ولعل هذا النشاط هو الذى يعزز فكرة ان معظمهم كانوا من بحارة المدة . . .

كذلك تواجد في بورسعيد عدد من بحارة السمرة بيريسيفيت التى غرقت في يناير ١٩١٧ بالقرب من بورسعيد وتجنبا بعض بحارتها واقاموا في بورسعيد . وقد ارسل القنصل الروسى في بورسعيد سيبيروتوف اكثر من برقية الى الخارجية الروسية يطلبها شكوى السلطات المحلية من النشاط البلشفى لهؤلاء البحارة . . .

ولم يقتصر نشاط هذه المجموعة على ذلك فقد ساندت العمال المصريين في اضراباتهم وفي احدى المظاهرات العمالية خرج اعضاء المجموعة ليحصلون علما أحمر مكتوب عليه « الحزب الاشتراكي الديمقراطي الرويني (البلشفيك) » (١) .

وقازت ثائرة قنصل روسيا في الاسكندرية وطالب السلطات بتسليمهم فوراً ولقى القبض على ثلاث منهم وتُنشر الأهرام :

« لقي القبض في الثغر على ثلاثة من الروس اللاجئين اليه على اثر الحوادث التي وقعت في بلادهم ويقال أن أحدهم من حملة الاتيلاء (الكتاب) هناك - وسيمادون الي روسيا مخفورين وقد كان لهذا الحادث تأثير شديد بين النزلة الاوروبيين في الثغر » (٢) .

ويوضح هذا الخبر المنشور في الأهرام مسألة هامة هي أن مؤلا الروس قد وفدوا الي الاسكندرية « على اثر الحوادث التي وقعت في بلادهم » ولا شك أنها أحداث ثورة ١٩٠٥ كما يوضح أيضا أنه كان بينهم عندئذ من المثقفين (حملة الاقلام) .

ولعله من المفيد أن نخوقف قليلا عند حادثة الروسيين الثلاثة هذه .

ليس فقط لأنها تلقي بذلتها أضواء على النشاط الاشتراكي في ذلك الحين . . . ولا لمجرد أنها أتحقت ضجة كبيرة للغاية سواء في صفوف الاجانب عموما أو للصحافة . . . وإنما لأنها تعبر عن وجود أشكال تنظيمية كانت تتحرك وتتحرك مختلف القوى . . . ولأنها على أية حال تعطي لنا صورة عن أساليب العمل وقدرات الحشد ومجالات التأثير للجماعات الاشتراكية العاملة في مصر في ذلك الحين .

وبعد أن نُشر الأهرام خبر القبض على الثلاثة الروس في ١٩ يناير ١٩٠٧ نشرت المؤيد في ٢١ يناير مجموعة من المقالات حول هذا الموضوع :

« الاسكندرية - الحادثة الاسرائيلية الارمنية كاتيفا السكندرية .

(١) نيكولاى كوتساريف . من الف عام على الطريق . دار الهنا . القاهرة .

(٢) الأهرام - ١٩/١/١٩٠٧

وصلكم تليفونيا أمس واليوم ملخص ما حدث في شغرتنا من الهياج واللجاج ضد قنصلاتو روسيا واليكم التفصيل وما جرى بعد ظهر اليوم. وما تلاه من المظاهرات والمخابرات الرسمية والخطب. وعكسها وما اتخذته الحكومة من الحيطة لحفظ النظام .

هاجر مع من هاجروا من أنحاء روسيا ثلاثة انفجار روسيون ارملى واسرائيلى روسى ومسيخى ويقال انهم من لجان الثورة المحكوم عليهم بالاعدام وحضورهم لمصر لغاية شريعة . . ابلفت قنصلاتو روسيا ذلك الى الحكومة المصرية فقبضت على الثلاثة المتهمين ووجدت بين امتعتهم مواد انفجارية ايدت دعوى القنصلاتو الروسية . وبذلك لم يعد لهؤلاء الثلاثة صفة الجرمين السياسيين لينظر في امرهم نظر آخر يعين حكومة دستورية شعارها الحرية والامن كالحكومة المصرية كما هو مفهوم .

نقص الرواية بجملتها دون تحيز الى احد ولذلك ندع لليراع مجاله ليقول ما ظهر وما بطن من الامور . ذلك ان رؤوس الجماعة (يقصد الاجانب في الاسكندرية) تصدوا محافظ لثغر ويسانوه عدم تسليم الثلاثة الى قنصلاتو روسيا فاجابهم باسم الحكومة ان هذا من شئوننا فاجاؤا الى مجتمعهم واوعزوا الى بعض الصحف الافرنجية بكتابة ما يحمل الشعب على السخط والحكومة على الرافة بهؤلاء المتهمين .

وقتل ظهر أمس علم الجماعة بالمسألة والظاهر ان مخابرات طويلة جرت في هذه المسألة فحضر جناب الفريق كميوس الى حكمة المضاربة في البورصة وخطب على الجمهور حكاية المتهمين وانهم سييسافرون من بلاد الحرية والعدالة الى بلاد الجور والاستبداد . واستنهض منهم الناس بعمل ما يفهم الحكومة عدم رضا الغزلاء من هذه المجاملة الدولية التي تقضى على ثلاثة ارواح بالزهاق ظلما واستبدادا . فضج البعض لخطابه وكانهم في انتظار موقفه .

ويمضى الرسائل ليصف كيف سارت مظاهرة ضخمة تضم عامة الارمن والايطاليين والاروام والاسرائيليين لبدء سخطهم واستيائهم مع طلب استلام المتهمين من قنصلاتو روسيا التي اوصدت ابوابها ونوافذها . ثم كانت مظاهرة اخرى يصفها الرسائل في نفس المقال وهي في الاساس مظاهرة عمالية .

وبعد ظهر أمس اى في الساعة الخامسة مساء انتظم سلك جمع ثمان اكثر عددا وقوة بينهم بعض الفوضويين الايطاليين والارمن المستطيرين واليونان المعز اليهم وبالجملة ان التظاهرين بالحماس تشددوا بعدد من جمعية العمال

المختلطة فمروا من المنشية ضائحين الحرية ، الحرية ، فلتستط الروسياً
وليتسقط استبدادها وما زالوا على هذه النعمة مع الترنم بالشميد-الوظنتي
الفرنساوي (المرسيلىز) الى ان وصلوا الى القنصلاتو الروسية . . .

ثم يصف مظاهرة ثالثة توجهت الى الميناء الغربية ، للعبث بالباخرة
الروسية الراسية في مرساها على الرصيف ظانين ان المتهمين الثلاثة قد انزلوا
اليها بقصد تسفيرهم الى أوروبا وانهم سينتزعونهم منها قوة واقتدارا
فاحاطوا بالباخرة غير مكترئين بخفوا السواحل وحرس الجمارك وخفواته
الذين كانوا في انتظار هذا النوكب الناثر الهائج . . . وقد صعد بعض التحسينين
وليسوا بالعدد القليل الى ظهر الباخرة فقابلهم ريانها بكل لطف ودعه وانكر
وجود من يطلبونهم وسمح لهم من باب المسألة ان يفتشوا الوابور ففتشوه
فعلا ولما لم يجدوا احدا نزلوا الى الرصيف صاحبين مهدين فجاءت مضخة
اطفاء النار ومدت خرطومها لتهددهم به فقطعوه اربا بالمدى واعتصموا على
الخفراء ، وعندما جاءت - المضخة الكبرى يمانها الحار تهيئوا للمقاومة والشرف
وجرت ملاكمة بين احدهم ورئيس المطافئ الانكليزي ثم انصرفوا . . .

ثم يصف مظاهرة رابعة جرت في اليوم التالي حيث أحاط المتظاهرون
بمبنى القنصلية الروسية ، فرشقوها بالبيض والوحل والبصم والحجارة
وتناول بعضهم الى سارتها الرسمية بواسطة تسلقهم على عمود الترام الثابت
امام بابها فانقزعوا الشاره والقوها الى الارض . . .

ثم توجهت المظاهرة الى البورصة ، التي عصت بالناس وكان فيهم
الروسى والارمنى واليونانى والايطالى وهكذا من كل صبغة وجنس واذا بالخواجا
أربيب الأسرائيلى يعتلى منصة جىء بها ليعلو بواسطة على كل عال فصق
له القوم ترحيبا به فقال يجب على الاسكندرية أن تبتل غدا اعمالها التي ان
تبلغ غرضها تجاه المقبوض عليهم ظلما ويجب على كل فرد منا بحكم الانسانية
ان لا ياكل ولا يشرب في الغد الى ان ننال امنية العدل من الحكومة فصاح
الجميع الحرية الحرية وصفقوا له فاستفاد الكلام وهو يرتجف غيظا
وانقما . . . (١) . . .

وهكذا . . . تبدو الصورة واضحة . . . كيف استطاعت العناصر الاشتراكية
بالاسكندرية ان تجمع حولها مجمل الجاليات الاجنبية تقريبا في هذه المعركة
وان تحشدها في مظاهرات صدامية صاخبة وان تصعد المعركة الى الاضراب
العام بل والى الصيام عن الطعام والشراب تضامنا مع الثوريين الروس
الثلاثة . . .

(١) المؤيد ٢١ - ١ - ١٩٠٧

وكتذكرك كان الأمر في القاهرة ففي ٢١ يناير كانت المظاهرات أيضا صاخبة
وتصيف المؤيد الجالة قائلة ، في الساعة الثانية عشر تماما ابتدأت حركة
الناس في الجورجية وإمامها يزداد بحيث لم تنتصف الساعة الواحدة حتى
كان عدد المتظاهرين والفرجين نحو الألف تقريبا ، فوقف في الجمع جهارا
أمام النيورصة وفي الشوارع العمومي المدعو باطيطي وهو مهندس إيطالي في
الخامسة والثلاثين من عمرة وتكلم بحماس قائلا أن الأمن على الخيرية
الشخصية في مصر أصبح مهددا إذا صح أن يؤخذ الأفياء الروسيون - الثلاثة
الى روسيا حيث يلقون القضاء عليهم من غير محاكمة ، ولكن لا تباينوا يا نصراء
الانسانية وضحوا جميعا بلسان واحد لتحي العدالة ، ثم سارت المظاهرة وهي
تهتف ، لتحي العدالة وتحي الحرية وينشدون النشيد الفرنسي بحماس (١)

وتصيف المؤيد اجتماعا آخر لكيار رجال الجاليات الاجنبية عقد في نزل
الكوتنتال ، وقد وقف في الاجتماع ويبلغ عددهم نحو المائتين بعض منهم
للخطابة وتكلم مسيو روسي ومسيو بنزراكي وفورغوف وشالوم الا أن خطاباتهم
كانت معتلة غير هياجية وعلى أثر هذه الخطابات تالفت لجنة مكونة من مسيو
بنزراكي وروسى وفورغوف وفيبييه وكولرا وذهبت الى دار القنصلات الروسية
لمقابلة معتمد الدولة الروسية السيامي فقابلهم أحسن مقابلة .

ولكى ندرك مدى قدرات الجماعات الاشتراكية وسط الجاليات الاجنبية
سواء على الحشد أو التنظيم أو سرعة الحركة نورد هذه الملاحظة التي اوردتها
المؤيد في دهشة وفي أثناء ذهاب هذه اللجنة الى دار القنصلاتو طبع بعضهم
إعلانا بالخط الكبير واللغة الفرنسية قيل فيه أن جواب جناب سفير روسيا
على اللجنة المشكلة في صالح الدلائل الروس سيبلغ في تياترو النوفوتية بشوارع
كامل الساعة السادسة مساء ، فكان هذا الاعلان الموزع على الناس في القهاوي
والمجال العمومية في جميع أنحاء العاصمة في بحر ضاعة واحدة بمثابة استدعاء
الى المشاركة في المظاهرة لانه ما جاءت الساعة السادسة مساء حتى كان عدد
عظيم من الخلق أمام تياترو النوفوتية فدخلوه حتى غص بهم ، (٢)

كذلك توجه وفد من المتظاهرين لمقابلة اللورد كرومر طالبين عدم تسليم
الروس الثلاثة لقنصلهم والتحقيق معهم بمعرفة السلطات المصرية .

(١) المؤيد ٢٢ - ١ - ١٩٠٧

(٢) المؤيد ٢٢ - ١ - ١٩٠٧

لكن سلطات الاحتلال كانت قد حزمت أمرها وتررت توجيه ضربة للنشاط الاشتراكي وسط الجاليات الأجنبية المقيمة في مصر ، وبث الذعر في صفوف القائمين به شاهرة في وجوه الجميع بمسلاح ترحيلهم من مصر وتسليمهم لقنصل بلادهم . . .

وتواصلت المعركة واستخدم فيها سلاح المنشورات .

وتنشر جريدة الاهرام نص منشور وزع في القاهرة ، أيها الرفاق . . . اذا كانت المظاهرة الهادئة المنظمة التي اشتركنا بها طالبا للمحافظة على كرامة اللجأ لم تنتج النتيجة التي يريدها الاسكندريون ، فمن الواجب لصالح ضحايا الظلم اتخاذ وسائل فعالة حتى ننحصر الحرية والانسانية . . . من الواجب على كل انسان في هذه الظروف الحرجة أن يكون مستعدا للعمل وان يلبي الدعوة عند الحاجة لمقابلة الشدة بالشدة . . . فليعش الشعب الروسي وليبسقط التمييز السفاح ، (١) .

وتواصل سلطات الاحتلال توجيه ضرباتها للتجمعات الاشتراكية تهدت اضعاف نشاطها وتخويف المنتمين اليها من الابعاد عن مصر والتسليم لقنصلهم . . . وتبدأ سلسلة من المحاكمات السريعة التي تستلقت النظر في سرعتها تبعد مظاهرات ٢١ يناير بالاسكندرية بدأت المحاكمات في اليوم التالي مباشرة وتنشر الاهرام :

« حوكم أول امس أمام محكمة الاسكندرية الاهلية . . . هر كيز اكسيان تريسيان الارمني وعمره ٢٤ سنة وحرقته خياط وديمترى استقاراتى وعمره ١٩ سنة وحرقته اسكافي ، ومانولى جرمانى وحرقته خمار لاتهامهم بأنهم اهانوا جلالة قيصر روسيا وانزلوا على الارض الشعار الروسى . . . ولا يزال التحقيق جاريا عن أعمال عشرة آخرين » (٢) .

وفي ١٠ فبراير تنشر المؤيد « روت الغازيت » أن قنصلية فرنسا في الاسكندرية تواصل التحقيق في القضية التي رفعتها الحكومة المصرية وقنصل روسيا على مسيو كانيئة محرر الريفورم بسبب ما كتبه في نصرة المتظاهرين لصلحة المجرمين الروسيين .

(١) الاهرام ١٩٠٧/١/٢٤

(٢) الاهرام ١٩٠٧/١/٢٤

ومتى انتهت القنصلية الفرنسية من التحقيق تقرّر هل القانون
الفرنساوي يعتبر المحرر مذنباً ومستحقاً للمحاكمة (١)

وفي ١٣ فبراير تنشر خبراً آخر حددت قنصلاتو النمسا يوم غد للمحاكمة
الخواجة الفريد كمبوس لاثتهامه بزعامة المظاهرات التي حصلت ضد
قنصلاتو روسيا (٢)

وهكذا يتضح أن قناصل الدول قد تواطؤوا مع اللورد كرومر وسلطات
الاحتلال على توجيه ضربة لتلك التجمعات الاشتراكية الأجنبية التي تواجدت
في مصر محتمية بالامتيازات الأجنبية التي تكفل لهم حق المحاكمة أمام قناصلهم
فاذا بالقناصل يشهدون النكير عليهم

كذلك يبدو اهتمام سلطات الاحتلال بقصّ أجنحة هذا النشاط من
أصرارها على تسليم الثلاثة الروس رغم عدم التزام الحكومة المصرية بتأي
معاهدة نقض تسليم المجرمين (٣)

بل ويبدو هذا الاهتمام أيضاً من تخصيص الحكومة لقطار خاص لنقل
المقبوض عليهم الثلاثة إلى بور بنعيد سرا تمهيدا لترحيلهم إلى روسيا
من هناك (٤)

أما هؤلاء الثلاثة الذين أثاروا كل هذه الضجة والتي لم نجد في صحف
هذه الفترة أية إشارة لاسمائهم فإن ملفات التحقيق معهم قد أثبتت « أن تاريخ
حياة المذكورين وأن تحريرهم محضاً ضبطاً لديهم يدل على تبعيتهم لأحدى لجان
الثورة كذلك فإنه من الثابت أن الثلاثة المذكورين روسيون ارتكبوا جرائم
سياسية في بلادهم وحكم عليهم بأحكام أقربها حكم صادر ضد أحدتهم لمناسبة
الاعتصاب الذي وقع أخيراً في أوديسا وأنهم جاءوا إلى الإسكندرية محتجين
في أرض مصر (٥)

(١) المؤيد ١٩٠٧/٢/١٠

(٢) المؤيد ١٩٠٧/٢/١٢

(٣) راجع المذكرة القانونية التي رفعها بالنيابة عن الجاليات الأجنبية
في مصر لسالوم ، ن . روسي إلى اللورد كرومر بشأن طلب عدم تسليم
الروس الثلاثة إلى قنصلهم والمؤرخة في ١٩٠٧/١٠/٢٢ والنشر في
المؤيد ١٩٠٧/١/٢٨

(٤) المؤيد ١٩٠٧/١/٢٨

(٥) المؤيد ١٩٠٧/١/٢٩ مقال « الخطر من سلطة القناصل كيف

يتقى »

وإذا كانت المؤيد والأهزم قد اتخذتا من هذه الحادثة موقفاً فيه قدر من
الانتقاد لحركة الاشتراكيين الأجانب فإن اللواء جريدة الحزب الوطنى قد
اتخذت موقفاً آخر .

ففى تعقيب لها على ما نشرته المؤيد من وصف للمظاهرات اختتمته قائلة :
« وأنا نحمد الله على أنه لم يكن بينهم مصرى مسلم على الاطلاق ، . . . شنت
للواء هجوماً قالت فيه : ان المؤيد قد تغافل كثيراً مما كان يجب عليه ازاء هذه
القضية سواء من حيث خطته أو الشعور الاسلامى فى مصر . . . وإذا كان
يحمد الله على أنه لم يكن بين أهل المظاهرة مصرى مسلم عنى الاطلاق
فانما يحمد الله على موت الشعور الحى بين مواطنيه المسلمين والحقيقة ان
الوطنى المصرى الحر ينبغى له أن يبكى دما عسداً يرى أن لا أثر للمسلمين
فى مثل المظاهرات لان ذلك دليل على أن المسلمين ما زالوا لم يدركوا ماهى الحرية
الحقيقية ، وما هى الوظائف الانسانية . . . ولذلك كان ينبغى على المؤيد الذى
لا تخفى عليه كل هذه الحقائق ويقدر ما لها من التأثير فى حياة الأمة المصرية
والأمة الاسلامية أن يحض المسلمين عن أهل مصر على الاشتراك فى مثل هذه
المظاهرات ، (١) .

وهكذا فإن هذه المعركة لم تمض بلا أثر ، حتى بالنسبة لجمهور المصريين
ولعل هذا التأثير لم يكن بعيداً عن تلك المظاهرات الصاخبة التى لم تلبث أن
تفجرت بعد أشهر قلائل والتى نظمها العمال المتعطلون . . . وغيرهم .

الايطاليون :

كان العمال الايطاليين يفتدون الى مصر بكثرة وقد اهتم الحزب الاشتراكى
الايطالى بتنظيمهم وايضاً كوادراً اشتراكية معهم . الى حد أن لورد لوييد
كتب يقول : ان الحزب الاشتراكى الايطالى كان نشطاً فى مصر نشطاً
لا يقل عن نشاطه فى ايطاليا ، (٢) .

والحقيقة أن لهذا النشاط تاريخاً قديماً ، ففى أثناء ثورة عرابى ١٨٨٢
وعندما وقف معظم الأجانب ضدها أرسل العمال الايطاليون رسماً وقدموا

(١) اللواء ١١/٢/١٩٠٧

(2) Lord, L.Loyed — Egypte, Since Crommer P. 353

كامبني و رئيس جمعية العمال الايطاليين بالاسكندرية، التي البارودي رئيس وزراء الثورة يعلنون فيها تأييدهم لاهداف الخبز الوطني. المصري و امانتيسه الوطنية ويستتكرون التدخل الاجنبي (١)

والحقيقة أن مجموعة الاشتراكيين الايطاليين كانت أكثر من المجموعات تنظيميا ، ولجات الى الاساليب التي توحى بوجود عمل حزبي منظم خلفها .

فقد كانت منشوراتها تغمر المدن الكبرى في عديد من المناسبات وقد طابعت منشورهم دفاعا عن الثلاثة الروس كما انهم أسسوا في الاسكندرية الجامعة الشعبية الحرة ، لتعليم العمال (٢)

ولعل اهم ما يلفت النظر في فكرة الجامعة الشعبية الحرة ، هي انها كانت فيما يبدو أكثر من مجرد محاولة لتعليم و تثقيف العمال ، فان نظرة على مجلس ادارتها الذي تكون في ١٣ مايو ١٩١١ تشير بأنه كان يضم عددا من غير الايطاليين . مصريين ويونانيين وأرمن .

بما يوحي بان الهدف كان ايجاد تجمع من مختلف الجنسيات ومن بينها المصريين لادارة الجامعة الشعبية . ونشر الافكار الاشتراكية التي كرسها الجامعة برنامجها اساسا لتقديمها للجمهور .

ولنطالع بعض أسماء مجلس الادارة فانها تقدم لنا صورة كافية : د. مودينوس ، د. كامبيني ، المهندس كولو . ومع هؤلاء أسماء توحى بانها يونانية مثل باباداكيس ، ل. ا. بياجيني لكن هناك أيضا أسماء مصرية مثل عثمان الخدي . وهناك بالطبع القاسم المشترك في كل تجمع تقدمي ج . روزنتال (٣)

ولعل اهم ما يلفت النظر هو قدم هذا النشاط في فئمة وثيقة تشير الى نشاط تقديم للاشتراكيين الايطاليين . هي رسالة من مهرداد ختوي مؤرخة في ٨ جمادى الثاني ١٣٠٠ هجرية موجهة الى ناظر مجلس النظائر تفتت النظر الى خطورة نشاط جمعية الانتزاسيونالي الايطالية في الاسكندرية (٤)

(١) رفعت السعيد ، الاساس الاجتماعي للثورة العربية . دار الكاتب العربي ص ٢٣٥

(2) Jacques Berque — L'Egypte Impérialisme et Révolution.

(3) Le Phare d'Alexandrie — 13-5-1901.

(٤) دار الوثائق القومية - مخفظه ٨١٠ داخلية افرنكي

•• ولقد استمر هذا النشاط متواصلاً وفاعلاً منا. بقيت في مصر جالية
إيطالية كبيرة العدد •

وأخرون:

ولم تكن هذه هي كل الجهود التي بذلت على أرض مصر ، فقد كانت
هناك جهود أخرى كثيرة فهناك جدى انجليزى اسمه فكتور أستور كان
عضواً بحزب العمال وحضر الى مصر ضمن قوات الاحتلال ابان الحرب
العالمية الاولى •• وقد لاقم أستور علاقات وثيقة بعدد من المثقفين المصريين
ذوى الميل الاشتراكية ••• ويشير عبد الرحمن فضل الى وجود عدد من
البلغار الذين أسهموا معهم في العمل الحزبى من بينهم بعض سائقى التاكسى،
الذين كانوا يستخدمون في نقل المواد الحزبية (١) •

كذلك يقول د • عبد الفتاح الفاضى ان فتاة بلغارية اسمها « بوبوفا »
اتصلت به خلال وجوده في ألمانيا عام ١٩٢٠ ولقنته الماركسية (٢) •

والحقيقة انه لابد من بذل مزيد من الجهود. بحثاً عن تاريخ هذه المجموعات
الاجنبية التي أسهمت في بذر بعض بذور العمل الاشتراكي في أرض مصر ••

والصريون أيضاً •••

وكان لابد للمثقفين المصريين من أن يتأثروا بكل ذلك وبتطور الاحداث.
في مجتمعتهم وبنمو النضال العمالى الامر الذى طرح قضية الاشتراكية امام
أعينهم ••

ولا شك أن علاقات الحزب الوطنى بالقوى الاشتراكية قد اثرت في
جناح من أعضائه وخاصة من الشباب فيه •

وفي ١٩٠٧ وزع منشور في مدينة القاهرة بتوقيع شباب الحزب الوطنى
« يدعو المصريين الى دراسة الاشتراكية والاهتمام بها » ومن بين الموقعين
ش. هذا المنشور سلامة موسى وصالح الجهنساوى •

وقد تركت ثورة ١٩٠٥ في روسيا و ١٩٠٨ في تركيا وايران أصداء هامة
وسط المثقفين المصريين •• (٣) •

(١) راجع محضر النقاش معه •

(٢) اتضح من البحث عن هذه الفتاة ان الرفيق ديمتروف كان يعمل
معه خلال اقامته في ألمانيا رفيق بلغارى اسمه بوبوف ••• ومن المحتمل ان
تكون هذه الفتاة أخته •

(٣) لاكور - المرجع السابق ص ٣٢ •

ولكم يبدو مثيرا للاهتمام والدهشة معا، ان تجد ثورة ١٩٠٥ في روسيا
انعكسية انعكاسا سريعا ومكثفا كذلك الذي وجده في مصر ..

فالامر لم يقتصر على بعض اخبار نشرت في الصحف .. وانما اليس
غريبا، ان يصدر في القاهرة، وفي نفس العام ١٩٠٥، كتاب بعنوان « اسرار
الثورة الروسية » .. يكتب مؤلفه خليل بك سعادة في مقدمته قائلا :
« سيكون للثورة الروسية التي لا تزال حتى الساعة نارها في اضطرام
واوارها في استعار من تغيير شئون الجنس البشري ونهضة الامم ما كان
لثقيقتها الثورة الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر من الضرب على
يد الجور الائمة وكسر اغلال الظلم وتقيود الاستبداد والتسروج بنى
الانسان من دياجير الجهل والاوهم الى نضاء الحرية ومناهل العمران » (١)

ويؤكد لكور ان الخلايا الاشتراكية الاولى وجحت في مصر في عام
١٩١٨ وتناثرت في المدن الكبرى مثل الاسكندرية .. القاهرة - بور سعيد .

كذلك لا يمكننا ان نتجاهل اقدام النصوري على تاليف كتابه عن
الاشتراكية وانتشار الخचित عن الاشتراكية في الصحف المصرية انتشارا
يوحي بوجود قوى اشتراكية مصرية تحركه ، كذلك يمكننا تقويم النقوذ الفكري
للاشتراكية في مصر من خلال دراسة ردود الفعل على العناصر الترجمية التي
سرعان ما اخست بالخطر واخذت تترجم عن عجل كتابات معادية
للاشتراكية مثل كتب جوستاف لوبون وغيره .

لكن اكثر ما يثير الانتباه في هذا الصدد هو ان اجهزة الامن التي كانت
تتابع أنشطة الاشتراكيين الاجانب قد اشارت اكثر من مرة الى اهتمام
هؤلاء بالتمرف على عدد من المثقفين والافندية المصريين ونشر الافكار -
الاشتراكية بينهم ..

كما تشير هذه التقارير الى اهتمام هؤلاء الاشتراكيين الاجانب بتعلم
اللغة العربية كمعبر ضروري للتفاهم مع المصريين . وتشير كذلك الى اهتمامهم
بطبع « ادبيات » ماركسية باللغة العربية .

كذلك فان وثائق اجهزة الامن تسجل بدايات هذا التلاحم بين
الاشتراكيين الاجانب والاشتراكيين المصريين .. سواء في الاحتفالات

(١) خليل بك سعادة - اسرار الثورة الروسية - مطبعة القهذن بمصر

المبكرة بعيد اول مايو حيث رصد رجال الامن النشيطون وجود افسندية مصريين بين الجالسين او في صفوف الاندية الثقافية والجماعات ذات التوجه الماركسي مثل « نادى الدراسات الاجتماعية » و « جماعة الوضوح » .

ويقول احد هذه التقارير « ان من بين أعضاء جماعة الوضوح Clarte اثنان من الافندية أحدهما يسمى عبد النعم » (١) .

كذلك تصاعد النضال العمالي المصري وازدادت اضرابات العمال عندما وتنظيما الأمر الذى يوحى بتزايد الوعى الطبقي بينهم .

ولا شك أن نجاح ثورة أكتوبر ١٩١٧ قد ترك آثارا هامة وسط المثقفين المصريين .

يقول مارسيل كولب « ان الثورة الروسية ١٩١٧ والنداءات التى وجهتها الدولية الثالثة فى السنين التالية « الى فلاحي وعمال الشرق الأدنى » و « الى مسلمى العالم ضحايا الاستغلال » قد تركت أصدا ذات اثر فى المراكز الكبرى وخاصة فى الاسكندرية وهى بطبيعتها مدينة دولية » (٢) .

وعندما اشتملت ثورة ١٩١٩ ولعب العمال والفلاحون دورا ثوريا بارزا فى احداثها اسهم ذلك اسباما كبيرا فى دفع العمل الاشتراكي فى مصر خطوات كبيرة الى الامام .

ولا بد أن نشاطا كبيرا قد حدث ، اتى الحد الذى دفع سعد زغول أن يوجه رسالة سرية من باريس بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩١٩ الى اللجنة المركزية للوفد يقول فيها « الوفد غير راض عن المنشورات التى تفيد اعتماد المصريين على الألمان أو تتضمن الانتصار للبليشفيك فان هذه المنشورات يستفيد منها اعداؤنا للقول بأن الحركة المصرية المصرية لها اتصال بالألمان وبالحركة البليشفية » (٣) .

وقد بدأت الصحافة الانجليزية فى مصر حملة ضد ما أسمته بالخطر البليشفي (٤) .

(١) الارشيف العام - تقرير بعنوان Clarte

(2) MARCEL COLOMBE — L'Evolution de L'Egypte 1924-1950.

(٣) محمد أنيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ٢١ .

(٤) اجيسان ميل ١٩١٩/٤/١٦ .

وتصاعدت هذه الحملة الى حد ، ان الجنرال ولسون قائد قوات التدخل
البريطانية في القوتاز ارسل تقريراً الى حكومته ينصح فيه بالجلء الفوري
عن المناطق المحتلة في القوتاز لتركيز القوى اللازمة للدفاع عن بعض المناطق
الهامية في الامبراطورية وخاصة مصر والهند اللتين يتهددهما التأثير
البلشفي (١)

وفي اعتقادنا ان هذه الحملات مبالغ فيها جدا . صحيح ان نشاطا
اشتراكيا واسعا قد جرى في مصر ذلك الحين ، لكنه لم يصل الى الحد
الذي يدفع بريطانيا الى سحب قواتها من أماكن اخرى لحشدتها في أرض
مصر

والحقيقة ان قوات الاحتلال قد بالغت متعمدة في اثاره الفزع مما
اسمته بالثورة البلشفية للوشيكه التوسع كسبيل لاحافة قيادة الوعد
والطبقات الوسطى من الحركة الثورية النشطة للعمال والفلاحين في ذلك
الحين ، بل وكسبيل أيضا لازعاج كل القوى الوطنية والايحاء اليها بان
انتشار الشيوعية في مصر سيؤدي ببريطانيا الى رفض منحها الاستقلال
ولا بد ان هذه الفكرة الاخيرة قد سيطرت على اذهان الكثيرين الى حد ان
مؤسسي الحزب الاشتراكي المصري قد طرحوها للنقاش فيما بينهم عندما شرعوا
في تأسيس الحزب

فقد كتب سلامة موسى قائلا ، ربما كان الوقت الحاضر أسوأ الاوقات
لتأليف هذه الجمعية فاننا في مأزق سياسي لا ينبغي ان نزيده حرجا بما
يمكن ان يتخرب به المعارضون لاستقلالنا في انجلترا من ان في مصر شيوعيين
وبلشفيين .

ويقول سلامة موسى ان مؤسسي الجمعية يحثوا هذه المسألة وقرروا ، ان
التخوف من اقامتها قد لا يكون عائقا في سبيل المناقضة الحاضرة .
فان اكثر اعضاء الجمعية المزمع تأليفها يحسنون اللغات الاوروبية المهمة
ويجيدون كتابتها ولن يقصروا عندما يرفع الاستعمار عقيرته ويندد بنا ،
في الرد عليه وانحامه ببيان لغته (٢)

ولقد شاهدنا كيف اثرت هذه الدعاية في سعد زغلول فكتب رسالته الى
اللجنة المركزية للوفد . وقد اثرت أيضا في مكري اباطة الذي كتب ، ان

(١) مارسيل اسراييل . المرجع السابق .

(٢) الأهرام ١٨/٨/١٩١٩ .

مصر البائسة ، مصر المستعبدة ، مصر الراسفة في الاغلال همها الوحيد في الوقت الحاضر أن تبحث عن حريتها . . وأن تتوجه الى مكان البحث كتلة واحدة ثابتة قوية التركيب ، حتى اذا حصلت على استقلالها المنشود وصفت الحساب بينها وبين المنتصب استطاعت أن تتفرغ لفض مشاكلها الداخلية . . ، (١) .

ان هذه المبالغة المتصودة كانت تستهدف تخويف كل القوى الوطنية من الاشتراكيين وايامهما بان تاسيس الحزب الاشتراكي خطر على الاستقلال .

ويحفل في باب المبالغة أيضا ما قيل من أن الفلاحين المصريين قد أسسوا خمسة سوفياتيات مستقلة خلال ثورة ١٩١٩ . . وقد راجت هذه الفكرة في كثير من المؤلفات عن هذه الفترة من تاريخ مصر ولا شك ان قائلها يقصدون تلك الجمهوريات المستقلة التي أعلنت في زفتى والمطرية ، الخنيا ، وغيرها ولسنا نعتقد أيضا ان مؤسسيها كانوا يستهدفون إقامة سوفياتيات بالمعنى الصحيح للكلمة ولكنهم ربما طبقوا شعار الاستيلاء محليا على السلطة ولكن لتحقيق أهداف وطنية ويهدف خلق نشاط ارتكاز للعمل الثوري المعادي للاستعمار والدليل على ذلك أن قادة هذه الجمهوريات المستقلة قد اكتفوا بالاطاحة بممثلي سلطات الاحتلال ولم ينتخبوا أي اجراء يتعلق بالملكية أو بأسس توزيع الثروة .

وهكذا كانت ثورة ١٩١٩ والانتفاضة الثورية العنيفة التي خاضتها الفلاحون والعمال خلالها واحدة من العوامل التي ساعدت وشجعت الاشتراكيين المصريين على رفع رايات النضال .

(١) اللواء ، ١٩٢١/٩/٥ .

في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ...
قلنا شعرا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ...
شخص ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ...
بالتالي ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ...
... (١) ...

في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ...
... (١) ...

في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ...
... (١) ...

في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ... في شيوخنا ...
... (١) ...

... (١) ...

إعلان الحزب الاشتراكي

كانت الظروف الاجتماعية تنضج سريعا ، وتلاحقت معها الصيحات الشجاعة للعمال والفلاحين الذين واجهوا الاستعمار بالسلاح فاذا بالقيادة الوفدية ترتعد ، وتصرخ وتنبئ هؤلاء المتمردين .

ومكذا كان لا بد من قيادة جديدة . . تمثل هذه القوى التي تجرحت في عطف محطة الاضرار الذي رسمته القيادة الوفدية .

لكن كيف بدأ العمل ؟

كانت هناك سلسلة من المحاولات . .

وقد رأينا في فصل سابق كيف حاول البعض (منصور فهمي وعزيز ميرهم) تأسيس حزب اشتراكي لكنه تحول تحت ضغط العناصر الليبرالية اليمينية الى مجرد حزب ديمقراطي .

ولقد حدد الحزب الديمقراطي مكانه باعتباره وسطا بين اليمين واليسار . هكذا قال عزيز ميرهم سكرتير الحزب . . ولما كانت العناصر المتأخرة (الرجعية) شديدة المراس في البلاد المصرية كان من المصلحة ان يقوم فيها حزب اشتراكي قوى يلزم حزبا الديمقراطى بالتزام الوسط كما هو شأن الأحزاب الديمقراطية غير الاشتراكية في جميع البلاد المتقدمة (١) وكانت هناك المحاولة التي قام بها روزنثال . . الذي يروى في شهادته الاسلوب الذي اتبعه لتأسيس حزب اشتراكي مصري . .

و كانت النقابات مسيرة لاغراض سياسية مختلفة تتبع الأحزاب النامضة بالتضحية الوطنية في البلاد كالرفد والحزب الوطنى وغيرهما . . وكان من رابى ان نشئ، للطبقة العاملة مراكز للدفاع الاقتصادى والتربية الفكرية ولبهذه العناية نشرت في غضون عام ١٩٢٠ نداء الى النقابات العاملة ادعوها .

(١) الأهرام ١٩٢١/٩/٢

التي تأسيس اتحاد يضم شملها جميعا فتلقت هذا الذاء بالقبول والاجماع
 وارسلت الى الامكنة منقوبين من قبلها يمشون ٢٥ ألفا من العمال
 للاشتراك في البحث في المبروج ، غير أن رؤساء النقابات التمشيعين بالفكرة
 للسياسية شعروا اذ ذلك بان انشاء النقابات الحقيقية بطريقة تراعى فيها
 حالة العمال يؤدي الى ضياع كل ما لهم من السلطة بظلمة ويحول دون
 الوصول الى اغراضهم السياسية فسعوا سعيا جديا لحمل نقاباتهم الى
 عدم الاشتراك بالاتحاد وظنوا يماطلون في التدابير الاولية سنة كاملة وفي
 بدء ١٩٢٦ تمكنوا من تأسيس اتحاد النقابات بعدد محدود لا يتجاوز ثلاثة
 آلاف من العمال ولما تمكنوا تروى أن النقابات لا تستطيع أن تتدخل بتدخل
 فعليا في الامور السياسية كونها مؤلفة من عمال مختلفين ووفى نزعات
 سياسية متضاربة ، فكرنا في تأسيس حزب سياسي يكون بمثابة لسان حال
 نقابات العمال ويكون في استطاعته ان يدافع عن مصالحهم في المجلس النيابي
 وغيره ويسعى لحمل الحكومة على اصدار قوانين اجتماعية لحماية العمال
 المتروكين تحت رحمة الرأسمالية بظلمها . وعملا بهذه الفكرة انشأنا الحزب
 الاشتراكي .

ومن هذه الكلمات نستخلص ما يلي :

١- أن النفوذ اليساري وسط الحركة النقابية كان الذي خد ما
 قويا .

٢- ان النقابيين من حزب الوفد والحزب الوطني قد عارضوا بشدة
 هذا النفوذ اليساري .

٣- ان الحزب الاشتراكي الذي استتبع روثقال تاسيسه قد نتج
 أساسا من خلال معركة عمالينة تستهدف توحيد العمال .

٤- والحقبة ان الفضال النقابي كان سبيلا لقيادة الكثيرين من المناضلين
 العماليين الى صفوف الحزب الاشتراكي .

٥- وفي الكلمات التالية يجاوبنا
 عبد الرحمن فضل وهو واحد من طلائع الاشتراكيين في مصر ان يروي تجربته
 وقصة انضمامه مع زملائه الى الحزب الاشتراكي .

٦- لقد تزعت فنيانا ثورة ١٩١٩ وأرواح العمل الجماعي
 بزوج الحزب الوطني في تأسيس النقابات وفي تشكيلها
 بالبحيرة وهو تابع لشركة انجليزية لاستصلاح الاراضي أسسنا نقابة عمالية
 كجزء من موجة النقابات التي انتشرت في أعقاب ثورة ١٩١٩ وكان يرأس
 النقابة عبد الحميد أفندي العسال الذي كان يثق عليها من ماله الخاص

ويعاونه محمد أمّدى سلامة، وأنتا... وانتسح نشاطا النقابية في مواجهة ضغط
أصحاب الشركات وتدخلت الاتحادات العمالية في دمنهور والاسكندرية لتأييدها
هناك وعن طريقهم انضممنا الى الحزب الاشتراكي (١) .

ولم يكن هذا هو السبيل الوحيد للعمل الجماهيري الذي شغفه روزنتال
في طريق تأسيس الحزب فقد نظم حملة جماهيرية للمطالبة بتحسين الاجازات
المساكن من خلال اتحاد المستأجرين . وقد نجحت هذه الحملة نجاحا
كبيرا قال عنه روزنتال في شهادته امام النائب العام ، لقد وافق هذا البعير
هو في نفس الجيمور فهبت الصحف تساعدن في هذه الحملة ويشيرت باسمي
اسمي مرارا ، (٢) .

وهكذا يلتقي طريقان يولدان معا . ممكنات حقيقية نغشوا حزب اشتراكي
فاعل .

فالحركة الوطنية تتألق في اوج نشاطها وحيويتها . وحركة الطبقة العاملة
تتصاعد . . . ولقد لعب الحزب منذ ايام نشأته الاولى دورا بارزا في تعميق
وتأكيد دور الحركة العمالية في ايام نهضتها الاولى . (٣) .

لقد أصبح الجور مهيا للعمل ولاعلان الحزب . . .

لكن النجمي يؤكدون أن الحزب كان موجودا من قبل وان روزنتال كان
قد أسس فعلا حزبا من الاجانب في الاسكندرية . . .

اما الجديد فهو ظهور جماعة من المصريين تسمى لتأسيس حزب اشتراكي
مصري . . . والاسماء كثيرة ، سلامة مويى ، د . علي العناني ، محمد عبد الله
عنان ، الشيخ صفوان أبو الفتح ، أحمد المدني ، حسنى العرابي ، أنطون
مارون ، حسين نامق ، حسن محيسن والشيخ عبد اللطيف بحيث

ويقول علي العناني « ان النفس الثائقة منذ امد بعيد التي وجود اتحاد
اشتراكي من الوطنيين . » (٤) .

(١) عبد الرحمن فضل - مخطوط لم ينشر بعنوان « مقدمة لتاريخ
الحركة العمالية في مصر » وراجع ايضا مجلة المصور ١١/٣/١٩٦٦ صبري
أبو الجند مقال بعنوان « هذا الحزب المصري تدريس قضيته في كلية الحقوق » .
(٢) الاهرام ١٩٢٤/٣/٧ .

(3) Selma Botman — The Rise and Experience of Egyptian Communism —
Studies in the Comparative Communism-vol. XVIII No.1 Spring
1985:P.49

(٤) الاهرام ١٩٢١/٨/١٩ .

ويقول سلامة موسى: إن الدكتور النخاعي هو جماعة من الشيعة المسيحية رأياً تاليف جمعية اشتراكية ليدرس مذاهب هذا المذهب المتعددة (١) ويقول سلامة موسى في مقال نشره في اليوم التالي بالأهرام بعنوان الاشتراكية المصرية: إن الجمعية المذكورة من المذاهب التي لا يريها من استماع اجتماع عدد غير قليل من الاشتراكيين المصريين - واكثرهم من الذين عابوا بأنفسهم النضال القائم في أوروبا بين رأس المال والعمل - وقد رأيتهم على تاليف جمعية تضم مسلمين وتمكنهم من المذاكرة في بزوغ هذا المذهب وتطبيقه على الأحوال المصرية (٢)

وتستخرج التي رواية أخرى من واحد من أقدم الاشتراكيين المصريين مصطفى حسين النصوري

وصفتي خطاب باللغة الفرنسية يدعوني إلى اجتماع سيعقد في إحدى القوالب أمام حديقة الأزبكية ويشرح فيه أحد الأجانب نظرية الاشتراكية وفي هذا الاجتماع قابلني كل من سلامة موسى وعبد الله غنان ولم يكن أعرفهما من قبل حضر الاجتماع حوالي عشرين شخصاً

وتعد يومين أو ثلاثة يستدعي النصوري لمقابلة محافظ القاهرة فلما ذهبت إلى محافظة القاهرة وجدت من حضر الاجتماع هناك واستقبلنا المحافظ وسألنا عن سبب حضورنا للاجتماع فعرفنا بأننا حضرنا من باب حب الانتطال وندعوة من جهة النضال إن المحاضر شيعوي ونضحنا بعدم العوزة والاندعاضنا للعقائد (٢) وهكذا يمكن الصورة أن تتضح

* روزنتال اشتراكي أجنبي يتمتع بخبرة واسعة وبوضوح نظري وعلاقات قديمة بالعمل النقابي ويستفيد من ذلك ومن تفوذه وسط النشأين بالأمكندرية ووسط الأجانب فيحاول أن يؤسس حزبا اشتراكيا بين الأجانب أساسا ومن خلال العمل النقابي والعمالي والأنشطة الأخرى

* مجموعة من المثبتين المصريين معظمهم كما يقول سلامة موسى من المثقفين المتأثرين بالفكر الأوربي لكنهم عشتقون ذوقا فكناية محترمة في

- (١) الأهرام ١٤/٨/١٩٢١
- (٢) الأهرام ١٨/٨/١٩٢٨
- (٣) أمين عز الدين ، النصوري ، سيرة مثقف ثوري - المرجع السابق -

المجتمع ، آمنوا بالاشتراكية وفقا لاتجاهات متفاوتة تتراوح بين الثنائية
واشترابية الدولية الثانية والماركسية اللينينية . . .

وهم يفتقرون الى الوجدية الفكرية ، والى الوضوح حتى حول حقيقتهم
الخلافا بين هذه المدارس المختلفة ، ولا يملكون معرفة كافية بأساليب
ومناهج النشاط الحزبي . ولا يذكرون حقيقة الهوية التي تفصلهم عن بعضهم
اللبعض ويتصورون ان مجرد اعلان كل منهم انه اشتراكي يكفي كى يضموا
جهودهم معا في حزب واحد . . .

وكان من الطبيعي ان تسمى المجموعتان اждаهما الى الاخرى من اجل
تأسيس حزب اشتراكي واحد . . .

لكن من سعى الى الاخر . . . هناك روايتان . . .

يقول سلامة موسى « انهم كتبوا الى روزنتال : يسأونك عن برنامج
حزبه . . .

وينكر العنانى ان روزنتال هو الذى اقتنعه ، لاني مع اعجابي بهذا
الرجل لست في حاجة الى ان اخذ عنه بل في حاجة لردة الى ما قد مارسته
طويلا من تعزف على هذا المبدأ (١)

اما روزنتال فيورد الامر بطريقة اخرى مصورا انه صاحب الفكرة فيعد
ان يتحدث في شهادته امام النائب العام عن تحدث الصحف عن جهوده
يقول : فرأيت من بعض الوطنيين عطفا على الاشتراكية وكان من هؤلاء
العاطفين حسنى العرابى والدكتور على العنانى وسلامة موسى وعبد الله عثمان
فاتفقت معهم على العمل وقررنا تأسيس الحزب الاشتراكي المصري . وقد
كتبوا لهذا الغرض منشورا يحتوى على مبادئ الحزب موقعا عليه منهم
ولم اشترك في التوقيع عليه لاني كنت اعتبرت ان ظهور اسمى الاجنبى بالرغم
من كونه مصرى الجنسية يمكن ان يعد بمثابة تدخل اجنبى في مساندة
مصرية . . .

وعلى اية حال وسواء اكانت المجموعة المصرية هي التي ارسلت رسالة
الى روزنتال او كان روزنتال هو الذي سعى اليها بحثا عن وجوه مصرية

يستند إليها - فقد اجتمع ممثلوا الجماعات الاشتراكية المختلفة حوالي منتصف شهر أغسطس ليناقتشوا الامور الحساسة التي تهمنا في هذا الشأن

ولم يكن النقاش سهلا فالخلافات الفكرية عميقة جدا ، وأي اتفاق لن يفتي بتسوية تلتقي بيننا وبين وسطاء بين أطراف متنازعة ، كما هو الحال في بلادنا ، وكانت المفاوضات تجري في سرية غمران مراسيل الإبرام بالإسكندرية وهو شخص أثبت طوال السنوات القليلة نشاطا ملحوظا واحتماما متبالغا فيه بنشاط الحزب - يفاجئ الجميع بنشر الخبر التالي

« يسمى الميسور روزنتال منذ امد بعيد لتأليف حزب اشتراكي في هذه البلاد وبدأ عمله بالمطالبة بحقوق المستأجرين ثم باتحاد النقابات ، مع مواصلة السعي لاقتناع جماعة من المواطنين بأن يماشوه في مشروعه وقد نجح بأن اقنع الدكتور على أفندي العناني بأن يكون سكرتير الفرع الوطني كما يكون هو ذاته أي روزنتال سكرتير الفرع الفرنسي والانجليزي كما يكون الخواجه بيديتيني سكرتير الفرع اليوناني ، ولا شك بأن هذا الحزب سيعمل برنامجه ولا شك بأن هذا البرنامج سيتضمن وعودا طيبة ولكن الوعود شيء والعمل شيء آخر . »

ان حالة البلاد الاجتماعية تقتضي علينا وعلى كل عامل اصلحتها برفاهية الحزب كهدا لا لانا نكره التعاليم والمذاهب الاشتراكية العلمية بل لاننا نكره النظريات المتطرفة التي تقتضي باطفرة ونحن نود التطور رويدا رويدا

ولا نعرف مذهب الدكتور العناني من هذه الوجهة ولا ما هو من اشتراكيته وهل هي متطرفة او عملية ولكننا نعرف شيئا من مذهب الميسور روزنتال ونعرف شيئا مما بسطه لرؤساء النقابات الوطنية فنعرف انه اشتراكي متطرف وقد تجاوز حدود التطرف فهل الدكتور العناني من مذهبه ؟ (1) سواء كان الأمر مجرد شيق صحفي يحرره مراسل نشيط أو كان واقعة مآكرة بين الجموع المصرية وروزنتال ومحاولة الحزب الوحدانية بينهما أو كان بدائه الحملة معادية ، كما فيك وبيننا وبيننا هناك فان نشر الخبر قد فاجأ الجميع وهم مختلفون

- * مختلفون حول الأسس النظرية
- * بل ومختلفون هل يعلن حزب سياسي أم جمعية علمية
- * ومختلفون حول من يكون السكرتير العام

ولقد كانت هذه الخلافات جلية وتتطلب تصنيفة حقيقية إذا بدون اتفاق حقيقي حولها يصبح البناء مهددا بالانهيار في أي وقت من وقت محاولة لاسكات مراسل الأهرام والحملة المعادية التي فجرها اقيم البناء على عجل وبغير اتفاق جدي

لكن ما هي حدود الخلاف بين مجاولي التوصل الى اتفاق
اولا : الخلاف الأبيولوجي :

ولقد كان الخلاف خطيرا وحادا بين جميع الأطراف وقد تفجر الخلاف صريحا على صفحات الأهرام في الأيام التالية وقد انفسحت الأهرام صدرها لتتشرب آراء الجميع ولعلها كانت محاولة ماهرة لتثبيت مدى عمق الخلاف بين هذه الأطراف

غروزيغال شيوعي لا يخفي شيوعيته ولم يخفها في يوم من الأيام بل انه وعندما كان الشيوعيون يطاردون ويرسلون الى السجن يكتبون الأهرام صراحة ولقد كنت وما زلت ولا أزال حتى آخر نسمة من حياتي شيوعيا كاملا ومخلصيا اخلاصا تاما لقضية البروليتاريا (1) .
وثمة شيوعيون آخرون بين المصريين لم يخفوا شيوعيتهم أيضا منهم الشيخ صفوان أبو الفتوح وأنطون مارون ولنتأمل الآن كلمات شخص وقع رسالته الى الأهرام بأفضاء اشتراكي صميم :

« ان برنامج الحزب قد يصبح أعمالا جليية تفضي الى تحطيم تلك الأعلال الظلمة التي ضربها رأس المال على العمل في مصر . ان الحالة الاجتماعية لاى بلد لا تتناقى مع المبادئ الاشتراكية التي لم يمت الا نداء بتأييد الحقوق الطبيعية للانسان ودعوة لتحطيم تلك الانظمة الاستبدادية التي فضت بان تضهد الجماعات الرأسمالية طوائف المجتمع بآثره وأن تتسع الهوة بين الرفاهية والفاقة وبين النعيم والشقاء وأن يطلق العنان للقوى العبادرة لتنبطش بالضعيف المهين سواء كان ذلك المعتدى شعبا على شعب أو فردا على فرد »

ثم يواصل الاشتراكي الصميم دفاعه عن مبادئه قائلا : اذا كنتم تريدون من طرف حتى ان تقولوا ان حزبا اشتراكيا يؤمن في بلقنا لا بد وأن يقبل بموسكو دعامة الدعوة وفخثار العمل وزعب رأس المال . فهذا ما اختلفكم فيه لان مبادئ موسكو أو البلشيفية وان كانت مثلا أعلى للمبادئ

(1) الأهرام ١٢/٣/١٩٢٤ :

الاشتراكية فان عدم ديمومتها الخالية الاجتماعية في بعض البلاد يرجع لظروف خاصة لا يتسبب المقام للافاضة فيها (١).
 هكذا وبصراحة يصف مصطفى موسى بانها «دعامة الدعوة وقنار العمل ورعيب رأس المال» .
 و يصف البلشفية بانها «مثل أعلى المبادئ الاشتراكية» .
 اما سلامة موسى فنحن نعرف رأيه فهو قائل بـ «البلشفية وتؤسد الثورة» .

و حشني الغرابي كان منشغلا في ذلك الحين بترجمة كتاب ماكينونالد زعيم حزب العمال الانجليزي .
 وعبد الله عثمان طالعتنا أيضا رأيه في فصل سابق وهو في أحسن الأحوال واحد من اشتراكيي الدولة الثانية .

و على العناني، ربيعي أني يريد جزيا «يحصن نفسه في حدود الاعتدال للارشاد» الى ما في الشرائع من مبادئ المساواة والعدالة بين الناس .
 يدعو إلى الأخذ بما تطلبه طائفة البلاد وتقرم الأحكام الشرعية وتبسطها قوانينا دستورية .
 ويصفى مذهبه بالاشتراكية العملية المعتدلة (١) .
 لصيق بالفلسفة الهيكلية الى حد أنه يمكن اعتباره مجرد «ميجلي يساري»
 وفيما بعد شغل العناني نفسه كثيرا بالدعوة لأفكار ميخيل وآرائه .
 وهكذا يتضح اني أي رخص كان الخلاف الأيديولوجي مستحكما .
 فماذا عن نقطة الخلاف الأخرى ؟

حزب سنياتي أم جمعية علمية .
 عندما فاجأ الإهرام الجميع بنشر هذا الخبر كانت المجموعة لم تتفق بعيد حول هذه القضية الأساسية .
 بل لم تكن قد ظهرت بعيد بواحد حول هل يمكن لها أن تتفق أم لا ؟
 في ١٩ أغسطس ١٩٢١ كتبت و اشتراكي صميم « الى الإهرام قائلا
 « أرجو ألا تتقوما منذ الساعة على جماعة لم يلتزم شملها بعد » .
 وفي نفس اليوم يكتب علي العناني الى الإهرام أيضا قائلا « ومن أين للراوي جاءت العقيدة يتكون هذا الحزب مثلا ؟ أفلا يصبح أن يكون الموضوع قاصرا على تأسيس جمعية علمية تدرس المبادئ الاشتراكية مقرونة ما يناسب منها وينتقدها بما تراه ضرارا » .

(١) الأهرام ١٩/٨/١٩٢١ . ١٩٢١/٥/٢٢٢١ .

كذلك كتب سلامة موسى قائلا انه ما لم يتم اتفاق حول تأسيس الحزب فانهم « يؤمنون بجمعية غايتها الدرس أكثر من السياسة » (١) .
والحقيقة أن هذا الموقف يمكن تفسيره من خلال سلسلة من الظواهر .
فإن بعض المثقفين كان يدرك مدى افتقارهم الى الدراسة النظرية المتعمقة ،
وكانت طلائع المثقفين والليبراليين المصريين كما شاهدنا في فصل سبينان
قد عكست في افق الفكر المصرى آراء وكتابات متسرعة حول مختلف المدارس
النكبية .

ولم يكن الفارق الجدى واضحا بين هذه المدارس ، ذلك أن الفارق
للجدى لا يتضح الا عندما تتحدد واجبات نضالية .
ولهذا فان الخلاف يمكن تبسيطه كما يلى :
البعض يقول لنتنظر فترة ندرس فيها ونناقش ونختار . . . ولننظم
هذا الدرس وهذه المناقشة من خلال جمعية علمية . . .

والجموعه الاخرى ترى أن البدء فى العمل النضالى واطلاق الحزب
هو السبيل الافضل لحسم الخلافات وتحقيق التمايز . . .

ثم ان هناك مسألة ثانية وهى أن النقاش كان يجرى فى عام ١٩٢١
وفى هذا العام باذات كان الوفد المصرى - الذى جسد وحدة الامة - تقهدهه
الانقسامات ، وكان الشعار السائد وسط الجماهير أن اى اعلان لحزب جديد هو
تفويت لوحدة الامة ، وخروج على زعامة سعد ، ولعلنا نلمح ذلك كثيرا فى
كتابات معارضى الحزب الذين اتهموه بتقسيم الصفوف وتجزيل الخلافات
الاطيحية قبل الاستقلال . كما ان الوفد كان ينفوذه الكبير يعرقل اية محاولة
كبهذه ويتهمها بالانقسامية . . .

وهناك ثالثا تلك الحجة التى ترددت كثيرا وهى ان اعلان حزب اشتراكى
فى مصر قد يخيف الانجليز ويؤدى بهم الى عدم الجلاء . . .
السكرتير العام من يكون ؟

ولقد كانت هذه الجموعه تضم عديدا من المثقفين الرموزيين والمناضلين
الذين اتبعتوا نضاليتهم وقدرتهم على القيادة خلال أحداث ثورة ١٩١٩ .
كان من بينهم كتاب مشهورون مثل سلامة موسى وعبد الله عريان . . .
ورجال دين محترمون مثل الشيخ صفوان أبو الفتح . . .

(١) الأعرام ١٧/٨/١٩٢١

(١) الأعرام ١٧/٨/١٩٢١

والذين استطاع بعضهم أن يجمع نقابات تضم ٣٥ ألف عامل بناء على نداء نشره في الصحف لأقامة اتحاد لهم وتؤكدنا أن الصعب أن يفرض واحد منهم نفسه على الآخرين. من سوء حظنا أننا لم نكن نعلم ذلك.

فإن الحزب، لم يكن تتويجنا لعمل تنظيمي متقدم حتى ولو كان مبعثراً، فيمكن لهذا العمل التنظيمي السابق أن يقدم مقياساً لاختيار السكرتير العام.

لكن الحزب كان بداية لعمل جديد

ولم يعتمد العمل التنظيمي الذي سبقه عن تكوين خلايا متفرقة لم يرتق إلى مصاف العمل الحزبي الحقيقي.

كان الحزب الجديد إذن بداية تتطلع إلى قائد، فمن من هؤلاء كان يتطلع إلى القيادة؟

روزنتال أعلن مسبقاً أن كونه أجنبياً يمنعه من ذلك، بل أنه لم يوقع مع الأربعة بيان إعلان الحزب، قائلاً في شهادته، ولم أشترك في التوقيع عليه لأنني كنت أعتبر أن ظهور اسمي الأجنبي بالرغم من كونه مضرراً للجنتسية يمكن أن يعمد بمثابة تدخل أجنبي في مسألة مصرية، (١).

وعلى العنان الذي رشحته الأهرام للسكرتارية العامة، كتب يقول إن هذا غير صحيح، وطلب عريف الذي حدد مهمتي وشيئاً عن مبادئها صح له هذا الرجوع بالخب لأن هذا العمل لا يلتزم أياً كان وفي أي دائرة وحيداً مع دوائر أعماله الأصلية بما دار لي هذا يوماً ما تجلد ولا عرضة على أنسان ولن يخطر لي أبداً على بال (٢).

بين من أذن انحصر الصراع ؟

إن التمتع الدقيق لكتابات قادة الحزب في تلك الأيام يوضح لنا حقيقة هامة هي أن سلامة موسى كان يريد هذا المنصب لنفسه، وسواء كان من المجموعة الأخرى لم تكن تريده له.

هو يريد المنصب محتاجاً لثقل الفكرة والادب وشهرته الواضحة وهم لا يريدونه لأنه مجرد قايي ويشعرون بأن تسليم قيادة الحزب له خطر على الحزب وعلى اتجاهاته.

(١) الأهرام ١١/٣/١٩٢٤

(٢) الأهرام ١٩/٨/١٩٢١

لم يكن للصراع إذن شخصيا ؟ بل كان امتدادا للصراع الايديولوجي الذي اشتعل بين القادة - الذين لا يعرفون شيئا عن قواعد الانضباط الحزبي - على صفحات الجرائد .

عمل القيادة للفايدين والاضلاحيين ، أم الماركسيين ؟

وحاول سلامة موسى أن يفرض نفسه مستخدما أسلوبنا قريبا . فاستحق التأمل فما أن نشر الأهرام خبره المفاجيء عن مباحثات تأسيس الحزب في ١٦ أغسطس حتى سارع سلامة موسى لينشر في عدد اليوم التالي رسالة بعنوان « الحزب الاشتراكي » يقول فيها « ولنا كنت واقفا على حقيقة الخلل اعين للقراء أن الدكتور العناني ليس سكرتيرا » (١) .

لكن سلامة موسى كان في عجلة من أمره ويريد أن يضع التفاوضيين أمام الامر الواقع وانتهز الفرصة ليصدر في ٢٣ أغسطس « نداء الى الامة المصرية » تنشره الأهرام موقعا باسم سلامة موسى سكرتير الحزب الاشتراكي المصري

وهذا النداء يستحق التأمل ، لا لان سلامة موسى قد وقعته كسكرتير للحزب فقط وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي فعل فيها ذلك . . .

ولكن لان سلامة موسى كان يحاول فيه ان يساوم التيار الماركسي وأن يتقرب منه مؤملا أن يقبلوا بذلك وضعه كسكرتير للحزب

فالنداء يناشد الشعب المصري وجمعيته الهلال الاحمر والصليب الاحمر جمع تبرعات الشعب الروسي الذي يمانى عن المجاعة والهيام في هذا الامر هو : انه يقول « لقد قضى الشعب الروسى ثلاثة قرون وهو رازح تحت نير الاضطهاد والعبودية في جهل مطبق وفقير مدقع وعندما استيقظ من غفلته وشاء أن يحيى حياة جديدة فاجأته الطبيعة بأفاتها » (٢) .

ولنقارن هذه الكلمات بكلمات أخرى نشرها سلامة موسى قبل خمسة أيام فقط في الأهرام يقول فيها « ان البولشفية الروسية قد انقضت انقضا يكاد يكون تاما ونشرت على ربوع البلاد الروسية الويتة الخراب والدمار بينما هو الان ينسب المجاعة الى سببها الاصلى « الآفات الطبيعية » ويصف الثورة بانها « استيقاظ للشعب من غفلته ورغبته في أن يحيى حياة جديدة »

(١) الأهرام ١٧/٨/١٩٢١ .

(٢) الأهرام ١٨/٨/١٩٢١ .

المهم ان المناوذة لم تفلح واخذت المجموعة مشتركتها عاما آخر
هو محمد عبد الله عثمان.

ولما اختيره كان نوعا من الموازنة بين الاتجاهات المختلفة واذا كانت
عناصر الوسط قد استطاعت ان تحتل هذا المركز مستفيدة من الصراع بين
سلامة موسى وبين الشيوعيين فان هؤلاء الشيوعيين قد تركوا هذه العناصر
البرجوازية الصغيرة تتصارع على اللقب بينما تمركزوا بهم في اكثر الامكن
حسبسية واهمية فالشيخ صفوان ابو الفتح اصبح سكرتيرا عاما لاتحاد
نقابات العمال وانطون مارون مستشارا للاتحاد.

والحقيقة ان نشر الامرام المقاتل لخبر محاولات تاسيس الحزب قد
اضر هذه المحاولات ضررا بالغا . فقد فجر الصراع الايديولوجي على
صحنات الحزب وأوضح للجمهور مدى الخلافات الفكرية بين مؤسسي
الحزب
ولكننا ولكي نكون منصفين نود ان نقول ان الذين انصرفوا الى هذا
التيار كانوا اقلية وكانوا في الاساس يمثلون الاتجاهات الفكرية التي يوشك
ان تتهم بتاتسيس الحزب الفابية سلامة مؤسس الحزب . الاتجاه الهيجلي
(على العنان) اشتراكية الفابية الثانية (عبد الله عثمان) .

اما الآخرون فلم يشتركوا في النقاش ، ربما لانهم وجدوا ان الاشتراك
فيه ضار بوحدة الحزب الذي يوشك ان يتاسس .

في رايهم لانهم كانوا اكثر خيرة بالنسبة للصراع الحزبي
ان المهم ان اخذنا من التاركسيين لم يشتركوا في هذا النقاش العلني
والوحيد الذي اشترك بكلمة رصينة غاية في التحديد لم يكتب اسمه
واكتفى بان يسمى نفسه اشتراكي صميم
وبالرغم من كل ذلك ، وبالرغم من ان هؤلاء الناس قد صياقهم
مصاعب حمة : مصاعب تتعلق بالايديولوجية واخرى تتعلق بالظروف
الموضوعية للمجتمع المصري وثالثة تتعلق بالواقع السياسي للفكرة التي بدأوا
فيها العمل . فقد استطاعوا ان يتواصلوا الى ما يشبه الاتفاق

وفي ٢٩ اغسطس اصدر الحزب برنامجه الذي سنحاول تقويمه فيما
بعد

لكننا يتعين علينا قبل ذلك ان نشير الى بعض اللبس الذي احاط
بموضوع البرنامج . . . ذلك ان الدراسات التي تتناول هذا الموضوع تشير الى

برنامجين مختلفين تماما فون. ان ينتخبه. الكثيرون الى اختلاهما التام في
الأهداف والاسلوب والصياغة.
والبرنامج الاول هو الذي نشره شهدي عطية الشافعي في كتابه وتطور
الحركة الوطنية ، طبعة الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٥٧ ص ٤٢ .

وقد اشار شهدي في كتابه هذا الى أن البرنامج قد نشر في عدد الأهرام
الصادر في ١٤ فبراير ١٩٢١ ونقل عنه ذلك عدد من الكتاب دون تدقيق .

منهم على سبيل المثال عبد المنعم الغزالي ، المرجع السابق ص ٨٧
وقد أورد البعض فقرات من هذا البرنامج دون الاشارة الى المصدر وانما
اكتفى بالتقرير انها فقرات من برنامج الحزب (١) .

وفيما يلي نص هذا البرنامج : يعمل الحزب على استقلال وأدى
النيل بأسره ، استقلالاً خالياً من كل شائبة سياسية واقتصادية
اجتماعيا .

أولا :

(١) جلاء تجنود الإنجليز عن مصر والسودان وعدم الاعتراف للخاصية
بأى مركز ممتاز .

(٢) عدم الاعتراف بالمعاهدات والاتفاقات التي أجريت خلسة من الشعب
وعلى كره منه .

(٣) جعل قناة السويس ملكا للأمة .

(٤) تعديل الدستور وقانون الانتخاب حتى تصبح الأمة مصدر
السلطة الحقيقية .

(٥) إلغاء القوانين الاستثنائية والرجعية كقانون الاجتماع
والأحزاب .

ثانيا :

(١) الاعتراف بهيئات العمال رسميا وبحقها في الدفاع اقتصاديا
وسياسيا واجتماعيا عن مصالحها .

(٢) تنظيم العمال غير المنظمين وضمهم في اتحادات وضم الاتحادات
الى بعضها في اتحاد عام وربطه بالاتحاد العام الدولي .

— MONA Hanmam — women workers and the practice of Freedom as
' Education' the Egyptian Experience — (P.W.D. Thesis, University of
Kansas' 1977) P. 118.

في ٢٠٠٠ (٣٤) الدفاع - عن قانون ٨١ ساعات عمل في اليوم ومستأواة العمال المصريين والاجانب العاملين في عمل واحد ٠٠٠ وعمل لتشريع الحماية العمال

الرضي والمواطنين الخ
(٤) تاليف تعاونيات للإنتاج والتوزيع الخ

٢٠٠٠ (٥) تمثيل العمال وقراء الفلاحين تمثيلا صحيحا في البرلمان مع
ثالثا

٧٨ (١) للتيسر التمتع بالحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية

(٢) المطالبة بجمال التعليم الجارية للجميع طين ويناتين وأن يكون
مجانيا للفقراء مع اصلاح برامج التعليم الحالية

١٠٠ (٣) محاربة الامية بجميع الوسائل الخ
رابعا :

(١) تنظيم فقراء الفلاحين في نقابات ويجاد صلات بينها وبين نقابات
العمال مع العقل على ربطها باتحادات الفلاحين الدولية الخ (١)

(٢) الغاء نظام ملكية العزب التي لا تختلف كثيرا عن نظام
الاقطاعات الخ

(٣) الغاء ديون الفلاحين الذين يملكون اقل من ثلاثين فدانا
(٤) اعفاء الفلاحين الذين يملكون اقل من عشرة امجدة من الضرائب

(٥) وضع ضرائب على ميساء الري للذين يملكون واكثر من ١٠
فدان

(٦) انشاء مصارف تعاونية لصغار الفلاحين
خامسا :

(٧) المطالبة بالاعتراف بحكومة الجمهورية الزوسية الخ

(٨) العقل على التفرقة بين الجزائيم السياسية وغير ما اقام الخ
المصرية والامراج عن المسجونين السياسيين دون تفرقة

(٩) طلب محاكمة اذئاب الاستعمار من كبار المصريين ممن تمتع عليهم
مسئولية الازمات والاشتباه او معاونة الاجتيا على الحكام نهضة
الشعبية الخ

لكن وثيقة شيئا لفت نظري وهو أن الإعراب قد نشره أول خبر عن محاولات تأسيس الحزب في ١٦ أغسطس ١٩٢١ وأنه اشترى في هذا الخبر إلى ما يليه لا شك في أن هذا الحزب سيعلن برنامجه بما يوحى بأن الحزب لن يمكن قبل أغسطس قد نشر برنامجه

وثانياً أن الحزب قد نشر بالفعل في الإعراب ٢٩ أغسطس وثيقة بعنوان بيان الحزب الاشتراكي وهي ما سنناقشها فيما بعد كبرنامج للحزب

وثالثاً فإنه بالبحث في عدد الإعراب الصادر في ١٤ فبراير ١٩٢١ لم نجد فيه أي إشارة إلى صدور هذا البرنامج

فما هي حقيقة هذا الأمر ؟ وما هي هذه الوثيقة التي نشرها شهدي كاملة مشيراً إلى أنها برنامج الحزب ؟

ذلك أنه بغض النظر عن خطأ تاريخ ١٤ فبراير ١٩٢١ فإن مؤرخنا مؤتمنا ودقيقاً مثل شهدي لا يمكن أن يكون قد اختلق هذه الوثيقة اختلاقاً

وثمة احتمالان أطرحهما للنقاش

الأول : أن يكون هذا البرنامج هو واحد من المشاريع التي لا بد وأن المجموعات المختلفة التي كونت الحزب قد أعدت كثيراً منها كمحاولات لاقتناع الآخرين بها وإصدارها كبرنامج للحزب الجديد وهذا احتمال استبعدته

أما الاحتمال الثاني : وهو الأرجح - أن يكون البرنامج الذي نشره شهدي هو البرنامج المعدل الذي أصدره الحزب بعد انضمامه للكومنترن والثاني الذي يقول لأكور (١) أن الحزب قد أصدره في كراسة صغيرة باللغة العربية وباللغة الفرنسية

لكن إذا نرجح هذا الاحتمال الثاني ؟

إلا : لأن لأكور وهو يناقش هذا البرنامج الجيد الذي قال إن الحزب أصدره بعد انضمامه للكومنترن يشير إلى الفقرات التي تتعلق بتأميم قناة السويس واستقاط ديون الفلاحين الذين تقل ملكياتهم عن ٣ فداناً وإعفاء الفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة أفدنة من الضرائب وهذه المطالب كلها واردة في البرنامج الذي نشره شهدي وغير واردة في برنامج ٢٩ أغسطس ١٩٢١ وهي دليل على جدية الوثيقة التي نشرها شهدي

(١) لأكور : الشيوعية والقومية في الشرق الأوسط - المرجع السابق - ص ٣٤

ثانياً : أصبح أحد أعضاء الحزب الاشتراكي وهو حسين نامق كتاباً بعنوان « خلاصة الاقتصاد » في أغسطس ١٩٢٢ وقد نشر برنامج الحزب بمؤدبه نص برنامج ٢٩ أغسطس ١٩٢١ (١) بها يوجى بآء البرنامج المنشور بكتاب شهدي عطيه قد صدر بعد عام ١٩٢٢

ثالثاً : ان البرنامج يتضمن نصاً يقول « عيم الاعتراف بالمعاهدات والاتفاقات التي أبرمت خلية من الشعب وعلى كره منه »

ولا شك في ان واضع البرنامج يقصدون تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢

رابعاً : البرنامج يطالب « بتعديل الدستور وقانون الانتخاب حتى تصبح الامة مصدر السلطة الحقيقية »

اذن هذا البرنامج موضوع بعد اعلان ديسمبر ١٩ أبريل ١٩٢٢

لكل ذلك فاننا سينرجى محاولة تقويم هذا البرنامج الى صفحات كافية نتناقش فيها دور الحزب بعد انضمامه الى الكومنترن وسوف نعتبر ان الوثيقة المنشورة في اهرام ٢٩ أغسطس هي وحدها برنامج الحزب الاشتراكي المصري الى حين انضمامه للكومنترن

« بيان الحزب الاشتراكي المصري »

في تلك الاونة التي تعصف فيها النظم الرأسمالية الفردية بحياة بنى الانسان وازواحهم وعقولهم وجهودهم تبت النظم والبيادى الاشتراكية في الافئدة المعنبة لانجاد الانسانية واغانتها من بطش القوى الظالمة وتحقيق غايات العدالة الطبيعية من تاييد عواطف التآخي والسلام في المجتمع الانساني ، والقضاء على افئيات المستعمرين المستغلين الذين سلجوا حرية الشعوب والامراد وسعوا الى تحقيق رفاهيتهم بالاضطهاد المريع للامم والمجتمعات المستضعفة وليس ابلغ ايضاًحاً للمأساة المخزنة التي تمثلها الان تلك النظم المستبدة من ان اغلب الامم قد انتهكت حريتها واهتمت حقوقها دولا استعمارية تسود فيها تلك النظم ، وان الأغلبية الساحقة في المجتمع الحاضر قد استعبتتها اقلية صغيرة متعصبية تمتنقثر بزؤوس الأموال وازقان الطبيعة ثمرة كدماً وجهادها

ولقد امتدت يد الاستعمار والافئيات الى مصر فاستلبت حزيتها عملاً

— (١) حسين نامق « خلاصة الاقتصاد » مطبعة هندية ، أغسطس ١٩٢٢

بسياسة تلك النظم الرأسمالية سعيًا إلى استثمار أرباحها واستغلال جهود
بنيتها . وكذلك تسيطر تلك النظم على المجتمع المصري سيطرة سحقت معها
دولة العمل وبطش بها رأس المال بطشًا شائناً مرهقًا أدى إلى خلق الغنى
الفاحش واللباس البالغة جنبًا لجنب واتساع الهوة بين الرفاهية والفاقة .
لذلك كان من الضروري أن يمتد إلى تلك البلاد صراع المبادئ
الاشتراكية العادلة للنظم الرأسمالية سعيًا إلى تخفيف ظلمها وويلها الفادح .
وتحقيقًا لتلك الغاية نهض اخوان العمل في مصر لتأليف الحزب الاشتراكي
وهذه هي مبادئه التي سيمثل على تحقيقها :

المبادئ السياسية :

- ١ - تحرير مصر من نير الاستعمار واقصاء ذلك الاستعمار عن وادي النيل بأسره .
 - ٢ - تأييد حرية الشعوب واختيار المصير ، والتأخي مع جميع الأمم على قاعدة المساواة والمنفعة المتبادلة .
 - ٣ - محاربة الاستعمار ومقاومته أينما وجد .
 - ٤ - مقاومة العسكرية والديكتاتورية وانظمة التسليح في البر والبحر والهواء .
 - ٥ - مقاومة الاعتداء والحرب الهجومية .
 - ٦ - إلغاء المعاهدات السرية .
- ومبادئ الحزب الاقتصادية هي :

العمل على إلغاء استغلال جماعة لأخرى ونحو التفريق بين طبقات المجتمع في الحقوق الطبيعية وإخماد استبداد المستغلين والمضاربين والسعي إلى إنشاء مجتمع اقتصادي يقوم على دعائم المبادئ الاشتراكية الآتية :

- ١ - توحيد الثروة الطبيعية ومصادر الإنتاج العامة لجميع الأمة .
- ٢ - التوزيع العادل للثمرات على العاملين طبقًا لقانون الإنتاج والكفاءة الشخصية .
- ٣ - إخماد المزاخمة الرأسمالية .

أما المبادئ الاجتماعية فهي :

- ١ - اعتبار التعليم حقًا شائعًا لجميع أفراد الأمة نساءً ورجالًا ينحطه

ومجاهدية مما تثار في أروم العمل الوطني وأنشطة القوماء الميم الديمقراطية الوطنية الصيحية بل في المجتمع تطبقات
 الامتناع - معونة تيسر في محلهما - رعايا الحفا والملة - في سنة 1950 - لوزير
 متفلا زملته - بما كان له من لياقة في العمل الوطني - الإيجور وتقدير المكافآت
 والمكافآت حين العجز والعطف القهري في المجتمع - في سنة 1950 - في سنة 1950 -

٣ - العمل على تحرير المرأة الشرقية وتربيتها وتربية سلمية منتجة
 ١٢ - العمل الحزبي على تحقيق مقابله المذكورة بالصراع الحزبي والدعوة
 السلمية مستمينا في ذلك بالعمل على تحقيق ما يأتي:

١ - انشاء النقابات الزراعية والصناعية الحرة ونقابات الانساج
 والاسهتلاك

٢ - اعداد نواب اشتراكيين للبرلمان والجالس النيابية المحلية
 والبلدية وغيرها

٣ - تحرير حقوق النيشابة والانتخابات من القيود المالية وغيرها
 وتعميمها بالنسبة للرجل والمرأة على قدر المستطاع

٤ - الدعوة بطريق النشر والخطابة
 هذا ونرجو ان يوفق الحزب الي العمل على تحقيق تلك الغايات
 السامية مستعينا بعطف الامة وحسن ظنها

على العناني • سلامة موسى • محمد عبد الله عنان • حسنى العربى
 « حاشية » طلبات الانضمام ترسل مؤقتا الى يسكزتر الحزب

محمد عبد الله عنان - بجينية القاصرية - بالسيدة زينب

محتضا تلتزم به في هذا البرنامج هو ثمة صراع بين القوى
 المختلفة داخل الحزب الوليد وفي ظروف كهذه تصيح الكلمات مطاولة
 وتحتمل معانى كثيرة وتصاغ بحيث تستطيع كل الاطراف ان تفسرها على
 هواها

وقد تائرت صياغة البرنامج بطبيعة الحال بهذه الحملة التي تزعمتها
 تجريدة الامم والتي شاركت فيها قوى عديدة: - الوقيون - الحزب الوطني
 (فكرى اباطة) وحتى الجناح اليسارى للحزب الوطنى (عضام الدين خفنى
 ناصف) - الجناح اليميني في الحزب الديمقراطي (حسين هيكل) - رجال
 الدين (الشيخ التفتازانى) وآخرون كثيرون

وتائرت أيضا بالظروف الموضوعية للمجتمع والرغبة في تفيضة
 الطرف من الحزب، وبالمعاركة الوطنية التي تتميطر على كل الأذهان

ومكذباً: أخرج البرنامج معتدلاً إلى حد ما ، مكثفياً بالصياغات المعاصرة
مثل إلغاء استقلال جماعة لاخرى ومحو التفريق بين الطبقات في الحقوق
الطبيعية .

وبعبارات غامضة مثل « توحيد الثروة الطبيعية » .

وهو يحرص على تحديد أسلوب نضاله « بالصراع الحزبي والدعوة
السلمية » .

لكنه بالرغم من ذلك كان برنامجاً اشتراكياً يعبر عن وجهة نظر
اشتراكية واضحة ويتضمن مطالب محددة لعديد من فئات الامة .. العمال
المثقفين ، الطلاب ، النساء ، رجال المهن وان كان قد اغفل ايراد أى نص يتعلق
بالمطالب الفلاحية .

ولسنا نستطيع ان نلوم الحزب الوليد على ذلك .

فالمشكلة الزراعية هي أعقد المشاكل في مصر ، وجماعير التحسالف
(صغار الفلاحين) هم بالرغم من كونهم فقراء ومطحونين الا أنهم ملاك
سرعان ما تتحرك فيهم نزعة البرجوازي الصغير الحريص على ما يمتلك .

وعلى أية حال فان هذا البرنامج كان خطوة هامة في سبيل ارساء
التعاليم الاشتراكية في المناخ المصري ، لعلها كانت بحاجة الى بعض النضج ،
لكن الطريق الوحيد للنضج كان الكفاح اليومي بين الجماعير ، جماعير
العمال والفلاحين والمثقفين .. وهذا ما قام به الحزب على الفور وبكفاءة
ممتسزة .

كذلك لا يمكن ان نفوتنا تلك اللمحة العبقريية .. الربط بين الاستعمار
والرأسمالية ومحاولة الاستفادة من السخط الوطني ضد الاستعمار لخلق
سخط ضد الرأسمالية المصدر الاساسي للاستعمار .

مجلس شورای عالی قاجاریه در ۱۳۰۳ هجری قمری در مورد اصلاحات
پروژه سوله‌سازی و احداث راه‌آهن در ایران بحث و تصمیمات
مهمی اتخاذ کرد.

در جلسه ۱۳۰۳ هجری قمری در مورد اصلاحات

پروژه سوله‌سازی و احداث راه‌آهن در ایران بحث و تصمیمات

مهمی

در سال ۱۳۰۳ هجری قمری در مورد اصلاحات
پروژه سوله‌سازی و احداث راه‌آهن در ایران بحث و تصمیمات
مهمی اتخاذ کرد.

در جلسه ۱۳۰۳ هجری قمری در مورد اصلاحات

پروژه سوله‌سازی و احداث راه‌آهن در ایران بحث و تصمیمات
مهمی اتخاذ کرد.

در سال ۱۳۰۳ هجری قمری در مورد اصلاحات
پروژه سوله‌سازی و احداث راه‌آهن در ایران بحث و تصمیمات
مهمی اتخاذ کرد.

پروژه سوله‌سازی و احداث راه‌آهن در ایران بحث و تصمیمات
مهمی اتخاذ کرد.

منه ما لا يخفى على من يتأمل في واقعنا المعاصر... (1)

الإشتراكية المصرية

من الدفاع إلى الهجوم المضاد

لقد شاهدنا كيف تعرض الحزب الإشتراكي منذ البداية - بل وحتى قبل أن يعلن - لهجوم شديد . ولقد شاهدنا في صفحات سابقة نماذج من هذه الهجمات ابتداء من يسوعيا زغول الزعيم المرموق للامة الى حسين عيكل أحد قادة الليبرالية المصرية في ذلك الحين . . . الى قادة الحزب الوطني . . . الى رجال الدين . . . الخ . . . لقد كانت حملة عاتية توضح مدى الوعي الطبقي لدى كبار الملاك والبرجوازيين المصريين الذين تلمسوا الخطر منذ بداياته الاولى وحشدوا كل جهودهم لسحقه . والحقيقة ان الرجعية المصرية قد اثبتت على الدوام حساسية فائقة في تلمس المخاطر ، الإشتراكية وفي مجابقتها . . . ومنذ ان أعلن الاحرام خبر اعتزام الإشتراكيين تأسيس الحزب أنهالت في عديد من الصحف والكتب والمجلات حملات من العدا .

فكرى اباظة (الحزب الوطني) يكتب قائلا : ان وظيفة الحزب الاقتصادية تتلخص في انه سيكون من الان فصناعا ومقاتلي ، بين أصحاب الاموال والعمال الى ان تمنح الفرصة فيقوم بتوزيع الاملاك عملي للجميع ، فتصبح مالية الامراء كمالية الفقراء سواء بسواء (١) . ويكتب عصام الدين حفني ناصف (يسار الحزب الوطني)

(١) ان بلدا كمصر تقف دائما موقف المصارعة لعنوها التيمناسي الكبير يجب ان تستجمع كل قواها لدفعه وبعد ذلك تتفرغ لبحث النظم الاجتماعية اما انها تشغل مجهودها بمسائل اجتماعية ثانوية لا يمكن ان تفقد منها الا ما لم يكن فيه معاكسة للاحتلال فتضييع لقوى الامة

(١) اللواء ١٩٢١/٩/٥

(٢) حتى ولو فرضنا أن القائمين بأمر الاشتراكية يفهمون ما ترمى إليه على حقيقتها فعليهم أن يفهموا أنها تكون مضرّة جداً عند التطبيق ، ليس لان عقلية الأمة غير مستعدة لقبول هذه التعاليم فحسب بل لانه لم توجد للان طريقة صالحة لبث الدعوة الى هذا المبدأ في أوروبا ، (١)

وتمتد موجة الدعاء لتشمل الكثيرين

فيكتب أمدراوس جناً مقالاً بعنوان « الكهانة الجديدة » يتهم فيه مؤسس الحزب بأنهم « ذروا بيش حجبهم » أنهم يعرضون أعينهم عن كل شيء يبعث على الجِد في الحياة أو لا يفتحونها - الا يعنى الرأى والخيالات - انهم كهنة لا يرون في الافكار والمبادئ الا نوعاً من الكرب والبطاطس تستطيع ان تزرعها حيث شئت ما داموا قادرين ان يستهواوا الألبان وينتفخوا بالغفلة والجهلة ، والا فإى رجل أمين مدقق يرضى أن يحاج القاطن في الشرق بنظريات كارل ماركس (٢) -

ومرة أخرى يعود أمدراوس حياً الى الهجوم تحت عنوان « عيشة زيادة التعاليم » فيقول

هذا استغلال مخزن للجهلة والعقيلة ، وما من شيء قط يكسو الذين يعملون على الانتفاع بانظريات العامة فان حياة الناس أكثر من النظريات والتعاليم ، (٣)

بل البعض يحاول استعداء السلطات وحملها على الفتك بالحزب ومثيله احمد حلمي الذي كتب تحت عنوان « النظام الاجتماعى والخطر الذى ينتهده » قائلاً :

« فهل تظن بالحكومة ان ذلك الحيزب لو تألف ففلا وعزف الغنامة وسوادهم والاعظم من الاميين ان منيادته مشروعة والحكومة راضية عنه وهل تظن يبقى في القطر حجر على حجر ، وهل يستطيع حياة الاموال بعد ذلك حيايتها ، وهل يمكن احتفاظ قوى الاموال بما لا كمن عقار او تضار او يامن ذو عرض على عرضه ؟ »

ان عزاء الفقراء من قوى الإيمان هو أن الرزق موجود مشبوم من الله ، وان الصابرين على ما أصابهم في الحياة الدنيا لهم حياة أخرى طيبة

(١) الاميرام ١٩٢١/٩/١٦

(٢) الاميرام ١٩٢١/٨/٢٣

(٣) الاميرام ١٩٢١/٨/٢٦

١٩٢١/٦٤١

في جنبه عالية تطوفها دائرية... فإذا انهزم الهنكل والدين من النفوس ولا سيما نفوس العامة كان ذلك نكبة على النظام الاجتماعي المصري، فهل الحكومة راضية عن ذلك؟ فان كانت راضية فكم من الجند أعدت لحفظ النظام؟ بل عملهم هي الوسائل والتدابير التي أعدت للمحافظة على نفسها من عوامل الاشتراكيين الذين يقولون: بتأليف حزب جديد للاشتراكية في مصر.

••• اننا نعو رجال الدين في مصر أن ينهضوا لمحاولة هذا الخطر فان ناره ستاكلهم قبل غيرهم وتذهب بأخلاق الشرق الجميلة المؤسسة على الفسحة والذمة والعفة ومكارم الاخلاق (١)

ولم يتوان رجال الدين عن تلبية هذا النداء فبعد ثلاثة أيام فقط ليحل في الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني الحركة. يمثل رعاية في العطف ويصدره بآية من القرآن الكريم: الله فضل بعضكم على بعض في الرزق.

ويوجه التفتازاني هجومه مباشرة: ما شاء الله، كانتنا فرغنا من أمرنا، وكانتنا فرغنا من الدنيا، فلم يبق إلا الهدم.

أيها الدعاة التي الحزبي الاشتراكي الجديد، لقد كفى الشرقي ما ربي عاقبه من بؤس ويلات وما يعالجه من نكباته فلا تمزقوه بهذا الداعة الأوربي (٢)

ولم يكتب التفتازاني بذلك فهو يكتب مقالا آخر أكثر عنفا بعنوان: «الفتنة الثالثة لمن الله من أيظنها ويصدره بآية قرآنية أخرى: ولو شيا ربك لجعل الناس أمة واحدة» وهو يخاطب الاشتراكيين قائلا: ان كنتم تعطفون على العمال والفقير فما ينال من الفاقة فاطلبوا انشاء الملاجي والمستشفيات والمطاعم.

ان كان العامل يشكو جورا من الرأسماليين فخذوا هذا الجور واطلبوا الى الهيئة التشريعية سن قانون العمل.

كل هذا معقول... اما غير المعقول فان تجيئونا بتشريع جنتيده يقشعنا اوضاع حياتنا راسا على عقب ويهز طبقات المجتمع هزات عنيفة ويوشك ان يقوض بصرح النظام ويقضي على الدين في نفوس المتدينين.

ثم يواصل هجومه قائلا: أي سعادتي الاشتراكيين، يتوال تسوموم دعوتكم في قيلة غير مصر، ان كنتم مولعين بالدعوة لذاتها، وإذا خستين لديكم فلتذهبوا جميعا (ومع السلامة) وقد الى روسيا... الى معيوتكم - البلشفية.

(١) الامرام ١٩٢١/٨/٢٠
(٢) الامرام ١٩٢١/٨/٢٤

فاذا اطيقتم ان تسميوا اثنين الجسائمين وهم عشرات الملايين وقدزتم على الوقوف في معبد الاشتراكية العليا المتطرفة فانثروا دعوتكم هناك لتصلحوا ما افسدت الطفرة من شئونهم (١) .

ويحذل الملك ميدان الهجوم ايضا محاولين استنارة كل المالكين على الحكومة لانها تسمح لهؤلاء الاشتراكيين بالنشاط .

وقبل اعلان الحزب بايام وتحت عنوان « هل الاشتراكية مرغوب فيها » يكتب على متولى مزارع وصاحب اطيان قائلا ان الاشتراكية « ما هي الا امور ضد الدين والاخلاق وسرقة مال الغير وليس لها نتيجة الا قتل الامة بانسرها وضياع الاديان والاخلاق كما هو حاصل فعلا في روسيا » .

قالوا ان العمال والفلاحين بحاجة الى اشتراكية علمية لحياتهم في دائرة القانون ونحن معهم في وجوب الحماية ولكننا مختلفون عنهم في طرق هذه الحماية . ان حماية المال لا تكون ابدا باى اشتراكية ولا باى احزاب بل تكون بتعليمهم الاقتصاد ومضار الخمر ومضار الخشيش وازشادهم الى الدين للاعتقاد عن المحرمات فتتوفر لهم الارزاق .

ليعلم للجميع ان مصلحة هذا البلد وحكومته لا تسمح لكاتب من كان وتحت اى ستار كان ان يلعب بالنار ولنا يحق ان نطلب من الحكومة عاجلا منع الحزب الازمغ تاليفه قبل انتشاره فالوقاية خير من العلاج (٢) .

بل ان هذا الهجوم لم يقتصر على صفحات الجرائد فقد امتد الى حد استصدار فتاوى دينية بتحريم الاشتراكية مثل فتوى شيخ اسلام الاستانة التي قال فيها « يشتمل الدين الاسلامي من الاحكام الاساسية ما يناقض جميع المسالك الاشتراكية » (٣) .

وفتوى اخرى اصدرها مفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت بن بناء على طلب مراسل جريدة التايمس الانجليزية - « ان طريقة جماعة البلشفية طريقة تهتم الشرائع السماوية وعلى الاخص الشريعة الاسلامية » (٤) .

(١) لامرام ١٩٢١/٩/٧

(٢) الامرام ١٩٢١/٨/٢٦

(٣) الاخبار ١٩٢٠/٩/٢٠

(٤) محمد انيس - المرجع السابق ص ٢٨١

وسلسلة أخرى من الكتب والافتراءات والتهيام بأن هذه الدعوة
ينشرها عملاء قادمون من روسيا .. والنماذج في هذا كثيرة جداً لكننا
سنكتفي بواحدة منها لعلها يقدم صورة عن المبالغات والافتراءات التي حشدوا
دعاة العداة للاشتراكية .. ولنتأمل هذه الفقرة من كتاب صدر في هذه الأثناء
مترجماً عن اللغة الفرنسية .. (١) :-

« أعرف في هذا الشأن معلومات مأخوذة من مصدر ثقة .. حاولت
البلشفية أن تنفذ الى مصر لأول مرة عام ١٩٢١ عمالاً من أتقنة موقنين من
رسل الشعب الروسى أو من الكماليين لنشر انجيل الاشتراكية وغرضهم
اقامة المعقبات في سبيل الانجليز المسئولين عن اليونان وكل هؤلاء العمال
من يهود الاناضول يعمل فريق منهم في المذن وفريق في القرى .. ففى المذن
تجرى مفاوضة نقابات العمال ونقابات عمال السكة الحديدية والقرام
وتحريضهم ضد المسيطرين عليهم وارباب الاموال واقتناعهم بأن سيادة
الرعاع هي وحدها الكفيلة بتحقيق امانى الشعوب .. »

وفي القرى يخترق الرسل الحقول ابان الحصاد يقولون الفلاحين انه
ليس من العدل ان غنيا كبيرا يملك ألف فدان بينما الفقراء لا يملكون شيئاً ..
فكانت هذه العبارات الساخجة عن الاشتراكية تغرى .. وقد اغرت
فعلماً بعض الفلاحين ،

.. وهكذا استمر الهجوم عنيفاً مقمداً نموذجاً فريداً للوعى الطبقي ..
المبكر لبرجوازي مصر وكبار ملاكها ، لقد تحصنوا رقابهم حتى تبطل أن يعلن
الحزب ..
وبداوا في شن حملة ظالمة وعنيفة مستخدمين منطلقات غاية في التأثير
والفعالية ..

- * الحزب يهدد وحدة الامة التي يتعين ان تواجه الاستعمار متحدة ..
- * الاشتراكية عندما طبقت في روسيا جزت اليها المجاعة والخراب ..
- * الاشتراكية ضد الدين ..

انفجى اشفق على هؤلاء الدعاة الأول للاشتراكية الذين واجهوا هذا
الاعصار ببسالة نادرة .. ولقد كان اعصاراً حقيقياً كفيلاً باقتلاع هذا النبات

(١) وجه لامبلان - الى الاستقلال ، مصر وانجلترا - ص ١٢٢ .

الحقيقة العزيم خاصة وان الاعصار قد فاجأهم وهم مخطفون، مستشوقين، غير
 مستعدين للمعركة، ومع ذلك خاضوا معركة شجاعة تكلمت بالنصر
 ولكنهم ومع ذلك خاضوا معركة شجاعة تكلمت بالنصر

وعلى النطاق الايديولوجي - او بالدقة على نطاق المعركة الكلامية في
 الصحف - اندري بعض اعضاء الحزب يفتنون افتراءات أعدائهم .. مهاجمين
 الاستغلال والظلم

فيكتيف عبد الله ععان .. وليس انبعاثا للمناصرة الحزبية التي تملأها
 الان النظام الفردية من ان الاعلانية السناحقة في التجمع الحاضر وقد تروقت من
 الملكية وان طائفة ضغيرة تستنفره بنعيم الملكية الشخصية في حين ان الشيوعيين
 الاكبر من هذه الطائفة غارق في تحقيق شهوته السافلة لا يفتدون للمجتمع بما
 عملا كما ..

ويطن ععان بصراحة .. انا اقرر ان استبدال رأس المال هنا - في مصر
 - شأنه بالغ حدث الازمات والقتل وان العالم مهين منسلوب به وان الاستيثار
 طائفة بؤاسر الخالق هنا يقترون به طغيان فاذح يوضعه الكعسك املناحاي
 الضياع والفلاج البائس القبيح (١)

ويقدم اشتراكي آخر هو حسن محيسن - دبلوم التجارة العليا -
 محاولا ان يوضح العلاقة بين المعركة الوطنية والمعركة الطبقة بمبينا انه لا
 تناقض بينهما وان تأسيس الحزب مفيد للقضية الوطنية فيقول نحن نطالب
 بحقوق مهضومة مغتصبة فاما السياسية منها فنحن نطالبها من خصمنا
 الانجليزي واما الاقتصادية فمن خصمنا صاحب المال اجنبيا كان او موريا
 فليقتصر لنا نظراء الحق والعدل .. وليجمع العمال تضفوقهم رقتنا رواية
 الحزب الاشتراكي ليصلح ما افسدته ايدي الزمان القديم والقرون الوسطى من
 المظلمة (٢)

ويطرح الاشتراكيون على الامة السؤالا التاليه: من الذي يمزق ويجلده
 الامة نحن ام الراسماليون ؟ ..

ويوجه احد الكوادر الاشتراكية العمالية .. اديب تشيمي .. بسكرتير
 نقابة عمال الخنا والسجاير .. نداء الى الزاي العام المصري .. يقول فيه:

(١) الامرام ١٩٢١/٨/٢٥
 (٢) الامتزازم ١٩٢١/٨/٢٤

... باسم الوطن العزيز واتجاهكم الممدى جئنا، نستتجد بكم... هل من
الوطنية الشريفة أو من العدالة أن تتكسب الأموال، الهائلة، في جزائن أصحاب
الماكينات في حين أن العمال لا يجدون القوت الضروري مع العلم بأنهم هم
الذين شيدوا تلك المعالم المصخمة بماء استنزف من دماهم الزكية وبفناء اغتصب
نامن حقوقهم بالمقدسة... (١)

... قهل يوافق الشعب المصرى على مثل هذا العمل الوحشى والجزيرىة
الفظيمة كلا ثم كلا... أن مثل هذه المظالم لا تتفق مع الشهامة والسرورة
ولا شك عندنا في أنكم ستهبون لنصرة الضعفاء وتظنون الظلم ظمنة وطنية
فجيسة... (١)

... وهكذا يقدم الاشتراكيون المصريون فهما جديدا للمعنى الوطنية، وطريقنا
جديدا لتوحيد الأمة... ولا شك أن كلمات أديب بقشعوى لم تكن لتعبر بغير
اثر...

... فإذا كان الرأسماليون يريدون حقا وحدة الأمة ضد المحتل فليتنازلوا
قليلا عن جشعهم وظلمهم، أنها صيحة معقولة ومنزلة وقابرة على أن
تكتسب الراى العام الذى وجهت اليه...

... بل ان الاشتراكيين لم يكتفوا بالزبد على صفحات الجرائد ولا بتوجيه
النداءات إلى الراى العام وبدأوا في حملة ايدولوجية لادانة النظام
الرأسمالى ولشرح فكرة الاشتراكية ويصدر احدهم - حسين نامق - دبلوم
من جامعة أكسفورد - كتابا بعنوان « خلاصة الاقتصاد » وهو كتاب جيد
يبسط حقائق علم الاقتصاد السياسى ويقدمها في صورة أسئلة وأجوبة بحيث
يمكن للقارئ أن يفهم كثيرا من القضايا المعقدة... *

... وعن طريق الأسئلة والاجابات يشرح احسين نامق فكرة تطور المجتمع
ونشوء الملكية الخاصة وحمية التوصل الى الاشتراكية...

... ويفسر كلمات غامضة - على المجتمع في ذلك الحين - مثل القيمة وفائض
القيمة والربح ولاحتكار... الخ...

... وبغض النظر عن بعض الأخطاء النظرية التى وقع فيها المؤلف متأثرا
بافكار العولية الثانية فلقد كان الكتاب نموذجا لشرح الفكر الاشتراكى واداة
النظم الرأسمالية...

(١) الاهرام ١٢/٩/١٩٢١

... * يلاحظ أن الماركسيين الأوربيين، الإوائل إستخدموا ذات الأسلوب
لشرح أفكارهم...

ومكذا لم يبق أمام أعداء الاشتراكية سوى التحصن خلف أذعائهم من
الاشتراكية ضد الدين
والحقيقة ان الحزب الاشتراكي المصري قد اتخذ موقفا جريدا من قضية
الدين ولا شك ان وجود عدد من رجال الدين في صفوفه أمثال الشيخ صفوان
والشيخ عبد اللطيف بحيث قد لعب دورا اساسيا في دفع الحزب الى تكشف
الجوانب التقدمية في الدين الإسلامي واستخدامها سلاحا ضد أعداء
الاشتراكية

لقد تفادى الاشتراكيون المصريون الاخطاء القاتلة التي وقع فيها شنجلي
شميل وغيره واعلنوا ان الدين معهم والى ضيقهم . . . الى صف الضعفاء
والكاذبين وليس الى صف أعداء الانسان . . .

ويسال حسين نامق في كتابه « ما علاقة الاشتراكية بالاسلام ؟ »
ويجيب « اساس الاشتراكية مواساة الفقراء والمساواة في الحقوق ، والدين
الاسلامي يأمر بالزكاة وينهى عن المنكر ويدعو الى الالفه بين جميع
الطبقات » (١)

ويقول حسين محيسن في مقاله « الاشتراكية تطلب المساواة بين
طبقات البشر وإصلاح الجموع وإزالة مساوئ النظام الاجتماعي وحماية
العامل من تحكم صاحب العمل وهذه مجازي تتفق مع الاستثنائية وروح
الدين »

بل ان عددا من غير أعضاء الحزب ينتقد ليخوض هذه المعركة . . .
فنقول اعداد توجه رسالة الى الشيخ التفتازاني على صفحات الاهرام
يقول فيها :

« الاشتراكية عقيدة اجتماعية لا دينية ولا شان لها بالدين ، ألا انها
أكثر انطباقا على الاديان السائدة من سائر الانظمة الاجتماعية الغابرة
والحاضرة » (٢)

ويرد عزيز ميرهم على الشيخ التفتازاني ايضا قائلا « لا نظن أن
التعصب للملكية الفردية يصل بانسان فيدعي بانها ركن من اركان الدين »

(١) المرجع السابق - ص ١٢٠ .
(٢) الاهرام ١٣/٩/١٩٢١

لان الفضيلة وتهذيب النفس وهما أساس الدين يمكن تحقيقها على السواء في نظام الملكية الفردية وفي نظام الملكية الشيوعية ، فمسلح مخالفة للدين مرعود على القوم الذين يريدون الاحتفاظ بالاموال المكتسبة ظلما والتخلص من واجبه الاجتماعي والانساني فهم بذلك يحيدون عن الدين وينكرون مبادئه السنانية » (١)

لكن القول الفصل جاء من احد كوادر الحزب من رجال الدين .
الشيخ عبد اللطيف بخيت - بمدرسة القضاء الشرعي - الذي كتب تحت عنوان
« الاشتراكية والدين » قائلا :

« كثرت اراجيف اعداء الاشتراكية وسلخوا سبيلا يظنونه اكثر تأثيرا من غيره وهو تبغيضها للناس عن طريق الدين . . . والذي نعجب له هو سكوت اهل الدين العميق وكان المسألة لا تعنيهم الا اذا قدمت لهم فتوى رسمية . . . وبصفتي في مدرسة دينية عالية اتحدى المدعين مخالفة الاشتراكية للدين بالاتيان بآية او حديث يتعارض مع الاشتراكية بل على العكس من ذلك نجد روح القرآن والسنة تتمشي مع الاشتراكية كقوله تعالى « عيسى وتولى ان جاءه الاعمى » « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ولم يقل اغناكم . . . والحديث القدسي « عبيد لو اطعتمني لادخلتكم الجنة ولو كنتم عبدا حبشيا ولو عصيتمني لادخلتكم النار ولو كنتم شريفا قرشيا » .

فاله لم يعتبر الجاه والمال وانما اعتبر العمل فقط . . .

ولما فتح عمرو بن العاص مصر وزع ارضها على الجند وغيرهم حسب ما يرى ولم يجد في الدين ما يمنعه » (٢)

ولم يقبل الشيخ التفتازاني التحدي فصمت ولم يجب . . .

وهكذا كان تصدى الحزب للحملة الدعائية الموجهة ضده تصديا ذكيا وقويا الى الحد الذي اسكت معارضيه والتقط منهم المبادرة ثم شرع في الهجوم عليهم من نفس المنطلقات التي حاولوا استخدامها ضده . . .
الوحدة الوطنية . . . الدين . . . الخ . . .

ولقد كانت نتيجة هذه المعركة الفكرية نصر مؤزرا للاشتراكيين ودليلا على قدراتهم الفكرية وعلى شجاعتهم في التصدي لخصومهم . . .

(١) الامرام ١٩٢١/٩/١٠

(٢) الامرام ١٩٢١/٩/١٠

والفقد كانت اجام ١٣٠٠ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٦ - سبتمبر ١٩٢١ من صحيفة الهجوم المضاد
من الذين ارتقبوه وترتيبها ذكيا ، بحيثما استخدم الاشتراكيون الذين سألنا في الهجوم
وعلى خصوصتهم اولم يستطع الشيخ التفقاراني ولا غيره ان يردوا ...

وهنا اشهر اعداء الاشتراكية افلاسهم واعلنوا صراحة دانبخابهم من
الميدان محزين جريده الأهرام من أن الاستمرار في هذه المعركة التي بدأوها
من يفتيد سنوي للاشتراكيين - ويتطوع بهذا التحذير - اندرناوس احتنا ، والذي نشر
شملتة - من المقالات ضد الاشتراكية في مكتب رسالة الى هذا الأهرام يقول فيها
« اسمحو لي أن أشكو من الطريقة التي تتبعونها في الكتابة علماء يسومونه
الاشتراكية والديمقراطية في مصر فانكم بعد كامتكم الأولى عنها تركتم طريقة
الغشير غير متعاطلة ولكم أن تجميعوا المقالات والبيانات التي اذاعها هؤلاء الدعاة
والجدد وتجميعوا معها المقالات التي نشرت بكرود عليها فينبطى لكم انكم كنتم
مسترجعين لغيره - هذه الدعوة ، ثم يقول : ان الاشتراكيين في هذه المعركة
لا يفتيدون شيئا لانهم لا يملكون شيئا » (١)

ولقد كان صوت التحذير الذي رفعه اندرناوس هنا كافيا لابقاط الأهرام
وغيره من المناير التي تعرضت للهجوم على الاشتراكية : فتوقفت هذه المعركة
الكلامية حتى لا يتاح للاشتراكيين مزيد من الانتصار .

ان هذا التراجع من جانب القوى المناهية للاشتراكية يستحق
التامل ، فهو دليل على عمق التأثير الذي استطاعت الافكار الاشتراكية ان تمارسه
على جماهير الشعب .

وهو دليل أيضا عن أن الحزب الوليد كان من القوة بحيث استطاع أن يلزم
أعداءه الحائط وأن يبهرهم على الإنسحاب من المعركة ، ولكن الحزب لم يكتف
بالمعركة الكلامية فلقد كان يسرع ، وكأنه يسابق الزمن - في بناء قواعد
تقوية لهم في أماكن عديدة .

والحقيقة ان هناك محاولة متعمدة للتهوين من قيمة النشاط الذي بذله
الحزب الاشتراكي وقد تزعم هذه الحفلة لكونه الذي حاول تقديرا استطاعته أن
يتألف في التقليل من اثره الحزب ومفاليته وانشاء كانت مكتب - ولا كور - تعدد بالنسبة
للكتيرين مراجع انسانية في تاريخ الحركة الشيوعية والاشتراكية في الشرق
الاروسط فسوف نحاول هنا ان نتامل ما أورده لاکور .

(١) الأهرام ١٤/٩/١٩٢١

يقول لاكور : « ان القليلين من أعضاء الحزب كانوا يتحدثون العربية او يكتبونها وقليلين جدا هم الذين يعرفون كيف يقيمون علاقات بالعامل الذي هو في العادة فلاح يقوم بأعمال موسمية في المدينة » (١) .

ويكتب في كتاب آخر معلقا على تقرير قدم للكونغرس يقول ان ٨٠٪ من أعضاء الحزب من المصريين و ٧٠٪ منهم عمال « وقد جاء هذا التقدير في وقت لم يكن فيه عدد أعضاء الحزب يتجاوز عدد اصحاب اليديين بل ربما لم يكن يضم آنذاك في عضويته اى عامل » (٢) .

واعتقد اننا لسنا بحاجة الى التأكيد بان هذه التقديرات خاطئة تماما .

فالوا : ان لاكور يتجاهل وجود البروليتاريا المصرية ، ويقول ان العامل هو في العادة فلاح يقوم بأعمال موسمية في المدينة وهذا غير صحيح .

ثانيا : ان الصفحات السابقة والصفحات التالية قد شهدت ومستشهد سبيلا لا ينقطع من الاسماء المصرية التي لعبت دورا قياديا في الحزب الاشتراكي .

الثالثا : ليس من المعقول ان حزبا لا يزيد عدد أعضائه على اصحاب اليديين يقيم كل هذه الضجة . وعلى أية حال فان الامرام يقول ان « الدفاتر التي أخذها البوليس من نادى الحزب عند اعتقال المكان - عند حملة القبض الاولى على الاعضاء في ١٨ مارس ١٩٢٣ - أثبتت ان المنتسبين الى الحزب والمنضوين الى الراية الحمراء من الوطنيين يبلغ عددهم ١٥٠٠ شخص » (٣) .

وهذا عدد كبير بغير شك في ظل الظروف السائدة في ذلك الحين .

والآن لنترك الادعاءات الباطلة لوالتر لاكور جانبا ولنحاول ان نلقى بعض الضوء على نشاط الحزب في الفترة الاولى من تكوينه .

اولا - فيما يتعلق بالقضية الوطنية :

لقد فهم الحزب فهما صحيحا طبيعة المعركة التي تخوضها مصر ضد الاحتلال واتخذ موقفا صحيحا من حزب الوفد وزعامة سعد زغلول باعتبارها زعامة وطنية معادية للاستعمار . كذلك دعا الحزب الى تكوين جبهة وطنية

(٢) لاكور . الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط . المرجع السابق

ص ٢٩

(٣) الامرام ١٩٢٤/٢/٢٢

تريد شاملة تسعى للاستقلال بالاضافة التي استمرارية في كشف القوى الموالية للاحتلال. في ١٤ ديسمبر ١٩٢١ أصدر الحزب بياناً الى الأمة أعلن فيه ضرورة بانقطاع المفاوضات مع الانجليز وطالب فيه الجماعات الموصوفة بالأعيان والمثقة بأصحاب المصالح ان يتربصوا عن وضع أنفسهم بتقاراً للاجرام الزاري ، وحماية لما يرتكبه الوزارة من افعال حقوق الأمة. ثم حدد الحزب في هذا البيان برنامجاً من ثلاث نقاط لتوحيد النضال ضد الاستعمار. وهذه النقاط الثلاث هي :

- ١ - تضامن الصحافة على ترك مسائل الشقاق ، والاقنصار على ما فيه خير البلاد .
- ٢ - توحيد السياسة الوطنية بالا يقبل مصري تاليف وزارة تعمل باى شكل تحت هيئة مشروع كيرزن .
- ٣ - الاتفاق على تعيين خطة الجهاد الوطنى المشروع تحت لواء وكيل الأمة وزعيمها الخالص الامين سعد باشا زغلول ، (١)

وفي مناسبة اخرى ساند الحزب الاتجاه الوفدى صراحة ، فعندما طرحت للنقاش مسألة استيزاك مصر في مؤتمر لوزان ام لا ، وحل تمثل بؤند حكومتى - تمثل الحكومة العميلة - ام بؤند شعبى يمثل الأمة . اجتمعت اللجنة المركزية للحزب في ١٧ أكتوبر ١٩٢١ واصدرت بياناً جاء فيه :

ولما كانت مهمة المؤتمر الذى سيعقد قريباً تسوية مشاكل الشرق فان الشغيب المصرى لا يستطيع ان يقف بعيداً يراقب غيره من الدول تتصرف كيفما تشاء في مصيره فاستقلال مصر وحياد قناة السويس مساللتان دوليتان يجب ان تكونا موضوع معاهدة دولية لا ان تتركا لواحدة من الدول تهيمن عليها كيفما تملى عليها مطامعها الاستعمارية .

مسئلاً ذلك ، فالحزب الاشتراكي المصرى بصفته المترجمان لصنادق الامانى للطبقة العاملة في مصر عمالها وفلاحها يرى وجوب تمثيل مصر رسمياً في هذا المؤتمر ولا يقر أى مندوب عنها الا اذا كان حائزاً لثقة الشعب القامة وواجب الحزب ان يحذر الأمة من الوقوع في الاحبولة التى نصبها الانجليز فتخرج انقطرت من المؤتمر وقد كسبت صوت مصر الى جانبها .

(١) الابرار ١٤/١٢/١٩٢١

ويعتمد الشعب المصري على أن تركيا ذات الصلحة الكبرى في مسائل الشرق والدول الأوروبية الديمقراطية وعلى الاخص الجمهورية الاشتراكية الروسية الحامية الامينة للشعوب الصغيرة تؤيد مطالبنا الشرعية ، (١) .

كذلك كان الحزب الاشتراكي في مقدمة من اعترفوا وقوفهم ضد أسلوب الاغتيال السياسي .

ثانيا - الحزب والطبقة العاملة :

منذ البداية أدرك الحزب أهمية خلق مراكز له وسط الطبقة العاملة وتنشكيلاتها النقابية ، وقد رأينا كيف كان العمل النقابي سييلا الى انضمام عدد من القادة العماليين الى صفوف الحزب .

بل ان بعض الباحثين يؤكد أن الحزب كان يعتبر ان تعميق علاقاته بالطبقة العاملة يمكنه أن يخلق عناصر دفع حقيقية في الحركة الوطنية ذاتها ، وذلك من خلال اتمركز في صفوف البروليتاريا المنظمة ، وبناء اتحاد نقابات العمال وتوجيه وقيادة نضال الطبقة العاملة ، (٢) .

والحقيقة ان التياز الماركسي في الحزب قد اهتم بالعمل وسط الطبقة العاملة كسبيل لتغيير المحتوى الفكري والطبقي للحزب وللتخلص من نفوذ العناصر البرجوازية الصغيرة على القيادة .

وهكذا انطلقت الكوادر الاساسية . . الشيخ صفوان - مارون - روزنتال - شعبان جافظ - الشحات أحمد - مصطفى أبو هريرة للعمل وسط الطبقة العاملة سواء في الاسكندرية حيث كانت التركزات العمالية الاساسية او في المدن الصناعية الاخرى مثل المحلة الكبرى وكانت للحزب مراكز قوية . ويؤكد مراسل الاهرام في الاسكندرية ان الحزب كان له نفوذ كبير في نقابات عديدة مثل : نقابة عمال الترام الحمراء - نقابة الصنائع - نقابة عمال الازر - نقابة العمال المختلطة - نقابة الصناعة اليدوية بالمحلة - ونقابة في الزقازيق . ويقول ان المعلومات التي حصل عليها من وثائق المصادر تؤكد ان عدد المنضمين الى اتحاد العمال المتأثر بنفوذ الحزب يبلغ ١٥ او ٢٠ الفا .

(١) الاهرام ١٩٢٢/١٠/٢٠

(2) Jane De Gras (ed.)— The Communist international (1919-1943) : Documents (London : Oxford University press'1971) P.95

ويقول أنه قد علم بطريق الصدفة أن أعضاء فرع المحلة يبلغ عددهم نحواً من ٦٠ عضواً (١).

كذلك سعى الحزب إلى كَسْب خريجي المدارس الصناعية وكانت مهمة خطوة غاية في الذكاء ، فهؤلاء هم أكثر العاملين استنارة ووعياً .

وقام أحد أعضاء الحزب وهو « ابراهيم الحسوقي رحمي » بتأسيس نقابة لخريجي المدارس الصناعية ووجه نداء إلى زملائه تحت عنوان « دعوة عامة إلى خريجي المدارس الصناعية » قال فيه : « نحن العمال الجائزين على الشهادات الفنية من المدارس الصناعية . يجب أن نقود العمال النشطاء إلى الطريق الصحيح ، فلذا أدعوكم جميعاً للانضمام إلى عضوية الحزب الاشتراكي المصري في أول فرصة ممكنة لنكون يداً واحدة كعامل واحد ، ويد الله مع الجماعة » (٢).

كذلك اهتم الحزب بالعمل وسط عمال الشخن والتفريغ في الواحي المختلفة . وفي ٢١ أكتوبر ١٩٢١ وجه ابراهيم الحسوقي رحمي رسالة أخرى إلى الأهرام يقول فيها أن انضمام عمال الشخن والتفريغ إلى الحزب الاشتراكي سوف يزيده قوة .

كذلك قرر الحزب فتح مدارس ليلية ومدارس نهائية لتعليم أبناء العمال . وفي ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٤ أصدر الحزب بياناً قال فيه : « قرر الحزب الاشتراكي المصري في جلسته المنعقدة أمس فتح عدة مدارس مجانية في أنحاء مصر لتعليم العمال في الليل وأخرى لتهديب أبنائهم في النهار .

وسيجتفل بافتتاح أول مدرسة لهذا الغرض في ١٥ أغسطس ١٩٢٢ بجي كرموز وسيفتتح غيرها في أحياء الثغر الوطنية . والحزب يرجو العمال الراغبين في الالتحاق بهذه المدرسة وبغيرها أن يسارعوا إلى تقديم أسمائهم في سكرتاريته بالاسكندرية بشارع نوبار رقم ١٨ ليتمكن من معرفة العدد اللازم وضبطه .

وقد ورد اليوم على الحزب جواب من شعبته في المنصورة يفيد أنها قد أخذت حثو المركز الرئيسي وفتحت مدرسة للعمال هناك وستقتدى باقي الشعب هذا الأثر الأظيب في القريب العاجل » (٣).

-
- (١) الأهرام ٢/٢٢ و ١٩٢٤/٢/١٩
 - (٢) الأهرام ١٨/١٠/١٩٢١
 - (٣) الأهرام ٢٩/٧/١٩٢٢

والخشقة أن الحزب قد لعب دورا بالغ الأهمية وسط الطبقة العاملة متشددا
من الانتفاضة الثورية التي تموج بها جموع العمال ، حيث كانت أحداث
١٩١٩ الجيدة والدور البطولي الذي لعبه العمال فيها لا تزال ماثلة في الذاكرة
وحيث تحولت الاضرابات السياسية إلى حركة نشيطة للمطالبة بحقوق
اقتصادية ، وحيث أدى فشل القيادة البرجوازية والانتفاضة للثورة في تبني أية
شعارات اجتماعية التي تحرك العمال لكن ينالوا حقوقهم معتمدين على أنفسهم .

ويشير التقرير الذي أصدرته لجنة التوفيق الرسمية في ٢١ يوليو
١٩٢٢ حول نشاطها في معالجة مشاكل العمال خلال السنة أشهر التي انتهت
في ٣١ مارس ١٩٢٢ إلى أن حوادث الاعتصام قد ازدادت بشكل كبير منذ
يوليو ١٩٢١ وأنه في تلك الفترة حدثت ٨١ حادثة من حوادث الاعتصام بين
٥٠ شركة ومعملا وكان أطول هذه الاعتصابات اعتصاب عمال تكرير البترول في
السويس والذي استمر ١١٣ يوما ثم اعتصاب عمال ترام القاهرة وقد استمر
١٠٢ يوم واعتصاب عمال شركة « ورمس » واستمر ٦٠ يوما واعتصاب عمال
شركة الغزل واستمر ٥٢ يوما ، واعتصاب شركة الغاز بالقاهرة واستمر ٤٥
يوما ، واعتصاب عمال المعروة الوثقى بالاسكندرية واستمر ٣١ يوما واعتصاب
شركة ملابس لومبتون بمصر واستمر ٢١ يوما ، واعتصاب شركة الهندسة
بالاسكندرية واستمر ١٩ يوما ٠٠ واعتصاب حلاجي القطن بدمهور واستمر
١٦ يوما وحلاجي القطن بزفتي واستمر ١٠ أيام .

كذلك اجتمعت اللجنة ما يوجد في مصر من نقابات العمال وجمعياتهم
المنظمة وموجبتة أنه يوجد في القاهرة ٣٨ نقابة والاسكندرية ٣٢ وفي منطبة
القنال ١٨ وفي طنطا ٤ ونقابة في دمهور والخرى في زفتي (١) .

ولقد لعب الحزب دورا قياديا في كثير من هذه الاضرابات التي أدت إلى
تحقيق مكاسب هامة للعمال ٠٠ إلى الحد الذي دفع مراسل الأهرام بالاسكندرية
إلى الشكوى مما حققه العمال من مكاسب فقال تحت عنوان « هوى الاشتراكية » :
« لقد أرفنا الاختبار في الاسكندرية مدينة التجارة والصناعة والعمال ، أن العمال
المستقرين قليلا فيها غالبوا أصحاب الاعمال فغلبوهم في مواقف عديدة وأجبروهم
على رفع أجورهم من ٦٠ قروش التي ٣٠ قرشا ومن ٢٠ إلى ٦٠ و ٨٠ قرشنا »
ويؤكد الدكتور غرانفيل أن عمال مصانع السجاير اضطروا مختومهم إلى زيادة
أجورهم أثناء الحرب في بعض الحالات إلى ١٠٠ قرش العامل في اليوم الواحد .

(١) الأهرام ٢١ - ١٩٢٢/٧/٢٢

وقد رأينا شركة الغاز تخضع لمطالب عمالها وشركة الترام تجيب مطالب
 عمالها (١) .
 والذي يلفت النظر هنا هو أن المراسل يكتب هذه الكلمات تحت عنوان
 وهوى الاشتراكية ، وكأنه يريد أن ينسب إلى الاشتراكية هذا النشاط .
 ويضع تقرير لجنة التوفيق الرسمية السابق الذكر جنحولا للاجور يوضح
 أن الاجور قد زادت عما كانت عليه في ١٩١٣ بنسبة ٨٥٪ وأن معظم هذه الزيادة
 قد تحققت في عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ .

ولا شك أن هذا النجاح الذي حققته حركة النضال العمالي والنقابي
 قد تآثر إلى حد كبير بوجود حزب نشيط كالحزب الاشتراكي ، كما أنه لا بد وأن
 هذا النجاح قد أثر أيضا في نشاط الحزب وفي الأقبال عليه . لقد كانت
 الحركة العمالية تخوض معركة نشيطة وعذيمة وكان الحزب الاشتراكي هو الحزب
 الوحيد الذي ساندنا بكل ما يستطيع من قوة وكان المحامون من أعضاء الحزب
 هم مستشارو هذه النقابات ، كذلك بذلت الكوادر الحزبية دورا هاما في تنظيم
 هذه الاضرابات وتنظيم ما يسمى بصناديق المعونة الحمراء ، لجمع التبرعات
 للعمال المضربين . وكان طبيعيا بعد كل ذلك أن يقبل الكثيرون من العمال
 للانضمام تحت راية الحزب .

وبسرعة - تستحق التقدير والاعجاب - استفادت قيادة الحزب من هذه
 الخطوة وضمت إلى اللجنة المركزية عددا من العمال النشيطين مثل عبد الحميد
 أحمد ممثلا لفرع الحزب في المحلة ، والشياح ابراهيم ممثلا لفرع الحزب في
 سمود ، ويومى الباسوسى ممثلا لفرع الحزب في العطف ومصطفى أبو مرجة
 نائب سكرتير الاتحاد العام للنقابات (٢) .

ثالثا - الحزب والفلاحون :

والطريق إلى إقامة مراكز حزبية وسط الريف صعب للغاية ، وخصوصا
 في ظل الغموض الذي أحاط بموقف الحزب من المشكلة الفلاحية في البداية وفي ظل
 العناية المركزة التي شنها رجال الدين ضد الحزب ، وفي ظل زعامة سعد زغلول
 . ومع ذلك حاول الحزب أن يصل إلى الريف مستفيدا من كوادره العمالية
 والعمال عادة قادمون من الريف .

(١) الاضرام ١٩٢١/٨/٢٦
 (٢) الاضرام ١٩٢٤/٢/٢٢

وهكذا تمكن الحزب من إقامة فروع في المدن الأيضية مثل دمنهور -
المنصورة - بورسعيد - الزقازيق - المحلة - أبو كبير - شبين الكوم - وفي
عدد من المراكز التي هي في الواقع قرى كبيرة مثل سمندوت - العطف وغيرهما
والحقيقة التي تستحق التأمل أن بلدا مثل سمندوت يعتبر أحد المستأجرين
الأساسية للقوى العاملة للمركز الصناعي الهام في المحلة الكبرى * .

ومن هنا فإن النشاط وسط العمال كان يؤدي إلى اقترب الحزب من
الفلاحين كذلك فإن النشاط وسط الفلاحين كان يمنح الحزب بعض النفوذ في مراكزه
تصوير العمال إلى المدن * .

غير أننا لا يمكننا أن نبالغ في الدور الذي لعبه الحزب وسط الفلاحين
مكتفين بالقول بأنه في هذه المرحلة كان قد خطا الخطوة الأولى الضرورية وهي
إقامة مراكز نشطة في المدن الريفية التي تعتبر بالضرورة مبعرا إلى الريف
الحقيقي * .

ومع ذلك فإن عبارة وردت في رسالة نشرها أحد الملوك في الإصرام
يمكنها أن تثير الاهتمام بالمزارع على متولى يقول « إن الفلاح قانع وصبور
* إلا أن بعض أبناء الفلاحين من متخرجي الكتاتيب قد هجروا الزراعة واصيبوا
بوباء المدن * . واخذوا يذيعون في طول البلاد وعرضها أن البلشفية على أبواب
مصر ، ثم شرحوها للفلاحين على غير الحقيقة وأصبح الشيخ العجوز والشاب
يقولان إذا خلوا لأنفسيهما متى تكون « القسمة » (يقصد تقسيم الأرض)
والسواوة » (١) .

والذي لا شك فيه أن الفلاح المصري الذي ظل آلاف السنين يحلم بملكية
قطعة من الأرض قد تأثر إلى حد كبير بتلك الأخبار التي تأتي من بعيد عن
حولاء البلاشفة الذين يصادرون أراضي كبار الملوك ويوزعونها على الفلاحين .

رابعاً - الحزب في مجال النشاط العام :

وفي عديد من الحالات لعب الحزب دورا لا بأس به في سواء في الدعوة
لفكر الاشتراكي أو في إقامة التنظيمات الجماهيرية كالإتحادات والجمعيات
والليجان * .

وفي مجال النشر أصدر الحزب سلسلة من الكتيبات حول الفكر الاشتراكي
ولعل أولها ما أصدره الحزب من هذه النشرات هو ما اشتراكه إليه الإصرام ،

* انتهجت التنظيمات الشيوعية بعد الأربعينات نفس الخطة تقريباً .

(١) الإصرام ١٩٢١/٨/٢٦ .

في ٢٦ أغسطس ١٩٢٨ على لسان مراسله بالاسكندرية الذي قال: « وقد رأينا رسالة مطبوعة باللغة العربية بعنوان: مجموعة أفكار اجتماعية بثت الدعوة للاشتراكية... وقد جمعت بين أقوال كاتب عربي استعار اسم «مؤذن» وبين دعاية اشتراكية نلاو ضاع في روسيا... وهي أول رسالة عربية من نوعها تظهر في هذه البلاد... »

بل: أن الحزب قد قام بعد ذلك بترجمة عددا من البيانات الهامة الصادرة عن الكومنترن ويدل اختيار هذه المنشورات على ذكاء كبير.

فقد ظلمت بالذات ابراز التحالف بين الاتحاد السوفياتي وتركيا الكمالية ضد الاستعمار الانجليزي... وكانت هذه القضية تحظى بشعبية كبيرة وتثير اعجاب الشعب المصري بالسياسة السوفياتية، حتى أن الاهرام لم يتمانك نفسه وهو ينقل الترجمة التي اصدرها الحزب الاشتراكي المصري لاجل بيانات الكومنترن بهذا الصدد من أن يقول: « أن هذه البلاد - مصر - ليست اشتراكية والاشتراكية المتطرفة لا تنهض فيها غير انها تلتفت الى الحواظت الروسية بعين الاهتمام... اما نص المنشور الذي وزعته الحزب فهو: »

« انبها العمال عارضوا كل حرب جديدة في الشرق... »

« السلام للشعب التركي والحزب ضد الاستعمار الاوروبي... »

ايها العمال والفلاحون... »

« تجرى حوادث ذات اهمية كبرى في الشرق لقد حكم التحالف الراسمالي على الشعب التركي بالاعدام... »

ويناشد البيان عمال وفلاحى العالم الوقوف ضد حزب جديدة في الشرق تبيغك فيها، دماء أوروبا لفائدة الاستعمار الانجليزي... (١)

والحقيقة أن نجاح الحزب في ابراز التحالف للسوفياتي - التركي ضد الاستعمار الانجليزي قد اكسبه جماهيرية كبيرة ولتأمل هذه الكلمات التي يكتتبها مراسل الاهرام بالاسكندرية تحت عنوان: « حركة الحزب الاشتراكي » و تجرى في الاسكندرية الآن حركة اشتراكية شيوعية لم تر البلاد مثلها من قبل، وهي تجتذب اليها العمال وعشاق الاشتراكية من كل جانب.

(١) الاهرام ٢١/١٠/١٩٢٢

وقد لا نخطئ إذا قلنا ان الحزب الاشتراكي يفتنم فرصة تأييد الروس
للمترك لنشر دعوته في مصر .. ونرى الناس يقبلون على اجتماعاته في شارع
نوبار اقبالا كبيرا (١) ..

والكلمات السابقة صالحة أيضا لتمطى لنا صورة حية عن نشاط
الحزب ومدى الجماهيرية التي حققها ..

وقد سعى الحزب الى اصدار جريدة أسبوعية له ..

وتقول الاهرام : كان الحزب الاشتراكي قد طلب من الحكومة رخصة
لاصدار جريدة اشتراكية خاصة به فرفضت وزارة الداخلية هذا انطلب لا سيما
على اثر ما نشره الحزب من الاحتجاجات والاعتراضات المتعلقة بالسياسة
المحلية . ولما لم ينجح في أخذ الرخصة جعل يبحث عن جريدة موجودة فوجد
جريدة «الشبيبة» وهي جريدة اسبوعية ادبية اجتماعية للشيخ عبد الحميد
النحاس فانفق واياها على تحويلها الى جريدة اشتراكية . وحولها الحزب
الى شكل جديد وألغى عدد ما صدر منها وجدد نشرها بالعدد ١٤٠ وقد
صدر عددها الاول في هذا الاسبوع الغائب وفيها مقالة عن لينين ومقالات
اشتراكية متعددة وقد جعل شعارها النجل والمطرفة .

ويظهر ان وزارة الداخلية لم توافق على هذا الابدال فأصحرت التيوم
أمرًا باغلاق الشبيبة ومنع نشرها . وكان الحزب قد شرع في توزيع نسخها
على أعضائه باعتبار انهم مشتركون وجعل الاشتراك ٣٠ قرشًا في السنة (١)

والغريب في الامر أنه يبدو أن الشيخ عبد الحميد النحاس صاحب
امتياز الشبيبة كان وفديا فان الشعار الذي اختاره لمجته قبل التنازل
عنها للحزب الاشتراكي كان احد كلمات سعد زغلول . من كانت الشبيبة معه
فان المستقبل بيده (٢) ولا شك أن لهذا دلالة كبيرة فهي توحى بأن الحزب
الاشتراكي كان الى حد ما مقبولًا من بعض العناصر الوفدية في هذه
الفترة ..

(١) الأهرام ١٠/١٠/١٩٢٢

(٢) الأهرام ٧/١٢/١٩٢٢

(٣) قسطاكي عطارة - تاريخ تكوين الصحف المصرية - المرجع السابق

والحقيقة ان الحزب لم يتراجع امام هذه الملاحقة التي تقوم بها السلطات
ففى اليوم التالى مباشرة تنشر الاهرام ان الحزب الاشتراكي سوف يتخذ
صحيفة اسبوعية جديدة تصدر فى القاهرة كلسان حال له بعد ان الغيت
جريدة الشبيبة . وقد اتفق الحزب بالفعل مع صاحب الجريدة على تحويلها
اليه
لكن صحف هذه الفترة لا تحمل اية اشارة الى جريدة اشتراكية اخرى
والارجح ان وزارة الداخلية قد لاحقت المحاولة قبل اتمامها فمنعت صاحب
المجلة عن التنازل عنها .

وإذا كانت جماهير الشعب قد بدأت تشعر بنوع من الغضب على
مساندة الاتحاد السوفيتى لتركيا ومناصرته المستمرة للشعوب فقد وجدته
الحزب ان هذه فرصة سانحة لتنظيم حملة جماهيرية لجمع تبرعات لتكوين
المقاومة فى الاتحاد السوفيتى .
والحقيقة ان رهزم الحركة قد اتخذت طابعاً جماهيرياً بحسب وتعمد
الاشتراكيون ان يشركوا فيها اوسع الجماهير .
ويشير الاهرام الى انه قد ألفت فى الاسكندرية لجنة جديدة من
انصار الاشتراكيين والمستغلين فى نشر مبادئها وفى مقصديتهم ان يسو اوزونثال
بمقصد جمع تبرعات لاغثة الشعب الروسى لان الاشتراكية لا وطن لها .
وفهمنا ان هذه اللجنة المؤقتة ستدعو اليهم جميع ممثلى النقابات فى
البلدة الى اجتماع يعقد فى آخر الاسبوع لتأليف لجنة اوسع (١) .

ولم يقتصر نشاط اللجنة على العمل وسط النقابات فقط فمجد شكلت
فيما بعد لجنة خماسية بهدف الاتصال بالحكومة والقناصل والوزراء الاخرى
وعمل اسواق خيرية واجراء حفلات موسيقية وتمثيلية تدوم عدة ايام .
وقررت ايضا جمع الاكتنابات ومما يذكر انه مما قرره هذه اللجنة ان تطلب
من الحكومة المصرية التنازل عن جزء من القمح والدقيق المخزون لديها
لاغثة التكوين (٢) .

(١) الاهرام ٢٦/٨/١٩٢١ .
(٢) الاهرام ٨/٩/١٩٢١ .

•• والحقيقة ان اللجوء الى أسلوب اقامة اسواق خيرية واحياء حفلات موسيقية وتمثيلية •• يدل على ان قيادة الحزب الاشتراكي قد اتقنوا فن العمل بين الجماهير •• واصبح باستطاعتهم ان يصلوا اليها على نطاق واسع •

كذلك فان النشاط الجماهيري الواسع الذي قامت به شعبة الحزب في مدينة المنصورة من تاسيس فرع لجمعية الاسعاف يديره متطوعون من اعضاء الحزب وفرقة موسيقية تعزف في افراح العمال بالجان وفصول لتعليم اللغة الفرنسية واخرى لمحو الامية •• ولعدد الكبير من الاعضاء الذين ضمتهم الى صفوفها كل ذلك يمكنه ان يقدم لنا صورة عن النشاط الجماهيري الواسع الذي مارسه الحزب في ذلك الحين (١) •

كذلك فان مشروع « صناديق المعونة الحمراء » الذي يستهدف جمع تبرعات للعمال المضربين قد مكن الحزب من ان يصبح ذا نفوذ وسط جماهير الكادحين وقد تبنى مشاكلهم ودافع عنهم على قدر طاقته في وقت تخلت فيه كل الاحزاب عن اية شعارات او مطالب اجتماعية والنتيجة الحتمية لذلك هي ان يتوسع نشاط الحزب ويتزايد ويتشعب في اتجاهات عديدة تعبر عن نمو خبرته وقدراته وكوادره ••

وينعكس اثر ذلك على الطبقة الحاكمة التي تقرر انه قد ان الاوان للدخول في صراع ضد الحزب •

وبعد ١١ شهرا فقط من اعلان الحزب •• وهي مدة وجيزة جدا تجرد وزارة الداخلية انه من الضروري انشاء مكتب جديد لتابعة النشاط السياسي بالاسكندرية ويخصص له اثنان من اكفأ رجال الباحث عما انجرام بك •• والبكباشي كمال الطرابلسي (٢) •

ولاشك ان لهذا القرار الخطير مغزاه الواضح ، فالحكومة تستعد للهجوم ولكن الحزب لم يتراجع وقرر ان يستمر في التقدم بأسرع ما يستطيع •

(١) راجع محضري النقاش مع السعيد البحري وحافظ سند بالملحق •
(٢) الامرام ١٩٢٢/٨/٣ •

التي كانت لها اليد الطولى في توجيه الحركة الوطنية في مصر، وقد كان لها دور كبير في تنظيم العمل القومي، وتهيئة الظروف لقيام ثورة 1919م.

وكانت هذه اللجنة هي التي وضعت الخطوط العريضة للعمل القومي، وقررت على ضرورة العمل بالوسائل السلمية في البداية، ثم اللجوء إلى القوة إذا لم يتحقق الهدف المنشود.

وبعد ذلك، بدأت الحركة الوطنية تتسع، وتزداد قوة، وتنتشر في جميع أنحاء مصر.

* المؤتمر الأول للحزب .. الانضمام للكونغرس

في 1907م، انعقد في باريس مؤتمر الكونغرس القومي، الذي حضره ممثلون من مختلف الأحزاب والقوى الوطنية في مصر، وكان الهدف من هذا المؤتمر هو التنسيق بين الجهود المختلفة، والعمل على تحقيق الأهداف المشتركة.

* المؤتمر الثاني .. تغيير اسم الحزب

في 1908م، انعقد في باريس مؤتمر الكونغرس القومي الثاني، الذي حضره ممثلون من مختلف الأحزاب والقوى الوطنية في مصر، وكان الهدف من هذا المؤتمر هو تغيير اسم الحزب من "الحزب القومي" إلى "الحزب الوطني".

* موجة من النشاط العام

بعد ذلك، بدأت موجة من النشاط العام، وتزايدت المطالبات بزيادة الوعي القومي، والعمل على تحقيق الأهداف المشتركة.

* ثم بدأت الظاردة ..

في 1911م، انعقد في باريس مؤتمر الكونغرس القومي الثالث، الذي حضره ممثلون من مختلف الأحزاب والقوى الوطنية في مصر، وكان الهدف من هذا المؤتمر هو التنسيق بين الجهود المختلفة، والعمل على تحقيق الأهداف المشتركة.

وكانت هذه اللجنة هي التي وضعت الخطوط العريضة للعمل القومي، وقررت على ضرورة العمل بالوسائل السلمية في البداية، ثم اللجوء إلى القوة إذا لم يتحقق الهدف المنشود.

وبعد ذلك، بدأت الحركة الوطنية تتسع، وتزداد قوة، وتنتشر في جميع أنحاء مصر.

لقد كانت هذه اللجنة هي التي وضعت الخطوط العريضة للعمل القومي، وقررت على ضرورة العمل بالوسائل السلمية في البداية، ثم اللجوء إلى القوة إذا لم يتحقق الهدف المنشود.

المؤتمر الأول للحزب الإضيقام للكونمنترون

في الفصل السابق تابعنا كيف دعمت العناصر الماركسية مراكزها وكيف عززت نفوذها من خلال النضال اليومي وقى الاساس من خلال الالتصاق بالحركة العمالية . .

وبالتدريج أصبحت هذه العناصر هي القوة الايساسية في الحزب . وبينما كان سلامة موسى والعناني والآخرون يتربعون على قمة الحزب عن الناحية الشكلية كان حسنى العرابي وصفوان أبو الفتوح واسكندر صاده وأنطون ماريون وغيرهم من العناصر الماركسية يقومون بنشاط جم يهدف تأسيس مراكز حزبية في أماكن عديدة ويهدف دعم الحركة النقابية ودعم التواجد الحزبي فيها ونشر الفكر الماركسي بين صفوف الأعضاء الجدد . وهكذا وصل الحزب الى وضع غريب .

قاعدة ماركسية . . وقيادة يحكمها التركيب القديم الذي تابعنا كيف كان الحزب يعاني منه في الصفحات السابقة . . قيادة تضم نابيين وهيجليين يساريين واشتراكيين الدولية الثانية وقاعدة شيوعية ، وكان لا بد من تصحيح هذا الوضع .

ولأن الحزب كان قد عزز لنفسه مراكز قوية في مدينة الاسكندرية (حيث كانت تتركز القوى الاساسية للطبقة العامة) ولأن حسنى العرابي وروزنتال ومارن وصفوان أبو الفتوح وأحمد المننى ومصطفى أبو هرجه واسكندر صاده كانوا يقيمون بالاسكندرية فقد حدث في هذه المدينة نوع من التركيز للعناصر الماركسية التي سيطرت على شعبية الحزب هناك وتابعت من هناك عملية القيادة الفعلية لكل فروع الحزب (١) بينما استمر سلامة موسى والعناني وعناني وغيرهم يمارسون نشاطهم التقليدى ، وهو نشاط محدود جدا في شعبية القاهرة وحدها عاجزين عن أن يخوضوا غمار المنافسة مع الماركسيين الذين نشطوا نشاطا متزايدا أعجز هذه العناصر التقليدية عن أن تلعب أى دور منافس .

ومن هنا يبرز التصور الذى حكم بعض الكتابات عن هذه المرحلة والذي أوحى بأن الصراع كان بين شعبية القاهرة وشعبية الاسكندرية (٢) لكن التعبير

(1) MURIUS Deeb — Party politics in Egypt 'The walk and its Rivals 1919-1939 (London : ithaka press' 1979) — P.86.

(٢) رؤوف عباس وعبد العظيم رمضان ولاكوز وغيرهم .

للصحيح هو أن الصراع قد اجتمع بين الاتجاه الماركسي الذي ساد عبر الحزب بزعمائه قادة شعبة الاسكندرية وبين المثقفين التقليديين الذين يعادون اعلان ماركسية الحزب

كذلك يحاول عبد العظيم رمضان أن يصور هذا الصراع على أنه صراع بين المثقفين من جانب والعمال من جانب آخر (١). قائلاً أن الصراع قد انتهى بطرد المثقفين من الحزب

ولنا على هذا الرأي ملاحظتان
الأولى : صحيح أن التيار الماركسي وهو أحد قطبي الصراع كان يؤمن بقيادة البروليتاريا لكن ذلك لا يعني أنه ضد المثقفين : فتقادة هذا التيار أنفسهم كان كثير منهم من المثقفين ، العرابي وصفوان ومارون وغيرهم ، ويعتد أن عبد العظيم رمضان قد تأثر في هذا الرأي بعبارة قالها فولاد الشمالي يتأخّر فيها المثقفين ويطلبهم بترك العمال يديرون شؤون حزبهم

والثانية : أن أحداً لم يصدر قراراً بطرد المثقفين لكن غداً من المثقفين انسحب من الحزب رافضاً فكرة اعلان ماركسية الحزب والانضمام الى الدولية الثالثة

والحقيقة أن الغموض يحيط بإطراف وأساليب هذا الصراع الذي تفجر سريعاً داخل الحزب وبلغ ذروته في ٣٠ يوليو ١٩٢٢ عندما عقد الحزب مؤتمراً سرياً لقرار الاسس الجديدة للنشاط ولاقرار فكرة الانضمام للدولية الثالثة

وليست هناك معلومات كثيرة عن هذا المؤتمر ، لكن ثمة شواهد تؤكد اعتقاده وتؤكد إنه قد اتخذ عدداً من القرارات الهامة

يقول روزنتال في شهادته لقد تبين أن لجنة القاهرة لم تظهر إخلاصاً كافياً على حين كان فرع الاسكندرية بالرغم من قلة عدد أعضائه يظهر كفاءة تفوق كفاءة المركز الإداري. وقد طلب بعض أعضاء الفروع جعل الاسكندرية مقراً للحزب ، وبالفعل تم هذا التغيير بعد موافقة أعضاء الفروع على ذلك في اجتماع خاص عقد لهذا الغرض (٢)

(١) ص ٢٥٨ - كذلك يقول عبد النعم الغزالي أن الحزب قد انعزل تماماً عن الجماهير الثورية الأخرى غير العمال وقاطع النشاط في أي وسط جماهيري ما دام غير عمالي ص ٩٢ وهذا غير صحيح في اعتقادنا

(٢) الأهرام ١٩٢٢/٨/٣

كذلك أشار الأهرام إلى بيان صادر باسم الجمعية العمومية للحزب الاشتراكي المصري يتضمن القرارات التي اتخذتها هذه الجمعية (١) بتاريخ

لكن مواد الشمالي يقرر عقد المؤتمر صراحة فيقول « وفي يوم ٢٠ يوليو عقد في الاسكندرية مؤتمر حضره مندوبون من جميع شعب الحزب في أنحاء القطر بينهم وفد من أعضاء لجنة القاهرة فتقرر بالإجماع جعل سبعة الاسكندرية مركزا اداريا للحزب . كذلك تقرر بالأغلبية التجري اعتناق المذهب الشيوعي وتم في المؤتمر انتخاب اللجنة الادارية المركزية . »

ومكذا يمكننا ان نستخلص جدول أعمال المؤتمر الأول للحزب

- ١ - نقل المركز الاداري للحزب
- ٢ - تحديد موقف الحزب من الشيوعية ومن ثم مسألة الانضمام للكومنترن
- ٣ - انتخاب لجنة مركزية جديدة

والواضح ان هذا المؤتمر قد عقد سرا ، وفي الاغلب عقد في الاسكندرية لكن مراسل الأهرام النشط لم يستطيع اكتشاف الأمر الا بعد ان أصدر الحزب بيانا يعلن فيه قرارات المؤتمر .

والواضح أيضا ، ان المحور الأساسي للصراع داخل المؤتمر كان مسألة الموقف من الشيوعية ، ولم تكن مسألة نقل المركز الاداري للحزب ومسألة انتخاب لجنة مركزية جديدة سوى نتائج طبيعية للإلتفات على الموقف الأيديولوجي

والحقيقة ان تفجير هذا الصراع كان مسألة حتمية وخاصة بعد ما شاهدهنا في الفصل السابق من تجمع عناصر من اتجاهات متباينة دون صراع فكري حقيقي ، وبدون أن تحدد مفهومًا متقاربا لما تعنيه بكلمة الاشتراكية ، وكان النضال اليومي هو المفجر الحقيقي للصراع ، وهو الذي حدد أطرافه وحدد قوى كل طرف من هذه الأطراف .

وخلال عملية بناء الحزب كان الماركسيون هم أكثر العناصر نشاطا ومن ثم كانوا أكثرها نفوذاً وبعد أقل من عام من النشاط الحزبي عقد

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/٧ .

المؤتمر الأول ليقرر بالغالبية العظمى إعتناق الذهب الشيوعي ، والانضمام
للدولية الثالثة .

وخلال هذا المؤتمر أمكن عزل العناصر المعارضة . . . سلامة موسى
والدكتور الغناني ويبدو أن عزلتهما كانت شبه تامة فلم يرتفع أى صوت
بالمعارضة سوى صوت سلامة موسى نفسه أما محمد عبد الله عنان وأحمد
الميدنى فقد أمكن للماركسيين كسبهما فى هذه الجولة . . . (١)

وهذه مسألة هامة تستحق التأمل وتوحي بأن خطة الماركسيين كانت
تستهدف كسب أكبر قدر من العناصر - بغض النظر عن موافقتها
السابقة - طالما أنها تقطن موافقتها على النظرية الماركسية .

وقد بدأ الأمر بمسألة قد تبدو شكلية: فالاستمرار الاسم كما هو . . . الحزب
الاشتراكي المصري ، وأضيفت بعد ذلك عبارة « الشعبية المصرية للدولية
الشيوعية » ، بل إنهم هم من تبنوا هذا الاسم . . .

وهى خطوة تدل - بغير شك - على جانب كبير من الذكاء وتوحي
أيضا بالاتجاه المرن للقيادة الجديدة . . .

لكن مراسل الأهرام بالاسكندرية لم يشأ لهذا التغيير - إن يميز بغير
صفة فكتب يقول « كل يوم يتكشف لنا هذا الحزب الذى يطلق على نفسه
اسم الحزب الاشتراكي عن شئ جديد فهو يسمى نفسه الآن ويطبع على أوراقه
اسم « الحزب الاشتراكي المصري » ، وتحت هذا الاسم الضخم يطبع كلمة
« الشعبية المصرية للدولية الشيوعية » ، وقد نشر فى البلاد ورقة باسم
الجمعية العمومية للحزب أورد فيها ما أسماه قراياته ، ومن هذه القرايات
أن تكون لجنة الحزب المركزية بالاسكندرية وأن ينضم الحزب للدولية
الثالثة . فحين إذا أمام البلشفية بتمامها لأنه أورد فى برنامج أعماله قرايات
ما أسماه بالدولية الثالثة فى موسكو . . . (٢)

وكالعادة فقد كانت كلمة الأهرام إشارة البدء لاعلان الصراع على
صفحات الجرائد ، وفى اليوم التالى نشرت الأهرام بياناً لسلامة موسى
بعنوان « عام فى الاشتراكية » .

(١) لم يفظن عبد العظيم رمضان الى هذه الحقيقة الهامة فأدرج اسم
عبد الله عنان ضمن المعارضين لهذه الخطوة . ص ٥٢٩ . وهذا غير صحيح
كما سنرى فيما بعد .

(٢) الأهرام ١٩٢٢/٨/٣

قال فيه : « منذ عام تقريبا. تألف بالقاهرة حزب اشتراكي معتدل
المذهب يسير على خطة نيرة رشيدة يتقودها زعماء أكثرهم تربي في أوروبا
وشامدوا بأعينهم الحركة الشيوعية في إقبالها وإدبارها وغلوها وإعتدالها
وكلهم مع ذلك وطني يعترف ان مصر لم تبلغ بعد الدرجة التي تستطيع فيها
أن تهمل الرابطة الوطنية مستعينة عنها بزوايا أخرى شتعية أو
اجتماعية .. »

لهذا السبب أراد مبتدئو الحركة في مصر أن تكون صيغتها مصرية
بحيث تكيف بتكيف الزاج المصري ولا تنقل عن أوروبا نقلا . كما أرادوا أن
ينهجوا نهج الاعتدال والثقة في خططهم بحيث لا يجد ولاية الامور مجالا
للتخوف أو الشدة في سيرهم . »

وبعد هذا الغمز والاشارة الى موقف السلطة من التغيير الجديد . .
بيدأ سلامة موسى محاولة اظهار أن التحول الجديد تم على بند اجنبية
هي يد روزنتال الذي قال عنه « انه مع اجتهاده في نشر الدعوة الاشتراكية
منذ أكثر من عشرين سنة لم يفلح في ادماج الوطنيين في الجماعة الامرنجية
التي تلتف حوله . » وانما اقبل الوطنيون على الحركة عندما راوا اعتدالنا
واخلاص نيتنا . »

وعلى هذا سرنا عدة شهور الى أن رأى مسيو روزنتال أن صدره لا
يتسع لاعتدالنا وان محاولته لكي يجرنا الى خطته قد ذهبت عبثا فاتفق مع
بعض مشاركيه في الرأي على نقل الحزب الى الاسكندرية . »

ثم يمضى سلامة موسى محددنا نقطة الخلاف الاساسية بينه وبين الخط
الجديد للحزب فيقول : « انى اعتقد أن الاشتراكية لن تفلح عندنا حتى
يرضى بها المتوسطون - ان لم أقل الاغنياء - قبل العمال لانهم هم الطبقة
المستفيرة التي تستطيع فهم مبادئها . »

ثم هو يؤكد « ان الثورة في بلاد مثل مصر مقضى عليها بالفشل ولو
نجحت لكان نجاحها أكثر شرا من الفشل . »

وفي النهاية يكمل سلامة موسى تحديه قائلا : « بقيت كلمة اتولها
للمتخوفين والمرتابين وهي أن الرعونة التي ظهر بها مسيو روزنتال لن تصيب
بها غير نفسه وسيلتئم الحزب الاشتراكي بالقاهرة قريبا . » ويعود الى
خطته التعليمية التمهيدية من غير هوج أو غلو وهو فيها يعمل ويعلم ويضع

مصلحة مصر فوق كل المصالح. (١). ولا شك أن تطور الأحداث قد أثبت خطأ
تصورات سلامة موسى وخاصة فيما يتعلق برونقيل.
نور الله والشئ المؤكد أن سلامة موسى وزملاء لم يبذلوا أي جهد جدي
لتكوين تنظيم مستقل واكتفوا بالانسحاب تاركين الميدان تماما للحزب. باتجاهه
الاجنبي. وحتى سلامة نفسه يؤكد هذه الحقيقة فهو يقول في إحدى
مقالاته ، فحاولنا أن نجدد الحزب حتى نقاوم هذه الحركة الجنوبية فلم
نقو لعدة أسابيع فقمنا بالسكوت فننظر تقلب الأحوال ، (٢)

لكن سلامة موسى - بالرغم من توفقه عن أي نشاط حزبي - لم يكف
عن إعلان معارضته للدولية الثالثة ولا عن هجومه على الاتجاه الجديد
للحزب

وبعد أيام يكتب مقالا آخر بعنوان « الدولية الثالثة والأشتركية »
يتحدث فيه عن الدولية الثانية ويقول : لقد كان بمقدورها أن تضم جميع
اشتراكيي العالم فيهما. ولكنها فقدت شيئا كثيرا من مكانتها لنا ظهر
فيها من الضعف والانشقاق مدة الحرب
فيينا ثم يعرض على الحزب بديلا للدولية الثالثة فيقول : « وفي فيينا
عاصمة النمسا الآن دولية تدعى « الاتحاد الدولي للحزب الاشتراكية » وقد
تألفت في ١٩٢٠ من الأحزاب التي رفضت قبول الاحدى وعشرين نقطة التي
تتطلبها الدولية الثالثة في هوسكوا ، وهي مع ذلك لا تريد الرجوع إلى الدولية
الثانية في بروكسل »

ومصلحة الحزب الاشتراكي المصري الآن إذا أراد أن تكون له مكانة
في النظام الاشتراكي العالمي أن ينضم إلى دولية فيينا . . . أما الانضمام
إلى الدولية الثالثة فمعناه الخروج من الاشتراكية وقبول الثورة كوسيلة
شرعية للحصول عليها . ومن يحاول الآن أن يدمج الحزب الاشتراكي
المصري في الدولية الثالثة إنما يخدع أعضاء هذا الحزب الذين انتموا إلى
الحزب باعتباره حزبا اشتراكيا فحسب

ثم يمضى سلامة موسى ليحرف بنفس اللغة التي هاجمها من قبل
فيقول : « وإذا راجت الإشاعة بأن عقدنا حزبا شيوعيا على اتصال دائم
بموسكوا باتت حركة الاستقلال بعيدنا في خطر . . . إن ولاءنا لمصر ينبغي

(١) الأهرام ١٩٢٣/٣/٤
جد (٢) الأهرام ١٩٢٤/٣/٨

أن يكون أكبر من ولائنا للاشتراكية فاستقلالنا هو الغاية الأولى والاشتراكية هي الغاية الثانية . . (١)

ويبدو أن هذه الكلمات لم تكن ذات تأثير كبير ، فإن أحداً لم يرفع صوته بتأييد هجوم سلامة موسى ، حتى دعا على العنانى شريك سلامة موسى في موقفه لم يكلف نفسه عناء كتابة كلمة نايبيد لهذا الموقف .
لكن الحزب لم يترك هذا الهجوم بغير رد وتصدى للرد محمد عبد الله عنان (سكرتير فرع القاهرة) .

والحقيقة أن اختيار محمد عبد الله عنان للرد على سلامة موسى باذات كان خطوة بارعة فهو اعلان بأن سلامة موسى لا يمثل فرع القاهرة و اعلان بأن سلامة موسى لا يمثل حتى كل المعتمدين ، السابقين . . .

ويكتب محمد عبد الله عنان المحامى وأحد مؤسسى الحزب الاشتراكي ، - هكذا وقع المقال - مقالا عنيفا بعنوان أكثر عنفا هو «رسول شيوعى يشرح مذهبه» قال فيه . . .

« لقد دعونا الى تأليف الحزب الاشتراكي منذ عام واصدرونا اذ ذاك بياناً او برنامجاً ندعو اليه . وقد مضى عام ونحن نعمل في دائرة الطرق السلمية الهادئة ولم نهمل قط مراعاة ما يسود البلاد من ظروف خاصة ، وقد جاهرنا ولا زلنا نجاهر باننا لسنا من الثوريين وانا من دعاة التطور الاجتماعى والسياسى . نقرر ذلك ولكننا نقرر أيضا اننا نعتقد المبادئ الاشتراكية الماركسية . . . وانا لا نعترف اشتراكية « وطنية » اللهم الا أن تكون تلك التى تلقيناها الرفيق سلامة موسى عن الاشتراكية الرجعية الانجليزية التى عاشت في ظلها مدة من الزمن . . .

لهذا لا نتفق مع الرفيق سلامة في وجوب وطنية الاشتراكية المصرية . ان للحزب الاشتراكي مساعدة خاصة بالسياسة المصرية لوجود مصر في ظروف خاصة ولكن تلك المساعدة لا مساس لها بالاشتراكية . . .

ان من يقرأ كلمة الرفيق سلامة موسى يعتقد أننا قد أصبحنا متطرفين وأنه حافظ على اعتداله . . .

(١) الأهرام ١٩٢٢/٨/٩ .

هذه الوثائق التي لم تغير شيئاً من مبادئنا التي وافقنا عليها وأعلنناها منذ
ومن التحامل أن يرى في تقرير الحزب الانتماء إلى الدولة الثالثة أمراً
جديداً يسميه بسيماء الغلو لأن ذلك متعلق بتضامنا مع باقي الرفاق في
العالم وبرائنا في تقرير المبادئ الماركسية. وقد يناح لنا أن نناقشه
في ذلك مناقشة خاصة غير أننا لأنقره منذ الآن على وجوده مبظرف ومعتدل في
الاشتراكية المضرة ونقرز أن اعتداله في نظرنا تكوّن على المبادئ وأوتدأ
إلى زوايا الرجعية.

وبعد ، فقد حدث اتهام جم في ماهية الاشتراكية والشيوعية من ونحن
نقرر بملء الصراحة أن الغاية الاشتراكية مهما تنوعت لا تخرج عن شيوعية
الملك. وأن الاشتراكية لا تعادى بذلك هي الاشتراكية عتيقة فسندتها
الاشتراكية الماركسية التي أصبحت نبراس القوة العاملة ومثلها الأعلى
والتي قامت على مبادئها دعائم الجمهورية السوفياتية (١).

وهكذا أعلن الحزب صراحة موقفه ، لكنه اتخذ خطة تقول أننا لم
نغير شيئاً ، إنما هي نفس أفكارنا القديمة لكن سلامة موسى هو الذي تغير
ان تضمن الرد اسم سلامة موسى. وتحدث دون إشارة إلى زملائه
يوحي بأن الحزب قد نجح التي حد كبير في عزل أفكار سلامة موسى وأن
المؤتمر الأول كان يمثل التي حد كبير جميع كوادر الحزب.

وفي اعتقادي أن تصدي محمد عبد الله عنان للرد يهدم الصورة هو
خير دليل على نجاح المؤتمر في توحيد كوادر الحزب ونجاحه في كسب أكثر
العناصر اعتدالا إلى صف الخط الجديد.

وإذا كان محمد عبد الله عنان ما لبث أن ارتد فهو أيضاً يعد قليل من
الوقت فإن ذلك لا يظلل. وطلقاً من أهمية هذا النص الأبيولوجي الذي جقته
المؤتمر ، ولهم يكن محمد عبد الله عنان هو الوخيل من بين أو المعتدلين الذي
تم كسبه إلى صف الاتجاه الجديد فهناك أيضاً أحمد الحنى المحامي الذي
تولى المشورتاوية العنامة للحزب في فترة غياب جنيني الغزالي في موسكو (٢).

وبطبيعة الحال فإن موجة الهجوم لم تقتصر على سلامة موسى بل
شاركت فيها جريدة الأهرام كعادتها دائماً.

في ٣ أغسطس عاجم مراسل الأهرام بالإسكندرية الاتجاه الجديد
للحزب مندداً بالبلشفية التي أدت إلى هدم وخراب الإمبراطورية الروسية

(١) الأهرام ١٨/٨/١٩٢٢

(٢) الأهرام ٢٠/١٠/١٩٢٢

وعلاوة على مليونين من أمثاله، ويقولون، وقلوبهم إن النظام اللاديمقراطية لنجح أو ألقى بخير ما للصغير أو تكبير لكان لدعائه - في مصر - عذر مقبول لبعض القبول، ولكن الأمر بالعكس، فما بالهم يحلمون بأن يحل الفقير محل الغنى والضعيف محسب القوي والملكية للمجموع. بلا مالك وغير ذلك - مهما - يصرف - بتجارتنا ونؤدى إلى الهلاك - (١)

وفي تعليق على مقال سلامة موسى السابق تكتب الأهرام ونحن نقائل هذه المذاهب الشيوعية لانها الفوضى ونحن محتاجون إلى النظام، ونحن بحاجة إلى تقوية رؤوس الاموال حتى نعلم الخراب - (٢)

وتنشر الأهرام أيضا هجوما شديدا بتوسيع ملكية يطالب فيه الحكومة بمطاردة الحزب

بل انه يهددها بان الملاك قد يحاولون ان يدفعوا هذا الخطر بأيديهم فيقول : اننا نكتب الحكومة الى ان ما يقوم به هؤلاء الناس مما يمتنيه القوانين البحرية عامة سواء في ذلك القانون السماوي أو القانون الوضعي من واجب ان نفهها كذلك الى اننا نحن الملاك فننظر فيها ان يقوم بالواجب ازاء ما يهددها من الخطر وازاء امر لا نريد ان ندفعه بأيدينا ، فهل عند الحكومة اذنان لتسمع بهما ؟ ذلك ما نظن والسلام - (٣)

لكن الحزب لم يعبأ بذلك وواصل مسيرته ، وتنتهيا لقرار المؤتمر الاول سافر حسنى العرابى الى موسكو ليحضر المؤتمر الرابع للكونغرس طليبا الاعتراف بالحزب المصرى كعضو فى العولبية الثالثة

ومن موسكو كتب حسنى العرابى سلسلة من المقالات عن زيارته الى روسيا الحمراء ، وتوالت الاخبار عن خطب حماسية اثنائها فى المؤتمر قال فيها : انه يؤمل بالرغم من معارضة الاستعمار الانجليزى والرايىمالية المصرية ان يرى الاعلام الحمراء خلف يوم ما فوق ربيى الاهرام ، وقال ان الحزب المصرى قد خطا خطوات واسعة وانه سيشارك فى الانتخابات القادمة وسوف يوضع برنامجا للفلاحين - (٤)

- (١) الأهرام ١٩٢٢/٨/٣
- (٢) الأهرام ١٩٢٢/٨/٤
- (٣) الأهرام ١٩٢٢/٨/١١
- (٤) نفا عن بيان محمد عبد الله عنان - الأهرام ١٩٢٣/١/٦

والحقيقة ان الخطوات الاساسية كانت قد اتمت في المؤتمر الاول ، ولم يكن سفر حسنى العرابي الا تنفيذاً لها

وكذلك كان حسنى العرابي الا يزال في موسكو عندما اصبح احمد المنفي بياناً عن احتفال الحزب بذكرى اعلان الثورة الروسية وانبثاق فجر الحرية محضر الاجتماع جمع غير من الاعضاء وافتتحت الحلقة بالنشيد الدولى ثم وقف الرفيق احمد أفندى المنفى المحامى والقى خطاباً بين فيه تاريخ الثورة الروسية واسبابها ونتائجها وما ضارفتها من العقبات وانتهى من خطبته بين التصفيق والهتاف

وبعد ذلك رفع الستار عن تمثال الحرية المقيدة التى اخذ العامل على نفسه ان يحطم قيودها ويطلقها من الاسر الذى وضعتها فيه الراسماليون

ثم وقف الرفيق نيوتسف روزنتال والقى خطاباً شرح فيه معنى الثورة الروسية وأشار الى علاقتها بالشرق والشرقيين فقوبلت اقواله بالتصفيق وقام بعده الرفيق السيد هزبدي فشرح أعمال الثورة وعلاقتها بالفضيحة التركية وانتهى الحفل كما بدأ بالنشيد الدولى (1)

كذلك اصحر الحزب قبيل عودة حسنى العرابي من موسكو ميثاقاً هاماً بعنوان « نداء الى العمال اليدويين والذهنيين في العالم » اذان فيه « العدوان الوحشى الذى ترتبه سلطات الاحتلال البريطانى ضد مطالب مصر المقدسة » ويعلن ان الحزب الاشتراكى المصرى سوف يقف في طليعة الحركة الوطنية وسوف تقف الجزوليتاريا المصرية الواعية في وجه اى تهافتات مع الطفلة

وقد اذاع الحزب بياناً هاماً يومئذ يشرح فيه موقف الحزب من العدوان البريطانى

ويعلن النداء « ان المثل الاشتراكية التى تتجسد في بعث كل شعب في العالم قد اظهرت الان على مسرح السياسة في مصر

وفي النهاية يدعو البيان « المثقفين الاشتراكيين » الى « الاتجاه نحو الريف كى يخلقوا جبهة سياسية واقتصادية موحدة يمكنها ان تجابه نفوذ البرجوازية » (2)

(1) بيان احمد المنفى السكرتير العام للحزب - الاحرام ١١/١١/١٩٢٢ .

(2) walter Laquer — Communism and Nationalism in the Middle East, P. 34.

المؤتمر الثاني تغيير اسم الحزب

لقد سافر حسنى العرابى ليحضر المؤتمر الرابع للكوهنترن ويحقق هدفين محددين :

١ - قبول الحزب الاشتراكى المصرى عضواً فى الكومنترن والاعتراف به كممثل للبروليتاريا المصرية .

٢ - خلق ارتباط بين الحزب وبين الحركة البروليتارية العالمية .

وقد قام حسنى العرابى بدور نشط ناقل عديداً من الخطب والبيانات . ولكن يبدو أن المسألة لم تكن سهلة فقد تشكلت لجدل دراسة الموضوع كان مقرراً للرفيق كاتاياما واستتمت اللجنة الى تقرير قدمه حسنى العرابى نوره بنصه للاهمية التاريخية (١) .

تقرير عن الحزب الاشتراكى المصرى وقرار حياله

أيها الرفاق :

لقد اجتمعت لجنة المسألة المصرية عدة مرات واستتمت الى تقرير الحزب الاشتراكى المصرى وناقشت القضية باستفاضة ، اننا ندرك ان مصر تحتل مكانا هاما ، فهى من ناحية تفصل بين الشرق والغرب ومن ناحية اخرى تصل بينهما ، وهى المفتاح الى الشرق والشرق الاقصى ، ولذلك فالحركة الشيوعية المصرية ذات أهمية كبرى .

ولقد عانى الشعب المصرى طوال أربعين عاما من استغلال الاستعمارين الانجليزى والفرنسى ، وكانت لحدى نتائج الحرب الاخيرة ان غير الشعب المصرى موقفه فثار ضد الاستعمار الانجليزى ، وبينما يكتب صحفنا الجورجسوازيين والرأسماليين المصريين بالاستقلال الاسمى لبلادهم قيان

(1) International press Correspondence V. 3.N.

2-5-1-1923. P. 21

الشيوعيين والعمال والثوريين لا يرضون بهذا الاستقلال ، وإنما يطلبون استقلالاً حقيقياً ، وبالنسبة لموقفهم من هذه القضية فانهم يجب أن يحضروا بمساعدة الكومنترن ، ولقد إتفقنا - نحن لجنة المسألة المصرية - على أن الحركة الشيوعية في مصر يجب أن تتلقى المساعدة والتشجيع ، وبناء حركة شيوعية في مصر أمر ضروري حتى تمسك بالمفتاح الى الشرق والشرق الأقصى . وفي حالة وقوع تمرد في الهند فإن مصر بفضل الموقع الجغرافي لأذن تتسلفه يمكن أن تفتح الطريق للثورة الهندية وتبنيانديها بإغلاق فتنة الشيوعيين ، لهذا تحوينا الرغبة في مد يد المساعدة للحركة الشيوعية المصرية وإلى الاعتراف بالحزب الاشتراكي المصري . ان الحزب الاشتراكي المصري ما زال حديث الولادة لم يختر بعد حزمة في عمدة نواح . هذا بالرغم من ان الزفاق المصريين يسرون على خط الكومنترن . ومع هذا نود أن نضع بعض الشروط لانضمامهم إلى الكومنترن . لهذا قررنا طرح هذا القرار أمامكم :
 ١ -

١ - قرار من لجنة المسألة المصرية عن الحزب الاشتراكي المصري ، صادر في ٢٦ نوفمبر عام ١٩٢٣ .
 ٢ - قرار من لجنة المسألة المصرية عن الحزب الاشتراكي المصري ، صادر في ٢٦ نوفمبر عام ١٩٢٣ .

٣ - تقرير مندوب الحزب الاشتراكي المصري الذي أتيح لنا الاطلاع عليه للدلالة على أن الحزب الاشتراكي المصري يمثل حركة ثورية عارمة تسير على نهج الدولية الشيوعية .
 ٤ - ومع هذا فاللجنة تقترح تأجيل قبول الحزب الاشتراكي المصري في الدولية الشيوعية الى حين :

١ - يطرد الحزب بعض العناصر غير المرغوب فيها .
 ٢ - ويقتد مؤتمرنا ينضم فيه إلى الحزب الشيوعي المصري رأى عنصر شيوعي في مصر يمكن أن يكون حالياً خارج الحزب الشيوعي المصري ويقبل الشروط الواحد والعشرون الدولية الشيوعية .

٣ - ويكون الحزب قسدي غير اسمه إلى الحزب الشيوعي .
 لذلك تقترح اللجنة التي الحزب الاشتراكي المصري مؤتمرنا يفتح التي لتحقيق الشروط المشار إليها أعيناً في تاريخ قريب لا تتعدو الخامس عشر من يناير ١٩٢٣ .

٤ - القيد عاد جسني العرابي وهو في عجلة من أمره فقرار المؤتمر الرابع الكومنترن يلزمه بالقيام بأعمال جسيمة خلال فترة قصيرة جداً - لا تتجاوز

١٥ يناير ١٩٢٣ . وإذا كانت لجنة المسألة المصرية قد أعدت تقريرها في ٢٦
نوفمبر ١٩٢٢ ثم عرض بعد ذلك على المؤتمر فإن حريتي العرابي يكون قيد
وصيل مصر حوالى منتصف ديسمبر ، ولم يكن أمامه سوى شهر واحد تقريبا
لانجاز ثلاث مسائل عميرة .

١ - تغيير اسم الحزب من الحزب الاشتراكي المصري الى الحزب
للسيوعي المصري ، وهو خطوة يبدو أن المؤتمر الاول للحزب قد أثار جوليا
جدلا طويلا انتهى بنوع من المساومة بين الأطراف المختلفة تمتت في الاحتفاظ
باسم الحزب الاشتراكي المصري مع اضافة عبارة « الشعبية المصرية للدولة
الثالثة » . وحتى هذه المساومة للذكية توافق عليها المؤتمر بالاغلبية
وأيس بالاجماع .

كذلك فإن الدعايات المعادية للشيوعية كانت قد نشطت خلال الفترة
السابقة الى حد أن كلمة « الشيوعية » أصبحت مرادفا لتعبير آخر هو الاباحية .
بل ان بعض المترجمين كان يترجم كلمة Communism وربما بحسن نية - الى
اللفظ العربي « اباحية » . اشتقاقا من لفظ « مباح » وإنما الى أن الشيوعية تبين
الملكية للجميع .

كذلك نلاحظ أن الإصرام يعلن أن اللجنة المركزية للحزب قررت أن تغير
اسم الحزب الى الحزب الاباحي (١) .

والحقيقة انه لا يد من التأمل - في ظل الظروف الموضوعية لمصر
عما اذا كان ضروريا تغيير الاسم ام لا ، فلينين عندما عرض عليه الحزب
المغولي في ١٩٢١/١١/٥ تغيير اسمه من الحزب المغولي الشعبي الثوري
الى الحزب الشيوعي قال لقادة الحزب « أنا لا أنصحكم بذلك . المشكلة
ليست استبدال اسم باسم آخر . ولو طلبتم رأيي فأننى لا أنصحكم بالتغيير .
وقال لينين أيضا « ان أمام الثوريين المغوليين واجبات كثيرة كى يبنوا دولة
جديدة واقتصادا جديدا وثقافة جديدة قبل تحول هؤلاء الرعاة الى
بروليتاريا . الامر الذى يساعد في المستقبل على تحويل هؤلاء الاشتراكيين
الشعبيين الى شيوعيين ، لكن مجرد تغيير للواجهة مضر وخطير » .

الا انه يتعين ملاحظة أن ظروف مصر تختلف عن مغوليا من حيث قوة
البروليتاريا المصرية وتتساعد نضالها ونضجها في المارك الثورية . ومن
حيث ضرورة تحديد جد فاصل يميز الاشتراكي الدولية الثانية الذين كانوا
لا يزالون يمارسون نشاطا في الحزب .

(١) ١٩٢٢/١٢/٢٧

٢٢ لكنه وبالرغم من هذه الظروف الموضوعية فإن عملية الاسراع الشديد بتغيير اسم الحزب دون صراع ايديولوجي كاف ودون توضيح للتواعد قد وصلنا بالمسألة الى الوضع الذي وصفه نيتن جيانه ، مجرد استبدال اسم باسم آخر ، او مجرد تغيير للواجهة ،

٢٣ - فصل بعض اعضاء الحزب ، او بالدقثة - فصل روزنتال ونحن نعلم ان روزنتال قد لعب دورا أساسيا في تأسيس الحزب ، وكان يمارس نفوذا واسعا وسط العناصر الاجنبية ، ووسط النقابات (١) ، ولقد كان له دورا كبيرا في عقد مؤتمر ، ولم تكن هذه مسألة سهلة ، نظرا لضيق الوقت الذي يعوق اي اعداد جدي للمؤتمر ، كذلك فاننا نلاحظ ان مجلة International Press Correspondence قد نشرت القرار في عددها الصادر في ٥

يناير ١٩٢٢ وربما اذيع القرار قبل ذلك مما يجعل من المستحيل امام الحزب عقد مؤتمره سيرا كما حدث بالجنسية للمؤتمر الاول ، خاصة وأن السلطة تعلم انه مضطر الي عقد المؤتمر في مدة لا تتجاوز ١٥ يناير ١٩٢٢ ، ولهذا اضطرت اللجنة المركزية الى أن تحاول عقد المؤتمر علنا وعمل البوليس على منعه ،

ولسنا نعرف الدوافع التي حدثت بلجنة المسألة المصرية في المؤتمر الرابع للكومنترن التي تحديت يوم ١٥ يناير كحد أقصى لتنفيذ هذه الأمور جميعا ،

(١) تضاربت الأقوال حول سبب اصرار الكومنترن على فصل روزنتال فيقول لاکور أن السبب هو قبول روزنتال الفوضوية (الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط حاشية ص ١٠٦) وثمة شواهد تؤكد هذا الاستنتاج منها أن مقر الحزب الاشتراكي بالاسكندرية كان يضم ضورا مباركن ولينين وروزا لوكسمبرج وياكونين ، للزعيم الفوضوي ، كذلك ثمة رواية شخصية سمعناها تقول ان روزنتال هو الذي اقترح على سلامة موسى ترجمة وبتداء التي السباب لياكونين ، ويقول لاکور في كتابه ، الشيوعية والوطنية في الشرق الأوسط ، ان روزنتال كان ضمن الاقلية التي عارضت الانضمام للدولية الثالثة ص ٢٢ كذلك نلاحظ أيضا في شهادة روزنتال امام النيابة - راجع الملاحق - ان لروزنتال تحفظات على شروط الدولية اذ يقول اعرفها جميعا ولو كنت احد واضعها ربما كنت لا اوافق على مجموعها ، وفما تجدر الاشارة اليه ان أفيجدور واسمه الحقيقي ، نيقول كوني ، وهو زوج ابنة روزنتال كان في ذلك الوقت ممثل الكومنترن في مصر ، وان شتارلوت روزنتال ظلت عضوا في الحزب ، بل وأصبحت في عام ١٩٢٥ عضوا في اللجنة المركزية للحزب ،

لكننا ندرك اية صعوبات واجهت قيادة الحزب عندنا حاولت التقييد بهذا الموعد
و ندرك ان الاسراع الشديد ربما أدى الى بغض الفواقص
المهم ، لقد بدأ حسنى العرابى وزملاؤه العمل بفرعة ربما كانت أمسك
ضرا من الابطاء ودعوا الى اجتماع للجنة المركزية تقرر فيه

١ - فصل روزنتال .

٢ - اعلان تغيير اسم الحزب .

كذلك قررت اللجنة المركزية ان يتولى احمد المدنى امانة الصندوق بدلا
من روزنتال ، لكن الامور تتطور سريعا
فروزنتال يصغر. بيانا غاضبا يتهم
فيه « احد الأشخاص » (حسنى العرابى) بالتمسك والسيطرة والوقية بينه
وبين الكومنترن

وأحمد المدنى ما لبث ان قدم استقالته بيجة ، ان الشيوعية بهذا
الشكل كثيرة جدا على مصر ، وأن البلاد لا تقوى على تحمل مبادئها ، وأنه
لا يستطيع الاشتراك بالمعمل مع اللجنة المركزية الموجودة ،

وبعد عدة اسابيع انسحب أيضا السيد مريدى واسكندر صاده

ثم ما لبث محمد عبد الله عنان ان بدأ هو أيضا الهجوم ، فكان هجومه
جاء مناقضا تماما لكل ما جاء في بيانه السابق ، فبدأ يهاجم لجنة الاسكندرية
لانها خرجت وتمردت على ما اختطه الحزب لنفسه من سياسة الرزائفة
والتعقل وسرعان ما تأيد خروج تلك الشعبة بما زعمته من انها قررت نقل
لجنة الحزب المركزية الى الاسكندرية وبما زعمته أيضا من فصل زعماء
الحزب ومؤسسيه ورجالها العاملين تخلصا من رقابتهم الحكيمة وسياستهم
الرشيده ولم يقف خروجها عند ذلك الحد ، بل انها تحت ظل اسم الحزب
الاشتراكى المصرى ارتكبت الشطط ونادت بابعاد المبادئ تطرفا وأدعاها الى
تشويه هيبه المبادئ الاشتراكية الصحيحة ، فلم ير مؤسسوا الحزب عندئذ الا
أن يعلنوا للرأى العالم براعتهم من خطر هذه التصرفات وسفه تلك السياسة ،
وأن يؤكدوا لرفاقهم ومواطنيهم انهم ملتزمون جانب الرؤية متمسكون بشد
أزر الغاية الوطنية ،

لكن الناس جميعا كانوا لا يزالون يذكرون هجوم عبد الله عنان على
سلامة موسى وكلماته الحاسمة التى تصف نفس الافكار التى يرددها اليوم
بالرجمية

منه ان اجتماع اللجنة المركزية الذي عقد في اواخر ديسمبر لم يحضره احد من
القاهرة . . . ولا محمد عبد الله عنان نفسه . . .
والسؤال المطروح هو: هل يمكن في محمد عبد الله عنان - سكرتير اللجنة
الحزب بالقاهرة عضوا في اللجنة المركزية . . .

ام ان منظمي هذا الاجتماع اكتفوا بجمع بعض اعضاء اللجنة
المركزية فقط . . .

هذه المقالة من الصنم التاكد منها ، بالخاصة وان نظام الحزب بالرغم من
عنفيتها لم يكن يسمح باعلان اسماء اعضاء اللجنة المركزية . . .
المهم ان عنان لم يشترك في اجتماع الاسكندرية ، يؤكد ذلك نشر
الاهرام يوم 4 يناير نقلا عن رسالة واردة من مكتبة بالاسكندرية في 3 يناير
وازلتنا اليوم حضرة الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامي سكرتير الحزب
الاشتراكي (المصري) في العاصمة ، واخبرنا انه قدم الى الاسكندرية ليربض عن
حقيقة الظروف والموامل التي دعت بعض اعضاء فرع الاسكندرية لفتح
بعض امور ادت الى احداث ضجة شديدة حول مبادئ الحزب وعاياته . . .

ثم ان عنان يذكر في بيانه الذي نشر في الاهرام : و اخيرا قامت حول
تصرفات شخصية الاسكندرية ضجة ثانية وتكررت الاهرام ان تصرفات من الاعضاء
قررت ان تسمى الحزب ثانيا ، وان اعضاء من اساطيننا قد افضلت ان يترفعوا
له اشتغال احتجاجا على تلك التصرفات (1) . . .
السهم هكذا يستقى عنان معلوماته من الاهرام فيشرع الى الاسكندرية ليثبت
الموقف ثم صدر بيانه الذي يهاجم فيه الحزب ويحرض ضده السلطات فيقول
وان الخبز في التطرف المقبول ليس من شأنه الا ان يؤخر الدعوة الاشتراكية
وان يحزن السلطات على عدم الثقة بمبادئنا واعراضنا العاقلة . . .
ولقد كان عنان من الانتهازية بحيث هاجم كل المواقف والاتجاهات التي
دافع عنها دافعا جارا منذ اسابيع قليلة وعلى صفحات نفس الحزبية
والاهرام . . .

ولقد كان من السهل الرد عليه وافحامه بحججه هو ، وبنفس كلماته
الساذجة لكن الذي تصدى للرد عليه لم يكن موقفا . . . ان بطبيعة هذا

(1) الاهرام 1/4/1923

الشخص - فؤاد الشمالي - فوجهي بيانه قد اشتمع للرد دون تكليف من الحزب. . . فقد اكدتني بعبارات عامة لا تتسع لأحدًا، رغم اذا به يقبول « كلمتي الى زعماء الاشتراكية في مصر. أن يتذكروا العمال، يتولون بأنفسهم جميع شؤونهم، لأن الاشتراكية من العمال والعمال وبالعمال وليست بالتجار والملاك والمحامين » (١).

فهل كانت كلمات الشمالي موجهة ضد عبد الله عنان، أم انها غمزة من طرف خفي للقيادة الجديدة ومن أعضائها حسنى العرابي، « التاجير » وصفوان أبو الفتح « المدرس » وأنطون مارون « المحامي » وغيرهم من المثقفين *.

وعلى أية حال فإن الحزب لم يكتف بهذا الرد وتوجه عدد من أعضائه الى مكتب الاهرام بالاسكندرية وطالبوا بنشر رد على عبد الله عنان، لكن الاهرام اكتفى بأن نشر في اليوم التالي « أن عدداً من أعضاء الحزب قد زارنا وأطلعنا على مراسلات كثيرة متبادلة بين زعماء الحزب في القاهرة والاسكندرية

(١) الاهرام ١/٩/١٩٢٣

... على أية حال ما لبث فؤاد الشمالي أن انسحب من الحزب معلنا تأسيس حزب جديد أسماه « الحزب الاشتراكي السوري اللبناني » مقره الاسكندرية وأصدر بياناً مليئاً بالتخبط يقول فيه « شرعنا في تكوين جمعية ترمي الى تحرير سورية ولبنان سياسياً واقتصادياً وقلنا اشتراكي لا شيوعي لاننا وجدنا معنى الشيوعية يتفق والاباحية . . . ولما وضعنا مبادئنا الأساسية التي استخلصناها من الوثيقة الثالثة رأينا أنها تتناقض مع معنى الشيوعية والاباحية . . . وما نحن سوى لسان حال الطبقة العاملة المغلوبة على امرها نعمل لتحسين حال العمال على قدر المستطاع في الوقت الحاضر، ونرمي الى تسليم مقاليد الاحكام وزمام الامور الى طبقة العمال والفلاحين في اول فرصة تمكننا . . . (الاهرام ٢٦ مايو ١٩٢٣) لكن سلطات الامن لم تسكت على محاولة الشمالي تأسيس حزب سوري لبناني بالاسكندرية فاستدعته وانخرته وقالت له - على حد قول مراسل الاهرام - « يجب أن تسكت وتحذروا » (الاهرام ١/٩/١٩٢٣) - وقد سكت الشمالي ويبدو أنه قد غادر البلاد على الفوز الى الشام حيث شارك هناك في تأسيس الحزب الشيوعي السوري اللبناني . . .

وقد ظهر اسمه فيما بعد عضواً في اللجنة التنفيذية للمصنعة المعادية للامبريالية . ثم ما لبث أن اُبعد أيضاً من صفوف الحزب الشيوعي السوري اللبناني .

يستغل منها إن هناك أشياء شخصية كثيرة بينهم . (١) . ولم ينشر الأهرام
رأى الحزب ، لكن هذه العبارة توحي على أية حال بأن ثمة محاولات قد
بذلت لتبسيو الأمر مع عبد الله عنان .

وعلى أية حال وبالرغم من بعض النواقص التي أدت إليها محاولة
الاسراع الشديد في التنفيذ ، فقد تمكنت اللجنة المركزية من التحكم في الموقف
واستطاعت أن تعد العدة لعقد المؤتمر الثاني للحزب .

ولقد كان الصراع حول حق الحزب في عقد مؤتمره العيाम محيا لموقف
السلطات من التطورات الجديدة التي طرأت على الحزب .

والحقيقة ان السلطة كانت قد بدأت منذ فترة في محاولة تقييد نشاط
الحزب وفي ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٢ استدعت سلطات الامن بالاسكندرية
روزنتال وأبلغته أنها بأمر مدير الامن العام تحظر عليه نشر الدعوة الشيوعية
والا فإن الحكومة قد تفكر في ابعاده عن البلاد . فرد روزنتال قائلا : انه
مضري الجنسية ويسرى عليه من القوانين ما يسرى على جميع المصريين فاذا
كانت الحكومة ترى عمله مخالفا لهذه القوانين فليس اسهل عليها من محاكمته
والا فلا داعي للتعرض له في مبادئ ليس في نيته الكف عن اتباعها . (٢) .

ثم تفجر الموقف من جديد عندما تقدم الحزب بطلب رسمي لسلطات
الامن بالاسكندرية بطلب عقد مؤتمره العام يومي ٦ - ٧ يناير ١٩٢٣ . وقد
احتاطت اللجنة المركزية للأمر فقررت ان المؤتمر سوف يصبح قانونيا مهما
كان عدد الاعضاء الحاضرين (٣) .

ويقول الأهرام إنه : كان مفهوما ان أحد اركان النهضة الشيوعية في
أنطترا وهو الدكتور بول سياتي الي الاسكندرية مؤندا من قبل الحزب
الرؤسي لخصور هذا المؤتمر . لكن هذا الرجل لم يات حتى الان غير ان
الحزب لا يزال عاجزا على عقد مؤتمره في موعده .

ويواصل الأهرام قائلا : وقد علمنا ان ادارة الامن في الاسكندرية
استدعت اليوم المسيو روزنتال سكرتير الحزب الذي فصل منه مؤخرا ومنجمود
انفذي حسنى الغرابي السكرتير العام للحزب . وابلغت كلا منهما على حدة
ان وزارة الداخلية قررت ان تمنع عقد المؤتمر الشيوعي الذي ينوي الحزب

(١) الأهرام ١٩٢٣/١/٦ .
(٢) رؤوف عباس - المرجع السابق - ص ٢٤٤ .
(٣) رؤوف عباس - المرجع السابق - ص ٢٤٤ .

عقدته في الاسكندرية ، وإن البوليس في هذه العينة سينفذ هذا الامر ويجول
دون عقد ذلك المؤتمر ، (١) .

لكن الحزب أعلن عن تصميمه على عقد المؤتمر في موعده ويبدو أنه قد
حاول الاستفادة من الامتيازات الممنوحة لأعضائه من الاجانب والتي تمنع
البوليس من التدخل إذا ما عقد الاجتماع في مكان مستأجر باسم شخص
اجنبي (٢) .

وفي ٣ يناير اصدرت اللجنة المركزية نداء الى الراى العام العالمى
ارسلت صوراً تلوغرافية منه الى الاحزاب الشيوعية بالخارج والى النواب
الشيوعيين في البرلمانات المختلفة جاء فيه :

• تقييم بعض الجماعات الرجعية في مصر اجتماعات ينازلون فيها
الشعب المصرى المءاء جهرة تحت حماية للبوليس • وصحفهم تسمى للبلاد
في الداخل والخارج بما ينفثون من سموم بدون مراقبة ولا ازعاج .

ويعلن الحزب الشيوعى المصرى عن عقد مؤتمر له من بين أعضائه يومى
٦ و ٧ يناير ١٩٢٣ فتعلمه الوزارة المصرية بالتعطيل وتتحدهاء فتمنع
محاضراته الاسبوعية وتحرمه من لسان يعبر عن آمال الشعب المصرى
المطلوب على امره • ففى أى زمن نحن ؟ وهل نحن حقاً مستقلون ؟ وهل هذه
ثمرة الاستقلال المزعوم ؟ •

فالى الشعوب الاوربية نشهدما على مهزلة الاستقلال وتجار اليها من
المظالم الاستعمارية التى لن يصبر المصريون على تحملها طويلاً ، (٣) .

ويتضح من هذه الرسالة ان المسألة لم تكن مجرد منع عقد المؤتمر ، بل
ان البوليس قد منع أيضاً المحاضرات الاسبوعية بدار الحزب •

وقرر الحزب أن يتوجه اعضاء المؤتمر الى مقر الاجتماع ، ولا يتفرقون
الا اذا فرقهم البوليس بالقوة •

(١) الامرام ١٩٢٣/١/٤

(٢) عيد العظيم - رمضان - المرجع السابق - ص ٥٣٦

(٣) الامرام ١٩٢٣/١/٥

والمرء في التوجه المخذول للاجتماع حاضرت بقوات البوليس مكان الاجتماع
ومنعت أعضاء المؤتمر بالقوة من دخوله . واكتفى الحزب نيتيا للاحتجاج على
هذا المنع .

سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
ومنية لكن هذه المبرحة لم تكن إلا استقرار الحزب خلفه انما مؤتمره
سيرا وان كان قد اكتفى بان حضره عدد محدود من الاعضاء . وقد أقر المؤتمر
الاجراءات التنفيذية التي اتخذت (١) . كما يبدو أيضا ان هذا المؤتمر قد وافق
على مشروع البرنامج الجديد .

والسنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤

السنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
على يومه من ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
والسنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤

وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤

وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤

وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤

وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤
وهو في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤

(١) عبد العظيم زهنتان عرض ١٩٣٦ رؤوف عياش النص (٢٤٤) وشهادة روزنتال - باللاحق .
١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٤

موجة من النشاط القارم

وبرغم هذه الظروف المعقدة فإن الحزب قد مارس ابتداءً من أول عام ١٩٢٢ نشاطاً ملحوظاً وواسع النطاق في مختلف المجالات وفي مختلف الاتجاهات.

فأصدر الحزب برنامجاً - الذي سبقته لاشارة اليه - وكان يغير شك برنامجاً ممتازاً يعبر عن المتطلبات الحقيقية للمجتمع المصري وكان نموذجاً للموقف الطبقي الواضح في اظهار الفهم السليم للقضية الوطنية في بلد مستعمر. وقد تورد هنا مقرة من حيثيات الحكم الصادر ضد قادة الحزب في عام ١٩٢٤.

ففي هذه حيثيات تحاول الهيئة المحكمة ان توضح عن هذا البرنامج فتقول: وحيث أنهم ابتدأوا هذا البرنامج يأمور تتعطش الي كثير منها نفس كل مصري، وتورد تحقيقها ليجعلوا هذا البرنامج نافذاً الى العقول (١) كذلك تبني الحزب في برنامجه وخطوطه العامة سياسةً بيليمية تجاه القوى الوطنية الاخرى، فدعا الي تنظيم جبهة متحدة من العناصر الأشد تطرفاً والموثوق بها في الحركة الوطنية مع احتفاظ الحزب الشيوعي بشعاره وقيادته، وتضمن برنامجه نكاحاً هاماً يمكن للقوى الوطنية ان يلتفت حولها وهي:

١- العمل على تحرير مصر والسودان تحريراً تاماً خالياً من كل سائبة وربط الشعبين احدهما بالآخر لينتقما معا ويتمكنا من استثمار ثروتهمما الطبيعية وتعميم نفعها في البلدين، ويقاونا على شن الغارة على ممتلكاتنا سواء كانوا وطنيين او اجانب.

٢- القضاء على الفناء الدين العمومي الذي تستعمله القوة الاستعمارية لاستعباد الشعب المصري استعباداً اقتصادياً. (٢) فيسبب ذلك في... (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

* الغاء الامتيازات الاجنبية *

* المطالبة بحرية الاجتماعات والمطبوعات والخطابة والافراج عن المسجونين السياسيين *

وهي جميعا مطالب وطنية وقومية يمكنها أن تمنح الحزب مكانا وسط القوى الوطنية التي كانت تغلى بالغضب من تهادن القيادات والزعامات مع الاستعمار.

ونود هنا أن نلاحظ أن هذه المطالب لم ترد في البرنامج الذي أورده شهدي عطيه والذي قلنا في فصل سابق أننا نعتقد أنه البرنامج الذي أصدره الحزب عقب مؤتمره الثاني في أوائل عام ١٩٢٣.

وأما وردت ضمن حيثيات الحكم الثبات في الأشتارة التي مع تأكيد من هيئة المحكمة بأن هذه المواد كانت ضمن البرنامج المطبوع الذي أصدره الحزب في كتيب مع الشروط الواحد وعشرين للدولية الثالثة.

لكن ذلك لا يشكك في صحة البرنامج الذي أورده شهدي فان معظم نقاط هذا البرنامج مشار إليها وورادة بنفس العبارات في حيثيات الحكم.

كذلك نلاحظ أن لأكور في كتابه الشيوعية والقومية في الشرق الأوسط لم يورد هذه المطالب أيضا وإن كان قد أشار إلى مطلب لم يرد عند شهدي وورد في الحيثيات، وهو الغاء الامتيازات الاجنبية (١).

وهو ونحن نعتقد أن ما أورده المحكمة في حيثياتها المقبول من الديسباجة الطويلة التي اتفق الجميع على أنها كانت تتضمن البرنامج .. بينما اكتفي شهدي بنقل مواد البرنامج ذاته.

كذلك فإن الحزب قد أهتم بتتخيف أعضائه وبدأت حملة لترجمة نصوصه من الكتب إلى اللغة العربية كذلك وزعت مطبوعات باللغات الأجنبية على الأعضاء الأجانب.

من ٤-٣- وأن كان لا كورته قد أخطأ في فهم موقف الحزب من قضية السودان فقال ان الحزب كان مثل غيره يطلب الوطنيه مع اليهودان .. لكن العبارات الواردة في الحيثيات وهي بغير شك تنتم بحقة الاحكام القضائية تؤكد أن الحزب قد اتخذ موقفا يطالب به بربط الشعبين ايجادهما بالأخسر ليقتفعا معا .

وتقول الحثييات إنهم كانوا ينشرون بعض الكتب والرسائل الموضوعية في هذا المذهب مترجمة وغير مترجمة ، وإن المنهم الأول محمود حبيبي العرابي ترجم إلى العربية كتاب يوخارين أحد زعماء الحركة الشيوعية وكان يؤزع على أفراد الشعب

كذلك يقرر بعض الاعضاء أنهم كانوا يتلقون مطبوعات عديدة وكتباً للينين مترجمة إلى العربية (١)

ويرد في الحثييات أيضاً ما يوحي بأن الحزب قد بدأ حملة من الدعاية النشطة لترويج أفكاره

فالتهم الثالث صفوان أبو الفتح ، وهو مدرس في إحدى المدارس كان يملئ على تلاميذه بعض الامالي ، المواضيع ، التي يحيد فيها الشيوعية . والمتهم الحادي عشر عبد الحفيظ عوض كان يترى الشيوعية على ملا من اطلاب المعهد الذي بطنطا وفي منزل أحمد وجهائها ويزعم أنها موافقة للدين الاسلامي

وقد حرص الحزب على أن يعلن رايه في كل مناسبة عامة وفوز صدور دستور ١٩٢٣ اجتمعت اللجنة المركزية للحزب في ٢٨ ابريل وأصدرت بياناً وقعه صفوان أبو الفتح ، والقائم بأعمال السكرتير العام هاجم فيه الدستور هجوما شديدا

وعندما تولى سعد زغلول رئاسة الوزارة وجه اليه الحزب خطابا مفتوحا ، تولى الحزب طبعه وتوزيعه وقد طالبه فيه ، بالاعتراف بنقابات العمال والفلاحين وبحثها في الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وطالبه بالعمل أيضا على حل مشاكل العمال المعاطلين ، وبانشاء مكاتب لإحصاء العمال المعاطلين كذلك طالبه ، بتكليف لجان الوفد المركزية في كل أنحاء القطر بان تقوم بتنظيم فقراء البلاحين في نقابات ترمع مستواهم أسوة بإخوانهم في أنحاء العالم وإيجاد صلة بين هذه النقابات ونقابات العمال حتى يمكن حشد القوى المصرية كلما تطلبت الحاجة وأخيرا طالب حكومة سعد زغلول ، بالاعتراف بحكومة السوفيات أسوة بالامم المتعدنة (٢)

(١) راجع محضر النقاش مع حافظ سند بالملاحق : (٤)
(٢) راجع الحثييات السابق الإشارة إليها بالملاحق : (٦)

في هذا الخطاب المفتوح أهمية خاصة، فهو يوضح، إن الحزب قد اتخذ
 من قفا صنديقاه أزاء حكومة الوفد وأنه، ستمين إلى تاييدها تأييداً مشروطاً
 بتحقيق لجانتي العمال والفلاحين عنه. بل، أن الحزب قد يسيء إلى العمل من خلال
 تجمعات الوفد ذاتها بمطالبته لجان الوفد في كل أنحاء القطر بأن تعمل على
 تنظيم فقراء الفلاحين ..

ولقد حاول الحزب في خطابه، المفتوح أن يقنع بيسمعه زقول بأهمية
 تعبئة قوى العمال والفلاحين وتعزيز التحالف بينهما، حتى يمكن حشد القوى
 المتحررة، كلما تطلبت الحاجة، مؤجراً إليه أن الاحتلال لن، يضرب على وجوده
 طويلاً في الحكم، وإن عليه أن يستند إلى قوى الشعبنة، وتبركها تطالب
 الحاجة ..

وقد برزت قيادة الحزب حاجتها الشديدة إلى تربيته كوادر مخرجة من
 الشباب، تضطلع بالعمل الحزبي، فقررت إرسال عشرة من الشباب إلى
 موسكو للدراسة في جامعة كادحي الشرق، وبالفعل أرسل الحزب أربعة
 من الشباب وكان من المقرر أن تلحق بهم فتاتان أخداهما من الزقازيق
 والأخرى من سمند، الأمر الذي أثار جريدة الأهرام التي اعتبرت أن
 إرسال الفتيات إلى رومانيا والحزب طرف غير حميد، وطالبت الحكومة بمنع
 الفتيات من السفر (١) ..

كذلك قررت قيادة الحزب تأسيس مدرسة للكاثر في الإسكندرية لتلحق
 الأعضاء منادى الشيوعية (٢) ..

ويبدو أن مسألة إرسال شبان للدراسة بالأحد ساد الشوقياتي قد لقيت
 اهتماماً كبيراً من جانب الشعب المصري الذي كانت غالبية محرومة من التعليم
 وقد أعد الحزب استمارات خاصة انتهالت عليها طلبات كثيرة، فبعضها تطلب
 من الحزب إرساله إلى رومانيا، فاستجاب الحزب لطلبها، فإرساله إلى رومانيا
 ويحفظ لنا تحقيقات قضية قادة الحزب في ١٩٢٤م فنادج عقيدة من
 طلعات السفر جزرها على سبيل المثال سليمان مصطفى، وهادي وأخته، وقد
 شهد سليمان هذا أمام المحكمة أنه قرأ في إحدى الصحف أن الحزب يفتخر
 الشيوعي المصري يرسل بقية للتعليم في الخارج فقدم طلباً باسمه وطلبت باسم
 أخته، فلما جاء الجواب وجد الطالب أن البعثة شيوعية فلم يوافق عليها
 (٣) ..

- (١) الأهرام ١/٣١/١٩٢٤
- (٢) رؤوف عجايب - المراجع السابق، ص ٤٥
- (٣) رؤوف عجايب - المراجع السابق، ص ٤٥

كذلك طلب الانضمام التي الائمة محمد انفق مؤسس خيريل تمخير شركة التعاون التابعة لموظفي السكة الحديد والسيد العناني التاجر بكثرة الزيات الذي ارسل الى حسنى العرابي بطلب الانضمام الى البيعة الشياخيرة الى موسكو فجاه رذ من الشحات ابراهيم بانه لا يمكنه الالتحاق بالبيعة الا بعد الالتحاق بالحزب وارسل اليه استمارة عضوية رز وفي طلبيات اخيري مستديدة (١) .

كذلك يسعى الحزب الى توسيع نطاق دعايته مستخدما فنون التشكيله فطلب حسنى العرابي الى احد الرسامين من اعضاء الحزب وهو حسين فوزي رسم صورتين كبيرتين احدهما تمثل العامل حاملا علما احمر قاصدا وضعة فوق الشمس والاخرى تمثل العامل يحرب ونمامه صاحب العمل ممسكا بملقحة في يده ، وكانه ياكل بها رز ، على ان العامل يشتغل بصاحب المال ياكل ، (٢) .

نشاط واسع وسبط العمال في مصر . وقد ركز الحزب جهوده من اجل دعم مراكزه ونسطة الحركة العمالية وتأسيس النقابات وتدعيم اتحاد النقابات . كذلك عمل الحزب على تضميم عدد من القادة النقابيين الى صفوفه وتصبدهم بسرعة الى مراكز القيادة وعبد الحميد قوه احد قادة شركة الشرق للغزل . وقد سيطر الحزب تماما على عديد من النقابات ، منها نقابة عمال القار ونقابة عمال النور ونقابة شركة ايجولين ونقابة شركة الغزل بالاسكندرية ونقابة عمال القرام ومصعل ابو شبيب في القاهرة .

ويقون لاکور بان اتحاد النقابات المصري الذي تزعمه الشيوعيين قد انضم في اواخر عام ١٩٢٢ الى الاتحاد العالمي للنقابات (٣) .

ويقول مراسل مجلة The Labour monthly ان اتحاد نقابات العمال .

(١) الامرام ١٩٢٤/٩/٢٠ - رز في هيلنا شركة (٢) المرجع السابق . (٣) لاکور . المرجع السابق = ص ٣٣٣ و٣٣٤ - تياتر وشميت (٥)

الذي ظل تحت قيادة الشيوعيين حتى ١٩٢٢ - ١٩٢٤ كان في طريقه إلى أن يصبح حركة جماهيرية حقا. (١) وقد بدأ الحزب في تنظيم سلسلة من الاضرابات من من راحها. اضرابات عمال الأضواء مصابيح الشوارع بالاسكندرية في شهر فبراير ١٩٢٣. وقد نظم الاضراب عقب اجتماع العمال المشتركة، حضره حسني العرابي الذي لقي خطابا حماسيا. ومما تجدر ملاحظته ان العمال قد اضرابوا دون انذار الشركة مسبقا.

ولم يكف العمال بالاضراب لكنهم نظموا مجموعات من بينهم لمنع الشركة من استخدام عمال آخرين في اضاءة مصابيح الشوارع وتبشیر الاهرام الخبز التالي و ابلغ أحمد مصطفى أن ثمانية من عمال الأضواء العمومية المضربين عن العمل الآن اعتدوا عليه في أثناء اشتغاله باضاءة المصابيح ، (٢)

وقد استمر هذا الاضراب أكثر من شهرين، وتما ان نقابة عمال اضاءة المصابيح العمومية عضو في اتحاد النقابات العام عقد قرر الاتحاد تصعيد تأييده للمضرب المضربين إلى جدد دعوة العمال في جميع أنحاء القطر للتظاهر تأييدا لأخوانهم المضربين (٣) وهذه خطوة هامة بغير شك ، انها وضع لشعار وحدة الطبقة العاملة موضع التنفيذ وتشجيع للعمال في كل مكان إلى التحرك مطمئنين التي تأييده الطبقة كلها.

وكان رد الحكومة على هذا الاضراب ان اصدرت قانونا يحظر على عمال الخدمات العامة الاضراب او الامتناع عن العمل (٤)

ويحظر على العمال الاضراب قبل اخطار السلطات بخمسة عشر يوما ويعتبر الاضراب المفاجئ جريمة (٥)

(1) The Labour Montly — May 1925

- (٢) الامرام ١٩٢٣/٢/٢٢
- (٣) عبد العظيم رمضان - المرجع السابق ص ٥٢٨
- (٤) لاكور ، المرجع السابق ص ٣٦
- (٥) شهدي عطية - المرجع السابق - ص ٤٥

وفي نفس الوقت بدأ الحزب بتعديد أن دعم مراكزه في عديد من النقابات - في شن هجوم عنيف على لجنة التوفيق - وهي لجنة حكومية تكونت في ١٩١٩ برئاسة أجنفي ، هو الدكتور جرانفيل - بهدف التسعي في الصلح بين العمال وأصحاب العمل .
وقد بدأ الحزب حملته بتوجيه « خطاب مفتوح » الى أعضاء لجنة التوفيق وفتح حسنى العرابي سكرتير الحزب وسكرتير اتحاد النقابات العام ٢٠ شن فيه حملة عليهم واتهمهم بالاستجداد والتآمر مع أصحاب الأعمال .

ونشر فؤاد الشمالي بيانا قال فيه أن لجنة التوفيق - « حجر عثرة في سبيل العمال » ، وأنها وإن لم تكن لها سلطة تنفيذية إلا أنها ترفع تقاريرها يثارت بها المسئولون (١) .

وشارك روزنتال في الحملة على لجنة التوفيق - رغم فصله عن الحزب - فقال أنها لا نفع فيها ولا تأثير لها وإن وجودها كما هي لا يتفق مع مصلحة العمال ، وذلك « لأنها لا تملك سلطة تنفيذية ، وليست لها سلطة قانونية تشريعية ، ولأن أعضاءها يعملون لمصلحة الأغنياء ، وإن كانوا هم أو بعضهم لا يعنون من طبقة الأغنياء إلا أن مبدأهم هو مبدأ الرأسماليين » (٢) .

والحقيقة أن هذه الحملة ضد لجنة التوفيق لم تنظم مصداقة ، فهي تعبير عن رفض الحزب لاستلوب المصالحة بين العمال وأصحاب الأعمال وتعزيز للموقف الاضرابي والنضالي للطبقة العاملة ومطالبة بتعديل جذري لاستلوب الحكومة تجاه العمال .

وبعد أن نضجت المعركة ضد لجنة التوفيق قرر الحزب في ١٦ مارس سنة ١٩٢٢ تنظيم مظاهرات للعمال امام منازل أعضاء لجنة التوفيق - شخصيا واستدعت سلطات الامن حسنى العرابي وطلبت منه منع المظاهرات فأعلن أن هذه المظاهرات تنظم وفقا لقرار صادر من اتحاد النقابات ، وأنه شخصيا لا يستطيع الغاء هذا القرار . وقال ان هذه المظاهرات هي مجرد تعبير عن شكوى العمال ، وليس من شأنها الاخلال بالامن العام .

(١) الامرام ١٧/٢/١٩٢٢

(٢) الامرام ١٣/٢/١٩٢٢

نه وصممت الحكومة على اضع الظاهرة وفي يوم ٨ ابريل اجتمع بمصر
اتحاد النقابات بقوات تبيرة من رجال البوليس غيرة وجاوا العمال ان يصبروا
مرادى من مختلف الالات لحيات لکن تقوات البوليس ميعتهم من الدخول و من
التجمع وحدث اشتباك بين العمال والبوليس انتهي بان القى القبض على
اربعة من زعماء الاتحاد ، حسنى العرابى و انطون مارون وحسنى حسن
وامين يحيى واقفلوا من الحيزب ومقرض اتحاد النقابات وصوبوا لهم بهما من
اوراق الخواخرج البوليس من كان فى المكان من العمال من الخوف واغلق الابواب على
بالقنقح الاحمر ٥٠٠٠ ، مضاع اسباب حبه فاعادونه فلهذا تسمى ٥٠٠٠

لكن استخدام القوة لم يكن نهاية المعركة ، بل كان بداية لتجدد ما
قيدات النقابات في مختلف الانتخابات والبلاده في ارسالي احتجاجات على امثال
نادى النقابات وعلى اعتقال قيادة الاتحاد ، وجزيرة روزنتال الى البدان ومحاولا
ان يبعد في صورة الفارس الذى يتقدم عندما يشتد الخطير ويشجع الرفاقين
٥٠٠ وتقدم للحكومة ملنا استعداده لدفع اية كفالة طلبها مقابل الامراج
عن الرماق الاربعة ورفض طلبه وتقرر تمديد الاربعة الموقوف عليهم الى
الحكمة العسكرية بتهمة مخالفة الاوامر العسكرية الفاضحة للظلم
والاعتداء على رجال البوليس (١) ، فلهذا تسمى ٥٠٠٠
لكن السلطات تباطات في تمديد المعتقلين التي التحاكمة من ومضت شهورا

ثلاثة دون ان يقدموا للمحاكمة فاصدر الحزب بيانا الى عمال القطر
المصرى ، يتاسدهم فيه المطالبة بالافراج عن الرماق وفي مايو ١٩٤٣ اجتمع
اتحاد نقابات العمال بالاسكندرية وبحث امورا المعتقلين وفرضوا قيودا توفد الرماق
المحافظة للقطنة بالافراج عنهم ، فلهذا تسمى ٥٠٠٠
٥٠٠٠ لعمامة ولتمة لبعضها
ويبدو ان الحملة كانت واسعة ومثمرة حتى ان الاصرام قد شارك
فيها منددا بموقف الحكومة ومقينا للاف فى ذهنة ، وحقا اننا لا نندرى كيف تتجاهل
الحكومة وجود حركة راضية اكنية جادة بينه الوافد العمال في مختلف القطر
المصرى مع ان الواقف على سير الاحوال يرى ان هذه الحركة اخذة
بالقوى ، فلهذا تسمى ٥٠٠٠
وهو يتبعه الالتزام باستقامة استخدام القوة التي تلجتها الحكومة تجاهه
قادة الحركة قائلا هو يغنى عن النفيان ان معالجة حركة العمال بالقوة لا يجدر
نظما ، بل يزيد الطين بلة فلابد من معالجتها بطريقة اخرى ٥٠٠

١١/٧/١٩٤٤

(١) عبد العظيم رمضان - المرجع السابق - ص ٥٤

وأقترح الإضرام بعد ذلك بين تشريعات جديدة للعمال تكفل حقوقهم (١) ولقد كان من الطبيعي أن أفرج عنهم عندما ألغيت الأحكام العرفية (٢) من قبلهم ولقد رأينا كيف ان اعتقال قادة الحزب والاتحاد وإغلاق داريهما لم يؤدي إلى تضائل النشاط، بل على العكس تزايد نشاط الحزب وسط الطبقة العاملة تزايداً كبيراً وكان عيد أول مايو مناسبة لمزيد من النشاط وبدأت النقابات الخمسة إلى الاتحاد في الاستعداد للاحتفال بهذا العيد وأصدر مجلس إدارة نقابة عمال النور نداء إلى العمال جاء فيه:

بمناسبة حلول عيد أول مايو الدولي لعمال نرفع تهانينا القلبية لجميع العمال بالأقاليم ونتمنى لنقابتنا الاستمرار والمقاومة والنضال والتضامن ولرؤساء النقابات المعتقلين الأفراج، ولسجنوي العمال إطلاق السراح ونرجو اعتبار هذه التهنئة خاصة لكل نقابة.

ولسنا بحاجة إلى الإشارة إلى نفوذ الحزب الواضح في هذا البيان الصادر عن مجلس إدارة نقابة من أهم النقابات.

كذلك أصدر اتحاد النقابات قراراً ببيان ينقطع جميع العمال عن العمل في أول مايو، وأن يجتمع عمال الاسكندرية في حديقة، ويخدم على بيالمنشية. فلما نعى المخبر التي البوليس أصدر أمرًا بمنع هذا الاجتماع وأبلغ الأمر إلى لجنة العمال (٣).

وعندما تولي سعد زغلول الحكم بعد الانتخابات التي أجريت على أثر إعلان دستور ١٩٢٣ * بادر الحزب بإصدار الخطاب المفتوح السابق الإشارة إليه داعياً الوفد إلى الالتقاء مع الحركة الجماهيرية على أسس معقولة. غير أن سعد زغلول قد تجاهل هذه النداء التي مذهبها إليه الحزب، ولم يرد على ذلك.

(١) لاكور - المرجع السابق ص ٣٦
 (٢) الإضرام ١٩٢٣/٥/١
 (٣) الإضرام ١٩٢٣/٥/١
 * لم يشارك الحزب الشيوعي في الانتخابات رغم أن حسني المرسي قد أعلن في إحدى خطبه في موسكو أنهم سوف يشاركون في الانتخابات، وربما كان ذلك دافعاً عن موقف الحزب المعارض للدستور، والذي أعلنه في بيان صادر باسم صفوان أبو الفتوح القائم بأعمال السكرتير العام، وربما أيضاً لأنه أدرك أنه ما من مرشح يستطيع أن يقاوم جماهيرية مرشحي الوفد الذين يباركهم سعد زغلول.

ويبدو ان حكومة سعد زغلول كانت تتخرج من اتخاذ اي موقف جيد تجاه اصحاب رؤوس الاموال الاجانب ، فهمى اول حكومة وطنية تمثل الاغلبية ، وربما خشيت من اتخاذ اي موقف حتى لا تثير مخاوف الاجانب ، لكن هذا الموقف المتهاون ادى الى نتيجة خطيرة ، لقد تمادى اصحاب رؤوس الاموال في رفض مطالب العمال ، بل لقد كان وصول سعد زغلول الى الحكم ايذانا ببدء حركة هجوم مضاد شنها اصحاب المصانع والنسب لما ناله العمال من حقوق ضئيلة ، وربما كان هدف هذه الحركة اخراج حكومة سعد زغلول وربما كان الهدف انتهاز فرصة الموقف المتهاون الذي يقفه سعد زغلول لتدفع حركة العمال الثورية الى التراجع ، وربما كان الامر انفع ، لكن النتيجة ان العمال الذين ضحوا بدمائهم في معارك طاحنة دفاعا عن سعد زغلول والذين سقطوا شهداء بالعشرات ، وهم يفتقون بحياة سعد لم يكن سهلا عليهم ان يسكتوا على محاولة انتزاع حقوقهم الضئيلة التي نالوها خلال تسفوت مريرة من القسحيات .

والحقيقة ان العمال قد تعرضوا للحملة واضطهاد حقيقية من ولينامل بعض النماذج :

١- ففي نوفمبر ١٩٢٣ وندون اى مبرر اعلنت شركة الغزل بالاسكندرية عزمها على تخفيض اجور العمال ١٠٪ فاضرب العمال عن العمل واسيتهم الاضراب ثلاثة اشهر متواصلة وعرض الامر على لجنة التوفيق التي حاولت ان تقنع الشركة بالتراجع عن موقفها المتعسف ، لكن الشركة صمتمت على موقفها .

٢- وفي اكتوبر ١٩٢٣ اعلنت شركة الغزل بالاسكندرية عزمها على تخفيض اجور العمال ١٠٪ فاضرب العمال عن العمل واسيتهم الاضراب ثلاثة اشهر متواصلة وعرض الامر على لجنة التوفيق التي حاولت ان تقنع الشركة بالتراجع عن موقفها المتعسف ، لكن الشركة صمتمت على موقفها .

٣- وفي اكتوبر ١٩٢٣ اعلنت شركة الغزل بالاسكندرية عزمها على تخفيض اجور العمال ١٠٪ فاضرب العمال عن العمل واسيتهم الاضراب ثلاثة اشهر متواصلة وعرض الامر على لجنة التوفيق التي حاولت ان تقنع الشركة بالتراجع عن موقفها المتعسف ، لكن الشركة صمتمت على موقفها .

(١) الاضراب ١٩٢٣/٥/١

بعض المطالب فمطالبت الشركة ثم اتبعت خطة فصل خمسة أو عشرة عمال كل اسبوع ، ثم قررت فجأة فصل مائة عامل بحجة تقليل المصروفات ، وكانت هذه النقابية احدى النقابيات التي يتمتع فيها اتحاد النقابيات بنفوذ كبير ، وكان انطون مارون مستشارها القانوني ايضا .

ويبدو انهم أحسوا ان صاحب المصنع يريد ان يستقزمهم ليدفعهم دفعا إلى الاضراب فاتخذوا موقفا غاية في التسامح فاعلنوا استعدادهم اذا ما عدلت الشركة عن فصل المائة عامل - ان يقبضوا اجر خمسة ايام بدلا من سبعة كل اسبوع ، وبذلك يمكن للمصنع ان يوفر المبلغ المطلوب دون ان يفصل أحدا من العمال .

وهنا يبرز الموقف المتعنت بصورة لا تدع مجالا للشك ، فصاحب المصنع يصمم على فصل المائة عامل . (١)

وفي نفس الوقت تقدم عمال شركة الملح والصدوا ، ونقابتهم أيضا احدى النقابيات المنضمة للاتحاد بعهده مطالب إلى الشركة ، وتلخصت مطالبهم في زيادة الاجور وتحسين معاملة الشركة لهم وانقاص ساعات العمل وانذار العمال بالاضراب عن العمل اذا لم تجب مطالبهم خلال عشرة ايام لكن الشركة لم تجب هذه المطالب فبدأوا الاضراب في اول مارس ١٩٢٤ وعرض الامر على لجنة التوفيق التي طلبت بدورها إلى الشركة اجابة بعض المطالب وتهدت الشركة بذلك ، لكنها ما لبثت ان فصلت ٤٠ من قادة العمال بحجة انهم عمالة زائدة ، لكنها ما لبثت ان استخدمت غيرهم باجور عالية . فتجدد الاضراب بصورة اكثر عنفا .

•• انها مجرد نماذج نسوقها محاولين ان ندلل على ان ثمة مؤامرة كانت تحاك لوضع العمال وجها لوجه امام حكومة سعد ، وتضع حكومة سعد وجها لوجه امام الحزب الشيوعي ، والنماذج السابقة توضح كيف ان الحزب واتحاد النقابيات التابع له كانا يدركان إلى حد ما ابعاد هذه المؤامرة وانهما قد حاولا تفاديها بقد الإمكان بأسلوب سياسي في البداية عندما وجه الحزب خطابه المفتوح إلى سعد وزغلول .

(١) راجع رؤوف عباس - ص ٢٥٣ ، عبد العظيم رمضان - ص

٥٤٣ ، الامرام ١٩٢٤/٢/٢٦

والمشقة. محاولة التساهل لتسهيل الوضوول. بتسياسة التساهل التي ميذاق البيضاوي
لم تشهده من قفل التشكيلات النفاية المصرية نتيجة من ١٩٠٠ و١٩١٤
فيما بعد انبعاث حركة النهضة المصرية وبعثها من جديد بميادنها
لكن اصحاب رؤوس الاموال الاجانب بما ذكروا في صلحهم لم يذروها
حكومة الوفد في تهاونها معهم ، ولم تستطع ان تنصدي لتجديهم المسافر لحقوق

العمال
وكانت نتيجة هذا الوضع ان احتجوا بوقف العمل في مصر
والتجديهم في مصر ، وطلبوا من الحكومة المصرية ان ترفع
الضرائب على نطاق واسع في حملة اضرابية. لم تشهد لها مصر مثيلا منذ
الاضرابات التي صاحبت ثورة ١٩١٩ ، فكانت نتيجة هذه الضريبة
الدعا له .

لكن اصحاب الاعمال اتبعوا خطة جديدة ، وهي استخدام عمال جدد
وحدث ذلك اثناء اضراب عمال شركة النور واثناء اضراب عمال المصانع
اجولين وشركة زيوت كفر الزيات وغيرها ، وهذا رفع اتحاد النقابات

شمار ، ايها العمال ، ضعوا ايديكم على المحراث باستمرار ، ومعنى هذا
الشمار ان يحفظ العمال بمواقفهم في المصانع حتى لا تقوم الشركة باستخدام
عمال جدد ، وخاصة وان جيش العاطلين كان يتزايد باعداد ضخمة ، فلابد ان
تستمر في ذلك حتى لا تستمر في دفع عمالها الى الجوع والموت

تستمر في ذلك حتى لا تستمر في دفع عمالها الى الجوع والموت ، وبعدها بدأت تحت قيادة الحزب واحدة من اعمى الوجدات الاضرابية
التي شهدتها مصر ، وتسمية هذه الاضرابية هي الاضرابية
في مصر ، وتسمية هذه الاضرابية هي الاضرابية

اعلنوا الاضراب من جديد ، لكنهم طبقوا شمار اتحاد النقابات ، وضعوا
ايديكم على المحراث باستمرار ، وطلبوا من الحكومة المصرية ان ترفع
الضرائب على نطاق واسع في حملة اضرابية. لم تشهد لها مصر مثيلا منذ
الاضرابات التي صاحبت ثورة ١٩١٩ ، فكانت نتيجة هذه الضريبة
الدعا له .

اعلنوا الاضراب من جديد ، لكنهم طبقوا شمار اتحاد النقابات ، وضعوا
ايديكم على المحراث باستمرار ، وطلبوا من الحكومة المصرية ان ترفع
الضرائب على نطاق واسع في حملة اضرابية. لم تشهد لها مصر مثيلا منذ
الاضرابات التي صاحبت ثورة ١٩١٩ ، فكانت نتيجة هذه الضريبة
الدعا له .

رب: لاعمال أعمال شركة زيتون في الزيت فقد وضعوا نفس الشعار موضع التطبيق، وتقول الاقلام انهم احتلوا المصنع فندبتهم للفظالبة بما يزعمون انه حق لهم واتقسموا الى فريقين يتناوبان الاحتلال بمعنى ان يظل الفرقه منهم في المصنع وتخرج الفرقه الاخرى للاكل والشرب والراحة والمطالبة (١)

وكذلك فان اعمال شركة الملح واليودا قرروا احتلال المصنع وتوجهوا الى مقر المصنع لكن قوات البوليس كانت قد شجقتهم اليه ومنعتهم بالقوة من الدخول

كذلك فان نقابة امغل، ابو شنب للزيت والصابون بالاستكندرية، وهي احدى النقابات المنضمة لاتحاد النقابات، ومندوبها ايضا هو انطون مارون تقدمت بعديد من المطالب من بينها تخفيض ساعات العمل، وزيادة الاجور، وضرب اعانات للعاجزين والمرضى من العمال، لكن صاحب العمل رفض هذه المطالبات لذلك انشأ في ايامها شايه في تمامه لانه لا يستطيع ان يرضى بها

ويصف الامرام الواقعة فيقول: ذهب عمال معمل الخواجة ابي شنب اليوم التي المجافظة طالبت النظر في مسألتهم فانفهم وتكيل المختارفة ان وزارة الداخلية أمرت بتأخلة هذه المسئلة التي لجنة التوفيق، وكان الاستناد انطون مارون يتكلم باسمهم فترجم من هذه الاحالة وأعلن انسحابه من الدفاع عن العمال عند ذهاب العمال الي محل عملهم بقصيد احتلاله حتى لا تذهب قوة الاضراب من ايديهم، ودخلوه عنوة بالرغم من تدخل البوليس في الامر

وقد تصادم الفريقان فخرج من البوليس شريطان واصيب بعض العمال اصابات خفيفة وقد دخل ٢٥ من العمال الي محل العمل، اما اصحاب العمل فرفضون البحث في امر عمالهم تحت تهديد الاضراب (١)

وامتدت موجة الاضرابات لتشمل عمال قفطيش خلق الجميل التابع لشركة البحيرة وقد استمر الاضراب ستة اسابيع (٢) وعمل شركة زيت فاكوم وعمل شركة زبوت كفر الزيات وعمل شركة النور وشركة ميتو للاعلان وترام القاهرة وشركة هيلوبوليس وتليفونات القاهرة وعمل الخابز (٣)

(١) ١٩٢٤/٣/٤٤ - ١٩٢٤/٣/٤٥
 (٢) ١٩٢٤/٣/٤٤ - ١٩٢٤/٣/٤٥
 (٣) رؤوف عباس - المرجع السابق ص ٢٥٥ - ٢٥٦

واعتلا شوارع القاهرة والاسكندرية بمظاهرات العمال المطالبين بحقوقهم . . . كذلك امتلأت بمظاهرات العمال العاطلين الذين تجمعوا في ظل هذه الموجة بمطالبتين : بالتحسين أو العمل ، وبالحد من ساعات العمل . . .
تقول الاميرام : نهض لليوم نحو ١٧٠ عاملا من البرشمية العاطلين في القفر وقدموا عريضة الى السلطة المحلية وبيانا الى الراى العام والصحف يبتسئون فيه حالهم ، (١)

وقد هزت هذه الموجة الاضرابية العمالية اركان الحكومة ، وتغير سعد زغلول ان هيبة حكومته تضعف وان جماهيريتها تهتز ، وان انسيبسيته تترار الاضرابات والظواهر العمالية يفقد حكومته صفة التسعينة ، ولا شيك في اياه قد تعرض لضغط كبير من اصحاب الاعمال الاجانب ومن تسلطات الاجتلال التي قيل انها هددت بارسال قوات انجليزية لحفظ النظام طالما ان الحكومة الوطنية عاجزة عن ذلك . . .

وتعاملت الصيخات تخذر من الخطر اليشفي الذي يحق بالبلاد ، وفسر اختلال العمال للمصانع بانه تنفيذ لمخطط بلشفي بالاستيلاء على المصانع ونقل ملكيتها الى العمال . . . وقيل ان العمال قد ارتفعوا اعلاما حمراء على المصانع وانهم اقاموا فيها شوميتات (٢)

وتسهم الاميرام في حملة التخويف فتعلن : انفجرت الحركة الاشتراكية المتجهة بالشيوعية في هذين اليومين في الاسكندرية انفجارا قويا حمل الحكومة على المبادرة الى معالجتها والاستعداد لقمعها بالقوة المتلحة اذا قصت الحال ، وتمضى الاميرام قائلة : اننا نرجو ان تتخذ وزارة الشعب التدابير اللازمة لمنع تكرار ذلك ، وان تقضى على المذهب الشيوعي قبل استفحاله ، ان للعمال حقوقا يجب ان تصان ، ولكن لهذه الحقوق حدودا يجب الا تتجاوزها واذا كانت الصحافة قد عطفت عليهم ، فانه لا يسمعها اليوم الا ان تحذرهم من عواقب الميل الى الشيوعية والتشبع بالباديء المتطرفة ، (٣)

- (١) الاميرام ١٩٢٤/٣/٤
- (٢) والغالب ان هذه الواقعة غير صحيحة رغم ترددها بكثرة بظليل ان اخذنا من شهود الاثبات لم نيوردها اثناء محاكمة مارون وزملائه بالرغم من ايرادهم لكافة تفاصيل حوادث الاضراب والانعقاد الاميرام ١٩٢٤/٩/٢٩
- (٣) الاميرام ١٩٢٤/٣/٢٥ - رسالة مشيرة (٦)

ثم هي تحمل الحزب الشيوعي المصري مسئولية هذه الحركة كاملة فنقول
 « تنسب الحكومة حركة العمال الثامنة في الاسكندرية الى التي بدأت في ١٣
 فبراير الماضي .. الى تحريض الحزب الشيوعي المصري ودعااته في الاسكندرية
 وقد قررت بمناسبة ذلك أن تجتث هذه الحركة من اصولها للمحافظة على النظم
 الاجتماعية المحلية ، (١) :

وأوفدت الحكومة على جمال الدين باشا وكيل وزارة الداخلية الى
 الاسكندرية مزودا بسلطات كبيرة لتمنع حركة الاضراب بالقوة .. ووضعت
 تحت تصرفه قوة من الجنود أرسلتها خصيصا الى الثغر من القاهرة ، (٢)
 ونزل سعد زغول الى الميدان بثقله الجماهيري الكبير وبدأ يتدخل بنفسه
 موجها رسائل باسمه الى العمال المضربين .. وعندما قرر عمال ترام القاهرة
 الاضراب أرسل اليهم سعد رسالة ينصحهم فيها بالعدول عن الاضراب ، وورد
 عليه العمال بالرسالة التالية :

« لقد قابلنا نصيحتكم بالطاعة والامتنان واستانفنا اشغالنا اليوم راجين
 النظر في امرنا داعين لدولتكم بطول اليقظة حتى تنقذونا من الجور النازل
 بنا ، (٣) »

كما وجه سعد زغول ايضا رسالة الى عمال معمل « أبو شنب » توجه بها
 رجال المحافظة الى العمال المتضمنين معنيين أن لديهم رسالة شخصية من
 صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغول تقول :

« انكم ان احقرتم ملكية الغير ، وخرجتم من مكان الشركة طوعا فانكم
 تعاملون معاملة المخلصين للقانون والوطن : وان ايتم الا احتلال ملك الغير
 اغتصابا فانكم تعاملون معاملة الغاصبين الخارجين على القانون ، (٤) »

ويلاحظ أن سعد زغول كان هو أيضا يعتبر احتلال العمال للمصانع
 « اغتصابا لملكية الغير » وتطوع مدير مصنع ايجولين ، وهو كما قلنا روسي
 هارب من الثورة البلشفية ليعلن أن ما ساعده من أحداث « مشابه لما كان
 يراه في روسيا من هذا القبيل في ثورة ١٩١٧ وقد كان أيامها أيضا مديرا
 لمصنع » (٥) :

- (١) الاهرام ١٩٢٤/٣/٤
 (٢) الاهرام ١٩٢٤/٣/٢٥
 (٣) الاهرام ١٩٢٤/٢/١٩
 (٤) الاهرام ١٩٢٤/٣/٥
 (٥) الاهرام ١٩٢٤/٩/٢٩

منه ويلاحظ ان المناقبة العام - قد تم ان روزنتال اثناء استجوابه - الا تعد
حركة اختلال المصانع كهدية لتعميد الفكرة الشيوعية ؟ مفرد روزنتال مقاتلا :
ان الكثرة من مخططات بين الاضراب مع البقاء في محل العمل - وبين نزع الملكية لان
العمال اذا اختلوا المصنع لا يظنون الاستيلاء عليه - بل انما لانهم يراوا ان في
ذلك افضل وسيلة للتعجيل بحل المشكل والوصول الى اتفاق بينهم وبين
اصحاب العمل (١) -

ويلاحظ ان روزنتال لم يرد على سؤاله عن المصانع التي
تتبعه ويعود ان قيادة الحزب قد شعروا بسحب الخطر تتجمع وان ثمة مؤامرة
تعد لتوجيه ضربة اليه : فيدار الحزب تنفيذ خطة للتراجع

مستشارين وبنيامين الاحرام ويظهر مما علمنا ان سعادة علي جمال الدين باثما تمكن
من إقناع مستشار النفاية الاستاذ مارون بوجوب اخلاء معمل الزيت عاجلا
وقد ذهب المستشار الكور اوضايطر ومفتش البوليس لاقابلة العمال وحملهم
المستشار على الغدول عن الخطة الاحتلالية التي يتبعوها ، والفهم انهم
قبلوا النصيحة (٢) -

لكن المؤامرة كانت قد احدثت اطرافها وضدوت الاوامر باعتقال قيادة
الحزب واغلاق ثوره في جميع أنحاء البلاد

الاتجاه نحو الفلاحين :

لقد دعت الحكومة الى اهتمام الحزب بالفلاحين
في وقت يتعد كمينين حيث الغالبية الساحقة من السكان فلاحون ، فان المسألة
الزراعية لابد وان تحظى باهتمام الحزب ، بل ولا بد لها وان تفرص نفسها
فرضا عليه .

ومنذ كان الحزب خلال الفترة الاولى لعمله قد اقبل ذكر المسألة الزراعية
في برنامج الصادر في ١٩١٩ أغسطس ١٩٢١ فلما شك ان ذلك ظرفا موضوعية
اهمها صعوبة المسألة وحاجتها الى دراسة متأنية ودقيقة ، وكذلك فان توازنات
القوى بين الاطراف المختلفة التي اصدرت البرنامج ، قد اعدت في هذا الطرف المبكر
التي نحو البرنامج من اية اشارات طبقية حاكمة ، فليس من الغريب ان
يتمسك الحزب في وقتها بالبرنامج الذي كان عليه في وقتها

(١) راجع شهادة روزنتال بالملاحق (٥)

(٢) ١٩٢٤/٢/٢٥ - وكان مارون نفوذ كبير وسط العمال بحيث يقول
انجرام احد كبار رجال البوليس في شهادته ، امام المحكمة ، ان العمال كانوا
يعملون بصنائح الاستاذ مارون ورفاقه ، فانه لم يكن يسبوا على البوليس
اخراج العمال من المصنع ، ولكن اخراجهم كان من ايسر الامور على الاستاذ
مارون ، كما ان كلمة واحدة كانت تكفي لانهاء الاحتلال العمال للمصنع ،
- الامرام ١٩٢٤/٩/٢٩ ٢٢٦١/٩/٢٦١ (٥)

لكن عهدهم الحزب وأدراكه للمسألة الزراعية قد نما نموًا سريعًا وما لبث
أن أصدر في ١٩٢٣ برنامجًا فلاحيًا كاملاً. وقد قيل الكثير حول هذا البرنامج

قيل أن الحزب قد وضعه كتنفيذ لشرط ملزم صادر من الكونغرس.

ولقد ردد الكثيرون بهذا القول دون ترو. نقلنا عن روزنتال الذي قال في
شهادته أمام النائب العام. ولما عاد جسنى العربى من رومانيا أبلغنا أن
الجنة المركزية للدولية الشيوعية الثالثة اشترطت لقبول حزبنا كفرع للدولية
الثالثة ثلاثة شروط وهي :

- أولاً : فصلنى من الحزب
- ثانياً : تغيير اسم الحزب من اشتراكى إلى شيوعى
- ثالثاً : اعداد برنامج للفلاحين

ونقلنا عن روزنتال ترددت هذه الشروط دون فحص دقيق. وقد ردهما
عبد العظيم رمضان (١) وروؤوف عباس (٢) وترتب على ذلك بعض التحليلات
التي تتمم الحزب بالانفصال عن الفلاحين وعدم ادراكه لأهمية المسألة
الفلاحية (٣). لكننا نلاحظ ما يلى :

أولاً : أن الحزب قد بدأ الاهتمام بمشاكل الفلاحين قبل سفر المرابى
التي موسكو. وقد بدأ فعلاً في الاتجاه إلى الريف ومحاولة إقامة مراكز له
في المدن الريفية منذ أواخر ١٩٢١ وطوال ١٩٢٢. ونلاحظ أن الحزب قد
أصدر قبل عودة جسنى المرابى من موسكو نداءه الموجه إلى العمال الديوين
والذين في العالم وفي هذا النداء ناشد الحزب المثقفين إلى اتجاه إلى
الريف ليخطفوا جبهة سياسية واقتصادية موحدة يمكنها أن تجابه نفوذ
البرجوازية.

ثانياً : أن الوثيقة الرسمية التي أعدتها لجنة المسألة المصرية والتي
تضمنها الرفيق كاتاياما إلى المؤتمر الرابع للدولية الشيوعية تحدد شروط
تقبول الحزب المصرى عضواً في الدولية بشروط ثلاثة. ليس من بينها
وضع برنامج للفلاحين.

(١) المرجع السابق - ص ٥٣٣

(٢) المرجع السابق - ص ٢٤٢

(٣) من بين الذين ردوا ذلك مارسيل تشيريزى (اسرائيلى) - المرجع

السابق - ص ٣٧ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠

بمبينا لوعلى اية اجالى فان ههذه اميتشالية فرعية جزا وقد اهتمنا بتوضيحها
 تصحيحا للوقائع التاريخية وتدقيقا لها فقط مثل ان لصدايق ٦٦٥١ في نسخة ١٠٠
 لكن المهم هو ان الحزب قد وانطلق للعمل وبسط الفلاحين مستندا الى
 قواعد في الميزان الريفية

منه قوله في الاستعداد الصوري هو وانها احدا باعضاء شعبة الخبز في الصورة
 والتمهيد المتكتمات مشتملة على العمل اجتنى اصل بيحت التليد والبيعية
 للاستراكية (١) في الميزان الريفية مستقفا منها اننا نجد جيشا قوامه (١٠٠٠٠٠)

ويقول حافظ سند مؤسس شعبة المنصورة ولقد حاولنا مد نشاطنا
 للريف ولتحقيق ذلك ضمينا الى صفوفنا عددا من المهندسين الزراعيين واتصلنا
 ببعض الفلاحين في عدد من المراكز وعنجما وجهت الدنا الضرية كتنا قد
 نجحنا في اقامة مراكز قوية في الريف (٢)

بنته كذلك فان الحزب قد قام بنشاطه الى قريى الصيريين ووينشروا الاهرام
 في المنه نشاط الخبز الى الصيريين حيث قبض على ايشاخين من ناحية
 بلصفورة من اعمال مركز ابي قرصا وضبطت لديهم اوراق تتعلق
 بالشيوعية (٣)

كذلك تنشر الاهرام محذرة من نشاط الحزب الشيوعي المصري في الريف
 ان هؤلاء الشيوعيين - ودعاتهم يؤلفون لجانبهم لهذا الغرض - وهو تنظيم
 اعمال المقاولات ونظير الترع والاعمال الزراعية والمزارع - ويقولون ان اتساعهم
 في الريف تجاوز مائتين وان هذا العدد يازيد (٤)

كذلك فان الحزب قد ادرك من الناحية النظرية التور الاشياخ القدي
 يمكن للفلاحين ان يلعبوه في بيد زراعى كمصر وهكذا وقع الحزب الاول مرة
 في مصر شعار التحالف بين العمال والفلاحين (٥)

عندما توجه الحزب بخطابه الى اسعد زعلون ابرز الاهتمام
 بالعمال في الريف والاهتمام بتنظيم الفلاحين في بقايات مصر واجاد صلة
 بينهما

- (١) راجع محضر النقاش معه بالملاحق
- (٢) راجع محضر النقاش معه بالملاحق ٦٠٦ - رتبة ١٠٠٠٠٠
- (٣) الأهرام ١٩٢٤/٧/٧ - رتبة ١٠٠٠٠٠٠
- (٤) الأهرام ١٩٢٤/٢/٢٧ - رتبة ١٠٠٠٠٠٠
- (٥) لاكور - المرجع السابق - ص ٣٤

بين هذه النقائبات ونقائبات العمال وحتى - ويمكن - جسد القوى المصيرية كلما
 رتبطت بالحاجة فربما أنها تلتزم، لكن ربما من الآن فصاعداً - من أجل - في
 ذلك فإن برنامج الحزب الشيوعي المصري الملن في أوائل ١٩٢٣ يعكس
 وعينا اتباماً بالتضايقات النظرية التي تحيط بالقضية الزراعية في البلد، مستعير
 والتي تستهدف جسد الفلاحين كجيش للثورة العمالية للاستعمار، وكجزء من
 الجبهة الوطنية لامامة، وفي نفس الوقت فإن هذا الحشد لا يمكن أن يتم
 إلا على أساس مطالب طبقية محددة تستهدف تصفية الاقطاع المتخالف مع
 الاستعمار، فإذ -

وتشتمل مواد البرنامج الخاص بالفلاحين (١)
 ١ - تنظيم فقراء الفلاحين في نقابات وایجاد الصلات بينها وبين
 نقابات العمال مع العمل على ربطها باتحادات الفلاحين الدولية .

٢ - إلغاء نظام ملكية الغزب التي لا تختلف كثيراً عن نظام الأقطاعيات
 ٣ - إلغاء ديون الفلاحين الذين يملكون أقل من ثلاثين فدانا .

٤ - إعفاء الفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة فدان من الضرائب .
 ٥ - وضع ضرائب على مياه الري الذين يملكون أكثر من ١٠ فدان .

٦ - إنشاء مصارف تعاونية لصغار الفلاحين
 كذلك فإن البرنامج العام قد طالب بتمثيل العمال وفقراء الفلاحين
 تمثيلاً صحيحاً في البرلمان .

ويبدو أن شهدي عطية قد اكتفى - كما لاحظنا من قبل - بنقل بنود
 البرنامج دون إيراد المقدمة .

(١) تردد في حيثيات الحكم الصادر في ٦/١٠/١٩٢٤ ضد قادة الحزب
 عبارة تقول ، والحقوا بهذا البرنامج برنامجاً آخر، اسموه برنامج الفلاحين ،
 وهي عبارة توحي بأن الحزب قد أعد برنامجاً خاصاً ومنفصلاً للفلاحين .
 كذلك شهد عبد الرزق جسين مساعد ، وهو مقارن في نورسعيد أمام نفس
 المحكمة - بأنه طلب برنامج الحزب فأرسل إليه في فبراير مطبوع يحتوي على
 شروط الدولية الثالثة وبرنامج للفلاحين (الأهرام ١٩٢٤/٩/٢٠) وعلى أية
 حال فإن البرنامج الذي نشره شهدي عطية يورد البنود الخاصة بالفلاحين في
 فصل مستقل تحت عنوان - رابعاً .

سملة ذلك بان الحكمة التي حاكمت، قاروة الحزب اتورد في حيثيات حكمهيا عبارات هامة قد يكون مفيدا أن نعتبرها مكملة لهذا البرنامج، ففيه تقول ان المتهمين قد وضعوا برنامجا للفلاحين و اتو في مقدمته - وهذا دليل على رانية كانت هناك منحة التصفية للبنود التي اوردتها شهدي انيما يولد المشحنا والبقضاة في قلوب الفلاحين على اصحاب الاملاك ووظفوا الهن والقواعدا لما يخلب الباطهم ويحتن لهم الثورة مثل الاملاك والفقراء في حياهم في ٧ سنوات من الاستعانة بالبنود التي اوردتها شهدي انيما يولد في اقليم قوزد الحكمة معظم البنود التي اوردتها شهدي انيما يولد في اقليم قوزد ذات أهمية كبيرة هي مصادرة جميع الأراضي المملوكة للأفراد والتي تزيد عن مائة فدان دون تعويض وتوزيع ما يزيد عنها على الفلاحين الذين لا ملك لهم او استعماله لتدشين مزارع الشعب وتنظيم مجالس سوفياتية لفقراء الفلاحين (١) في المنطقة المذكورة من المنطقة المذكورة

شهادة لا و اذا كنا سنعتبر حيثيات حكم كهذا وثيقة ذات حجة تاريخية فاننا يمكننا اعتبار ان هذه المطالب بالرغم من عدم ورودها في البنود التي اوردتها شهدي مكملة للبرنامج او مكملة له في المنطقة المذكورة
والآن سنحاول ان نستخلص من هذا البرنامج المفهوم النظري للحزب حول المشكلة الزراعية في مصر

- ١ - نلاحظ ان الضربة توجه اساسا لتصفية كبار الملك المتحالفين مع الاستعمار (مصادرة ما يزيد عن ١٠٠٠ فدان بدون تعويض وحتى يتم ذلك فانه يتعين فرض ضرائب على مياه الري المنصرفة لهم والقضاء نظام العزب)
- ٢ - تحديد اعضاء الفلاحين (القراء بين الفلاحين الذين يملكون اقل من ثلاثين فداناً)
- ٣ - كسب الفلاحين المتوسطين (اعضاء الفلاحين الذين يملكون اقل من عشرة اقدنة من الضرائب)
- ٤ - حشد قوى فقراء الفلاحين وصغارهم باعتبارهم الجيش الانساني للثورة (بالعمل على تنظيمهم في نقابات ودعم تحالفهم مع العمال - وتوزيع الاراضي على الفلاحين الذين لا ملك لهم)

٥) الأشارة إلى فكرة الزراعة الاشتراكية (الجماعية) عندما قال
البرنامج: "توزيع ما يزيد منها على الفلاحين الذين لا ملك لهم أو استملاكه
في تحسين مزارع الشعب".

ونلاحظ هنا ان الحزب قد اتخذ جانب الحفر الواجب والضروري
بالنسبة للفلاحين الفقراء الذين تطلعوا عبر قرون طويلة لتملك قطعة من
الارض ، ولهذا فان مطالبة الحزب بمصادرة ما يزيد عن المائة فدان قد
اقتربت بالمطالبة بتوزيعها على الفلاحين المعدمين مع الاشارة الى امكانية
تحويلها الى مزارع للشعب. وهذا موقف حكيمة وبعيد النظر في ذلك
و هذا موقف غاية في الوعي وفي الذكاء وفي فهم عقلية الفلاح المصري
كذلك نلاحظ ان الحزب قد وضع بثورة فكرة التعاونية في الزراعة كمنهج
طالب بإنشاء مصارف تعاونية لصفار الفلاحين ..

وبعد هذا التحليل فاننا نملك الحق في القول بأن هذا البرنامج يعتبر
دليلا على وعي تام بالموقف النظري من المسألة الزراعية في بلد كمصر ودليلا
ايضا على فهم عميق وتحليل سليم للاوضاع التطبيقية في الريف المصري .

وقد حاول لاكور أن يشكك في قيمة هذا البرنامج (١) عندما قال ان
البرنامج الزراعي للحزب كان هاما وبالرغم من بعض الشكوك حول ان هذه
المطالب قد بنيت على أساس دراسة حقيقية لواقع الفلاحين .

لكن المقارنة مع الدراسات العملية الحديثة لواقع الريف المصري
ومحاولة استخلاص تجارب الواقع طوال الفترة الماضية تؤكدان لنا ان هذه
المطالب والتحديدات التطبيقية قد بنيت على أساس واقعي تماما .

وأخيرا ..

سنحاول أن نقوم بنشاط الحزب وفقا للتقديرات التي أعطاها الكومنتار
لمعضوية عديد من الأحزاب التي كانت تعمل في ظروف مماثلة ..

.....
.....
.....
(١) المرجع السابق - ص ٣٥

عدد الأعضاء في مصر

عدد الأعضاء في مصر في سنة ١٩٢٤م كان ١٩٢٤ ، وبلغت في سنة ١٩٢٤ ، بعد استفتاء في ١٩٢٤

مصر

فلسطين... مصر... عدد الأعضاء... ١٩٢٤... ١٩٢٤... ١٩٢٤

عدد الأعضاء في مصر في سنة ١٩٢٤... ١٩٢٤... ١٩٢٤

عدد الأعضاء في مصر في سنة ١٩٢٤... ١٩٢٤... ١٩٢٤

عدد الأعضاء في مصر في سنة ١٩٢٤... ١٩٢٤... ١٩٢٤

أعضاء

عدد الأعضاء في مصر في سنة ١٩٢٤... ١٩٢٤... ١٩٢٤

ويلاحظ أن حيثيات حكم محكمة جنابات الاسكندرية المتهم فيها أعضاء اللجنة المركزية للحزب تقول أن عضوية الحزب بلغت ١٥٠٠ عضو . راجع نص الحثيات في المراجع . ٥٧ - ربح - فلسطين وغيرها (١)

(١) المصطفى مصطفى باشا وزير الداخلية في عهد الخديوي توفيق باشا
والذي كان له شأن كبير في إصلاح القضاء وتبنيه من قبل الخديوي توفيق باشا

ثم بدأت المطاردة

في ١٩٢٤ م صدرت القوانين التي تنظم الصحافة والصحف

والحقيقة أن الحملة العداوية لنشاط الحزب قد بدأت منذ زمن بعيد
ولقد شهدت الصفحات السابقة نماذج كثيرة من هذه الحملة

كذلك فإن واضعي الدستور الذي صدر في ١٩٢٣ قد خدعوا الرأي العام
عدد من النصوص من بينها:

م ١٥ : الصحافة حرة في حدود القانون والرقابة على الصحف محظورة
وانذار الصحف أو وقفها أو التنازع بالطرق الإدارية محظور كذلك الأذا
كان ذلك ضروريا لوقاية النظام الاجتماعي

م ٢٠ : للمصريين حق الاجتماع في هدوء وسكينة غير حاملين سلاحاً

وليس لأحد من رجال الدولة أن يحضر اجتماعهم ولا حاجة بهم إلى
اشعاره، لكن هذا الحكم لا يقيد أو يمنع أي تدبير يتخذ لوقاية النظام
الاجتماعي

وقد أضيفت عبارة لوقاية النظام الاجتماعي في المادتين السابقتين
السابقتين بناء على طلب وزارة يحيى إبراهيم التي صدر دستور ١٩٢٣ في
عشرتها، وقد أضافت الوزارة هذه العبارة التي تمسوخ لكمة الدستور، ووضعته
مذكراً، حدثت على تتبيل المختصر ما تقصد إليه بتبني عبارة وقاية النظام
الاجتماعي وذكرت أن المقصود هو وقايته من الدعاية البلشفية (١) وهي بناء على

كذلك فإن الحكومة منذ أوفدت أخذت كثيرًا رجال وزارة الداخلية وهو
انجرام بك التي انتقلت لفرانته طرق مخاربه الشيوعية (٢) وهي
ولقد كان قادة الحزب يدركون أن السلطات لن تصبر على بقاء حزبهم
عليها لفترة طويلة، وفي ١٨ مارس سنة ١٩٢٣ عندما أعيدت باربعة من قيادة
الحزب صدرت التعليمات الى جميع الفروع باحراق السيخات والأوراق

(١) السياسة المصرية والانقلاب الدستوري تأليف د. محمد حسين
هيكل وعبد القادر المازني ومحمد عبد الله عنان - ط ٢٩ - ١٩٦٤
(٢) الامرام ١٩٢٤/٩/٢٩

التي تضم أسماء أعضاء الحزب مع استمرار الفروع في العمل علنا (١) .
بل ان بعض الفروع قد اغلقت مقارها تماما وبدأت في العمل بعيدا عن
هذه المقار .
فتقدمًا توجه البوليس لتفتيش مقر فرع الكتلة الكبرى في أوائل مارس
١٩٢٤ . وجد الاوراق - يكسوها الغبار ونسيج العنكبوت (٢) .

وذلك بالرغم من وجود نشاط حزبي مستمر بالمحلة الكبرى حينئذ .
لكن الحزب مع ذلك استمر في ممارسة نشاطه علنا وفي اصدار بيانات
موقمة باسم قائده ، واستمرت الدار العامة للحزب مفتوحة في مقر جديد
بفخريم بك بالاسكندرية .

وانما كان الامر مجرد استعداد لضربه متوقعة .
كذلك فان الحزب قد تقدم بطلب رسمي لمحافظة الاسكندرية لعقد مؤتمر
عام له يومي ٢٣/٢٤ فبراير ١٩٢٤ .

ولا شك ان الحزب قد أدرك ان الحاجة ماثلة التي توجب اقواته
وايديولوجيته تجاه الموقف الجديد الامر الذي يعكس التماثل المؤتمري
الثاني الذي عقد في عجالة لم يكن قد حقق كثيرا من اهدافه .
لكن المحافظة وبلغت زعماء الحزب يعيد السماح لهم بعقد المؤتمر
ثم عادت المحافظة فسالت عن عدد الدعويين لحضور المؤتمر فقيل لها انه ينتظر
حضور مندوبين من جهات مختلفة . وعادت المحافظة لتؤكد منع عقد المؤتمر
في أي يوم وفي أي مكان (٣) .

ويلاحظ في هذه المرة ان قادة الحزب لم يعلنوا تصميمهم على عقد
المؤتمر رغم منع الحكومة له كما فعلوا في المرة السابقة . وانما اكتفوا ببيان
طلبوا من المحافظة ان تصدر امرا كتابيا بالتحريم .
لكن الضربة جاءت عنيفة وسريعة بدرجة لم يكن يتوقعها احد .

(١) راجع محضر النقاش مع حافظ سندر الملاحق
(٢) الأهرام : ١٩٢٤/٣/٤
(٣) الأهرام : ١٩٢٤/٣/٢٠

فقد توجه إلى الاسكندرية على جبال الدين باشا وكيل وزارة الداخلية
والمنتر د. كين بويد ، رئيس القسم الأوروبي بإدارة الأمن العام وقوة كبيرة
من رجال البوليس . وفي الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٢ مارس تحركت
سنت مجموعات في وقت واحد لتفتيش منازل أنطون مارون - حسني العربي -
أحمد الخدي - السيد هريدي - انكندر صاده - صفوان أبو الفتوح ، كذلك
تحركت قوات اخرى لتفتيش دار الحزب بمشايخ عرفان باشا ودار اتحاد
الفتيات (١)

ولم تكن هذه الجملة سوى اشارة للبدء لحملة متصلة التحلقات شملت
كل انحاء البلاد

ووصل إلى الاسكندرية محمد باشا ابراهيم النائب العمومي ليشرف على
التحقيق بنفسه ، وإلى الاسكندرية أيضا سيق عشرات المقبوض عليهم من
مختلف بلدان القطر - القاهرة - المنصورة - أبو كبير - الزقازيق - طنطا -
- كفر الزيات - الحطة الكبرى - سمينود - العطف - بور سعيد - شبين
الكوم وغيرها

وقد اتخذ عدد من المقبوض عليهم مواقف شجاعة ، فاعلن أنطون مارون
امام المحكمة ، انه مستشار اتحاد الفتيات ، وهو يكرس حياته لخدمة
العمال ، وانه كان يدافع عن حقوق العمال كلما وقع عليهم ضيم . وقد رأى وهو
يحكم مصاباتهم ان كثيرين منهم يعاملون كالتحيوانات لان العامل يشتغل
اثنى عشرة ساعة في اليوم ويعطى اجرا ١٠ قروش يوميا ، وهذا الاجر لا يكفي
للحضان خلفا فكيف يكفي العامل وعائلته

وقال حسني العربي ، انه السكرتير العام للحزب الشيوعي المصري
وان علاقة الحزب بالدولية الثالثة كانت علاقة اخوية ، وان الشيوعية المصرية
كانت ترمى إلى انهض العمال واحداث تطور جديد في حالته يناسب الزمن ،

وقال عيد الجميد ترة ، انه كان ينوي السفر إلى روسيا طلبا للعلم لان
التعليم في مصر غير ميسور الا للاغنياء وهو فقير (٢)

- (١) الأهرام ١٩٢٤/٣/٤
(٢) الأهرام ١٩٢٤/١/١

الأزهر، يفتخرون هذه الفرصة لينقلوا العمال والرأي العام في مصر، وإلى رجال الحكومة أن حركته ليست مفصطة بل غاية رصينة سياسية وإن أحببنا به ومرمى سهمه تكمن في الوصول بالعمال إلى مستوى أخوانهم في المتاعمة الأوربية فيمتنع العمال بالحقوق الشرعية التي أقرها التشريع الوضعي والتماؤزي (١) في عهدهم مع الدولة ويمنحهم ما أصابته ربه عليه سلام

لكن الإحتياج - رغم هذا البيان - لم يسلم من مبهات الحكومة التي سارعت بالقبض على مصطفى أبو عرجة وتسديمه للمحاكمة

ويعد ذلك بدأت حملة تستهدف عزل النفوذ القومي عن الحركة النقابية وتنتشر الأهرام وتقد ظهرت في الإسكندرية في هذين اليومين حركة مضادة للشبيوعية ترمي إلى تبرئة العمال من اتباع مبادئها وإلى إبعاد الأمتراكية المتطرفة عن القطر وأنه . وهي حركة طيبة نقابيا بتمريد من الأرتياح .

وإذ بدأت الليانات تتوالى على صفحات الجرائد لا تفتن عن النقابات واجتماعات تقام تستهدف إعلان انتعاز العمال للشبيوعية وتبرئهم منها وشملت هذه الحركة عددا من النقابات . مثل نقابات عمال الصناعات اليدوية والترام والمياه وعلب الكرتون والمنجدين بالاسكندرية (٢) .

وإماتلات صفحات الجرائد أيضا بدأت من نوع إخواني العمال أفيقوا وانتهبوا واحذروا من تدخل الشبيوعية . والتوقيع عبد المال جيسوية أحد رؤساء العمال (٣) .

كذلك بدأت محاولات لإبادة العناصر النشارية من قيادات النقابات وتنتشر الأهرام . وتعدت نقابة عمال شركة الجولان اجتماعات أمس . وكان الغرض الأهم من هذا الاجتماع فصل النقابة من سيااسة الشبيوعية التي كانت لجنقتها الادارية السابقة تتبعها وقد حدث هذا الفصل . وعرفت النقابة قانونها واختارت لها رئيسا جديدا بقودها في طريق العمل المقيد (٤) .

لكن الخطوة الأكثر خطرا كانت القرار الذي اتخذته لسعت زغلول عثمان ، يحل حزب الوفد ميدان العمل النقابي محاولا الاستيلاء على النفوذ فيه . وعزل القيادة الليتارية بعيدا عنه .

- (١) الأهرام ١٠/٣/١٩٢٤ .
- (٢) عبد العظيم رمضان - ص ٥٤٥ .
- (٣) الأهرام ٤/٣/١٩٢٤ - ١٠/٤/١٩٢٤ - راجع في عمارة - والحمد لله (١) .
- (٤) الأهرام ٩/٩/١٩٢٤ - ٦/١٠/١٩٢٤ - راجع في عمارة - والحمد لله (٢) .

ولم يكن صدفة ان يلقى القبض على قادة الجزيب في ٢ مارس ١٩٢٤
 بينما يعلن حزب الوفد تأسيسه والنقابة العامة للعمال في ٥ اذار ١٩٢٤
 ثم تحولت هذه النقابة فيما بعد الى اتحاد عام للعمال في ٢٠ اذار ١٩٢٥
 وقد بلغ من اهتمام سعد زغلول بالامر ان كلف بهذه المهمة واحدا من
 اكفنا قادة الوفد واكثرهم التصاقا بشخص سعد زغلول واحسنهم سمعة
 بين الجماهير هو عبد الرحمن فهمي شكرته لجنة الزقند المركزية

وفي ١٨ ابريل ١٩٢٤ صدرت مجلة عمالية وعلمية باسم العمال
 يرأس تحريرها محمد متولي سويلم لتعلن في افتتاحيتها عددها الاول ان واجب
 العمال ان يتضامنوا ويتآلفوا تحت ثواء واحد وزعامة واحدة وان يظفروا
 باب الاصلاح بالطرق المشروعة

ثم هي تتابع من يعطون الامور ولا يتفقون ميمنا في الرأي ويحاولون
 الظفرة وهي مجال ويرتكبون اعمالا مكيدة قد تضطر ولاة الامور حتى في
 العهد الدستوري الى كبح جماح الخارجين على القانون والنظام
 (٦) ثم تتوالى المقالات وكثير منها يهاجم « التطرف » و« التسرع »
 و« الخروج على القانون والنظام » و« المبادئ الضارة » التي كان ذلك
 « غير مجد » ويؤجل الخير الذي تنتهذه (١) « راحة زعماء اهل بيتنا اضعفنا
 (٦) « راحة زعماء اهل بيتنا اضعفنا

تاريخه اذ اعد اخرى تروى هجوما صريحا على الشيوعية عند نقل تنفيذها
 خيرا عن حفيد نضابة عمال البجانين وقالت فيه نريد وفي ختام الحفل تطيح
 رئيس الشريف من العمال ان يتبرأوا من الشيوعية فيقولوا ضدها مرارا وتكرارا
 بحياة جلالة الملك (٢) « راحة زعماء اهل بيتنا اضعفنا
 ثم يصدر الوفد مجلة عمالية اخرى اسمها « اتحاد العمال » وقد راسها
 بتحريرها سيده هي نجاة عبد العزيز ، وقد كانت هذه المجلة لسان حال
 « الاتحاد العام للعمال » ووضعت عددها الاول في ٢٠ ايلول ١٩٢٤

وتوضح لنا صفحات هذه المجلة الدور الحقيقي الذي تقوم به الوفدية
 ومثله عبد الرحمن فهمي وسط الحركة العمالية في ذلك الحين

١٩٢٤/٤/١٨ - العدد الاول - العمال - ١٢٠
 ١٩٢٤/٤/١٨ - العدد الثالث - العمال - ١٢٠
 ١٩٢٤/٦/٣ - العدد الثالث - العمال - ١٢٠

فحينما أُضرب عمال هابرتيكية المعصرة للاستعنت ذهب اليهم محمد أفندي
فؤاد سينكرتير القنابة العامة ، وأبلغهم نصائح الزعيم بفيض الاضراب والعودة
الى العمل فقبلوا ذلك النصيح الغالى وبالطاعة الواجبة ، (١) سنة ١٩٢٤

وعندما أُضرب عمال شركة السكر بالمطاعنة لم ينتقدهم محمد فؤاد
وطلبا منهم للصبر فان الله مع الصابرين والشعب كله ضائع الحقوق
مثلهم (٢) سنة ١٩٢٥

والحقيقة ان عبد الرحمن فهمى قد تحول الى بوق يحمي مصالح
الرأسماليين ، وكانت خطبه باستمرار تهاجم الاشتراكية وتعمل على تمضيغ
الوقوف للطبقي للعمال ، وفي خطاب له في افتتاح فرع الاتحاد العام
لنقابات العمال بالفيوم قال ان على العامل ان يمشى تحت لواء النظام
والشرائع ويجد ويجتهد لمصلحة بلاده قبل مصلحة نفسه .

ما تقو الجناة والمال ؟ وما قيمتهما ؟ هما زائلان ولا يبقى الا
العمل للصالح .. وان العامل الذى يطمع فنيما بيد اصحاب رؤوس الاموال
بلا حق انما يسمى بالدمار ببلاده وخراب شوقها الاقتصادي ، فاني قيلت
بزعافتكم لادافع عنكم واحمي مصالحكم فلا تنتظروا مني ان احاول الحصول
لكم على اكثر من حقوقكم فاني كما اذاع عن حقوقكم اذاع عن حقوق الشركات
معكم ، ولو لم تكلفني هي بذلك لان حماية مصالحها صيانة لمصالح بلاننا
التي فتحت صدرها للجانب المستفيد منهم ويستفيدوا منها لانهم ضيوفنا
وقد استنهرتم باكرام الضيف ..

واعلموا ان هؤلاء القوم الذين يقولون ان العامل يشتغل طوال يومه
وليله باجر زهيد بينما صاحب رأس المال يكسب الذهب ، انما هم قوم
يفسدون العقول والعقائد (٣)

ثم يلجأ قادة الاتحاد الى الهجوم المباشر على الشيوعية فيكتب
محمد فؤاد سينكرتير الاتحاد سلسله من المقالات عن «حركة العمال في مصر»
يقول فيها

دفع الطيش بعض الشبان الذين لا خلق لهم بالاشكندرية وغيرها من
المدن الى اعتناق مذهب الشيوعية واحتالوا بهذا المذهب على العمال فنفثوا

- (١) اتحاد العمال ١٩٢٤/٦/١٩
- (٢) اتحاد العمال ١٩٢٥/٢/١٥
- (٣) اتحاد العمال ١٩٢٤/١١/١٦

ر هذه السم، وكان هذا الداء الغضال يفتشى في هيكل الأمة بلولا أن يقبض الله
لها يقبض رجنال النجكم من ذوي الفطنة فما عتقلوا هؤلاء الشيطان الإثمين، وزجروا
بهم في أعماق السجون جزاء ما قدمت عليهم، وأما جنونه من الذنوب، زجروا بها

تأنيدهم، ثم يواصل تحذيره، موضحا حقيقة الثورة التي يلعب عبد الرحمن فهمي
في وقبض الثورة في هذا الظرف العصيب للعمال، استعداد عبدة الرحمن بذلك فهمي
زعيم العمال فانتسبهم من هذه الهوة التي كانوا أن يقفوا فيها (١) بزيده

والسولم يكتفب للوؤد بذلك، بل إنه يمنتخدم أيضا نفوذه وسطا الطلبة
لتهنئة العمال، ومجازية في النفوذ البيئاري، بيوتهم نفى: ٢٢١٢ مارس ١٩٢٤
بماعة لجنه الطلبة بالانتكندرية سلسلة من الاجتماعات والنظر في مسابغة
الحكومة على مواجهة حركة العمال ببيت رواج للسكنية فيهم لكي يكفوا عن الاضرائك
ويقولوا على عطف الحكومة والبرلمان: (٢) مشهده عبيتهم وشبهه وشاهده

و، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الوقت بعد أن استخدم هذا الاستخدالم
الجزري ضد العمال، وضد الجزي الشيوعي، بقا لبث هو أيضا أن تلقى الضربة
بتلوي الضربة، وكان يصيب عبد الرحمن فهمي، منبها كبيرا، أما انتخاب العمال
الذي أقامه الوفش فانه ما لبث أن تفوق بصورقه، لا يحيدد عليهم، بعد أن
أدى الثورة للرسوم لجانا، وقدمه من وقتها، لذي عاتقهم من وقتها، ولجنته

لذلك، وبسط عليهم لعمالهم، من شأنهم، من راحة، في عام ١٩٢٤
لذلك، وتمتد الحرب لتشمل كل العيادين، وتجد القوى العمادية للعمال
عموما الفرصة سانحة لتحاول أن تستخدم هذه الحرب طريقتا لضرب
الكتسيات الديمقراطية والدستورية للشعب كله، فتنشر جريدة المحاكم
المختلطة، مقالا تقول فيه: «لا ينبغي أن تتسرع مصر بما ذكرنا من
قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها، أزاء الكشائس الشيوعية منذ
يكون هناك بعض الفائدة من لقاء نظرة إلى الحرب العوان التي أعلنتها

الفاشية في إيطاليا على العدو المشترك» (٣) «(٤) فتنشر جريدة المحاكم
المختلطة مقالا يقول فيه: «لا ينبغي أن تتسرع مصر بما ذكرنا من
قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها، أزاء الكشائس الشيوعية منذ
يكون هناك بعض الفائدة من لقاء نظرة إلى الحرب العوان التي أعلنتها

كذلك نظم الأهرام حملة واسعة ضد الطلبة المصريين الذين يخزسون في
موسكو طالبا عن النائب العام والسلطات التدخل بحزم وحتى لا يعودوا،
وكل منهم اثنين صغير» (٤) «(٤) فتنشر جريدة المحاكم
المختلطة مقالا يقول فيه: «لا ينبغي أن تتسرع مصر بما ذكرنا من
قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها، أزاء الكشائس الشيوعية منذ
يكون هناك بعض الفائدة من لقاء نظرة إلى الحرب العوان التي أعلنتها

- (١) اتحاد العمال ١٢/٢١/١٩٢٤
- (٢) الأهرام ٢٧/٣/١٩٢٤
- (٣) الأهرام ٨/٩/١٩٢٤
- (٤) الأهرام ٦/٣/١٩٢٤

تسببها وقد وصل إلى الأهرام التي اتخذها مستخدماً لاشخاصه كسلاحة موسى وعيد الله
 وعنان في الهجوم على الحزب والنشهر بأعضائه في ١٠ شباط سنة ١٩٢٤ م. كما
 ويبدو أن سلامة موسى قد خشي أن تشمله موجة الاعتقال كما شملت
 في البداية أشخاصاً مجزواً الحزب منذ مدة مثل استكندر شاهادة والسيد
 مريدي وأحمد المدنى . فسارع إلى الأهرام لينشر مقالا بعنوان "الاشتراكية
 والشيوعية وتاريخها في مصر" (١) نشره الأهرام في صفحته الأولى وهو مقال
 مليء بالظن في الحزب وقادته والهجوم على الثورة والشيوعية . . . لكن أهم
 ما في هذا المقال هو أن سلامة موسى حاول الي جانب اعلان برأته أن يربط
 نفسه بعجلة الحكومة العمالية البريطانية ملتصقا بذلك بحماية لنفسه فقال
 "وهو قصد بكتف أنا نفسي بعضواً في اللجنة الفابية الإنجليزية وتعرفت من أعضائها
 مستر شندلي نائب أحد وزراء إنجلترا الآن . . ."

كما حاول أن يخيف الحكومة ويمنعها من اعتقاله . . . فانا أن نريد أن نفت
 نظر حكومتنا إلى أننا مستقاون مع حكومة اشتراكية مؤمنة من العمال هي
 حكومة رامزي مكدونالد . وهي وإن كانت لا توافق على الخط الشيوعي فانها
 لا تخشى وليس اق وسبعها أن ننظر بعين العطف التي اضطهاد الاشتراكيين . . .
 وهكذا ضمن سلامة موسى لنفسه السلامة . . . لكنه وحتى في ظل
 المحنة القاسية وجد من يتصدى بالرد عليه منددا بهؤلاء الذين ينكرون
 اليوم بسفاحه أما عبوة فالأقرب (٢) . . . وسعدت سعادته بسلامة
 فبالسوء كانت محكمة جنائيات الإلكترونية قلقة نظرت في المعارضة المقدمه من
 المتهمين ، وقررت الافراج عنهم مع حضورهم للمحاكمة في جلسة شهر
 نوفمبر (٣)

لكن الحكومة لم تحتمل أن يبقى قادة الحزب طلقاء حتى نوفمبر . . .
 فعجت بنظر القضية ، ذلك أن « سعادة النائب العمومي قد رأى تغيير
 موعد المحاكمة ، اذ يقال أنه تقرر أن تكون محاكمتهم في دور سبتمبر المقبل
 أمام محكمة الجنائيات كما كان مقررا من قبل » (٤)

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/٨
 (٢) الأهرام ١٩٢٤/٣/١٢
 (٣) العمال ١٩٢٤/٨/٢٢
 (٤) العمال ١٩٢٤/٨/٢٤ - ٢٨

شأنه وقد حاول المتهمون أن يستفروا هذه الخطة فعندما انعقدت جلسة المحكمة برئاسة أحمد طلعت باشا في 28 سبتمبر لم يتحضر أنطون مارون وقال للدفاع أنه مريض لا يستطيع الحضور.

وقد حضر في المحكمة القاضي وأمر بالقبض على المتهمين وإداعهم للسجن والقبض على مارون والحضاره (1) بالمرتبعة في انتظار المحاكمة. وهكذا بدأت المحاكمة في 10 سبتمبر في وقت مبكر ومع اشتغال حملة الغذاء بدأت حملات التفتيش وتكونت في عديد من البلدان جمعيات باسم "أزغوا ايديكم عن مصر" عن مصر. في 10 سبتمبر حضره لبرسة وفي باكون عقد مؤتمر عالمي للتضامن فتح الشيوخ عين المصريين حضره مخوبون من الاتحاد السوفياتي وايران وتركيا وغيرها من البلدان (2).

وأخيرا وقيل أن نظوي هذه الصفحات يتعين علينا أن نتذكر أن واحدا من هؤلاء الرجال الذين تحدثنا عنهم طويلا في هذا الفصل قد أنتهت حياته في 10 سبتمبر في السجن مضربا عن الطعام هذا الرجل هو أنطون مارون (3).

ويتحدث محمود محمود حسني العرابي عن هذا الاضراب قائلا ان الاضراب عن الطعام قد استمر 36 يوما وان ملك الموت قد حلق فوق رؤوسهم جميعا (4).

كذلك يتعين علينا أن نقول أن الاحداث قيد فرضيت على المؤلف الا يكتب بكل ما سبق في ثمة صفحات أخرى يجب أن تكتب في الحزب الذي صدر قرآن ويتصفيته والذي حوكم قانقه قد واصل العمال سيرا ولا يبد من محاولة لتتبع هذا المسار الجديد.

... (5) ...

(1) الامرام في 29/8/1924
International Press Correspondence - pp. 1956' 9-12-1924
(2)
(3) الامرام 10/8/1925
(4) محمود حسني العرابي - 89 شهر ابي المنق (الذي تم نشره في 1924)

٢٠٥

الجزء الثاني من المجلد الثاني

عدد ٢٠٥ - المجلد الثاني - الجزء الثاني

القسم الرابع

الجزء الثاني من المجلد الثاني
عدد ٢٠٥ - المجلد الثاني - الجزء الثاني

الملاحق

الجزء الثاني من المجلد الثاني
عدد ٢٠٥ - المجلد الثاني - الجزء الثاني

الجزء الثاني من المجلد الثاني
عدد ٢٠٥ - المجلد الثاني - الجزء الثاني

الجزء الثاني من المجلد الثاني
عدد ٢٠٥ - المجلد الثاني - الجزء الثاني

الجزء الثاني من المجلد الثاني
عدد ٢٠٥ - المجلد الثاني - الجزء الثاني

الجزء الثاني من المجلد الثاني
عدد ٢٠٥ - المجلد الثاني - الجزء الثاني

محضر نقاش مع السيد الصيرى *

أجرى النقاش يوم ١٩٦٩/٥/٢٨ بمدينة المنصورة

س : هل أنت السيد الصيرى الذى ورد اسمه في جريدة الاهرام الصادرة في ١٩٢٤/٣/١٠ ضمن المقبرض عليهم من أعضاء شعبة الحزب الشيوعى المصرى بالمنصورة ؟

ج : نعم

س : كيف بدأت علاقتك بالحزب ؟

ج : لقد بدأت بالنشاط النقابى وأنا شخصيا كنت نشيطا في نقابة صناع الاحذية التى تأسست في المنصورة عام ١٩١٧ وكنت عضوا في مجلس الادارة وكنت نشيطا غاية النشاط

وكان هناك شباب من أسرة غنية هو عبد الحميد الطوبجى (١) . وكان عائدا من إنجلترا بعد ان تلقى علومه في جامعتين . وكان متأثرا جدا بفكرة الدفاع عن العمال وتنظيمهم في نقاباتهم وبدأ يتصل بالعمال النقابيين ويدعوهم الى الاتحاد معا . واقتنعا بالانضمام للنقابة العامة .

وبعد ذلك اتصل بى الاشتراكيون وانضمت للحزب

س : من الذى اتصل بك بالتحديد ؟

ج : لا أتذكر بالضبط ربما عبد الحميد الطوبجى وربما حافظ سند .
س : ومن هو حافظ سند ؟

ج : هو أحد قادة شعبة المنصورة وأحد مؤسسيها وكان على ما أنكر أميننا للصندوق ، ويعمل نجارا ولا يزال حيا ومقيما بالمنصورة .

* السيد الصيرى (عمره ٧٩ سنة وقت اجراء الحوار) صانع احذية بالمنصورة ورد اسمه ضمن قائمة المقبرض عليهم المنشورة في جريدة الاهرام ١٩٢٤/٣/١٠ والذين رحلوا الى الاسكندرية لتحقيق معهم وبحثت عن الذين وردت اسمائهم بالقائمة تبين وفاة معظمهم ، بينما أمكن العثور على السيد الصيرى ، وهو يتمتع بذاكرة قوية وان كان ينقصه الوضوح النظرى .
(١) ورد اسمه ضمن المقبرض عليهم في الاهرام ١٩٢٤/٣/١٠ وبالبحث عنه تبين أنه توفي .

س : هل تعتقد أن عبد الحميد الطوبجى كان مؤسساً شيعياً
المنصورة؟

ج : الذى اعرفه ان الطوبجى كان يعطف على العمال وينساعدهم
ويجمعهم على تأسيس النقابات لكنه لم يكن اشتراكياً بالمعنى المفهوم

س : كم كان عدد اعضاء الحزب بالمنصورة؟

ج : حوالى ٦٠ أو ٧٠ على ما اذكر

س : من كان يتكون مجلس ادارة الشعبة؟

ج : لا اذكر كل الاسماء كان هناك محمد احمد عبد الجليل (١) وحافظ
سند وعبد الحميد الطوبجى وشفيق باسيور، وهو مهتم من اصل شامى
وانا وآخرون لا اذكر اسماءهم

س : متى تأسست الشعبة؟

ج : فى اواخر عام ١٩٢١ على ما اذكر

س : هل كنتم تتصلون بالشعب الاخرى؟

ج : نعم كانت هناك علاقات ، لكن علاقتنا الاساسية كانت بقيادة
الحزب فى الاسكندرية . فمثلا كان فى سفوف شعبة قوية جدا . وكذلك فى
المنية والزقازيق لكننى لم اكن مختصا بمثل هذه العلاقات

س : ما هو نوع العلاقة مع القيادة بالاسكندرية؟

ج : كانوا يراقبون النشاط ويرسلون لنا معلومات كثيرة ، اذكر منها
كتبا للبين وكذا اخرى ونشرات وكان يحضر من الاسكندرية بعض المسئولين
منهم شخص شامى لا اذكر اسمه والشيوخ صفوان ابو الفتح ومصطفى
ابو هرجه

س : هل كنتم تدرسون الاشتراكية؟

ج : كنا نعلم اساسا على المطبوعات التى تصل من الاسكندرية ،
وكان عبد الحميد الطوبجى يلقى علينا محاضرات

س : ما هى نسبة العمال فى الشعبة؟

ج : كانت الاغلبية من العمال

(١) نشر الاهرام ١٩٢٤/٣/٦ رسالة موقعة منه يحتج على تفتيش
منزله ويفى عن نفسه تهمة البلشيفية

تجسست من سهل، كان يعميهم الخائب، فجاءت ربيضة بيضاء، ربه ربه، ربه ربه : رس

ج : ٧٠ لأن ذلك كان سيضر بالحركة ، لكن كانت هناك مجموعات اشتراكية وسط الأرامن واليونانيين وقد اتصلوا بنا وشجعونا، وتوسسوا عدونا كثيرا .

س : هل كانت في المنصورة شعبة للحزب الديمقراطي؟

ج : كانت هناك شعبة لكن معظم أعضائها كانوا من أبناء الأسر الغنية والمحامين ولم يكن بها عمال مطلقا .
والذي حدث في الانقسام الذي حدث في الحزب بتعيين اعلان انضمامه للكونغرس ؟

ج : سمعنا ان حسنى العرابي سافر الى موسكو والتي خطابا وقال فيه : أتمنى أن تعرف قريبا الراية الحمراء فوق الأهرامات . لكننا لم نتبع الخلافا بالتفصيل ، وعموما لم يكن الاتصال بالقيادة يتم عن طريقى ، وكان المسئول عن الاتصال بشعبتنا الشيخ - صفوان رومئى - تانيو ربحة وهما من مؤيدي الانضمام للكونغرس .

ج : انا كانت معاوماتى عن الاشتراكية قليلة ، لكن كان عندى احسانى ان اعلان بلشفية الحزب خطأ وبعد مناقشات لم اعراض .

س : وماذا حدث بالنسبة للشعب الأخرى ؟

ج : الذى اعرفه ان شعبة بيمبرى استمرت في النشاط حتى أصبحت البلدة قلعة للاشتراكية ، اما شعبة المحلة فقد قال اعضاؤها في التحقيق عند القبض علينا سنة ١٩٢٤ ان البوليس عندما فتش الشعبة وجد الاوراق والمكاتب يكسوها التراب مما يوحي بان نشاطها كان قد توقف بعد اعلان ضم الحزب للكونغرس .

س : ما هى اوجه نشاطكم ؟

ج : كان هدفنا جذب اكبر عدد ممكن من العمال ، وقد نشطنا-تشاطا واشتغنا في النقابات ، وحوارنا ذاك الحزب الذى ناد بالعمل وكان الكثيرون يترددون عليه . كذلك افتتحنا مدرسة ليلية لمجانبة التعليم العقال ، القراة

والكتابة ، وقد تطوع للتدريس فيها مجاناً بعض المدرسين من أعضاء الحزب منهم الاستاذ الفاضل الخولي وكان مدرستا اولياً (٧) ، وقد تم في شهر ابريل سنة ١٩٢٢ م فتحنا فصلاً لتعليم اللغة الفرنسية مقابل ٢٥ قرشاً شهرياً ، وكان يتولى التدريس فيه احد اصدقاء الحزب وهو موظف سابق بالحاكم المختلطة مجالس المعاش .

كذلك قررنا ان تكون دار الحزب فلماً للعمال يقيمون فيها ما بينهم وافراحهم مجاناً ، وايضاً قمنا بتكوين فرقة موسيقى من أبناء العمال واشترينا لهم الآلات وعلماهم على استعمالها ، وكانت هذه الفرقة تعزف في الأفراح العمال مجاناً .

لكن أهم مشروعاتنا هي انشاء جمعية للاسعاف ، لان المنصورة لم يكن بها جمعية اسعاف ، وقد جعلنا من دار الحزب مقراً للجمعية وتدريب عدد من أعضاء الحزب على الاسعافات وتطوعوا لخدمة الجمهور مجاناً . وقد ساعدنا في هذا المشروع حسن عوضين ، وهو ابن واحد من اغنياء المنصورة وكان متحمساً لفكرة تأسيس جمعية اسعاف ، لكنه لم يجد سوانا لتساعدنا في تنفيذ المشروع .

- س : هل اطلعت على مجلة الشبيبة ؟
 ج : نعم ولكن لم يصلنا منها سوى عدد واحد فقط ثم توقفت .
 س : هل كانت لكم جماهيرية حقيقية بالمدينة ؟

ج : طبعاً وقد أصبحت الشعبية محط انظار العمال فعلاً واتسع النشاط الى حد انه عندما رشح الوفد كامل يوسف صالح لعضوية المجلس البلدى اتصل بنا طالباً تاييدنا ، وقد ايدنا قائمة مرشحي الوفد ، ولم نرشح سوى شخص واحد هو سعد عثمان نور ، وقد نجح أيضاً في الانتخابات ولكي تعرف مدى تاثيرنا في هذه الانتخابات يكفي ان أقول ان المجلس البلدى قد قرر في اجتماعه الاول اعفاء دار حزبنا من دفع قيمة استهلاك المياه والنور واعتبارها داراً ذات نشاط اجتماعي مفيد .

لكن يجب ان تضع في الاعتبار ان اغلبيية الجمهور كانت وفدية ، وكان من الصعب اقتناع الناس بالوقوف بعيداً عن الوفد .

وقد سبق القبض علينا حملة شديدة شنتها علينا جريدة كانت تصدر بالمنصورة اسمها « الدلتا » وكانت جريدة لا تتدخل في السياسة ، فهي

(١) اشار حسنى المرابى في احد بياناته الى هذه المدرسة - الاهرام ١٩٢٢/٧/٢٩

مخصصة في السياس لئلا يعلن الاحكام ، وفجأة بدأت تشن علينا هجومًا شديداً وبدأت تتحدث عن التسيط الشيوعي الخطر بالنصورية وتذكر اسماءنا وتحرض علينا الحكومة .

رغم ذلك ، وبعد مرور ٤٢ سنة من عهد عيسويانا دعانا وطلبنا المساعدة لخدمتنا فاستجبت لنا ، ماذا كان موقفكم في التحقيق ؟

ج : لم يقبض علينا جميعا ، وانما قبض على البعض وتنازل عن البعض قبل ان نفنى صليته بالحزب حتى لا يقبض عليه ومن نفوا صلتهم بالحزب محمد احمد عبد الجليل ، اما نحن المقبوض علينا فقد اتخذنا موقفاً موحداً وهو اعلان اننا نثق في زعامه سيد زعلول ، ورواينا لانه يريد قلب الحكومة ، كذلك حاولنا شرح افكارنا الاشتراكية .

ج : فماذا فعلتم بعد هذه الضربة ؟
ج : بعد هذه الضربة أخذت بعضنا في العمل على تنظيم حزب ، فالتفتنا الى بعضنا البعض ونرى اننا لقد اطلق البوليس دار الحزب واستولى على دفاتر العضوية وتعتب الاعضاء بزمهم ويضطهدهم ، والحقيقة اننا تفكنا وقتنا صلتنا بالقيادة واقترح علينا عبد الحميد الطويحي ان تؤسس حزبا عماليا نسميه حزب العمال بالنصورية دون ان نعلن عن أية اهداف اشتراكية ، فوافقنا ولم نتعرض لنا السلطات واستمر الحزب في العمل لفترة لكننا كنا قد فقدنا التوجيه والحماس وسرعان ما توقفت هذا الحزب عن العمل .

ج : فماذا فعلتم بعد ذلك ؟
ج : بعد ذلك استقرت في العمل على تنظيم الحزب ، فالتفتنا الى بعضنا البعض ونرى اننا لقد اطلق البوليس دار الحزب واستولى على دفاتر العضوية وتعتب الاعضاء بزمهم ويضطهدهم ، والحقيقة اننا تفكنا وقتنا صلتنا بالقيادة واقترح علينا عبد الحميد الطويحي ان تؤسس حزبا عماليا نسميه حزب العمال بالنصورية دون ان نعلن عن أية اهداف اشتراكية ، فوافقنا ولم نتعرض لنا السلطات واستمر الحزب في العمل لفترة لكننا كنا قد فقدنا التوجيه والحماس وسرعان ما توقفت هذا الحزب عن العمل .

ج : فماذا فعلتم بعد ذلك ؟
ج : بعد ذلك استقرت في العمل على تنظيم الحزب ، فالتفتنا الى بعضنا البعض ونرى اننا لقد اطلق البوليس دار الحزب واستولى على دفاتر العضوية وتعتب الاعضاء بزمهم ويضطهدهم ، والحقيقة اننا تفكنا وقتنا صلتنا بالقيادة واقترح علينا عبد الحميد الطويحي ان تؤسس حزبا عماليا نسميه حزب العمال بالنصورية دون ان نعلن عن أية اهداف اشتراكية ، فوافقنا ولم نتعرض لنا السلطات واستمر الحزب في العمل لفترة لكننا كنا قد فقدنا التوجيه والحماس وسرعان ما توقفت هذا الحزب عن العمل .

ج : فماذا فعلتم بعد ذلك ؟
ج : بعد ذلك استقرت في العمل على تنظيم الحزب ، فالتفتنا الى بعضنا البعض ونرى اننا لقد اطلق البوليس دار الحزب واستولى على دفاتر العضوية وتعتب الاعضاء بزمهم ويضطهدهم ، والحقيقة اننا تفكنا وقتنا صلتنا بالقيادة واقترح علينا عبد الحميد الطويحي ان تؤسس حزبا عماليا نسميه حزب العمال بالنصورية دون ان نعلن عن أية اهداف اشتراكية ، فوافقنا ولم نتعرض لنا السلطات واستمر الحزب في العمل لفترة لكننا كنا قد فقدنا التوجيه والحماس وسرعان ما توقفت هذا الحزب عن العمل .

؟ نعمنا! الله! الله! الله! الله!

محضر نقاش مع حافظ بسند بصيرة سنة ٢٠٠٠

أجرى النقاش في مدينة المنصورة يوم ١٩٦٩/٥/٢٩

س : كيف انضمت الى الحزب الاشتراكي المصري، متى ولماذا؟

ج : كان ذلك في أواخر عام ١٩٦١ وبالتحديد في بداية نفي سعد زغلول الى سيشل (١) وأنا أذكر - عذرا تقاماً ، وكنت قد سافرت الى الاسكندرية لاشترى أخشابا للجلس الأيرية لاننى كنت أعمل به . وفي أثناء تشرى بالطريق قام شخص بتوزيع نشره على مقابل خمسة مليقات وكانت النشرة صادرة عن الحزب الاشتراكي المصري ، وبها عنوان دار الحزب بفنار فويار بالاسكندرية ، وأعجبت جدا بالأهداف والآراء التي تضمنتها النشرة فتوجهت الى هذه الدارة ، وهناك قابلت اسكندر ضادة وأخرون غيره . وبعد نقاش حول اهداف الحزب اتفقت معهم على أن أفتح شعبة بالمنصورة وأعطوني كمية من الكتب والنشرات .

والحقيقة ان هذه المقابلة قد اثرت في جدا فقد كان قادة الحزب اناسا بنشاطا وعماليين حقا .

س : هل انهم من ذلك أنك مؤسس شعبة المنصورة؟

ج : هذا صحيح ولو أنني لا أريد أن أتحدث كثيرا عن نفسي

س : كيف تأسست الشعبة؟

ج : اتصلت بعدد كبير من الأشخاص أذكر منهم محمود قفقه (تاجر نحاس) وعبد الحميد الطوبجي والشيخ أحمد المرافي ومحمد عبد الجليل والشميد الصبري . وجمعت تبرعات من الكثيرين وأنشأنا دارا للحزب بهيدان الطمهي وافتتحنا الدار في حفل كبير ، وأذكر اننا طبعنا ٣٠٠٠ تذكرة دعوة وان الكثيرين حضروا حفل الافتتاح .

س : هل كان لك نشاط سابق على عملك في شعبة الحزب الاشتراكي؟

ج : كنت قبل زيارتي للاسكندرية عضوا في جمعية الاستقامة وهي جمعية دينية ، وان كان عملها الانساني نحو الامية بين العمال .

* ورد اسم سند خلال النقاش مع الشيخ الصبري وتذكر انه كان أمين صندوق شعبة المنصورة ، وهو تاجر يبلغ من السن ٩٠ سنة وقت اجراء الحوار ومحدث لبق ثقافته واسعة ويغلب عليها الطابع الإسلامي . وهو يؤكد باسطنبول وفي جملة دافعي انه باركسي وذاكرته قوية .
(١) نفي سعد زغلول الى سيشل في ديسمبر ١٩٦١ .

س : كم بلغ عدد أعضاء الشعية ؟
ج : كانوا كثيرين ، وربما أكثر من مائتين .
س : السيد الصبيري يقول أنهم كانوا ستمين فقط ؟
ج : هذا غير صحيح ، والسيد صبيري لم يكن يعرف العدد الحقيقي

لكنني متذكر تماما ، إن دفتره المصنوية كان قد امتلاء تماما ، وأرسلنا إلى

الإسكندرية نطلب دفترا جديدا .

س : هل تذكر أسماء أعضاء مجلس إدارة الشعية ؟

ج : اللجنة الإدارية كان عددها عشرة ، أذكر منهم :

شفيق ياسينور - (مهندس معماري) وقد عمل لفترة كسكرتير للشعية

أحمد طرابية - مقاول

عبد الحميد الطوبجي - خريج جامعة أوكسفورد من الإعيان

محمد أحمد عبد الجليل - موظف حسابات بالبلدية

الشيخ أحمد المواق - مدرس لغة عربية بمدرسة الفير

السيد الصبيري - عامل

وأنا .

وقد تمتددت وقتا لتعليمات القيادة في الإسكندرية أن يكون تشكيل

اللجنة الإدارية ممثلا للفئات المختلفة .

س : اسم الشيخ مواق يلفت النظر فهل كان لديكم رجال دين آخرين ؟

ج : كان لدينا سبعة من رجال الدين وقد أفاضونا كثيرا جدا وكان

الشيخ المواق يلتقي في دار الحزب مواعظ وخطبا تلمح استحسانا كبيرا

من كان يحضر اليكم من الإسكندرية .

س : كان يحضر مندوبون من القيادة بالإسكندرية لمناقشة نشاطنا

وأذكر منهم أسكندر صادة والشيخ صيفوان أبو الفتح ، وكان يصطنعنا من

الإسكندرية باستمرار مطبوعات وكتيبات ومشهورات ، وأذكر أنه وصي لنا

كتبا للدين باللغة العربية .

س : هل كانت لكم علاقة بالشعب الأخرى ؟

ج : كانت هناك شعب نشطة بسمنود والحلة ، وقد تمت بزيارة شعبية

بسمنود وتناقشت مع قادتها حول أساليب عملهم .

س : ألم تحاولوا مد نشاطكم إلى الريف ؟

ج : طبعا حاولنا ولتكتفي ذلك ضمنا التي صفونا قديما من المهندسين

الزراعيين واتصلنا ببعض الفلاحين في عدد من المراكز وعندما وجهت إلينا الضربة

كنا على وشك تأسيس شعبة بالثغلاويين وشعبة بالمنزلة وتأسيس مثل

هاتين الشعبتين كان كميلا باقامة اتصال مباشر بالفلاحين .

والحقيقة ان نشاط شعبيتنا لم يستمر الا عامين فقط ، ولو تمكنا من الاستمرار لفترة اطول لكانا قد نجحنا في اقامة مراكز قوية في الريف .

س : هل كنتم مستعدين لمواجهة حملات الحكومة ضدكم ؟

ج : نحن كنا في بداية نشاطنا ، ولم نتح لنا فرصة كافية للعمل وتربية الاعضاء، تربية حقيقية حتى نحن لم نكن قد أصبحنا بعد كوادر حقيقية رغم اننا كنا نشيطين جدا .

وفور عملية القبض الاولى على قادة الحزب (١) صدرت تعليمات بحرق بفاقر العضوية حتى لا يحصل عليها البوليس ، ولكن نشاطنا ظل علنيا .

س : لماذا لم يقبض عليك ؟

ج : الحقيقة انهم مارسوا ضدى ضغطا شديدا جدا وانا كنت اعمل في مجلس المديرية ومدونى بالفصل وتشريد اولادى وأخيرا خضعت للضغط وكتبت استقالة من الحزب ما زلت أنكرها بالنص .

وهي « بما ان العمال في مصر بين قوات ثلاث : الاستعمار الظالم والحكومة التي تربت في احضانها والقباضون على زمام الاموال ، فان على العمال ان يكتفوا بحزب عمالي وأن يبتعدوا عن الشيوعية والاباحية » .

وطبعا هذه الصيغة لم تعجب مدير الدقهلية لكننى رفضت تعديلها .

س : وهل اكتفت السلطة بهذه الاستقالة ؟

ج : اكتفت بها البداية لكنها عمدت بعد ذلك الى تشريدنا جميعا فاننا وكثيرون فصلنا من العمل ومحمد عبد الجليل فصل ثم أعيد للعمل بشرط نقله الى سوهاج في افاصى للصعيد ، وعلى العموم ظلت حملات التنكيل والاضطهاد والتفتيش تلاحقنا بشكل مستمر حتى ما بعد عام ١٩٣٠

بل ان البوليس كان يستدعى اى شخص يتصل بنا لاي سبب من الاسباب حتى ولو كان مجرد قريب او صديق شخصي ويجزره من الاتصال بنا .

س : هل تريد ان تقول شيئا آخر ؟

ج : ازيد ان اقول اننى لا ازال ماركسيا ، واننى خزيق لاننى كتبت الاستقالة في عام ١٩٢٤ تحت ضغط السلطات .

(١) ١٧ مارس ١٩٢٣

به لا تلتحق يوم الجمعة ١٤٠٠هـ الموافق ١٤-١٠-١٩٧٨
مخبر نقاش الدكتور عبد الفتاح القاضي

١٩٧٨/٩/٢١

اجريت المناقشة بالقاهرة يوم ١٩٧٨/٩/٢١

بـ : كيف تأسس الحزب ؟ وكيف تأسس الحزب ؟
بـ : كيف تأسس الحزب ؟ وكيف تأسس الحزب ؟

ج : الذى اعلمه عن حسنى العرابى انه كان يتاجر بالخطن والتقى خلال علاقته بالناجدة الاجانب بحمدى الحظوى عضو حزب العمال ، وبهذه واقفه بالفكر الاشتراكى لانه لم يوجد هناك التقى بخصمى برسلامة موشى مند ومحمود عزقن وعزيز مريم وشيخ (نسبت اسمه) كان اماما في مسجد بزلين (وأذكر ان هذا الشيخ قد ضم كثيرين من الطلبة المصريين في البداية الى حزب الوفد ، نهر قد فتحه الجمعية المصرية في بزلين التي تقدمت فسنم وفدى هدية وتركنا نحن في الحزب الوطني بعد فتحه ايماءة في الاجتماع لم يطلبه من غيره ترميمه من غيره .

وبعد ان تحولت حركة ١٩١٩ الى حركة مطالبات اقتصادية وبرزت اغراضها عملاء التزامم وعمال النسيج تطورت المطالبة الوطنية الى حركة اقتصادية واجتماعية لمواجهة هؤلاء الارضية مكوّنين الحزب الاشتراكي بعد وقتها بلغ الحزب من القوة انه يعبئ بنفسيه ونظام الاضرابيه الليبرالي واجتيل الصناعات منسفن مندمنا تيرتفعنا بيته ببيعه وما قمضلا مع لصيحه

وفي سنة ١٩٢٣ او جوالى ذلك لا اذكر بالضبط عقد مؤتمر الكرومفون في موسكو ، وسافر حسنى العرابى لحضوره في هذا الاجتماع تصفرا القرار الذي يدعو الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي انتمت اليها الحزب الشيوعي بالجمهورية العربية المتحدة الى ارفع لادلة الحزب الاشتراكي ووضع ميثاقا لادلة الحزب الشيوعي .
١٩٢١ - ١٩٢٠

وطما سعد زغلول اصدر سنة ٢٤ قانون مكافحة الحركات الشيوعية .
وأنشاء زيارة حسنى العرابى لموسكو طلب منه ارسال مقموعة من العمال الشيوعيين للتراسة فارسل عددا منهم : ذ حشرة طبيب انسان ، شعبان حافظ ، عبد الرحمن فضل ومحمد عبد العزيز (الجاسوس) وكان يأتي أيضا لقيت دراسة نانية له : .

سبت (١) الدكتور عبد الفتاح القاضي ، طبيب اطفال ، وقد اسهم في النشاط منذ عام ١٩٢٠ واسهم في الوجة الجديدة للنشاط بعد الاربعينات وشيخ بها مشاركة ايجابية . وهو احد النماذج الدالة على تأثير الفكر الاشتراكي الالماني على الحركة الماركسية في مصر .

٧٦٦١ ، مادة ٧٦ (١)

موفدون من الكومنترن ولكن بكل اسف كان اغلبهم من اليهود .
وفي سنة ١٩٣٠ وبعد عودتي من ألمانيا اتصل بي عصام الدين قنطري
ناصر وعرفني بحسنى العرابي وكانت عدوى ميول اشتراكية . سوكتنا
اتهمت بالشبوعية سنة ١٩٢٥ بسبب هذه الجول . وفي ههذه السنة
اصدرنا جريدة روح العصر . صدر منها حوالي ٢٤ عددا وثمة نسخ منه
موجوده بدار الكتب وكنا نحن الثلاثة مسئولين عنها (أنا وحسنى وعصام) .
وكانت تناصرها المنظمات القائمة . برغم تزعم عباس سليم للحركة النقابية
وكان يرأس الوزارة اسماعيل صدقي وكانت الصحيفة علنية واشتراكية
وسياسية واجتماعية .

ولما لم يجد اسماعيل صدقي وسيلة قانونية لتعطيلها عطيلها بقرار من
مجلس الوزراء .

(اوقفت الجلسة الساعة السابعة وعشر دقائق بسبب اصابة الدكتور
القاضي بازمة قلبية) .

المحضر الثاني ١٩٦٨/٩/٢٣

قال الدكتور عبد الفتاح القاضي اود ان ابدأ من جديد لاننى تذكرت بعض
المعلومات الهامة :

الحقيقة ان اول حركة اشتراكية ظهرت في مصر كانت سنة ١٩١٥ في
الاسكندرية بنشوة نقابة الكونترجيه (عمال الاحتفانية) وكادت مكونة من
الارمن والاروام (وقد قال لى هذه المعلومات الشيعوى القديم ياناكاسكن .
وكانت الحركة المصرية ح . م قد كفتنى سنة ١٩٤٢ بكتابة تاريخ الحركة
الاشتراكية فانصلت به وابلغنى هذه المعلومات . وقد كتبت عملا موجزا لهذا
التاريخ وسلمته للمسئولين في ح . م ولا اذكر اذا كان قد قال لى اذا كان
هناك مصريون في هذه النقابة ام لا) .

وانا اريد ان اربط بين ذلك النشاط وبين بداية نشاط لينين في روسيا
في ذلك الحين . اريد ان اربط بين هذه الحركة في مصر وبين الحركة
في روسيا .

صحيح لم يكن هناك روابط مباشرة ، لكن ازيد ان الالحظ ايضا ان
تولستوى عندما مات سنة ١٩٠٦ رثاه شوقى رغم ان شوقى كانت ثقافتا
فرنسية وانه كان شاعرا رجعيا . ان من يرثى تولستوى لا بد ان يكون قد
اطلع على بعض تراثه الفكرى ثم لما اذا لا تربط بين ثورة الفلاحين الروس
١٩٠٥ وثورة الفلاحين المصريين في دنشواى ١٩٠٦ .

بعد ذلك كانت الخطوة الاشتراكية الثانية خطوة عمر لطفي على راسها
الدعوة داخل الحزب الوطني من عمر لطفي كان يمثل الجناح اليساري في
الحزب الوطني. ثم بعد ذلك في سنة ١٩١٧م في مصر وفي سنة ١٩١٩م في مصر
أدرك هذا الجناح أن الاعتماد على طلبية المدارس العليا لا يكفي، ولهذا
بدى الاهتمام بالعمل والفتيات، ولم يكن من الممكن أن يتم ذلك بمعزل
عن الحركة الاشتراكية القديمة رابطة العالمية، فمصطفى كامل ومحمد فريد،
كانا يتنافران إلى الخارج ويتصلان بالحركة الاشتراكية الأوربية وخاصة
محمداً فريداً.

كذلك ثورة أكتوبر ١٩١٧ أثرت علينا في ثورة ١٩١٩ ولا ننسى
مبادئ الحق تقزير الصيرة التي أخذها لينين . . . أخذها نلسون بليرديفا في مؤتمر
باريس . . . ليكسب الشعوب إلى صف الراسمالية . . .

أريد أولاً أن أحاول تقويم جيني العرابي . . . هو رجل كويس . . . هو
دوره كدور بلخانوف لم يكتب بممارسة دراسة الماركسية على يد الجندي
الانجليزي . . . وأتقاً حاول أن يكون نفسه نظرياً . . . وترجم كتاب رامزي
ماك دونالد عن الاشتراكية لكن حسنى العرابي كان قلبه طيباً ويخضع بتهمة
وكان لا يحسن اختيار الأشخاص وخاصة الذين أرسلهم إلى موسكو للدراسة
فيقيد أرسل مثلاً محمد عبد العزيز وهو الذي اختاره . . . وأنا قرأت مذكرات
محمد عبد العزيز عند محام اسمه حفيى عنود . . . كل مذكراته خيانية وحتى وهو في
الاتحاد السوفيتي . . . فعندما كان في روسيا كان يخون . . . وهو يذكر ذلك صراحة
في مذكراته . . . وكانت مكتوبة بخط اليد في جوالي خمسين كراسات وعندما كان في
روسيا أرسل مثلاً إلى نيلسني الاتحاد السوفيتي لاقتراعهم بالاشتراكية . . . وكان
يحرصهم ضد النظام الاشتراكي وأورد في مذكراته أيضاً سلسلة خياناته
وتسليمه لكل المنديبين الذين أتوا إلى مصر . . .

تسليمه وقد اختار أيضاً حسونة وهو شخص نشيط . . . وينجز أعمالاً كثيرة وقد
عمل معنا كثيراً في الأربعينات في الطبع السري . . . لكنه كان مادياً . . . من أنواع
الثلاث ورفقات وكان أحسن من اختار شعبان حافظ وعبد الرحمن فضل . . . ولكن
فضل لم يبق . . . وشعبان حافظ كان أحسنهم وكان عنواناً صحيحاً جداً للعامل
المصري . . . ثم بعد ذلك في سنة ١٩٢١ . . . ثم سنة ١٩٢٢ . . .
ثم وقد استفاد جيداً من مدرسة الكافر في الاتحاد السوفيتي . . . وبرزت
كفاءته في العمل السري وفي تكوين الخلايا وفي الاتصالات . . . في العمل الجماعي
وفي كل المجالات . . .

أما أنا فانا كنت أدرس في ألمانيا وكنت قد قررت إن أقل من إتيالي
بالمصريين حتى أتعلم الألمانية بسرعة . وجاء حظي أثناء دراساتي لكورس
اللغة الألمانية قبل بدء الدراسة الجامعية في يناير ١٩٢٠ مع عدد من
البلغاريين . وخاصة البلغار منهم . مثلاً الزميل بوبوغا وكنا نذكر سوريا
وأي الكلية استمرت المذاكرة : سوريا . وخاصة مادة التشريح لانهم يعرفون
لاتيني أكثر مني . بوبوغا والبلغار الآخرون عرفوني بجماعة من الروس منهم
لاديفسكى . كانوا في كلية أخرى وأنا كنت في ذلك العهد وطنياً متطرفاً . وكل
هذه أن أظن في الانجليز وإن كنت تسيطر على فكرة الطبقات وكنت
متديناً أيضاً فكانت تنسب مناقشات حادة حول الفكرة الماركسية . وحول تأييد
نضال الطبقة العاملة المعالية . وأنا كنت خالي البال . تماماً عن فكرة الأممية .
كنت وطنياً أؤمن بمصطفى كامل ومحمد فريد . لم أكن أحب الوفد لأنه
يسعى للمفاوضة والمفاوضة تؤدي إلى التسليم .

ومع مضي الوقت ابتدأت هذه الأفكار تختم في عقلي ، واقتربت من
الاشتراكية أكثر فأكثر عن طريق الأدب .

في شتاء ١٩٢٣ انتقلت إلى جامعة فرايبورج - لا أذكر أن ذلك كان في
شتاء ١٩٢١ . وهناك تعرفت بممثلة قديمة اسمها « فراو هيندا بانداكا »
جملتني أهتم بالأدب ، وكانت تقوم نقرة أدبية تعرفتني بأدب إبسن ومكسيم
جوركي وجيرك هوفمان واناتول فرانس . وهكذا اتجهت إلى الأدب .

وعن طريق القصص الاشتراكية ابتدأت أتمتع بالاشتراكية ، وبعد
ذلك بدأت الاطلاع على النظرية الاشتراكية وساعدني على ذلك أنني درست
في الجامعة كورس اقتصاد ، وكان أستاذ الاقتصاد في جامعة فرايبورج له كتاب
هام اسمه الرأسمالية والاشتراكية والفوضوية .
وقرأت هذا الكتاب .

المهم أنني أصبحت اشتراكياً فكرياً ، لكن لم يكن لي نشاطاً وعندما رجعت
إلى برلين سنة ١٩٢٣ لأكمل دراستي اتهمنتي الفتنصية المصرية بأنني لي علاقة
متطرفة مع ذوى المبادئ الهدامة ، ولم يكن هذا صحيحاً فانا لم أقابل المصريين
كثيراً إلا أنني استمرت عضواً في لجنة الحزب الوطني إلى أن عدت سنة
١٩٢٥ إلى مصر . ومن ١٩٢٥ حتى ١٩٣٠ لم تكن لي علاقة بالحزب .

وعملت كطبيب أطفال وأحسيت بحقيقة الفقر وبشاعته ، كنت أقول
للأم ابشري بواء لطفك أو غداء لطفك وأشير إليها لا تملك قرشاً ، اقتنعت
أنه لا فائدة من الطب ولا فائدة من أي مجهود يبذل إلا إذا تغير المجتمع .

وهنا يمكن أن تكون هناك جدوى من أي عمل وإيركتك أن الواجب الاساسي
للثلاثين هو العلم لبناء الاشتراكية. ثم بعد ذلك ان يترجموا
من اللغة العربية الى اللغة الفرنسية. ثم بعد ذلك ان يترجموا
الى اللغة الانجليزية. وعندما اتصلت ببيعضام والدين حقبني باصاف وعرفني بجمعية
الغزاليين، وعرضوا علي فكرة اصدار جريدة اشتراكية سياسية اسبوعية صانف
ذلك جوي في نفسي وجعلت عنادتي بشارع محمد علي بعد اجرائها بترتيب
والبيت موجود حتى الان - ادارا للجريدة، والقيت فيها بكل ما املك من
نقد، وكذلك حقبني الغزاليين امام اعضاءهم فقدمت بيان ومبلغ لفترة ثم توقف
كان معنا انا وحقبني الغزاليين الا تعطلت لاسماعيل صبحي رحبة قانونية
لاغلقها، كان هدفنا ان تستمر المجلة اطول مدة ممكنة، اما اعضاءهم فقد كان منظرنا
وكان رواية ان نهاجم ونستقر اسماعيل صبحي في ذلك الوقت من
* * *
وعن طريق المجلة التفت حولنا عدة نقابات وما زلت اذكر بالخير عددا
من النقابيين الشيوعيين مثل: بشير، قنديل، وفوق مكانح نقابيين ممتاز كان
يحمل الجريدة على كتفه ليوزعها، وشخص اخر اسمه مجاهد لا اذكر
بقية اسمه.

في ذلك الوقت كنت اعمل في شركة...
لما كتبنا نعلم على توزيع الجريدة باليد، وبسط النقابات، وكان ياتينا العمال
لتوزيع الجريدة باليد، لان مذهب الجرائد «الفهوى» كان يأخذ المجلات
ولا يوزعها بائعا من البيوليشن السياسي، والحقبة ان هذه الجريدة كانت
مدرسة.

سحبنا كرتة...
في اول عمل قماريه ترجمنا العمل الماجور ورأس المال، انا ترجمته
وكنت نقيم العمل كالاتي حقبني عرابي يكتب الافتتاحية، وانا اكتب مقبلا
صغيرا وترجم على قدر طاقتي ترجمت للشياهير الاشتراكية من سيبان
سيهون حتى ماركس، ترجمنا لكاتبين جوركي قصصا ايطالية، وقصصا
لجك لندن واصرنا عددا خاصا عن كارل ماركس في صدره صورة لماركس
وكان ينفذ بالكتب الاشتراكية مجانا بشخص شيوعي مجرى لا اذكر اسمه
كان يعطى في المكتبة الالمانية وكانت مكان مكتبة النهضة،
في ذلك الوقت كنت اعمل في...
لم تكن لنا علاقة بخلايا حزبية فحقبني العرابي كان خارجا من
السجن، وكتبنا بالعمل العربي، وكانت الحركة الثغابية يقودها في ذلك الحين
الأمير عباس سليم، وبعد الإنتهازي أحمد اسماعيل أخو محمد اسماعيل الذي
تدال السردار، وعندما أغلقت المجلة كانت الحسنة التي قدمها عصام ناصف
اخذت التي دار الكتب وأودع عنك خمس نسخ منها.

س : متى تبدأت العمل الحزبي في العراق ؟
 ج : لم تبدأ عملاً حزبياً ، ولما ألقى أسماعيل صدقي المجلة ، كنا في الحقيقة أفلسنا : أنا أفلسيت وحسيني العرابي أفلس ، حتى أنني اضطرت إلى الاقتراض لاسافر للخارج ، وبعد إغلاق المجلة ظل البرليس يطارد حسيني العرابي ويستجوب كل شخص يتابله حتى اضطر إلى الهجرة من مصر ، وبعد عودتي من العلاج بالخارج لم أجد حسني العرابي ، ولم يكن عندنا تنظيم ، فلم أجد من أتصل به ، وكنت مذليبا ومدينا فتوظفت في شعب القناطر واستمرت في العمل في العيادة - دون نشاط سياسي إلى أن أصدر حسيني العرابي كتاب ٨ سنوات في المنفى وأنا كتبت المقدمة للكتاب معتقدا أن حسيني العرابي هو رجلنا الذي استمر كما كنا معا ، وقد عاد حسني العرابي بواسطة حسن نجات باشا سنة ١٩٣٨ أو ١٩٣٩ لا أذكر *
 س : متى عودته من المنفى ؟

ج : وبعد عودته رحبنا به وحاولنا إقامة علاقة معه ، وبدنا حركة جديدة لاصدار جرائد مستعملين ترخيص جريدة من الجرائد الخاملة ، لا أذكر اسمها ، وكنا كلما أصدرنا عدة أعداد اغتمت بواسطة السلطات وكانت الخطة تقريبا مثل خطة روح العصر ، وحول هذه الجرائد تكون تنظيم وكان معنا العرابي وضممنا أيضا عبد الفتاح الشرقاوي وعبد المنفى سعيد .

س : عبد المنفى سعيد والشرقاوي كانا يكونان جناحا يمينيا يؤمن بالماركسية دون الذكر المادى والشرقاوي ضم الشيخ سعاد جلال . . واستمر التنظيم في العمل . . وعبد الرحمن فضل اتصل بنا في هذا الوقت . .

س : كيف التقيتم بالحركة الجديدة ح . م . ؟

ج : في البدء استمرنا في العمل في التنظيم المخلخل لسدى لا ينظم دراسات جدية ولا عملا جديا . .

س : هل التنظيم جمع بقايا الحزب القديم ؟

ج : لا . كانت خطتنا البحث عن عناصر جديدة وظل التنظيم مخلخلا حتى عاجمت ألمانيا الاتحاد لسوفييتي وزارني حسني العرابي وطلب مني عقد اجتماع ، يؤكنا في ذلك الحين صدر جريدة (لا أذكر اسمها) وكنا نعلن على صفحات جريدتنا أننا محايدون ، سوى الاجتماع طلب حسني العرابي مؤازرة ألمانيا ، وقتت له هل نحن اشتراكيون أم نازيون قال إن الإلزام اشتراكيون أيضا ، قلت له أقرأ كتاب كفاحي وأقرأ فيه الهجوم على الاشتراكية ، والحقيقة

* الاسم الحقيقي للكتاب ٨٩ شهرا في المنفى .

اننى دهشت من موقف حسنى العرابى هذا واقترحت تأييد الحلفاء . وتحت
سقف تأييد الحلفاء تؤيد الاتحاد السوفيتى وجمعا المجموعة وانقسمنا بلديات
حسنى العرابى من المظة والمناطق الجاوزة لها . انضموا اليه والقسم الاخر
انا وعبد الفتاح الشرفاوى والآخرين استمروا فى العمل . . . (عبد المنى سعيد
كان مترجما)

وذاث يوم عند عودتى الى منزلى اذا ياخذ اسماعيل جالس فى مطعم
يونيون زمعة عسكري انجليزى . وتادلتى . وقصه لى . وكان اسمه سام
باردل . وكان قد تزوج فتاة يهودية اسمها جورجيت على ما اذكر (١) كانت
تعمل فى مكتبة الميدان .

وقصه لى كمضو فى الحزب الشيوعى الانجليزى وبعد حديث طويل
سالنى سام لماذا تعملون متفرقين وابلغنى ان هناك مجموعة اخرى وتعرفت
بكورزيل .

وانتدانا العمل مع كورزيل فى تنظيم ح . م .
وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن .

ثم استمرنا فى العمل فى لندن .

وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن .

وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن .

وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن .

ملحق رقم ٤
الناقشة الأولى مع عصام الدين حفني ناصف

أجريت المناقشة بالقاهرة يوم ١٩٦٨/٩/٣٠

س : ما هي معلوماتك عن نشأة الحزب القديم ؟

ج : سنة ١٩١٩ خلال الثورة بدأت فكرة تكوين أحزاب عديدة، ونشأ الحزب الديمقراطي (عزيز ميرهم) وفي الاسكندرية تأسس حزب اشتراكي كان فيه عبد الله عنان وكان حسنى العرابي يتزعم مجموعة وقد اتجهت مجموعة حسنى العرابي لتكوين حزب شيوعي ، وحدث انقسام في الحزب .

وكانت مجموعة حسنى العرابي تميل الى الفوزات المتسرعة فمثلا سنة ١٩٢٣ احتل العمال أحد مابريقات الزيت بانبعاث من الشيوعيين وكان هذا عملا متسرعا ، وسعد زغلول أرسل أوطنتين من الجيش واستخدم العنف ضدهم وصدر قانون ضد الشيوعيين أظن ثروت باشا هو الذي أصدره وحوكم قادة الحزب وفقا لهذا القانون وحكم عليهم بثلاث سنوات رزيعهم أنطون مارون مات في السجن مضربا عن الطعام .

وبعد ذلك أصبحت الحركة غير شرعية وكان باستمرار هناك مستجونون شيوعيون وحدثت عدة مزارات ومحاولات لأحياء الحزب والحدى هذه المرات قام بها شخص اسمه العربي ، وهو شخص حكم عليه في قضية محاولة اغتيال كتشنر وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة وأفرج عنه عند وصول سعد زغلول للحكم ، وبعد الإفراج عنه انضم الى مجموعة من الشيوعيين كان معظمهم صحفيين وكان العربي يكتب مذكرات تفصيلية ، وقبض عليهم وضبطت هذه المذكرات التفصيلية ، ولست أدري ان كان العربي جاسوسا أم لا ، لكن مذكراته كانت دليل أدانة ضدهم جميعا لكن العربي أخرج عنه * .

حسنى العرابي كان متخرجا من سنة ثانية ثانوى وكان عنده نقص فهو معقد من المثقفين ، وكان معظم أصحابه من انصاف المثقفين ، مثلا عندما طلب اليه ارسال ٥ أشخاص الى موسكو أرسل محمد عبد العزيز (كان ممرضاً) وشخصا من الاسكندرية اسمه يحيى (تاجر بطاطين) . وفي الاتحاد
* ثبت فيما بعد أن طاهر العربي كان عميلا للأمن .

السوفيتي كان محمد عبد العزيز نموذجاً سيئاً ، وعندما عادوا اتصل مباشرة بالباحث وعمل معها وكان يرسل معلومات للكومنتزن مبالغاً فيها قال لهم مثلا ان الحزب الشيوعي في مصر له ١٠٠٠٠٠ عضو

الكومنتزن ارسل شخصنا يمشاويانا لسنتمه فاقين في عام ١٩٢٧ على ما اظن وعندما وصل قابله محمد عبد العزيز واستولى على نقوده وسنمه للمباحث.

واذكر انه حدثت محاولة لاعتقال محمد عبد العزيز ، بان طغنه شخص امام دار الكتب برفقة زوجة و قيل ساعفتها ان الذي حاول اقلته شيوعي وبعد ذلك في سنة ١٩٣٠ كان لي صديق هو عبد الفتاح القاضي وتعرفت بحسنى العرابي ، واجتمعنا نحن الثلاثة لاصدار مجلة

وايا كنت معروفا اني شيوعي ، وكذلك حسنى العرابي ولا يمكن منحنا رخصة للمجلة لهذا طلبت الرخصة باسم عبد الفتاح القاضي

وكان هناك شخص اسمه الهامي كان موظفا في السكة الحديد وفضل ان يكون شيوعي وعمل في المجلة كمدير للادارة

وتامر ضدنا متعدد توزيع الجرائد الفهلوي فكان يحزن الأعداد ولا يوزعها ، واحسنا اننا بنطس وانلسنا عملا وبدلا عن ان نعلق المجلة بايدينا ، اجعنا الحكومة بشدة وعنف فاجتمع مجلس الوزراء واصدر قرارا باغلاق المجلة

وسافر حسنى العرابي الي ألمانيا لأنه افس وفي ألمانيا اعجب بالحركة النازية فكان يكتب لنا مادحا في هذه الحركة ، لكنه كان يعيش هناك في حالة سيئة جدا وكان يعطى دروسا في اللغة العربية

وعندما اوشكت الحرب على القيام ، ادرك الانجليز ان من الخطر بقاء حسنى العرابي في ألمانيا حتى لا يستخدمه النازي بوقا للدعاية للنازية

ومكذا تدخل حسنى كمشاك باعزاز من الانجليز لاعاقته لخطر النازي (سفيره في مصر) ومنه يصح ان حسنى العرابي كان يتردد بين مصر ومصر وسو عندما عاد حسنى وتقابل معي ومع اليكتور القاضي حاول ان يبنضم اليها وتمسك بالمظهر الشيوعي لانه احس ان كل ما له من احترام وكرامة في مصر كان بسبب اضطراره بشتاب شيوعيته

وأصدرنا جريدة أطلقنا اسمها «الكناخ» وكانت سياسة «العراي» مائعة يقول مثلا ان الفلاحين مظلومون... لكن لا يقول ما هو النحل لانهاء الظلم أى كلام يمكن ان يستخدمه الشيوعى ويستخيمه النازى

وظل الامر كذلك حتى غزت المانيا اراضى الاتحاد السوفيتى وأنا نوعيت الى د. القاضى بضرورة اعلان الهجوم على المانيا والدفاع عن الاتحاد السوفياتى ، وبعد اجتماع لناقشة الموقف وقال القاضى ان علينا ان نعلن دفاعنا عن الاتحاد السوفياتى فقال حسنى العراي انه يطب ثلاثة ايام مهلة للتفكير . كان يأمل ان تسفر الايام الثلاثة عن نتيجة الحرب ، فلما سمع جورنج يقول ان الجيش الالمانى سيشرق روتسيا كما يشق السكين قالبا من الزيت خيل اليه ان الالمان هم الحصان الرابع ، وعلن رفضه لفكرة الهجوم على الالمان ، وتركنا وانضم الى مجموعة من مؤيدى الالمان وكون تنظيميا بالفعل . . . وكون وزارة ظل ، في انتظار احتلال النازى لمصر . . . واعدوا رايات وفصلوا تمصانا لونها بنى . . . وعندما انتصر الاتحاد السوفياتى حاول حسنى العراي ان يتصل بنا من جديد فرقمصنا . . .

س : في الفترة من ١٩٣٠ حتى ١٩٣٨ اتم تشكلوا تنظيميا . . .

ج : لا كان مجرد عملية اصدار مجلات اساسا . . .

وأنا مثلا أصدرت رواية اسمها «عاصفة فوق مصر» سنة ١٩٣٩ عن نضال الفلاحين ، وفي سنة ١٩٣١ أصدرت كتابا اسمه «التجديد الاجتماعى - أبحاث في شؤون العمال والفلاحين» ، وفي سنة ١٩٢٦ ترجمت لتولستوى قصة «النور يضىء في الظلام» . . . وفي سنة ١٩٢٣ أصدرت كتاب «مبادئ الاشتراكية» . . .

وترجمت كتاب «حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية» وقصد ترجمته عن الالمانية وهو بقلم كامفماير .

وهذه الكتب كانت ذات تاثير لدرجة انهم قبضوا مرة على خلية شيوعية في المنصورة اتضح انها تقوم اساسا على دراسة هذه الكتب . . .

والحقيقة انه في فترة الحرب العالمية الثانية الانجليز تهاونوا مع الشيوعية ، وبالتالي سكنت الحكومة المصرية عنا ، فانا مثلا أصدرت عدة كتب منها : «لماذا تعنى الرأسمالية الحرب» ، وكتاب «الاتحاد السوفياتى» ونشطت مجموعة سلامة موسى وظهر معه جماعة تحيط به مثل رمسيس يونان ، ومصطفى كامل منيب . . . لكن الحركات الجديدة كانت في الاسناس من اناس جدد . . .

... من مجد الدين حنفى ناصف ... الاقننه بالتحريك الاشتراكية ؟
... هناك تشيخيرين ، لكنه لم يفلح . اشتراكيته الامتداد شخصيه ولا يهـ لا يريد
ان يدخل معركة ...

... لكن ماذا اذعمه التوفد اليساريه ؟
... وكذا انا وهو ايضا ، في الحزب الوطني وكذا نهاجم قهاند التوفد ،
ومجد الدين كان سكرتير جمعيه الطاقه في باريس وكان ضد التوفد ، لكنه كان
ضد التوفد لانه من الحزب الوطني ، وانا مثلا حضرت مؤتمرا الطلبة المصريين
الذين يدرسون في أوروبا ، وكان ذلك في سنة ١٩٢١ وفي الاجتماع عاينت
شعرا زلزل وقت له انا اتحبه اليه منك فنار سعد وقال انا وكول الامه
ولسنت وكحل جمعيه طاقه ...

... انتم في العسريات بانك علي علاقة بعناصر ارهابية وبانك
وضعت في سترتك شارة غيبيا صورة الورداني (الذي اغتال بطرس باشا
غالي) فهل كفت تؤيد الاغتيالات النسيابية ١٩٢٤ رند ...

ج : هذا صحيح ، لو اننا كنتم اعتقدوا انه في ذلك القلاف السياسي
وضعف النشاط الحزبي فان الاغتيالات يمكن ان تدعب دورا ثوريا في تحريك
الجمه ١٩٢٤ ...

... هذا ...

... هذا ...

... هذا ...

تلقين رقتهم في يوم ١٠/٢/١٩٦٨ مع عصام الدين ناصف يوم ١٠/٢/١٩٦٨

س : هل كانت لكم صلة مباشرة بالحزب الشيوعي الألماني ؟
ج : كنا نتعلم منه وكنا نقابع أعضائه ، لكن لم تكن هناك علامة مباشرة بالحزب ، والحقبة أنني لم أترك أهمية الاتصال العملي من أجل الاشتراكية الأبعد أودعتي من ألمانيا .
لكن الذي لا شك فيه أننا تأثرنا كثيرا بهذا الحزب وأفكاره .

وأيضا أود أن أذكر أنه كانت في القاهرة مكتبة في شارع عدلي اسمها المكتبة الألمانية كان يعمل فيها شخص شيوعي وكان يمدنا ببعض الكتب الاشتراكية .

س : لماذا اختلفت مع الدكتور القاضي ؟

ج : لاسباب كثيرة منها أنني لم أكن أتق في الطبقة العاملة المصرية وكنت اطلب الاتجاه اتي المثقفين ، ومع ذلك فقد قررت يوما ما الاتصال بالحركة النقابية فاتصلت بعباس حليم وأعلنت أننا يجب أن نسمى لتكوين حزب للعمال ، ولكن فشلت العملية ، وأود أن أذكر أنني تناقشت مع عباس حليم كثيرا وبالرغم من أنه كان يكره ذلك الا أنه كان ضد الاشتراكية وكان يدافع عن العمال في حدود ، وكثيرا ما قال لي لا تنس أنني فصيل .

وأنا لدى تعليق أود أن أقوله على الحركة الاشتراكية عموما . كانت الحركة الاشتراكية في مرحلتها الاولى التي تولى زعامتها حسنى المرابى تهحف الى الاثارة واحداث ضجيج عال يصل صدها الى موسكو تاييدا للحركة العمالية التي توجه من هناك .

ولهذا فقد جانبها التوفيق واعوزتها الفطنة عندما اصطدمت بقيادة الحركة الوطنية الاستقلالية المشهورة باسم ثورة ١٩١٩ والتي كان يضطرم بها الشعب كله . فكانت عقبى ذلك أن حملت الصحف جميعا على الشيوعية

وجعل الناس يفترون اليها على أنها موحى بها من احزاب الاقليات السياسية
 المعادية للوفد ، وظلت هذه النظرة قائمة لفترة طويلة فعانت الحركة الشيوعية
 من جرائمها ، وكان دعايتها يلتون الاضطهاد من الجانب الحكومي والشعبي
 على السواء ، ولم يطرح زعماء تلك المذبذبة على الشعب باى كتاب يشرح
 المذهب الاشتراكي ومما تقدمهم عن ذلك ان اكثرهم كانوا ذوى ثقافة ضحلة
 وعلى العكس من ذلك ، امتازت المرحلة الثالثة (مرحلتنا) بظهور كتب ومجلات
 وشماعات ودراسات اشتراكية وكان من الممكن ان يتضاعف عددها لو انه
 كان هنالك حزب منظم يباشر الامر بطريقة جماعية ، ويجب الا ننسى ان
 اخراج الكتب كان امرا بالغ الصعوبة للافتقار الى المراجع وهو النقص الذي
 سببته في ما بعد مكتبة السيدان (عزيزى كوربيل) ، ولان الوعي الطبقي كان
 مقتصرا على كيان الوظيف او المترجم يقتيل على العمل والشبك يداخله هل تسمح
 به السلطات ام لا ، وهل سيباع ام لا ، يرومن الماركسيه انزل ، يربح منته
 مطلقا .

• في الواقع سببنا انه لم نكن نملك في سنة ١٩٥٠ طبعه سائلا لا يباع

بجانبه ونسبته في السنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

• في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

شكرا لقرائنا الذين اطلعوا علينا في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

• في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

• في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

ملحق رقم ٦
محضر نقاش مع عبد الرحمن فضل (١)
س : متى بدأت العمل الحزبي ؟

ج : بدأ سلامة موسى بحزب اشتراكي على علاقة بحزب العمال
الانجليزي ، كان هناك ثلاثة زعماء ، سلامة موسى وعبد الله عنيان وثالث .
ثم انضم اليهم حسنى العرابي .

س : ما هي معلوماتك عن حسنى العرابي ؟

ج : من عائلة أرستقراطية من تجار القطن فقدت أموالها ، وكان يبحث
عن عمل ، كان مثل البكوات الذين فقدوا أرضهم ويمثلون الارستقراطية التي
اقتضت ، كان لبقاً ومجلسه لطيف ، انضم مع سلامة موسى ، وانضم
معه أنطون مارون (مخامى مختلط) .

س : هل تعرفت بمارون ؟

ج : نعم . . . كان مارون زعيماً حقيقياً كان مشغولاً بنفسه وكان
يعلمنا الماركسية بينما حسنى كانت معلوماته ضئيلة قراء عدة كتب ، لكن

(١) عبد الرحمن فضل - نجار - الفن حوالي ٨٠ سنة (عند اجراء
الناقشة) .

وهو شخصية شهيرة في تاريخ مصر لانه يعد ذهابه الى الاتحاد
السوفييتى موفداً من الحزب الشيوعى المصرى . . صدر قرار باسقاط الجنسية
عنه وعن كل زملائه وعند عودته سنة ١٩٣٦ منع من النزول الى الاراضى
المصرية . . ورفضت السلطات اليونانية السماح له بالنزول الى الاراضى
اليونانية وظل لفترة طويلة على ظهر المركب ، واهتمت الصحف المصرية ببسالته
وأطلقت عليه اسما ما زال معروفا حتى الآن هو ذارع البخارة . . وبعد
أن هرب من السفينة وتسلل الى الاراضى المصرية سمحت له السلطات المصرية
بالبقاء تحت ضغط الرأى العام ، ولكنه لم يستعد جنسيته الا بعد فترة .
وهو شخصية معروفة أيضا لان وضعه اثنائى ، وهو على المركب قد
اتخذ نموذجا كلاسيكيا في دروس القانون الدولى وقانون الجنسية التى
تدرس نطلبة كلية الحقوق وقد أشير الى حالته في أكثر من مؤلف جام منها
المؤلف الشهير فى القانون الدستورى للدكتور سيد صبرى . بل ان اليكيتور
بييدنصيرى قد ألقى إيمانى محاضرات حول عدم دستورية القرار الذى
أصدرته الحكومة المصرية بجرمائه من الجنسية . .

مارون بالنسبة لنا كان زعيما ماركسيا عظيما ، كان يحب العمال جدا ، كان يكره الانقلابين لانهم كانوا يكرهون العمال ويحتقرونهم وكان مارون يعيش عيشنا وترك مكتب الاجاماة واكتفى بالمراشعة في قضايا الفقراء ، وكان يعيش عيشة فقيرة جدا .

س: ماذا عن الزعماء الاخرين ؟
 ج: كان هناك الشيخ صفوان ابو الفتح - من علماء الازهر ، وهو استاذ ازهرى عظيم ، كنا نسميه « استاذنا » ، كان يكتب كل المنشورات ، كان نارا حمراء متوهجة ، خلق العمارة وليس بدلة ، ولعب دورا كبيرا في الازهر وكسب كثيرا من مشايخ الازهر ، وكسب مثلا الشيخ مهدي ، وكان هناك ايضا فيومي البستونتي ، عمال بزاز ، ومن المثقفين (صفوان ابو الفتح ، مارون ، احسن المرابي ، الشيخ مهدي الخ) ، وكيف انضممت الى الحزب ؟

ج: كنت اعيش في قرية جلق الجميل وكنت انا وعبد الحميد العتال ومحمد سلامة رؤساء نقابة عمال استصلاح الاراضي ، وكانت الشركة ليها ورشة فيها اكثر من ٢٠ عاميل ، وانضيت الى التجارة عمان يمشور ، اذم انضممنا الى الحزب الاشتراكي وتعرفنا هناك بحسن العيرابي ، ثم ابلغونا انهم سوف ينضمون عن الحزب لان الدورية الثالثة طلعت معنا اذ اردنا الانضمام اليها ان نعلن خروجنا من الحزب وتكوين حزب شيوعي .

هذا يعني ان هذا الحزب الذي كان يسمى الحزب الشيوعي كان في الحقيقة حزبا اشتراكيا .
 ج: والشيخ صفوان هو الذي كتب البرنامج ، كان صفوان يطبق الاشتراكية كان النبي قال عليها (١) .
 ج: نعم ، انقسمنا ، عدم الحزب الاشتراكي .
 ج: هذه العبارة « هامة جدا » فهي تشير الى اهتمام الحزب بالدين الاسلامي . مما يوضح ان الحزب قد استقانا من الخطا الذي وقع بينة الاشتراكيون الاوائل ، وخاصة شيبي شهال ، في هجومهم على الدين الامرو الذي عزلهم عن الجماهير وغرضهم لهجومنا .

س : هل تعريف شخصاً اسمه روزنتال ؟
ج : روزنتال كان اشتراكياً قديماً ، ويقبى روزنتال مع سلامة موسى لان أحسنى عاجم بشدة الاجانب وخاصة اليهود .

س : أين كان مركز الحزب ؟

ج : في شارع نوبار بالاسكندرية .

س : لماذا ؟

ج : لان الاسكندرية هي العاصمة الحقيقية ومركز الثروة والصناعة والتجمعات العمالية .

س : متى أعلن الحزب الشيوعي ؟

ج : حوالي ٢١ أو ٢٢ ٠٠ لكن أنا فاكراً أننا اشتغلنا بنتين جيدتين واتحاد النقابات كان كله تحت ادارة الحزب الشيوعي ، كنا نهب الاسكندرية . استولوا على الفابريكات ورفعوا الرايات الحمراء ، كانت الاسكندرية في أيدينا تماماً . كان المحافظ يرتعش أمام مازون . سعد زغلول هو الذي قضى على الحركة .

س : ما هو عدد أعضاء الحزب ؟

ج : ما اذكره حوالي ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ عضو .

وكانت لنا مراكز في كثير من البلاد .

وأود أن أؤكد أن معظم نضالنا كان ضد الاستعمار .

وكان هناك بعض الاجانب يعملون معنا ونستفيد من تهمتهم بالامتيازات الاجنبية ، وأنا شخصياً كنت أعمل مع سائق اسمه جورجى ، وهو بلغنارى الجنسية ، وكان يقوم بنقل النشرات والمطبوعات بعد صدور قرار الحكومة بحل الحزب .

س : كيف بدأت الحملة ضد الحزب ؟

ج : في سنة ١٩٢٤ جاء سعد زغلول ، وكانت حركة الاسكندرية قد بدأت واستولينا على ٣ فابريكات (الزيوت في الاول) ، لكن الثلاثة كانوا في الاسكندرية . استمرت العمية ١٥ يوماً ، لدرجة أن ستالين قال لزعماى ألمانيا انتم لستم ثوريين اذهبوا وتعلموا من مصر كيف يستولى العمال على الفابريكات ، وأغلق الحزب ، وقدم الأعضاء للمحاكمة .

س : انكم تفضل قبض عليه ؟

ج : قبض على الزعماء صانوا من حبيتي - مارون - والتبعض حرب

س : وانت ماذا فعلت ؟

ج : انا كان مفروضاً ان اسافر الى الاتحاد السوفياتي ومعى رسائل عامة ، وكان مفروضاً ان ينتظروني شخصي في تركيا وكانت هناك علامات معينة متفق عليها حتى اعرفه ولم اجد الشخص ، لان الحزب التركي كان قد ضرب في ذلك الوقت ، لكني قابلت شابا ثريا ابن اميرة تركية سابقة هذه تهرب بعض السجائر ، وقد انزلني على نفقته في فندق اسمه الاسكندرية ولما لم يحضر الرفيق التركي الذي اترق على مقابتي قررت البحث عنه وساعدني بعض المصريين الذين تعرفت بهم في قهوة خاصة بالمصريين واخيرا عثرت على منزله وكان مزاجه شدة من البوليس التركي ، وتحت التفتاب شديدة تعجزوا فالتفت الى الاسم الذي اسأل عنه غير موجود ، فاعطيتها صورتني وبطاقة باسمي وعنوان اللوكاندة وانتظرت في اللوكاندة اربعة ايام وفي اليوم الرابع حضر الرفيق وظل يقبلني ربع ساعة وقال انه قتل حضوري بثلاثة ايام قبض على كوادر الحزب التركي وانه هارب ، وطلب الى العودة لكنني رفضت العودة ، واعطاني نفودا ٦٠٠٠ واتيحت في تركيا ٤٠ يوما تحاولا البحث عن طريقة للسفر للاتحاد السوفياتي والامير لم يحضر المسافر اجرة اللوكاندة ونفذ ما معي من نفودا فقريت ان اعمل شيالا في البناء حتى امرب على احد المراكب الروسية ليست برخيطة ونزلت في القارب متجها الى الركب السوفياتي وكنا قد اتصنا بقائد السفينة من قبل ورغض متاعدي وفوجيء قائد الركب بي على السلم ولم يستطع طردي وبعد شهرين وصلت حبيتي من تركيا مقيد بمدد الرضاك الاتراك اجر اللوكاندة وتسلموا حبيتي وارسلوهما لي ، انا اقول لك هذه التفاصيل عشان تعرف قد انه كان هناك حب اكثر من الاخوة بين رفاق الاممية .

س : عندما وصلت الى موسكو من كان هناك من المصريين ؟

ج : كان هناك خاشن اسمه عبد العزيز ويحيى (مغربي الاصل) ، لكنه ارسل من مصر وكان هناك آخرون من سوريا ولبنان والجزائر ومن فلسطين يهود وعرب (لكن الاغلبية يهود) . وعندما كنت هناك وصل اثنان اوثانثة من المصريين مخمداً دويدار (عامل في السكة الحديد عطشجي) وشخص اسمه عبد العزيز مرغى (متزاد لكنه غشلي في دراسته) وحمدي سلام واخذنا

في الدراسة لنا كنت أدرس هندسة أنواع الخشب والاقتصاد السياسي ، وحمدى
سلام درس الطب (1) .

س : ماذا عن المسجونين ؟

ج : ما زون مات في السجن - بعد اضراب عن الطعام ، ولبقي أنهى
الاضراب عن الطعام واستمر مارون مَضْرِباً أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَمَاتَ .

س : أين تركز نشاط الحزب ؟

ج : في الارياف كانت الحركة أحسن من الإسكندرية ، وكانت تتخذ
إيساراً شكل اتحاد النقابات العمالية ، واستمر هذا الشكل بعد حل الحزب ،
لكن الاجانب لعبوا دوراً رئيسياً وأضروا بالحزب والعمل الحزبي .

لقد أكد ثينين أكثر من مرة على أهمية تعريب الاحزاب الشيوعية في البلاد
العربية بينما كانت هناك عناصر أجنبية تصمم على السيطرة على الاحزاب
العربية كان هناك روزنتال ، وابنة روزنتال ، وأصدقاء روزنتال وحتى الكومنترن
عندما أرسل مندوباً الى مصر أرسل أنيجدور ، وهو زوج ابنة روزنتال . وكان
هناك شخص يهودى عربى في الكومنترن مسئول عن الشرق الاوسط كله
اسمه (أبو زيام) وكان خطيراً جداً .

كان لا يزيد أن يتولى أى عربى منصباً قيادياً في احزاب الشرق الاوسط ،
كان يساعده عدد من اليهود في الكومنترن وكان شخصاً لبقاً ، كان ينفذ
الأغراض الصهيونية وكلما كنا ننادى (أرابيز اتسيا) أى التعريب يهاجمنا
بشدة ، بل انهم عملوا لنا نقداً لاتنا رفعنا شعار أرابيز اتسيا وأنا شخصياً
حوكمت أمام هيئة الكومنترن ، أبو زيام قال في المحاكمة ان العرب لا يصحون
لانهم متخلفون واستقدم شخصاً ابله اسمه ابراهيم كان قد أحضره أبو زيام
معه من الشام وسلمه خطاباً إمامهم ، وقال له ارم هذا الخطاب في الصندوق
فرمناه في صندوق الزبالة فقلت ان أبو زيام هو الذى اختار هذا الشخص ،
وهذا يوضح خطر أبو زيام ، وعلى أية حال أوقفت المحاكمة ، لكن بعد ذلك

(1) حمدى سلام كان موزع بريد ودرس لطب في الاتحاد السوفيتى
وتخرج طبيباً ، ونصل الاقامة في الاتحاد السوفيتى حتى وفاته .

حدث تطهير في الكومنترن بوايعد : ٧٠ شخصاً صهيونياً ، وهذا يؤكد محتاجة
مخاوننا (١) .

س : ماذا فعلت في الاتحاد السوفياتي ؟

ج : احكيت بالرعاة ، تعلمت ، درست .

عندما غادرت موسكو قال لي ميشول وهو (أرمني) نحن لا نريد
ملاييناً وانما نريد اناساً يوظفون الشعب .
س : كيف عدت ؟

ج : الباسبور كان معي ، لكنه كان يستخدم خلال وجودي في موسكو
لسفر أشخاص آخرين ، ملئ بالفيزات لب العالم كله . مزقت الباسبور
وقلت في الاسكندرية ان الباسبور فقد ، ولما سألوني عن اسمي قالوا اني
مفتوح من الدخول لان قراوا خبر باستعاقب الجنسية على واستمرت المسألة
١١ شهراً ، (لنجد ائمة الأهرام) . اثارتم قضيتي وكذلك البلاغ والمظلم . واخيرا
المصري كتب ، وانا كنت استفيد من ذلك كله في اثارة القضية ككل وفي احداث
أكبر ، اصبحت ممكنة ، وابتعرت السبئية تذهب التي بيرييه ثم تعودتني الى
الاسكندرية فمضت بزولي طوال الفترة من منتصف ١٩٢٦ حتى ١٩٢٧ . وكانت
معظم الصحف تتحدث عن القضية .

رأيت وابتعرت الفرصة . لاثارة قضية الشيوعية من جديد ، واثارة عطفا
الناس . لدرجة ان بعض الرأسماليين بدأوا يظفوا على ، و كانت الركب تسير
في خط بيريه الاسكندرية بانتظام . وكان ينامر - علي بناء كثير ، عن المزيين
و كنت اتصل بهم جميعا فاتصلت مثلا بالدكتور فتاوى رئيس المجلس البلدى
في اسكندرية ، وكان شخصية كبيرة ، قابلي على المركب جو وزوجته -
زوجته بكت عندما سمعت القضية . وعندما عاد اتصل بأحد اصدقائي وهو
عبد الوهاب انوكيل مراسل المظلم في الاسكندرية وطلب منه اثارة قضيتي
وبدا المظلم يهتم بهشكتي واسماني ذارع البحار
وعلى المركب اضريت عن الطعام ، وزارني الطبيب ، وقال انني سأموت
بعد ست ساعات .
نشرت المظلم مقالا بعنوان - الكلمة الأخيرة - لذارع البحار ، وشخص
الحزب الشيوعي اليوناني واكتشفت ان قبطان السفينة رمي هو وعقد عن
البحارة . وكانوا يكتمون لي باستقرار - الجواميس الذين ترسلهم الحكومة
المصرية لمراقبتني على السفينة . . .

(١) لا بد انه يشير الى حظة التطهير التي قام بها شيكالي بييه .

وأخيراً اتفقت معهم على تهريبى من البحر بعد أن يتركنى الحراس
المصريون حتى لا يضار أحدهم ، وكان النظام المتبع أن يصعد الى المركب
نور وصوله الى الاسكندرية حراس يلازمونى طوال فترة بقاء المركب في
الميناء ، وكان هناك لنش حراسة يدور حول المركب باستمرار وعندما تتحرك
المركب يتسلم الحراس ايصالاً من القبطان بأننى موجود على ظهر المركب
ويستمر لنش الحراسة في تعقب المركب حتى تخرج من المياه الإقليمية ،
وكنيت قد رتببت الأمر مع القبطان واتفقت على ترك المركب وترتبت لنشاً خارج
الميناء الإقليمية ليعود بى الى الاسكندرية وكنيت أعلم أنه بمجرد ملامسى
لأرض الاسكندرية فإن أية قوة لن تستطيع ابعادى عنها والحقيقة أن الحراس
كانوا يعطون على ، وفي ليلة الهروب أحس شاويش الحراسة اننى مرتبك
فسألنى وهو يغادر المركب « أنت ناوى » فقلت له نعم فقال لى : اتجه
يميناً ، فنى الاتجاه الآخر توجد حراسة على الشاطئ ، وبعد أن اتعدت
السفينة عن المياه الإقليمية اتفقت بنفسى الى الماء وكان الراجح انى جدا
والبحر هائجاً والظلام حالكياً وبعد أربعين دقيقة في الماء عشر على اللش
وعادتنى الى الوطن وخرجت من باب سراى رأسى القين وفي نفس الليلة تحدثت
تليفونياً مع عباس المنفى مدير مكتب الاعزام بالاسكندرية وزارنى في مخبئى
وكلمت ائقنظف أيضاً .

س : هل صدر قرار من الكونغرس بحل الحزب في سنة ١٩٣٠ ؟

ج : لا اعتقد ، وإنما صدر قرار بفصل محمد عبد الميزيز وكان
جانسونياً فعلاً .

س : الى متى استمر نشاط خلايا الحزب الشيوعى ؟

ج : كان النشاط مستمرا حتى سنة ١٩٤٠ أو ١٩٤١ ، وكل مرة كانت
الحكومة تعلن أنها قبضت على آخر خلية ثم تظهر خلايا جديدة .

س : عند عودتك سنة ١٩٣٧ هل وجدت حزبا متماسكا ؟

ج : وجدت مجموعة معقولة من الناس كوشين وقالوا ان هناك مجموعات
أخرى وطلبوا منى التوسط لتوحيد هذه المجموعات .
س : كيف اتصلت بهذه المجموعة ؟

ج : عن طريق د . عبد الفتاح القاضى .

شهادة روزنتال أمام النائب العام

في ٥ مارس ١٩٢٤ استدعى النائب العام الشريف علي التحقيق مع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري القبول عليهم المسيو روزنتال لسؤاليه والاستماع إلى شهادته

وقد نشر الإهرام هذا التحقيق ماثلاً ، وأنه عبارة عن بيان تاريخي خطر لنشأة حركة العمال وتطورها في مصر منذ ٢٥ سنة فلا يخفى أن هذا الرجل هو بمثابة تاريخ حي لتنهضة العمال في هذه البلاد ، وهو الذي أيقظ الثغثان بين العمال بقوة النقابات .

وعندما دخل المسيو روزنتال إلى قاعة التحقيق سيال معالي النائب العمومي عن سبب استدعائه إلى النيابة ، وهل هناك تهمة خاصة موجهة إليه فقال له النائب العام أنه إنما استدعاه ليمثله أن يروي له ما يعرفه عن نشأة الحزب الاشتراكي المصري بصفة عامة . فظهر المسيو روزنتال تمام استعداد له لاجابة هذا الطلب وطق يسرد تفاصيل المسئلة فقال

اني منذ حدثتني أميل إلى المبادئ الاشتراكية واحن إليها وقد كان أعظم الأمل عندي أن أرى حالة العمال تتحسن بقوة التربية والنظام . ولما وفدت إلى مصر منذ ٢٥ سنة جعلت أسعى لتأليف النقابات . وأول نقابة اشتركت في تأليفها كانت نقابة عمال السجاير ، وبعد ذلك اشتركت في تأسيس بضع نقابات أخرى للخياطين وعمال المعادن وعمال الطابع ، وكانت تلك النقابات كلها تقريبا للعمال الاجانب لان العمال الوطنيين كانوا في ذلك الوقت أقلية في جميع الحرف ودوائر العمل بالنسبة إلى زملائهم الاجانب .

ولكن الوطنيين أخذوا بالنهوض منذ ذلك الحين وتعلموا كثيرا من الحرف الفنية فكثر العمال الذين منهم ، وما زالت الأحوال تسير سيرها التدريجي التدريجي حتى جاءت الحرب العظمى واضطرت العمال الأجانب التي مغادرة مصر لصالح العمال الوطنيين أغلبية كبرى في الدوائر العاملة ، وهذا النمو ساعدتهم على تأسيس النقابات التي كانت منبهره لأغراض سياسية مختلفة تتبع الأحزاب الفاعضة بالقضية الوطنية في البلاد كالوعد بالحزب الوطني وغيرهما ولم اشترك اشتراكا فعليا بإدارة هذه النقابات وكان من رأي أن ننشئ للطبقة العاملة مراكز للدفاع الاقتصادي والتربية الفكرية ولهذا الغاية نشرت في غضون ١٩٢٢ ندوة التي للنقابات العاملة فدعوا إلى تأسيس اتحاد يضم شملها جميعا فتلقت هذا النداء بالقبول بالاجماع وأرسلت إلى الاسكندرية مندوبين من قبلها يمثلون ٣٥ ألفا من

بالعمال للاشتراك في البحث في المشروع غير أن رؤساء النقابات المتشبعين بالفكرة السياسية شعروا اذ ذاك بان انشاء النقابات الحقيقية بطريقة تراعى فيها حالة العمال يؤدي الى نزع كل ما لهم من سلطة عليها ويحول دون الوصول الى اغراضهم السياسية فسيحوا سعيًا جديًا لحمل نقاباتهم المتناثر اليها على عدم الاشتراك بالاتحاد وظلوا يماطلون في التدابير الاولية سنة كاملة وفي بدء عام ١٩٢١ تمكنا من تأسيس اتحاد النقابات بعدد محدود لا يتجاوز ثلاثة آلاف من العمال

ولما كنا نرى أن النقابات لا تستطيع أن تتدخل تدخلًا فعليًا في الأمور السياسية لكونها مؤلفة من عمال مختلطين وذوي نزعات سياسية متضاربة فكرنا في تأسيس حزب سياسي يكون بمثابة لسان حال النقابات العمال ويكون في استطاعته أن يدافع عن مصالحهم في المجلس النيابي وغيره ويسعى لحمل الحكومة على اصدار قانون لحماية العمال المزدوركين تحت رحمة الرأسمالية وذاك هو

وعملنا بهذه الفكرة انشأنا الحزب الاشتراكي

س : كيف تأسس الحزب الاشتراكي ومن هم الأشخاص الذين اشتركوا في تأسيسه ؟

ج : اتفق في ذلك الوقت ان تمت بحملة على الحكومة بقصد حملها على اصدار قانون يحدد اجور المنازل ووافق السعي هوى في نفس الجمهور فهبت الصحف تساعدني في هذه المسألة ونشرت اسمي مرارًا في بعض مقالات تتعلق بالشئون المحيية فرأيت من بعض الوطنيين عطفًا على الاشتراكية وكان من هؤلاء العاطفين حسنى أفندى العرابي والدكتور علي العناني أفندى وسلامة أفندى موسى والاستاذ عبد الله عسان ، فاتفقت معهم على العمل وقررنا تأسيس الحزب الاشتراكي المصري كما تقدم ، وقد كتبوا لهذا الغرض منشورًا يحتوي على مبادئ الحزب موقعًا عليه منهم ولم اشترك في التوقيع عليه لاني كنت اعتبر ان ظهور اسمي الاجنبي بالزعم من كوني بمصر الجنسية يمكن ان يعد بمثابة تدخل من اجنبي في مسألة مصرية

وقد جعلنا مركز الحزب في العاصمة وظللت عضوا في اللجنة الادارية وانشأنا بعض فروع للحزب في الأقاليم ثم تبين لي ان لجنة العاصمة لم تظهر اخلاصًا كافيًا لغاية مهمة كهذه في حين كان فرع الاسكندرية بالرغم من قلة عدد اعضائه يظهر كفاءة تفوق كفاءة المركز الاداري ، وقد طلب اعضاء الفروع جعل الاسكندرية مقرا للحزب وبالفعل تم هذا التغيير ؛ ويعني موافقة اعضاء الفروع على ذلك في اجتماع خاص عقد لهذا الغرض ، فاستجاب

أعضاء لجنة القاهرة من هذا النقل وطلقوا يحملون على ويظنون في شخصي .

وبعد انقضاء بضعة شهور من ذلك التاريخ تقرر عقد المؤتمر الشيوعي الرابع في موسكو ، فأرسل الحزب مندوبا يمثلته فيه ، وكان هذا المندوب المندوب حسنى العرابي .

ولما عاد حسنى أنفدى من روسيا بلغنا أن اللجنة المركزية الدولية الشيوعية الثالثة اشترطت لقبول حزبنا كمنوع للدولية الثالثة ثلاثة شروط

- أولاً : فصلى من الحزب
- ثانياً : تغيير اسم الحزب من اشتراكي الى شيوعي
- ثالثاً : اعداد برنامج للفلاحين

وعلى اثر ذلك نشرت اللجنة في الصحف خبر فصلى من الحزب وبعد أيام اجتمع عدد محدود من الأعضاء عدتهم للجنة مؤتمرا ووافقوا على قراراتها التنفيذية .

س : ما هي الاسباب التي اعتبروها كإهانة لفصلك من الحزب ؟
ج : انى لا أعرف اسبابا معينة ، ولكن مما تشروه في الصحف أن المسبب كان ما زعموه من كونى غير شيوعي وانى انتقم من الشيوعية أكثر مما أعيدتها . وقد كتبت اذاً ذلك الى المركز الرئيسى فى موسكو طالبا ايضا عما اذ كان قد طلب فصلى حقيقة وعن المسبب فى ذلك فلم أتلج جوابا حتى الان .

س : ما هو الفرق بين الاشتراكية والشيوعية ؟
ج : الاشتراكية والشيوعية نشأتان من مصدر واحد بمعنى أن مبادئهما الأساسية متشابهة باعتبار أن كلا منهما يعمل لابطال الملكية الشخصية وتجديد النظام على قاعدة الملكية الاجتماعية والحزب الاشتراكي ينقسم الى قسمين أحدهما يعمل لتغيير الحالة بقوة الإصلاح والاخر يسعى للتغيير بالعمل الثورى

أما الحزب الشيوعي فانه يختلف عن الحزب الاشتراكي الثورى من حيث تقدير ملامة الزمن للثورة الاجتماعية ، ذلك أن الاشتراكيين يرون أن الطبقة العاملة غير ناضجة لتولى أزمة الحكم وادخال الاشتراكية على الانظمة الخالفة ، فهم يتبعون طريقة التعاون بين الطبقات العاملة والمتوسطة الحرة للوصول الى غرضهم فى حين أن الشيوعيين يرون أن الحرب العالمية الاخيرة عجلت الرأسمالية بضربة قاضية وأظهرت أن الفرصة سانحة للقيام بعمل حاسم وعملا بهذه الفكرة قام الحزب الشيوعي الروسى بثورته ، وهو يؤمل فى وصول البلدان الصناعية فى أوروبا الى الثورة الاجتماعية العالمية عاجلا أو آجلا .

س : هل أنت توافق على البرنامج الاخير للحزب الشيوعي المصري ؟
ج : لا استطيع ان ابدى رأيا في برنامج لم أشتكر في وضعه .
س : الا تعد حركة احتلال المصانع كبدء لتنفيذ الفكرة الشيوعية ؟
ج : يلوح لى ان الحكومة تخلط بين الاضراب مع البناء في محل العمل
ويبين نزاع الملكية لان العمال ان احتلوا المصنع لا يطلبون الاستيلاء عليه ، وهم
يقال بدون سلاح امام اصحاب العمل الاقوياء الذين يستطيعون تجويمهم
وارغامهم على قبول شروط قاسية ، فاذا اتفق ان العمال وقفوا في اماكنهم
داخل المصنع فلانهم رأوا ذلك افضل طريقة لتتمجيل بحل المشكل والوصول
الى اتفاق بينهم وبين اصحاب العمل ؟

س : هل أنت توافق على عمل كهذا ؟
ج : لاجل الاجابة على هذا السؤال بالسلب أو بالاجاب يجب ان
اكون مطلعا على الظروف والاحوال التي تم فيها هذا العمل .
س : ما رأيك مبدئيا في ذلك ؟
ج : لا شك في ان عملا فرديا محدودا كهذا يعتبر غير جائز مبدئيا
فانا أرى ان الفرد ايا كان لا يجوز له ان يكون حكما اجتماعيا والمجموع هو
صاحب الحق في تغيير النظام ، سواء كان ذلك بالطرق المشروعة أو بغيرها
اذا هو اضطر الى غير ذلك .

س : هل ترى ان الاحزاب هو المعرض على الاضراب ؟
ج : ان العمال المصريين محرومون من كل وسيلة للدفاع عن مصالحهم
فهم على استعداد بطبيعة الحال لطلب المساعدة من كل من يظهر عطفه
عليهم .

س : هل تعرف البنود الواحد والعشرين وما بعدها الى تشملها المبادئ
الشيوعية وما رأيك فيها ؟
ج : اعرضها جميعا ولو كنت احد واضعها ربما كنت لا اوافق على
مجموعها ، ولكنى أرى ان التفسير الحرفي لكل بند لا يؤدي الى المنى
المقصود ، ومعانى المبادئ والشرائح جميعا لا تظهر الا عند التطبيق .
ولا اظن ان اللجنة المركزية الدولية ترى ان مصر قابلة للتغيير حتى تدفع
الفرع المصري الى تنفيذ الفكرة الثورية .

ويلوح لى ان البعض يستعمل كلمة ثورة كشبح مخيف ، مع ان هذه
التكلمة تستعمل في جميع العلوم والتواريخ لاغراض علمية وتاريخية ، على
كل حال فان الطريق المتبعة للشيوعية تختلف باختلاف البلدان والجلسات
الاقتصادية والنفسية في كل بلد بالرغم من كون المبدأ واحدا للجميع .
انتهى التحقيق .

الاصرام - ١٩٢٤/٣/٧

بيان من روزنتال ردا على بعض التطبيقات

على شهادته امام النائب العام

وردت في بعض الصحف ملاحظات وتطبيقات تتطرق بتصريحاتي التي فُهِتَ بها امام معالي النائب العمومي عن الحركة الشيوعية في مصر ، وتمتد رأيت ان ذلك يستدعي بعض التصحيح .

اولا : اني لم اكن قط رئيسا للحزب الاشتراكي المصري ، ولكني اشتركت في تاسيسه وكنت احد اعضاء لجنته التنفيذية .

ثانيا : ان الحزب الاشتراكي المصري لم يتحول في الحقيقة الى حزب شيوعي لانه كان منذ تاسيسه حزبا شيوعيا يتسمى بالاسم الاشتراكي ، وقد اعترف بمبادئ الشيوعية وتعاليمها ووافق على خطط الدولية الشيوعية اما تغيير الاسم فقد تم وفقا لطلب اللجنة المركزية للشيوعية الدولية . وكان ذلك شرطا لقبول الحزب في هذه الدولية .

ثالثا : اذا كان لا علاقة لي بالحزب الشيوعي الحالي فذلك ليس ناتجا من تلاشي الحزب الاشتراكي المصري (الذي لم يتلاشى غير اسمه) ولكني ارغمت على ذلك على اثر وشايات ومطاعن وجهها الى بعض المتطرفين على السياسة من الذين دخلوا الحزب وتوصلوا الى فصلى منه فتنجحت حتى لا اوجد انفسنا في وحدة الحزب ولا اظهر كاني اعمل ضد حركة اجتماعية اشاطرها مبادئها .

رابعا : ما كنت ولن اكون ابداً من اولئك الاعضاء ذوى النفوذ (يقصد سلامة موسى والعناني) الذين ينكرون اليوم بمساجحة ما عبدهوا بالأمس فمت كنت ولا زلت ولا ازال حتى آخر نسمة من حيائي شيوعيا كاملا ومخلصا اخلاصا تاما لقضية البروليتاريا .

خامسا : بالرغم مما اظهرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري عن قلة الخبرة وما ارتكبته من الاغلاط فاننا اتضامن معها تضامنا تاما واطالب بتصويب من المسئولية .

الاهرام - ١٢/٣/١٩٢٤

0 -

SAMUEL KARSONN

يهودي روسي مقيم في مصر منذ سنة 1925 وتاجر في مجال الزراعة والصيد البحري
في مدينة الإسكندرية وعمل في شركة الزراعة والصيد البحري في مدينة الإسكندرية
والأشغال العامة في مدينة الإسكندرية

ABRAHAM KATZ

يهودي روسي مقيم في مصر منذ سنة 1925 وتاجر في مجال الزراعة والصيد البحري
في مدينة الإسكندرية وعمل في شركة الزراعة والصيد البحري في مدينة الإسكندرية
والأشغال العامة في مدينة الإسكندرية

HELAL (or HALL) SANDBERG

يهودي بولندي مقيم في مصر منذ سنة 1925 وتاجر في مجال الزراعة والصيد البحري
في مدينة الإسكندرية وعمل في شركة الزراعة والصيد البحري في مدينة الإسكندرية
والأشغال العامة في مدينة الإسكندرية

GREGORY SHKLENDER

يهودي روسي مقيم في مصر منذ سنة 1925 وتاجر في مجال الزراعة والصيد البحري
في مدينة الإسكندرية وعمل في شركة الزراعة والصيد البحري في مدينة الإسكندرية
والأشغال العامة في مدينة الإسكندرية

MOISE WILBUSHEVITZ

يهودي روسي مقيم في مصر منذ سنة 1925 وتاجر في مجال الزراعة والصيد البحري
في مدينة الإسكندرية وعمل في شركة الزراعة والصيد البحري في مدينة الإسكندرية
والأشغال العامة في مدينة الإسكندرية

Technical
Supply Co.
New Market

SAMUEL ZASLAVSKY

يهودي روسي مقيم في مصر منذ سنة 1925 وتاجر في مجال الزراعة والصيد البحري
في مدينة الإسكندرية وعمل في شركة الزراعة والصيد البحري في مدينة الإسكندرية
والأشغال العامة في مدينة الإسكندرية

JOSEPH ROSENTHAL

يهودي يهودي مقيم في مصر منذ سنة 1925 وتاجر في مجال الزراعة والصيد البحري
في مدينة الإسكندرية وعمل في شركة الزراعة والصيد البحري في مدينة الإسكندرية
والأشغال العامة في مدينة الإسكندرية

SAKELLARIS VANNAKAKIS

يوناني يهودي مقيم في مصر منذ سنة 1925 وتاجر في مجال الزراعة والصيد البحري
في مدينة الإسكندرية وعمل في شركة الزراعة والصيد البحري في مدينة الإسكندرية
والأشغال العامة في مدينة الإسكندرية

ALBERT FREUNDLICH

يهودي نمساوي مقيم في مصر منذ سنة 1925 وتاجر في مجال الزراعة والصيد البحري
في مدينة الإسكندرية وعمل في شركة الزراعة والصيد البحري في مدينة الإسكندرية
والأشغال العامة في مدينة الإسكندرية

مدير المخابز في الإسكندرية

Handwritten signature and notes at the bottom of the page.

١٥١٥٨

تقسيم اتهم
مظلم من النيابة العمومية لغرضه قاضي الاحالة بمحكمة اسكندرية الاهلية
في قضية الجنابة رقم ٢٩٢ محرم بك سنة ١٩٢٤

تتبع النيابة العمومية

- (١) محمود حسنى المرادى . عمره ٣٠ سنة تاجسرو ومقيم بالايراهيمه ومحمول بسجين كوم الذكك
- (٢) انطون مارون " ٣٩ " معامى مختلفون مقيم بالبرمل
- (٣) سفوان ابوالفتح " ٢٨ " مدرس " بوالنحو
- (٤) الشحات ابراهيم " ٢٢ " كاتب " باسكندرية
- (٥) عبد الحميد احمد نزه " ٢٢ " " بمحلة ابرعلى
- (٦) مسعود ابراهيم السكرى " ٢٠ " سكرى " بالبلقضية
- (٧) ابرام كانس غير معلوم له محل اقامة بالدولة المصرية الآن
- (٨) هليل زانجج " " " " " "
- (٩) نصمان حافظ " ١٩ " مساعد لبريسى " بالزقازيق
- (١٠) محمد الصنبر " ٢٥ " " " " " " " " " "
- (١١) عبد العفيف عوض " ٢٧ " مدرس " بطنطا

بأتهم اولاً - في الادة من ٢٥ يناير سنة ١٩٢٣ الموافق ٨ جماد ثانى سنة ١٣٤١ و ٢ مارس سنة ١٩٢٤ الموافق ٢٦ رجب سنة ١٣٤٢ بمدينة الاسكندرية

اتفقوا اتفاقاً جنائياً بان اتحدوا مع آخرين غيرهم على ارتكاب الجنایات والجنح وعلى الاعمال المبهمة والسفله لارتكابها الا وهى جنایات القتل المبد ونشر الافكار الثورية الضالمة لمبادئ الدستور المصرى الاساسية وتعميد تشهير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب ووسائل اخرى غير مشروعة المنطبقة على العواد ١٩٤ و ١٩٨ و ١٥١ فقرتهاً من وثائقيه وثالثة من قانون العقوبات وسمح انتهاك حرمة تلك النمر والشرب والجرح والسمي علنا في تكدير السلم الموحى بشخص طائفة العمال وشار الفلاحين على بعض طائفة اصحاب الممل والملاك والتحميش علنا على عدم الانقياد للقوانين وتحشيش العمال على استعمال الوسائل النمر المشروعة في الاعداء على حق اصحاب الاعمال في الممل ولى استخدام وعدم استخدام العمال المنطبقة على العواد من ٢٢٢ الى ٢٢٧ ومن ٢٠٥ الى ٢٠٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥٢ و ١٥٤ و ٢٢٧ (٢) من قانون العقوبات وقد حرضوا على الاتفاق الجنائى المذكور واداروا جميعهم حركه

ثانياً - في الادة من شهر اكتوبر سنة ١٩٢٢ الموافق ربح اول سنة ١٣٤١ و ٢ مارس سنة ١٩٢٤ - الموافق ٢٦ رجب سنة ١٣٤٢ - بمدينة الاسكندرية.

اشتركوا في اتفاق جنائى القرضه ارتكاب جريمة تأليف عصابة من العمال وشار الفلاحين لمهاجمة طائفة من السكان وهى طيقة اصحاب الاعمال والملاك وهذه هى الجنایة المنطبقة على المادة ٨٠ من قانون العقوبات وقد حرضوا على الاتفاق المذكور وتدخلوا في ادارة حركه ثالثاً - في الزمان والمكان المذكورين اتفاقاً

حكم محكمة جنابات الاسكندرية في قضية الشيوعية

فيما يلي حكم محكمة جنابات الاسكندرية في ٦ اكتوبر الماضى في قضية الشيوعية الكبرى . وهو بعد الديباجة :

وحيث أنه تبين للمحكمة وثبت لديها من التحقيقات التى حصلت و هذه القضية وشهادة الذين سمعتمهم بالجلسة ومن الاطلاع على الاوراق والكتب المضبوطة عند المتهمين وفي نقابة اتحاد العمال ان المتهمين اعتنقوا المذهب الشيوعى الذى نجت بذوره في روسيا وسرت عذوه الى كثير من بلاد العالم ، واساس هذا المذهب الثورة على الحكومة وعلى اصحاب رؤوس الاموال وقلب النظام الاجتماعى بالقوة والعمل نحو القروق بين طبقات الناس وجعل للسيادة للعمال . كما يستفاد ذلك صريحا من الكتب التى للمها زعماءه التقدم بعضها في هذه القضية ، مثل مفكرات لينين وكتاب بوخارين وكتاب قانون واوضاع روسيا الشيوعية للدكتور . نيدينا باق . وغيرها ومن الواحد والعشرين شرطا التى اقراها مؤتمر الدولية الثالثة في روسيا واذاعها في النزوع التابعة له للعمل على مقتضاها وان المتهمين لم يكتفوا باعتناق هذا المذهب الضار المبني على الاوهام والخيالات ، وانما الفوا له شعبا في كثير من الجهات ، مثل مصر وخطا وبورسعيد والزقازيق والمطلة الكبرى وشبين الكوم وغيرها ، وكانوا يوزعون شروط الدولية الثالثة السابق ذكرها مطبوعة بين افراد الشعب التى كانت مكلفة ببيت الدعوة الى هذا المذهب بين طبقات العمال وسمروا الى جمع نقابات العمل والقائيف بينها واسسوا لها محلا سموه اتحاد نقابات العمال جعلوا مركزه بمدينة الاسكندرية وعلقوا على جدرانها صور زعماء الثورة الروسية ووضعت لكل شعبة لائحة تجسرى عليها في تنظيم عملها ، واتخذت بعض الدفاتر لتسجيل اعمالها وقراراتها ومحاضر جلساتها وسمى المتهمون خصوصا اولهم ، محمود حسنى العرابى ، في ايجاد صلة بين هذا الحزب وبين المركز الرئيسى للشيوعية في موسكو . وسافروا الى روسيا وطالب بالانضمام الى الدولية الثالثة فقبل طلبه بشرطين . احدهما عزل المسيو روزنتال الذى كان عضوا في الحزب من قبل لما كان مسمى بالحزب الاشتراكى وثانيهما تغيير هذا الاسم باسم الحزب الشيوعى ، وكان يذهب الى المانيا للاجتماع بالشيوعيين هناك وبت الدعوة لمساندة عمال الرور فيها ، ولما عاد من روسيا نشط في بيت الدعوة الشيوعية واخذ يحسن

للناس ارسال اولادهم الى روسيا بحجة تعلم العلوم والصنائع والمبادئ الشيوعية مجانا فانخدع بدعوته بعضهم ، وسافر أربعة من شبان مصر ليتصلموا في هذا المذهب ويعودوا الى بلادهم فيكونوا اعموانا للحولية الثالثة في نشر ضباطها الثورية وكان الحزب الشيوعي المركزي في روسيا يمد هذا الحزب ببعض رجاله وامواله لتقوية الدعوة . كما تفيد اقوال بعض المتهمين في التحقيقات والمكتوب الفرنسي العبارة الذي افضاه محمود حسنى العرابي المتهم الاول باسم اللجنة التنفيذية للحولية الشيوعية الذي ضبط قبل ارساله وقدم للنيابة بتاريخ اول مارس ١٩٢٤ والذي بين فيه اعمال الحزب وجهوده وسوء حالته من الوجهة المالية وطلب مده بالمال والرفقاء فقال صريحا ما ترجمته : ايها الرفقاء والقادة وحراس الثورة العالمية انكم تعلمون العمل الذي ستتوم به مصر في هذه الثورة وتعلمون للحالة النفسية للشرقيين ، وقد بينا لكم حالة الحزب في مكاتباتنا السابقة كما وصفناها في هذا المكتوب فاعينوه وارسلوا اليه المال والرفقاء الاكفاء فبتلك تؤدون خدمة كبرى الى الثورة العالمية .

وحيث انه قد بلغ من تعلق المتهمين بالمذهب الشيوعي واشراب نفوسهم حبه انهم ارسلوا تعزية في الزعيم لينين حين وفاته المركز الرئيسي في موسكو واتخذوا يجندون الشيوعية في قرارات شعبهم وخطب الخطباء معهم واتخذوا اليوم الاول من شهر مايو من كل سنة عيدا للعمال يستريحون فيه من العمل تذكارا لنهضتهم .

وحيث ان مقتضى الواحد وعشرين شرطا التي وضعتها الدولية الثالثة وجعلتها برنامجا لها وجميع شعبها ومعها الحزب الشيوعي المصري الذي يدين بها التزام كل شيوعي ببث الدعوة الشيوعية بجميع الوسائل الممكنة ومقاطعة الاشتراكيين المعتدلين الذين مبدؤهم تحسين حالة العمل بالوسائل المشروعة واعتبارهم اعداء للثورة ومحاربتهم بكل ما في الوسع وصيغ الدعوة والتهديج اليوميين بصيغة شيوعية والرقابة العامة على الصحف المتخذة لنشر الدعوة ووجوب اقامة نظام سرى شيوعي بجانب النظام العلنى الشيوعي يكون قادرا في الساعة الحاسمة على ان يقوم بواجبه نحو الثورة ، وبث روح التهذيج بين الجيوش ، وان هذا التهذيج ضرورى لنشر الدعوة وانه لا يبد من استمالة الفلاحين المستعدين في الفقر الى الدعوة والاستعانة بهم ، وانه لا بد من القيام بعمل حاسم ونهائى ضد الاحزاب المعتدلة وبث هذه الفكرة بين اعضاء جميع الهيئات وان العمل الشيوعي الذي يتبع ذلك لا يمكن تنفيذه الا بدفع هذا الثمن وان الدولية الشيوعية تحتم بطريقة قاطعة وبدون مناقشة ذلك العمل الذي يجب تنفيذه باسرع ما يمكن وان كل حزب يريد الانضمام الى الدولية الشيوعية يجب

عليه ان يواصل اذاعة دعوتها بين النقابات وهيئات التعاون وطبقات
جميع العمال وان ينفى نواة شيوعية ليكون عملها مؤثرا في انضمام
النقابات الى الشيوعية وتنتمى من تريده انابتهم عنهما في البرلمان من
العناصر غير المشكوك فيها وان تطلب من كل مندوب شيوعي ان يضح جميع
مجهوداته في مصلحة الدعوة الثورية والتهيينج وان على هذه الاحزاب ان تبني
على مبدأ المركزية الديمقراطية حتى اذا استتعت حرب اعلية استطاع الحزب
الشيوعي ان يقوم بواجبه اذا نظم نظاما جديا يماثل انشظام العسكري
وزود بقوات واسمة يتمكن منها من بنسط نفوذه من غير مقارومة ولا يكون
ذلك الا اذا تمتع بثقة الحارين الاجتماعية ، وان من الواجب على الاحزاب
التي تريد الانضمام الى هذه الدولية ان تؤيد الجمهوريات السوفيتية في
قيامها بحرب ضد الثورة الرجعية بلا قيد ولا شرط ، وأن تفهم العمان
بالاستمرار على وجوب رفض نقل الذخائر والمعدات لاعدا، هذه الجمهوريات
•• وان على الاحزاب التي تحتفظ ببرامج الاشتراكيين الديمقراطيين القديمة
ان تنقحها بلا تاخير وقضغ لكل منها برنامجا شيوعيا جديدا موافقا
لاحوال بلده الخاصة ومفرغا في روح الدولية الشيوعية ويجب ان تكون
جميع برامج الاحزاب مطابقة لبرنامج الدولية الشيوعية وان جميع
القرارات التي تصدرها مؤتمرات الدولية الشيوعية وقرارات لجانها التنفيذية
ملزمة لجميع الاحزاب المنضمة اليها وان على كل حزب ان يغير اسمه
فيجعله « الحزب الشيوعي لجهة كذا » وان المنضمين الى الحزب الفين
يرفضون الشروط والموضوعات التي قررتها الدولية الشيوعية يجب اخراجهم
من الحزب .

وحيث انه تنفيذيا لهذه الشروط التي يدين بها المتهمون قد وضعوا
لحزبهم برنامجا سموه برنامجا للحزب الشيوعي المصري وطبوه معها
في كراسة ونشروه بين العمال كما ذكرنا آنفا وفي احدى الجرائد الكثيرة
الانتشار في مصر وهي جريدة الأهرام .

وحيث انهم ابتدأوا هذا البرنامج بأمر تقمطش ألى كثير منها نفس
كل مصري وتود تحقيقها ليحمله نافذا للعقول وهي العمل على تحرير مصر
والسودان تحريرا تاما خاليا من كل شائبة وربط الشعبين أخدهما بالآخر
لينتقما معا ويتمكنا من استثمار ثروتها الطبيعية وقمميم ثغرها في
البلدين ويتعاونتا على بن الغارة على مهنضميها سواء كانوا وطنيين أم
اجانب ، وذلك بواسطة الصراع الدائم وتنظيم جبهة متحدة من العناصر
الاشد تطرفا والوثوق بها في الحركة الوطنية مع احتفاظ الحزب
الشيوعي بشعاره ومبادئه وجعل قناه السويس مرفضا اعليا وانما
الدين القومي الذي تستعمله القوة الاستعمارية لاستبعاد الشعب المصري

استعداداً اقتصادياً والغاء الامتيازات الاجنبية والمطالبة بحرية الاجتماعات
والمطبوعات والخطابة والافراج عن المسجونين السياسيين ، ثم اتبعوا ذلك
بامور هي مقتضى ما تدعو اليه الدولية الثالثة في برنامجها ، وهي العمل بين
نقابات العمال السياسية التي غير ذلك مما هو في مصلحة العمال واحقوا
بهذا البرنامج آخر سموه برنامج الفلاحين اتوا في مقدمته بما يولد الشحنة
والبغضاء في قلوب الفلاحين على أصحاب الاملاك وصموا له من القواعد
ما يخلب اليابهم ويحسن لهم الثورة . مثل الغاء نظام ملكية العزب
والغاء ديون الفلاحين الذين يملكون أقل من ثلاثين فدانا واعفاء من
يملكون منها أقل من عشرة امدنة من الضرائب الاميرية ومصادرة جميع
الاراضي الملوكة للأفراد التي تزيد عن مائة فدان بدون تعويض وتوزيع
ما يزيد منها على الفلاحين الذين لا ملك لهم واستعماله لتدشين مزارع
الشعب وتنظيم مجالس سوفيتية لفقراء الفلاحين حتى اذا سحقت الغرض
امكن استنهاضهم أو حجز الارض لتفويتهم الخاصة :

وحيث أنهم عملوا لتنفيذ هذا البرنامج بإعداد النفوس له ، وذلك
بالتدخل بين طبقات العمال وتفهمهم أنهم هم أصحاب الثمن في البلد ،
وهم الذين يجب أن تكون لهم السيادة على من عداهم من الطبقات وانهم
مغبونون- في حقوقهم مهضومون في اجور اعمالهم ، وان اصحاب الاعمال
يظلمونهم ويتسبون عليهم حتى أوجسدهم عليهم وشارت ثائرتهم
فاضربوا عن اعمالهم في كثير من الشركات كشركات الايجولين وكفر الزييات
والغزل. وأبى شنب وظهروا في هذا الاضراب بمظهر بغى وعدوان لم يعهد
فيهم من قبل وذلك بعدم اقتصارهم على الكف عن العمل ، بل تعدوا ذلك
الى احتلال المعامل ووقف حركتها والحيولة بين اصحابها وبينها حتى
لا يتمكنوا من تشغيلها بواسطة عمال آخرين ، ومقاومة بعضهم لرجال
الشرطة بالقوة ، وعدم خروج البعض الاخر منها ، لا بعد اذارهم من جهة
الحكومة باستعمال قوة السلاح ، وكان الذي يدير حركة هذا الاضراب
ويحرض عليه في بعض الشركات بعض المتهمين بمواقفة الاخرين لتضامنهم في
البدء وكان اظهرهم تحريضا هو انطون مارون ولشحات ابراهيم وابرام
كاتس وهليل زانبرج وكان العمال في اثنائه يقبضون على قطع من حديد
المعامل ويهددون بها من يناوئهم ويقولون لبعض رجال الشرطة ان هذه
المعامل ملك لنا ونحن احق بها من اصحابها ، وهذه ولا شك نزعة شيوعية
لقتها لهم المتهمون في تعاليمهم وفاضت بها نفوسهم على المستنهم كما
يستفاد ذلك من المكتوبات التي ضبطت عند بعض المتهمين خصوصا ابرام
كاتس المتهم السابق وقرارات لجنة اتحاد العمال المسجلة في دفتر محاضر
جلساتها ومن شهادة بعض الشهود من رجال الشرطة بان انطون مارون
المتهم الثاني كان يحرض العمال امامهم ويسوى لهم حالتهم .

وحيث أن المتهمين استثمروا على العمل لنشر الدعوة وجمع صفوف العمال على مقتضى برنامجهم وفقا لشروط الدولية الثالثة السابق تلخيصها في اواخر فبراير ١٩٢٤ اذ كانوا على وشك عقد مؤتمر عام لاتحاد النقابات اتخذوا له المصداق وبثوا الدعوة اليه بين افراد وشعب الحزب لاتقرار برنامجهم أو تعديله ولكن الحكومة منعت عقد هذا المؤتمر .

وحيث أنه يتبين من قرارات الحزب واتحاد نقابات العمال ان المتهمين كانوا يحذون في أعمالهم كلها نحو الدولية الشيوعية الثالثة وينفذون مقاصدها وكانوا جادين في الدعوة الى مبادئها الى حد أنهم كانوا ينشرون بعض الكتب والرسائل الموضوعية في هذا المذهب مترجمة وغير مترجمة وان المتهم الأول محمود حسنى العرابى ترجم الى العربية كتاب بوخارين احد زعماء الحركة الشيوعية . وكان يوزع الاشتراك على أفراد الشعب وان المتهم الثالث صفوان أبو الفتح وهو مدرس في احدى المدارس كان يملئ على تلاميذه بعض الامالى ، الموضوعات ، التى يجذب فيها الشيوعية وان المتهم الحادى عشر عبد الحفيظ عوض كان يطرئ الشيوعية على ملا من طلاب المعهد الدينى الاحمدى في طنطا وفي منزل احد رجبائها ويزعم انها موافقة للدين الاسلامى مع انها تغايره كل المغايرة ، بل تنكر الأديان عامة كما يستفاد ذلك من أقوال احد زعمائها المدعو بوخارين في كتابه (ا . ب . ت) عن الشيوعية . فقد قال في الصفحة نمرة ٢٤٦ من هذا الكتاب ما ترجمته تحت عنوان : لماذا يتنافى الدين والشيوعية ، قال كارل ماركس ، الدين هو أفيون الشعب ، فمن واجب الحزب الشيوعى أن يفهم هذه الحقيقة احط جماهير الشعب العامل وان يبت في نفوس الجماهير العاملة حتى اشدها تأخرا هذه الحقيقة ، وهي ان الدين كان ولا يزال آلة من أقوى الآلات في ايدى الظالمين لابقاء التفاوت بين الطبقات واستغلال العمال وضمان طاعتهم وأن بعض متوسطى الادراك من الشيوعيين يستدلون على صحة الدين بأنه لا يمنه من أن يكون شيوعيا فيمكن أن يعتقد بالله وبالشيوعية وايمانه بالله لا يمنه من أن يقاتل لنصرة ثورة العمال ، ومثل هذا الاستدلال معيب من أساسه لان الدين والشيوعية لا يتفقان لا من الوجهة النظرية ولا من الوجهة العملية .

وحيث أنه مما يدل أيضا على أن المتهمين كانوا ينفذون سنن الدولية الشيوعية الثالثة وينفذون تعاليمها كما جاء في الخطاب المنسوح الذى أرسلوه الى دولة رئيس الحكومة المصرية بعد ان طبعوه ونشروه من طلبهم الاعتراف بنقابات العمال والعمال وحققها في الدفاع عن حقوقهم اقتصاديا

واجتماعيا وسياسيا وانشاء مكاتب لاحصاء العمال العاطلين وتكليف لجان
الوقند المركزية في كل انحاء القطر ان يقوموا بتنظيم فقراء الفلاحين في
نقابات ترفع مستواهم اسوة باخوانهم في انحاء العالم واييجاد صلة
بين هذه النقابات ونقابات العمال حتى يمكن حشد القوى المصرية
كلما تطلبت الحاجة والاعتراف بحكومة السوفييت اسوة بالامم المتقدمة .

وحيث ان المتهمين قد وصلوا بالاثابة على نشر دعوتهم دون تعرض
احد لهم الى ان دخل في حزبهم ما يزيد على الف وخمسمائة عضو ، وذلك
لان مبادئه تستهوى النفوس الساذجة الجاهلة غير البصيرة بعواقب الامور
بما يملئها من الاماني الكاذبة ، ولو ان من انضموا اليه كانوا من ذوي
العقل والبصيرة لانكروه اشد الانكار لانه مفاير لتقتضى الفطرة التي
قضت بان يكون الناس متناوتين في الادراك والمواعب ، وانه من الظلم
والبغى بغير الحق ان تكون ثمار العقول الكبيرة ونتاج الافكار الصحيحة
ملكا لغير اطها وليس من السهل على عاقل ان يسلم بان واضع هذا
المذهب يعتقدون صحته عن سلامة قلب وحسن طوية ، والاشبه بالحق ان
تكون النزعة الشيعوية حجابا لستر ما وراءه من غرض سياسي كبير لطائفة
من الناس وهم الذين اثاروا هذه الثورة في روسيا وراوا ان احسن وسيلة
لايدراك غرضهم هي التظاهر بالرحمة على اليوساء عن العمال والفلاحين
والرثاء لحالهم والقاء العداوة والبغضاء بينهم وبين الحكومات واصحاب
الاملاك وتاليبيهم عليهم بحجة ان النظام الاجتماعي الحالي فيه قسوة وظلم
على طائفة العمال وخصهم على الذورة للتخلص منه وسلب اموال الأغنياء
وتوزيعها بينهم كما حصل في روسيا حتى اذ كان لذهبيهم العمال في كس
قطر وضعوا انظمتهم واظهروا مكنون غرضهم واصبحوا اشد الناس
ظلما وقسوة .

وحيث انه يتعين من جميع ما تقدم ان المتهمين في المدة التي مضت
بين ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤١ (٢٥ يناير ١٩٢٣) وبين ٢١ رجب سنة
١٣٤٢ (٢ مارس سنة ١٩٢٤) بمدينة الاسكندرية :

اولا - اتفقوا اتفاقا جنائيا بان اتحدوا مع آخرين غيرهم وهم اعضاء
الجولية الثالثة الشيوعية بروسيا كما يؤخذ ذلك من انضمامهم اليهم على
تحبيذ تغيير النظم الاساسية لهيئة الاجتماعية في مصر بالقوة والارهاب
ووسائل اخرى غير مشروعة .

ثالثا - اتهم في المدة التي مضت بين ٢ صفر ١٣٤٢ (١٣ سبتمبر
١٩٢٣) وبين ٢٣ رجب سنة ١٣٤٢ (٢ مارس ١٩٢٤) بالاسكندرية وطلبا
والزقازيق وبور سعيد وشبين الكوم وبلاد اخرى في المملكة انصرية نشرأ

أفكارا ثورية مغايرة للمبادئ الأساسية لدستور الدولة المصرية حسبوا فيها تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية في البلاد المصرية بالقوة والارهاب وذلك عنما بتوزيع نشرات مطبوعة وغير مطبوعة والقضاء مقالات في بعض المخاضل العمومية وباشهار صور لزعماء الحزب الشيوعي الروسي وهذه النشرات والمقالات تحوى امورا وافكارا تخالف مبادئ الدستور الاساسية للهيئة الاجتماعية ، مثل الغاء نظام الكيكية الفردية المقرر في دستور الدولة ونزع ملك الغير بغير الطرق المشروعة واستبداله بالنظام الشيوعي بالثورة والقوة والارهاب .

ثالثا - انهم في المدة التي مضت بين ربيع الاول ١٣٤١ (اكتوبر ١٩٢٢) وبين ٢٦ رجب سنة ١٣٤٢ (٢ مارس ١٩٢٤) بمدينة الاسكندرية قاموا متفقين على تحريض عمال شركات زيت الايجولين والغزل وكفر الزيات وابنى شنب على ارتكاب جريمة استعمال القوة والارهاب والتهديد والتدابير غير المشروعة والاعتداء على حرية اصحاب الاعمال المذكورة في استيخاطم غيرهم من العمال ، وذلك باغرائهم عمال هذه الشركات على اختلال معاملها التي يشتغلون فيها بالقوة وتهديد اصحابها اذا لم يذعنوا لطلباتهم واذا استخدموا غيرهم او فصلوا احدا منهم من العمل .

وحيث ان عقاب جميع المتهمين على هذه التهم الثلاث ينطبق على نص المواد ٤٢ مكررة والفقرتين الثانية والثالثة من المادة ١٥١ من قانون العقوبات المعدلة بالقانون نمرة ٣٧ لسنة ١٩٢٣ والمادة ٣٢٧ المكررة المضافة الى قانون العقوبات بالقانون المذكور .

وحيث ان باقى المواد التي طلبت النيابة تطبيقها ضد المتهمين المذكورين لا ترى المحكمة محلا لها لان ما وقع من المتهمين بالفعل يدخل تحت نص المواد سالفة الذكر .

وحيث ان التهم التي رأت المحكمة ، ادانة المتهمين بها مرتبط بعضها ببعض لانها كلها ترمى الى غرض واحد ، وهو قلب النظام الاجتماعى بالقوة وتجديله باخر شيوعى فيتميم ماسماتهم بالسادة ٣٢ من قانون العقوبات .

وحيث ان دفاع المتهمين يتلخص في هذه المسائل وهي :

اولا - ان السلطة العسكرية سبق لها ان غتشت محل الحزب الشيوعى

ألمصرى واخذت ما فيه من الاوراق واطلعت عليها وبرات اثنين منهم وادانت
الآخرين بتهمة اخرى .

ثانيا - انتم لم يتفقوا جنائيا على الجرائم المذكورة في التهم المسندة
اليهم ، وانما كان غرضهم مساعدة العمال على نيل حقوقهم ورفع الظلم عنهم
ورفع مستواهم الى الدرجة اللائقة بهم في المجتمع الانساني . وان الاتفاق
الجنائى مشروط بان يكون على تنفيذ الجرائم لا على مجرد الدعوة اليها
وبالاستمرار عليه وتعيين الجرائم المتفق على ارتكابها . والحزب لم يستمر
في عمله لان بعض اعضائه كانوا محبوسين ، وكل ما عمله البعض الآخر
انما هو نشر المنشورات .

ثالثا - انتم لم يجمعوا على الواحد والعشرين شرطا التي وضعتها
اندولية الثالثة ، بل وضعوا لانفسهم برنامجا خاصا وما جاء فيه من الفناء
نظام العزب ومصادرة ما زاد عن المائة فدان ليس فيه ما يدل على ان ذلك
يكون باستعمال القوة ، بل ان غرضهم الوصول اليه عن طريق التشريع
على ان التعرض لحق الملكية واخذ الاملاك من اربابها حصل له نظير
في مصر من قبل في زمن سيدنا عمرو بن العاص الذي صادر الاطيان من
اصحابها وجعلها خراجية ، وفي زمن محمد على باشا خديو مصر الاسبق وفي
عهد اسماعيل باشا ، وعلى ان المراد بالثورة في عرف الشيوعيين انما هو
الثورة الفكرية وان قلب النظام ليس من الضروري ان يكون بالقوة بل
قد يحصل بغيرها بعد اعداد النفوس له .

رابعا - ان شروط علانية النشر المذكورة بالمادة ١٤٨ عقوبات لم تتوفر
لانهم ما كانوا ينشرون مبادئهم الا بين اعضاء الحزب وبطريقة سرية .

خامسا - ان القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ المظلوم عمالية المتهمين
بمقتضى المادة ١٥١ منه مغايرة لحرية الفكر التي هي من المبادئ الاساسية
للدستور ، وبذلك يكون معارضا له وكان يجب عرضه على البرلمان قبيل
اصداره وانه نص في الدستور على انه يعمل به من تاريخ انعقاد البرلمان
وعلى ذلك لا يصح تطبيقه على المتهمين .

وحيث ان هذا الدفاع في غير محله :

اما اولا - فان المتهمين لم يقدموا للمحكمة اى دليل على سيق محاكمتهم
على ما هم محاكمون من اجله اليوم وتبرئتهم منه . بل التابيت من الاوراق

أن القهمة التي كانت موجهة الى بعضهم امام الحكمة العسكرية ، انما هي تهمة المضامرة .

اما ثانياً - فان الاقتساق الجنائى وقع منهم فعلا على تحبيذ قلب نظام الهيئة الاجتماعية المصرية بالقوة والتهديد والوسائل الاخرى غير المشروعة كما يدل انضمامهم الى الحزب الشيوعى الروسى الذى مبعوذه الاساسى قلب نظام الحكومات وهدم ارباب الاموال بالثورة والقوة بعد الاستعداد لذلك بتكوين نقابات للعمال وضم هذه النقابات فى عروة اتحاد واحد لايجاد القوة الكافية للثورة ، وذلك يستفاد صريحا من الواحد والعشرين شرطا السابق تليخيصها ومن عمل الشيوعيين فى الحكومة القيصرية بروسيا ، وتحبيذهم لقلب نظام الهيئة الاجتماعية هو جريمة مهيئة جاء ذكرها فى الفقرة الثانية من المادة ١٥١ من قانون العقوبات للسالف ذكرها . وقد استمروا على الاتفاق حتى وقت ضبطهم بنشر الدعوة الى مبادئ حزبهم وانكارهم على الحكومة ضبط بعضهم وضبط اوراقهم .

واما ثالثا : فان برنامجهم الذى نشره فى بعض الجرائد وطبعوه فى كراسة ووزعوه على اعضاء الحزب هو مستمد من شروط الدولية الثالثة التي لا يمكنهم ان يحددوا عنها ويتفق معها فى المبادئ والمقاصد ، وحيث انه لا يمكن ان يكون غرضهم الوصول الى ما قرروه فى هذا البرنامج عن طريق القانون لان هذا يكون منافيا تمام المنافاة للمبادئ الثورية التي وضعتها الدولية الشيوعية الثالثة والتي هم مطالبون بالاستمسك بها ومعاداة من يعمل على نقيضها ولا معنى لتفسير كلمة ثورة التي لاكتها السنتمهم وجرت بها اقلامهم فى كثير مما قالوا وكتبوا بالثورة الفكرية لان اقوال زعماء الحزب الشيوعى واعمالهم تنل على خلاف ذلك وان المراد بالثورة ، انما هو الثورة الفعلية التي انسأسها القوة المادية ولا معنى كذلك للمقارنة بين ما يرمى اليه المتهمون من الفناء الملكية الفردية وبين اعمال بعض ولاة مصر السابقين لان سيدنا عمرو بن العاص دخل مصر فاتحاً بجيشه وسلاحه فتشعبهم ما يطمحون اليه بعمله هو حجة عليهم فى انهم يريدون بالثورة اغتصاب الاطيان من اربابها بالقوة على ان هناك فرقا بين عمل ذلك الفاتح العظيم وبين ما عمله الشيوعيون فى روسيا وما يطمح المتهمون الى ان يحصل نظيره فى مصر فان ذلك الفاتح ترك الاطيان للناس يزرعونها بكل حرية واختيار ويحصلون على ثمراتها فى مقابل دفع خراجها . واما الشيوعيون فى روسيا فانهم انتزعوها قهرا من اربابها وصبروا غلتها الى الحكومة توزعها كيف تشاء .

واما فى عهدى محمد على باشا واسماعيل باشا فالنظام الذى حدث فيها كان مبنيا على طرق مشروعة تناسب ذلك الوقت :

وأما رابعاً - فلأن المتهمين لم يكتفوا في سبيل نشر دعوتهم إلى الشيوعية بالانفشاء بها سرا ، بل قد جهروا بها ونشروا برنامجهم في إحدى الصحف السيارة وطبعوه مع شروط الدولية الثالثة في كراسة وكانوا يوزعونها علناً حتى علم فوق ألف وخمسمائة عضو بها ونشروا بعض هذه المبادئ في المكتوب المفتوح الذي وجه إلى دولة رئيس الحكومة المصرية الذي طبع ونشر ، وكان أحدهم يحدد هذه المبادئ الشيوعية في محفل وجد في بيت من شأنه أن يجتمع فيه كثير من الناس لكثرة صاحبه وكونه زعيماً من زعماء الحركة الوطنية وكان آخر يملأ على تلاميذه أمالي «موضوعات» في تحييد الشيوعية وهذا كله كاف في توافر شروط العلانية .

أما خامساً - فلأن القانون رقم لسنة ١٩٢٣ المعدل للمادة ٥٩ من قانون العقوبات قد صدر من الجهة التي لها ولاية التشريع وقت صدوره ولم يأت نص في الدستور مانع لتنفيذه أو معلق له إلى الوقت الذي ينظره فيه البرلمان فأحكامه لا يمكن تعطيلها إلا بقانون آخر ينسخها وما دامت موجودة فلا بد من تطبيقها على المتهمين .

وحيث أن المتهمين محمود حسني العرابي وأنطون مارون وصفوان أبو الفتوح والشحات إبراهيم وإبرام كاتس وهليل زانبرج هم زعماء هذا الحزب وأشدهم تحمساً للشيوعية وأكثرهم نشاطاً في بث دعوتها وهم بذلك أعظم خطراً لثقتين التمييز بينهم وبين باقي المتهمين في العقوبة وتدعو إلى معاقبتهم بمقتضى المادة ١٧ من قانون العقوبات .

وحيث أن إجراءات الغياب قد اتخذت في حق المتهمين إبراهيم كاتس وهليل زانبرج حسب القانون فيصح الحكم عليهما غيابياً .

فلهذه الأسباب وبعد الاطلاع على ألواد سألقة الذكر .

حكمت المحكمة :

أولاً : بمعاقبة كل من محمود حسني العرابي وأنطون مارون وصفوان أبو الفتوح والشحات إبراهيم وإبرام كاتس وهليل زانبرج بالسجن ثلاث سنوات .

وثانياً : بمعاقبة كل من عبد الحميد أحمد ترة ومحمود إبراهيم السمكري وشعبان حافظ ومحمد الصغير وعبد الحفيظ عوض بالحبس مع الشغل لمدة ستة شهور .

(الأهرام : ١٠/٧/١٩٢٤)

مراجع غربية ومترجمة

- أحمد بهاء الدين
أحمد رشاد
أنور الجندي
إسماعيل مظهر
أمين عز الدين
أمين عز الدين
توفيق دياب
جوستاف لوبون
جوستاف لوبون
جوستاف لوبون
جوستاف لوبون
حسين فوزي للنجار
حسين نافع
خليل بك سعاده
رامزي مالكوفناك
رشدي صالح
زفعت السعيد
روزنشتين
رؤوف عباس
زكي فهمي
سليمان محمد النخيلي
(دكتور)
سامي الكيالي
سلامة موسى
سلامة موسى
سلامة موسى
سلامة موسى
سلامة موسى
شهدى عطية المشاقم
صباحي وحيدة
طاهر الطناحي
- إنعام لها تاريخ
مصطفى كامل حياته وكماحه
عبد الميز جويش
مذهب النسوة والارتقاء
تاريخ للطبقة للامة منذ نساتها حتى ١٩١٩
المصوري = سيره منشف ثوري
المحسنة
زوج الاشتراكية ترجمة عادل زعيتر
روح الثورات ترجمة عادل زعيتر
روح للسياسة ترجمة عادل زعيتر
سر تطور الامم ترجمة فتحي زغلول
أحمد لطفي السيد
خلاصة الاقتصاد وثبذة من التاريخ الاقتصادي
اسرار الثورة الروسية
الحركة الاشتراكية ترجمة محمود حسني المرابي
كروفر في مصر
الاساس الاجتماعي للثورة المرابية
دمار مصر ترجمة علي شمكري
الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ - ١٩٥٢
صفوة مصر في تاريخ ورسوم مشاهير
رجال مصر
الحركة العمالية في مصر وموقف الصحافة
والسلطات المصرية منها ١٨٨٢ - ١٩٥٢
ولي الدين يگن
مقدمة السوبرمان
الاشتراكية
تربية سلامة موسى
مختارات سلامة موسى
جيوبنا وجيوب الاجانب
تطور الحركة الوطنية المصرية
مارس ١٩١٩ الدامي والفلاحون
خليل مطران

الفصل
أضواء على النشاط الشيوعي في مصر
١٩٦١ - ١٩٥٠

مطالعات في الكتب والحياة
تطور الحركة الوطنية في مصر
تاريخ الحركة النقابية ١٨٩٩ - ١٩٥٢
مذكراتي
محمد مرشد
سيرة مصطفى كامل
نقابات التعاون الزراعية
شئون مصرية
الديمقراطية
في الأدب الحديث
تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية
في مصر

الضناخك الباكى
دراسات في تاريخ مصر السياسي
تاريخ تكوين الصحف المصرية
جذور الاشتراكية
دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩
تاريخ المؤتمرات السياسية
تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة
الشدائي الأول
السياسة المصرية والانتقال الدستوري
ترام للقاهرة
مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية
المسألة المصرية والوفد
٨٩ شهرا في المنفى
خبايا سياسية
سلامة موسى الفكر والائتمان
تاريخ المذاهب الاشتراكية
الاشتراكية
علم الاجتماع
من ألف عام من الزمان
الاتحاد السوفييتي والشرق الأوسط

عباس محمود العقاد
عبد الوهاب بكر (كتور)

عباس محمود العقاد
عبد العظيم محمد رمضان
عبد المنعم الخزالي
عبد الرحمن الرافعي
عبد الرحمن الرافعي
على فهمي كامل
عبد الرحمن الرافعي
عزيز خانكي
عزيز مبرهم
عمر الحسوقي
غورست وكشغور

نكري لياقطة
فوزي جرجس
قسطنكي لياس عطارة
كامل ابو جابر
محمد انيس
محمد عبد الله عخان
محمد عبد الله عخان
محمد علي غريب
محمد حسين ميكل وآخريين
محمد سيد كيلاضي
محمد صبيح
محمود ابو الفتاح
محمود حسني الجرامي
محمود عزمي
محمود الشرقاوي
مصطفى حسنين التصوري
نقولا حداد
نقولا حداد
نيكولاي كوتساروف
والقر لاكور

الى الاستقلال ، مصر وانجلترا
المعلوم والمجهول
التجارب
الصحائف السنوية
عبر خاطر

وجه لامبلان
ولى الدين يكن
ولى الدين يكن
ولى الدين يكن
ولى الدين يكن

وثائق وأبحاث وتقارير غير منشورة

- محفوظات دار الوثائق المصرية
- وثائق وزارة الداخلية المصرية - اداة الامن العام - مودعة بالارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية
- عبد الرحمن فضل مقدمة لتاريخ الحركة العمالية في مصر (مخطوط)
- مارسيل اسرائيل تقرير حول تاريخ الحركة الاشتراكية المصرية

مراجع اجنبية

- A.E. Crouchly — The investment of Foreign Capital in Egyptian Companies and Public debt.
- Charles Issawi — The Economic History of the Middle East.
- Jane De Gras (ed.) — The Communist international ' 1919-1943.
- Mona Hamman — women workers and the practice of Freedom as education — The Egyptian Experience.
- Selma Botman — The Rise and Experience of Egyptian Communism
- Suliman Bashir — Communism in the Arab East 1918-1928.
- Roger Owen — Lord Crommer and the development of Egyptian industry 1882-1907
- Roger Owen — The Middle East and the world Economy
- Dr. L. RATHMAN : Some remarks on the stay in Germany of Mustafa Kamel and Muhamed Farid.
- N. Papanidoti — Petit Resumé du mouvement politique Grec en Egypt.
- GABRIEL BEAR — A History of Landownership in Modern Egypt.
- EDI — La Fortune immobilière de l'Egypte et sa dette hypothécaire
- Lord LLOYD — Egypt since Crommer.
- J. A. AHMED — The Intellectual Orgins of Egyptian Nationalism.
- JACQUES BERQUE — L'Egypte Impérialisme et Révolution.
- WALTER Z. LAQUER — Communism and Nationalism in the Middle East.
- Oeuvres du Congrès National Egyptien tenu à Bruxelles, 1910.
- VALLET — Contribution à l'étude de la condition des ouvriers de la grand industrie au Caire.

« صحف ودوريات »

الاتحاد
اتحاد العمال
العمال
المؤيد
مقالات قصر الدوازة (مختارات من المؤيد)
للواء
العلم
ليقن دار
الأهرام
الجريدة
الأمالى
الأخبار
الأخبار
الهلال
المقطف
البلاغ
مجلة مجمع اللغة العربية
كل شيء والذخيرة
المجلة الجديدة
الطليعة
السياسة الأسبوعية
الأمم
المصور
المؤيد
المقطم

مجموعات عام ١٩٠٧ حتى ١٩٢٥

(جريدة للحزب الوطنى)

مجموعة ١٩٦٢

- International Press Correspondence. 1923-1928
- The Labour Monthly. 1925
- Le Phare d'Alexandrie
- L'impazzial

فهرست الجزء الأول

القسم الأول :

- ١٣ مصر في مطلع القرن العشرين
١٥ التجمعات الطبقية والقوى الاجتماعية المختلفة
٤٧ الحركة وسط الفلاحين
٥٥ الفضال النقابي والسياسي للطبقة العاملة
٧١ المثقفون .. طريقان تؤدي اليهما الليبرالية

القسم الثاني :

- ٨٧ المناهج الفكرية للعمل الاشتراكي
٩١ الفابية
١١١ اشتراكية الدولية الثانية
١٣٩ الماركسية

القسم الثالث :

- ١٧٥ من الفكر المجرد الى العمل الحزبي
١٧٧ الخلايا الاشتراكية في مطلع القرن العشرين
٢١١ اعلان الحزب الاشتراكي
٢٣١ الاشتراكية المصرية من الدفاع الى الهجوم المضاد
٢٥٣ المؤتمر الأول للحزب .. الانضمام للكونغرس
٢٦٣ المؤتمر الثاني .. تغيير اسم الحزب
٢٧٣ موجه من النشاط العام
٢٩٥ ثم بدأت المطاردة

القسم الرابع :

- ٢٠٥ الملاحق
٢٥١ المراجع

الجزء الثاني

اليسار المصري

١٩٢٥ - ١٩٤٠

الطبعة الاولى - دار الطليعة - بيروت

١٩٧٢

الطبعة الثانية - دار الطليعة - بيروت

١٩٧٣

Handwritten text, possibly a title or header, appearing as a faint, dark smudge in the center of the page.

Handwritten text, possibly a date or a short phrase, appearing as a faint, dark smudge below the first line.

Handwritten text, possibly a signature or a name, appearing as a faint, dark smudge in the lower middle section.

Handwritten text, possibly a signature or a name, appearing as a faint, dark smudge in the lower middle section.

Handwritten text, possibly a number or a small mark, appearing as a faint, dark smudge at the bottom right.

الى .. ابي وامى

والله اعلم
بما
يريد
والله اعلم
بما
يريد

بسم الله الرحمن الرحيم

ان اجيالا متعاقبة من شباب مصر قرأت
تاريخها الوطني على غير حقيقته • وصور
لها الأبطال في تاريخها تائهين وراء سحب
من الشك والغموض ، بينما وضعت حالات
التمجيد والاكبار من حول الذين خانوا
كفاحها ...

جمال عبد الناصر (الميثاق)

ليست مقحمة . . .

نعم فالمقحمة - إن صح استخدام هذا التعبير - قد استغرقت عدة مئات من الصفحات هي الجزء الأول من هذه الدراسة :

لكننا نعرف أن الرواية لم تنتم فصولها بعد ، لا بالنسبة للقارىء ولا للكاتب فثمة فصول هامة يجب أن تكتب . وإذا كان المؤرخون البرجوازيون قد نجحوا إلى حد ما في طمس كثير من معالم تاريخ الحركة الشيوعية في العشرينيات ، فإنهم قد نجحوا إلى حد كبير في طمس كل معالم تاريخ هذه للحركة في الثلاثينيات .

والذين كانوا يشكون من قلة المعلومات عن نشاط الاشتراكيين المصريين في العشرينيات ويترجمون من أن أيديهم لا تمتك غير تعميمات وأنصاف حقائق ووقائع مبهمه ، فإنهم بالنسبة للثلاثينيات في ظلام تام ، فالمعلومات تكاد أن تكون منعدمة .

والحزب الذي كان ملء السمع والبصر في عام ١٩٢٤ بدأت مطاردته . . .

والحركة النقابية الثائرة ونقائباتها الحمراء وصناديق المعونة البروليتارية . . . اختفت لتحل محلها نقابات صفراء . . .

والقادة لعالميون-الحقيقيون ، الشيخ صفوان أبو الفتح ، والشحات إبراهيم ، وأنطون مارون ومصطفى أبو هريرة ، اختفوا ليحل محلهم قادة برجوازيون بئس وأتقاعيون يحاولون امتطاء حركة الطبقة العاملة . . . أسماء مثل عبد الرحمن قهسى والنشيل عباس حليم وداوود بك راتب ، عزيز بك ميرهم ، وأحجار جلاد ياشا الخ .

لكن هذه الصورة زائفة تماما . . .

صحيح أن حركة اليسار المصري قد تعرضت لجسدر حاد في الثلاثينيات لكن الحزب كان لا يزال موجودا بشكل أو بآخر . . .

والحركة العمالية كانت تموج بالتيارات الثورية الحقمة . . .

وانتفاضات عمال المناير ضد ارباب صدقى لم تكن انتفاضة وهدية
بقدر ما كانت انتفاضة عمالية ..

وهكذا كان لابد من محاولة لاستكمال فصول الرواية ...

وأذا كانت دراسة تاريخ الحركة الشيوعية في العشرينيات مسألة صعبة ،
فإنها بالنسبة للثلاثينيات شيء بالغ الصعوبة وبإلغ التعقيد مما
لكننا مع ذلك سنحاول ..

وتقسم حركة اليسار في الثلاثينات بالتشعب وتعدد المناير ...

هناك خلايا الحزب القديم ومحاولاته الدائرية والمستمرة لكي يؤسس
مراكز فعلية لنفسه وسط الجماهير ، ووسط تجمعات العمال على وجه الخصوص ،
وهناك محاولات أخرى عديدة للمتقنين الماركسيين المصريين .. بعضها
اتخذ طابعاً ثقافياً ، والبعض الآخر اتخذ طابعاً تنظيمياً ..

وهناك محاولات لليسار الأجنبي المقيم في مصر انحصرت وسط تجمعات
الاجانب ومحاولات أخرى امتدت لتجذب في صفوفها يساريين مصريين ..

ولا بد من جهد لتجميع شتات المعلومات المتناثرة حول هذه النشاطات
جميعاً ، لكن مثل هذا الجهد يصطدم بعقبات حقيقية ..

فالمعلومات قليلة ، ومعظمها مختزن في صدور أصحابه ، وهؤلاء الناس
بعضهم طواه الموت ، والبعض الآخر تفتت في أرجاء العالم ، أما مطرودين
بسبب نشاطهم السياسي ، أما مهاجرين ضمن موجات هجرة الاجانب التي
توالى منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ ..

وهكذا فإن البحث عن هذه المعلومات والذكريات الشخصية ، يجب ان
يتمند الي فرنسا وإيطاليا وقبرص ، وألمانيا ، والسودان .. الخ
ولقد كان الجهد الذي بذل في هذا الصدد - بالرغم من صعوبته البالغة في
مجزئاً ..

فلقد استطعنا من خلاله أن نحصل على معلومات بالغة الأهمية تكشف
أمامنا حقيقة الدور الذي لعبه يسار الثلاثينيات. بصورة لم يكن من الممكن
التوصل اليها دون الاستعانة بالذكريات الشخصية ..

فلا المراجع التاريخية ، ولا صحف هذه الفترة ، ولا حتى معلومات أجهزة
الأمن تستطيع أن تعنى من هذه الذكريات الشخصية ، فمعظم هذا النشاط تم
بشكل جانبي بعيداً عن أعين أجهزة الأمن متخذاً في كثير من الأحيان ستارا

من نشاط علني : بل أن بعضه قد أعلن في سريره الى كذا أنه أصبح سرا
تفصيلا لا يتوصل اليه الا افراد قلائل اما الآخرون - فبالرغم من مشاركتهم
فيه - فقد كانوا يعيشون على هامش الحقيقة .

وبحسبنا عن الحقيقة كان من الضروري أن نتحدث عن هؤلاء الرجال ، وأن
نحسب مختلف البدان ، سعيا وراء ذكرياتهم .

لكن الذكريات وحدها لا تكفي

فالذكريات انطباعات شخصية ، تتأثر بالفوارغ الذاتية ، وتتنظر للمسائل
دوما من زوايا شخصية ، وهي كثيرا ما تتخذ مسارات جانبية دون تحليل
شامل للاتجاهات العامة وأهم من هذا كله فان هذه الذكريات لا تتحدث
الا عن بعض المحاولات دون الأخرى ، وللأسف فان الجانب الذي تتجاهله
هذه الذكريات جميعا هو متابعة نشاط خلايا الحزب القديم وجهوده الثابتة
لإعادة تكوين نفسه .

تتجاهل قصة هؤلاء الرجال الشجعان الذين تعرضوا لضغوط قاسية ،
وارهاب لم تشهد له مصر مثيلا ومع ذلك فقد صمروا على أن يواصلوا
المسيرة . وواصلوها فعلا في اصرار غريب ثم راحوا ليطويهم نسيان متعمدا .

هؤلاء الرجال الشجعان الذين تعرضوا فيما تعرضوا لتجاهل الماركسيين
للجدد الذين نبتوا من بطن أحداث الغلايينيات العاصفة قرأوا يبحثون عن
طريق جديد لمصر ، لكنهم بحثوا عن هذا الطريق بمعزل عن النشاط القديم ،
لا لأنه غير موجود ، وإنما تصوروا بأن مجرد التماس مع هؤلاء الرجال سوف
يجر وراءه ويلات المطاردة والسجن .

وهكذا وكأنه قد كتب على هؤلاء الرجال أن يتحملوا تبعات المسيرة
أكثر من خمسة عشر عاما يحملون فيها رايات تنوء بحملها السواعد . ثم
يأتى الآخرون ليحسبوا ثمار هذا الجهد المتواصل ، ولا يكون أمام هؤلاء الرجال
الا الانزواء في صنم في صفوف المؤخرة تحت دعاوى الامان وتجنب مطاردات
البوليس . الخ .

ومن هنا كان لا بد من جهود أخرى كي تكتمل الصورة :

وعلى صفحات جرائد ومجلات هذه الفترة تردد صوت هؤلاء الرجال في
مرات عديدة في مقالات أو بيانات يرددها مثقفوا اليسار ويشرحون فيها وجهات
نظرهم . وفي أخبارهم وهم يفتنون في انفاص الاتهام يدينون قضائهم ويدافعون
ببنيالة عن الاشتراكية ، أو أخبار كواجرهم وهم يتحدون قرارات الطغمان

بإسقاط الجنسية المصرية عنهم فيخطفون بتصفيهم على العودة الى أرض الوطن ملحمة تنزيد أصدائهما على صفحات جميع الجرائد وتتحول الى قضية دستورية تناقش في كافة الاوساط وتدرس لطلبة كلية الحقوق وتنتهى بانتصارهم وبإسقاط الرسوم الجائر .

وفي مضابط البرلمان - الذي شغل نفسه كثيرا - بمقاومة التيار الاشتراكي والنشاط الشيوعي توجد معلومات كثيرة أيضا . . .

وفي أرشيفات أجهزة الامن معلومات أكثر . . .

لكن الجهد المتواصل لا يكفي وحده ، ثمة معلومات لا يمكن التوصل اليها مهما بذل الانسان من جهد ومع ذلك فلقد كان لا بد من المحاولة . . .

وأثمرت هذه المحاولات بصورة غير متوقعة . . .

وحتى معلومات رجال الامن أمكن التوصل الى بعضها معروضة في المتحف البريطاني في لندن . وهي مجموعة وثائق خاصة بوزارة الخارجية البريطانية وتتضمن تقارير من السفارة البريطانية في مصر وبعض أوراق المخابرات البريطانية وتقارير البوليس السرى في القاهرة . . الخ .

وهنا . . . وبعد أن تتجمع خيوط كافية ، يملك الانسان الجراءة على أن يبدأ محاولة الكتابة في موضوع كهذا . . .

* * *

وهكذا يحدد الموضوع نفسه .

* مجموعة من الصور التمهيدية في محاولة لتصوير المناخ العام الذي حاول اليسار أن يتحرك فيه على أرض مصر .

وهي ليست بآية حال استقصاء او دراسة تحليلية للاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمصر في الثلاثينات فهذه مسألة تتطلب دراسة مستقنة واسهاما لا يتوفر ضمن محاولة كهذه ، وإنما هي مجرد لمحات أو صور يمكنها أن تعطي فكرة عن المناخ العام ويمكنها أن توضح آفاق حركة اليسار والامكانيات المتاحة أمامها والاسباب التي حددت لها مسارات معينة .

* محاولة لتتبع مسار القوى الشيوعية التي واصلت النضال عقب الضربة التي وجهتها السلطة للحزب في عام ١٩٢٤ . وهو مسار بالغ التعقيد ، فإن الحزب الذي فرضت عليه السرية بصورة مفاجئة ودين استعداد كفاف قد خاض معركة البقاء ضمن قوالب وأشكال متعددة من الصعب استقصاؤها

جميعاً لكنه من المفيد تقديم كل ما أمكن التوصل إليه من معلومات في هذا الصدد لعله يكون بداية لدراسات أخرى تبحث عن خيوط أخرى. بهتف استكمال الصورة .

* مجموعة من محاضر النقاش مع من أمكن التوصل إليهم من المسؤولين عن النشاط اليساري في مصر في ذلك الحين ، وكذلك بعض آرائهم مثبتة في تقارير .

وهي تقدم بصورة - شبه واقية - ومن خلال مجموعة من الذكريات الشخصية صورة عن نشاطات وأفكار وأساليب وإمكانات يسار هذه الفترة .
* مجموعة من الوثائق والأوراق القضائية ووثائق وزارة الخارجية البريطانية ووثائق النشاط الحزبي .

* * *

والحقيقة أن أكثر ما يستمتع به كتاب التاريخ ، هو أنهم يطلقون يدهم في إصدار التقييمات والأحكام على كل شيء ، وعلى كل شخص أو حدث أو موقف .

لكتاب التاريخ يتحركون في مجال معظمه أناس قد طوتهم الأحداث وتخطاهم الزمن ومن هنا تكون الجراءة في إصدار أحكام وتقييمات قاطعة .

لكنني لست أملك مثل هذه الجراءة ، وفي هذا الموضوع بالذات فأنني أعترف بعجزى عن أى ادعاء للتقييم العام أو استصدار أحكام شاملة وقاطعة فهو بالنسبة لي أمر غير ممكن ، ولا هو مطلوب .

فالتقييمات وهي ضرورية - لا يمكن التجزؤ على استصدارها إلا بعد استقصاء الحقيقة كاملة ، ونحن بالنسبة لهذه الحقيقة لا زلنا في أول الطريق ، ومن هنا فإن الاجترار على التقييم هو اجترار على الحقيقة ذاتها .

لكنني مع ذلك أشعر أنني بهذه الدراسة أخطو الخطوة الأولى نحو محاولة التقييم فلنبدل حيناً آخر . مرة أو مرتين أو ثلاث ، أنا وغيرى ثم بعدها يكون من الممكن أن نستصدر أحكاماً ، وبعدها يكون لأحكامنا بعض من رنين الحقيقة ، ويكون بإمكاننا أن نجترى على التقييم ، دون أن نجترى على الحقيقة .

* * *

ولسوف يجد القارىء وخاصة في القسم الخاص بمحاضر النقاش ، آراء متناقضة ، وروايات تختلف عن بعضها البعض ، وهجوماً من شخص على شخص ، وانتقادات واتهامات ومحاولات لالقاء مسؤوليات على هذا الشخص

أو ذلك ؟ وكل هذا طيني ، وهو في ذاته انعكاس للصورة الواقعية التي عاشها
يسار الثلاثينيات في مصر .

ولقد تعلمت أن أتركها كما هي ، فلست أعتقد أن من حقي أن أقف
حكما بين هؤلاء الرجال ، ولست أعتقد أن من حقي أن أمسك في يدي قلم
الزعيب أشطب هذا ، وأبيح ذلك ، والمسألة ليست مجرد موقف أخلاقي ، ولا هي
تمسك بحقوق من قالوا هذه الكلمات ، لكنها في واقع الأمر - وقيل كل شيء -
تمسك بالحقيقة واحترام للتاريخ .

وكما قلت من قبل فإن تجميع هذه الفكريات يستهدف - في الأساس -
لنصفها من الضياع ، وتقديمها للباحثين والقراء مادة تخضع للدراسة
واللتقييم والاستخلاص للنتائج .

* * *

ويعد

ان المحاولات التي بذلت لدراسة تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر قليلة
جدا ، ومعظم هذا القليل مغرض ومضلل ، يقدم نصف الحقيقة ويطمس
النصف الآخر أو يزيفه ، ولعل كتابات «القر لأكور» (١) نموذج لذلك كله ،
لكن أكبر ما ريدته هذه الكتابات من أكاذيب هو تأكيدها أن الثلاثينيات لم
تشهد تحركا للييسار في مصر ، وأنها كانت فترة تضاعف فيها وجوده إلى حد
الانعدام .

ولست أعتقد أن من حقي أن أسبق تسلسل الكتاب لأؤكد أن هذا
الزعم غير صحيح ففي الصلحات الضامة الرد الحاسم على ذلك الادعاء .
ولكني لا أزمع أنني قلت الحقيقة كلها ، أو أنني قد استوفيت كل
ما يمكن أن يقال عن يسار الثلاثينيات في مصر ، فهذه الدراسة ليست سوى
بداية .

ليست سوى محاولة لتحديد معالم الطريق وتعبيده ودعوة للآخرين
أن يسلكوه ، وأنا واثق تمام الثقة أن تاريخ اليسار في مصر من الثراء بحيث
يجد كل باحث فيه جديدا وبحيث يثمر فيه كل جهد اثمارا يفوق كل توقع .
وأخيرا فإن هذه الكلمات لم تكن مقدمة لكتاب يقهر ما كانت استعراضا
لأفكار كاتب يحاول أن يثبتها على الورق ، كي يستطيع أن يبدأ .

(١) راجع كتابيه :

* The Soviet Union and the Middle East.

* Communism and Nationalism in the Middle East.

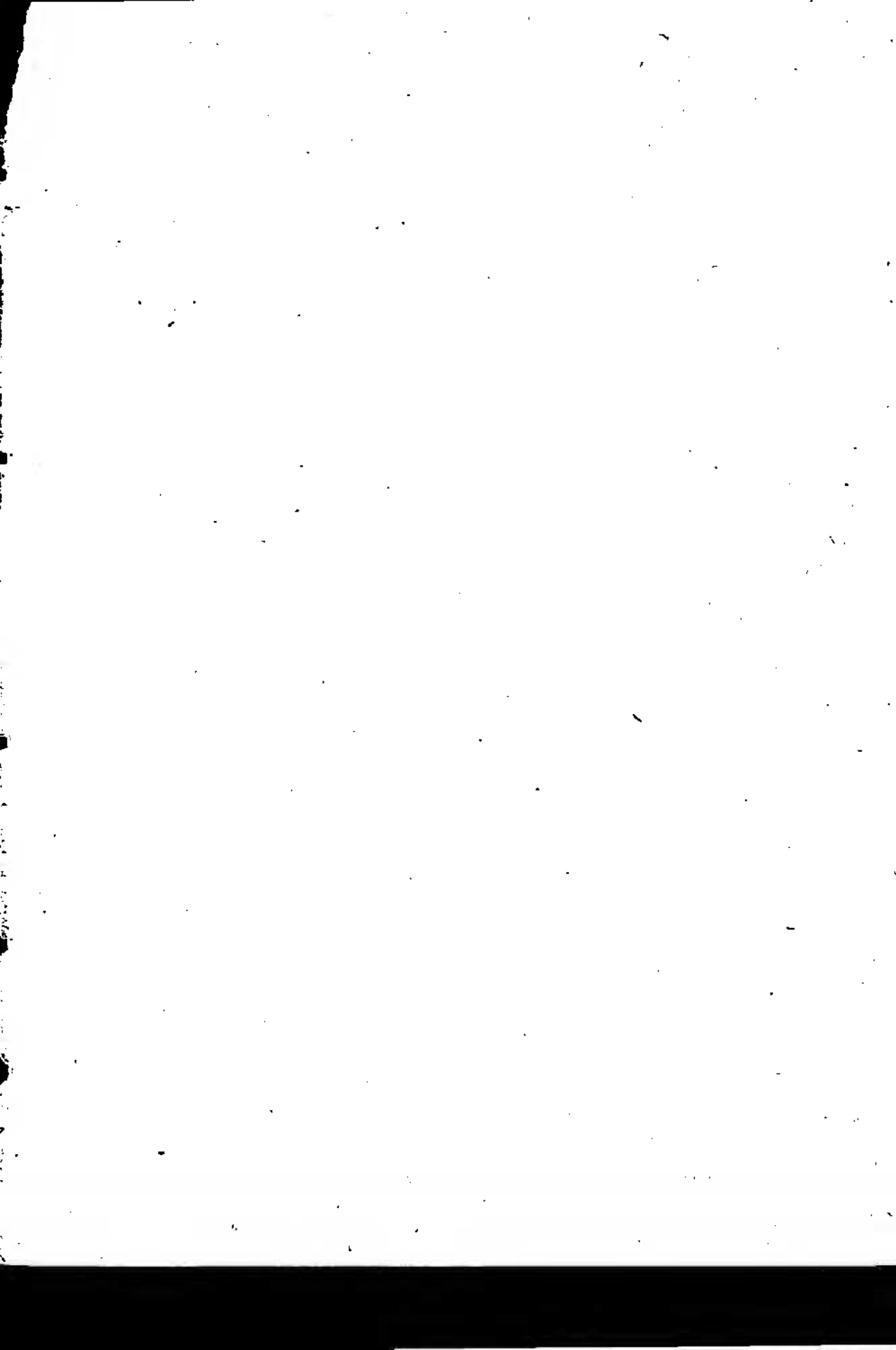
القسم الأول

مصر الثلاثينات

الصراعات الفكرية والسياسية

بين

اليمن واليسار



- ١ -

اليمن

- * حرب الدعاية ..
- * قادة برجوازيون للطبقة العاملة .
- * وللفلاحين ايضا .
- * الفاشست ينشطون *

حرب الدعاية ٠٠٠

إبل مذهبيا من المذاهب الأخرى لم يوجه اليه كل هذا القدر من الهجمات والافتراءات ، فلقد شعرت البرجوازية المصرية أن فكرة الاشتراكية لم تكن مجرد رأى استثنوي عددا من المواطنين لكنها أصبحت شيئا لا يمكن اقتلاعه .
أو كما وصفه أحمد الصاوي محمد ، شوكا دق جنوره العميقة في الأرض ،
ولم تعد السجون وحدها تكفي ، ولا حملات الارهاب ، ولا إجراءات منع ورود المذهب من الخارج . فلقد نفت الجذور نفسها عميقا في تربة مصر ، ولم يعد هناك مناص من محاولات عنيفة لاقتلاع هذه الجذور .

وتفانها كما شن الحكام اربابا بشعا ضد دعاة الاشتراكية فقد شن مفكرو البرجوازية حملات تستوى مهبها في البشاعة ولكن على المستوى الفكري وانهاالت الكتب والمقالات والدراسات تهاجم الفكرة الاشتراكية بل وفكرة المساواة من أسامها ، وتبث في عقول وظنوب المصريين أوهاما واكاذيب حول التجربة التي كان البلاشفة يبنونها على أرض روسيا .

بل لقد تصدى بعض المفكرين البرجوازيين لمحاولة تفنيد « المذهب الاشتراكي » وتقديم نظريات لتطويع المجتمع المصري . فعضة صريح عن الرأسمالية والبعض الآخر يتستر خلف محاولات إحياء النموذج الإسلامي .
التح .

ومن بين هؤلاء الذين شغلوا أنفسهم كثيرا بقضية « تفنيد » المذهب الاشتراكي ، اسماعيل مظهر الذي أصدر كتابا بعنوان « الاشتراكية » تعوق ارتقاء النوع الانساني ، (١) .

ويبدأ اسماعيل مظهر محاولته قائلا « نسمع بين آونة وأخرى صدى الاشتراكية يرن في آذاننا في أنحاء مصر ، نتشفق أن يكون مز أثر ذلك أن تدلف بعض الجماعات في تلك السبيل بقدمها مأخوذة بمزينات تلك المبادئ الخيالية ، دون اللوقوف على حقائقها العلمية والاقتصادية ومركزها الفلسفي وآثارها الاجتماعية .

والحق أن كلمة المساواة التي نقوم عليها المبادئ الاشتراكية الشيوعية

(١) الاشتراكية . تعوق ارتقاء النوع الانساني - مجموعة مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب - مطبعة الترقى ، سنة ١٩٢٧ .

كافة، لتأخذ بالروح وتستهوئ بالانفس، كما تستهويها كلمات الشرف والفضيلة» (١). ثم يعرض اسماعيل مظهر مهاجماً فكرة المساواة ذاتها «ان ما تدعو اليه الاشتراكية من المساواة مناقض في ذاته لحقائق الكون. الاولى : مضاد لحرية الفرد وتمدحه بمزاياه ومواهبه التي وهبته ليها الطبيعة» (٢). «وليس في العالم جن شي، أبعد عن العدل والحرية أكثر، تناقضا مع بديهة العقل من التسوية بين غير المتساوين» (٣).

ثم ينحني اسماعيل مظهر ليهاجم التجربة السوفيتية، ولقد مثل هذا الهجوم محور نشاط كل أعداء الاشتراكية، ذلك أن هدم النموذج الذي بنته الثورة الاشتراكية - في العقول - هو السبيل لهدم فكرة الاشتراكية ذاتها. «ان محصل ما وقع في روسيا السوفيتية هو أنه قام في روسيا حكم الاستبداد العسكري، الشيوعي مقام الحكم القيصري المبتدع تحت طلاء من المساواة الفروضة الواقعة بالفعل، ولا يستطيع باحث اجتماعي أن يقضى في حالة روسيا القائمة اليوم بحكم فيه شيء من روح اليقين قبل أن تتجلى غمرة الغمام التي تجتازها روسيا، وقبل أن تستقر المدفعية على أساس ثابت، وقيل أن ينقشع عن أنفها غيبوب المجاعات التي تكساد تغنيها وتذهب بريحها» (٤). ويحاول بعد ذلك أن يقدم انتقاده لكثير من جوانب الفكر الماركسي فيهاجم المادية التاريخية - وينتقد موقف الماركسية من الحرب، وموقفها من الدين، لكنه لا يثبت أن يكشف التناقض عن نفسه تماماً، فيدافع عن الرأسمالية «أن الفكرة القائمة على أن رأس المال أصل الشرور الاجتماعية كلها، غير صحيحة، وإن كان لرأس المال كما هو موضوع اليوم ضلعه ونصيبه منها، وإن كان تصيبها ضغيباً تافها» (٥).

بل هو يعمد في موقفه فينثبث بالنظام القائم في مصر في ذلك الحين، وإن البقاء على ما نحن فيه خير من استبدال نظام موروث بنظام موضوع، لا نعلم من أمره إلا تجربة مرة وقعت في ناحية من نواحي الأرض سفكت في سبيلها الدماء، وضحي لها رؤساء الدين قرباناً لصنم المساواة، وعبت من أجلها: بأخص ما يمتاز به الانسان عن الحيوان من المبادئ القويمة الخالدة، مبادئ الرحمة والعدل وحرية وما إليها» (٦).

- ١ - المرجع السابق ص ٣
- ٢ - المرجع السابق ص ٤
- ٣ - المرجع السابق ص ٥
- ٤ - المرجع السابق ص ١٢
- ٥ - المرجع السابق ص ٨
- ٦ - المرجع السابق ص ٩

والغريب بعد ذلك كله ان اسماعيل مظهر لا يلبث ان يقوم بمحاولة لتأسيس حزب للفلاح ، وبعد لهذا الحزب برنامجا مطولا سنحاول مناقشته في فصل قادم لكننا نكتفي هنا بالاشارة الى انه قد رفع هذا البرنامج الى زعيم الامة مصطفى النحاس وفي النهاية وضع توقيعه تحت عبارة « خادمكم الطيع » (١) .

وشمة محاولات اخرى عديدة لتفنيد وانتقاد المذهب الاشتراكي من بينها كتاب السيد محمد عفيفى البقلى الحامى (٢) ، ولقد قدم البقلى في محاولته هذه مجلدا ضخما حاول ان ينتقد فيه تفصيلا كل المذهب الاشتراكية وان كان يفسد مركز اساسنا على النظرية الماركسية وعلى نظرية القيمة بشكل خاص . ويخلص من هجومه الى النتيجة التالية : ان هذا المذهب (يقصد المذهب الاشتراكي) مهما تنوعت مبادئه في الشدة والضعف ، ومهما تنوعت انماؤه تبعاً للمعالة في المطالب وفي السعى لقب نظام الاجتماعى الاقتصادى اى ان كان اشتراكيا بسيطاً او متضامناً ، او شيوعياً او ذوضياً ، فانه يذهب الى خان القواعد الطبيعية غير قابلة للبقاء واساسه الاعتراض على الملكية الفردية التى يقول عنها بانها معينة في تكريتها وفاسدة ويجب لغناها واستبدالها بالملكية المشتركة او الشيوعية (٣) .

واذن يضع كل المذاهب الاشتراكية في كفة واحدة ويثمن عليها هجومه قائلاً ان الذى يتأخر الثروة في بعض الدول ، ان عدد الاغنياء قليل والفقراء كثير . ومن هنا يتضح جلياً خطأ الاشتراكيين حيث يزعمون بان في سلب الاغنياء اموالهم وتوزيعها بالعدل بينهم وبين الفقراء يصبح جميع الافراد اغنياء ، وهذا وهم لا محل لاعتباره مطلقاً ونظرية فاسدة لا تحل مشكلة (٤) .

ولا يكتفى البقلى بالهجوم على الاشتراكية لكنه يدافع بصراحة غريبة عن الملكية الفردية قائلاً : وعليه فكل وسيلة تتخذ لتكون عقبة في سبيل الملكية الفردية والمجهود الشخصى مقضى عليها بالنشل (٥) . ويقول : ومن ذلك وجب علينا ان ندافع عن الملكية العقارية لاهميتها للمجتمع الانسانى لانها من راس الانتاج والتى عليها قضاء حاجات الغذاء .

- ١ - مجلة الطليعة - مارس ١٩٦٥ .
- ٢ - السيد محمد عفيفى البقلى ، نوائد الثمرات الاحمدية في المناخات الاقتصادية والسياسية ، الطبعة الاولى - ١٩٢٥ - مطبعة المقتطف والمقطم .
- ٣ - المرجع السابق ص ٢٦ .
- ٤ - المرجع السابق ص ٢٣٤ .
- ٥ - المرجع السابق ص ٢٧ .

والذى يهتم الاقتصاد هو أن تزيد العلة بغير المستطاع لأن المساحة محدودة ولا وسيلة للوصول الى هذه الغاية الا بالدفاع عن الملكية المتنازعة للقرديّة والتبول بأنها لم تكن مؤسسة فقط على حق طبيعي بل وعلى حق مدعى وعلى البسمل المطلق وعلى المنفعة العامة وإذا سلمنا بأن المجتمع هو صاحب الحق على الأرض فليس له نظرا للمصلحة العمومية المشتركة بين الخلوقات الا ان يفتدب عنه في حقه من يقوم مقامه ويستطيع ان يستخرج من الأرض أكبر فائدة . ولهذه اللحظة لم نجد الا الافراد الذين يختصون بالملكية هم القادرون تون غيرهم على تحقيق هذه الغاية» (١)

بل هو يحاول جهده تثبيت الظلم الاجتماعى الذى كانت ترسيف فيه مصر قائلا : « وذلك ولجميع الاسباب المتقدمة والانتقادات المختلفة التى لاف ائمل تحتها نلتزم بقبول الحالة الحاضرة عن طيب خاطر ، إذ ليس في مقدورنا أن نغير القوانين الطبيعية .. وانما نجتهد بتلطيف عيوبها بواسطة الشركات وبنداخل العونة بسن القوانين واللوائح اللازمة لذلك» (٢)

ثم يختتم دفاعه عن الرأسمالية بعبارة قاطعة : « .. وإذا كان لا محل من للظلم من الحالة الحاضرة ويجب قبولها بعلاتها ، فأحسن حل للرضا بالحالة الحاضرة» (٣)

لكننا نشهد للبطل بأنه كان بروجوازيا مصريا .. بمعنى أنه أدرك بوعيته الطبقى أن الخطر لا يأتى من الاشتراكية وحدها .. وانما يأتى أيضا من الاحتكارات الأجنبية التى تحدث عنها قائلا أنها « تخلق تضامنا مزيفاً فاسداً لأن التضامن الصحيح يذترتب عليه الاشتراك في السراء والضرء .. وبمقتضاه ان عم الخير يجب أن يأخذ كل فرد منه حظه» (٤)

« .. » ان عم الخير يجب أن يأخذ كل فرد منه حظه ، انها عبارة غريبة على هذه الدراسة التى تستند أساسا على محاولة عدم فكرة المساواة .. لكن البرجوازية كانت تحارب في جبهتين ، فهى تخشى الاشتراكية .. وهى تزدى أيضا منافع الثراء الوفير تناسب الى جيوب الاجانب فنطالب بنصيبها منه ..

ولسوف نكتفى بهذه الامثلة برغم وجود محاولات أخرى عديدة لبل من اهمها كتاب (كميل فلأمريون) « على اطلال المذهب المادى» وكتاب (قسطنطين ليس عطاره) « تاريخ تكوين الصحف المصرية» .. الخ .. لكننا قلنا

- ١ - المرجع السابق ص ٢٦٨ .
- ٢ - المرجع السابق ص ٢٤٥ .
- ٣ - المرجع السابق ص ٢٣٤ .
- ٤ - المرجع السابق ص ١٨٩ .

هذه البدائية انبثا بسببهاول فقط ان تستخدم « ملاحظ » لصورة العصر الذي
تتبعى للحديث عن

فلنتقل اذن الى مجال الصحافة ، والمحاولة هنا - ضغطة المعنوية
الفتالات التي تهاجم الاشتراكية لا يمكن حصرها . . . ولنحاول ان نستعرض
بعضها هنا . . .

ان الطبيعة لا تاذن بان يتساوي افراد البشر مهما بذل الاشتراكيون
المطرفون من السعى لتحقيق فكرتهم الخائفة . فوجود الخلاف بين الأفراد
والطبقات ضروري للعمران ، ولا يمكن الاستغناء عنه بوجه من الوجوه

فاختلاف الطبقات هو المسند الذي يحدد العزائم وينتشر مطامع البشر . . .
ثم ، نحن نختتم « مجلة كل شيء » افتتاحيتها قائلا : « الا انها بحكمة بالغة ان
تكون ايت كما ايت وانا كما انا » . فالشكوى من هذه الحال لا يستفيد الى

شيء من الحق (1) . . .
هذه هي الحكمة البالغة التي حاولت البرجوازية ان تفرسها في العقول . . .

ويستهم احمق الصاوي متمد في المفركة هو ايضا مقالات عديدة اخذها
بعنوان « على اطلال المذهب الشيوعي » جاء فيه « في هذه الأيام كثر لغظ مكاتبي
الصحف الأجنبية بالفاخرة عن وجود حركة شيوعية بهذا البلد الامين . ونحن
لا نعرف مبلغ هذا القول من الصحة وقربه او يبعده عن الحقيقة . لكننا

نعرف ان بعض اصحاب عقول الذباب واجلام العصافير قد سولت لهم انفسهم
امرا نجوا شيئا غير قليل عن انفسهم واطيهم وسمعة بلادهم . . .

ولعمد قريب طالع الناس رسالة مكاتب الامرام الفاضل بمدينة الاسكندرية
عن « عائلة شيوعي في السجن » ورواها الجموع التي اراقتها تلك المرأة المسكينة
جليلة السيد زوجة الشحات اليراهيم . هذا الرجل الذي كان على ما اذكر عاملا

صغيرا من عمال مضلحة سكة الحديد بالزقازيق يعيش مع زوجته واطفاله
في امان الله . لكن سعاة القرم منبتون بسوء الحظ في كل مكان . . .

« روتة وفضل شرهم من موصكو حتى مسكن لشحات اليراهيم عامل الدريسة
بمقينة الزقازيق فاصبح الماتون شيوعيا . . . اى ان شحاتنا صار رفيقا للينين
وتروتسكي وزيروفيف ويزيوس بييه . . . »

فان !! كيف لشحاتنا ان يفهم ماهية الشيوعية هذه التي اكناد اوتمن
ان القائمين بامرنا ونشرها لا يكلمون هم انفسهم يفهمونها . . .

١ - كل شيء - ٢٠ - ١٢ - ١٩٣٠ . . .

حتى أي عقل يمكن أن يفهم ويهضم فهم الفوضى التي تقضي على النظام الإلهي الذي سنته طبيعة الكون والعمار للعالم منذ بدء الدهور.

فهل تفهم جليلة زوجة الشحات إبراهيم أن نظام الشيوعية يقضي بحرماتها من أولادها ويقضي بوضعهم في الملاجئ ويقضي عليهم بأن تشتغل طوال أيامها لا في أشغال بيتها والعناية بأبنائها بل في مصانع الحكومة لتأخذ تذكرة تاكل بها في مطعم عمومي في حين يكون زوجها أيضا يدأب ويعانى للحصول على تذكرة أخرى لنفسه؟

فالشوعية تضيع سعادة البيت وتقتل حب المرأة، حب الزوجة.

والأمم في عدوة الأسمرة وعدوة الأمة وعدوة الله، أي والله.

والشيوعية ليست سماء تمطر ذهبا أو فضة كما يخيل للذين بغريتهم صدى الذهب الروسي المزيف، بل إن الشيوعية ليست سماء تمطر أرغفة وفراخا مكتمة.

واليك مثل ابن الشحات إبراهيم فقد يكون مريضا بالحصية أو بالحمى ولا يستطيع المسكينة أمه ترك عملها لنذهب لرؤيته بينما يكون الطول العائر الجدد في أيد غريبة عنه وليس يصدر أصحابها ذرة من الحب الحقيقي العميق للهول المذهي الذي لا حد له وقد أودعه الله قلب امرأة واحدة هي الأم.

والنظام الذي يقضي الأم عن ابنها وزوجها، كما يقضي الزوج ويشرد الأطلاق ويمحو القومية ويهضم الدين فهو نظام فاسد، بل كيف يكون نظاما وليس فيه من النظام أي شيء؟

تم يواصل أحمد الصاوي محمد مقالته متقلبا إلى موضوع آخر وهو: أمي واليني، يذكر أن لهذه الصحيفة أن تفخر بأنها أول من تصدى لخاربه تلك الطائفة الخاطئة التي كان يحمل علمها الإجماع القاسي، ذلك الشيوعي الثالث روزنتال، لكن روزنتال وما هم بدائه وأنسل رجل لحق زرع الشوك وأنبته ولم يجمعه بل أنه ترك الحصاد لابناء من وطننا السذج مثل الشحات إبراهيم وزملائه قراحوال ضحاياها وما أنت تراهم الآن في غياهب السجن وهو خر طيق.

ثم يختم أحمد الصاوي محمد مقالته الذي اختار لنشره يوم أول ماير في محرضيا الحكومة مطالبا بمزيد من العنف ولفلول من حكومتنا الوقرة السهر واليقظة المضاعفين للضرب بالحديد على أيدي دعاة البغي والفوضى.

في البلاط والنهول من وزارة معارفها الخلية العناية بتقرير التعليم الديني
وتربية الأخلاق في المدارس (١).

ولقد تعمدت أن أبتعد في عرض هذا المقال ، فهو وحده كاف لعرض
المحتوى البكري والنظريات الأساسية لحملة العداة التي شنتها الطبقات المصرية
الحاكمة .

بل إن كتابا من أمثال سلامة موسى قد تورطوا هم أيضا في حملات
كثيرة ، فتحت عنوان « الفاشية والشيوعية » يكتب سلامة موسى في مجلته
الجديدة .

« تمثل الفاشية والشيوعية الطرفين للظلم السياسي في أوروبا الآن .
فالفاشية غلو المحافظين والشيوعية هي غلو الإشتراكيين ، ومع أنهما طرفان
خصمان فكلاهما يسير على وثيرة واحدة هي الغصب بدل الرفق ، والألتجاء الى
القوة بدلا من الانتحاء الى القوانين وكلاما لهذا السبب خطر على الأمن العام ،
ومن مصلحة الأحزاب المتعددة ، الاشتراكيين والكافلين والأحرار أن يقتاطعوا
الطرق التي يلجأ إليها كل من الشيوعيين الروس أو الفاشيين الإيطاليين
لإتباع طرق غير دستورية تعمل للوضى بدلا من النظام . » (٢)

والغريب في الأمر أن سلامة موسى نفسه كان يتعرض في هذا الوقت بالذات
الى هجمات شديدة . . . ويتحدث سلامة موسى عن بعض هذه الهجمات التي
صدرت في كتاب بغير توقيع فيقول : « تسائلت عن كاتبه في إدارة المطبوعات
فعرفت انه ابن أخ رشيد رضا الصحفي السوري المعروف الذي وفد على بلادنا
كما تقدم الطواعين وخص نفيه بشتم الثبائين المصريين وإتهامهم بالاشيوع
والشيوعية . . . »

وبعد أن يورد سلامة موسى نماذج من الشتائم التي كالمها له الكاتب
يقول : « وهكذا بحيث أنك تحتاج الى أن تغسل يديك عقب قراءة هذا الكتاب .
وقد تناولنا مدار السوري ، المناقن بقهمة الشيوعية والدعاية لها . فوضع نفسه
بالموضع الذي يستحقه وهو موضع الجاسوس على الناس يفتري عليهم كي
يؤذيهم . »

وإذا كان سلامة موسى قد كتب هذه الكلمات في نفس العدد السابق من
« المجلة الجديدة » ، بدا واضحا لنا كيف أن العناصر الرجعية كانت تتعمق الكتاب

١ - الإهرام - ١ مايو ١٩٢٥ .
٢ - المجلة الجديدة - العدد التاسع من المجلد الأول - يوليو ١٩٢٠ -
ص ١١٤٩

الديمقراطيين والتقدميين بالاتهامات وتجاوزهم بها قد يجد البعض منهم سبيلا للدفاع عن نفسه إلا بالشاركة في نفس حملة الهجوم .

والحقيقة ان الرجعية المصرية قد استخدمت سلاح الدين استخدامها ذكيا في هجومها ضد التيار الاشتراكي فقد اكتشفت من تجربة السنوات السابقة انها مهزومة لا محالة في أي نقاش متزن حول موقف الدين الاسلامي من الاشتراكية ، وقد نجح الاشتراكيون بالفعل في اتحامها واسكات اعنى دعائها وهو الشيخ التمنزاتي مؤكبين ان مبادئ الاشتراكية لا تتعارض مع تعاليم الدين الاسلامي (١) .

وهكذا ركزت الصحف هجومها حول موقف الثورة البلشفية من الدين وامتلات صحف هذه الثورة بمقالات عديدة مثل « روسيا تحارب العين » (٢) « القضية التركستانية - تعاضد الشعوب الاسلامية في محاربة البلشفية » (٣) ودعوات كثيرة تستنهض همم المصريين للدفاع عن مسلمي الاتحاد السوفييتي . ولعل أهم هذه الدعوات ذلك الكتاب الذي يحمل عنوان « مذكرات » القادري (٤) .

والقادري شخصية غربية يقول عن نفسه انه « كودي الاصل قبل كل شيء » ومسلم بعد ذلك (٥) .

وقد شارك في قيادة الجيوش البيضاء ضد الثورة البلشفية وتولى قيادة احد هذه الجيوش برتبة « مييجر جنرال » وقد صدره اعداء الثورة لهذه القيادة كسبيل لمجع مسلمي الشرق الاقصى ضد الثورة البلشفية ، وتولى « القادري » بعد ذلك وظيفة « المفتش العام لحكومة كردستان الجنوبية » حتى عام ١٩٢٢ . ومع توالي هزائم الجيوش البيضاء هرب القنادري مفادرا الاراضي السوفيتية وعلى الحدود قبض عليه الحرس الاحمر ليجد معه ثروة مقدارها « نحو ألف ليرة ذهبا وعقدار خمسين ألف روبل قيصري » (٦) ولكنه استنطاق الهرب ليعود الى بغداد ليكتب مذكراته هناك . وتستهدف كل صفحات هذا الكتاب تعبئة الشعور الاسلامي ضد

- ١ - لمزيد من التفاصيل راجع - د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ١٩٠ وما بعدها .
- ٢ - المجلة الجديدة - يوليو ١٩٣٠ .
- ٣ - السياسة الاسبوعية - ٢٥ يوليو ١٩٢٧ .
- ٤ - الميجر جنرال صديق رسول القادري - مذكرات القادري - نقله الى العربية القاسم العنوي - طبع على نفقة محمود حلمي صاحب المكتبة المصرية .
- ٥ - المرجع السابق ص ٢٥٨ .
- ٦ - المرجع السابق - ص ١١٢ .

البلانسية ومعه يختتم مذكراته - فبذرة تصفحة تغزلها - وكلمتي - الأخيرة - يقول فيها :

نيتي أولم تكن إحدى هذه الصناعات المنادية التي وردت لخذ الآن لتخيني عن أعزيتي وتفتني همتي وتحولني عن غايتي ومسلكتي - بل - أزال - بمعتدا على رفقتي - واثني مستعد أبدا - لاكمال الخدمات التي بدأت بها في روسيا بقصد اعتماد مسلميها ولا الزال - مؤمنا بظهور حكومة روسية شرعية في المستقبل - تعترف للقائار - بفتحهم - وما فتئت مستعدا لترويج رأي - فكتيرة قومية أو حركة وطنية تحدث في روسيا بقصد تأسيسها - روسيا المفتلة - التي لا يفرق قطعا بين النثار وبين ابتائها البررة - كما نفي - لا أزال منظرنا بكل جورحي لأي فداء يدعو الي حمل السلاح ضد البلشفية في روسيا - ومستعدا تمام الاستعداد للرجوع الي قيادة جنودي اليواسل (١) - بسوال الحقيقة - ان - يقظة الرجعية المصرية واهتمامها بالبحث عن مثل هتة الكليات - ونشره في - مصر - امر يثير الدهشة ويوضح لنا عتف وعمق - خربا الدعاية التي شنتها ضد الاشتراكية -

نية - لكن - الامر لم يقتصر على قضية الدين - هناك مسألة الاخلاق والزواج وما نسج حولها من أكاذيب ومقالات مدل - فوضي الزواج في روسيا - زجوز - بتعدد الأزواج والزوجات - تحرية خطيرة تهدد النظام العمراني (٢) -

وحملات أخرى تصور البلاشفة في صورة جزارين سفاحين - فالشباشية الأسبوعية - تنشر مثلا صورة تكتب تحتها الكلمات التالية - جزاز البشرية - فاضرولا اسمالوقا رئيس الشناقين البلشفيين في قومازيا ويبلغ عدد الذين شنقوا ببديه ٢٨٥٤ نس في مدة وجيزة (٣) -

واللطائف المصورة تنشر خبرا يقول - وفاة جلد - البلاشفة - جاء في الانباء من موسكو بان شاقين جلد حكومة الشوقيين السابق مات - وكان عدد من اعدوا بيدي هذا الجلد خمسمائة شخص وقد اشقوا بقتل المحكوم عليهم بعمار ناري واحد (٤) - وتحت عنوان - من مظالم الشيوعية - تقول مجلة - كل شيء - - ويخطئ من يحثن الظن بالشيوعيين الروس ويستمتع الي تفنيهم بخيالهم الكاذبة فان الواقع الذي دلت عليه الحواث انهم مثل

- ١ - الرجوع السابق أض ٢٥٦ -
- ٢ - الشباشية الأسبوعية - ٢٢ أغسطس ١٩٢٧ -
- ٣ - الشباشية الأسبوعية - ٢٥ أغسطس ١٩٢٧ -
- ٤ - اللطائف المصورة - ١٤ فبراير ١٩٢٧ -

القاهرة ظلما وعتوا بل هم أشد منهم فتكا بالشعب الروسى المسكين» (١) .
ومقالات عديدة أخرى تستهدف تقديم صورة وحشية وبشعة عن تلك
الثورة التى تنبأوا لها بالانهيار . فتحت عنوان « هل اذنت شمس البلشوية
بالأقول » تؤكد السياسة « لا ريب فى اننا اليوم نشهد احتضار النظام
البلشوى » (٢) .

وإذا كان اعداء العاملين ساكو، وفانزيتى بأمرىكا قد اثار موجة استياء
فى اوساط عديدة من العالم فان هذه المسألة قد استخدمت هى ايضا فى
الصحافة المصرية كمادة للهجوم
فتحت عنوان « مسالة فانزيتى الغرامية . . ما الذى يجعل المرء شيوعيا »
تروى « السياسة » قصة نسيبها الى أخت فانزيتى تقول « انه لاجب فتاة
لكن اخوتها اجبروها على دخول الدير حيث ماتت »
ثم تستخلص « السياسة » من هذه القصة النتيجة التالية « ومنذ
تلك اليوم تحول قلب فانزيتى الى حجر صلد وعلن الحرب على المجتمع ونظمه
المقرر » (٢) .

والشئ الهام الذى اريد ان اذنت نظر القارىء اليه . هو اننى اکتفى
دوماً بمجرد أمثلة قليلة . ذلك ان حرب الدعاية كانت اوسع واشمل من ان
تدرس تفصيلا فى مثل هذه العجالة .
لكننا فقط نحاول ان نشير الى اتساع هذه الحرب
الاساسية .

ويهمنا ان نلاحظ مسألتين هامتين
* ان الرجعية المصرية التى تظاهرت فى البداية بأنها ضد التطرف . . .
وانها لا ترفض « الاشتراكية المعتدلة » قد انتزعت فرصة التراجع الذى عانت
منه حركة اليسار المصرى لتسفر عن وجهها لترفض أى نوع من أنواع
الاشتراكية ، بل وترفض فكرة المساواة ذاتها وتؤكد فى سفور تمسكها
بالنظام الرأسمالى كما هو « ان تكون أنت كما أنت ، وأنا كما أنا ، فالشكوى
من هذه الحال لا يستند الى شئ من الحق »
* ان الرجعية المصرية فى حربها ضد الاشتراكية قد ركزت نيرانها على
النموذج السوفيتى محاولة هدمه فى العقول والقلوب كسبيل لاقتناع الجماهير
بفشل الاشتراكية فى التطبيق
لكننا مع ذلك نخطئ لو تصورنا ان الرجعيين كانوا وحدهم فى ميدان
الدعاية فلسوف نشهد فى فصل قادم كيف نجح اليسار المصرى فى شن حرب
دعاية مضادة حققت نجاحا ساحقا

- ١ - كل شئء والدنيا - ٢٠ فبراير ١٩٢٢ .
- ٢ - السياسة الاسبوعية - ١٨ فبراير ١٩٢٨ .
- ٣ - السياسة الاسبوعية - ١٠ سبتمبر ١٩٢٧ .

لقد كان الدرس الذي تلقنته البرجوازية من نجاح الحزب الشيوعي في السيطرة على حركة الطبقة العاملة في مطلع العشرينات درساً قاسياً.

قيادة برجوازيون للطبقة العاملة

لقد كان الدرس الذي تلقنته البرجوازية من نجاح الحزب الشيوعي في السيطرة على حركة الطبقة العاملة في مطلع العشرينات درساً قاسياً.

لقد استطاع الحزب أن يوحد كثيراً من النقابات الهامة في اتحاد عام قوي تلعب فيه الكوادر الحزبية الدور الرئيسي وقد استطاعت هذه الكوادر أن تنضم بالاتحاد العام (٢٥ الف عامل) إلى الاتحاد العالمي للنقابات الحمراء (البروفنترون) (1)

وكتبت مجلة "Labour Monthly" أن الاتحاد العام لنقابات العمال المشرقيين الذي ظل تحت قيادة الشيوعيين حتى ١٩٢٣ - ١٩٢٤ كان في طريقه لأن يصبح حركة جماهيرية بحق (2) وكان انطون مارون المستشار القانوني للاتحاد قائداً فطياً ، فلقد كان من الصعب على البوليس إخلاء المصانع من العمال المصريين ، بينما أشارت وإجدة من إصبع مارون كانت كافية لإنهاء الاضراب (3)

ولقد كانت قيادة الحزب للحركة العمالية قيادة واعية ومخزنة ، حاولت تحذر الامكان أن تكون قسرة وأن تتلافى ما توقعته من ضربات محتملة توجهها مكوفة بسعد زغلول لكن الضربة كانت مدبرة ومبيتة الى حد كان من الصعب معه تلافياً

وعندما وجهت الضربة التي الحزب والقى القبض على قادته حاول اتحاد العمال أن يقلت نفسه منها فاصدر سكرتيره العام مصطفى أبو هرجه جنيانا يقول فيه ما كان اتحاد النقابات العام آلة لحزب من الاحزاب أو هيئة من الهيئات في مصر ، انما هو هيئة وجدت لخدمة العمال والاتحاد

(1) Laqueur — Communism and Nationalism in the Middle East. P 36.
(2) The Labour Monthly — May 1925.

٣ - من شهادة انجرام بك امام محكمة جنائيات الاسكندرية في قضية الشيوعية عام ١٩٢٤ - الايام ٢٥ - ٢٠ - ١٩٢٤

خادم للعمال على تعيين مزاياهم السياسية ونزعاتهم الحزبية واختلاف
معتقدهم الدينية» (١)

لكن مصطفى ابو هرجه ما لبث ان اعتقل واعلقت دور الاشتراك
بالاسكندرية ومختلف المدن وغرقت صفحات الجرائد في حملات معادية
للحزب ونشاطه وسط العمال

وزيدت اسهمت جريدة الاهرام في تدبير المؤامرة والاعداد لها منذ البداية
نشرت تقول «حقا اننا لا نحري كيف تتعامل الحكومة وجود حركة اشتراكية
حادة بين الريف العمال في مدن القطر المصري ، مع ان الواقع على سبيل الاحوال
يرى ان هذه الحركة اخذت بالنمو» (٢)

ومرة اخرى تسهم الاهرام في حيك المؤامرة تقول «انفجرت الحركة
الاشتراكية الملحة بالشيوعية في هجين اليومين في الاسكندرية انفجارا قويا
حمل الحكومة على المبادرة الى معالجتها والاستعداد لقمعها بالثوة المسلحة
اذا قضت الحال » ثم تمضى قائله « اننا نرجو ان تتخذ وزارة الشعب
التدابير اللازمة لمنع تكرار ذلك ... ان لعمال حقوقا يجب ان تصان ولكن
لهذه الحقوق حدودا يجب الا تتجاوزها واذا كانت الصحافة قد عطفت عليهم
فانه لا يسعها اليوم الا ان تحذرهم من عواقب الميل الى الشيوعية والتشبع
بالمبادئ المتطرفة» (٣)

واستجابت « وزارة الشعب ! » لنداء الاهرام وخاضت المعركة ضد
الحزب وضد اليسار الى اقصى مداها ...
ولقد بذل الوفد كل ما لديه من نفوذ سياسى وقومى فى الضغط على
التقايىب المختلفة للتخلص من قادتبا اليساريين

ونزل الوفد بكل ثقله فى هذه المعركة ، فسعد زغول بكل ما لزغامته
القومية من تأثير اسهم شخصيا فى توجيه نداءات للعمال تفادصم « احتزام
ملكبة الغير » والا « فانهم يعاملون معاملة الناصبين الخارجين على
القانون» (٤)

واسهم كبار قادة الوفد فى هذه المعركة ايضا ... كذلك اسهمت فيها
كل التنظيمات الوفدية الجماهيرية مثل لجان اللطبة الوفديين وغيرها ...

١ - الاهرام ١٠-٢-١٩٢٤

٢ - الاهرام ١٧-٢-١٩٢٢

٣ - الاهرام ٢٥-٢-١٩٢٤

٤ - الاهرام ٥-٢-١٩٢٤

وتنشر الأهرام: عقدت لجنة الطلبة بالاسكندرية سلسلة اجتماعات للنظر في مساعدة الحكومة على مواجهة حركة العمال ببيت ربح السكنية بينهم لكي يكفوا عن الاضراب ويعولوا على عطف الحكومة والبرلمان (١).

وقد تركزت الحملة الوفدية في بداية الامر على محاولة ابعاد القادة اليساريين عن مراكز القيادة في النقابات وانهمك رؤساء لجان الوفد في المدن والإقليم ومختلف التنظيمات الوفدية لانجاز هذه المهمة.

وتنشر الأهرام: عقدت نقابة عمال شركة ايجولين اجتماعا امس وكان الغرض الاهم من هذا الاجتماع تنصل النقابة عن سياسة الشيوعية التي كانت لجنتها الادارية السابقة تتبعها وقد حدث هذا التنصل وغيرت النقابة قانونها واختارت لها رئيسا جديدا يقودها في طريق العمل المفيد (٢).

وقد شملت هذه الحركة عديدا من النقابات مثل نقابات عمال الصناعات النسيجية والنزاه والياية وعلب الكرتون والمنجدين بالاسكندرية الخ (٣).

لكن الخطوة الاكثر خطرا كانت القرار الذي اتخذه سعد زغول بان يدخل حزب الوفد ميدان العمل النقابي مقدما من بين اعضائه قادة للحركة العمالية.

وهكذا كانت المرحلة الاولى هي مرحلة اغلاق الباب في وجه اليسار وبعد ذلك اتت المرحلة الثانية وهي فتح الباب للبرجوازية كي تقود الحركة.

ولم يكن من قبيل الصدفة النخلة ان يلقي القبض على قادة الحزب في ٢ مارس سنة ١٩٢٤ ثم يعلن الوفد تانسيس « النقابة العامة للعمال » في ١٥ مارس ١٩٢٤، ثم تحولت هذه النقابة فيما بعد الى اتحاد عام للعمال.

وقد بلغ من اهتمام سعد زغول بالامر ان اوكل هذه المهمة التي واخذ من اكتاف القادة الوفديين واكثرهم قدرة على التنظيم وعلى العمل بين الجماهير وهو عبد الرحمن فليمي صاحب السيد الطولي في كل التحركات والتنظيمات الوفدية التي صاحبت ثورة ١٩١٩، وسكرتير لجنة الوفد المركزية.

بل ان سعد زغول خاض المعركة بنفسه - ايضا - وخطب اكثر من مرة في الاجتماعات العمالية معلنا ايتهاجه بتوجيه الوفد الى التجمعات العمالية معملقاء العمال ما يستطيعه.

١ - الأهرام ٢٧-٢-١٩٢٤ .
٢ - الأهرام ٩-٩-١٩٢٤ .
٣ - عبد العظيم رمضان . تطور الحركة الوطنية في مصرية دار الكاتب العربي عام ١٩٦٨ ص ٥٤٥ .

خبري - وفي خطبة له في حفل اقامته نقابة عمال شركة السبك الحديدية
وواحات عين شمس يوم ٤ يوليو ١٩٢٤. قال في خطبته : -

بنيي! افرح كثيرا واسر كثيرا كلما شعرت ان هذه الحركة ليست فيما
يسمونه بالطبقة العالية فقط ، بل هي على الاخص في الطبقة التي اسمائها
حسادنا « طبقة الرعايا » وافتر بائي من الرعايا مثلكم . ويمضي سعد
زغول قائلا : « طبقة الرعايا » هي الطبقة التي ليس لها صالح خاص والتي
هيدوما ثابت على النول . . . هذه الطبقة لا تسعى وراء وظيفة تنالها
ولا منصب تحل فيه . . . ولا يبهز نظري ولا يطرب سمعي أكثر من أن أرى
رجلا فقيرا لا قوت عنده ينادي « يحيى الوطن » وليس يطمع في شيء إلا ان
يعيش كما هو ، ولكن ذلك الرجل صاحب الاموال وذلك الموظف في المنصب
العالبي إذا قال يحيى الوطن فانما يقول « يحيى وظيفتي أو مصلحتي » . ولذلك
رأيت كثيرا من أرباب تلك اصالح ومن ذوي الوظائف تقبلوا أو تغيروا ،
ولكن الرعايا أمثالكم ما تغيروا ولا بدلوا عقائدهم .

ثم يوجه سعد زغول مديحه لعبد الرحمن فهمي وحسن فاضل مثنيا عليهما
« ثناء جميل ، لما اتياهم عليكم من النصائح العالوية ، وما أوصياكم به من
التمسك بالصدق وحسن المعاملة والوفاء والطاعة وحسن النظام . نعم ان
تلك الصفات لازمة لكم لزوما أكيدا . . . »
وعكده يحدد سعد زغول مطالبه تجاه حركة العمال ، الصدق . . . حسن
المعاملة . . . الوفاء . . . الطاعة . . . حسن النظام . . .

وهي الى جانب أنها الفاظ أخلاقية عامة إلا أنها إذا قدمت من رئيس
الحكومة - في ذلك الحين - فان كلمات مثل الطاعة وحسن النظام تحمل
معان ذات دلالة خاصة وإذا شفعها سعد زغول بشروط هام ، فاذا برجتم
على النوال الذي ربيتم لكم فإن الحكومة التي هي حكومة للشعب
تساعدكم (١)

وفي ١٨ أبريل ١٩٢٤ صدرت مجلة عمالية وفدية باسم « العمال »
وهي مجلة نصف شهرية رأس تحريرها محمد متولى شويلم . . .
وفي ١٢ يونيو ١٩٢٤ تصدر مجلة وفدية عمالية أخرى اسمها (اتحاد
العميان) وتراش تحريرها نجاة عبد العزيز . . .

١ - آثار الزعيم سعد زغول - عهد وزارة الشعب - جمعها ورتبها محمد
إبراهيم الحريزي - الجزء الأول - نوفمبر ١٩٢٧ - الطبعة الاولى - ص ٢٤١ .

ومكذا خيل للوفد أن المرشح قد تهيأ لكي يتولى قيادة الحركة العمالية .. فماذا كانت النتيجة ؟

وما هو موقف جماهير العمال من سياسة إغلاق باب اليسار وفتح الباب أمام قيادة البرجوازية ؟

التدبيرات الخطوة الأولى وكأنها تحقق نجاحا كبيرا ..

فالعمال الذين حل اتحادهم العام ، كانوا لا بد ساعين الى تأسيس اتحاد جديد ، وحتى الكوادر اليسارية التي كانت لا تزال طليقة ركزت اهتمامها على تكوين وحدة عمالية صلبة تواجه المد الرجعي الذي صاحب الحملة ضد اليسار .

ولا شك ان اسهام الوفد في عملية تكوين الاتحاد قد جذب اليه كثيرا من القوى التي كانت تتخذ موقف التردد .

كذلك فقد كان عبد الرحمن فهمي ، يقوم بهذه الخطوات في ظل مباركة حكومة الوفد .. وكان يتحرك في مراكب ثمنه حكومية .

وفي حفل افتتاح فرع الاتحاد بالفيوم حضر الحفل محمود بك صبيحي مدير تخطيط المن بمصلحة التنظيم ومندوب الحكومة في النقابات وحضره الاستاذ حسن نافع عضو مجلس النواب وعبد الستار بك الياضل وعلى بك نجيب عضوا مجلس النواب .. وحضر الحفل كذلك بسعادة مدير الفيوم وحكمदार البوليس وكبار الموظفين .. وقد قضى الضيوف ليلتهم في سراي سعادة المدير (١) .

والحقيقة ان البداية كانت مشجعة جدا .. فالنقابة العامة التي تأسست كخطوة أولى لتأسيس الاتحاد العام ضمت بعد ثلاثة اشهر من اعلانها ١٢٠٠٠ عضو (٢) ثم تضاعفت الارقام سريعا عندما تأسس الاتحاد العام .

وتتضح صورة النجناح الذي تحقق من الخطاب الذي القاه محمد أنقدي فؤاد سكرتير الاتحاد العام بمناسبة تأسيس فرع الاتحاد بالاسكندرية (تحت رئاسة محمد بك جسيب نقيب المحامين) .. وقد جاء في هذا الخطاب ان الاتحاد يجمع نيفا ومائة نقابة تضم نحو مائة وخمسين ألف عامل ..

١- اتحاد العمال ١٦ - ١١ - ١٩٢٤ .

٢- اتحاد العمال ١٢ - ٦ - ١٩٢٤ .

فضلا عن الجهود التي لا يزال يبذلها العمال لتوحيد كلمتهم للانضمام للاتحاد وينتظر ان تتكون ١٠٠ نقابة أخرى في وقت قريب .

وقال محمد فؤاد : ان هذا النجاح العجيب كان ابن شهرين فقط . (١) .
لكن ماذا فعلت قيادة الوقت بهذه الألفين المؤلفة من العمال ؟
فقد حاولت معها نفس القصة القديمة اغلاق باب وفتح باب آخر .
وهكذا تركزت الحملة الأسبوعية داخل صفوف الاتحاد انعام لاغلاق
الباب في وجه اليسار . . .

واتخذت حملة اغلاق باب اليسار اشكالا متعددة ، مقالات وخطب
وجملات تطهير في النقابات . . . الخ .

وفي مجلة اتحاد العمال وهي المجلة الرسمية للاتحاد يكتب محمد فؤاد :
سكروا الاتحاد مقالا يقول فيه : دفع الطيش بعض الشبان الذين لا خلق
لهم بالاسكندرية وغيرها من المدن الى اعتناق مذهب الشيوعية واحتالوا بهذا
الذئب على الغنم ، فنفثوا هذا السم وكاد هذا الداء العضال ان ينتشر في
هيكل الأمة لولا ان تبيض الله بعض رجال الحكم من قوى النخبة فاعتقلوا
هؤلاء الشبان الآثمين وزجوا بهم في اعماق السجون جزاء ما منحته ايديهم وما
جنوه من الذنوب . . .

ثم يواصل حديثه موضعا حقيقة الدور الذي يلعبه هو وعبد الرحمن
نهمي وكل الاتحاد العام (الوفدي) . وقيض الله في هذا الطرف العصيب
للعمال سعادة عبد الرحمن بك نهمي زعيم العمال فابتغبلهم من هذه الهرة
التي كادوا ان يقعوا فيها . (٢) .

وفي افتتاحية العدد الاول من مجلة العمال (الوفدية) يكتب رئيس
التحرير قائلا : واجب العمال ان يتضامنوا ويقالفوا تحت لواء واحد وزعامة
واحدة وأن يطرقوا باب الإصلاح بالطرق المشروعة والحكومة ذنفسها لا تقص
عليهم بما يطلبونه ما دام في دائرة العقول . . . بيد أن من يتعجلون الإصـور
لا يتفكرون معنا في الرأي ويحاولون الطهارة وهي مجال . وهم مع اخلاصهم
يندفعون انديفاعا يجاكي التيارات الجارفة ولا يقبلون التأنى والترتيب فيما
يقدمون عليه وهذه حال لا تشر أصحاب المدارك ومن ذلك نرى أعمال مكفرة .

١ - اتحاد العمال - ١٦ - ١١ - ١٩٢٤

٢ - اتحاد العمال - ٢١ - ١٢ - ١٩٢٤

قد تضطر ولاية الامور حتى في العهد الدستوري الى كبح جماح الخارجين على
القانون والنظام» (١)

لكن اغلاق الباب في وجه اليسار كان مجرد خطوة لا بد ان يتبعها خطوة
اخرى تستهدف بث الفكر البرجوازي في صفوف العمال . ولقد بذل
عبد الرحمن فهمي (زعيم العمال - كما اسمى نفسه) كل ما لديه من جهد
في محاولة ابراع هذا التجمع العمالي من اى محتوى ثورى وطلانه بطاؤه
مفتخل غاية الاعتدال تهيئ عليه الافكار البرجوازية .

وفي خطابه في افتتاح فرع الاتحاد بالقيوم يتساءل عبد الرحمن فهمي
« ما هو النجاء والمال ؟ وما قيمتهما ؟ هما زائلان بزوال الزمن فانسان مع
العسر ولا يبقى الا العمل الصالح والذكرى الطيبة . ان العامل الذى يطمع
ميرما بيد اصحاب رؤوس الاموال بلا حق انما يسمى لثمار بلاده وخراب
سوقها الإقتصادي . فاننا في حاجة ان نثبت للعالم ان العامل المصرى
متمسك بحقه فقط ، فلقد قبلت زعامتكم لادافع عنكم واجمى مصالحكم فلا
تنتظروا . منى ان نحاول الحصول لكم على اكثر من حقوقكم ، فانى كما
ادافع عنكم وعن حقوقكم اذافع عن حقوق الشركات معكم ولو لم تكفىنى مى
بذلك . لان حماية مصالحها صيانة لصالح بلادنا التى نتحت صدرها للاجانب
لتنفيذ منهم وبيعتيوا . من لانهم ضيوفنا ولقد اشتهرتكم باكرام الضيف ،

ثم يمضى عبد الرحمن فهمي قائلاً ، واعلموا ان هؤلاء القوم الذين يقولون
ان العامل يشتغل طوال يومه وليته باجر زهيد بينما صاحب زاسى المال
يكسب الذهب ، انما هم قوم يفيدون العقول والعقائد » (٢)

ولكن الامر لم يكن مجرد خطاب جوفاء ، والعمل الصالح والذكرى الطيبة ،
فقد اثبت الاتحاد العام (الوفدى) انه كان أداة برجوازية لفرض الاستسلام
على اى تحرك عمالى ولشل كل محاولة ايجابية يتخذها العمال سبيلا
لتحقيق مطالبهم .

وعندما اضرِب عمال فابريقة المعصرة توجه اليهم عبد الرحمن فهمي
طائفتا منهم تفويضه في « كل الاشكال » وما ان منحه العمال هذا التفويض
حقى اصْحَر اليهم ازمزهم « بغض الاضراب والعودة الى العمل » .
لهم وتقول مجلة « اتحاد العمال » ان « العمال فقد قبلوا ذلك التصح الغالى
بالمطاعة الواجبة » .

١ - العمال - ١٨ - ٤ - ١٩٢٤

٢ - اتحاد العمال - ١٦ - ١١ - ١٩٢٤

وتصنف نصيحة عبد الرحمن نهمى بنض الاضراب بانها نصيحة ابوية
سلمية غالية (١) .

وعندما يعلن العمال الزراعيون في تفتيش الطاعة التابع لشركة السكر
الاضراب احتجاجا على عدم منحهم علاوات طوال خمسة أعوام .. فان محند
فؤاد سكرتير عام الاتحاد لا يجد ما يوجهه لهم سوى اللوم قائلا . ولو أنى
أشدق على العمال الا انى أوجه اليهم بعض اللوم فقد كان الاجدر بهم أن
يظفروا بعين الحكمة ، وكما صبروا على الآلام خمس سنوات غليحتلوا شهورا
أخرى .. فالشعب كله ضائع الحقوق ونحن جزء من الشعب فلنأسلوى ولنا
عزاء ، وان الله مع الصابرين لا يضيع أجر المستحقين .. (٢)

وفي الاسكندرية واجه عمال مطبعة لاغوداكس ظروفنا عصيبة فقد جرمهم
صاحب المطبعة من مكافاتهم السنوية وتصل عددا من العمال النقابيين قائلا
« من كان مذكم فى النقابة فلا عمل له عندى » ثم قرر تخفيض أجور العمال
بنسبة ٤٠٪ .. وحينما طرح بعض العمال فكرة الاضراب قاومهم الاتحاد ..
وقالت جريدة « العمال » انه من نقاوة قلوب العمال وطهارة ضمائرهم
وعينهم الى حب السلام رفضهم لقرار الاضراب والاكتفاء بانذار صاحب العمل
بواسطة محافظ الاسكندرية .. (٣)

وفي أكثر من مرة أصدر الاتحاد بيانات يحذر فيها العمال من القيام
بأى اضراب مطالبيا العمال أن يقتنعوا بمطالبهم الى الاتحاد ليعمل هو على
تحقيقها ، وليقرر الطريق الذى يراه مناسبا لذلك .. والا فان الاتحاد
لن يناصر العمال الذين يضررون من تلقاء أنفسهم .. (٤)

وهكذا اكتشف العمال بخبرتهم الذاتية أن الاتحاد (الوفدى) لم يكن
سوى تجمع يستهدف شل كل تحرك ثورى لهم واعانتهم عن اتخاذ أية خطوة
جادة للحصول على مطالبهم العادلة ..

وسرعان ما أدركت تلك الألوف المؤلفة من العمال التى تجمعت سريرا
في صفوف الاتحاد ، أنها قد تجمعت في المكان الخاطيء ، وأن الوعد وأن
كان أداة للنضال الوطنى الا أنه لا يمكن أن يكون أداة للنضال الطبقي للعمال .

ربما لم يكن الامر واضحا بمثل هذه الصورة الناطعة في ذهنان هذه
الأثوف من العمال وربما كان البعض قد افترض لبعض الوقت بالكلمات

١ - اتحاد العمال - ١٩ - ٦ - ١٩٢٤ .

٢ - اتحاد العمال - ١٥ - ٢ - ١٩٢٥ .

٣ - العمال - ٣ - ٦ - ١٩٢٤ .

٤ - الأهرام - ١٦ - ٨ - ١٩٢٤ .

الساذجة عن الصيرفة وهد القناعة . وهد العمل الصالح ، وواكرام الضيفه
الخ . . .

لكن الصراع الطبقي العنيف الذي كانت تموج به مصر ، والنضال
الاستقلالي الشيع الذي مارسته الراسماليون المصريون ، والاجانب على السواء ،
حفز العمال الى نضال طبقي كان لابد لقيادة الوفد ان تنفت ضده
وكذا ، وكما تجمع الوقت العمال شريعا حول قيادة الاتحاد العام
الوطني ، انفضوا شريعا . . .

ومن بين ٢٥٠٠ عامل ضمهم اتحاد العمال الخاضع لنفوذ سعد
زغلول لم يبق سوى ١٣٠٠٠ في عام ١٩٢٧ ، وفي بعض النقابات تسربت
المعضوية بنسبة ٦٠ او ٧٠٪ وكذا فقدت مقومات استمرارها (١)
وما ان اعتقل عبد الرحمن فهمي في حادث مقتل السرदार ، وما ان جاء
زيور الى الحكم خلفا لحكومة الزويد حتى انهار هذا الاتحاد من اساسه
واختفى من ذاكرة التاريخ مسجلا الفشل الاول والصارخ لمحاولة البرجوارية
لقيادة النضال الطبقي للعمال . . .

وفي الوقت الذي كان الشيوعيون والنقائيون اليساريون يهاجمون هذا
الاتحاد (الوئدي) ويسمونه « الاتحاد الاصفر » (٢) كان الرجعيون وسلطات
الاجتلال يعارضونهم ايضا - جهود الوفد لكتيب نفوذ العمال . . .

فجريدة الاجيبيان جازيت (القاطنة باسم سلطات الاجتلال) هاجمت
هذا النشاط الوئدي وحاولت التشكيك فيه « لان حركته لا تحددها الغيرة على
مصالح العمال ولا يديرها عمال - ولان فرض المشروع هو خدمة صالح اولئك
الذين وجدوا لاسباب مختلفة ان الطريق العادي للتقدم محدود امامهم ،
فاخذوا في البحث عن وسائل اخرى تمكنهم من خلق مراكز تخدم اغراضهم
السياسية » (٣)

وربما كان الاسرام اكثر ذكاء ، عندما ادرك أهمية ان يسيطر الوفد على
زمام حركة العمال فرد على الاجيبيان قائلا :

(1) The Labour Monthly - vol. 10 - No5 - May 1923.

(2) Zaki Badaoui- les Problemes du travail et les organisations ouriers
P.235.

(3) The Egyptian Gazette 19.4.1924.

« إن العمال في كل بلد محتاجون لمن يأخذ بيدهم في كل طور من أطوار
الانتقال من عهد عتيق إلى عهد جديد » ، وقال إن هذه الجريمة ترمى إلى
« إيجناد جو هادي » ، يعيشت التعامل فيه مطمئن البال راضى النفس بعيداً عن
الفوضى والعبث بالنظام » (١) .

لكن الرجعية المصرية ظلت على الدوام في حذر شديد من أى نفوذ وفدى
وسيط، صفوف العمال المنظمة وربما نجح خوفها من أن يؤثر مثل هذا التلاحم على
المحتوى الطبقي والنضالي لحزب الوفد ذاته .

وفي فترة لاحقة - يناير ١٩٣٥ - عندما قرر الوفد بناء على تقرير
تقدم به عزيز مبرم انشاء المجلس الاعلى لنقابات برئاسة حمدي باشا
سييف النصر - حاجت الدوائر الاستعمارية والرجعية ودوائر اتحاد للصناعات .

ونشرت الديبلي تلجراف برقية لراسلها في القاهرة جاء فيها « أن قرار
الوفد بانشاء مجلس أعلى لتنظيم اتحاد العمال بعيد في نظركم أهم تطور
سياسي وقع في مصر منذ عام ١٩٢٢ . لقد أنشأت الحكومة مكتبا للعمل
والعمال وقام هذا المكتب بتنظيم حالة العمال تدريجيا على قاعدة سياسية
ولهذا يعد ما قرره الوفد من انشاء مجلس أعلى للعمال بمثابة سعي منه
لاختصاص سلطة الحكومة وبعبارة أخرى يمكن أن يقال أن الوفد يتحدى
وزارة نسيم باشا » (٢) .

وتحركات الرجعية المصرية أيضا فوجئه اسماعيل صدقي رسالة الي
نسيم باشا رئيس الوزراء جاء فيها « ان الوفد بقيامه بانشاء مجلس أعلى
لعمال إنما يهدف الى اتخاذ طوائف العمال أداة يستغلها في أغراضه
السياسية » (٣) .

وقد اعتبرت الحكومة بالفعل لقرار الوفد هذا « . . . ويشير « البلاغ » الي
ذلك قائلا « اهتم ولاة الامور بوزارة الداخلية بالقرا الذي أصدره الوفد المصري
منذ يومين بانشاء مجلس أعلى لاتحاد العمال . وقد اتصل بي ان مستر
جريفز مدير مكتب العمل رغب اليوم الي صاحب الدولة محمد نسيم باشا وزير

١ - الاهرام - ٢٢-٤-١٩٢٤ .

✳ تولى الرئاسة في البداية عباس حليم ولكنه ما لبث ان تنحى تحت
ضغط مستر جريفز مدير مكتب العمل .

٢ - ١٢-٢-١٩٣٥ .

٣ - عبد المنعم الغزالي - تاريخ الحركة النقابية المصرية - دار الثقافة
الجديدة - الطبعة الاولى ١٩٦٨ ص ١٨١ .

الداخلية مذكرة بشأن هذا التمرار . . . وقد قابل حسن بك رفعت (وكيل وزارة الداخلية) صاحب الدولة نسييم باشا صباح اليوم مقابلة دامت أكثر من ساعة ونصف . والمفهوم ان مسألة العمال كانت موضوع الحديث بينهما (١) .

وهكذا ارتكبت الرجعية وسطات الاحتلال الخماقة الكبرى ، فلقد كان الوفد بطبيعة موقفه البيسياني وتركيبه الطبقي ومنطلقاته الوطنية هو الحزب البرجوازي الوحيد المؤهل لأن يلعب دورا في صفوف الطبقة العاملة . . . وكانت الحرب التي شنت ضده في هذا الصدد أشهر لافلاس مسبق لاية محاولات اصلاحية أو برجوازية للتسبل لصفوف الطبقة العاملة والتاثير فيها تاثيرا شتالا . . .

وعلی أية حال فلم يكن الوفد هو الحزب الوحيد الذي حاول أن يلعب دور القائد البرجوازي لجمهير العمال - اذا أنه يبدو أن الغياب المفاجي ، لكي ادر اليسارية عقب حل الحزب في ١٩٢٤ ونتيجة للملاحظات المستمرة ضدهم قد اعطى انطباعا بان ميدان العمل النقابي قد أصبح مستباحا لأي انسان . . . وهكذا تشدهم جميع القوى تحاول ان تكسب لنفسها مكانا في موقع القيادة التالي . . .

وحتى عناصر مثل د . محجوب ثابت حاولت هي ايضا ان تلعب دورا فاشلا في تكوين اتحاد عمالي بعيد عن السياسة وبعيد عن الأحزاب . . .

ومحجوب ثابت واجد ممن ايهموا في الحملة المشعورة ضد اليسار في عام ١٩٢٤ ، وفي ١ مارس ١٩٢٤ اصدر بياناً يعلن فيه « براءة سائر أعضاء نقابته (نقابة الصنائع اليدوية) من الشيوعية » ويؤكد من ناحية اخرى « انه يعطف كل العطف على مطالب العمال العادلة تحت لواء السلم » (٢) .

وعندما ناقش البرلمان موضوع منع النائيب الانجليزي الشيوعي سكلانقلا من دخول مصر كان موقفه استمرارا للموقف السابق فطالب الحكومة بمنعنه من الدخول (٣) .

وقد نشط محجوب ثابت في عام ١٩٢٧ محاولا تأسيس اتحاد للعمال بعيدا عن الاحزاب ووجه نداء للعمال جاء فيه . . .

١ - البلاغ ١١-٢-١٩٣٥ .
٢ - امين عز الدين - شخصيات ومراحل عمالية - كتاب الجمهورية - ص ٢٧ .
٣ - راجع نص مضبطة مجلس النواب - بالملاحق .

« أيها العمال : جانبوا الأحزاب لمصلحتكم ومصلة وطنكم ، ولا تكونوا
خطايا للأشخاص ، أخدموا الزعماء والمترجمين وسامرتهم المستغلين .
لا تتحزبوا بل تقفوا من الأحزاب موقفا سلبيا » (١) .

وإذا كان ظاهر الكلمات هو عزل العمال عن حزب الوفد ، فقد كان
أساس الدعوة لابعاد العمال عن السياسة والأحزاب هو محاولة عزل العمال
عن أدراك دورهم الفصالي والطبقي وحصر كفاحهم في إطار المطالب
الاقتصادية وحدها .

وإذا كنا لا نملك الحق في تقييم دور رجل كمحجوب ثابت في معجالة
كدهه ، فإننا نكتفي بأن نشير إلى علاقاته الوثيقة بإسماعيل صدقي وأن
صدقي هو الذي عينه كبيرا لأطباء الجامعة ثم عينه مستشارا لمكتب العمل ،
بل لقد رشحه لعضوية النواب عن دائرة بولاق بعد مذبحه عمال العنابر
وإن كان محجوب قد تخرج من ذلك الترشيح واعتذر عنه (٢) .

ويكفي أن محجوب ثابت وصف إسماعيل صدقي بعد كل ما ارتكبه
من جرائم في عام ١٩٢٠ بأنه « الرجل الوطني الشديد في وطنيته ، للقوى
انعازية ، الصعب المراس ، البعيد النظر ، والربان السياسي الماهر » (٣) .

لكن محاولة محجوب ثابت لم تكن المحاولة الوحيدة ، كما أن فشله
لم يكن الفشل الوحيد .

فهناك محاولات أخرى عديدة قام بها أشخاص مثل عزيز بك ميرهم
(الوفد) داود راتب بك (الأحرار الدستوريين) إدجار جلال باشا (السراي) (٤)
لكنها باءت جميعا بفشل ذريع مسجلة أن الحس الطبقي المرف لجمياهير
العمال المصريين كان أعمق من أن يضلل بقيادات برجوازية . . .

وكانت هناك أيضا تجربة عباس حليم وهي تجربة طويلة مرت عبر
عديد من المنحنيات وأسهمت فيها قوى مختلفة من بينها كوادر اليسار التي

- ١ - أمين عز الدين - المرجع السابق ص ٣٤ .
- ٢ - ننتفاصيل راجع - رؤوف عباس - الحركة العمالية في مصر ، دار
الكتاب العربي - ص ٧٨ وما بعدها .
- ٣ - صالح علي عيسى السوداني - الاسرار السياسية لابطال الثورة
المصرية وآراء الدكتور محجوب ثابت - شركة فن الطباعة (دوت) ص ٢٠٨ .
- ٤ - رؤوف عباس - المرجع السابق - ص ١٤٣ .

حاولت أن تؤيد ديموثرياس حليم كطريق للدعوة لخلق حزب سياسي للطبقة
العمالية (١) * * * * *

وعلى أية حال فإن تجربة نقباس حليم قد عانت حتى الأخرى من
فشل ذريع * * * * *

ومع ذلك وبمعد جهود مستمرة ومتعددة بخلتها قوى وتيارات برجوازية
عديدة للسيطرة على الحركة العمالية المصرية ابتداء من عام ١٩٢٤ وحتى
نهاية الثلاثينيات يأتي مطلع الأربعينيات ليجد الحركة العمالية وهي متجهة
من جديد نحو اليمين ولا تكفي بان تفرز قادة وكرار عمالية ونقابية
وأفكاراً فخرت أيضاً كقواد سياسية يسارية * * * * *

أما بعد هذه المقدمة التي لا بد من ذكرها * * * * *

وبالواقعية أن الحركة العمالية لم تتعرض فقط في هذه الفترة لتحاولات
من الغزو الطبقي الخارجي للتسلط على قيادتها، وإنما تعرضت أيضاً
لهزوات فكرية عديدة حاولت جهد الطاقة إزاع التحرك العمالي من مضمونه
السياسي والطبقي * * * * *

وقد شارك في محاولات الغزو هذه كتابا وصحفيون ومفكرون عديدون
لكننا سنكتفي بتقديم بعض النماذج التي تقدمت للعمال في صورة
النصح المختص والمؤيد المتعقل * * * * *

فعمداً أُضرب عمال النسيج في عام ١٩٢٧ مطالبين بزيادة الأجور
وتحسين شروط العمل كتبت مجلة الرقيب في ١٠ زوت الصخف أن النيابة
العمومية أحالت بعض عمال النسيج للتحريز إلى قاضي الاحالة توظفهم لحاكمتهم
جنائياً وذلك لما نجم عن إضراب عمال النسيج في الجمالية وما يترتب
على هذا الإضراب من الهياج والشروع في القتل * * * * *

ويجب أن يكون مفهوماً لدى العمال أنه قد يفانل نبالين ما لا يفانل
بالشدة والعنف، وأن الإضراب سلاح كرهه الله يمكن قنوى الناس من اشتراكه
سلاحاً للقليل والقال. والدعوى بان الشيوعية وامثالها متشعبة بينهم
ولعم الحق أنهم أبرياء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولعل أخواننا
العمال يعقلون، وبأنهم لا يجدون مبرراً (٢) * * * * *

أما للفاضل زانج - د. رفعت السعيد - عصام الدين حفني ناصف * * * * *

سلسلة طلوع الفكر الاشتراكي - آذار الثقافة الجديدة - ١٩٢٧ - ١١ - ١٠ - الرقيب - ٢

وحتى . كاتبة مثل أحمد الصاوي محمد نجده يخصص بعضها عن
• ما قل ودل • للاستهام في مثل هذا الغزو الفكري فهو يحث العمال على
أنه • لا يجوز أن يكون في يد الحكومة أو على الحكومة • وعندما تصبح تلك
عضيدة عنده ، ويأبى أن يستغل باليمين أو الشمال لاهواء سياسية سيصن
الى ما يطمح اليه من احترام جميع طبقات البلاد . . .

وكل ما نطمح فيه ونتمناه أن يفصل العمال عن السياسة . . . وإذا
خلص العمال حركتهم من التطرف في المذهب . الخطة فإن حركتهم تكون
جديرة بكل تشجيع • (١) .

كذلك خضعت الحركة العمالية لمحاولات أخرى من الغزو من قبل تجمعات
مثل الاخوان المسلمين أو مصر الفتاة أو تجمعات شبه فاشية كالعصان
النخضر والزرق . . الخ . . .

لكن الحركة العمالية المصرية استطاعت بأصالتها الثورية وحسنها
التطبيق ان تكنس ذلك كله • وأن تفرض أسلوبها الخاص في النضال وأن
تعمز مكانة قادتها العماليين المخلصين . . .

ولقد كان الاضراب السلاح الاساسي للتطبيق العاملة المصرية . . . وثمة
دراسة تقول :

• لقد كان هناك اضراب أو تهديد بالاضراب في كل أسبوع . . .
وفي سبتمبر ١٩٢٧ اضراب ٣٠٠٠ عامل بسكة جديد الفيوم بسبب قسوة
التشريف على العمل ، وتم ينته الاضراب الا بعد طرد هذا المشرف • وما لبثت
العمال أن عادوا للاضراب في الشتاء بسبب محاولة الشركة انقاص الاجور
بنسبة ١٠٪ . . .

وفي نوفمبر ١٩٢٧ اضراب عمال غزل الحرير ضد محاولات تخفيض
الاجور ، وقد احتشد العمال أمام المصنع في مظاهرة صاخبة وتصدى
ليهم البوليس واعتقل عددا كبيرا منهم . . .

كذلك فقد انتهى البوليس بطريقة دموية الاضراب آخر لعمال النسيج
بالتساخرة وسجن ٥٠ عاملا . . . ونظمت اضرابات عديدة أخرى لعمال السجاير
وعمال قناة السويس وعمال الخابز وعمال ميناء الاسكندرية وعمال الايكندرية

١ - أحمد الصاوي محمد • ما قل ودل • الجزء الاول : مطبعة دار الكتب
عام ١٩٣٤ ص ١٢٥ . . .

لكن أهم حدث أصرأبي شد أنظار الجمهور كان أضراب عمال الترام
بالاسكندرية والذي استمر من ٢١ إلى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٧ وقد تقدم العمال
بالمطالب الآتية :-

١ - زيادة الأجور بنسبة ٤٠٪

٢ - حق العمال في العلاج الطبي المجاني

٣ - الحفاظ على حقوق العمال في حالة انتقال الشركة إلى مالك
آخر

وبينما كانت هذه المطالب معروضة أمام لجنة التحكيم قرر العمال
الأضراب وكان أضرابا شاملا وجماعيا ، وقد تقرر الأضراب في اجتماع عام
لعمال ، ونشلت كل محاولات الشركة في تسير قطارات الترام
وسرعان ما تدخلت الحكومة وأعلنت أن الأضراب غير مشروع بحجة أنه قد
بدأ قبل الإنتهاء من عرض الأمر على لجنة التحكيم ومن ثم فقد أصدرت
الأوامر للبوليس بل وللجيش بالتدخل لإنهاء الأضراب بالقوة ، لكن هذه
التدابير لم تؤثر في العمال كثيرا ، كما لم يؤثر فيهم قرار الشركة باعتبار
كل عامل لا يعود للعمل فورا منصولا ، واستمر العمال في الأضراب ، وتضامن
معهم سائقو التاكسي بما أظهر الأضراب بشكل مؤثر فعلا .

و لم ينفذ الأضراب الا بعد أن أعلنت الحكومة مسئوليتها عن
تنفيذ مطالب العمال . (١)

ثم ما لبثت الطبقة العاملة أن شهدت في الثلاثينيات فضلا شجاعا
بشخصه ذو صبغة سياسية مثل أضراب عمال العنابر في مواجهة الإرهاب
الشيائى بالحكومة صدقى (١) نقل في هذا الأضراب ١٦ عاملا وجرح ١٢٠ -
وحوكم ١٢٠ أمام محكمة الجنايات - وفضل ٤٧٧ عاملا (٢)

و بعضه الآخر ذو صبغة اقتصادية والحقيقة أن أعوام الثلاثينيات
شهدت موجات لا تنقطع من الأضرابات العمالية التي تفجرت نتيجة لاختلاف
عوامل القهر السياسى والإقتصادى والاجتماعى (٢) والتي لم يكن من الممكن

(١) The Labour Monthly - vol . 10- No 5 - May 1929.

(٢) The strike wave in Egypt . by . j . B .

٢ - عبد المنعم الغزالي - المرجع السابق - ص ١٦٧

٣ - للبحث تفصيلا في التحركات الأضرابية في هذه الفترة - راجع

عبد المنعم الغزالي - المرجع السابق ص ١٦٦ وما بعدها

رؤوف عباس - المرجع السابق ص ٩٨ وما بعدها

لأى متزعين برجوازيين في صفوف العمال ولا لى دعاوى برجوازية أن توقف تدفقها الجارف ... ذلك التدفق الذي كان بمثابة الألهام المستمر للتجمعات الحزبية اليسارية ولتوى المثقفين الليبراليين ، وكان بليلا حيا ومستمرا لفشل محاولات الغزو البرجوازي وعجزه عن إخماد الروح الثورية في صفوف حركة الطبقة العاملة .

* * *

ولذا كانت القوى الرجعية قد قاومت أى نفوذ وفدى في صفوف الطبقة العاملة ، فانها قد قاومت أية اتجاهات اصلاحية أخرى . والحقيقة ان انتفاضات العمال المتكررة والتي اتخذت في كثير من الاحوال طابع العنف والتحرك الجماعى التمسال ، قد حفزت كثيرا من المفكرين البرجوازيين الى الدعوة لانتهاج مواقف اصلاحية تخفف من حدة انبفاس العمال نحو اليسار .

لكن القوى الرجعية كانت لا تزال تمشي بعقلية مطّح القرن ، وكأذت لا يزال تصمم على أن العامل جاعل ويجب أن يبقى مغمض العينين وأن أى يصدى من النور ، خطر يتعين مقاومته ، وكانت تصمم على اتهام أية اتجاهات اصلاحية بأنها تحرك بلشفي

وعندما طالب الاصلاحيون وفي طليعتهم بعض النواب الوفديين مثل حسن نافع وغيره بسن تشريعات عمالية ، وأصدر البرلمان تحت ضغطهم

ونتيجة للحاحم قرارا في عام ١٩٢٧ بتشكيل لجنة لاعداد تشريع عمالى برئاسة عبد الرحمن رضا باشا ، رفض اتحاد الصناعات من حيث المبدأ فكرة استصدار أية قوانين عمالية ، واعلن أنه في حالة الاصرار على سن قوانين عمالية يجب أن تصدر هذه القوانين تدريجيا ، كما يجب حمايتها من خطر الآراء الفقهية الهدامة (١)

... وبينما كانت لجنة رضا تواصل عملها في وجه مقاومة ضارية من البرجوازية المصرية شكل اتحاد الصناعات ، لجنة لبحث الامر ووضعت الشروط التي يراها الاتحاد ضرورية في حالة البحث في اصدار أى تشريع عمالى

١ - عبد الحمم الغزالي - المرجع السابق - ص ١٦٢ .

ومن بين هذه الشروط :
 * ألا يتخذ أى قانون عمالي إلا بعد فترة يستعد خلالها أصحاب الأعمال لتنفيذ التشريع
 * ألا يكون للتشريع العمالي أى أثر رجعي
 * ألا تدخل التشريعات الاجنبية ، بل يجب عند وضع التشريع أن تراعى مستوى عقلية العمال وتوتهم والمقدرة المالية . لأصحاب الاعمال (١) .

وأخيرا انتهى الصراع بان تجاهلت الحكومة مشروع القانون الذى أعدته لجنة برضا ، وانفتحت في اعداده ثلاث سنوات كاملة ، وضمنت ١٠٢ مادة في ثمانية عشر فصلا . وكان وأد قانون لجنة رضاء تعبيراً قاطعاً عن رفض الميزاجازية المصرية لأية اتجاهات اصلاحية وتضمينها على مواصلة الانتعاش الشرس للعمال دون أية مراعاة لظروفهم الانسانية أو المعيشية . الا ان النصيب العمالي المستقر ما لبث ان أجبر الحكام على الرضوخ للمطالبة بضرورة سن تشريعات تحمى العمال وتنظم علاقاتهم بأصحاب العمل ، وفى عام ١٩٢٢ شكل المجلس الاستشارى الاعلى لعمال مصر وفى أعوام ٢٤ - ١٩٢٦ صدرت أول أربعة تشريعات عمالية تنظم أولها تشغيل غير البالغين (قانون ٤٨ لسنة ١٩٢٤) والآخر تشغيل النساء (قانون ٨٨ لسنة ١٩٢٣) وتعلق التشريع الثالث بتجديد ساعات العمل في الصناعات الخطرة (القانون ١٤٧ لسنة ١٩٢٥) أما الرابع فقد جدد حقوق العمال في مجالات حوادث العمل (القانون ٦٤ لسنة ١٩٢٦) وبرغم تصور هذه التشريعات الا أنها كانت نقطة تحول هامة في تنظيم علاقات العمل (٢) .

لكن كل محاولات الإصلاح هذه كانت تتم في نطاق معاد تماماً يعشرون أن كل تحرك عمالي هو عمثل هدام ومعاد للنظام الاجتماعى .

١ - المرجع السابق - ص ١٦٤ .

٢٠ - السفارة الفرنسية - القاهرة - تقرير مؤرخ في ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠
 مرتبط من موريس كوفى دى موريل سفيرا فرنسا بالقاهرة الى وزير الخارجية روبرت شومان - معنون : الحركة النقابية والعمالية في مصر ، محرر بالألة للكتابة الفرنسية - مودع بالارشيف الخاص بوزارة الخارجية الفرنسية في باريس ومثبت في صدره أنه قد أعد بناء على طلب إدارة قسم افريقيا الشرقية برسالة مؤرخة في ٢٣ مايو ١٩٥٠ .

أحد الباحثين إلى ذلك قائلا . . . وتتمثل حالة الرعب هذه في ذلك البنين البوليسى الذى شكل . مكتب العمل . عندما أنشئ، بمقتضى القرار الوزارى رقم ٤٠ في ٢٩ نوفمبر ١٩٣٠ . فالمكتب ألحق بإدارة عموم الامن العام المختصة بالجريمة والامن في البلاد ، والتي كان الوجود البريطانى يهيمن عليها . وانشئت رئاسة الكتب إلى أحد منقضى الداخلية من الانجليز وهو روم جريفز الذى كان يشغل منصب وكيل عام الادارة الاوربية .

. . . وفوق هذا فقد كان القسم المخصوص ممثلا في تشكيل المكتب وهذا كله رسخ الاعتقاد عند الطبقة العاملة بان مهمة هذا المكتب هو مراقبتها والسيطرة عليها . . . لا حمايتها . (١) .

وهكذا قاومت الرجعية المصرية اى نفوذ للوفد في صفوف حركة الطبقة العاملة . . .

وقاومت اية تجمع عمالى نقابى أو سياسى حتى ولو كان تحت قيادة نبييل من الاسرة المالكة كعباس حلیم . . .

ورفضت اية محاولات اصلاحية ، سواء اكانت تشريعية أو اجتماعية . ولقد أدى هذا الاصرار الرجعى على رفض اى موقف اصلاحى بالعمالى المصريين الى موقف محدد هو رفض النظام ككل ، ولم يكن ثمة طريق آخر امامهم .

ولكم هون هذا الموقف الرجعى على اليسار كثيرا عن المعارك كان يتعين عليه ان يخوضها لولا ان البرجوازية نجحت في اقامة منظمات عمالية تحت قيادتها ، او لو انها استطاعت نشر دعاوى اصلاحية ناجحة
وهكذا فان تحجر العقليات الرجعية قد أغنى التوى الثورية المصرية عن خوض معارك صعبة وحدد امام العمال المصريين طريقا وحيدا هو خوض الصراع الطبقي حتى مدها

١ - د. عبد الغايب بكر في أضواء على النشاط الشيوعي في مصر ١٩١١ - ١٩٥٠ - دار المعارف (١٩٨٣) ص ٤١ .

وَالْفلاحين أيضا

وكالعادة فقد كان الريف المصرى يعاني أكثر من أى مكان آخر

وبالإضافة الى المعاناة التقليدية ، تراكمت فوقه كل اضطرابات عهود
الانقلاب والتسلط ابتداء من حكم زيور الى حكم اليد الحديدية ، الى
حكمة صدقى .

وبدءا وكأنت أزمة القطن وتدهور أسعاره تمثل خاتمة المطاف التى هوت
بنايريف المصرى الى حالة الانهيار الأقتصادي الكامل وتوالى حالات
الانفلاس والحجز والبيع الاجبارى بحيث أصبحت أسلوبا معتادا
وارتفعت الأصوات تطالب الحكومة بالتدخل . وحتى تلك الأصوات
التي ظلت لعدة سنوات تنشد أغنية عدم التدخل والحرية الكاملة للاقتصاد ،
عادت لترتفع مطالبة الحكومة بأن تدخل سوق القطن مشتريا

وبعد تردد طويل - كما تقول جريدة « الاتحاد » لسان حال « حزب
الاتحاد » أخذت الوزارة تشتري كل يوم ، حوالى المائة بالة مع أنها قررت
مشتريا القطن من سوق ميناء البصل لغاية ٥٠٠ ألف قنطار . والقندر
الذى كانت تشتريه الحكومة هو دون ما يشتريه كثير من المصدرين كل على
انفراد ، ونضلا عن ذلك فقد كانت الحكومة تدفع أسعارا دون ما يدفعه
المصدرين . فلو أن الوزارة لزمت السكوت لكان الأوفى لان ضعف
تقدير ما تشتريه وتؤديه من السعر أطمع المضارب وهيا له سنبل الغش
على أمل عيوط الاسعار بالتدريج » (١) .

وقد تدهورت اسعار القطن الى حد لم يسبق له مثيل ، حتى خسرت
البلاد بسبب ذلك نحو ثلاثين مليوناً من الجنيهات المصرية ، مما كانت عليه
الأسعار فى أول السنة ولا يعلم أخذ الى أى حد تهبط بعد ذلك ، (٢) .

١ - الاتحاد - ١٤ - ١ - ١٩٢٦ .

٢ - أحمد شفيق باشا - حوايات مصر السياسية - الجزء الثالث - طبعة

سبتمبر ١٩٢٩ ص ١٩٦ .

وعجز المستأجرون تماما عن تسديد الايجارات ، وارتفعت اصوات
عديدة في الصحف تطالب ، أصحاب الاطيان بتنزيل اجور اطيانهم تفريجا
للازمة وتهويننا لحال انفلاح المستأجر الذى أصبح في ضيق من جراء هبوط
اسعار القطن . وكان سعد باشا زغلول اول من تقدم على هذا العمل الخيري
حيث جمع المستأجرين لاطيانه ، وسألهم عما يريحهم في الاجرة ، فاجابوا
ان تخفيض اجرة الفدان ثلاثة جنيهات يكفى ويزيد ولكن مكارم اخلاقه
وانزل الاعلى الذى اراد ان يضربه للكبار والصغار من أصحاب الاطيان حمله
على ان يجيب اولئك المستأجرين بأنه تنازل عن ستة جنيهات من اجرة
الفدان « (١) » .

وإذا كان هذا الموقف - الشخصى - من سعد زغلول ، قد اكسبه
« دعاء الآلاف المؤلفة من الفلاحين » كما قال الامرام ، فإنه لم يحل المسئلة
التي كانت تعصف بكيان الريف المصرى . . .

وعلى أية حال فقد حاول بعض النواب - الوفديين - ان يستصدموا
من مجلس النواب قانونا في عام ١٩٢٧ ، بتخفيض ايجارات الاطيان عن
عام ١٩٢٦ بمقدار الربع وما يكون قد تمددت منها يرد بما يوازى هذه
القيمة أو تحسب من ايجار السنة القادمة . . .

وقد تقدم بهذا الاقتراح النائب محمد حافظ حنحوح أندى - فهاجمه
الاعضاء هجوما عنيفا جدا ، وقاطعوا أى دفاع عن الاقتراح واتهموه بالدعوة
للبلشفية . . .

وساد جلسة مجلس النواب جو غريب من العنف ظهر في المضبطة
الرسمية للجلسة في صورة مقاطعات مستعرة وضجيج في مواجهة أى دفاع
عن الاقتراح ، ثم تصنيق حاد لاي معارضة له . . .

الامر الذى دفع أحد مؤيدي الاقتراح وهو حسن يوسف عامر الى تهديد
المجاسم قائلا : « ان نظرية التدخل هي في الحقيقة أقل النظريات تطرفا لان
هناك من النظريات الاقتصادية ما هو شديد الخطر على الهيئة الاجتماعية
مثل الاشتراكية والبلشفية ، وهما يرمسان الى أخذ الملك من المالك واعطائه
لعامة الشعب (ضجة) ، وليست أخال حضراتكم الا عالمين بالسبب في وجود
هذه النظريات المتطرفة ، فبى لم تنشأ الا لعدم وجود روح العدل والشفقة
من الملاك . . . » (ضجة) . . .

ولم يستطع المتحدث ان يكمل دفاعه وسط الضجيج الصاخب الامر
الذى اضطر رئيس الجلسة الى التدخل محاولا تلطيف الجو قائلا « أرجو

عدم المقاطعة - فحضرة الخطيب بين لكم انه يرى الشفقة بالمستأجرين درا
لاخطار النظريات الاشتراكية التي أشار اليها» (١)

لكن انخفاض أسعار القطن وتشدد كبار الملاك وأصرارهم على عدم
تخفيض الأيجارات لم يكن كل الكارثة التي تعرض لها الفلاح

فحكومة صدقي قد عمدت إلى استخدام الحالة الاقتصادية السيئة
والموتلة لأضعاف المقاومة السياسية للجماعات .. وقد أدى تدهور أسعار القطن
بأبزرعين التي خذ حال بينهم وبين الحصول على المال لمستوية. ضرائب
أموالهم ، نعمدت الحكومة الى الحجز على مواشيمم وبيعها في الاسواق العامة
بأثمان بخسة لا تدور بخاطر أحد من الناس» (٢)

وتورد جريدة « الأحرار الدستوريين » نماذج من الأسعار التي بيعت
بها مواشي الفلاحين وفاء للضرائب :

بيع ثوران وجاموسة يملكها محمد العتايوي من دراجيل ب ٨ جنيهات
وبيع للسيد فريه من كوم مازن جاموسة ب ٤١٣ قرشاً وبيع ١٠ أرادب قذرة
يمتلكها عبد العزيز مطر من بشفة بسعر الأردب ٣٦ قرشاً وبيعت حمارة
لأبيد الإهالي بسوق بيرسنا ب ٧٠ قرشياً» (٣)

وكما رفض مجلس النواب في عام ١٩٢٧ إصدار قانون بتخفيض
الأيجارات فقد رفض - فيما بعد - إصدار قانون بمنع الحجز على
الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ويعيشه

ان الصورة البشعة التي قدمتها جريدة « الأحرار الدستوريين » لبيع
أخص مستلزمات الفلاح الصغير بأخس الاسعار ، لم تدفع نواب حزب
« الأحرار الدستوريين » الا الى مزيد من التشدد ورفض اية إصلاحات
أو تسهيلات

فلقد كانت الرجعية المصرية مازالت متشبثة بفطيس الفكرة التي تشبثت

١ - مضبطة الجلسة السابعة عشرة لمجلس النواب يوم ١٠ - ١ - ١٩٢٧ -
الطبعة الرسمية - ص ٢٣٦

٢ - د . محمد حسين هيكل ، ابراهيم عبد القادر المازني ، محمد
عبد الله عنان - السياسة المصرية والانقلاب الدستوري - مطبعة السياسة
عام ١٩٣١ ص ٥٦

٣ - الأحرار الدستوريين ٢ - ١ - ١٩٣١ - ٧ - ١٢٥

بهما في مجال العمال وهي أن أي تنازل اصلاحي .. بلشيفية ، وإن مزيداً من التهر ومزيداً من الاستغلال هما السبيل الوحيد لحكم مصر ..
ويظل الاتهام « بالبلشيفية » مغلقتاً في رقائب كل دعوة للإصلاح ، وحتى الحكومة عندما قدمت في ١٩٤٠ إلى مجلس النواب قانوناً ينص على عدم السماح بالحجز على الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ولعيشته . لم تسلم هي الأخرى من الاتهام بالبلشيفية .
فقد ثار النواب وتتابعوا في الهجوم على القانون :

• - لبيب أبو قورة بك : هذا القانون ليس له معنى وهو معطل للإصلاح الصغير .

• محمود سليمان غنام : إن هذا المشروع فيه تعقيد لشؤون الفلاحين .
• خليل أبو رحاب : هذا القانون يعلم الناس الباطل والتضليل .
• اسماعيل فهمي الشلقاني بك : لا يوضح عرض هذا القانون هنا .
أما أحمد عبد الغفار فقد تحف صراحة بالاتهام الذي كانت ترتبته الفرائض خوفاً منه في ذلك الحين وضاح في وجه ممثل الحكومة قائلاً : أنا أعارض هذه القوانين التي تتعيا لنا الحكومة لأنها قائمة على مبادئ البلشيفية (١) .

لكن تشدد الاقطاعيين وأصرارهم على رفض أية تحول ولو جزئية أو وقتية لمشاكل الفلاحين وتصميمهم على فرض القهر الكامل والاستغلال الكلي على الفلاحين لم يزد الفلاحين الا نضالية ، بل لعل عنف الاستغلال الرجعي كان دافعا الى عنف التحرك النضالي للفلاحين ، فالصلاح الذي مارس العنف الثوري إلى أقصى مداه في ثورة ١٩١٩ ، والصلاح الذي توجه إليه الاشتراكيون منذ مطلع العشرينيات ببرامج ثورية تطالب بتخصية الاقطاعيات وبتوزيع الأرض على الفلاحين المعدمين والذي مارست الكوادر اليسارية عملاً نشيطاً في صفوفه ، امتد الى أعماق الريف في قرى الصعيد والوجه البحري (٢) ، هذا الصلاح كان - بانزعم من كل شيء - محورا للنضال السياسي الوطني حتى بعد أن صفيت ثورة ١٩١٩ .

فعملية النضال ضد انتخابات زيور كانت في الأساس نضالاً فلاحياً .
ومقاطعة الانتخابات والاستقالات العمد الجماعية وهي تحركات نضالية

- ١ - التطور - مايو ١٩٤٠ .
- ٢ - لمزيد من التفاصيل راجع د . رفعت السيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥ - المرجع السابق - ص ٢٠٣ وما يعدها .

أثبت حماس المجتمع المصري ككل لسهاما فلاحيا في النضال ضد الاستبداد السياسي ومن أجل احترام الدستور . والنضال الفعلي ضد ارباب صدقى كان نضالا فلاحيا وعماليا قدم الاضال والفلاحون ضحاياهم وتضحياتهم بينما اكتفت البرجوازية بالتنسيق شعاراتها الليبرالية .

لكن النضال المصري لم يكتف بالنضال السياسي ، بل لجنا في كثير من الأحيان الى العنف الثوري ، وواجه طغيان كبار الملاك موجهة مسلحة .

وثمة أهلة عديدة لكننا سنكتفى بان نورد بعضا منها .

في ١٩٢٧ تحت عنوان « الحادث البروع في بني سويف » كتبت مجلة السياسة الاسبوعية عن أحداث يوم ٢١ يوليو ١٩٢٧ تقول : « قام مزارعون اوقاف بسوا لتفويض حكم قضائي لمصلحة الاوقاف ببلدة الشنطور التي بها نقطة مولىين فاعترضه المنتفعون في هذه الارض فاستعان بالنقطة الا ان هذا لم يكن يحسم النزاع فاضطر الى طلب النجدة من المركز فاعانه بقوة اخرى . وقام بعدئذ براك عفيف بتبديل فية العيارات النارية والنبائيت . ولما نما الخبر الى المديرية قام في الحال سعادة المدير بالنيابة ومعه الحكمدار ورئيس النيابة وقوة من الهجانة وناشروا التحقيقات . وقد انجحت هذه المعركة عن وفياة ثلاثة من الاهالي واصابة رابع اصابة خطيرة اُرسل من اجلها الى المستشفى ، كما اصابيا خمسة من رجال البوليس اصحابات غير مختصرة » (١)

وبعد اسابيع قليلة تفشى « السياسة » خيرا آخر بعنوان « معركة جسيمة بين البوليس والاهالي » جاء فيه : « ابلخ تفتيش صبيح التابع لمركز هوبيا ان خلافا شجر بينه وبين مزارعي التفتيش يدعو الى التمدخل البوليسي ، فتحاتت قوة من المركز لحسم النزاع فاستتبك الاهالي والبوليس في معركة استعمت فيها الاسلحة النارية وانجحت عن اصابة كثيرين من الدريفتين فقد اصاب من الاهالي انور محمد الشحات وابراهيم حسن هجين عبد الستار مصطفى الصباغ ، ابراهيم حسن الشراوى ، حسن علي الصبحي علي عبد الرحمن سويلم ، أمية بنت عبد الله ، محمد عبده ، أحمد موسى ، هادي محمد موسى . وقد توفي الاول وحالة الثاني خطيرة . واصيب من البوليس والخفراء فضل الله خلف الله من قوة الهجانة بمقذوف ناري في بطنه ومحمد ابو زيد سرور في راسه .

السياسة الاسبوعية - ٦ - ٨ - ١٩٢٧

وتوفيت غزلان بنت سعيد اذ اصبحت برصاصة قضت عليها في الحال .
اما من اصاب من الضباط فمأمور المركز موسى انغدى جاد الله اصابة
حفيفة . ومعاون البوليس . وبلغ مجموع المصابين ٢٥ مصابا منهم ٢٨ من
الأهالي ، (١) .

وهكذا خاض الفلاحون العنف الثوري الى اقصى مدهاء متمثلا في المواجهة
للسلطة مع كبار الملاك ومع السلطة التي تساندهم ، وقدموا شهداء وشهيدات
بغير حصر بعضهم تحنثت عنه الصحف في خبر صغير يفظ لنا ذكرى
دمركة نضالية شجاعة والكثير طواه نسيان متعمد .

ولقد كانت هذه الانتفاضات التلاحية المسلحة مثارا لفرع كبار
الملاك والسلطة بشكل عام . . .

وتعاما كما تطوعت البرجوازية لتخوض محاولة فاشلة لقيادة الحركة
العمالية بهدف كبح جماحها ، فقد تطومت أيضا لتحاول ان تروض
الفلاحين وتحد من تحركهم النضالي عن طريق فرض قيادة برجوازية
عليهم . . .

وكان المتطوع في هذه المرة « اسماعيل مظهر » .

وإذا كان الوفد المصري بزعامة سعد زغلول قد شعر في عام ١٩٢٤
بأهمية التوجه نحو العمال ومحاولة فرض قيادة وفدية عليهم ، فقد كانت
محاولة اسماعيل مظهر حثا للوفد على التوجه نحو الفلاحين ، مؤكدا ضرورة
مثل هذا التوجه كسبيل لكبح جماح حركة الفلاحين وفرض
وصاية برجوازية عليها ومنعها من الاتجاه يساراً .

والحقيقة أن « اسماعيل مظهر » كان من الصراحة بحيث لم يحاول
إخفاء هدفه . . . في « مشروع تأسيس حزب الفلاح المصري » الذي وجهه
الى مصطفى النحاس رئيس الوفد قائلاً « بالصفة العليا التي لكم في هذه
البلاد كرئيس للوفد المصري وخليفة للزعيم الأكبر المنفور به سعد زغلول
ياشأ والمدافع الطبيعي عن الديمقراطية الحقيقية ، وبحكم انكم الزعيم الاول
للاندية الساحقة من المصريين اتقدم اليكم بهذا المشروع . . . » ثم
اختتمه بعبارة « خادكم للطبع » (٢) .

١ - السياسة الاستيعابية - ٢٩ - ١٠ - ١٩٢٧ .

٢ - العصور - الشهرية - أكتوبر ١٩٢٩ ، حيث نشر البرنامج والمذكرات
المتحققة به . وقد أعادت « الطليعة » نشر هذا البرنامج في عدد مارس ١٩٦٥

وفي هذا المشروع أكد اسماعيل عظهرو ان الفلاح لن يقنع بتقنيات زراعية
ولاشعوراف زراعية تظل على ضعف وعلى خطر من الانحلال ما دامت تنقص
الاشعة الذي يمكن ان يعصدها في الكيماة وهو القوة الميكانيكية وتحتفظ
للصلاح القوة السياسية باعتبارها اساس الاصلاح الاجتماعي قانعين بان
الاصلاح الاجتماعي شيء وينضال الطوائف (يتصد صراع الطبقات) شيء
أخيراً في
وهيئة لسان
وفي المكرة التمهيدية المرفقة بالبرنامج يقول : وإذا علمنا أن هذا
النظام من شأنه أن يجعل الطبيعة عنصراً قوياً في تكوين الأسباب التي
تهض إلى الإنزيمات الاجتماعية الكبرى ، شعرنا إلى أي حد بلغت بنا الحاجة
لشيء تكوين حزب اجتماعي يكون أساس الاصلاح فيه فلاح مصر باعتباره
الأكثرية العظمى ، وأنه أصل الثروة ، كما أنه لا يجب أن يغيب عن أذهاننا
أن إهمال تكوينه سوف يكون عما قريب أساس التعلق الاجتماعي .

وهذا وأخيراً فهو يحدد بشكل أوضح الهدف من مشروعه قائلا :
لهذا وجب علينا أن نبحث في أمثل الطرق والوسائل التي تحميننا
من الانقلابات الفجائية والتي تصد عنها سبيل الإنكار المتطرفة الحثيثة
التي تفيض علينا بما دوليات أوروتنا الشيوعية . وأنشئ الاقتناع
بنا في تنفيذ مشروع حزب الفلاح المصري على التواعد التي وضعتها في مبادئه
كقيلة بأن تحميننا هذه المشروعات .
وهيئة لسان
وفي يصوص البرنامج ذاته مادة خاصة بعنوان «مجازفة المبادئ»
البلشغية ، تقول : « يتقوم الشيوعية والبلشغية على مبادئ خيالية -
هساواة - اخاء - حرية - فالساواة تنافي الحرية والحرية تقتضي المنافسة
المشروعة بين الأفراد فهي بذلك تنافي الاخاء على المعنى الشائع الذي يلوح
بها الشيوعيون للناس .

اذن فهو أساس للتوضي الاجتماعية ودواء قلت التجارب على أنه غير
تأجج في شفاء الأمراض الاجتماعية التي نشأت مع حلول العصر الانبساطي
الأحدث
لهذا يحاربها حزب الفلاح المصري بكل قوة لانها تنافي مبادئه

الإضافة على اشتراك الناس في فرص الحياة وتمتوية مبادئ الفرقة
والعزيم بالرغم من الضبغة والاصلاحية . السانارة للمشروع الذي قدمه اسماعيل
المشروع .

وبالرغم من تأكيداته القاطعة بأن هدفه الأساسي هو حماية الفلاح من خطر الاتجاه يساراً . . . وبالرغم من أن البرنامج الذي تقدمه جاء خلوًا من أية مطالب ثورية أو شبه ثورية . . .

وبالرغم من أن أقصى تطرف لجأ إليه البرنامج كان حديثًا عن تحديد الحد الأقصى للملكية الزراعية بخمسمائة فدان . . . وبشرط أن يتم ذلك دون أي تدخل قانوني أو حكومي. وإنما بمجرد الانتظار لأن تفعل أحكام المواثيق فهناك الطلبيعي. في تقسيم الكميات الكبيرة . . .

والمقترح أن تحدد الملكية في النهاية القصوى بخمسمائة فدان يملكها رأس عائلة وأولاده في حال حياته ، وبحكم التوريث بعد الوفاة نصل من غير احتياج للقيام بأعمال يشعر معها الناس بعسف إلى هذه النتيجة . . . فمن يملك ٦٠٠ فدان تقسم بعد وفاته على اثنين فيملك كل منهما ٣٠٠ ثم تقسم على عشرة بعد وفاتها وبهذا نصل إلى النتيجة المرجوب فيها من غير حاجة للاتجاه إلى عمل غير عادي أو نزوح قهري للأموال . . .

أقول أنه بالرغم من ذلك فإن الرجعية المصرية قد وقفت من محاولة اسماعيل مظهر موقف العداء تمامًا. مثلما وقفت موقف العداء من الاتجاهات الإصلاحية في صفوف العمال . . .

ذلك أن عبادة حزب الفلاح . . . كانت في حد ذاتها خروجًا عن كل تصورات الرجعية المصرية وآمالها في حكم مصر حكمًا يستند على القهر وعلى القهر وحده . . .

وكانت حدود الإصلاحات المسموح بها في نظر كبار الملوك المصريين تنقذ عند حد « رزم البرك والمستنقعات وتعميم المياه الصالحة للشرب » (١)

أما عندما طالب مريت غالى « بتأسيس المعهد الوطنى للبناء والتجديد » . . . وقواضع فطالب بان تقتصر عمليات البناء « على إعادة بناء القرى التي يدمرها الحريق ، وقد تحترق كل سنة قرية أو قريتان فينتهز المعهد هذه الفرصة لانشائها على طراز يتفق وحاجة التقدم الاجتماعى في بلادنا » (٢).

١ - اليد القوية - خطب وأحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود .
بإشياء منذ أسندت إليه رئاسة مجلس الوزراء - مطبعة الاسكندرية عام ١٩٢٩
- ص ٢٧ .

٢ - مريت بطرس غالى - سياسة الغد - برنامج سياسى واقتصادى واجتماعى - مطبعة الرسالة بالقاهرة - ص ١٠٦ .

فإن الرجعية المصرية شرع عن أنزعاجها ورفضها لتقاطع هذه الدعوة
« الخطرة » ، ويطلق قليضي فهمي باشا بحديث الى « مجلة الأدب الحر »
يقول فيه « أما الفلاحون الصغار أو الاجرية فاهم شئ ، يلزم عمله لاصلاح
خلافهم ، وتحسين معيشتهم هو ردم البرك والمستنقعات المحيطة بمساكنهم انقاذا
لصحتهم من الامراض التي تتولد بها . كذلك يجب انشاء دورات مياه
صحية في كل قرية ، وإمدادهم بمياه نقية . صالحة للشرب . هذه هي اهم
المطالب . أما النعمة القائلة بتشديد القرى النموذجية وتجهيز بيوتها
بالتعرف الرحبية والحمامات النذيفة فضلا عن انارتها بالكهرباء ، وتزيينها
بالمساحي وأماكن اللهو والتسلية ، فهذه مظاهر لا تفيد الاصلاح بل تفسده
لانها تؤخره عن عمله وتدعوه الى النفور من طبيعته الخشنة التي ألفها
وتعود عليها آباؤه واجداديه » (١)

وعكذا ووجهت محاولة « اسماعيل مظهر » بالتجاهل من حزب الوفد
وبالرفض لتقاطع والحرب العنيفة من كبار الملوك المصريين
وإذا كان رد الفعل الذي نجم عن مثل هذا الموقف من حركة العمال هو
اتجاه العمال الى الموقف الوحيد المتاح وهو اليسار .

فإن الغريب في الامر هو أن « اسماعيل مظهر » نفسه هو الذي انتخب
يسارا تحت تأثير هذا الرفض لتقاطع من جانب الرجعية المصرية .
لقد تبنى المحاولة في البداية حتى يعوق اتجاه الفلاح نحو اليسار .
لكن تجاهل الوفد وتوقف الحرب التي شنتها الرجعية ضد فكرته -
هذا بالإضافة - الى أن يد اليسار قد امتدت اليه ممثلة في أحد قادة
الاتجاه اليساري في ذلك الحين هو عصام الدين حنفي ناصف . كل ذلك دفع
بالرجل الى مواقع أقرب من اليسار .

وفي تلك الاثناء كان عصام ناصف منشغل البال بفكرة تأسيس حزب
اشتراكي ، أو حزب عمالي وكان على اتصال بعدد من الشخصيات العمالية
منها محمود محمد ناصر . مراقب نقابة الصنائع اليدوية بالانشكخية وعدد
آخر من العمال (٢) .

أما قليضي فهمي - آراء وفكرات في السياسة والاقتصاد والاجتماع -
صفحة ٤٤ ،
٢٠٢ - رفعت السعيد - عصام الدين حنفي ناصف - المرجع السابق -
ص ٦٥ وما بعدها .

وكان طبيعياً أن تلتقى هذه المحاولة بمحاولة «اسماعيل مظهر» لتأسيس حزب فلاحى .

وتم اللقاء أولاً فى صورة مقالات عن الماركسية كتبها عصام على صفحات مجلة «العصور» .

ثم استطاعت هذه المجموعة التى يتزعمها عصام أن تقنع «اسماعيل مظهر» بأن يعمل سويًا لتأسيس «حزب العمال والفلاحين» .

وبالفعل أعد عصام برنامجاً جديداً . . . يختلف اختلافاً جديداً عن برنامج اسماعيل مظهر السابق . فهو وثيقة غاية فى الثورية وغاية فى التقدمية تتخذ مواقف ومنطلقات تختلف تماماً عن أفكار اسماعيل مظهر السابقة . فهى تتضمن مطالب مثل :

* القضاء على الاستعمار البريطانى وكافة النزعات الاستعمارية فى جميع بلدان العالم .

* تحرير الطبقات العاملة فى مصر من عمال وفلاحين ، مع تقليل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية . وجعل هذه الفوارق قائمة على أساس الاجتهاد والمنتجة للجميع .

* بث الافكار الديمقراطية وروح المساواة العامة فى الشعب .

* التكاثر مع الامم المستعبدة ولا سيما الامم الشرقية والعربية على محاربة الاستعمار .

* عدم التعاون مع المحتلين اطلاقاً ومقاطعة التجارة البريطانية .
* قيام الحكومة باصلاح اراضيها للبور وتوزيعها على صغار المزارعين .
* فرض ضرائب متدرجة على الدخل والميراث .
* حماية العمال والفلاحين بقوانين تحدد اجور وساعات العمل ، وتحتم على اصحاب المزارع والمصانع بناء مساكن صحية مريحة للعمال .

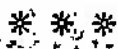
* مجانية المعالجة للطبقات العاملة الاجيرة .
* جعل التعليم مجانياً بجميع درجاته .
* إلغاء الرتب والنياشين .
* تحديد الملكية الزراعية .

القيام بشهر الدعوة لظهور بشاعة الحروب الاستعمارية وغرس روح
الإخاء للشعوبى بين الامم (١) .
وقد نشر هذا البرنامج موقعا باسم اسماعيل مظهر نيابة عن اللجنة
الثقافية الحزب العمال والفلاحين .

والغريب في الامر ان كثيرا من الدارسين لم ينتبه الى هذا التغيير الجذرى
الذي طرأ وخلال فترة وجيزة جدا - على مواقف ومنطقات اسماعيل مظهر .

وحتى ابنه الأستاذ جلال مظهر لم ينتبه الى هذا التغيير وتصور ان هناك
برنامجا واحدا وليس برنامجين فقال في مقال نشرته جريدة الاخبار وما جاء
في ميادى الحزب التي نشرت بمحلته العصور في اكتوبر سنة ١٩٢٩ ثم في
يونيو ١٩٣٠ ما يأتى (١) ثم اورد بعض فقرات برنامج يونيو ١٩٣٠ .
وعلى أية حال فان مقارنة البرنامجين تغنى عن أى جدال فيهما وثيفتان
مختلفتان تمام الاختلاف في كل شيء .

وفي نفس الوقت اذى نشر فيه اسماعيل مظهر البرنامج الجديد في عدد
يونيو من مجلة العصور . قام محمود محمد ناصر مراقب نقابة الصنائع اليدوية
ببطونته في منشور يدعى بعنوانه باسمه في التواتر العمالية الامر الذى أدى
الى التفتت عليه وانتهائه بالترؤيج لايفكار البلشفية . ويعترف محمود ناصر
في التحقيق بأنه اشترك في محاولة لتأسيس حزب العمال والفلاحين وبأنه قد
طبع بياناً من الف نسخة يدعو فيه الى تأسيس هذا الحزب ووزع معظمها (٢) .



وعلى أية حال فان محاولة اسماعيل مظهر لم تكن الوحيدة في هذا المجال
فهذه محاولات اخرى قام بها عدد من المثقفين الإصلاحيين الذين كونوا جمعية
نهضة القرنى في عام ١٩٢٨م . استقال احد اقطاب الجمعية - وهو احمد
كامل قطيب - ليعلن عن تأسيس حزب الفلاح الاجتماعى والاقتصادى . تأكيداً
لبعد الحزب عن السياسة (٣) .

- ١ - العصور يونيو ١٩٣٠
- ٢ - الاخبار - ١٥-٣-١٩٦٢ .
- ٣ - ملف القضية رقم ٢٤٤٤ اذكى السنينة ١٩٣٨ محكمة جنبايات
الاسكندرية - دور يوليو .
- ٤ - تام المؤلف بتجميع الوثائق الخاصة بهذه المحاولات ونشرت كاملة
في مجلة الطليعة - للقاهرة - عددى اغسطس وسبتمبر سنة ١٩٧٠ .

كذلك فإن كثيرا من المفكرين قد ساءت لهم حالة الفلاح المصرى فأسهموا
بأقلامهم فى الكتابة عن مشاكله .

إن مراجعة قوائم الكتب الصادرة فى هذه الفترة تقدم لنا نماذج لا تحصى
من المحاولات التى بذلها المثقف المصرى لتفهم قضايا الفلاح ومشاكله والبحث عن
حلول لها (١) .

لكن كل هذه المحاولات سواء تلك التى اكتفت بالتعبير عن نفسها فى صورة
مقال أو كتاب أو ذلك التى اتخذت طريق الدعوة لتأسيس احزاب أو جمعيات
نضالية ، قد لقيت - جميعا - الصدود والنفرة من جانب الرجعية المصرية التى
لم تتوان عن توجيه تهمة « البلشفية » ضد أية محاولة اصلاحية . . .

الامر الذى دفع عصام فاضل الى الكتابة قائلا : لعل السادة الاغنياء
والنواب المحترمين يفهمون - قبل فوات الوقت - ان الترويج للمبادئ البلشفية
وتحبيبها للقلوب لا يكون بالمطالبة بهذه الاصلاحات الطبقية التى اذا نحن
رضينا بها فليس ذلك على انها اصلاحات حقيقية ، بل على انها دلالة على
التفكير نحو الاصلاح ليس الا . . .

وان ما يتركه هذا الترويج يافهم الفاشيين الذين يحبسون مسييس الحاجة
الى الاصلاح ان الاصلاح قرين البلشفية ، وان فرض ضريبة الابلولة على شركات
الاغنياء . . . بلشفية ، وان نشر التعليم الاكاديمى . . . بلشفية ، وان تعليم البنات . . .
بلشفية ، وان محاربة التبذخ والتبذير . . . بلشفية . . . وان المطالبة بتزقية احوال
العمال والفلأحين والجنود . . . بلشفية . . . وعلى ذلك فان حضرات النواب
المحترمين لا يخشون أنفسهم ولا طبقتهم حين يكتبون من تزييد الاتهام
بالبلشفية (٢) .

. . . وهذا مرة اخرى تثبت للرجعية المصرية افتقارها الى الذكاء والارونة
الكافية لاستيعاب الاتجاهات الاصلاحية والاستفادة منها .

وكانت النتيجة المنطقية كما قلنا هى اتجاه كثير من القوى التى ترفض
الوضاع القائمة آنذاك . . . الى اليسار . . .

١ - راجع - عابدة ابراهيم نصير - الكتب العربية التى صدرت فى مصر
بين عامى ٢٦-١٩٤٠ - رسالة ماجستير - غير منشورة . . .
٢ - التطور - مايو ١٩٤٠ . . .

بمستطوعه في ايطاليا من عجز الحكومة عن قمع الحركات الشيوعية في البلاد

والتي كانت اولى من تركه التي الحكومة التي كانت عفايا فوق ما هي ضعيفة ولا ريب في ان الفاشيزم لو لم تكن مؤنفة من رجال شحيدى الياس والعزيمة لكانت تتال هذا الفوز الباهر في وقت قليل (١)

الفاشست ينشطون

والفاشيزم مدينة بنجاحها الى مساعدة الظروف والاحوال ، اذ فرغ المتمولون في ايطاليا من عجز الحكومة عن قمع الحركات الشيوعية في البلاد وانتصوا حول الفاشست. حيث رأوا ان تحميل عبء مطاردة الشيوعية على عاتق الفاشست اولى من تركه التي الحكومة التي كانت عفايا فوق ما هي ضعيفة ولا ريب في ان الفاشيزم لو لم تكن مؤنفة من رجال شحيدى الياس والعزيمة لكانت تتال هذا الفوز الباهر في وقت قليل (١)

وهكذا تنحدر الزخمية المصرية في حزبها العنيفة ضد اليسار لتلجا الى الدعائية الفاشستية في محاولة لالايها من الفاشستية هي السبيل لصد تيار اليسار ولقد كان هذا التصور سبيلا لسلسلة من المقالات والكتابات التي سبعت الي تمجيد الفاشستية و اصبح موسولينى حديث أوروبا يأسرها بل العالم اجمع . وعوفي الحقيقة من أعظم رجال هذا العصر ان لم يكن أعظم طرا وقد اتى منذ توليه زمام الامور في ايطاليا اعمالا مجيدة وجعل الشعب الايطالى يفتخ عن كثير من العادات القيمة التي كادت تزدى بايطاليا الى الشورة والخراب (٢)

وهكذا اصبح موسولينى ملهما لكل اعداء اليسار ونموذجا يتمين السمي لخلق مثيل له ليجتج جهاج الشيوعيين في أوروبا فتنبهت الي ما تقدم . وكان لها من قيام الفاشست في ايطاليا ونهوضهم بهذه البلاد التي كادت تهوى الي هوانية الذرية ويتقوض عمرانها عبرة اتخذها الاوروبيون مثلا يحتفون ، خصوصا بعد الذي شاعده من صنيعها واستتباب الامن واطلاق الحرية الشخصية حتى شخصت الي هذه الحركة الابصار ودارت عليها المباحث فاستنجدوا من نجاحها ما يجب الاقتداء به . وعليه قامت طوائف من الاوروبيين في مختلف البلدان الي

١ - كل شيء - ١٧ - مايو - ١٩٢٦ .
٢ - اللطائف المصورة - ٢٨ - فبراير - ١٩٢٧ .

تأليف الجمعيات الفاشستية وصارت عندكم رمزا الى حب العمل والأخلاق الى النظام . . . وهذا انتصار اجتماعي نالت به ايطاليا فوزا كبيرا اكسبها ميل انشعوب الاوروبية واحلها محل الاحترام عندكم . وقد سمعت كثيرين يعربون من الاسف على أن لا يكون عندكم موسوليني من أهل بلادهم ليسير دفة البلاد الى العمل والنجاح (١) .

وليس الامر بحاجة الى تعليق ، فان الكاتب يدعوا ويلج ويتوسل باحثا عن موسوليني مصرى ، يخلص البلاد من مخاطر الثورة . . .

ولقد كان كل مجد موسوليني عند الرجعية المصرية يتلخص في أنه ، أسكت معارضة في البرلمان الايطالى . وصان بذلك حياة الملكة التي كانت جرائدها ولسان معارضتها تقودها بخطوات سريعة نحو البلشفية (٢) .

كذلك تنشر جريدة المحاكم المختلطة مقالاً جاء فيه ، وبينما مصر تتسلح بما لديها من قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها ازاء الدساتير الشيوعية قد يكون مفيدا القاء نظرة الى الحرب العوان التي اعنتها الفاشست في ايطاليا على العدو المشترك (٣) .

ومن الطبيعي أن يتطور مدح الفاشية الى الهجوم على الديمقراطية ذاتها . . .

فهذا التيار الجارف الذى بدأ في ايطاليا أخذ بالانتشار شرقا وغربا ودفع الديمقراطية التي لم تعد تصلح لحكم الشعوب (٤) .

وهكذا ان تمجيد الفاشست هجوما على اليسار المصرى قد تطور ليصبح هجوما على كل القوى الديمقراطية .

ويبدو أن مثل هذا الهجوم قد تردد من فوق منبر البرلمان المصرى الامر الذى دفع محمد حافظ رمضان الى أن يصيح من فوق نفس المنبر قائلا : نحن لا نريد أن نعيش كما تعيش بلاد أخرى منها وصلت مدنياتها - تحت نظام دكتاتورى كنظام ايطاليا ونحن ديمقراطيون ولنا مجلس نيابى .

- ١ - ملحق مجلة الفلاح الاقتصادى ، سبتمبر و اكتوبر ١٩٢٨ -
- ٢ - قسطنكى الياس عطارة - تاريخ تكوين الصحف المصرية - مطبعة التقدم - عام ١٩٢٨ ص ١٩٧ .
- ٣ - نقلا عن : الامرام ٨-٩-١٩٧٤ .
- ٤ - قسطنكى عطارة - المرجع السابق - ص ٢٤٧ .

رأت في ذكره المكتاتورية من فوق هذا المنبر والاستفادة التي أعمالها في البلاد
 الأخرى ليس من الحكمة السياسية ولا من التربية البرلمانية التي نريد أن
 نعلمها ونسير عليها. ^{١٩٢١}
 والغريب في الأمر أن الرجعية المصرية قد تساهلت إلى حد السماح
 للفاشية الإيطالية بتكوين تنظيمات لهم وسط الجالية الإيطالية في مصر
 ولقد تابعنا في الجزء الأول من هذه الدراسة النشاط الواسع الذي لعبه
 الاشتراكيون الإيطاليون وسط هذه الجالية الكثيرة العدد في مصر وكيف أثر
 أيضا في نشاط اليسار المصري في مطلع القرن العشرين وكيف أسهموا في تأسيس
 الحزب الاشتراكي عام ١٩٢١. ^{١٩٢١}
 ولقد كان الاشتراكيون الإيطاليون مصدر قلق بالغ للرجعية المصرية
 فأنظفت ضدهم التنظيمات الفاشية

ثم تروممة اشتراكات في صحف هذه الفترة إلى وجود هذه التنظيمات الفاشية من
 بينها حتى أوردته للطائفة المصنوعة يقول في ضوء الطيارة الإيطالية البحرية
 التي وصلت إلى مصر يوم الجمعة الماضي في طريقها إلى موضوع. وقد حظت
 رحابها على ضفة النيل المبارك وأقبل شبان الفاشية الإيطاليين في القاهرة
 للتحذير بطايرها (١)

والحقيقة أن موسوليني قد بذل جهده للاستفادة من هذه الفرصة المتاحة
 أعياه في مصر فتنشط في تأسيس المدارس الإيطالية في عهد من العزلة المصرية ليلقن
 فيها لطلاب من إيطاليين ومصريين أمجاد الفاشية. وهكذا حلت هذه المدارس
 محل الجامعة الشعبية التي أنشأتها قوى اليسار الإيطالي في الإسكندرية في
 مطلع القرن العشرين لتكون منارة الفكر الاشتراكي. ^{١٩٢١}
 وكما وجد موسوليني من يدعو له وجد هنتر هو الآخر دعاة نشيطين
 غابيت ثابت المصدر ملحقا بخاصا من مجلته الفلاح الإقتصادي بعنوان «الميانيا
 اليوم» وأولف هنتر. ^{١٩٢١}
 وبطبيعة الحال فقد كانت أهم أمجاد هنتر من ضرباته ضد
 البلاشفة.

وأخذ المستباز هنتر بالعمل في غير توان في التعمير والتهديب وتديم
 قوة الرايخ والدفاع عنه من إخطار البلشفية والاشفيون يقيمون العثرات
 في سبيل الحكومة بأعمالهم الإرهابية والدعاية المزيفة ثم جاء حادث البرلمان

١ - اللطائف المصنوعة - ٧ - مارس ١٩٢٧

وكان الرئيس ستانغ الأخير غيمنا يدبثره البلشفيون ، ولم يكن الا واحد فرأى هتلر
حل الرئيس ستانغ . وفى ٢١ مارس ١٩٣٣ انعقد البرلمان الجديد ، وذهب هيندنبرج
الى كنيسة بوتسدام ، وهناك عند ضريح فريديريك الكبير قال قوله المشهور
« استيقظت ألمانيا ، لتعود الى تقاليدنا الشريفة القديمة » (١) .

ان نظرة على سبل الكتب التى صدرت خصيصا لتمجيد النازية والفاشية
والدعوة لها لتوضح لنا مدى عمق هذه الحملة واتساعها ولنورد بعض
الأمثلة :

* أحمد محمد السادات - أدولف هتلر زعيم الاشتراكية الوطنية مع بيان
المسألة اليهودية - عام ١٩٣٤ .

* محمد لطفي جمعة - بين الاسد الافريقي والنمر الايطالى - عام ١٩٣٥

* رياض جيد - الامبراطورية الايطالية - عام ١٩٣٧ .

* فتحى رضوان - موسوليني - عام ١٩٣٧ .

* محمد صبيح عبد القادر - هتلر - عام ١٩٣٧ .

* ثابت ثابت - ألمانيا اليوم - عام ١٩٣٨ (٢) .

وكان لا يد ليخذه البوجه من الدعاية التى شجعتها الرجعية المصرية عن عمد أن
تجد لها أثرا في أوساط عديدة

فعباس حليم يعمل « على تشكيل فرق خاصة من الشباب يطلق عليها
اسم « جيش الخلاص » تثبت تدريبا عسكريا شديدا بنظام الكشافة والحق
بها الشباب من طلبة المدارس وفرض على الاعضاء بحية خاصة برفع اليد (٣)

كذلك نمت هذه الاتجاهات في عدد من التنظيمات الحزبية الصغيرة مثل
مصر الفتاة والحزب الوطنى . بل إن حزب الوفد قد انجرف هو أيضا في
هذا التيار الخطر . وثمة وثيقة هامة من وثائق وزارة الخارجية البريطانية *
تتحدث عن هذه الاتجاهات .

١ - ملحق مجلة الفلاح الاقتصادى - العدد الثانى عشر - السنة الخامسة
ص ٢١٩ .

٢ - غايدة ابراهيم نصير - (المرجع السابق) .

٣ - رؤوف عباس - المرجع السابق ص ٢١٤ .

* هذه الوثيقة موجودة الآن في المتحف البريطانى ومكتوب على صفحاتها الاولى
(هذه الوثيقة مملوكة لحكومة صاحب الجلالة الملك . طبعتم كى تستخدم فقط
فى وزارة الخارجية . ملف رقم ٣٧١ - ٢٠٩١٩ - سرى - ١٥٢١٧ - أرسيف
رقم ٨ - مصر . التقرير السنوى عن عام ١٩٣٦ (ريل ٢٥٢٢ - ٢٥٢٣ - ١٦)
من السير مايلز لامبسون الى مستر ايدن . استلم فى ١٩ اغسطس تحت رقم ٩٠٦

يتحدث عن محاولة الوفد هذه فتقول - «فقرة ٢٠٦»: اتخذ مؤتمر الشنشيان
الوئدي قرارا في ٩ يناير بتأسيس منظمة للشعبية على النهج الفاشستي وقد
أيد الوفد هذا الاتجاه بعد أن وجد أن أحزاب الاقلية قد بدأت في تجنيد
عديد من الطلاب في تنظيمات فاشستية بهدف حشدهم في حركة مناضلة
للوئيد.

فقرة ٢٠٨ - تأسست لجنة من حزب الوفد لتنظيم واعداد القمصان الزرق
الذين وصلتنا تقارير تفيد أن عددهم قد بلغ في يوليو ١٠٠٠٠ شخص
والذين تقوم نسبة ضئيلة منهم بنشاط جدي وقد تكونت لجنة من ثلاثة
من الضباط السابقين للإشراف على التدريب العسكري واختير النجاشي باشا
رئيسا للحركة.

فقرة ٢٠٩ - وفي يوليو قام نظام القائد العام بتحذير مكرم عبيد من
السماح لهذه الحركة بالنمو دون رقابة. ورد الاخير بأن تعليمات قد صدرت
لقادة القمصان الزرق بأن يوجهوا نشاطها نحو المسالك القانونية فقط مثل
الرياضة وأعمال الكشافة.

وأشار مكرم عبيد الى أن الحزب حريص على ألا يتولى أحد السياسيين
أي منصب قيادي في القمصان الزرق.

لكن هذه التأكيدات لم تنجح في أن تمحو أو حتى أن تقلل من خوف
المسؤولين المصريين من تطور هذه الحركة. وهكذا فإن البعبع الذي صنعتها الرجعية المصرية واطلقته ليرهب حركة
اليسار قد انقلب ليخيفها هي.

والحقيقة أن الفاشست قد جعلوا من القاهرة واحدا من أهم المراكز
لتجسسهم ونشر نفوذهم في المنطقة وثمة معلومات بالغة الأهمية في هذا الصدد
توردها مجلة: The Communist International في مقالة هامة عن
الدعاية الفاشستية في الشرق الأدنى. وقد جاء فيها أن القاهرة هي أحد
المراكز الرئيسية للتجسس لحساب الفاشست الإيطاليين والالمان وفي اجتماع
عقده العملاء الفاشست في القاهرة وضعت خطة عامة لنشر الدعاية الفاشستية
في الشرق الأدنى وقد رصدت وزارة الدعاية الألمانية مبلغ ٣٠٠٠ جنيه
أسترليني شهريا للدعاية الفاشستية بالقاهرة. ان القطن المصري وأرض وادي
النيل الخصبة تداعب جفون وأحلام كلا من هتلر وموسيليني. ان الدعاة
الفاشست يرددون للجماهير المسئمة دعائيات تقول ان الكثيرين من الإنان
والإيطاليين قد اعتنقوا رسالة محمد. وهم يوزعون كتاب «كشاحي»
باعتبارها قرآنا جديدا.

ويعمى المقال متحدثا عن آلاف الجواسيس الالمان الذين يعيشون في
«نقطة الشرق الاوسط ثم يقول « ووفقا لما أوردته الصحف التركية فان في
مصر وحدها ما يزيد على ٣٠٠ جاسوس « كما ان الدعاية الفاشستية تساند
ايضا فكرة معاداة السامية » (١) .

وثمة وثائق عديدة اوردتها الخارجية البريطانية بالمتحف البريطاني (لندن)
تشير الى علاقات وثيقة بين المانيا النازية وكل من القصر الملكي (البندارى
باشا ، على ماهر باشا وصهر الملك فاروق) وجماعة الاخوان المسلمين ، بل ان
الاستيلاء على وثائق بنك (درسنر بنك) الالمانى بعد الحرب العالمية الثانية
قد كشف وجود علاقات مالية ايضا كان على ماهر وعزام باشا والاخوان
المسلمون طرفا فيها .

والحقيقة ان هذا النشاط الفاشى كان في ذاته حائزا لنشاط ديمقراطى
مضاد . وتجمع آلاف من العناصر المناهضة للفاشية وللعداء للسامية والناصرية
للديمقراطية والتحرر وتحذر من خطرا . ومن هذا الخضم الجديد نبتت تجمعات
يسارية كانت ارماسا لموجه التنظيمات الجديدة .

كذلك فان انغماس يسار الثلاثينيات في النضال ضد الفاشية قد دفع
دوائر الاحتلال الى ان تغض عينها عنه لبعض الوقت مستفيدة من حركته
ضد الفاشية .

بل ان الانجليز وجماعتهم « اخوان الحرية » قد اتصوا بكورييل والنادى
لديمقراطى يطالبون « تعاوننا » في النضال ضد الفاشية واذا كان كورييل قد
رفض مثل هذا التعاون (٢) فان الذى لا شك فيه ان معركة النضال ضد الفاشية
كانت فرصة لطلائع اليسار الجديد نتاحت لهم امكانية العمل العلنى الواسع
النطاق والتمتع بتغاضى الحكام الى حد ما لفترة كافية من الوقت مكنتهم
بالفعل من ان يجدوا اغراضا الكافية للانطلاق نحو تأسيس منظمات
ماركسية ...

ومرة اخرى . فان حسابات الرجعية تنقلب رأسا على عقب ، فاذا كان
« البعبع الفاشى » قد اطلق ليخيف اليسار ، فان الانغماس في محاربه قد
مكن اليسار من ان يقيم لنفسه قواعد راسخة ساعدته على ان يبدأ من جديد
موجة من النشاط المنظم .

(١) The Communist International , Vol : XVII-No6 - 1939 - PP. 476 By -
D. Davos .

٢ - راجع محاضر النقاش معه بالملاحق .

اليسار

- * موجبات من الدعاية الاشتراكية .
- * مسرحية سكلاتمالا .
- * عيد الرحمن فضل . . . يعدل قانون الجنسية .
- * تهادنت قيادة الوفد فتحالف المستضعفون .

موجات من الدعاية الاشتراكية

بقدر ما انهمك الرجعيون في نسج شبك الدعاية المعادية للاشتراكية ، كانت القوى الاشتراكية والديمقراطية والتقدمية في مصر منهكة هي أيضا في البحث عن مختلف الشخرات لنشر دعوتها للاشتراكية .

وإذا كان سيف قانون العقوبات قد سلط على محاولة « التنظيم والدعوة لتب نظام الحكم بالقوة والعنف » فان القانون لم يكن من الممكن ان يمنع دراسة النظرية الاشتراكية ولا حتى « تحييدها » . طالما أن هذا « التحييد » لا يتضمن دعوة لتب نظام الحكم بالقوة .

وهكذا أمكن للاعكار والنظريات الاشتراكية أن تجد لنفسها - بشكل أو بآخر - سبيلا لمجاهاة هذا السيل الجارح من حملات الكراهية والعداء .

والحقيقة أن قوى التقدم كانت من المثابرة والذكاء والتفكير بحيث استطاعت أن تعرض أفكارها في كثير من المجالات وإن يتحين الفرص ، بل وأن تخلق هذه الفرص سعيًا وراء هدفها .
وعلى صفحات الجرائد كان الصحفيون اليساريون والتقدميون يحاولون - كما قلت - خلق الفرص لنشر آرائهم وكان من بين الوسائل التي استخدموها بنجاح باب « بريد القراء » .

ولعل من حق « سلامة موسى » علينا أن نذكر له انه كان صاحب هذه الفكرة الذكية فما من موضوع أراد الكتابة فيه أو ابداء الرأي حوله الا واستطاع أن يجد لنفسه عنفذا من خلال رسالة يقال أنها واردة من قارى ، لا يذكر اسمه بطبيعة الحال . . . وإجابة على هذه الرسالة المصطنعة يقسول فيها سلامة موسى كل ما يريد . . .

ولنتامل هذا المثال الذي أورده سلامة موسى في باب أسئلة القراء تحت عنوان « الفاظ سياسية » .

« الاسكندرية - مصر - ع . م . ما الفرق بين هذه الألفاظ : الاشتراكية - الفاشية - البولشفية - الشيوعية ؟

المجلة الجديدة : الاشتراكية هي التدرج بالطرق البرلمانية القانونية
التي تجعل العقارات المغلة التي تحتاج لاستغلالها التي استخدام عمال كالارض
والمصانع والمناجم ملكا للامة
أما الشيوعية والبولشفية فكلتاها مسمي لشيء واحد وهي تشيئة
الاشتراكية في النتيجة ولكنها تختلف في الوسيلة لانها تعتمد على الثورة
والانتفاض كما حدث في روسيا (١)

لكن الامر لم يقتصر على مجالات سلامة موسى فقد استخدمت الصحف
الأخرى نفس الاسلوب هي أيضا فيمة قارى، يسال ما معنى لفظ بلشفيك ؟
والجواب : ان لفظ بلشفيك مشتقة من لفظ روسية معناها الاغلبية (٢)
وفي باب ه بين الهلال وقرائه ، تردد الرسالة التالية :
١ - أرونوس - البرازيل - توفيق أبو جمره .

ما هي حقيقة البولشفية - وهل البلشفيك منتشرون في أنحاء المسكونة ؟
وهل أمادوا الشرق بشيء ؟

الهلال : البولشفية مذهب من مذاهب الاشتراكية المتطرفة ظهرت في
الزمن الاخير من القرن الضائب وانتشرت بين الروس بسرعة لان طبقة العمال
الروس في عهد الحكم التيصري كانت تعاني حيفا كبيرا وكان انصار هذا
المذهب (ويعرفون أيضا بالثيوعيين واتباع ماركس) يتحينون الفرص
الملائمة لاعلان مذهبهم والاستيثار بالسلطة السياسية لتحويل روسيا كلها إلى
بلاد اشتراكية وقد أتاحت لهم هذه الفرصة في اواخر الحرب العظمي
الماضية فقلبوا نظام الحكم الروسي وأنشأوا على انقاضه النظام البولشفي .

وهذا النظام هو الد أعداء المملكين وأصحاب رؤوس الاموال . ولذلك
الذي نظام الملكية أو الاحتياز ونشر موضعه نظاما اشتراكيا متطرفا
جميع موارد الدولة في يد الحكومة من مناجم وبواخر وسكك حديدية وتلفرافات
ومدارس ومعاهد على أن تستعملها الحكومة لمصلحة الأمة (٢)

لكن الامر لم يقتصر بطبيعة الحال على رسائل مصطنعة ورددود مختصرة
وحدرة ، فقد كانت هناك محاولات عديدة لا يناس بها لتقسيم الافكيان
الماركسية للقسارى المصرى

-
- ١ - المجلة الجديدة - العدد العاشر - المجلد الاول - أغسطس ١٩٣٠ -
 - ص ١٢٨٧
 - ٢ - كل شي والدينيا - ٢٣ : مايو ١٩٣١
 - ٣ - الهلال - مارس ١٩٣١ ٧٥١

وتسوف تنرى، في فصل قادم كيف أسهمت التنظيمات والتجمعات الحزبية والعناصر الماركسية في إصدار مجلات وكتب ودراسات تدعو فيها للفكرة الماركسية فهناك مثلا مجلة « الحساب » التي كانت منبرا غفيرا للحزب والتي تناولت أعدادها كما سنرى فيما بعد - كثيرا من الأفكار الماركسية بالشرح والتحليل - وهناك أيضا مجلة « روح العصر » التي أصدرها عصام الدين ناصف وعبد الفتاح القاضي وجسنى العرابي كمسير تتجمع حوله بعض قوى الماركسيين المصريين في وجه طغيان صدقي عام ١٩٣٠ - وهناك أيضا خصائم الدين حنفى ناصف وكتبه العديدة التي تقدم فيها شروحا واقعية وغلمية للنظرية الماركسية وتصوراته لتطبيقها على الواقع المصرى - وهى كتابات أغاية في الثورية والجزاة تعرض لتسيبها للسجن أكثر من مرة ولعبت نورا هاما في التكوين الثقافي المصرى بشكل عام (١).

كذلك هناك مفكرون أمثال « نقولا حداد » الذى واصل لفترة طويلة الكتابة شارحا أفكاره الماركسية من خلال ما أسماه هو « حركات الثقافة » تمكن من خلالها التحدث عن الفكر الماركسى وعن منطلقاته الفلسفية والسياسية الاجتماعية من خلال دراسات متقنة حول علم الاجتماع وولوج مشكلات الزواج والأسرة والحب - واثقا - كما أكد هو أكثر من مرة أن « الشعب ذكى يفهم » (٢).

لكن الأمر لم يقتصر على التأثير الماركسية فقد تمكن الفكر الماركسى من أن يخذ لنفسه سبيلا حتى على صفحات مجلات مثل القطف والهلال وغيرها

فعلى صفحات القطف نجد مقالا - بغير توقيع - بعنوان « ماركس ومذهبه - على ذكر انقضاء خمسين سنة على وفاته » ويتضمن المقال دراسة جيدة بتاريخ حياة ماركس وأفكاره ، ومكانته العالمية - ثم تمضى للدراسة قائلة « ولا ريب في أن كارل ماركس كان متفوقا من الناحية الذهنية بين الذين اشتروا في تأييد الدعاية الاشتراكية والترويج لها - وكتابة رأس المال بمثابة كتاب منزل في نظر الشيوعيين والعمال الاشتراكيين بوجه عام - قال الاستاذ هارولد لاسكى فيه (في خلال خمسين سنة انقضت على وفاة ماركس اتسع نطاق نفوذه اتساعا كان من المتعذر توقعه - ان مذهبا لم يكن - من نحو جيل أو أكثر قليلا - الا تصورا كماليا يخالطه الجنون - أبدعه مفنى

- ١ - د - رفعت السعيد - عصام الدين حنفى ناصف - (المرجع السابق) -
- ٢ - د - رفعت السعيد - نقولا الحداد - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي - دار الثقافة الجديدة - عام ١٩٧١ -

ثورى ، قد أصبح من المذاهب المنجبة في العالم الحديث . فهو الآن متمسح
بوشاح الدولة المسلحة في روسيا ، واسم صاحبه يوقظ في صدور الملايين معاني
الايمان والاجلال على ما لم يمهده من قتل الا في الرسل والانبياء لا في
اصحاب المذاهب الفلسفية . ان كلماته تورد تاييدا واحاضا في المناقشات
التي تدور حول السياسة الاجتماعية ، وفيها القول الفصل الذي كان يعلق
باقوال التوراة والانجيل عند المدرسين في القرون الوسطى) .

(ولا ريب في انه ليس ثمة اشتراكية يصح ان يعنى بها رجال الدول
الاشتراكية ماركس) . ثم بين لاسكى في فقرة تالية (ان فلسفة ماركس كانت
اولا عقيدة تدعى بها شرفمة قليلة من الجمعيات الثورية التي تعمل في الخفاء
فاصبحت ايمانا يواجه الناس في سبيله السجن والموت كما فعلت الديانات
الكبرى في العصور الماضية) .

ثم يمضى كاتب المقال بعد ذلك قائلا : والى القارىء ملخصا عن فلسفة
ماركس الاقتصادية الاجتماعية .

ويمضى الكاتب في عرض افكار ماركس عن القيمة وفائض القيمة ،
ويشرح نظرية المادة التاريخية ثم يستعرض المبادئ الاساسية الواردة في
البيان الشيوعى . وبعد ذلك يشرح فكرة ماركس عن دولة دكتاتورية
البروليتاريا كمرحلة ضرورية تسبق المجتمع اللاتبقى ، ثم تلخيص لكتاب
« القيمة والتمن والربح » (١) .

وإذا كان هذا الكتاب قد اغفل ذكر اسمه فثمة كتاب آخرون وجدوا
المنجاعة الكافية لاعلان اسمائهم . فعلى صفحات المقتطف ايضا وعلى مدى
خمس اعداد متتالية ينشر الدكتور عبد الرحمن شهبندر دراسة قيمة بعنوان
« معرض المذاهب السياسية من جمهورية اسلاطون الى شيوعية روسيا » (٢) .

والقد كانت الدراسة التي قدمها الدكتور شهبندر دراسة قيمة بالفعل .
وهو في دراسته هذه يهاجم الاسس الفكرية للنظام الرأسمالى الذى يقوم
على اساس « ان المصلحة الفردية فوق سائر المصالح » ويؤكد ضرورة ان
تتدخل الدولة في مختلف الشؤون الاقتصادية « حرصا على المصلحة العامة
ومنعا من سوء الاستعمال » ويسوق مختلف الأدلة على وجوب تدخل الدولة
قائلا : « ولعل اتمن تحفة أدبية خلقتها لنا نصوص الشترعين في وجوب

١ - المقتطف - الجزء الخامس - المجلد الثامن والثمانين - مايو ١٩٢٢ - ص ٥١٧ .

٢ - المقتطف - اعداد يناير - فبراير - مارس - أبريل - مايو ١٩٢٣ .

التدخل ما جاء في حديث عبد الله بن المبارك (إن قوماً ركبوا سفينة في البحر فانتسموا فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم بفأس فقبالوا ما تصنع ؟ فقال هو مكاني اصنع به ما شئت ، فان اخذوا على يديه حجاً ونجوا وان تركوه هلكوا)

ويفضى الدكتور شهيدنر قائلا : ولشئنا بخاتمة التي القول ان هناك ميلا مضطربا في الحكومات الحاضرة التي الاضطلاع بالوظائف المتزايدة واستتجابت القوى المسيئة مما جعل الكثيرين من أهل البحث على القول بان هذا الميل سيستد الى ان تخضع الدولة على الاملاك والصنائع والرافق والاعمال فتتألف حينئذ الدولة الاشتراكية باختيار الامة ونزولا على ارادة الرأي العام فيها (١)

ويواصل الدكتور شهيدنر تقديم دراسته حتى يصل بها الى النظرية الماركسية فيقول عن ماركس انه رسول الاشتراكية وانه لم يعتد بالفكرة امتدادا هيجل ولا حتى منها افضل الاشياء بل قال ان التعامل الوثوق في النشوء الاجتماعي هو القوى المادية المنتجة التي تتجهز بها الجمعية البشرية بمعنى ان ينامج الثروة التي يستخدمها الانسان من اراض وآلات واجهزة ... كل ذلك يكسب الناس شكل الحياة الاجتماعية التي يتضمنون بها فتكون الافكار المنتشرة بينهم نتيجة ما هم عليه من الظرائق الانتاجية التي توصلوا اليها

ثم يحاول ان يقدم تلخيصا لفكره ماركس هذه قائلا : والخلاصة ان ماركس يقول ان وسائل الانتاج في المجتمع وما يبنى عليها من العلاقات بين الناس تولد النظام الاقتصادي في الهيئة الاجتماعية وهذا النظام هو العامل الاساسي في تكوين النشوء العقلي في الشعوب

ثم يتحدث عن الثانية التاريخية قائلا : ويدعى مذهب ماركس في الفلسفة (التعليل المادي للتاريخ) وقد ابان فيه الاطوار التي يمر عليها المجتمع منذ ان استولى على شؤونه اصحاب الاراضي الواسعة الى ان عبت الثورة الصناعية والتجارية : لكن عمل الرأسمالية الصناعية انتاج العمال من القوة والفرصة ما ينظرون به انفسهم في وجه اسيادهم الذين يستخدمونهم

وهكذا فان الرأسمالية تحفر قبرها بيديها : وقورة العمال مسالة حقيقية لا بد منها : والخلاصة فان اضطراب الرأسمالية الى انقراض مجيها للحصول على اعظم الارباح ادى الى نهضة العمال وانتشار مذهبهم الاشتراكي

١ - المقتطف ابريل ١٩٢٢

وبها يتطوى، عليه من التمهيد، يقض مضاجع الرأسماليين، ودعاويهم، النظرية
المریضة، وقد تنبأ ماركس عن العمال بقوله: «ان هذه الطبقة الخاضعة التي
لا بحق، لأحد، أن يمتنعها، من تنظيم نفسها، أو يحول، دون أضيخاتها، العالية
بالاحتياج، بتكامل، عروس، الرأسماليين، وتقضى، على رأس المال، كظلم،
اقتصادي تعيش تحت لوائه الشعوب، ..»

ثم هو يتحدث عن «صورة المجتمع الذي ناضل ماركس والماركسيون من
أجل بنائه» .. ومضى ثالث المجتمع الخاسر من الطبقات، تزلزل الأستثمار
وتزلزل معه حكومة الطبقة لتختل مكلها الإدارة، المشتركة العائمة التي قد
ينابيع الثروة، في الشعب لضلحة المجتمع وعلى العمال ليس فقط أن يقبضوا على
زمام الحكومة الحاضرة، ويستجدهونها لغاياتهم، بل إن يمحطوها محتيا هي
والطبقة الاقتصادية، المسؤولة عنها، ويحلوا محلها نظاما يؤسسونه من
جديد، ..

ويتحدث الدكتور شهيد أيضاً في دراسته هذه عن «البيان الشيوعي»
فيقول: «وهو يعد البيان الشيوعي، الذي نشره ماركس، بالألمانية عام ١٨٤٨ -
وهو في خمسين وعشرين صفحة - أول نص يالج الاشتراكية بطريقة علمية
واضحة وأخرجها من صف الفلسفة الخيالية والإحلام الذهبية، وقيدت ختمه
بالوعيد المشهور (فلترعش فرائص الطبقات الحاكمة عند شيوب الثورة
الشيوعية أما الصماليك) يقصد الترويضاً) فليس لديهم ما يخشون
سوى السلاسل والأغلال، ولكن أمامهم نبياً يرتجونها، انحدوا ايها العمال
في الأمان» (١)

أما - الهلال - فذكر مقالاً بعنوان: «شركات الأختار في تطور الصناعة من
المنافسة الى التعاون» تقول فيه: «في القرن الماضي وضع كارل ماركس
زعيم الاشتراكية، كتاباً عن «رأس المال» ألقى فيه ثرايا تحققة الأياتم الان
من بعض وجوهه ..»

وهذا الرأي يتلخص في أن المصنع الكبير يأكل المصنع الصغير - موكل -
هذا كلام واضح يسلم به كل انسان، ولكن كارل ماركس ارتقى من ذلك، الى
أن هذا التطور الأولي في العمل من يد العامل الى الآلة الصغيرة ثم الآلة التي
الآلة الكبيرة يتوقف يحدث تطوراً آخر في نظام الصناعة - ذلك ان المصانع الكبيرة
ستحتكر الصناعة وتمنع منافسة المصانع الصغيرة بل تمحوها وخذفها تقرياً
الامة أن الثورة - قد تجتمع في أيدي شركات تعتمد على اصابع اليد، فتقوم

شوية واحدة وتستولني على هذه المصانع وتجعلها ملكا لامة بوليا من أن تكون
ملكيا للأفراد . وهذه هي الاشتراكية
والاشتراكية لم تتحقق بعد
جند مافى روسيا ولكن التطور الذي راه كارل ماركس لا يزال يسير يقدم ثابتة
في الطريق الذي رسمه (١) .

ولم يكن الحديث عن النظرية والافكار الفلسفية وحدها ، فليقد اهتمام
المثقف المصري اهتماما بالغا ، بالأديب الزويبي ، وجيلت صحف ومجلات هذه
الفترة بتراسيات وكتابات عديدة عن الأديب الروسي الذي وصفه أحد المثقفين
يوما على صفحات الهلال بأنه « خير الآداب التي أنتجها لعقل البشرى » (٢) .

والتحقيقة ان اهتمامات المثقفين المصريين بدراسة الأدب الروسي وبالادباء
الروس ومدى تأثير الفكر المصري بهذه الدراسة مسألة تستحق التأمل والبحث
والذي لا شك فيه ان كثيرين من المثقفين الاشتراكيين المصريين قد وصلوا
الى الاشتراكية عبر ميدان الأدب ، والأديب الروسي علي وجه التحديد .

يقول د . عبد الفتاح الناضى « وهكذا اتجهت الى الأدب وعن طريق
القصص الاشتراكية بدأت افتتح بالاشتراكية بعد ذلك بدأت الاطلاع
على النظرية الاشتراكية » (٣) .

ومن الأدياء الروس الذين تركوا آثارا هامة في افكار المثقفين المصريين وفي الثقافة
المصرية علي وجه العموم « تولستوي » . ومن الحقائق المتداولة في التاريخ
المصري الحديث تأثير عديد من كبار المفكرين المصريين أمثال لطفى السيد
به ومحاولتهم تقليده في العودة الى « الريف » كذلك من الغريب ان يقوم أحمد
شوقي برفاء ، تولستوي عبقريا يموت وهناك أيضا مراسلات الشيخ محمد
عبدو والحوار الثمر الذي قام بينهما (٤) .
وقد تقدم د . عبد الفتاح الناضى دراسة غافية في العمق عن تولستوي وعن
منهجه الاجتماعي وموقفه الفكري ، وعرضا لأهم كتاباته وخاصة رواية « النور
يضى » في الظلام (٥) .

١ - الهلال في يناير ١٩٢٨ - ص ٢٩٦ .
٢ - الهلال - مقال بقلم محمد علي ثروت - ديسمبر ١٩٢٨ .
٣ - د . رفعت السيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق -
ص ٢٧٢ - (مخصر نقلي) .
٤ - الإذاعة والتلفزيون - مقال للدكتور عثمان أمين - ٧ - ١٩٧٨ .
٥ - نشرت هذه الدراسة في خمس حلقات في كوكب الشرق - ابتداء من
٢٥ - ٢ - ١٩٦٦ .

كل هذا في الوقت، الذي كان المثقف المصري يعتبر فيه أن تولستوى قريباً من الفكر البلشفي . . . وثمة دراسة نشرتها « السياسة الأسبوعية » بعنوان « تولستوى والثورة البلشفية » جاء فيها « وهناك ظاهرتان لا يمكننا أن لا نتخذهما، الأولى أن البلشفيين أنفسهم يعدون تولستوى قديسهم العظيم ، كما عد رجال الثورة الفرنسية روسو . . . والحكومة للسوفييتية لا تألو جهداً في اظهار اجلالها العظيم لذكرى تولستوى المقصبة اذا كانت الكلمات مثل (اجلال) والمقصبة) توجد في قاموس البلشفي . وقد فتح ولاية الامور متحفين لتولستوى في موسكو . . .

والظاهرة الثانية هي ان المحافظين الروس ينظرون الى التولستوية والى البولشفية بمنظار واحد ، (١) .

ولم يكن تولستوى وحده محط اهتمام المثقفين المصريين، بل كانت هناك أيضاً العديد من الكتابات والدراسات عن جوركي الذي سمي « اديب الصعاليك » وثمة دراسة هامة نشرتها الهلال تحت عنوان « ثلاثة من الادياء الروس . دستوفسكي ، وتولستوى ، وجوركي » (٢) .

ولم يقتصر الامر على تقديم الدراسات النهجية التي تتناول بالنقد والتليل كتابات الادياء الاشتراكيين الروس وانما خُرت هذه الفترة بترجمات لفيض غامر من الاعمال الادبية لهؤلاء للكتاب . . . ولناخذ نمونجا واحداً هو مجلة السياسة الأسبوعية ، وهي - كما هو معروف - مجلة حزب الاحرار الدستوريين . . . فقد نشرت في فترة وجيزة مجموعة كبيرة من الاعمال الادبية للكتاب الاشتراكيين والتقدميين الروس من بينها . . .

• الرهان - تشيكوف - ٢٠ أغسطس ١٩٢٧ .

• القدر - ايفان تورجنيف - ١٠ سبتمبر ١٩٢٧ .

• الطبيب - ايفان تورجنيف - ٢٧ أغسطس ١٩٢٧ .

• خادم الكنيسة - ايفان تورجنيف - ٢٤ سبتمبر ١٩٢٧ (٤) .

• كمي - ايفان تورجنيف - ١ أكتوبر ١٩٢٧ (٥) .

• المال - مكسيم جوركي - ١٦ يونيو ١٩٢٨ .

• للشحاذ - ايفان تورجنيف - ٢٠ يونيو ١٩٢٨ .

١ - السياسة عددى ٣ ، ١٢ - ٢ - ١٩٢٧ مقال محمد مصطفى ابو رحاب

٢ - البتلة الجديدة - يوليو ١٩٣٠ .

٣ - الهلال - أغسطس ١٩٢٨ .

٤ - ترجم هذه القصص جميعها محمد كامل البهنساوى .

٥ - ترجمها ابراهيم زكى وكيل النائب للسام . . .

على أن الأمر يقتصر على النظر إلى الجانب الإيجابي والرائع من التجربة
النيوفيتية في فقيدها أهمية الصحف المصرية اهتماما كبيرا ينتج تحزبها
البيضاء التي يقوم بها البلاشفة ، وكما تتالت مقالات الجند والهجوم
تأجيب في مقابلها ، وربما بصوت أعلى . في بعض الأحيان مقالات التأييد
والثبوت ، وفي بعض الأحيان مقالات الهجوم والتهكم .
ولقد كان تقدم التجربة الاشتراكية الأولى في صورة مقبولة - يمثل
فيها دعاية كثيرة الأثر للمفكرة الاشتراكية التي كان الرجعيون يطعمون
باحتلالها وضما موضع التطبيق الصحيح محاولين أن ينسجوا حول التجربة
النيوفيتية أكاذيب تراعى بقيل الاشتراكية عندهما توضع موضع التطبيق

ولقد كان أكثر ما اعتم به اليسار المصري في ذلك الحين هو إبراز الانجازات
الاجتماعية والاقتصادية التي استطاعت الثورة البلشفية أن تحققها .
وتقد كان القاري المصري يتأخخ بنافس مبهورة هذه الانجازات الرائعة
ويقارن ما يعيش فيه من تخلف وتدهور بهذا التقدم الرائع ثم يشير
بالفارق بين النموذج الرأسمالي والنموذج الاشتراكي .

والحقيقة أن متابعة الانجازات الاقتصادية والاجتماعية للبلاشفة قد
شغلت معظم الصحف المصرية وليس فقط الصحافة اليسارية (فالسياسة
(جريدة الأحرار الدستوريين) تنشر مقالا تحت عنوان روسيا والعالم كله
تتول منه في الخامس من أكتوبر وفي مدينة ليننجراد عقدت اللجنة التنفيذية
المركزية اجتماعها الثاني بمناسبة ما سيجري قريبا من الاحتفال بالذكرى
العاشرة للثورة البلشفية وقد بلغ عدد الحاضرين ٦٢٢ مندوبا من اتحاد
روسيا .

وقررت اللجنة فيما قررت لجانة هذه الذكرى انقاص ساعات العمل
الى سبع ساعات بدل ثمانية في ايام دون تخصيص الاجور التي تعطي الان
وزيادة المخصص في ميزانية الدولة لبناء منازل العمال بتلح خصمنا مليون
روبل زيادة على اعتمادها الحالي وتخفيض الضرائب التي تحبى من الفلاحين
والعمال وتخصيص معاشات لذوى الحاجة من الفلاحين الشيوخ (١)

وفي الذكرى العاشرة للثورة البلشفية تكذب السياسة تحت عنوان
البلشفية في عامها العشرين : ان ميادى البلشفية وغاياتها تتلخص في
عبارة واحدة هي الثورة العالمية وسيما الكتلة العمالية وهي لا تقف عند اية
من الأمم أو مجتمعات من المجتمعات ولا تقتيد بحدود جنسية أو قومية أو تحجب

١ - السياسة - ٢٢ أكتوبر ١٩٢٧ لسنة ١٩٢٧

حسابيا للفيزوق والأقذار الاجتماعية بل هي تهدف إلى تحطيم النظام
الراسمائية ، الحاضرة وأن تبنى نظم الديمقراطية والبرجوازية وأن تكون
كلمة الكتلة العاملة هي العليا (١)

وفي المناسبة ذاتها تنشر « الهلال » ما أسمته « حقائق ومعلومات منزهة
عن الدعاية والأغراض » في مقابل بعنوان « بعد عشر سنوات : ماذا تم في
روسيا الشيوعية » جاء فيه « كان الانحلال العام في الأمة الروسية (قبل
الثورة) أكبر مما تصور له . وكان الشيوعيون هم القوة الوحيدة في وسط
أمة تموج بالفوضى كالبصر الهائج وأعلنت الشيوعية في روسيا ، وكان أول
ما ضمن النصر للشيوعيين أنهم استصفوا الاملاك وسلطوها للفلاحين والجنود
الذين كان أغلبهم من الفلاحين . وبهذا العمل انضمت كتلة الأمة إلى الشيوعية
ثم استولوا على المصانع وأسلموا مجالس العمال لإدارة البلاد وعمموا التعليم
وأسسوا البولوية الثالثة

... وسار لينين في نظام الشيوعية دائما فجعل الحكومة تتعلق الأرض
والمنازل والمصانع ... أما الأرض فقد امتلكها الفلاحون وعم روسيا كلها
الفرح العظيم لهذا الانقلاب ،

ثم يفضي كاتب المقال مقتضابا

« والآن ما هي الحال في روسيا ؟ الفلاح يملك أرضه كما يملك الفلاح
المصري أرضه في مصر . ولكن ليس في روسيا رجل يملك أرضه ولا يشتغل
فيها . فالأرض يملكها من يشتغل فيها فقط . أما المالك القديم الذي
كان يؤجر أرضه للفلاح أو يزرع ضيعته وهو بعيد عنها مزراع البقال
في إحدى المدن . يتعم بالدخل الضخم كل سنة فيقدر زال من روسيا»

ويحكم أقاليم روسيا الآن (السوفييت) أي مجلس العمال . والانتخاب
عام يستوى فيه الرجل والمرأة لهذه المجالس . ومن اتحاد هذه المجالس
تتألف دولة روسيا .

... ويشتغل العامل في روسيا الآن ٨ ساعات فقط . أما الموظف
فعمله لا يزيد عن ٦ ساعات وللعامل ١٥ يوما تمنح له إجازة بكل سنة
ويتقاضى فيها أجرته . ويمتاز العامل أيضا بأنه يعالج مجاناً ويرسل إلى
المصحات مجاناً .

والمرأة تستوى تماما بالرجل في روسيا فهي مثله في الحقوق والواجبات

٢ - السياسة - ٥ نوفمبر ١٩٢٧

الذخيرة . . . وفي وقت الحمل تأخذ أجازة قبل الولادة - بنحو ٧ أسابيع وبعد الولادة - أيضا وتعطى ائانة مالية . (١)

ومن حقنا أن نتساءل ما هو تأثير مثل هذه المعلومات على المواطن المصري ؟

الأمر الذي لا شك فيه أنها قد تركت أثرا هائلا . . . ولا بد أن مثل هذه الحقائق قد لعبت دورا هائلا في نصف كل الدعايات المغرضة التي حيكت ضد الاشتراكية وضد تجربتها الأولى على أيدي البلاشفة .

وفي العام التالي . . . أتى في الذكرى الحادية عشرة للشورة تستخدم «السياسة» صورة البلشفية في عامها الحادى عشر ، فنقول : « مضت إحدى عشرة عاما كاملا والبلشفية تقيض على مصائر روسيا والشعب الروسى ونظمتها ومبادئها تصوغ من الشعب الروسى مجتمعا جديدا يبنى على كل العصور أعذب صورة يقدمها اليينا تطور الجماعات البشرية » (٢) .
وفي نفس المناسبة تنشر « السياسة » ترجمة للحديث صحفى أدلى به برناردشو جاء فيه :

« س : لقد سمعت أنك ممن يعتقدون أن البلشفية ستعيش في روسيا ، فهل لك أن تحددنى بتعليل هذا ؟ »

ج : التعليل بسيط ، وهو أن البلاشفة يعلمون أبناء روسيا الأمانة العمامة بعكس الدول الرأسمالية كأنها تعلم أبناءها أن غاية الغايات هي أن يكونوا أغنياء عاطلين » (٣)

ويبدو أن اللجوء إلى الأراء الإيجابية التي تعبر عنها شخصيات ذات شهرة عالية واسعة كان أسلوبا ناجحا في الدعاية للاشتراكية . . .

وعلى لسان برناردشو أيضا . . . تنشر « السياسة » حديثا بعنوان « في البلشفية » جاء فيه : « كنت دائما أشارك السوفييت شعورهم وأنا أقول لزعماء العمال عندها أن البلشفية ما هي الا الدفاع عن طبقات العمال » . . .

ويمضى برناردشو قائلا « أتى أكرر أنني لم أخف يوما شعورى نحو السوفييت وفي سنة ١٩١٧ أو ما يقرب منها لنا كان ليثنى بعد هبة

١ - الهلال - يناير ١٩٢٨ - ص ٣٢٩ .

٢ - السياسة - ٢٢ أكتوبر ١٩٢٧ .

٣ - السياسة - المرجع السابق .

أكبر عدو الخلود. لانجلترا قدمت اليه نسخة من آخر رواية القتها في ذلك
المعهد منقوشا عليها عبارة اخلاص قلبي . وارسلتها اليه بواسطة السفارة
الروسية .

س : لقد سمعت أن قوة السوفييت في تدهور ، فخطاباتهم هذه ما هي
الا الكبرياء التي تسيق السقوط .

برناردشو : وعلى كل . حتى اذا ما سقطت حكومة السوفييت فان
الفكرة سوف تعيش . ان الراء لها طريقها الى الخلود . وليس بإمكان
اي فرد أن يقتلع تلك العقيدة من نفوس السوفييت . كما أنه ليس بإمكان
أي سياسي أن يمحو من ذاكرة العالم عقيدة حكم الامم نفسها بنفسها .

وكيفما يحكم القدر في مصير الروسيين فان نفوذهم على أفكارنا لن
يكون بأقل تأثيرا من التغيير الذي أحدثته الثورة الفرنسية ، أو عندما
اعلنت المستعمرات الأمريكية استقلالها (١) .

وثمة حديث آخر من العلامة لينشتين ، تنشره « المجلة الجديدة » جاء

فيه :

س : اليست آسيا هي أم الأديان جميعا ؟

ج : يبدو أنها الكنز العظيم للأفكار ، بل لقد عرفت ان الشيوعية
نفسها قد جربت في آسيا قبل آلاف السنين .

س : هل تظن أن العالم الغربي سيمر في طور شيوعي ؟

ج : اذا حدث هذا فاني لن أدهش .

س : وكيف تكون حياتك في مثل هذا النظام ؟

ج : تكون لا بأس بها .

س : هل توافق لينين على أن الحرية الاقتصادية من أوامم الاغنياء
ولاطبقات المتوسطة ؟

ج : ربما كان لينين صادقا ، فالحرية الكاملة لا تتفق والحضارة . فاذا
كدت لا أحب ان أحدا يدوسني فاني اضطر الى الخضوع لانظمة تحد من
حريتي ، وكلما زاد رقي الامة زادت تضحيات الترد وهذه التضحيات هي ثمن
الحضارة (٢) .

١ - السياسة - ١١ أغسطس ١٩٢٨ ، حديث مع برناردشو بقلم سلفتر
فيريك ترجمة أحمد محمود بيومي .

٢ - المجلة الجديدة - السنة الأولى للمعد السادس . أبريل ١٩٣٠ ترجمة
لحديث أجراه فيريك ص ٧٤٦ .

بأنه ولو لم يكن إلا أن تتطور الاثر البالغ الذي تركته آراء كهذه عندهم متصل إلى
الذئب المصري منسوبة إلى اثنين من أشهر الشخصيات العالمية ، فوناردشو
واينشتين . . .

له ولقد كان اللجوء إلى هذا الأسلوب الذي تكرر كثيرا والذي لم يكن
ما أوردناه عنه سوى نماذج قليلة تعبر عن ذكاء ومقننة تلك العناصر اليسارية
والتقصيرية التي كانت تتحين الفرصة للانقراط أي خيط يمكن أن يصل
بوعايتها إلى قلوب الجماهير ، والتي - وهذا هو المهم - إمكانية النشر
لكنني اعتقد إن أهم ما حققته التجربة السوفيتية من آثار في نفوس
المصريين كان نابعاً من نجاحها الحاسم في بناء الاقتصاد السوفيتي ،
وأعتقد أيضاً كيف أخذت الصحف والمجلات المصرية بالخرزات السوفيتية
المتخلفة وأبرزتها في كثير من كتاباتها . . . لكن أهم ما شمل انتباه المثقف
المصري كانت برامج السنوات الخمس . . .

وفي حديث عن برنامج السنوات الخمس والاهداف التي يرمع تحقيقها
يقول الهلال : . . . ويشرف على تنفيذ هذا البرنامج العظيم لجنة
تسمى "جوسبلان" ، وهم أعظم لجنة اقتصادية في الجوله ولها سلطة لا حدود
لها في الشؤون المالية والاقتصادية . . . وقد أنشئت هذه اللجنة منذ
سبع سنوات واليهما يرجع برنامج السنوات الخمس الذي نحن بصدده . . .

واليك بعض ما تحدرته هذه اللجنة . . .

- ١ - أن يزيد مجموع القوى الكهربائية بنسبة ٧٧% .
- ٢ - أن يزيد مجموع إنتاج الفحم والزيت بنسبة ٨٢,٣% .
- ٣ - أن يزيد إنتاج البلاد الزراعي إلى أكثر من ضعفه .
- ٤ - أن يزيد إنتاج معامل النسيج والالات على اختلاف أنواعها بحيث
تتسارع في آخر السنوات الخمس على حاجة البلاد ويكون في الامكان
تصنيعه . . .
- ٥ - أن يتقدم في البلاد العامل الكيماوية التي تفتى بالحاجة . . .
- ٦ - أن ينفذ البرنامج كله على احث الاساليب الاشتراكية بحيث

تعتبر جميع المامل والمصانع والموارد والنتجات ملكاً
للشعب (١)

٧٦١ - الهلال - مارس ١٩٣١ - ص ٧١٠

١- ولقد كان اشتراكيو الثلاثينيات من النشاط والنجاة بحيث أننا نلاحظ مثلا أن عددا واحدا من مجلة « العصور » كان يتضمن الموضوعات التالية: « حياة لينين » وفيه تاريخ جيد لنضال لينين وتلخيص لكثير من كتاباته ثم حديث عن زوجته « المناضلة » كرويسيكيا وعن كثير من المحيطين به . ومقال آخر بعنوان « كارل ماركس وأهم نظرياته الفلسفية والاقتصادية » ويتضمن مقدمة عن الاشتراكيات الخيالية ثم دراسة لجوهر أفكار الاشتراكية العلمية وتاريخ حياة كارل ماركس وحديث عن الفلسفة المادية لتاريخ وعن « التفسير المادي للتاريخ » ونضال الطبقات ثم بعد ذلك عرض جيد لنظريات ماركس الاقتصادية حول القيمة والقيمة الاكثر (فائض القيمة) والتركز والتكدس (التمرکز) ونظرية الأزمات في الاقتصاد الرأسمالي مع شرح مبسط لكل من هذه النظريات .

ومقابل ثالث عن « تاريخ الحرب الأهلية في روسيا » - وفيه حديث عن تاريخ الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي وانقسامه الى بوشفيك وبوشفيك وأسباب الإنقسام ونظرية لينين حول الحزب ودور الحزب بقيادة لينين في ثورة ١٩٠٥ ثم في ثورة ١٩١٧ .

ثم بعد ذلك كله النص الكامل لبرنامج الحزب العمال والفلاحين لاصري (١)

كل هذه الدراسات في عدد واحد من مجلة « العصور » ، ولعل في هذا أمثال الكفاية ليوضح لنا طبيعة الدعاية الاشتراكية واكتساحها في بعض المواقف ، وشجاعة الثائمين بهذا .

وهكذا نجحت الدعاية الاشتراكية رغم محاصرتها ورغم كل إجراءات القمع ورغم موجة الدعاية المضادة الجارفة - أن تجد لنفسها سبيلا لتنتقل بالحقيقة الى قلوب وعقول المصريين .

ولكننا نخطئ لو تصورنا أن هذه الدعاية الاشتراكية قد اكتفت بالحدث عن الأدب الروسي أو التجربة السنويية ، فلقد أجهد الكثير من مثقفي مصر في هذه الفترة أنفسهم سعيا وراء تفهم النظرية الاشتراكية وبحثا عن تطبيقاتها المصرية ، وتصورات مصرية لها .

وفي هذا الصدد فإن الكتابات والاجتهادات كثيرة ، أكثر من أن تحصر ،

رث (١) العصور ، يونيو ١٩٣٠ ، ص ٤٤٤ .

لكننا سنكتفى ببعض هذه الكتابات كنماذج للاجتهد المبررى في مجال الفكر الاشتراكي

ولنبداً بمقال بعنوان " احتضار معتقدات وتولد معتقدات " ، كاتبه هو نجيب محفوظ فلما أخذت الاعتقادات القديمة في القضاء وأخذ العقل يسلط نوره عليها فيظهر من عيوبها ويكشف عن سوءاتها التي عاشت ورسخت في النفوس أخيراً كحقائق لا مراء فيها ولا جدال ، ولما حل الشك محل الإيمان ، تأثر الأبناء بذلك ، التطور الذين هم من أكبر دعائه ومؤيديه بما يؤمنون من كتب تحمل على القبحيم ، تحاول أن تأتي عليه وتخلصنا من استعباده ورقه

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت بين أيدينا مجموعة وافية من الكتب والتخصص تبعث قرائتها على الشك في الماضي بآرائه ومعتقداته أو تدعو لذهب جديد كالاشتراكية والعالية وغيرها

والذي يجدر بنا أن نلاحظه هو أن جميع الأديان الجديدة ترمي إلى إبعاد العالم وإزالة الفروق الوطنية ، وهي تتفق في ذلك مع الأديان القديمة مثل المسيحية والإسلام ، ولكنها تزيد على ذلك فيدعو بعضها إلى إزالة فوارق الطبقات المادية

ولو أننا أردنا أن نختار بالذهب الذي سوف يكون له الفوز من بين المذاهب لقلنا - أو لأحبينا أن نقول - بأنه مذهب الاشتراكية

ويورد نجيب محفوظ سلسلة من الأسباب يستند إليها في تنبؤه بانتصار الاشتراكية ثم يقول : وهناك أسباب كثيرة أخرى تجعلنا نكاد نؤمن بأن المستقبل للاشتراكية

كذلك فإن الاشتراكية - عند نجيب محفوظ - ليست نهاية المطاف بل هي مقدمة لمجتمع أفضل ، فإنه وإن كانت الاشتراكية لن توصلنا لحالة من النعيم لا مطلب خلفها إلا أنها تستطيع أن تتخلصنا من حالتنا هذه إلى خير منها ، وليست الاشتراكية نهاية ما يمكن أن يتطور إليه النظام الاجتماعي وعليه فالتطلع للأحسن سيدفعنا دائماً للتشبيب عما فيه سعادتنا ورفاهيتنا

وإذا كان البعض يوجه انتقادات إلى التجربة السوفيتية - وإذا كانت هذه التجربة قد تعرضت في البداية لبعض المصاعب فإن نجيب محفوظ يعلق على ذلك قائلاً : وجملة ما أريد أن أقوله عن هذا الأمر أنه لو خاب إيماننا في الاشتراكية بعض الخيبة فليس معنى ذلك أننا نرغب في الرجوع إلى

«إننا السيئة - الحالة الحاضرة - إنما يجعلنا ذلك يزيد إيماننا بالتطور
الذي هو الخالق الوحيد للاشتراكية وغيرها من الآراء والمعتقدات» (١) .

روثمة كتاب وأدباء كثيرون أيدوا الاشتراكية أو تنبأوا بانتصارها على
أرض مصر وعنيما يحاول إبراهيم عبد القادر المازني أن يتصور
«مصر بعد مائة عام» فإنه يؤكد « أن الاشتراكية لا مفر منها بطبيعة
الاجتهال - ودولو بقوة البدوى من الغرب » (٢)

أما اسماعيل مظهر فإنه يركز هجومه على النظام الرأسمالي في مقال
ب عنوان « الأزمة الاقتصادية ، بواعثها واحتمالاتها الأخيرة » ، ويركز هجومه
في سلسلة من الأحكام القاطعة الحاسمة « سوف ينتهي النظام الرأسمالي
من حيث بدأ . بدأ بالانتاج الصناعي وسيحطه الانتاج الصناعي .
بدأ باختراع الآلات وسوف تقضى عليه الآلات . وبدأ باستجماع رؤوس
الأموال ، وسوف تقتله رؤوس الأموال » (٣) .

لكن الهجوم لم يكن هجوما مجردا على الرأسمالية بشكل عام وإنما
تداول أهم قضايا المجتمع المصري . . . في الزراعة والصناعة على السواء . . .
« من يملك مصر » هذا هو السؤال الذي قذفت به « المجلة الجديدة »
في روجه النظام القائم واجابت على تساؤلها هذا قائلة « المصريون
لا يملكون مصر وإنما يملكونها من يملك الأرض الزراعية فيها وهم
١٢٢٠٩٧٠٢٢ ر ٢٠٢٢ مالكا . وسائر الامة الذي يبلغ ١٣ مليوناً لا يملك شيئا من
عده الأرض . وأغرب من هذا أن يملك نصف الثروة الزراعية في مصر أقل
من ١٣٠٠٠ شخص » (٤) .

ويضيف كاتب آخر هو عبد الحميد عبد الغنى الى هذه الحقائق
حقيقية أخرى أشد مرارة « فأكثر من ١٥٪ من كبار الملاك هم من الاجانب .
وأكثرهم سلب املاكه بطريق الربا الفاحش » .

لكن هذا الكاتب لا يكتفى بانتقاد الشكل القائم لتوزيع الملكية
الزراعية وإنما يتحدث عن « نظام الملكية المشاعة » . . الذي حققته روسيا
الشيوعية في جزء كبير من أرضها » .

ويعضى الكاتب قائلا « ومن الناحية التاريخية نجد أن الملكية المشاعة

١ - المجلة الجديدة - اكتوبر ١٩٣٠ - ص ١٤٦٨ .

٢ - الهلال - فبراير ١٩٢٩ .

٣ - المجلة الجديدة - سبتمبر ١٩٣٠ .

٤ - المجلة الجديدة - سبتمبر ١٩٣٠ .

سبقت الملكية الشخصية فالارض في العصور التاريخية الاولى كانت ملكا
مشاءا لجميع الناس يستثمروها من يشاء

لكنه اذا كان من المستحيل ان يطبق في بلد كقصر نظام الملكية
الزراعية المشاعة فان الكاتب يقدم تصورا آخر لفكرة الملكية فيقول
« ان لو وجدت قرية مساحتها ٥٠٠ فدان موزعة على خمسين شخصا
تختلف ملكية الفرد منهم بين ٥ ، ٢٠ فداننا لوجد بذلك نظام الملكية
الصغيرة . وفي الوقت ذاته يستطيع هؤلاء الملاك الصغار ان يكونوا مزرعة
واجيدة تتبع نظام الانتاج الكبير ، وذلك بتكوين جمعية تعاونية ذات
٥٠٠ سهم كل سهم ينوب عن فدان فتحصل هذه الجمعية محل المالك
الكبير »

ووفق ذلك يعرض الكاتب لآراء هنري جورج الواردة في كتابه الشهير
« الفقر والتقدم » فيقول « يرى هنري جورج انه كلما ازدادت الثروة العامة
ازداد الفقر انتشارا - ففي افريقيا الوسطى لا نجد من يستحق ان يسمى
ثريا . ولكننا لا نجد هؤلاء الذين لا يجدون الثروت الضروري الا في
الاعطاش الغنية وهذا لا يرجع الى عجز الطبيعة عن كفاية الناس بل
الى الامتلاك الفردي للأرض ، والعلاج الوحيد هو جعل الارض ملكا
مشاعا فالامتلاك الفردي منافي للطبيعة . فكما ان لجميع الناس
حقوقا متساوية في الهواء والضوء ، كذلك يجب ان يكون لهم حقوق متساوية
في الأرض » (١)

وحول الاستغلال الرأسمالي في مجال الصناعة شن الكتاب التقدميون
والاستراكيون هجوما عنيفا وعندما لاحت بوادر الازمة الاقتصادية في
مصر ، أكد هؤلاء « ان معظم ما يصيبنا من كساد في مصر ناشئ من ان
طائفة العمال لا تستغل شينا عظيما لا في اللباس ولا في الطعام ولا في
المسكن ولا في أي شيء آخر وليس ذلك الا لانهم يعانون من قلة الأجور بحيث
لا يستطيعون التأثير في الاسواق الداخلية بما يشترونه حتى تروج الاعمال
فاذا استعملنا الشح مع العمال انعكس علينا عملنا بالكساد » (٢)

ثم هم يهاجمون محاولات الرأسماليين لعقد اتفاقات احتكارية فيما
بينهم فيقولون : « هناك احتكار جديد نشأ بالاتفاق بين الشركات التي
كان الوضع التجاري الاصلى يقول أو يروم بتراحمها . مثلا في الشركات التي

- ١ - المجلة الجديدة - أبريل ١٩٣٤ - مقال امتلاك الأراضي الزراعية -
بقلم عبد الحميد عبد الغنى ص ٤٣
- ٢ - كل شيء - ٢٥ أكتوبر ١٩٢٦

تبيع البترول والبنزين فأنها رأت انها تخسر بالمزاحمة ، وقد أصبحنا
بأقناعتها هذا تشتري البترول والبنزين بأعلى الاثمان ، .

وفرضة كهذه لا يمكن أن تمر بغير اثاره قضية اخرى باللغة الأهمية هي
العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفييتي ، ومما زاد هذه الشركات طغيانا
ثقتها بأن الحكومة المصرية تقاطع روسيا وتكره الاتجار معها فليس هناك
أذن ما نخشاه من استيراد البترول منها وبيعه بثمن منخفض لقاء تصدير
القطن اليها مثلا ، (١) .

بل لقد نجح الكتاب الاشتراكيون أيضا في ربط قضية الاشتراكية
بقضايا النضال ضد الاستعمار ، . ومرة اخرى فاننا نشهد للجوء الى
أسلوب بريد القراء ، .
• بيروت • سائل

هل تنيد الاشتراكية البلاد الشرقية ونعينها في نيل استقلالها ؟

الهلال : يقوم الاستعمار على استغلال عمال البلاد المستعمرة . فلو
كانت أجرة العامل الهندي لا تقل عن أجرة العامل الإنجليزي لما وجد
أثنياء إنجلترا فائدة من استقلال الهند ولاكتفوا باستثمار أموالهم في
بلادهم . والاشتراكية تريد أن تنصر العمال وتمنع استغلالهم فهي من
هذه الوجهة تكافح الاستعمار ، (٢) .

ولسنا نستطيع أن ننتقل الى موضوع آخر بغير أن نؤكد أن كل
ما أورثناه من محاولات للدفاع عن الاشتراكية أو الحديث عنها لم يكن
الا مجرد نماذج قليلة من موجات لا تنتهي من الإبداعات الفكرية . كتب
بمقالات ومنشورات وأزجال وقصائد وقصص . موجات بغير حدود من
الإبداع الفكري المصري دفاعا عن الاشتراكية . .

وفي الثلاثينيات حيث كانت سطوة حكم كبار الملاك والرأسماليين في
أوج عنفوانها ، وحيث حاولوا مرارا أن يجربوا الوسائل الديكتاتورية بحثا
عن « . موسيليني مصري » وحيث كانت مصر كلها تقفش لنفسها عن طريق
جديد . .

كانت هذه الكتابيات ذات قيمة غير محدودة . .

فقد عبرت عن اصرار أجيال متعاقبة من الماركسيين المصريين على
أن يقولوا كلمتهم وعن اصرارهم على مواصلة تحدى الرأسمالية وحكامها . .

١ - المجلة الجديدة - أبريل ١٩٣٤ - ص ١١١ .

٢ - الهلال - أبريل ١٩٣٦ ص ٧٧٦ .

وقد عبرت أيضا عن خصوبة الابداع الفكرى الاشتراكي في مصر
وتنوعه وشموله لجوانب هامة من جوانب الحياة الاساسية للمجتمع . . .

كذلك فان دراسة هذه المواد تبدو مسألة ضرورية لتفهم كثير من الاتجاهات
والاآراء، والواقف التي يمتد في قلب الحركة الوطنية المصرية . . .

فان سنوات الثلاثينات كانت سنوات الاحتضان ، و « العطاء »
والخلق ، بالنسبة لجيل ما بعد الحرب العالمية الثانية ذلك الجيل الذي
لعب في تاريخ مصر كله وفي مستقبلها كله اثارا بغير حدود . . .

ويغير ان نكون بخاجة الى ان نسبق الأحداث ، نستطيع ان نقرر ان
هذه الكتابات كانت دليلا كافيا على ان فكرة الاشتراكية قد ظلت حية
راسخة في وجدان مصر . . .

وان كان البعض قد توهم في الثلاثينات ان الاشتراكية قد صفت وضربت
في مصر فقد كان مخطئا كل الخطأ . . .

فلقد احتضنت مصر هذه الانتكاز، وتمتحنها ففنا وخصوبة مكانها من ان
تتخمر وتنبث وتنجب لصر جيلاً جديداً من الماركسيين . . . ظل يواكب ويسهم
في عملية الاختمار هذه وينمو معها وبها حتى ظهر . . . ورينما بشكل بدا وكأنه
مفاجيء في نهاية الثلاثينات في صورة كتابات كاملة من الشيوعيين المصريين . . .

وهكذا فان الصفحات السابعة كانت محاولة لتصور المناخ الفكرى
والسياسى الذى عاشت وابدعت فيه وعانت منه طلائع الجيل الجديد من
الشيوعيين . . .

••• مسرحية سكلّا تقلالاً

وسكلّا تقلالاً كان النائب الشيوعي الوحيد في البرلمان الانجليزي ، وكان عضواً في اللجنة التنفيذية « للعصبة المناهضة للامبريالية » وهي تنظيم عالمي يضم ممثلين عديدين لحركات التحرر الوطني في مختلف انحاء العالم .

ولقد كانت الرجعية المصرية شديدة الخفر من ان يمد الحزب الشيوعي الانجليزي نطاق اهتماماته الى مصر . فان ذلك سوف يخلق لها صعوبات جمة ، وان كان الامر قد حسم تماماً مع سلطات الاحتلال بحيث لا يستثنى من حملة الاضطهاد أي يساري مهما كانت جنسيته .

ويبدو ان الحزب الشيوعي الانجليزي قد حاول ايجاد علاقة ما بالشيوعيين المصريين ، وفزعته الاهرام تحت عنوان « مساعي البلاشفة في مصر » ابدي للشيوعيين الانجليز فيها « ثقالت » لندن في ٢ يونيو - خطاب للمستر كل في المؤتمر الشيوعي بمدينة جلايغو فقال انهم قطعوا خطوات جدية جداً في سبيل ايجاد روابط بينهم وبين الاحزاب الثورية في مختلف انحاء الامبراطورية وهم الآن على اتصال مع احزاب اخرى في فلسطين وسوريا ومصر ••• (١)

لكن الخطر لا كبر كان يأتي في نظر الرجعية المصرية وسلطات الاحتلال من « عصبة التضال ضد الامبريالية » .

وقد ركزت اجهزة عديدة للمخابرات جهودها لتقصي نشاط هذه المنظمة الدوابة وعلاقتها بالقوى الوطنية المختلفة .

وثمة وثيقة حصلت عليها المخابرات البريطانية من المخابرات الهولندية حول نشاط هذه العصبة وتقول هذه الوثيقة (٢) « في فبراير ١٩٢٨ تلقت المخابرات الهولندية المعلومات التالية عن منظمة عصبة التضال ضد الامبريالية : والعصبة تضم الشيوعي الانجليزي سكلّا تقلالاً والهندي الثوري

١ - الاهرام - ٣ يونيو ١٩٢٥ .

(٢) - F. 371/13417-File : 152/792 - W : 5302/157/29

وهي محفوظة بالمتحف البريطاني ومؤرخة في ٤ مايو ١٩٢٨ ومثبتت على صحتها الاولى انها ترجمة لتقرير سري باللجنة الانسانية .

جواهر لال نهرو (الذي يتردد كثيراً على برلين) والصيني لوشان سن وعندوب جنوب افريقيا كولركين ...

وقد حضر نهرو المؤتمر الاول للعصبة الذي عقد في بروكسل في فبراير ١٩٢٧ كممثل لحزب المؤتمر الهندي واصبح عضواً في اللجنة التنفيذية للعصبة . وهو ابن بانديت لوتى لال نهرو الذي حضر المؤتمر الثاني للعصبة في برلين في ديسمبر ١٩٢٧ ولكن نهرو الاب يبدو اكثر اعتدالا من ابنه .

ومن المفيد ان نشير الى ان هذا السياسي المعجوز والذي يبدو انه قد زار موسكو مؤخراً قد قام ايضاً بزيارة القاهرة . وخلال زيارته هذه اتصل عدة مرات بجمعية الشباب المحمدي التي تأسست في مطلع هذا العام . وهي جمعية دينية ذات اهداف سياسية ويزانها الدكتور عبد الحميد بك (عبد الحميد سعيد) عضو البرلمان وهو احد القادة المتطرفين للحزب الوطني وقد وعده نهرو بنشر الدعوى لتاسيس فروع لهذه الجمعية في الهند .

ولسوف تشهد صفحات قادمة مدى الضرر الذي اصاب الدوائر الامبريالية والرجعية المحلية من مثل هذه العلاقات . . .

لقد احسوا بالحركة الوطنية المصرية وهي توشك ان تتفتح على حركة اليسار العالمي فكان لابد من ضربة سريعة وحاسمة . . .

ذلك ان العناصر اليمينية في الحركة الوطنية المصرية كانت تكزّه اليسار الى حد انها كانت ترفض ما ياتي عن طريقه حتى ولو كان تاييداً للاماني الوطنية المصرية وللنضال الوطني المصري ضد الاستعمار . . .

وهكذا بدأت مسرحية سكلان تفالاً . . . بهدف ادانة أى اتصال باليسار العالمي حتى ولو كان هذا الاتصال في اطار النضال العام ضد الاستعمار . . .

وسكلان تفالاً نائب شيوعي في مجلس العموم البريطاني . وهو عضو في اللجنة التنفيذية لعصبة النضال ضد الامبريالية . وتكتسب عضويته هذه وضعاً خاصاً نظراً لكونه من اصل هندي وقد طلب سكلان تفالاً تأشيرة دخول مصر من المفوضية الملكية المصرية لندن لكنها ابلغته ان وزارة الداخلية ترفض ذلك . . .

واقام سكلان تفالاً الدنيا واقعدما . فلعلها المرة الاولى التي ترفض فيها حكومة بلد شجبه مستعمر منح تأشيرة دخول لعضو في برلمان الدولة الاستعمارية . . .

ووجه سكلان تفالاً نداءً الى الراي العام المصري . . . ورسالة الى عدلى يكن رئيس وزراء مصر يحثج فيها على منعه من الدخول الى مصر . وعن طريق

الفرع المصري لعصبة النضال ضد الأمبريالية وصلت نسخ عديدة من هذه الرسائل إلى كثير من الشخصيات الوطنية المصرية وأعضاء البرلمان الذين اثارهم ان ترفض الحكومة المصرية منح تأشيرة الدخول للنائب الوحيد في البرلمان البريطاني الذي يدافع عن حق مصر والذي وقف في البرلمان وحيدا - معترضا على طرد القوات المصرية من السودان وغرامة النصف مليون جنيه في اعقاب مقتل السردار .

ولقد كانت خطابات سكلا تقالا الى اصدقائه المصريين والى الرأي العام المصرى عنيفة غاية العنف وكان يصيح قائلا ، تكلموا ، تكلموا يا ابنساء مصر ، تكلموا ، تكلموا بأعلى صوتكم ، وبأصرح وبأسرع ما يمكن ، حتى تستطيع ان استمع الى صوتكم والى ارادتكم من هنا من جديد .

وكان يوجه في رسالته اسئلة مزيرة ، اجاباتها اكثر برارة ، هل صحيح انكم تمنعون رجلا فقيرا مثلى من دخول بلادكم لجرد اننى اناضل من أجل الحرية الكاملة لشعب بلادكم ومن أجل تخلصه من أى تحكم أو استغلال أجنبي ايا كانت جنسية القائمين به ؟ وهل من حق اصدقائى الهنود ان يفترضوا ان انصريين يضطهدوننى وانا العضو الشرقى الوحيد في البرلمان البريطانى بينما لا يمنعون أى عضو آخر في البرلمان ، هؤلاء الاعضاء الذين ايدوا فرض غرامة النصف مليون جنيه استرليني على مصر والذين طردوكم من اراضى اتليمكم السودان ؟ ام ماذا يا شعب مصر ؟ هل برلمانكم مجرد العوبة ؟ وهل كان وزراؤكم مجرد منفذين مطيعين لتعليمات بريطانية بمعنى من دخول مصر ؟ ام ان استقلالكم وبرلمانكم محدودا الاثر . (١)

واحدثت هذه الاسئلة المزيرة لثما وانتقلت القضية الى الصحف ومنها نلى البرلمان . .

وفي البرلمان جرى نقاش حاد اثاره سؤال موجه الى وزير الخارجية من الدكتور حامد محمود . ثم استجواب موجه الى رئيس الوزراء من النائب حسن سيد احمد نافع (٢) .

١ - راجع النص الكامل للنداء في الملاحق . وهى احدى الوثائق المحفوظة بالمتحف البريطانى وتتضمن صفحاتها الاولى البيانات التالية (وثائق وزارة الخارجية البريطانية - مكتب السجلات العامة - ملف رقم ٢٧١/١٢٢٥٤ - رقم الوثيقة ١٨٨٠ لا يجوز تداولها ولا تصويرها الا باذن خاص) .
٢ - احمد شفيق باشا . حوليات مصر السياسية . الحولية الرابعة عام ١٩٢٧ - الطبعة الاولى ١٩٢٨ مطبعة حوليات مصر السياسية . ص ١١

والحقيقت ان النصوص الكاملة لمصيبيتي مجلس النواب حول مناقشة
موضوع سكرات تفالاً تقديمان ليا صورة مسرحية بالغة الدلالة
فلقد حاول النواب الرجعيون ان يقلبوا المسألة على شكل تفالاً
فمفرداً عبارة وردت في خطباته التي اصدقاها المصريين جاء فيها ان البرلمان
البريطاني لا يتعسا يدعى نظاماً واقتداراً حتى الرقابة العليا على المواقف
المصرية ويحتفظ بممثلين عسكريين وعلكيين في الأراضي المصرية والسودانية
فمصفتي عضوا في هذا البرلمان احد من واحبي ازاء الشيعيين البريطانيين
والثوري ان آتي التي مضر لدرست مسائل معينة في مواقفها
ويقف محمود صالح جريب منسراً هذه العبارة على هوامحهم
سكرات تفالاً بانه يعتبر مصر جزءاً من الامبراطورية البريطانية ويصبح باعلى
صوته و ان هذا التصريح قد افقد المستر سكرات تفالاً كل عطف في هذه البلاد
لاي مصر لم تكن يوماً ما ولن تكون تابعة للامبراطورية البريطانية ويعطو
صوته اكثر فاكثراً ان القلوب التي امتلات بحب الحرية لا تزال في صدورنا
كما ان اشتياح النفوس التي سالت تماؤها على حد السيوف وأسنة الرماح
في سبيل الحصول على استقلال البلاد لا تزال ماثلة امامنا (تصديق)

انفا يا حضرات النواب الكرام نفا على استقلالنا ان يفس حتى
ولو بالكلام ولهذا نحن لا يمكننا مطلقاً ان نغفل في صياقتنا رجلاً يريد ان
يهب ارضنا باعتبار اننا جزء من الامبراطورية البريطانية (١)
ويصدي محمود حافظ رمضان باليد يكشف الحقيقة قارباً على النواب
فقرت من الخطاب الشخصي الذي وصله من سكرات تفالاً مؤكدا ان منعه من
دخول مصر هو اساس بالاستقلال وليس دفاعاً عنه

ثم يكشف محافظ رمضان كل اوراق اللعبة موضحاً الأسباب الحقيقية
لمنع سكرات تفالاً من دخول مصر فيقول في الواقع يا حضرات الزملاء ان هذا
النائب لم يك فائداً بريطانيا فقط بل الحقيقة انه عضو في جمعية انشيت في
العالم العربي وبيوتهم في يوم ١٠ فبراير للقيام وهي تضد كل استعمار
غربي ، جمعية اعضاؤها في جميع البلدان الحائدة كالسويد والنرويج
والدانمرك وغيرها ونظريتها ان جمعية الامم الحاضرة انما هي جمعية حكومات
تريد ان تقسم بلاد الضعفاء و اذا اريد ان تتوجد جمعية امم حقيقية وجب
ان يكون فيها نواب من الامم انفسهم لا من حكوماتها فقط وعلى هذه القاعدة

١ - مصيطة الجريدة الثانية والعشرين للخبير النواب يوم ٢٥ يناير
١٩٢٧ - النص الرسمي - ص ٢٨٦ وما بعدها - راجع النص الكامل
بالتاليق -

يريدون ان تكون اعمال جمعية الامم وتصريحاتها موجهة ضد كل استعمار
وتلاخذ بناصر الامم المستضعفة .

ليقتل ان يحضر التي مصر رجل هذا شأنه ليدافع عن الاستعمار البريطاني
مع انه حوكم في بلاده من اجل آرائه ضد الاستعمار (١) .

وهكذا تنكشف اللعبة ويتضح السبب الحقيقي لمنع سكلنا تقالا . .
فالرجميون المصريون لا يريدون أى علاقة بعصبة اللضال ضد الامبريالية . .
وهم لا يريدون أية تمس مع اليسار حتى ولو تضمن تأييدا من هذا اليسار
لحقوق مصر القومية . .

ويمضى النقاش عنيفا ثم يوجه عبد الرحمن عزام سؤالا يقول « أريد ان
استلم اولاً من دولة رئيس مجلس الوزراء هل حصل احتجاج من الحكومة
البريطانية أو من احد ممثليها على منع هذا النائب ؟ » ويبتلع رئيس الوزراء
الخطم ويجيب « لم يحصل احتجاج » .

وهنا يعلق عبد الرحمن عزام قائلاً « أردت بهذا السؤال ان الفت نظر
حضراتكم إلى ان الحملة التي اشهرت على المستر سكلنا تقالا بأنه رجل يؤيد
الاستعمار البريطاني ويدعو إليه في مصر وانما هي حملة غير حقيقية اصيلا
ولا تستند الى شيء من الصواب - والدليل على ذلك انه لو منع نائب آخر
لا يمتنع مبادئ المستر سكلنا تقالا المتطرفة لاحتجت الحكومة الانجليزية على
هذا التصرف . واني ارى هذا كافيا في ان يزيل من اذهان حضراتكم آثار
الحملة التي اريد بها ان تنزع من قلوبكم العطف على ذلك النائب المحترم . »
وهنا يكشف النواب الرجعيون النقاب عن وجوههم ليتحدثوا بصراحة .

« عبد السلام عبد الغفار بك : اننى اؤيد الحكومة بكل قوة في الاجراءات
التي اتخذتها ضد المستر سكلنا تقالا . . . وعلى كل حال الشيوعية مكروهة
وانا احبذ تصرف الحكومة في هذا الحادث وارجو ان تؤيدها وان تطلبوا منها
الاستمرار على اتباع هذه الخطة » .

« ويتولى الدكتور محجوب ثابت « ارى ونحن في وقت يراد فيه الصيد
في الماء للعكر بكل الوسائل ان من واجبا ان لا نمكن شيوعيا كائنا من كان
عن الحضور الى هذه البلاد » .

واخيرا يعلن رئيس المجلس قفل باب المناقشة ويقرا اقتراحين « احدهما
من حضرة عبد الرحمن عزام الهندي وحفى محمود بك ونصه « نقترح ان تعيد

للحكومة النظر في مسألة النشر سكتا تقالا وان تسمح له بالدخول في القطر
المصري اذا تعهد بالا يتكلم وبالا ينشر الدعوة الشيوعية في مصر ، . ويمضى
رئيس المجلس معطيا لنفسه وحده حق رفض هذا الاقتراح فيقول « يخيل الى
ان هذا الاقتراح غير مناسب في صيغته لطبيعة الاستجاب . . . واظن ان الاقرب
الى ذلك هو الاقتراح الثاني المقدم من حضرة محمد صبرى ابو علم افندى
وهذا نصه :

« المجلس بعد سماع بيانات حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء
يكتفى باثباتها وينتقل الى جدول الاعمال ، . »

وهكذا اسدل الستار على موضوع سكتا تقالا . . .

لكنه يبقى امامنا ان نعرف ان البرلمان الذي ناقش هذا الموضوع كانت
الغلبية لحزب الوفد . . . وان رئيس الجلسة كان سعد زغلول ثم مصطفى
النجاشي . . .

ولعل هذا يلقي ضوءا على علاقة الوفد باليسار في هذه الايام ، فقد
اخطت قيادة الوفد في ذلك الحين لنفسها خطأ يمينيا يبتعد بها عن اى تلامس
مع اليسار حتى ولو كان الهدف منه . . . نضال مشترك ضد الاستعمار .

وهكذا ولد تحالف اليسار مع القوى الوطنية الاخرى ضعيفا غاية الضعف
بعد ان فقد مباركة قيادة الوفد وتأييدها . . .

عبد الرحمن فضل .. يعدل قانون الجنسية

لعلها قصة أشبه ما تكون باللحمة الدرامية منها بالحديث السياسي ..
قصة ذلك النجار الذي خاض معارك الحزب الاشتراكي المصري منذ
بدايتها الاولى .. ثم سافر الى فلسطين فتركيا في طريقه الى حلم يريد ان
يحققه .. ان يدرس النظرية الماركسية في الاتحاد السوفييتي .

ومن تركيا يتسلسل الى مركب تحمله الى الاتحاد السوفييتي ، وينضم
عبد الرحمن فضل بتوصية من الحزب الى « جامعة ستالين لكادحي الشرق »
وتتعدد اقامته في الاتحاد السوفييتي قرابة العشر سنوات .. يدرس ويعمل
ويبتزج فتاة روسية .. لکه يقرر ان يعود الى وطنه مصر .

كان بإمكانه ان يبقى هناك ، لكن الرجل المعجوز ترتعش يده وهو
: « ول جاهد ان يهزها في حماس قائلًا : « كان لازم ارجع . مش المهم اني
!درس ولتلم ، المهم اني ارجع بلدى عشان اناضل فيها من اجل الاشتراكية » .
وقرر عبد الرحمن فضل ان يعود ..

وكان يعلم ان ثمة مشكلة خطيرة تفتنظره فقد اسقط الرجعيون عنه
جنسيته .

فصدقى باشا بعد ان اعلى دستور ١٩٢٢ ، استصدر في يونيو ١٩٢١
مرسومين بقانونيين استهدف بهما توجيه ضربة عنيفة لكل القوى التقدمية
والديمقراطية في مصر ..

المرسوم الاول عدل به قانون المطبوعات ومواد قانون العقوبات المتصلة
بالتصحافة .

والمرسوم الثاني عدل به قانون الجنسية .

ووفقا لهذا المرسوم الذي صدر في يونيو ١٩٢١ صار تعديل المادة ١٣
من قانون الجنسية بحيث يصبح نصها كما يلي :

« مادة ١٣ : يجوز اسقاط الجنسية المصرية بمرسوم عن يقبل
دخول الخدمة العسكرية لدى احدى الدول الاجنبية بدون ترخيص من الحكومة
المصرية وكذلك عن يقبل خارجا عن التطر المصري وظيفة لدى حكومة اجنبية
ويبقى فيها بالرغم من الامر الذي صدر له من الحكومة المصرية بتركها .

وكذلك يجوز إسقاط الجنسية المصرية بهرسوم عن كل شخص يقم
خارجا عن القطر المصرى ويكون منضمما الى هيئة غرضها نشر دعاية ثورية ضد
النظام الاجتماعى أو الاقتصادى للدولة أو ضد النظم الأساسية للمجتمع
أو ترمى الى الوصول الى ذلك الغرض بآية وسيلة أخرى أو يكون منضمما الى
مركز أو فرع أو معهد دراسى أو غير دراسى أو الى مكتب أو جماعة تابعة لمثل
تلك الهيئة أو متصلة بها ايا كان وجه التبعية أو الاتصال وسواء كانت تلك
الهيئة أو احد ملحقاتها موجودة فى القطر المصرى أم فى الخارج ، وكذلك يجوز
إسقاط الجنسية عن كل شخص ينتمى فى مثل هذه الشروط المتقدمة تعاليم مثل
تلك الهيئات والمتاليفها سواء كان ذلك بحضور أو من آية طريقة
أخرى (١)

وكذا تسقط الجنسية مسبوقة وببشر وبتحکم ما أسماه صدقى قانونا عن
كل مواطن يتصل أى نوع من الاتصال بهيئة تتصل بأى نوع من أنواع
الاتصال بالاتحاد السوفيتى أو يتلقى دروسا فى معهد دراسى أو غير دراسى
عن النظرية الماركسية وسواء كانت تلك الهيئة أو احد ملحقاتها موجودة
فى القطر المصرى أم فى الخارج .

وكان واضحا تماما ان الهدف من استصدار هذا المرسوم هو اعتبار
ان مجرد اتهام المصريين انهما اداريا بالشيوعية يقتضى باسقاط الجنسية
عنهم . كذلك فهم ان استصدار المرسوم بقانون الخاص بهذا التعديل فى
قانون الجنسية قبل ان ينفق البرلمان بيومين اثنين معناه قيام هذا الحكم
الجديد من يوم اصداره وعدم اعطاء الفرصة لمناقشته فى البرلمان
أو تعديله (٢)

وكانت الرجعية المصرية تنتظر هذه الفرصة طويلا . فلطالما صرح الاعزام
مطالبا باعادة هؤلاء الشبان الذين يدرسون فى موسكو . أو يمنعهم من الدخول
حتى لا يعود كل منهم وهو لينين صغير (٣)

وهكذا ما ان عقد البرلمان حتى تقدم النائب عبد الله اللوم ليشن
الحكومة متى تعتمت الحكومة تطبيق احكام قانون الجنسية الجديد تسقط
الجنسية المصرية عن اولئك المصريين المتيمين بالخارج والمتصلين بجماعات
تدين بالبادى الشيوعية .

١ - مرسوم بقانون بتعديل قانون الجنسية .
٢ - محمود عزمى - خبايا سياسية - كتب للجمعية - مطابع جريدة
المصرى - فبراير ١٩٥٠ ص ٧٨ .
٣ - الاعزام ج ٦ - ٣ - ١٩٢٤ .

ولم تتوان الحكومة عن تنفيذ هذا المطلب وبالفعل اصدرت في اغسطس مرسوما بجرمان ثمانية من المصريين المتدين بالخارج من جنسيتهم بحجة اتصالهم بانظمة شيوعية . . . (١)

وكان عبد الرحمن فضل واحدا من هؤلاء الثمانية .
لكنه كان يعرف انه اكثر مصرية من هؤلاء الياسموات الرجعيين ، وانه ما من قوة في الارض تستطيع ان تنتزع منه مصريته .
وقرر ان يعود .

وفي موسكو ودعه احد اساتذته وهو يشد على يديه قائلا « عبد الرحمن لننتقم لكثيرا ، لكن لا تحاول ان تتكلم على ابناء وطنك . نحن لا نريد فلاسفة وانما نريد اناسا يوقظون الشعب . »

ومن موسكو الى باريس ثم الى بيرييه حيث استقل السفينة « ايونيا » في طريقه الى الوطن وفي ميناء الاسكندرية قبض عليه البوليس ومنع من مغادرة التركب ونبه على القبطان بأنه مسؤول عن بقاءه على ظهرها حتى تغادر المياه الاتليمية . . . وعادت به السفينة الى ميناء بيرية حيث رفض هو النزول ، ثم عادت به السفينة الى الاسكندرية ورفضوا مرة اخرى السماح له بمغادرتها . . .

ورفض عبد الرحمن فضل التراجع عن موقفه ، مصمما على حقه في العودة الى وطنه ، رافضا اي تنازل عن هذا الحق . . .
وعكذا وضع الحكومة المصرية في مأزق . . .

اما الشركة صاحبة السفينة فقد وجدت نفسها في مأزق هي ايضا وحاولت التخلص منه دون جدوى حتى انها فكرت في بيع السفينة تخلصا من هذا الضيف الدائم . . .

« وتكرر ذهابي وايابي من ميناء بيرييه اليوناني الى الاسكندرية والعكس عدة مرات وفي كل مرة اصل فيها الى ميناء الاسكندرية . كنت اجد عشرات من مندوبي الصحف المحلية والعالمية في انتظارى » (٢) . . .

وعكذا ومن خلال الاصرار العنيد نجح عبد الرحمن فضل من جديد في تمجيد هـشكلة الشيوعيين الذين استقطت عنهم جنسيتهم . . . وبدأت بالصحف تنشر القضية من زوايا مختلفة وطنية وانسانية وقانونية . . .

١ - محمود عزمي - المرجع السابق - ص ٨٠ - راجع النص الكامل للمرسوم باللاحق .

٢ - صبرى ابو المجد - المصور - ١١٠-٣٦٦٦٦-١٩٦٦ - مقال . هذا النجار المصري المجوز تدرس قضيته في كلية الحقوق . . .

وقد بدأ مراسل الاهرام بالاسكندرية الحملة . . .

ووصل امس بعد الظهر على السفينة ايونيا الشاب المصرى محمد فضل الذى نزعته عنه جنسيته المصرية ومنع من الدخول الى هذا القطر اربع مرات قبل هذا المرة . وكان قد وصل الى هذا القطر في المرة الاخيرة من نحو ثلاثة اسابيع . ثم أعيد الى السفينة التى جاء عليها . وعند وصول هذه السفينة امس الى الميناء ذهب رباتها الى قنصلية اليونان في الاسكندرية وقابل انطونوبلو القائم باعمال القنصلية وقدم له مذكرة يشكو فيها مما اصابه من وجود هذا الرجل على ظهر سفينته لان الحكومة اليونانية لم تسمح له بالنزول في بلادها عندما أعيد إليها وكذلك الحكومة المصرية . لا تعترف به من رعاياها ولا تسمح له بالنزول في هذا القطر . وان البوليس قد اتخذ الاحتياطات اللازمة حين وصول السفينة لعدم تمكن محمد فضل المذكور من النزول والتسرب الى داخل البلاد .

وقال الربان انه بات حائرا لا يدري كيف العمل للتخلص من هذه الورطة . . . وقد وعد القنصل بعرض المسألة على ولاة الامور في مصر للنظر فيما يمكن عمله . . . وقد علمنا ان البوليس قرر اعادة محمد فضل غدا على الباخرة ايونيا (١)

ويذهب عبد الرحمن فضل ليعود مع السفينة مرة اخرى وتكتب الاهرام مرة اخرى . عادت الباخرة اليونانية ايونيا الى الاسكندرية اليوم من بيريه فعاد عليها محمد فضل المجرى من الجنسية المصرية بسبب ما اتهم به من انتحار المبادئ الشيوعية . وعودته هذه هي السادسة فهو يذهب فلا يباح له النزول هناك ويأتى فلا يؤذن له بالنزول هنا . واذا نزل فانه يعقل ويعاد الى السفينة ويسترجع هذه الباخرة في الساعة السادسة مساء فيرجع محمد فضل عليها . والمفهوم ان ادارة الامن العام لا تعده مصريا بسبب تجرده من الجنسية وهي لذلك لا تبالي بامرءه . وكان ينبغي اتخاذ بعض التدابير لحل مشكلته من الوجهة الانسانية لانه ليس من الطبيعى ان يظل ذاهبا آتيا بين مصر والبرقان (٢)

وفي المرة السابعة تكون المسألة قد نضجت ويكون الراى العام قد تهيأ فيوجه عبد الرحمن فضل نداء الى الراى العام تنشره الاهرام تحت عنوان « من المصرى القائه الى حضرة المحترم وكيل الاهرام السكندري » وتعلق الاهرام على هذا النداء قائلة : « لقد طلبنا الى قوى الشان الاهتمام بحل

١ - الاهرام - ٢١-٨-١٩٣٦ . . .

٢ - الاهرام ٢٧-٨-١٩٣٦ . . .

مشكلة هذا الشاب من الجهة الانسانية بحيث يتسنى له ان يصل الى بر
ولا يظل مسافرا على الباخرة ذاهبا آتيا لا يقبله بلد (١) .

والآن لم يعد عبد الرحمن فضل وحده . . فهناك مشكلة شعبان حافظ
الذى كان قد عاد الى البلاد خلسة ومارس نشاطا حزبيا انتهى به الى السجن
ويوشك ان يفرج عنه لكنه ايضا مجرد من جنسيته . . وهناك ايضا مشكلة
حسنى العرابى وكان فى برلين . . وهو منذ زمن طويل يطرق كل باب يؤذن
له للعودة الى وطنه (٢) .

وتحاول ادارة الامن العام ان تجد مخرجا من هذه الازمة فتقدم مذكرة
الى وزارة الداخلية تقترح فيها النظر بعين الرفق فى حالة هؤلاء الاشخاص
. اذا قامت الادلة على كنههم عن الشيوعية (٣) .

ويبدو انه كان مطلوبا من عبد الرحمن فضل نوعا من الاقرار بتخليه عن
الشيوعية لكنه رفض وواصل رحلته جيئة وذهابا على ظهر الباخرة يونيا . .

وتبدأ الاهرام حملة جديدة تطالب فيها اعضاء مجلس النواب بالتدخل
فتقول : د عسى ان يهتم بعض نوابنا الكرام بهذا الحادث الغريب ويطلب من
الحكومة اخراج هذا الشاب من هذه الورطة الشنيعة والنظر فى مسأله بعين
الرفق والعدل فى حدود القانون (٤) .

ونتعتقد المشكلة اكثر عندما يقرر القبطان ان د يمتنع عن تقديم الطعام
لهذا الشاب على حساب الباخرة منذ امس وقد حاول احد اقاربه اليوم ان
يقدم له بعض الطعام قبل سفر السفينة فرفض . . فسترتة الحادية عشر
هذه اتى اليونان ستكون سفرة سيئة ولا ندري ماذا يليها .

وذبح لا نظن ان ريان السفينة تصد بما فعل اقتصاد قيمة غذاء
عبد الرحمن فضل . . وانما قصد لفت نظر السلطات المصرية الى حالة هذا
الشاب المصرى الذى يقامى العذاب فى سبيل العودة الى وطنه ولا يوجد من
يهتم بأمره (٥) .

ويبدو ان الحكومة المصرية قد ضغطت على الشركة صاحبة السفينة فعاد
القبطان من جديد الى تقديم الطعام له .

١ - الاهرام ٢٠-٨-١٩٣٦ .

٢ - الاهرام ٢٣-١٠-١٩٣٦ .

٣ - الاهرام - المرجع السابق .

٤ - الاهرام ١٢ - ٩ - ١٩٣٦ .

٥ - الاهرام ٢١ - ٩ - ١٩٣٦ .

ولم يكن عبد الرحمن فضل يكتفى بهذا الموقف السلبي ذاهبا آتيا بل كان هو وزملاؤه في داخل البلاد يثيرون حملة واسعة للمطالبة بتعديل قانون الجنسية والناء الفقرة التي تسمح بإسقاط الجنسية المصرية عن الشيوعيين المقيمين بالخارج

فهو يقول في نقاش معه « أنا كنت استفيد من ذلك كله في إثارة القضية ككل وفي أحداث أكبر ضجة ممكنة .. حتى أصيحت معظم الصحف تتحدث عن القضية .. واستطعت أن أثير عطف الناس على القضية وكانت المركب تسير في خط منتظم الإسكندرية - دبريه وكان يسانر عليهما كثير من المصريين وكنت اتصل بهم جهيبا وأثير معهم قضيتي وأذكر أنني اتصلت في إحدى المرات بالدكتور قناوى رئيس المجلس البلدى بالإسكندرية وكان مسانرا تلى المركب هو وزوجته .. وقد بكت زوجته عندما سمعت قضيتي ووعدنى والدكتور قناوى بمساعدتى ، وعندما أعاد اتصالى بأحد أصدقائه هو عبد الوهاب الوكيل مرسل المقطم بالإسكندرية وطلب إليه إثارة قضيتي » (١) وبدأ المقطم يشارك في الحملة وأطلق على عبد الرحمن فضل اسم « ذارع البحار » (٢)

سويدات الحكومة تتشعر بالخروج ، وتحس أنها محاصرة ولا بد من أن تتخذ موقفا يحل هذه المشكلة ، لكنها حاولت أن تسوف الى أطول مدة ممكن عسى أن يتراجع « ذارع البحار » عن موقفه ..

ونشر الأهرام ، ما زال عبد الرحمن أفندى فضل يذرع البحر ذاهبا وآتيا ، فعادا كان الجمهور يتناساه بين الأسبوع والأسبوع ، فان البوليس لا يتناسى اللوقوف له بالمرياد .. وكنا قد ذكرنا قبل الان أن بعض فوى الشان باتوا يميلون الى اصلاح خالة أولئك الأشخاص الذين جردوا من جنسيتهم من أجل ما كان ينسب اليهم من إتباع الحركة الشيوعية .. وان مسائله مذكورة وضعت لهذا الغرض ، والفهوم أن هذه المذكرة ما زالت في وزارة الداخلية تحول دون البحث فيها كثرة الاعمال .. وربما كان من سوء حظ هؤلاء الأشخاص ولا سيما عبد الرحمن فضل أن تفهمك الحكومة وبنهمك البرلمان وجميع الدوائر العاملة في البلد في مسألة المعاهدة في هذه الأيام .. فان هذا يزعج كثيرا من المسائل الأخرى ومنايا مسائلهم الخاصة ولكن ما دامت النية منصرة الى انصافهم فلهتم أن ينظروا النتيجة باطمئنان » (٣)

- ١ - راجع النص الكامل لحضر النقاش مع عبد الرحمن فضل في كتابنا تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ٢٨٣ .
- ٢ - المقطم ٤ - ٩ - ١٩٣٦ .
- ٣ - الأهرام ١٦ - ١١ - ١٩٣٦ .

كذلك تنشر البلاغ خبراً يقول ويعرض حضرة صاحب العزة أحمد حمدي
محبوب بك بدار الامن العام على تولية وزير الداخلية هذا المساء او بعد
ظهر السبت القادم مسألة عيد الرحمن فضل للفصل فيها . ويقول مندوبنا
أن التهمة متجهة الى اباحة دخوله القطر بقيود ثقيلة (١)
وهكذا تؤكد المعركة أن تنضج ، أن الحكومة تستعد للتراجع لكنها
تأمل غل هذا الشاب العنيد يستحب من المعركة ويريد من تعديل قانون
للجنسية .

ويشعر عيد الرحمن فضل أنه قد أن الإوان لشن هجوم جدي فيعلن
اضرابه عن الطعام

وتقول الاهرام « عانت الباخرة أيونيا من اليونان وعاد عليها عيد
الرحمن فضل . . . لكن موقف الثاني في هذه المرة يختلف عنه في المرات السابقة
فانه ضرب عن الطعام فعلا منذ ستة أيام ولا يزال مضرباً وستعيد
السفينة اليرم بعد انظر الى يريه وهو بهذه الحالة . وقد علمنا انها
سنتعود الى الاسكندرية يوم السبت القادم جريا على عادتها ثم تبصر التي
أيونان وقد تنقطع عن السفر بعد ذلك مدة لان الشركة ستدخلها الى
الحوض الجاف هناك لاصلاحها فيه وترميمها . فماذا يحل بفضل في
هذه المرة اذا لم يسعف ويؤذن له بالنزول الى الير . . .

ولقد أصبح موقفه دقيقا ومحفوفا بالخطر . . . وسألنا عما جرى بمشروع
اعادة النظر في مسألة الشبان المصريين المجردين من جنسيتهم بسبب تهمة
الشيوعية . . . فقبل أن مذكرة قدمت الى صاحب الدولة رئيس الوزراء ووزير
الداخلية بهذا الشأن ولكن الفصل في هذه الحالة نهائيا يتطلب بعض
الوقت (٢)

و. . . وطوال هذه الشهور الخمس لم يكن عيد الرحمن فضل يغير اتصالات
برفاقه داخل مصر وخارجها . . . وكان يستطيع أن يهرب من المركب الى مصر
أمكن الوقت لم يكن قد حان بعد ، وكان لا بد لصموده على المركب أن
يسمى الى أطول مدة ممكنة حتى يهيء الرأي العام في مصر ضد قانون
للجنسية الظالم وحتى يجبر الحكومة على التراجع . . .
لكن المركب سوف يدخل الى الحوض الجاف . . . كذلك فإن المعركة قد
نضجت تماما ، كانت المسألة قد « استوت » وكانت أخباري في الصحف

١ - البلاغ ٢٢ - ١١ - ١٩٢٦

٢ - الاهرام ٢٢ - ١١ - ١٩٢٦

وتحت مظلّم مكاننا ثابتاً في كل يوم . وكانت قضيتي قد انتقلت الى البرلمان
عن طريق الاستاذين فكرى اباظه وعبد الحميد عبد الحق (١)

وهكذا قرر عبد الرحمن فضل ان يبدأ الجولة الأخيرة من مرركته . . ان
يهرب من المركب الى أرض مصر . . .

وكانت الترتيبات قد أعدت باحكام ، فقد تدخل الحزب الشيوعي
اليوناني ، ونجح في استبدال قبطان السفينة بأحد الرثاق اليونانيين . .

كذلك نجح رفاق عبد الرحمن فضل من أعضاء الحزب القدامى في اعداد
وسائل الهرب له . . وأعد كل شيء ، وحين يوم التنفيذ . . .

عندما تتحرك المركب فاركة ميناء الاسكندرية سيقف القبطان بنفسه
لرأب الحباله ثم يشعل سيجارة فيلقى عبد الرحمن فضل بنفسه الى الماء
حينئذ تتشله مركب مصرية ستكون في انتظاره . .

لست وأحسن أحد جنود البوليس المصريين الذين كانوا يلزمونه على المركب
طوال بقائها بالاسكندرية بشيء غير عادى . . فسأله : هل تنوى أن تفعلها
إليية . . وأجاب عبد الرحمن : نعم . فقال الجندى : حينئذ لا تذهب من
الجهينة الشرقية فهناك كمين معد لبعض مهربي المخدرات (٢)

. . وهكذا كانت حملة ايقاظ الراى العام قد نجحت الى حد كسب
جنود البوليس الى صفه . . .

وأخيراً . . . وبعد حوالي خمسة أشهر غادر عبد الرحمن فضل المركب
الى أرض الوطن ولم تعد عنك قوة فى الأرض تستطيع اقتلاعه منها . .

وتنشر الاحرام : بلغنا اليوم أن عبد الرحمن أفندى فضل : . . قد غادر
السفينة يوم السبت الماضى عند مغادرتها ميناء الاسكندرية . . فهو لم
يتخذ قتيلاً ولا يعرف أين هو . . وقد سألنا اذارة الضبط والربط فى المحافظة
عن نصيب هذا الخبر من الصحة فاكّد لنا جناب مأمور الضبط ان
عبد الرحمن فضل ابخر على أيونيا ولم يغادرها (٣)

لكن عبد الرحمن فضل كان فى الاسكندرية . . فى أحضان رفاقه القدامى .
بل لقد اتصل تليفونياً بمراسل الاحرام . . وينشر الاحرام مؤكداً الخبر
ومسألة عبد الرحمن فضل - ثبوت نزوله الى البر - مسألة دستورية هامة ،
يقصدها المستمعون والذين يهتمون بالمشاكل السياسية . . .

- ١ - الصور - المرجع السابق .
- ٢ - الصور - المرجع السابق .
- ٣ - الاحرام - ٢٣ - ١٢ - ١٩٣٦ .

ويقول الأهرام « إن البوليس ابرق الى بيديه يسأل عن فضل وهل هو باق على ظهر الباخرة أم خرج منها فكان الجواب أنه افتقد عند الساعة العاشرة من مساء يوم السبت ولم يوجد بين ركابها . . . »

ويمضى الإهرام مدافعا عن فضل « ليس جرما ما فعله فضل وزملاؤه في الأصل وليس عدلا تجريدهم من جنسيتهم بسببه ، فكيف يكون من العدل الآن حرمانهم من العودة الى أهلهم وبلادهم . . . » أن القضاء قادر على الفصل في كل حوادث من حوادث الإخلال بالقانون والامن العام فيجب أن تكون له السلطة العليا في حل مشكلة هؤلاء الشبان لا ادارة الامن العام التي كثيرا ما تنظر الى الامور بنظارة سوداء . ثم انه بات صعبا على هذه الادارة أن تفتي فضلا وشعبان من مصر من الوجهة العملية لعدم وجود بلاد تقبل ذهابهم اليها مطرودين من وطنهم ولا جنسية لهم . . . وكيف يتيسر تجرييد فضل وزملاؤه من الجنسية المصرية وهم مصريون بحق الولادة . . . لا شك في أن المسألة مسألة دستورية هامة يرجى حلها حلا دستوريا عادلا (١) .

وحاول البوليس أن ينفي وجود عبد الرحمن فضل في الاسكندرية وقال انه هرب بعيدا الى قلب الصحراء . . . لكن بعض أعضاء مجلس النواب أعلنوا انهم قابلوا عبد الرحمن فضل في الاسكندرية وتناولوا معه طعام الغداء (٢) كذلك تنشر البلاغ انه قد اتصل بها (٣) .

ووجه عبد الرحمن نضل - وهو مختف عن الانظار - خطابا مفتوحا الى مصطفى النحاس رئيس الوزراء جاء فيه « اننا الان في ظرف جديد نتمنى أن نصل مصر فيه الى ما تصبو اليه وتأخذ مكانتها بين الامم . ان القانون الحائل بيني وبين منحي الحرية التردية التي كفلها الدستور هو قانون جائر . . . وها قد انتقلت الامة الى حياة جديدة وألغت جميع القوانين التي صدرت رغم ارادتها كما صرحتم بذلك . . . فهل مثل هذا القانون يتفق مع الدستور وهل من السهل على المرء أن يكون محروما من جنسيته ووطنه وأهله وجميع حقوقه الطبيعية ؟ اننى على ثقة من أن حكومتنا المصرية ستدفعى بالغاء هذا القانون ، كما اننى واثق جدا من انها لن تضطرني لنى الاعتقاد بان مصرى سيكون كمصير الفيلسوف اليونانى حينما راح يفتش بفانوسه في رائحة النجا قائلا أنه يبحث عن العدالة وانصارها .

١ - الأهرام ٢٥ - ١٢ - ١٩٣٦ .

٢ - المصور - المرجع السابق .

٣ - البلاغ ٢٨ - ١٢ - ١٩٣٦ .

التي قبل ما اعتمد عليه في حل مشكلتي. هو عطف الامة وبراحة الدستور
وإدانة القضاء وشهامة الصحافة الحرة في تأدية مهمتها . . . وينشر: الأهرام
هذا الخطاب المفتوح وان كان يعيب على عبد الرحمن فضل بعض ما فيه
من حجة قائلا ان العرائض التي تقدمها الى دولة رئيس الوزراء يجب ان
تكون خالية من الملاحظات الفلسفية (١)

وخرجت ضيعة الرأي العام. أعلن البوليس ان حل المشكلة يتطلب الغاء
الرسوم الصادرة في ١٩٣١ بشأن تجريد بعض المصريين من الجنسية المصرية .
وانه حتى يلغى هذا القانون فإن البوليس سيكتفى . . . بمعرفته مقره الى ان
يحل مسأله جلا رفاقه نيا (٢)

وفي نفس الوقت كان الدكتور سيد صبرى استاذ القانون الدستوري
والاستاذ زكى عريبي المحامي قد رفعوا دعوى باسمى أمام القضاء ضد
وزار الداخلية . . .

وقد التى الدكتور سيد صبرى أكثر من ثمانى محاضرات عن مسألتى
من الناحية الدستورية . . . ونشر بعض هذه المحاضرات في كتب القانون
بأخذها موضوعا من الموضوعات التي يدرسها لطلاب الحقوق . . . (٣)

وأخيرا . . . وبعد ان تاكد عبد الرحمن فضيل ان أعداءه أعجز من ان
يعدوه مرة أخرى عن مصر . . . وان قوى واسعة قيد التفت حوله لتيساره
وتحميه أعلن انه سيسلم نفسه ولكن ليس للبوليس . . . وانما لرئيس مجلس
النواب . . . باعتبار ان مسأله مثالة دستورية ولا علاقة لها بالقانون
الجنائى . . .

وكان عبد الرحمن فضيل قيد الاتصال بالاستاذ فريد جرجس عضو مجلس
النواب عن دائرة العطارين حيث كان يقيم وبجث معه هذا الأمر . . .

ووزع عبد الرحمن فضل من كمنه على الصحف كتابا مفتوحا الى
رئيس مجلس النواب جاء فيه . . . انى التجيء اليوم الى مجلس النواب
بمسئله اكبر هيئة تشريعية في مصر وإعضاؤه هم ممثلوا الامة وانى اعتقد
بأهمية النواب الكرام الذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن مصالح الامة والحرية
الجزدية وهم القادرون على حل مشكلتي . . . وانى أعلن اليوم على صفحات
الجرائد العربية والافرنجية انى فى حماية البرلمان ونوابه . . . وكل ما اعتقد

- ١ - الأهرام ٤ - ١ - ١٩٣٧ .
- ٢ - الأهرام ٢٠ - ١ - ١٩٣٧ .
- ٣ - المصور - المرجع السابق .

فيه وأتمد عليه في حل مشكلتي مؤسسة البرلمان وشهامة نوابه وحرارة دستور البلاد الذي لا يتفق مع وجود بعض بنصوص قانون الجنسية الشاذة الذي يعرجه تسلب حقوق الإنسان الطبيعية (١) .

كذلك وجه عبد الرحمن فضل ندائه التي الزاى الحكام فقال فيه لا يمكننى أن أمدح لكم خدماتكم في الدفاع عن الحق وخدمة الإنسانية في مشكلتي الشاذة . ان السلطة التنفيذية عاجزة عن حل هذه المعضلة لانها معضلة قانونية ودستورية فلذلك التجئ الى البرلمان في هذا الظرف العصيب بصفتي اكبر هيئة تشريعية في البلاد اى الهيئة القادرة على أن تسم القوانين التي تتفق مع روح العصر .

٠٠ كما انى على ثقة من أن البرلمان الذي يمثل الأمة المصرية ونوابه الذين أخذوا على عاتقهم حماية الدستور وحرية الأفراد قادرين على حماية كل فرد من أفراد الأمة ينتجى الى البرلمان والى شهامة نوابه . ولقد عزمت بعد كتابة هذه المخطوط أن أقدم نفسى لمجلس النواب معتمدا على عدالته ولعدالة أن تفعل بى ما تشاء (٢) .

ورضخ الرجعيون . . . واستقبلوه امام اصرار عبد الرحمن فضل وأمام غضبة الرأي العام وبمحاولة بالاقامة في مصر . لكن هذا لم يكن الانتصار الوحيد له ولرفاقه ، فان المشككلة التي فجرها والتي استطاعوا أن يحشدوا حولها أوساط واسعة من رجال القانون والنواب والصحفيين وجبهة الرأي العام كان لا بد لها من تحقيق نتيجة ايجابية . وكان لا بد لقانون الجنسية أن يسقط وينقطع فعلا . . . فلم يمض سوى أقل من شهر حتى نشرت جريدة المصرى «تظمتنا نحن ولاة الأمور» بوزارة الداخلية أنهموا بتعديل قانون الجنسية لا سيما المادة ١٣ منه الخاصة باسقاط الجنسية وسيرفع القانون بعد تعديله الى صاحب المتام الرفيع وزير الداخلية للاطلاع عليه قبل إحالته الى اللجنة التشريعية لمراجعته من جهة الصيغة القانونية ليتمكن عرضه على البرلمان في دورته الحالية (٣) .

وبعد يومين ينشر المصرى المبادئ الاساسية لتعديل المادة ١٣ فيقول « أريد بالتعديل الجديد في هذه المادة العمل على توسيع نطاق المادة

- ١ - الأهرام ٢٥ - ١ - ١٩٢٧ .
- ٢ - النبلاغ - ٢٥ - ١ - ١٩٢٧ .
- ٣ - مصرى ٢٣ - ١٢ - ١٩٢٧ .

١٥٠ من قانون العقوبات حتى تشمل معاقبة الأشخاص الذين يشتغلون في الخارج بالشيوعية والدعوة إلى نظم تغاير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية عند عودتهم إلى مصر .

ونص على أن اشتغال المصريين بهذه الاعمال في الخارج يعرضهم للعقوبة المقررة ولو لم تكن قوانين البلاد التي قاموا فيها بهذه الاعمال تعاقب عليها . . .

ونمضى جريدة المصرى قائله « . . . والنتيجة البارزة لهذا التعديل هي جعل جريمة الاشتغال بالشيوعية في مستوى الجرائم الاخرى من حيث تعرض مرتكبها للعقوبة المقررة من غير حرمان من جنسيتهم وبذلك لا تتكرر حادثة تشابه حادثة عبد الرحمن فضل مرة أخرى » (١) .

ولا شك أنه من حق عبد الرحمن فضل ورفاقه أن يعتبروا أنفسهم أصحاب هذا الانتصار . . .

لكنه ليس من حقنا أن ننتقل إلى حديث آخر دون أن نشير إلى دلالة كل ما سردناه من أحداث . . .

ذلك أن تنظيم هذه الحملة الفكرية على صفحات كل الجرائد المصرية . . . وكن هذه الاتصالات برجال القانون وبالمحامين ، والصحفيين وأعضاء البرلمان الخ . . .

كما أن ترتيب عملية الهرب والتسلل إلى داخل البلاد . . . ثم تهيئة مخبأ أمين لعبد الرحمن فضل يظل فيه لفترة طويلة بعيدا عن متناول يد البوابيس وإن كان قد ظل طوال هذه الفترة على علاقة وثيقة بالجمامير وبالرأي العام يوجه إليه نداءاته . . . ويقابل عبيدا من الشخصيات . . .

كل ذلك يوحى بوجود قوى منظمة بل ودقيقة التنظيم وذات قسوة عالية على الحركة خلف هذا الانتصار العظيم . . .

انها قوى هؤلاء الرجال الذين وصلوا في دأب واصرار غريبيين نفس المسيرة للشجاعة . . . منذ العشرينيات حتى مطلع الاربعينيات . . .

منذ اليوم الأول لقيامه لايجاد نوع من التحالف بينه وبين حزب الوفد
على أساس وحدة النضال المشترك ضد الاستعمار

تهدأت قيادة الوفد .. فتحالفوا المتضعضون

عندما تأسس الحزب الاشتراكي المصري في أغسطس ١٩٢١ نشطت
منذ اليوم الأول لقيامه لايجاد نوع من التحالف بينه وبين حزب الوفد
على أساس وحدة النضال المشترك ضد الاستعمار

بل وربما بالغ الحزب في تقديره للدور الوطني لقيادة الوفد ففي
١٤ ديسمبر ١٩٢١ أصدر الحزب « بياناً الى الأمة » أعلن فيه اغتباطه بانقطاع
النفوذات و وحدد الحزب في هذا البيان برنامجاً من ثلاث نقاط لتوحيد
النضال الوطني ضد الاستعمار

١ - تضامن الصحافة على ترك مسائل الشغاق ، والاقتصار على ما فيه
خير البلاد

٢ - توحيد السياسة الوطنية بأن لا يقبل مصري تأليف وزارة تعمل
بأي شكل تحت هيمنة مشروع كيرزن

٣ - الاتفاق على تعيين خطة الجهاد الوطني المشروع تحت لواء
وكيل الأمة وزعيمها المخلص الأمين سعد باشا زغلول (١)

ولقد كان هذا الموقف المتسامح محل انتقاد من جانب الحركة
الشيوعية العالمية التي حددت موقفها من خلال مقال هام نشره م. ن.
روى في الفترة الرسمية للكونغرس بعنوان « الانقلاب السياسي في مصر »
جاء فيه :

« .. وهنا جاء دور سعد زغلول ليظهر على مسرح السياسة فأراد
أن يستخدم الوضع الثوري الحاد في البلاد ليفرض على إنجلترا يطالب
النفذات التقدمية من ملاك الارض والزراع والبرجوازية الكبيرة ، ووهن
النفذات التي كان يمثلها والتي كانت مطالبها تفوق مطالب الاقطاعيين »

١ - الأهرام - ١٤ ديسمبر ١٩٢١

م. ن. روى - أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الهندي ، وأحد العناصر
التي لعبت دوراً هاماً في الكونغرس ولقد كانت مناقشات روى مع لينين حول
دور الحركة الوطنية في المستعمرات ذات أهمية خاصة في الأدبيات الماركسية

الرجعيين اتحالفين مع الملكية الفاسدة . لقد تكون الوفد المصري بتأيد
 المساومة مع الاستعمار البريطاني على استقلال مصر ، ولكي يضمن مساندة
 الشعب الثائر كان على الوفد أن يتبنى المطالب التي تمثل ثورة الشعب .
 لكن الاتفاق الذي تم بين الوفد المصري بقيادة سعد زغلول وبين اللورد
 ملنر - وهو لا يختلف الا قليلا عن التبعية التي قبلها ائتلاف (عدلي - ثروت)
 بحيث ان الوفد المصري لم يكن جادا في طرح تلك الشعارات . فقد طرح هذه
 الشعارات فقط ضمانا للتأييد الشعبي .
 ولكن الحكومة البريطانية اذاعتها هبة الجماهير الثورية لخرجه انهيها .
 لم تحرك ان الصلة التي تربط بين قيادة الوفد والحركة الشعبية صلة مفتعلة .
 ولهذا اتخذت بعض الخطوات التي قوت تلك الصلة . فرفضت السماح للوفد
 بالسفر الى الخارج . وهكذا صانع الغباء الاستعمار من سعد زغلول بظلاء
 شعبتيه . بينما هو لم يكن يهدف الا الى الوصول . ومن خلال المفاوضات
 الى تسوية جزئية .

ويمضي روى محددا مؤقفا قاطعا من قيادة الوفد فيقول : وتبين الاحداث
 السياسية الاخيرة ، سقوط التجمع الانتهازي ، وتؤكد ان التاريخ قد جرد
 برجوازيي المستعمرات من أي دور ثوري حق . والحقيقة ان عدم استعداد سعد
 زغلول لقيادة الكفاح الثوري عند عودته من لندن في سبتمبر عام ١٩٢٠ يدل
 على ان حزب سعد زغلول قد استنفذ دوره الثوري . ولم يمض وقت طويل
 حتى كانت القوى الاجتماعية الثورية ترفض قيادته . فقد رفض عميان
 السكك الحديدية القيام باضراب عام دعا اليه سعد زغلول في ديسمبر ١٩٢٠ .
 وكان هذا الرفض اول دليل على التباعد بين القوى البرجوازية وبين قوى
 الثورة الجماهيرية وهكذا وفي النهاية سقطت القوى البرجوازية في احضان
 الاستعمار بعد ان حققت لنفسها طوال شهور حائلة نجاحا مشرا . وقد كان
 الكفاح الثوري التلقائي خلالها هو الذي يمنعها من ان تسقط هذا السقوط (١) .

وكان لابد المثل هذه الافكار ان تؤثر في صفوف الحزب . الذي كان في
 ذلك الحين يسعي للانضمام الى الكومنترون . وكان ايضا قد طرقت صفوة من
 كثيره من العياصر والمعتدلين واليمينية . فاما ان تولي سعد زغلول رئاسة
 الوزارة في ٢٨ يناير ١٩٢٤ وحتى وجه له الحزب خطابا مقبوحا . يتضمن
 ما يسمى في الادبيات السياسية بالتأييد المشروط ، فبعدلا من المطالبة
 بتعيين سعد باشا زغلول . كمل تضمين بيان الحزب الى الامعة في ديسمبر ١٩٢١ .

International Press Correspondence 21/1/1923 (١)

نجد أن الحزب يطالب بالإكزومة ، بالاعتراف بتدابير العمال والفلاحين
وبحقتها في الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية ، كذلك طالب الحكومة ، بحل مشاكل العمال العاطلين .
وبالاعتراف بحكومة السوفييت اسوة بالامم المتعدية . (١)

وعلى اية حال فان سعدا لم يعط فرصة لالتخالف المشروط ولا غير
المشروط فقد استخدم كل قبضته ونفوذه في توجيه ضربة الى الحزب . وكان
النجاح الاكبر للاحتلال وللرجعية المصرية هو استخدام سعد لاداء هذه المهمة
غير النظيفة .

ولم يقتصر الامر على قرار بالحل . . او دفع كوادر الحزب الى السجن ،
ولا على تمرد سعد لان يشارك قواعد حزبه في المعركة ضد الحزب وان يبذل جهده
طاقته في هذا الصدد . .

فان ذلك لم يكن كل الخطا الذي ارتكبه سعد زغلول ، ذلك انه نهج بالنفل
نهجا معتدلا بل ومتهادنا في اغلب الاحيان تجاه القضية الوطنية نفسها . .

وتماما كما تنبأ روى في مقاله عام ١٩٢٣ نشر سعد زغلول في طريق
الانفصال عن الجماهير الشعبية، والتهادن مع الاحتلال . .

وحتى عندما تجاوز زيور كل حد وتجاهل الدستور وحل البرلمان وارض
قانونا جديدا للانتخاب فقد اتخذ سعد موقف الاعتدال الشديد في مهاجمته
وتحالف مع عدلى والدستوريين في محاولة لتسوية الخلاف عن طريق « حسن
التفاهم » مع المندوب البريطانى . .

وتعلق جريدة الاخبار (الحزب الوطنى) على هذا الموقف قائلة : « ويجب
ان لا ننسى في هذه الحالة ان رجال الاحزاب وان اظهروا تمسكهم بشرعية
البرلمان المنحل الا انهم كانوا متمسكين ايضا باهداب النزوى والاعتدال
طوال الحادثات المظلمة (الحادثات بين المندوب السامى وعدلى) املا منهم
بان الخلاف يسوى بينهم وبين المندوب البريطانى باليتى هي احسن . حتى
اذا وجدوا ميلا جديدا منه للتسوية شرعوا في وضع اسسها متهاونين معه يتقدر
الاستطاعة » (٢) .

كذلك دعى فتح الله بركات بصخته رئيس النادى السعودى اعضاء مجلس
الشيوخ الى حفل شاي بالنادى يوم ٨ يناير ١٩٢٦ وصدر عن الاجتماع
(٧٢ شيخا وايدهم ٣ بالتلفراف) بيان ضعيف يلوم الحكومة على تصرفاتها

-
- ١ - الاحرام ١٩-٢-١٩٢٤ . حيثيات الحكم الصادر عن محكمة
جنائيات الاسكندرية في قضية السيوعية
 - ٢ - الاخبار - ٧ يناير ١٩٢٦

• • • وبدلاً من وكائهم يخاطبون المندوب السامى وهم يخفتمون نياتهم قائلين
• • • وتغادياً من اشتداد الازمة وتفاقم الخطر رأينا أن نبادر بتقديم هذا
النصح الخاص « (١) »

وتهاجم جريدة الحزب الوطنى (الاخبار) هذا الموقف قائلة « انهم
يحملون راية التراجع والهزيمة » (٢)

وحتى عندما فاز حزب الوند بالاغلبية الساحقة فى الانتخابات ، وضغط
الانجليز لمنع زعيمه من تولي الوزارة رضخ سعد دون مقاومة تذكر واكتفى
بتولي رئاسة مجلس النواب •

• • • وفى هذه الاثناء وجهت الدعوة لسعد ليقاتل المندوب السامى البريطانى
وتتمت المقابلة فى ٣٠ مايو • وتروى « الكشكول » بعضاً من الحديث الذى
ذقوله انه قد جرى بينهما •

- « سعد : كنت اتوقع أنك تخافنى ، ولكن ما انت مش خايف •
- لويد : ولماذا اخاف منك ؟
- سعد : ألمت قاتلا ؟ ألم تتهمونى بانى قاتل ؟ ولكن قد برأتنى
والحمد لله المحكمه وبرأت رجالى •

- لويد : كثيراً ما برأت المحاكم مجرمين • • • (ثم قال لويد) ماذا
تريد ان تكون نحو انجلترا ونحو الاجانب ؟

- سعد : فى نيتى ان اخطب خطبة طويلة احث فيها الى مصادقة
الاجانب • حتى ، الانجليز •

- لويد : اظن أنك تريد ان تقول و « على الاخص ، الانجليز ؟
- سعد : بل قصدت « حتى ، الانجليز » (٣) •

وهكذا كان الفارق بين « على الاخص الانجليز » و « حتى الانجليز »
هو بالضبط الفارق بين زيور وسعد زغول •

لكن اليسار العالمى والمحلى لم يكن بحاجة لانتظار كل هذه الخطوات
للتهادنة من سعد زغول وقيادة حزب الوند ، فتمه أحداث اخرى جذبت

١ - احمد شفيق باشا • حوليات مصر السياسية ج ٣ • طبعة
سبتمبر ١٩٢٩ ص ٥٣ •

٢ - الاخبار - ٩ فبراير ١٩٢٦ •

٣ - الكشكول - ١١ يونيو ١٩٢٦ •

الكومنترن واليسار العالمي ككل الى محور العداء لبرجوازية المستعمرات وأشباه المستعمرات واتهامها بالارتقاء في احضان الاستعمار ، ولم تكن مراقف سعد زغلول سوى ادلة فرعية تؤكد صحة التحليل العام . .

فكان ستالين قد اكد « انه في بلدان مثل مصر والصين حيث البرجوازية المحلية قد انقسمت فعلا الى حزب ثوري وحزب متهاون وحيث دعم الحزب المتهاون علاقته الوثيقة بالامبريالية . فان الشيوعيين في بلدان كهذه لا يمكنهم ان يرفعوا شعار الجبهة المتحدة ضد الامبريالية . بل تبين عليهم ان يعبروا بمرحلة الجبهة الوطنية المتحدة الى مرحلة انتهاج سياسة الكتلة الثورية بين العمال والبرجوازية الصغيرة (الفلاحين) » (١) .

ثم جاء المؤتمر السادس للكومنترن ليكسر هذه السياسة ويجعل منها نهجا عاما للحركة الشيوعية العالمية . .

والحقيقة ان هذا الموقف كان يمثل في الاساس رد فعل لخيانة شان كاي شيك لقضية الجبهة الوطنية في الصين ، ولقد اثرت خيانة كاي شيك للقضية الوطنية على تفكير الدولية الثالثة ككل .

وقد عقد المؤتمر السادس للكومنترن في اطار التأثير بهذه التجربة . وعقد المؤتمر ١٢ جلسة هامة لمناقشة قضية المستعمرات والموقف في الصين . وخيانة شان كاي شيك . . . ثم صدرت احكام معممة على كل الاحزاب وعوجمت البرجوازيات المحلية عموما . وانعكس ذلك على مصر واندونيسيا واعتبر الوفد قوة معادية للثورة وكان هذا خطأ فادحا . وكان الخطأ الآخر انه تحدث بشعار الهجوم على البرجوازية امتد الهجوم الى اجزاء من البرجوازية الصغيرة » (٢) .

ويقول والتر لاكور ان فازليف قد تحدث في المؤتمر السادس للكومنترن

- ١ - والتر لاكور . الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط - ترجمة المكتب التجاري ببيروت . طبعة اغسطس ١٩٥٩ ص ٢٨ نقلا عن ستالين . مجموعة الاعمال . الجزء السابع - الواجبات السياسية لجامعة شعوب الشرق .
- ٢ - هانز بياشر - تقرير بالامانية حول الدور التاريخي للكومنترن - قدم للاندوة العالمية التي عقدت في موسكو بمناسبة الذكرى الخمسين لتاسيس الكومنترن .

فمثلا: انه ان حزب الوفد محي أعداء العمال والفلاحين ، والشبيوعيون مدغورون لأن يوجهوا اليه حربا مذبذبة (١) .

وعلى اية حال فان دراسة القرارات والوثائق الخاصة بالمؤتمر السادس لكوهيترن توجي بان هذا الاتجاه المناهض تماما للبرجوازية كان سينتج بالفعلي : وفيما يتعلق بواجبات الحزب الشيوعي المصري ، تنص قرارات المؤتمر علي ما يلي : ان الحزب الشيوعي المصري يلعب دورا هاما في حركة التحرر الوطني ويعتمد في تنظيمه علي البروليتاريا . والنقابات التي تضم العمال المصريين هي مصدر الطلائع والقيادات . ان الحزب الشيوعي المصري يرى ان واجبه الرئيسي دعم النقابات لكن هناك خطر خضوع النقابات للبرجوازية ويتعين علي الحزب ايجاد علاقات وثيقة بالعمال الزراعيين ومحاوله تنظيمهم . وعلى اساس النواقص في هذين الميدانين بالذات كان الضعف الذي يعاني منه الحزب الشيوعي المصري (٢) .

ان تحديد مثل هذه الواجبات الفاعلة في بلد شبيه مستعمر ك مصر دون ذكر ولو باشارة عابرة - التي ضرورة التمسك بالتأسيس جبهة وطنية مناعضة للامتياز يمكنه - ان يوضح طبيعة هذا الخط المنزلي .

فمننا لا يمكننا ان نسوق اللوم كله الي قرارات المؤتمر السادس فان قيادة الوفد كانت قد اتخذت بالفعل موقفا متعادلا مع المستعمر ، وقد استخدمت كل ذقونها - عندما كانت في السلطة - ضد الحزب ، واشتمرت في احطاء العداء ضده حتى وهي خارج الحكم .

زمن هنا كان موقف الحزب الشيوعي المصري الذي سمى في البداية الي تكوير ، تحية من العمال والفلاحين ، متجاغلا البرجوازية الوطنية سواء تلك المتواجدة في صفوف الوفد ، او في التجمعات الحزبية الأخرى .

وفي الانتخابات التي اجراها زيور جاشا أسس الشيوعيون لجنة الدفاع عن حقوق العمال الفلاحين ، وقد ضمن اللجنة بيانها الاول برنامجا يتضمن واحدا وعشرين مطلباً ودعت مرشحي العمال - وكان عددهم ١٢ مرشحا -

١- والتر لاكوز - الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط - المرجع السابق ص ١٠٢٠ - (١٠٠٠) - (١٠٠٠) - (١٠٠٠) - تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي - القسم الاول - الطبعة الاولى - ١٩٦٤ - نفس هذا النص في ص ١٠٢٠ - ان يشير الي مصدره والمزجج انه نقله عن لاكوز - ١٠٠٠ - ١٠٢٠ - بروكوكول المؤتمر السادس للكونغرس - الطبعة الألمانية الجزء الرابع ص ١٩٥ .

البريتيني. هذا البرنامج وناشدة العمال والفلاحين. إلا يعطوا أصواتهم لاي شخصين لا يقبل هذا البرنامج» (١)

كذلك حاجت مجلة الحساب قيادة الحزب الوفيد واتهمت بالقتان مع الاستعمار وقد جاء في إحدى مقالاتها ان زعماء الحركة الوطنية انفسهم لم يحسنوا التصرف عندما جبت هذه الامة النشيطة مطالبة بحقوقها مدانة عن استقلالها وحرقتها. فهم اغتصموا فرصة نهوضها ليضعوا انفسهم في مقدمة الصنوف وعلى رأس القيادة ولكن اين الخط الذي وضعوها لاستمرار الجهاد. وان تقدم شيئا شبيها في سبيل الغاية القصوى وهي الاستقلال التام؟ واين هي المطالب المحددة تحديدا دقيقا والتي دعوا الشعب الي التمسك بها وجعلها ميثاقا وطنيا. وعهدا مقدسا؟ بل أين ما وعدوا به الفلاح الذي حمل عبء الاديعة الحربية على كتفيه القويتين وأين وعودهم للعامل الذي قذف بنفسه في اثون ثورة ١٩١٩ فالتهمته نيرانها؟ لم يفعلوا شيئا من ذلك.

ثم تمضى مجلة الحساب قائلة «ولولا جبن الوفد المصري وخوفه، ولولا معرفة الانجليز بجبنه وخوفه لما تجاسروا قط بل لما فكروا قط بامتهان حقوق مصر بعدما وجفوا من عملها المدمر عام ١٩١٩. ولما اقدموا على ما اقدموا عليه من الاستهتار بالامة هذا الاستهتار الذي نعاني مرارته حتى الآن» (٢)

على ان الحزب - برغم ذلك كله - لم يمتط الوفد من حسابه تماما. بل حاول ان يقيم نوعا من العلاقة مع التواعد الثورية لحزب الوفد.

ولقد كان الحزب يمتلك غرضا عديدة لذلك.

فهناك في صفوف قاداته ولجنته المركزية على وجه التحديد عناصر مثل رشق جهور المحرر في جريدة النظام الوفدية والذي ظل لفترة طويلة معدودا - في نظر الكثيرين - كواحد من الرفديين المرموقين.

كذلك فان الشيوعيين الذين ارسلهم سعد زغلول الي السجن سرعان ما التقوا داخله بالشباب الوفدي الذي سائقه حكومة زيور الي هناك بتهم شتى أخطرها المشاركة في حملة الاغتيالات السياسية. وثمة روايات حول علاقات عديد من سجناء الوفد في هذه الفترة بزملائهم في السجن من الشيوعيين، وقد ركزت الروايات حول شخصيات هامة مثل النقراشي وأحمد ماهر.

- ١ - راجع النص الكامل للبرنامج في الملاحق.
- ٢ - مجلة الحساب - ٨ مايو ١٩٢٥ مقال وتأسيس حزب للطبقة العاملة من عمال وفلاحين. (وقد نشرت بعض هذه المقالات في - عبد المعتم الغزالي - المرجع السابق ص ٩٧ وما بعدها)

وعلى اية حال فان هذه المحاولة المتواضعة قد لقيت تحنزا وهجوما عنينا من سلطات الاحتلال ومن الرجعية المصرية . فنشرت المورنج بونت الانجليزية مقالا لمراسلها في القاهرة يقول « والظاهرة انه توجد روابط بين سماعي البلاشفة وحملة القتل الموجبة ضد البريطانيين : وبين المقبوض عليهم اثنان من محرري الصحف الوندية » (١) .

وقالت الديلى تلغراف « وأعظم ما يلفت الانتظار فيما اكتشفه البوليس ، هو ما يدل على العلاقة الوثيقة بين دسائس البلاشفة وحملة القتل ، وعلاقتهم أيضا بالوفد لانه يوجد بين المقبوض عليهم طاهر أفندى العربى المحرر بجريدة كوكب الشرق وريتى أفندى جبور المحرر بجريدة النظام وهى من الصحف الوندية أيضا . والمعروف بلوق ما تقدم أن شقيق اولاد عنيات الذى لا يزال فى برلين طالبا على اتصال دائم بمندوب السوفييت هناك » (٢) .

والحقيقة ان قصة شقيق اولاد عنيات هذه قد استخدمت فى محاولة واضحة للتخريف ضد الشيوعيين ومحاولة الايهام بصلوعمهم فى عمليات الارهاب .

« فقد جاء فى مراعاة النيابة ضد عبدالفتاح وعبد الحميد عنيات فى قضية السردار ان اخا لهما هو عبد الخالق عنيات قد سافر الى اوربا فى عام ١٩٢٣ بحجة تلقى دراسة الطب . وقد وصل الى النائب العام من ادارة الامن العام لتتريرا وصل الى هذه الادارة من برلين مذكور فيه « عاد عبد الخالق عنيات فى اواخر شهر يناير ١٩٢٥ ومنذ عودته اليها زار عدة مدن ألمانية من غير ان يكون عليه اية رقابة ، وهو الآن متغيب عن برلين ولو انه من المنتظر عودته اليها قريباً . وفى عزمه التوجه الى استكهولم لحضور مؤتمر الطلبة الشرقيين ، وكذلك التوجه الى موسكو اما فى شهر مايو او يونيو . وهو على اتصال بنصريين فى الحزب الوطنى المتطرف . وهو كثير الزيارة لسفارة حكومة السوفييت ويصله بواسطتها نقود ، وقيل ان جماعة الشيوعية الدولية تنظر اليه بعين الريبة كوطنى وكأحد دعاة الجامعة الاسلامية شديدي التحمس ، وهو على اتم وفاق مع جرونشتين ولينتسكى وهو متعلم تعليما حسنا الا انه شديد الكراهية للبريطانيين والاوربيين » (٣) .

بل ان سعد زغلول نفسه ما لبث أن اتهم بتحريض الشيوعية ، الامر

١ - الاحرام ٣-٦-١٩٢٥ .

٢ - الاحرام ١-٨-١٩٢٥ .

٣ - د . محمود متولى - مصر وقضايا الاغتيالات السياسية - كتاب الحرية - نوفمبر ١٩٨٥ (القاهرة) - ص ١٤١ .

الذي دافع زغلول الى ان يذكر متهميه ، بان وزارة الشعب كانت عنيفة على الشيوعيين ، وانها أرسلت الكثيرين منهم الى القضاء « (١) » .

كذلك فان الشباب المتحمس في حزب الوفد ، وخاصة امثال النقراشي واحمد ماهر ما لبثوا هم ايضا ان اتجزفوا بعيدا في السياسة البرجوازية باحثين لانفسهم عن طريق خاص قادهم الى اعلى مناصب السلطة .

وبرغم الاقاصيص التي حيكت حول علاقة الوفد بالحزب الشيوعي في ذلك الحين ، وكلها مرتبطة باسمين محددتين احدهما رفيق جبور والآخر طاهر العربي . فان الحقيقة هي ان كلا الشخصين لم يكن وفديا غريبين جبور كان يساريا قديما وأحد قادة التجمعات اللبنانية في مصر ، جمعية لبنان الفتى ، وكان عضوا بالحزب الشيوعي منذ فترة طويلة رغم انه عمل محررا في مجلة الانظام ذات الميول الوفدية . ورغم انه كان على علاقة وثيقة بالوفد :

أما طاهر العربي (٢) فلم يكن وفديا على الاطلاق فقد قبض عليه في عام ١٩١٢ بتهمة تدبير محاولة لاغتيال كاتشفر حيث بقي اثني عشر عاما بالسجن . وكان عند القبض عليه عضوا في الحزب الوطني وكان تدبير محاولة الاغتيال يجري باشراف ودعم من بعض قادة الحزب الوطني .

وبعد ان افرج عنه وحصل على مبلغ ٢٢٣ قرشا اجرا لعمله في السجن طوال الفترة التي قضاها فيها قرر ان يتبرع بها للحزب الوطني فوجه رسالة الى جريدة اللواء يقول فيها :

« . . . وحيث ان هذا المبلغ على ضالته له في نفسي من القداسة والتكريم ما يجعلني أضن به ان يصرف في غير وجه الوطن والجهاد في سبيل تحريره .
رحيت اني لا اعترف ولا اعرف - الى هذا الوقت على الاقل - غير الحزب الوطني عينة حملتواء الجهاد من فجر النهضة الوطنية الى اليوم . »

لهذا كتبت الى المحاذرة لرجو ارسال هذا المبلغ تحويلا الى خزينة الحزب الوطني واكتب عذا الى عزتكم راجيا ان تتفضلوا بقبوله هدية من مجاهد فزيم الى حزب المجاهدين الاوفياء « (٢) » .

١ - الاخبار ٢٩-٨-١٩٣٦ نقلا عن مذكرات سعد زغلول عن يوم ١٩٢٥-١٩٢٥ .

٢ - لورد عبد العظيم محمد رمضان - تطور الحركة الوطنية في مصر - اسما اكثر من مرة على انه طاهر العرابي ص ٥٥٢ والاسم الصحيح محمود طاهر العربي .

٣ - اللواء ١٤-١٠-١٩٢٣ .

وقد عمل للعربي بعد ذلك لفترة محررا بجريدة اللواء . . .

وئمة واقعة اخرى برويتها العربي تفمته تؤكد انه لم يكن وديا وان الوند لم يكن يعتبره وديا . . . فشفيق منصور بوجه دعوة الى المسيحيين السياسيين لمقابلة بعد زغول عندما كان رئيسا للوزراء لينتج حالتهم وتغيير اعمالهم . . . ويندب طاهر العربي مع الذاهين لكن زغول يشطب اسمه بالعلم الاحمر قائلا لشفيق منصور « ده مش بتاعنا » لما نشوف بتواعنا نبقى نتحدث عن غيرهم (١) . . . وليس ممكنا بعد ذلك ان ننصو ان العربي كان وفتيا . . . ولكنه عمل ضمن تنقلاته العديدة من عمل الى آخر محررا في كواب الشرق اللفدية . . . وقد قبض عليه عام ١٩٢٥ مؤتمرا بالشيوعية وهو يعمل بها . . .

قبل ان طاهر العربي نفسه ما لبث نحت وظاة الحاجة لتلقى السطة ان اعترف كتابه بانه في علاقته مع الحزب الشيوعي في ذلك الحين كان مجرد جاسوس لاجهاز الامن . . . فقد وجه رسالة الى علي باشا رئيس الديوان الملكي في ٣١ مايو ١٩٣٩ اعترف فيها بما يلي . . .

« في مايو ١٩٢٥ صادقت رجلا شيوعيا خطرا جدا يدعى قسطنطين فايس عو رئيس الدولة الثالثة في الشرق وكان محكوما عليه بالاعدام في ايطاليا باسم ابيجدوز . . . وكان البحث جار عنه في انحاء مصر حيث دخل اليها بجواز مزور . . . قابلته ولم اكن اعلم شيئا عن حقيقة امره . . . بل قادني اليه زميل صحنى اسمه رفيق جبور وعرفني بانه صحنى انجليزي يدرس شؤون العمال في مصر . . . وكان الرجل بعيد عدة لغات وسرعان ما توقفت بيننا عرى الصداقة . . . وتبادلنا يفتى الاحاديث . . . وشيئا فشيئا كرتبة لم انهما من قبل اذا لم اكن سمعت او قرأت شيئا عن الشيوعية قبل ذلك وكنت حديث العهد بتجارة السجن . . . سمعته يتحدث بكل سوء عن الكلية والزاسمالية . . . وقابلت صديقا صديقا صديقا وزيراة الداخلية هو كمال اندي حشيش . . . وتحدثت عن هذا الاجنبي الصحنى الذي يدرس شؤون العمال . . . ولم اكن عرفت عنه شيئا من الناحية الشيوعية . . . وكانت ضرورته معي اهداها الي فاظلمت الضابط عليها . . . وما كدت افعل حتى انتفض كمن منته الكهوباء . . . وقبلني في وحنقتي وكاد يرقس من شدة الفرح وفي اليوم التالي زارني في منزلي واستدعاني لمقابلة مساعد القوي باشا مدير الامن العام وكان معه كامل بك الرحمانى . . . فاخذا يفتعنني بالعمل معهما في مكافحة الشيوعية . . . ولم تمض بضعة شغور حتى كتبت ووضع سر هذا الزعيم الشيوعي وعرفت كل شيء عن هذه العصابة . . .

١ - محمود طاهر العربي - هذا المجتمع الظالم - الطبعة الاولى - مطبعة دار المستقبل ص ١٧٩ . . .

الخضيرة الكبيرة للدولية، وفي ساعة مبكرة من الصباح قبض البوليس في اثناء
مصر على اكثر من ثلاثين شيوعي مضربين واجانب، وقبض على ايضا بينهم،
وخذت السجن وبقيت فيه شهرين كاملين، ثم مثلت امام المحكمة وشهدت
عليهم، ولم ازل اى جزء مادي ولا اجسدي (١)

وعلى اية حال فان من الواضح ان قضية علاقة الوفد بالحزب الشيوعي
في ذلك الحين كانت قصة ملفقة لفتها المستعمرون والحزاب الرجعية كسبيل
ليضرب حزب الوفد نفسه

وهكذا فان جنوح قيادة حزب الوفد نحو التهتان مع الاستعمار،
ورفضه اى منهج ثورى او حتى وطنى حق في مواجهة الانجليز قد اجبر الحزب
الشيوعي على السير في الطريق الوعر طريق معاداة الوفد، معرضا نفسه
لمزلة شديدة، كذلك لم يدع امامه اية فرصة للخيار في التحالف فلم يبق
امامه سوى « الحزب الوطنى » فكان تحالف المستضعفين

وكان م بن روى قد وصف في مقالته « الانقلاب السياسى في مصر » (٢)
اعضاء الحزب الوطنى بانهم « متطرفى البرجوازية الصغيرة الثوراتيين »
وقال عنه ايضا « ان تكوينه الاجتماعى - بعد اعادة تنظيمه واستعاثته
شبابه قد اتجه ناحية التجار الصغار والمثقفين الطحونيين والحرفيين المستقلين
رفقاء السلاحين والبروليتاريا، لكنه لم يكن يضم من هؤلاء اولئك الا النذر
اليسير »

ولقد رأينا كيف استخدم الحزب الوطنى كل قوته في التجهنم على
سياسة الاعتدال والتهادن لكنه قد عجز بالفعل عن ان يرفع شعارات متخذة
ذات قدرة فعلية على تعبئة الجماهير، يظل اسيرا لممارسة جوفاء، لم تستطع
ان تتمر شيئا جادا

ولقد كان حجم الحزب الوطنى اقل بكثير من شعاراته الطنانة الامر الذى
جعل من هذه الشعارات - التى كانت مجرد تشدد لفظى - لا يصابه اى موقف
بضالى - ماثرا لتسخيرية الكثيرين وخاصة الصحف الوفدية

وفي مقال افتتاحى نشرته روزا اليوسف يمكننا ان نطالع نماذج من
التسخيرية مثل « الحزب الوطنى ان يطيل النظر لما شاء في مرآته المسحورة
وان يرى هناك جسمه (القوزعة) عملاقا طويلا يقف على باب البلد موقف

١ - دار الوثائق المصرية - محفظه ٤ داخلية - عربى - ملف ٣ - وثيقة
اصلية بخط محمود ظاهر العربى عبارة عن خطاب موجه الى على ماهر باشا
رتيس الديوان الملكى

(2) International Press Correspondance ..

الديوان، ليخفف حقوقها وكرامتها ويستورعها بالفارس والنبوت... قوله علينا
ما دائم، فترج العين في موقفه هذا. وإن لم تقدم فتحتها أو توخرتني الا بغير
عليه من خياله هذا باكثر من اتيبامة السخرية من مجهوده الهزيل مشهور

طاب نومكم يا رجال الحزب الوطني... وغطوا انفسكم جيشنا
بالزود... بيجزيتكم الله... قاتل في هذه الايام (١) ...
وعلى اية حال فما لبث قادة الحزب الوطني - عندما اشتدت الازمة في

عام ١٩٢٨ - ان غادروا مصر واحدا بعد الاخر... ولم يبق سوى عبد الحميد
يسعيت الذي رسمت روزا اليوسف صورته على الغلاف وهو يرتدي سياط
ويعصع و فكري باطلة هرب، وحافظ رمضان هرب الى روما، وانا يعني
الى ابي رحي، هنا (٢) ...

على هذا الضوء يمكننا ان نقدر قيمة التحالف الذي نشأ بين اليسار
والحزب الوطني والذي تمثل في دعوة الحزب ورعيته حافظ رمضان بالتحديد
لله مشاركة في عصبة النضال ضد الامبريالية، والاتصالات التي قام بها
ممثلو العصبة مع عبد الحميد سعيد والشيخ ابو العيون وغيرهم، لقد كان
تحالفنا مع عصبة معزولة لا اثر جماهيري لها

وقام مشارف الثلاثينات بما حملته من أحداث ومن محاولات الاقطاعيين
وتكبار ايراسماليين لفرض حكم ديكتاتوري على مصر. وكان من المفروض ان
يؤدي قيام مثل هذا الحكم الديكتاتوري والمباهن للديستور التي بعض التغيير
في مواقف الحزب الشيوعي تجاه الاحزاب الاخرى، وإلى مزيد من الوضوح تجاه
حزب الوفد والحزب الوطني لتطرح من جديد امكانية قيام تحالف وطني

وأيضا...
في عهدنا وصيل محمد محمود إلى السيادة وفرض حكم القيصية
الجديدة، وعندما جاء صيحي ليلني ديستور ١٩٢٢ واتام حكما ايرهابيا
من بعدا كان من المفروض ان يلجا حزب الوفد الى الجماهير وان يقوم تبعا
لذلك تحالف وطني ديمقراطي يضم كل القوى المظالفة بالديستور واحترام ارادة
الشعب

لكن الثوريين المصريين فوجئوا بان حزب الوفد يلعب دوره على المسرح
تدوين أجل متفرج واحد وهو التدوين النمامي البريطاني لورد لويدي... فقد
في...

١ - روزا اليوسف - ٢ يوليو ١٩٢٨
(٢) روزا اليوسف - المرجع السابق

كان كل من محمد محمود والنحاس باشا يحاول أن يفتح الخندق الساسي بأن حكم مصر ممكن فقط بواسطة شخصيا (١)

واكتشفوا أيضا أن الوفد في صراعه ضد الحكومة الضالعية يرفع شعارا سياسيا محمدا هو عودة الدستور، لكن الوفد لم يكن يضح في اعتباره قوى الجماهير المصرية ونضالها ضد الدكتاتورية الضالعية وإنما كان يملق كل آماله على انتصار حزب العمال الإنجليزي.

بل أن الوفد قد حاول أيضا أن يلعب على الخلافات في وجهات النظر داخل الوزارة البريطانية ذاتها، وعقب انقلاب ١٩ يوليو افتتح الوفد في لندن مكتبا سياسيا خاصا (حتى ديسمبر ١٩٢٨) برئاسة وليم مكرم عبيد ولنفس الغرض أيضا أصدر الوفيدا جريدة في لندن باللغة الإنجليزية تيسمى

مصر

كذلك فان سياسي حزب الوفد عندما كانوا يهتمون بالجماهير فأنما كانوا يفعلون ذلك لمجرد تحقيق أهداف الحزب، وبشرط أساسي هو الاقتمكن الجماهير من تحقيق أي دور ايجابي في التأثير على أعمال الوفد أو دوره.

ان رئيس حزب الوفد النحاس باشا قد ركز في خطابه الذي القاه في القاهرة بمناسبة مرور عشرة أعوام على تأسيس حزب الوفد على اصرار الحزب على عدم فتح الباب أمام الصراع الطبقي الذي وصفه بأنه يقود الشعب إلى الهاوية والهلاك (٢)

وهكذا فان تطورات الأحداث والمواقف المتعاقبة التي اتخذها حزب الوفد تجاه الجماهير قد اقتادت الحزب الشيوعي إلى موقف بعيد تماما عن فكرة التحالف معه ومرة أخرى تتساقط فكرة إقامة تحالف وطني يضم القوى المتألمة بالمستور واحترام القانون وحرية الشعب.

أما الحزب الوطني فقد كسفت هو أيضا عن ضعف وتخاذل شديدين، وما لبث الحزب الشيوعي أن أخضع هو أيضا لمحاولات تحليل صارمة استندت في كثير من الاحيان إلى التصرفات الفعلية التي صدرت عن قادة هذا الحزب.

وكما اهتمت الصحافة الوفندية الحزب الوطني بآية حزب، فرثار، فان

١ - ريفولوسيوني فوستوك (الشرق الثوري) - مقال بعنوان
« بلا مخرج » - رسالة من مصر - بقلم أ. الجبالي - مؤرخة في نوفمبر ١٩٢٧
والجديد ٢٤ - عام ١٩٣٢، الطبيعة الروسية (١) (راجع النص الكامل بالملاحق)
٢ - ريفولوسيوني فوستوك مقال « مقصر بتكيد الانقلاب » بقلم
١ - سامي - المرجع السابق ص ٢٨٤

بعدة سنوات، من التحالف بالافتراض. معه قد كشفت للحزب الشيوعي الحق
هذا الوصف

وقال ليك الشيوعيون - أن، وصيروه في مقالاتهم بأنه، الحزب، الذي يشرشر
كثيلاً، قبل - وضفوا لقبوله، للتخالف معهم، بأنه، مجرد استعراض، مظهرى أوقالوا
رأى، لتسيان، قيادة الحزب، الوطنى، تحت ضغط، العناصر، الراديكالية، في، البرجوازية
الصغيرة، باستعراضات، ثورية، في مظهرها، فشاركوا، في تكوين فرع، وعضية، للنضال
تحت، الإمبريالية، ولكن، مثل هذه، الاستعراضات، النظرية، لم تغير، ولو لأنى، درجة
الخطر، السياسى، للحزب، (1)
والآن، فإنه، لم يصد، أمام الحزب، الشيوعى، إلا، أن يحاول، استخلاص، بعض
الدروس، من، المواقف، التى، اتخفتها، أحزاب، البرجوازية، المصرية، المختلفة،

ويمضى، الجبالى، محاولاً، أن يستخلص، هذه، الدروس، فيقول،

ولقد، مثل، قادة، الحزب، الوطنى، لعدة، سنوات، دور، حماة، الجماهير، الكاحية
وأحزاب، البرجوازية، الصغيرة، الراديكالية، أن تقب، الجماهير، بأنها، لم تنبذ
عن، حشبة، المسرح، ولكن، الصراع، الدائر، وسط، صفوف، أعضاء، الحزب، الوطنى
لم، يكشف، فقط، عن، مدى، الضعف، السياسى، لقيادة، الحزب، وإنما، كشفت، أيضاً، عن
ضرورة، البحث، عن، مسارات، جديدة، لحركة، التحرر، الوطنى،
فما، هى، هذه، المسارات، الجديدة، التى، يدعو، إليها، الحزب، في، محضيات
التخالف، الوطنى، يقول، الجبالى، وكلما، تم، الإسراع، بتفجير، الحزب
الوطنى، من، الداخل، كلما، وجدت، العناصر، الشريفة، داخل، هذا، الحزب، - بسرعة
كثير، - طريقاً، لىسعى، نحو، تأسيس، جبهة، ثورية، وطنية، موحدة، تحت
قيادة، حزب، الطبقة، العاملة، (2)

ويعتبر، هكذا، مان، لجزء، الوفند، والحزب، الوطنى، نحو، سياسة، التقاط، التام
والاستمرار، وقد، وضع، الشيوعيين، المصريين، في، مازق، حقيقى، وشدة، السبيل، أمام، أى
تحالف، وطنى، جاد،

وقد، وقع، الحزب، الذى، رفع، شعار، انزال، الشيوعى، بيدفوا، التى، بتفجير، هذه، الأحزاب
من، الداخل، وتأسيس، جبهة، ثورية، وطنية، موحدة،

الذى، يشرشر، كثيراً، ن، بقلم، الجبالى، مؤرخ، في، مايو، 1929، ص، 288 - من، المرجع
المقتدى، (راجع، النص، الكامل، بالملاحق،)
٢ - المرجع، السابق، ص، 290

ولمستغربا جدا ان تلقى اللوم كله على الاطراف المصرية لمركبة التخالف
عنه ذلك انه من المتعين علينا ان نذكر ان الكومنترون قد تنهج بالفعل في
هذه الفترة منهجا مماثلا .

ولسنا نشك مطلقا في حتمية تأثر الحزب بموقف الكومنترون هذا ، لكن
الذي لا شك فيه أيضا ان الاحداث التي كانت تجرى على مسرح السياسة المصرية
كانت في ذاتها - كافية لان تشكل وبصورة موضوعية تماما مثل هذا الموقف
وعلى اية حال فلقد كان على الحزب ان يعاني من وطأة الحصار الذي
فرضته عليه الاحزاب الوطنية الاخرى نتيجة لسياستها المتخاذلة والتهابنة .

ويروى لأكور ان أفيجور قد تحدث في اجتماع اللجنة التنفيذية للكومنترون
عام ١٩٢٤ عن أسباب ضعف الحزب الشيوعي المصري فقال - ان الشيوعيين
المصريين قد أخفقوا لان الجماهير كانت تؤمن بالوند (١) .

وهذا صحيح الى حد كبير ، فلقد ظل الوند - برغم كل شيء - المنبر
الاساسي للتحرك الوطني المصري وكان - برغم كل شيء - مصفا للهجمات الرجعية
والاستعمار على السواء .

وهكذا كان على الحزب ان يهاجم الوند ويدين تهاده وضعفه في الوقت
الذي كان غلاة الرجعيين والسراي وعملائها ومن خلفهم سلطات الاحتلال يشنون
هم أيضا هجماتهم على الوند .
ولقد عانى الحزب كثيرا من مثل هذا الموقف .

ولسنا نريد ان ننتقد هذا الموقف ، فلقد كانت قيادة الوند تنهج
بالفعل موقفا متخاذلا وبعيدا عن الاعتماد على حركة الجماهير الشعبية ، لكننا
نعتقد ان الامر كان بحاجة الى بعض المرونة - في مصر بالذات - ودونما ربط
الامور فيها ربطا ميكانيكيا بخيانة شان كاي شيك او حتى بتهادن سعد
نظول نفسه .

وعلى اية حال فان صفحات هذا الفصل ليست بأية حال محاولة لتقييم
دور حزب الوند ، ولا تستهدف بأية حال التقليل من دوره في الحركة الوطنية ،
وهي أيضا ليست محاولة لتقييم دور الحزب الوطني وانما هي في الاساس
محاولة لالقاء نظرة على خطة التحالف التي نهجها اليسار المصري والعوامل
الموضوعية التي أجبرته على اقامة تحالف بين المستضعفين انتهى بطبيعة
الحال الى لا شيء .

١- والتر لأكور - الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط - المرجع السابق

لكن الثلاثينيات قد شهدت محاولات اخرى لاقامة تحالفات اكثر فعالية
من بينها التحالف مع القوى القومية القبايلية الموالية لنباسي رخليم من اجل انشاء
حزب عمالي

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يفتقر من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

ومؤامراته الخفية لم تكن ذلك الخطأ من اليسار وحده بل كان ارداهم لطمعهم
لاصرار قادة الوفد على انتهاز سياسة الاعتدال والتهامن مع الاستعمار
وتشبيهم الميزري بسياسة المداء لليسار ورفض أي تحالف معه

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يفتقر من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يفتقر من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يفتقر من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يفتقر من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يفتقر من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يفتقر من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يفتقر من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

در این مقاله، به بررسی نقش و جایگاه حقوق کیفری در نظام حقوقی ایران پرداخته می‌شود. در ابتدا به تعاریف و مبانی حقوق کیفری پرداخته می‌شود و سپس به بررسی تغییرات و تحولات این شاخه حقوقی در طول تاریخ ایران پرداخته می‌شود. در ادامه، به بررسی چالش‌ها و مشکلات حقوق کیفری در نظام حقوقی ایران پرداخته می‌شود و در نهایت، راهکارها و پیشنهاداتی برای بهبود این شاخه حقوقی ارائه می‌گردد.

قسمت دوم

* ویرغم المطاردة المخنونة • واصلوا المسيرة • جماعة التمسك بالقانونية

* بعض القضايا الايديولوجية

* كلمة اخيرة

در این بخش، به بررسی برخی از مسائل و مسائلی که در حقوق کیفری ایران مطرح شده است، پرداخته می‌شود. همچنین، به بررسی نقش و جایگاه حقوق کیفری در نظام حقوقی ایران پرداخته می‌شود و در نهایت، راهکارها و پیشنهاداتی برای بهبود این شاخه حقوقی ارائه می‌گردد.

در این بخش، به بررسی نقش و جایگاه حقوق کیفری در نظام حقوقی ایران پرداخته می‌شود و در نهایت، راهکارها و پیشنهاداتی برای بهبود این شاخه حقوقی ارائه می‌گردد.

در این بخش، به بررسی نقش و جایگاه حقوق کیفری در نظام حقوقی ایران پرداخته می‌شود و در نهایت، راهکارها و پیشنهاداتی برای بهبود این شاخه حقوقی ارائه می‌گردد.

••• ويرغم المطاردة الجفونة واصلوا المسيرة

ان تاريخ مضر الحديثة يشهد لبرجوازياتها وكبار ملاكها ، بالوعى الكامل والحرص الشديد تجاه النشاط الاشتراكي .

ومنذ البدايات الاولى ، وحتى قبل ان تصل قوى الطبقات الغنية الى مركز السلطة سواء السلطة الحقيقية او المفترضة ، كانت القوى الرجعية تدبر امورها بحيث تجعل من ارض مصر مكانا محرما. للفكر الاشتراكي وللتيارات الاشتراكية .

وثمة وقت كانت فيه الطبقات المالكة المصرية لا تزال تجاهد من اجل مكان لها بالقرب من مواطىء السلطة ، لكنها كانت وفى نفس الوقت - تسعى بنفس القدر من المثابرة - وربما أكثر - لتقاوم الخطر الاشتراكي المفترض .

وإذا كانت الطبقات المالكة قد كرست كثيرا من الجهد فى اعداد دستور ١٩٢٣ كسبيل لدعم سلطاتها ، وبذلت كل ما استطاعت من جهد كى تنتزع لنفسها حقوقا وضمائنا ، فقد بذلت كل جهدها كى لا تستخدم الطبقات الكاسحة من هذه الضمانات .

وفى مذكرة أحمد قور القصار وزير الدتانية حول الظروف الجيدة التى يخلقها اعلان دستور ١٩٢٣ تحدث طويلا عن الضمانات التى كفلها الدستور لحرية الصحافة ، لكنه ما لبث ان استترك قائلا ، ولكن يبقى هناك استثناء واحد لانذار الصحف او تعطيلها او الغائها بالطرق الادارية ، فان بعضا من الحرية الدستورية لا يمكن تطبيقه على حملات تحمل على أساس الهيئة الاجتماعية ، كخطر الدعوى البلشفية الموجودة الان . فانه يضطر جميع الحكومات الى اتخاذ تدابير قد تكون مناقضة للمبادئ المقررة فى الدستور لاجل ضمان حرية اهل البلاد المسالمين والموالين للقانون . فلكى يمكن انشاء تشريع لمكافحة امثال هذه الدعوة الضارة نص فى المادة ١٥ على ان انذار الصحف وتعطيلها والغائها بالطرق الادارية قد يجوز فى حالة ما تقتضى الضرورة بالاتجاه اليه لحماية النظام الاجتماعى . واضيف تحفظ مماثل لهذا الذى نص المادة ٢٠ التى تكفل للمصريين حق الاجتماع بسكينة ومن دون سلاح ، والمادة ١٥١ التى تحظر النهى لجرائم سياسية (١) .

١ - الدستور . تعليقات على مواده بالاعمال التحضيرية والناقشات البرلمانية - الجزء الاول - مطبعة مصر - ١٩٤٠ - ص ١٤ .

وقد عطلت اللجنة الاستشارية التشريعية على المادة ١٥. وهي المادة الخاصة بحرية الصحافة قائلة: « هناك بعض حريات دستورية لا يمكن السماح بها في حالة الاعتداء على الاسس الجهورية للهيئة الاجتماعية . فخطر الدعاية الشيوعية القائمة في الوقت الحاضر يجعل من واجب الحكومات ان تهتم على حماية الدولة ولو استلزم ذلك الرجوع الى تدابير قد تكون مخالفة للمبادئ المقررة في الدستور لصيانة حرية السكان الهادئين والمخلصين للبلاد . فيكون من الحكمة للتفكير من وضع التشريع المناسب لمناهضة مثل هذه الدعاية الهدامة » (١)

وهكذا ومنذ البداية الاولى . وحتى قبل ان تصل البرجوازية الى السلطة المفترضة ، كانت حريصة كل الحرص على مقاومة الحزب الذي كان قد وجد . . .

وفي الجزء الاول من هذه الدراسة استغرقت رواية المطاردة الشرسة التي خاضتها سلطات الاحتلال وحكومة سعد زغلول ضد الحزب . صفحات طويلة . . .

ثم ذهب سعد وجاء زيور ، وان كانت الخلافات بين الاثنين كبيرة وكثيرة في مجال القضية الوطنية . فقد اتفقا في موقف واتخذوا مواصلة الهجوم على الحزب واستمرار عملية المطاردة التي بدأها وباركها سعد زغلول . . .

وكانت حكومة زيور بكل ما أوتيت من عنف وضيق اذق تصدر القرار تلو القرار في اضطحية واضحة . . .

فصدرت قرارا بمنع السفن الروسية من دخول الموانئ المصرية وتفتش الأهرام قبضة وصول السفينة البلشيفية ، تشيشيرين فتقول ، وصلت الى الانكندرية ، أمس باخرة روسية بلشيفية تدعى تشيشيرين تنقل بضاعة الى هذا الاقطر ، وربما كان عليها بعض الركاب أيضا . فلم تكذب تصل الى الميناء الخارجي . حتى اصدرت السلطة المحلية أمرا الى البوليس بمراقبتها وحراستها ومنعها من الدخول الى المرما . فاقفقت في الخارج ولا تزال حتى الآن تحت حراسة الشرطة . والمفهوم ان الحكومة ستأذن لها بتفريغ مشحونها حيث هي راسية تم تآمرها بالانصراف فتصرف غدا . . .

ويظهر ان الباخرة « تشيشيرين » هذه لا تحدى ما نحن فيه من الانهماك في قضية الشيوعية البلشيفية في هذه الايام » (٢)

١ - المرجع السابق ص ٩٧ .
٢ - الأهرام ١٩ - ٦ - ١٩٢٥ .

من أصل زوني فقد أصبحوا مصدرا لكوادر شيوعية عديدة التي الدرجة دفعت الحكومة المصرية التي اتخذت اجراءات خاصة لتحييد من حتم تأثيرات دخول التي مصر مؤيدون ان هذه الاجراءات كانت قاسية التي الدرجة التي دفعت الحكومة البريطانية التي التدخل رسميا في هذا الامر الذي كان له تأثيرا كبيرا في مصر وفي الشرق الأوسط وقد وردت السفارة البريطانية في القريية موجهة الى الرضاخية الفخامة السيد أوستن تشمبرلين - مؤرخة في 3 مايو 1929 - تقول فيها: الأولى الشرفت ان اشير الي بقرية فحامتكم رقم 319 (ت - 3276/318/378) في المؤرخة في 11 ابريل والتعليق بموضوع فرض قيود مشددة على منح تأشيرات دخول لحائزي جوازات السفر الفلسطينية . . .

رغم ثم توضح السفارة البريطانية ان هذه القيود مفروضة فقط على الذين هم من أصل زوني . . . ويقول ان وزارة الداخلية المصرية تضر على قرص أكثر القيود شدة في هذا الصدد . . . ذلك انه بعد البحث ثبت انه من بين 81 اجنبيا لوحظ اشتغالهم بالدعاية الشيوعية في مصر منذ عام 1923 وحتى الآن كان من بينهم 35 على الأقل من الذين هم من أصل روسي (1) . . .

بل ان الحكومة قد لجأت الى تشكيل مكاتب خاصة في القاهرة والاسكندرية وبورسعيد يشرف عليها عهد من الروس المعادين للشيوعية وشمة مذكرة موقعة من محمد محمود باشا ومؤرخة في 7 - 11 - 1927 تقرير تعيين المستشار نيولا فينوجرافوف والمدفوازيل نينا تحتاروسلكي والمنسيو الكيندر نيتروف والمدفوازيل فالنتين سيمنوف والمنسيو قونسطنطين كراسنيك مديرين وكتابة المكاتب الرئيسية الزوني في القاهرة والاسكندرية وبورسعيد (2) . . . ان الحكومة ياقتبال كل الروسيين المشتبه في شيوعيتهم ان الاسكندرية والقاهرة وبورسعيد وعددهم 52 شخصا ثم ابعدتهم من مصر في يوليو 1925 حيث يتسلمتهم باخرة روسية اقرت بان ترسو بميناء خارج الميناء (3) . . . وقد وجه قومسيير الشعب للخارجية بالحكومة الشيوعية

(1) No. 391 = 13 MAY 1929 = 5503 - 372/2564 F.O. (1)

مودة بالارشيف العام بالمتحف البريطاني بلندن . . .
 2 - دار الوثائق المصرية - مخظة مجلس الوزراء ديسمبر 1927 - مذكرة موقعة من محمد محمود باشا ، مؤرخة 7 - 11 - 1927 . . .
 3 - الامرام 1 - 8 - 1925 . . . 2741 . . .

احتجاجاً، على هذا سطرده لكن الحكومة المصرية قررت تجاهل هذا الاحتجاج وعدم الرد عليه (١).

كذلك اضطرت حكومة زيور قراراً بعدم السماح بتبيح أو تداول الكتب الشيوعية والإشتراكية أو جلبها من الخارج.

كما أصدرت قراراً بمنع دخول جريدة « الأوفانينه » الفرنسية وجريدة « الإنسانيه » التي تصدر في بيروت أو أية جرائد أو مجلات شيوعية أو اشتراكية . ويعلق الأهرام على ذلك قائلاً « عرمت السلطة عزماً ثابتاً على مكافحة الشيوعية ومبادئها ودعاتها في هذا القطر وغداً هذا العزم يتضح من اتساع نطاق المساعي المبذولة لاستئصال شائفة ذلك الداء الاجتماعي الخطير ».

ثم تقول الأهرام « ان البوليس صادر مؤخراً بعض كتب اشتراكية وجدت عند شباب يوناني يقول أصحابه أنه لا علاقة له بالحركة الشيوعية مطلقاً وقد أرسل هذا الشخص إلى القبارة للبحث في أمره ».

ويختتم الأهرام الخبر قائلاً « ولا شك بأن هذا الكتيخ سيشهد بعد الآن ولا يبعدهما بعد أن علم أن الحكومة البريطانية شديدة الإهتمام بمكافحة هذه الحشرة الممقوتة التي تتخرق قلب السينديكات كما ورد في التلغرافات الأخيرة نقلًا عن كلام وزير الداخلية » (٢).

وقد ظل قرار حكومة زيور يمنع السفن الروسية والرعايا الروس من الحؤول إلى مصر سارياً لفترة طويلة . وحتى عندما استتبت أزمة القطن وزاد المعروض في السوق العالمي وتدهورت أسعار القطن المصري نتيجة لقله الطلب العالمي عليه ، وارتفعت أصوات عديدة تطالب ببيع القطن للروس ، تخرجت الحكومة ضويلاً . وتردعت وأخيراً وبعد الحاح شديد وتحت ضغط الحاجة الإقتصادية الملحة اضطرت للسماح لاثنتين من الروس بدخول مصر وتنتشر الصحف الخبر قائلة « وافقت وزارة الداخلية يوم ٢٥ يوليو على الترخيص لاثنتين من خبراء الروس يتوبان عن نقابة اتحاد النسيج الروسية بدخول مصر ومعاينة أقطان الحكومة وشراؤها كلها أو بعضها وشراء ما يروق لهما من الأقطان المقروضة في السوق ».

لكن الصحف لم تقم أن تؤكد أن الوزارة قد تحققت من أنهما في الواقع خبراء في الأقطان ولا شأن لهما بالدعاية البلشفية ، وأنهما يمثلان نقابة تدغب في شراء القطن المصري رغبة جدية . ولا ريب أن هذا المعامل

١ - دار الوثائق القومية - محافظة مجلس الوزراء نوفمبر ١٩٢٥ (بدون رقم)

مذكورة يحيى باشا إبراهيم إلى مجلس الوزراء بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٢٥

٢ - الأهرام ١٦ - ٦ - ١٩٢٥

الجديد الذي يدخل منذ إن سوق القطن سيكون له أثره النافع وهو ما يمسه
الفضل فيه الى معالي وزير الداخلية بالنمابة الذي جمع بين الحرص على وقاية
البلاد من البلشيفية وبين اتصال الشركات الروسية بالإقطن المصرية (١)

وقد اشترى هذا الخويبان ثلاثة صفتة ضخمة من القطن المصري بلغت
١٤٠٠٠٠ بالة من القطن الجود (٢)

كما ان الحكومة زيور قد أصدرت قانونا جديدا هو قانون الجمعيات
السياسية حاولت فيه تحت ستار محاربة البلشيفية ان تثس هجومها على
كل الأحزاب السياسية المعارضة وقد تحثت مخلة الأمل (الوطنية المول)
عن هذا القانون قائله أصدرت الوزارة قانونا غريبيا أسمته الصحف اليومية
والقانون الجمعيات السياسية، وعندى ان من المجازفة ان يسمى هذا الذي
أصدرته الوزارة قانونا، فالقانون المزعوم ليس اذن الا اجراء استبداديا أرادت
الوزارة ان تتحكم به في وجود الأحزاب السياسية ولكن يظهر لي ان هذا القانون
أو يناجرى هذا السلاح ذو حدين

ثم تفضي مجلة الأمل قائله لقد ذهبت شركة روتتر التي تجد القبول بان
هذا القانون يهدد للثورة ونشوء الجمعيات السرية (٣)

وفي ٢٥ مايو ١٩٢٦ أصدرت وزارة زيور قرارا بقانون، يطلق يدما في
تعقب الشيوعيين وتعد بحس على معاقبة كل من يزاول نشاطا من شأنه
الاضراب بآمن البلاد الداخلي أو الخارجي أو النظام الاجتماعي (٤)

وإذا كانت القوانين التي سنتها الحكومة الرجعية بوجه مقاومة البلشيفية
قد استخدمت بهدف كبت القوى الوطنية الأخرى فان هذه القوى الوطنية
نفسها قد واصلت - هي أيضا - استخدام سلاح القانون ضد اليسار
وعندما نشبت معركة بين السراي واللورد لويد من جانب والنحاس باشا
من جانب آخر عام ١٩٢٨ حول مشروع قانون الاجتماعات حاول النحاس
ان يهرق القانون من فوق جسر العذاء لليسار فتعال في خطاب له في
احتفال أقامه المحامون لتكريمه في ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٨ ان تنظيم
الظاهرات المنصوص عليها في هذا المشروع قاصر على المظاهرات السياسية
وأما غيرها كالمظاهرات الشيوعية وغيرها فخارجة عن أحكام هذا المشروع

- ١ - السياسة الاسبوعية ٣٠ - ١٩٢٧
- ٢ - السياسية الاسبوعية ٢٦ - ١٩٢٧
- ٣ - بالأمل - ١٧ - ١٩٢٥
- ٤ - رؤوف عباس - المرجع السابق ص ٢٦٢

وخاصة للثانوي العام ١٠٠٠ وللبوليس أن يمنع من غير قيد ولا شرط أية مظاهرة شيوعية أو اجتماع شيوعي وقاية للنظام العام (١).
واستمرت حملة المطاردة في التصاعد وتطلب الامر اعتمادات إضافية وتورد في مضابط مجلس النواب الفقرة التالية « الرئيس : وردت مكاتبة من وزارة المالية بشأن فتح اعتماد اضافي بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه تحت بند المصاريف السرية بديوانية وزارة الداخلية لانشاء مكاتب لتسجيل الرعايا الروسين ومخضارية الشيوعية فهل توافقون حضراتكم على احوالها الى لجنة المالية ؟

(موافقة عامة) (٢)

ويبدو أن النواب في لجنة المالية كانوا يتوون مناقشة الامر بصورة جدية والسؤال عن جهات الصرف واسباب الزيادة وغير ذلك مما قد يؤثر في المناقشات البرلمانية. وان وزارة الداخلية خشيت من مثل هذه المناقشة فعادت وسحبت طلبها ..

وأبلغ رئيس المجلس الاعضاء في جلسة تالية ان هناك مكاتبة من لجنة المالية بتغيير وكيل المالية قرر امام اللجنة ان الوزارة رأت سحب طلب الاعتماد لوجود وفورات بالبنود الاخرى أمكن بها سد عجز المصاريف السرية (٢) .

لكن الامر لم يقتصر على ذلك كله ، بل تجاوزه الى حد تلفيق القضايا واتهم وثمة أمثلة عديدة نكتفي بإيراد مثل صارخ منها ١٠٠ وهو مثال تناولته صدف هذه الفترة تحت عنوان « المؤامرة الموهومة » .

« ففي ٣ أكتوبر ١٩٢٧ طلعت الصحف على الناس بخبر مؤامرة لاغتيال جلالة الملك وتقلب نظام العرش في مصر . وظهر بعد التحقيق الدقيق أنها مؤامرة وهمية . . . وتحرير الخبر أن شخصا يدعى على أفندي محمد شحاتة مستخدم بمصلحة التلغرافات ، قدم في ٢١ يونيو ١٩٢٧ بلاغا إلى إدارة الامن العام يدعى فيه بوجود مؤامرة لاغتيال جلالة الملك أثناء رحلته في أوروبا وتقلب نظام الحكومة التي جمهورية واتهم في هذه المؤامرة بعض أعضاء الحزب الشيوعي القديم ومحمد بك حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني الذي قال عنه

— أحمد شفيق باشا — حوليات مصر السياسية — الحولية الخامسة

من ٣٧٨

٢ — مجلس النواب . مضبطة الجلسة الثامنة عشر برئاسة سعد زغلول باشا جلسة ١١ يناير ١٩٢٧ ص ٢٤٥ من المضبطة الرسمية . — ٧

٣ — المرجع السابق — جلسة ٢٥ يناير ١٩٢٧ ص ٢٨٩ . — ٧

وانه سبأفر الى أوروبا ليقوم بالذباير الخاصة بها هناك. وقال ان البولشفيك
 الروس يمون المتأمرين بالنان فيه. وبعبء التحريات. الحقيقة التي استغرقت
 نحو شهرين ظهرت الحقيقة وهي أن المبلغ كاذب تماماً ادعاء (١)
 ويلاحظ أن المؤامرة لم تمتد فقط لبعض أعضاء الحزب وإنما شملت أيضاً
 محافظاً ررضان ولم يكن اختياراً حافظاً ررضان بالتحديد. مخلص. مضافة. وانما
 ينبغي علاقاته بالعصبة العالمية للنضال. ضد الامبريالية. ضد الامبريالية. ضد الامبريالية.
 وبرغم ثبوت كذب البلاغ الذي قدمه محمد علي شحاتة التي أكدت صحف
 هذه الفترة انه كان لفترة طويلة عميلاً للبولشفيك وأنه حصل من قواثر الامن
 على مبلغ كبيرة من المال. وأنه سبق أن أبلغ عن مؤامرة سابقة وحصل
 على ألف جنيه من البولشفيك (٢). من تأريخ البلاغ. من تأريخ البلاغ. من تأريخ البلاغ.
 وبرغم أن بقية الذين تناولهم هذا البلاغ الكاذب وهما روزيقيال. والبقية
 شارلوت قد اتقما دعوى البلاغ الكاذب ضد المبلغ.

فإن الصحف الرجعية لم تنعم وسيلة للتشهير بالحزب فعادت لتتهم المبلغ
 نفسه بأنه شيوعي. ووضفته بأنه. وبجرائه. وعصبي. المزاج. وسريع الغضب.
 بسبب آرائه والمبادئ الشيوعية التي اعتنقها. ويدين بها. ويدافع عنها. ويروجها
 في كل مكان (٣).

فإن البولشفيك الدائم والمستمر. كان التثبيته. والتثبيته. المستمر
 بالحزب وأعضائه. وتنظيم عملية المطاردة والهجوم. بحيث تظل ساخنة على
 الدوام.

لكن الأمر لم يقتصر على ذلك كله بل تعداه الى مطاردة الاشخاص الذين
 كانوا في يوم من الايام على علاقة بالحزب رحتي ولو قطعوا علاقاتهم به بعيد
 ذلك.

وقد تركز الضغط البولشفي في ذلك الحين على الاعضاء القدامى كمن
 يستنكروا. مبادئ الحزب. لكن زيادة الاستنكار. الذي كان يفتزع تحت
 خطوط وتهديدات عديدة. لم يكن سوى مقبلة لبداية الاضطهاد الحقيقي. فبعد
 تجريد العضو من ارتباطه بالحزب عن طريق الاستنكار كان من المتعين مطاردته
 واضطهاده اضطهاداً مستمراً حتى يكون باستمرار عبء لغيره.

- ١ - أحمد شفيق باشا - حوليات مصر السياسية - حولية السنة
 والرابعة - ص ٥٩١١
- ٢ - الامزام من ٣-١٩٢٧ الى ١٩٢٧ - ص ٧١٤١
- ٣ - المرجع السابق - ص ٧١٤١

في ريزوي وحافظ سني، أحد مؤيدي شعبة الحزب بالمنصورة قصته قائلا :
« الحقيفة انتم مارسوا ضدّي ضغطا شديدا جدا ، وأنا كنت اعمل في
مجلس المديرية وهددوني بالفضل وتشريد اولادي واخيرا خضعت للضغط
وكتبت استقالة من الحزب لازلت اذكرها بالنص وهي :

« ربما ان العمال في مصر بين فوات ثلاث ، الاستعمار الظالم والحكومة
التي تربت في احسانه ، والقابضون على زمام الاموال ، فان على العمال ان يكتفوا
بحزب عمالي وان يبتعدوا عن الشيوعية والاباحية . وطبعا هذه الضيقة لم
تعجب مدير الدقهلية لكنني رفضت تعديلها »

واواصل سؤال الرجل :
« هل فعل آخرون مثلك ؟ »
« نعم ، ضعف البعض مثلي والبعض رفض ، والحقيفة ان الذين ضعفوا
كانوا جميعا موظفين بالحكومة لان سلاح الفصل من الوظيفة كان سلاحا
مخيفنا جدا . »
« وهل اكتفت السلطات بهذه الاستقالة ؟ »

« نعم ، اُكتفت بها في البداية ، لكنها عادت بعيد ذلك الى تشريدنا جميعا
فانا وكثيرين فصلنا من العمل ، ومحمد عبد الجليل فصل ثم أعيد للعمل
بشرط نقله الى سوهاج وعلى العموم ظلت جملة التكييل والاضطهاد
والترقيش تلاحقنا بشكل مستمر حتى ما بعد ١٩٢٠ . »

« بل ان البوليس كان يستدعي أي شخص يتصل بنا لأي سبب من
الأسباب حتى ولو كان مجرد قريب أو صديق شخصي ويجذره من الاتصال
بنا » (١)

وتحمل لنا الذكريات الشخصية لهؤلاء الرجال نماذج غريبة من
الاضطهاد ، قال الشيخ صفوان تطارد زوجته وهو بالسجن ويضغط عليها
البوليس كي تنفصل عنه لكنها ترفض (٢)

والشحات ابراهيم ظلت زوجته وأطفاله الجياع نمونجا يتردد في
الصحافة لردع أي عامل فقير عن التفكير في النضال السياسي ، لقد تحدث
الكثيرون من الصحفيين ومنهم أحمد الصاوي محمد في كتاباتهم عن السيدة

١ - راجع محضر النقاش معه في د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة
الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ٢٦٧ .
٢ - راجع محضر النقاش مع عبد الرحمن فضل ز في المرجع السابق :

الخطيئة . زوجة الشحات . واولادها ووصفوا كيف يعانون من الجوع والتشرد وايوم في السجن . ولم يقدم لهم اى انسان اية مساعدة وانما تركوهم هكذا نمودجا رادعا للعمال المصريين . (١)

ويحكي مصطفى حسنين المنصوري أحد رواد الفكر الاشتراكي مصر ماساته ، والاضطهاد الذي تعرض له عام ١٩٣٠ . ورغم انه قيد قطع علاقته نهائيا بآى عمل سياسى منظم منذ الأشهر الأولى للنشأة الحزب الاشتراكي في عام ١٩٢٩ .
يحكى المنصوري فيقول :

كنت مديرا للتعليم في مجلس مدينة الفيوم ، وكان المدير هو في نفس الوقت رئيس مجلس المديرية . وحدث خلاف بيني وبينه تطور الى حد التشاتم . فجمع شهودا من بعض المعلمين واستكثلم اتهامات ضدى تشمل جميع الجرائم التى يعرفها البشر من رشوه الى سوء الأخلاق مع المعلمات وما الى ذلك . وتقدمت بشكوى الى وزارة الداخلية بأن المدير يرتب ضدى هذه الاتهامات في السر ، ورجوت ارسال محقق من قبل الوزارة ، وأرسلت الى وزارة المعارف التمس منها أن ترسل مفتشا للتحقيق ، لم أجب الى طلبى . ولجات الى نيابة الفيوم طالبا التحقيق ، فقا كان من المدير الا ان استصدر أمرا بإيقافى . ثم جمع مجلس المديرية وقرر فصلى من الوظيفة وصرفت ٣٠٠ جنيه مكالفة . ولم يكف حمد الباسل باشا بذلك ، فسعى لدى رئيس الوزراء النحاس باشا لالقاء الكيانفة بحجة اننى ضد الوفد . لقد بلغت التهم التى كالوها لى نحو ١٢٠ تهمة ، صحيح ان الفكر الاشتراكي لم يكن ضمن هذه التهم ، ولكننى اتهمت بالكفر ، وبأننى غير مؤمن بالدين الاسلامى ، وادعوا أن كتابى يشهد على ذلك .

ويقول المنصوري في مرارة لن اننى ما حينيت ذلك اليوم الذى وصلنى فيه خطاب الاستغناءت لقد كان يوم ٢٠ ابريل ١٩٣٠ . ولم يكن معى سوى ١٥٠ قرشا . (٢)

والحقيقة بان الرجعية المصرية عند اعدت نفسها لحرب طويلة الامد مع كوادل الحزب . وعندما نوقشت فكرة انشاء معتقل سياسى خاص بمجرمى

- ١ - الاهرام ١ - ٥ - ١٩٢٥ - مقال أحمد الصاوى محمد - على اطلال المذنب الشيوعى .
- ٢ - أمين عز الدين - المنصوري ، سيرة مثقبي ثورة - دار الغد العربى - القاهرة - (١٩٨٤) - ص ٥٥ .

الرأى ، تحبذت الصحف هذه الفكرة ولأنه بات مننتظرا أن يكون اضيوعه
كثيرين وبصينة دائمة (١) .

ويختالول احمد الصاوي محمد ان يصف هذه الحملة المسعورة فيقول
في مقال له بعنوان « في الشيوعية وفي التربية » .
« ان الانسان ليدهش اذ يرى حكومتنا قد جردت خيلها ورجلها
للضرب على أيدي الشيوعيين حتى أصبح شبح « روزنتال » ، ماثلا لها في
كل مكان وفي كل انسان » (٢) .

وبعد كل هذا الارهاب المستمر كان من حق الرجعية ان تتباهى في
زمو معلنة « ان زعماء الحركة الشيوعية يشكون من الفشل في نشر الدعوة
البولشفية في مصر » ويقولون انها تربة غير صالحة لها . لسبب الشدة الذي
تتخذها ادارة الامن العام في مطاردة الرفقاء ومراقبتهم والقبض عليهم
وابعادهم » (٣) .

فهل كان الاهرام محقا في تباهيه هذا ؟
وهل أمكن للاضطهاد المستمر والمطاردة العنيفة ان تجعل أرض مصر
تربة غير صالحة للنشاط الشيوعي ؟

هذا ما تستهدف الصفحات القادمة ان تجيب عليه بالنفي .
لكن الذي لا شك فيه ان هذا الاضطهاد الوحشى الذى لم يسبق له
مثيل قد أعاق الى حد كبير النشاط الشيوعي ، ودفع به الى اخفاقات
ومسالك وعرة ، وصعوبات بالغة وتضحيات جسيمة ، غير انه لم ينجح
مطلقا في ان يغلق باب مصر في وجهه ، ولم ينجح مطلقا في ان يوقف
المسيرة .

ففي ٦ أكتوبر ١٩٢٤ - وهو نفس اليوم الذى صدر فيه حكم محكمة
جنابات الاسكندرية بالسجن على أعضاء اللجنة المركزية للحزب - تشكلت
اللجنة المركزية الجديدة .

وكانما كان اختيار هذا اليوم بالذات تحديا للارهاب الحكومى واعلانا
لتصميم كوادر الحزب على مواصلة النضال . وقد تكونت اللجنة سرا .
ومارست نشاطها سرا .

- ١ - احمد شفيق باشا - الحولية الرابعة - المرجع السابق ص ٩١ .
- ٢ - السياسة الاسيوعية - ١٧ - ٩ - ١٩٢٧ .
- ٣ - الاهرام - ١٠ - ٤ - ١٩٢٧ .

وهكذا تلقى الحزب الدرس من الضربة التي وجهت إليه في مارس ١٩٢٤
وكان قرار العمل السرى ، مثارا لجهد شديد داخل صفوف الحزب
عاز البعض من بقايا التيارات اليمينية التي مارست نفوذا واسعا عندما
تأسس الحزب في ١٩٢١ كانوا يرون أن السرية هي السبب في كل الكوارث ،
وانه اذا كان القانون والدستور لا يسمحان بالشيوعية ولا بالاشتراكية
فلا أساس من البحث عن مخرج بالعمل على تأسيس حزب للعمال . . . أو
ما سابه ذلك ، بحيث لا يضطر الحزب مطلقا الى العمل خارج حدود
القانون .

وكانت شعبية المنصورة ، أحد المراكز التي سيطر عليها هذا التفكير
« القبانوي » ولم يكن هذا غريبا فقد رأينا في الجزء الاول - كيف أن
أحد مؤسسيها كان عبد الحميد الطوبجي (وهو واحد من أبناء الأشر
الغنية بالمدينة وكان متأثرا الى حد كبير بانكار حزب العمال الانجليزي
حيث درس في إنجلترا لفترة طويلة من الزمن) . . . وقد استنطاق عبد الحميد
الطوبجي ، مستندا الى حجة قوية هي سيف الارهاب البشع الذي تسلط
على أعضاء الحزب بالمدينة والمطاردات المستمرة أن يقنع بعض أعضاء
الشعبية بالعمل معه على تأسيس حزب تجنيد باسم حزب العمال .

وأسرع الطوبجي بالعمل بالرغم من معارضة قيادة الحزب لهذا
الاتجاه الاستسلامي واليميني ونجح بالفعل في تجميع مندوبين يمثلون
مختلف المهن بالمنصورة وعقدت جمعية عمومية انتخبت مجلس إدارة لحزب
العمال بالمنصورة وتولى رئاسته كامل يوسف صالح رئيس لجنة الوند
بالذقيلية وكان الوكيل عبد الحميد الطوبجي . . . وقد ضمت اللجنة الإدارية
للحزب الجديد عددا من الشيوعيين القدامى أمثال رضوان الألفي (ممثلا
للأسطرجية) والسعيد الصبري (ممثلا للجزمجة) (١)

لكن هذا التجمع لم يعمر طويلا وما لبث أن تفرق عندما أبعد الوند
عن الحكم وجاء زيور بارهابه .

وثمة دلائل - غير مكتملة - تشير الى أن بعض شعب الحزب الاخرى
تبدلت في اتجاه مماثل ، مثل شعبة العطف . . . لكن الاتجاه العام
في الحزب رفض هذه الفكرة وصمم على مواصلة النضال سرا . . .
لكن ذلك لا يعني أن الحزب - الذي لجأ الى العمل سرا - لم يستفد من
المنابر العلنية بمختلف أشكالها ، بل على العكس من ذلك فان اللجنة المركزية

الجديدة قيد سارعت الى تأسيس مجلة « الحساب » كمنبر على الحزب
بالاضافة الى مجلة سرية (١)

وقد استطاع الحزب ان يتولى الاشراف على اصدار مجلة الحساب بعد
ان صدرت كمجلة عادية لفترة من الوقت وابتداء من العدد الحادي عشر الصادر
في ٦ مارس ١٩٢٥ أعلنت « الحساب » عن نفسها كجريدة « الطبقة العاملة
المصرية »

وفي مقال الانتحاحي لهذا العدد حددت مجلة الحساب اهدافها فقالت :

لأجل الطبقة العاملة من فلاحين وعمال أنشأنا هذه الصحيفة ، لأجل
اسماع السلطات الحاكمة وباقي الطبقات في مصر صوت هذه الطبقة البائسة
المظلومة أقدمنا على هذا العمل الشاق الذي طالما عجلت النفس الى خوض
أمواجه المتلاطمة فصدمتها العقبات والموانع فأقدمت تارة بضع خطوات الى
الأمام - وتراجعت طورا الى الوراء بضع خطوات . ان الطبقة العاملة في مصر
هي أكثر الطبقات عددا وبؤسا ، وأقلها نصيبا من اعتناء الحكومة والعمل
على رفع مستواها وازالة المظالم عنها . . .

ونمضي مجلة الحساب قائلة وهكذا نرى ان الفرق بين طبقات الشعب
المصري كبير جدا وبين وظاهر واضح . فمن فلاح مسكين يملك من الأرض لا شيء
ويعمل في أرض سواه بما لا يسد له زمقا ولا يقيه من جوع أو برد من برد ،
الى مالك غني يحوز ألف فدان أو أكثر . من فلاح فقير يملك بعض الفدان أو
فدانا أو اثنين أو ثلاثة على الأكثر ، الى ثرى من كبار المالكين قد تتجاوز
الفدادين التي يملكها العشرة آلاف أو تزيد . ومن ابن فلاح يعمل طول اليوم
في الحقل لقاء قرشين أو قرش ونصف القرش في الايام العادية . الى موسر
غنى يصرف بلا حساب ويرمي الجنيهات كيفما اتفق . . . ومن عامل اما يشتغل
لحسابه فيعمل يوما ويعيش بلا عمل لعدة أيام مكرها فلا يزيد أجره اليومي
عن سبعة قروش أو أربعة قروش . . . أو يشتغل في شركة من الشركات الأجنبية
بريال كل يوم يخصم نصفه أو أكثر من نصفه ما بين جزاءات وغرامات
واجازات اجبارية وغلطات حسابية وألف ضريبة أخرى ، من عامل هذا شأنه
الى صاحب عمل لو طحن الذهب وعجنه بدل الدقيق وأكله خبزا ابريزا لما تمكن
ان ياكل هو وآله وأقاربه وخدمه وحشمه ورعايقاته وسراريه عشر دخله
اليومي . . .

منه سولا تخفى مجلة الحساب نفسها فهي تلمح في نفس المقال الى انها امتداد
لتصال تديم ، كنا ممن اندمج في حركة العمال منذ تجدد نهضتهم الى الآن
وجاءت معها معهم وتمشينا وايامهم درجة درجة فاختبرناهم واختبرونا ، فقد
عزمت على اصدار هذه الصحيفة كل اسبوع - مؤقتا -
ثم تأكد آخر و منحخص جريدتنا هذه مجرد خدمة العمال لتكون
صوت العمال ، فلا يسمع من على صفحاتها صوت آخر ، ولا تختم هيئة
غير حياتهم ، ولا شخصا غير اشخاصهم واشخاص الذين يعطون عليهم ويسعون
في منافعهم وفي سبيل وصولهم الى حقوقهم

وقد اهتمت مجلة الحساب بالحركة النقابية اهتماما كبيرا فقدمت
سلسلة من المقالات ابتداء من العدد ١١ حتى العدد ١٧ الصادر في ١٨ مايو
١٩٢٥ حول كيفية تأسيس النقابات. كما نشر نقابية لحرمة الطبقة العاملة
وكيفية ممارسة العمل النقابي على اساس ديمقراطية وقدمت بشكل تفصيلي
وجلية نظر الحزب في مختلف القضايا النقابية
التي ناقشت ، الحساب ، سلسلة من القضايا الهامة واعطت سياسة
الحزب في كثير من المواقف ، وتناشمت قضية تأسيس حزب العمال والفلاحين

لكن والحساب ، لم تكن الوسيلة الاعلامية الوحيدة للحزب ، فقد كانت
هناك مجلة الحرية والكتيب الماركسية التي ترجمها الحزب واصدرها باسماء
مبتعارة ، ان احدهم ترجم كتابا في الشيوعية باسم محمد عنتر المصري وظهر
ان المترجم لهذا الكتاب هو رفيق جبور افندي (١)
وكانت منشورات الحزب توزع بكثرة وتسير الاحرام الى منشور سري
ظهير مؤجرا واستخلص منه ان الحركة الشيوعية لا تزال قائمة في البلاد (٢)
وتقول الاحرام ايضا ، ثبت من التحقيق في قضية الشيوعية ان المعتدلين
كانوا يذيعون بين حين وآخر منشورات لاستمالة الجمهور الى الشيوعية كلما
حدثت حادثة مهم في مصر وقد ضبط كثير من امثال هذه المنشورات التي كانت
توزع خاصة بين الفلاحين (٣)

وخلال انتخابات زيور محمد الحزب الى تاسيس منبر علني يخوض به
معركة الانتخابات داعيا العمال التي ترشيح انفسهم ، والى انتخاب مرشحين

- ١ - الاحرام ١٧ - ٦ - ١٩٢٥ - في تطبيقه على نتائج التحقيق مع بعض
المقبوض عليهم
- ٢ - الاحرام ١ - ٦ - ١٩٢٥
- ٣ - الاحرام ١٩ - ٦ - ١٩٢٥

عمالين ملتزمين ببرنامج أعدده الحزب . . . وسمى هذا المنبر الجديد « اللجنة الدفاعية عن حقوق العمال والعمال » . وقالت مجلة الحساب أنها « كانت أول مرة من بعض الأشخاص الغيورين الذين يهتمون بشأن الطبقة العاملة » (١) .

وأصدرت اللجنة منشورا يتضمن برنامجا انتخابيا لكن البوليفيش صادرة من المطبعة فأعدت مجلة الحساب نشره (٢) . . . وأكدت المجلة « أن أعضاء اللجنة لا يزالون متمسكين بهباتهم وعند حسن ظن الطبقة العاملة بهم ، ولكن الظروف الجانبة التي استتعدت لهم للمودة إلى الاجتهاد » .

كذلك استمرت « لجنة المعونة الحمراء » في الوجود وهي لجنة تقوم بجمع تبرعات لتقديم معونات مادية للعمال المضربين وقد استمر نشاطهم حتى عام ١٩٣١ . عندما قدمت مساعدات لعمال مرفق مياه أسبوت في اضرابهم (٣) .

كذلك فإن الحزب لم ينس في فترة المصاعب التي واجهها الاحتمال بعيد « أول مايو » . فقد أصدر بياننا موقعا من « رفيق جبر » ، نشرته مجلة الحساب جاء فيه :

« ان أول مايو هو رمز التضامن المشترك بين عمال العالم الذين يجاهدون في سبيل تحرير طبقتهم وتحسين أحوالهم » .

ويبدو أن الحزب قد قرر أن ينتهز هذه الفرصة ليعلن عن برنامج مرحلي يناضل العمال من أجله فالبيان يتساءل « ما هو المطالب التي يجدر بالطبقة العاملة المصرية أن تطالب بها في مثل هذا اليوم ؟ » ثم يجيب « علينا أن تطالب بجلاء الجيش الانجليزي عن التظر المصري . وباستقلال مصر الكامل ، بإلغاء الامتيازات الاجنبية التي تقضى على حياة البلاد الاقتصادية والسياسية . ويجعل ساعات العمل ثمانى ساعات في اليوم ، ويتحدد حد أدنى لاجور كل طائفة من طوائف العمال ، وأن تقاوم الحكومة غلاء الحاجات المعيشية الاولية ومعاقبة المضاربين فيها ، على الطبقة العاملة ان تطالب بالبيوت الضخمة ، وبالعلاج المجانى ، وبمقاومة البطالة بإنشاء مشروعات عامة في البنسدان لتشغيل العمال العاطلين » . ويتوزع بعض اراضي الحكومة على فقراء التلاحين لاصلاحها واستغلالها مع تسهيلها عليهم هذا العمل ، وبزيادة الضرائب على نسبة كبر الثروة والتعليم الاجبارى المجانى لطبقة الشعب » .

ثم يمضى البيان مخاطبا جماهير الشعب المصرى كلها قائلا « هذه هي المطالب والحقوق الاولية التي يجب على الشعب المطالبة بها » . وعلى الشعب

١ - الغزالي - المرجع السابق - ص ١٣٣ .

٢ - راجع الملاحق .

٣ - لاكور - المرجع السابق - حاشية ص ٣٧ .

أن يكون شعاره : نريد أن نعيش في بلاد خرة كمواطنين أحرار ، ولكن يضل
الطبقة العاملة الى هذه المطالب يجب ان تنظم صفوفها في هيئات ونقابات
للخاصة والا فانها لن تحصل على شيء .

وهكذا يحدد الحزب هدفه الأساسي و تنظيم العمال في هيئات ونقابات
خاصة بهم .

ثم يحدد ما يسمى في الأدبيات الماركسية - بتجاه الضربة الرئيسية -
وهي عزل العناصر البرجوازية والرجعية عن هذه التنظيمات . فيمضي البيان
قائلا : على كل عامل مصري حقيقي أن يقول لنفسه . في يوم أول ما ي
أن واجبي أن أسعى لتقوية نقابتي ، لأتمكن مع رفاقي من وضع مطالبنا والسعي
للحصول عليها ، يجب أن أعلم إن هيئة الطبقات العاملة المنظمة هي وحدها
التي تدافع عن حقوقى فيجب أن أسعى لطرد كل طفيلى غريب من العمال يندس
بينهم لمصلحته الخاصة . على أن أفعل ذلك لأخبر نفسى وزملائى من الانحطاط
الخائف والمعنوى ولأحصل على حالة معيشية لعائلتى أحسن من حالتها الحاضرة
ولأهوى مستقبلنا حسنا ان لم يكن لى ثلاثى (١)

ولم يكتب الحزب باصدار بيان بهذه المناسبة ، لكنه حاول قدر طاقته
وبقدر ما سمحت به ظروف مصر في ذلك الحين أن يحتفل بهذا اليوم احتفالا
جدا مبريا سجل نتائجه بصورة موضوعية خالية تماما من المبالغة ولا يزال عمل
للقطر المصرى يجهلون حقيقة أهمية عيد أول مايو والغزى الذى فيه من تضامن
عمال العالم بقصد اتحادهم على المطالبة بحقوقهم واظهار حقيقة قوتهم
المعنوية ويقتظهم ونهوضهم ولذلك فقد مر هذا العيد في جميع أنحاء البلاد دون
أن يشعر به أحد اللهم الا في أماكن قليلة .

ثم يمضى المقال أو بيالفة التقرير الذى تنشره مجلة الحساب عن نتائج
الاحتفالات بتعداد الاماكن التى اجتمعت فيها العمال بهذا العيد . نفس
العاصمة اجتمع عدد من عمال نقابية ترام القاهرة في دار نقاباتهم بحيث تكلم
أحد الدعويين عن أصل هذا العيد ومعناه ومراهبه وعن تأثيره وفوائده وما جفاة
العمال في اتحاد كلمتهم على جعله عيدا عاما لهم .

لكن الاحتفال في بورسعيد التى كانت منذ البداية واحدة من قلاع الحزب
قد اتخذ صورة أشمل ، أما في بورسعيد فقد احتفل جميع العمال بين العمل
واحتفلوا بعيد أول مايو احتفالا شائقا إذ أقاموا في حي الأفرنج سرايحا واسعة
جدا اجتمعت فيه جماهيرهم لسماع الخطب القيمة . وقيل الظهر بساعة
خرج المجتمعون في مواكب ضخمة متلاحقة يتقدمهم الموسيقي وفرقة راكبي

التدريجات والمؤتمرات . وكانت كل فئة من العمال تحل علمها الخاص بها وتندسارت هذه المظاهرة الهادئة المفرحة في وسط شوارع المدينة حيث كانت تقابل في كل مكان مرت به بالابتهاج للعمال وبالتصنيق الحاد . ولم يتعرض أحد من رجال الإدارة للمتظاهرين فلم تقع أية حادثة ولو طفيفة وبسيطة وهذا كبر دليل وبرهان على أن الحوادث التي تقع إبان اجتماعات الجماهير إنما يسببها تعرض قوات الإدارة ومحاولة منعها بالقوة . . .

وبعد أن طافت الجماهير العاملة معظم أحياء المدينة انهمت حسب البرنامج الموضوع لها من قبل عادت إلى المكان الذي بدأت منه . وأخذ أفرادها يهتفون بعضهم بعضاً بهذا العيد مفرحين عن أمليهم بأن يروه ثانية ومصر ممتعة باستقلالها ، حائزة على حقوقها من غاصبها والطبقة العاملة على أحسن ما يرجى لها من الاتحاد والوثام (١) .

ويبدو أيضاً أن الحزب كان يمارس نشاطاً جماهيرياً وسط البحارة إلى درجة أن أحد التقارير السرية المرفوعة من وزارة الخارجية المصرية إلى السفارة الانجليزية في ٨-١-١٩٢٥ يتحدث عما يسميه عملاء الكومنترن بمصر ذينكر شخصاً اسمه مراد حافظ ثم ينكره نادي البحارة بالاسكندرية (٢) .

والقصة التي يرويها طاهر العربي عن علاقته بالحزب توضح أن الحزب كان جم النشاط في هذه الفترة . فقد تعرف إلى كونستانتين فايس « أنيجور » عن طريق رفيق جبور الذي قدمه له على أنه « مكاتب لجريدة عمالية دولية خضر نصر لدراسة حالة العمال والفلاحين » وحدثه فايس طويلاً بالانجليزية . وأخذ يندد بالاستعمار والرأسمالية وسوء حالة العمال والفلاحين المصريين وأنهم أسوأ عمال وفلاحى العالم .

ويمضى العربي قائلاً « واستمرت الصلة بيننا وعرفنى بكثيرين من أصدقائه ومنهم الانجليزى واليونانى والفرنسى والسورى والمصرى وأكثرهم من رجال العلم والأدب والثقافة » .

وقال العربي أيضاً أن فايس قد أمده بعدد من المنشورات العمالية (٣) .

ولعل إشارة سريعة وردت في خطاب نشر باسم محمد صديق عنتر في

١ - الحساب ٨ - ٥ - ١٩٢٥ .

٢ - مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية . محفوظة بالتحف البريطانى والوثيقة تحت رقم

F.O - 371 . Egypt And Sudan — Piece No. 11010 .

٣ - محمد طاهر العربي - المرجع السابق - ص ١٨٧ .

محنة ، الحجاب ، توضح لنا موقف الحزب في هذه الفترة الصعبة وفي مواجهة حملة الإرهاب العنيفة فالخطاب يسأل أو بالدقة يتطاهر بأنه يسأل كي يجد الفرصة لنشر الإجابة ولماذا لا تبدلين جهودكم في سبيل إنشاء حزب للطبقة العاملة مع أن جميع الوسائل متوفرة لديكم من وجود جريدة تحت تصرفكم وجموع كبيرة من العمال تنق بكم ثقة لا حد لها (١) .

ولم يكن بإمكان الحزب أن يرد غلظاً على صفحات «الحبابة» مؤكداً أن شية حزب العمال موجود بالفعل ولكنه يعمل بسرراً ، واكتفى الحزب بأن نشر عدداً من المقالات ومنها بعض أعضائه مثل «رفيق جبور» والشاعر «محمد رمزي نظيم» يؤكد ضرورة قيام الحزب كإصلاح طبيعي فعمال في يد العمال والفلاحين (٢) .

لكن اسم محمد صديق عنتر يستوقفنا فهو كما تؤكد تحريات البوليس في ذلك الحين الاسم السري لرفيق جبور . وغير هذا الاسم قدم رفيق جبور أكثر من جديد نظري وإعلامي . صدر كتاب مترجم عن الفرنسية بعنوان «النيادي» الاشتراكية ، تأليف كارل لوس رايبرورت وترجمة محمد صديق عنتر المصري .

وفي الصفحة الثانية برواز ، نشر هذا الكتاب لأول مرة في جريدة الامانتية سنة ١٩٢١ وترجم إلى عشر لغات في ذات السنة ، ثم منقحة بقلم المترجم تقول في تحرير وتسميد «الي القاري» ليس هذا الكتاب رواية قطالعه على عجل ، ولا صحيفة اخبارية تلقى عليه نظرة سطحية ، ثم نشبه من يكت في زوايا النسيان ، أن هو الإمبادي ، قد سادت بلاداً كثيرة شاسعة الأطراف ويجب أن تستود العالم يوماً ، فاقراء ، وهذه الفكرة أمام عينيك ، ثم أرجح اليه كلما قرأت في الصحف نبا من انباء انتصار هذه النأدي في العالم ، وهي انباء ستؤول الي بكثرة كما سيريك المستقبل .

لقد كنت مثلكم حائراً في معرفة نهاية الطريق الذي يجمعنا اليه الهيئة الاجتماعية الحاضرة ، وقد عرفت هذه النهاية الآن وهي أنا وأصلون يوماً لا محالة ، الي سيادة اليادي ، التي تعرضتبا عليكم في كتابي هذا ، فترتاح الانسانية من تنازع الطبقات وظلم الانسان لاجبه الانسان فاقراء هذه اليادي ، وأدرسوها ، واجنظوها فهي ستسود بلا ريب (٣) .

- ١ - الحباب - ١ - ٥ - ١٩٢٥ : ٢٠
٢ - الحباب - ٨ - ٥ - ١٩٢٥ : ٢٠
٣ - محمد صديق عنتر المصري (مترجم) - النأدي الاشتراكية - (٢٠) ابريل ١٩٢٥ - المطبعة العربية بمصر - شارع المزين الموسكى - ص ٥

وفي نهاية الكتاب المترجم نقرأ خاتمة بقلم « طالب معونتك - محمد صديق
عتر ، ٠٠ يقول فيها « ٠٠ وإذا ظننت - كما كنت أظن أنا نفسى في زمن
مضى - ان هذه المبادئ ليست سوى مجرد نظريات خيالية قد لا يمكن تحقيقها
فأرجح ان تعيد قراءتها ، وتأخذ كل فكرة منها على حدة وتتأمل بين
حاز لهيئة الاجتماعية في الماضى وبين حالتها اليوم ، فترى بوضوح وجله
كيف تفسر الانسانية بخطوات واسعة نحو تحقيق هذه الافكار والمبادئ ،
وكيف ، ان ما كان في الماضى مستحيلا قد حقق فيما بعد مع توالى الأيام ، (١)

ثم وعد من الحزب ٠٠ « وسأتبع كتابى هذا بكتب اخرى فكلما رايت
اسم رفيقك « محمد صديق « على كتاب اعرف انه تقديمه منى اليك ، وقد
سميت نفسى رفيقك وأنا متأكد انك حائسا تقف عن هذه المبادئ نصيح ، رفاقا ،
وان كنا لم نتعارف بعد ، »

ويضيف « اما انت ايها العامل المصرى المظلوم ، فلاجلك خصيصا قد
ترجمت هذا الكتاب ، ومن أجلك سانشركتبا اخرى في هذا الموضوع ٠٠ فانسع
الى نشرها بين زملائك وأولادك وذوى قرباك ، وجاهد في سبيل سيادتها ٠٠

وكلما ساور الياس نفسك من ظلم نخيك الانسان لك ، فاذاكر مبادئ
عذه وتذكر ان لا خلاص لك الا بنشرها وجدد همك ونشاطك في سبيل رواجها
ليقرب يوم الخلاص .

ان كاتب هذه الاسطر رفيق من رفاقك ، وعامل من العمال معك ، وهو
يبذل جهوده في سبيل سعادة الطبقة العاملة في المستقبل ، فهلا شاركته في
هذا العمل ؟ (٢)

وبرغم ضآلة المعلومات التى يمكن ان تبقى عن نشاط سرى لحزب مثل
هذا الحزب في ظل ذلك الازهاب الشديد للثورة فان الطبيعة الراسمة لهذا
النشاط يمكن ان تتضح من الصورة التى حاولت الصحف البريطانية ان ترسمها
له مع بعض المبالغة .

فالاهرام تنقل عن الديلى ميل تلغرافا مراسلها بالقاهرة يقول فيه
« حدثت ضجة عظيمة من جراء عصابة شيوعية كبيرة في مصر ، »

وينقل ايضا عن الديلى كرونيكل تلغرافا مراسلها بالشام قال فيه
« قامت الدلائل على وجود مؤامرة بلشوية واسعة النطاق لتدبير ثورة شيوعية

١ - المرجع السابق - ص ٦٣ .

٢ - المرجع السابق ص ٦٢ .

في مصر تكون جزءا من مشروع يرمى الى اثاره أفريقيا كلها في وجه الدول
الاستعمارية (١)

وكان الإهرام قد نشر في اليوم السابق مقالا بعنوان تجديد الحركة
الشيوعية في مصر وفلسطين أورد فيه تلغرافا لمراسله في لندن يقول نشرت
جريدة الديلي اكسبريس تلغرافا لمراسلها في القديس قال فيه « تبذل الشيوعية
الدولية والجمعية التجارية الحمراء الدولية مجهودات عظيمة لتقويض أركان
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين وهم على اتصال وثيق بمصر
بواسطة وكيل مقنن ينتقل باستمرار بين فلسطين ومصر »

ويبقى الأهرام قائدا وقد وصلت الى الحكومة المصرية في اليومين
الماضيين اخبار هذه المجهودات التي تبذلها الشيوعية والجمعية التجارية
الحمراء الدولية في فلسطين واخبار المساعي التي تبذلها لبث الدعوة الشيوعية
في مصر فبكر بوليس القاهرة والاسكندرية امس حوالى الفجر بأمر النيابة
العمومية مفتش في المدينتين في احيائها المختلفة مساكن طائفة كثيرة من
الاشيخاوس الوطنيين والاجانب المشتهين في انتمائهم الى الشيوعية ، وبعضهم
من سبق التحقيق معهم واعتقالهم في غضون السنة الماضية في قضية الشيوعية
الكبرى انمروفة ثم اخلى سبيلهم وارتقل منهم نحو ١٥ شخصا في سجن
الاستنباط في القاهرة ونحو هذا العدد في سجن الحضرة في الاسكندرية (٢)

والواضح ان هذه الحملة كلها من تدبير سلطات الاحتلال التي اطلقت
ديكتاتورا لتثير النزاع في قلوب الحكام الرجعيين المصريين من مؤامرة بلشفية
في مصر وتطوع الإهرام هو ايضا بايعاز من سلطات الاحتلال بالمشاركة
في حملة اثاره النزاع هذه

فكتب في اليوم التالي لحملة القبض على الشيوعيين يقول « وقد سبق
للحكومة في العام الماضي ان عطبت مثل عملها الحالي ايضا ولكن ذلك لم يجز
دون العودة البلاشفة الى استنفاف الكرة هذا العام ، وقد بيننا انهم
في المستقبل مرة اخرى فيجب ان يروا امامهم سدا منيعا لا يستطيعون ان
ينفذوا منه »

١ - الأهرام - ٦-١-١٩٢٥
كلمة الجمعية التجارية الحمراء ترأخية للمبارة الانجليزية
Red Trade Union ، وصحة الترجمة ، الحركة النقابية العمالية الحمراء ،
وقد اخطأ الأهرام في الترجمة ونقل عنه هذا الخطا ايضا محمد عبد العظيم
رمضان - المرجع السابق - ص ٥٥١
٢ - الأهرام - ٦-٣-١٩٢٥

ان مصر محاطة بالدعاية الشيوعية من معظم اطرافها ففي فلسطين جرب شيوعي ، وفي تونس تستغل الحركة الشيوعية ويعظم بها الخطب . وفي جدة قبض بشفي مسلم . . . فهذا السور البلشفي الذي يحيط بمصر من معظم جهاتها جدير بان يوضع موضع الاعتبار في كل تدبير لمكافحة الشيوعية .

وكان الاهرام لم يكتف بكل تدابير الارهاب التي اتخذتها حكومة زكيور فانها تواصل الحملة قاتلة ، ومازال التشريع المصري ناقصا من هذه الوجهة فجدير بالذين يتحملون المسؤولية عن التشريع ان ينظروا في جميع الاساليب التي يتخذها دعاة البلاشفة لنشر دعايتهم في مصر ويقومون امامها من التشريع سدا منيعا . فيحرم على كل من يشبهه به باعتناق الشيوعية دخول القطر المصري وتصدر تعليمات صريحة دقيقة الي القناصل المصريين في هذا الصدد ويعاقب من يثبت احتياله على مقتضيات هذه التعليمات عقابا شديدا . ويجعل للمنظمات الشيوعية درجة معينة من الجرائم التي ترتكب ضد النظام ويشمل هذا التحديد اجتماعاتها وكل عمل يعمل فيها ، (١)

ومن الثابت ان سلطات الاحتلال كانت مهتمة اهتماما بالغا بمكافحة الشيوعية ، وقد تجاوزت معها الحكومات المصرية تجاوبا دئع وزارة الخارجية المصرية الى رفع تقارير بصفة مستمرة الى السفارة البريطانية في القاهرة عن نشاط الشيوعيين والاجراءات المتبعة في مكافحة هذا النشاط . وتتضمن مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية الموجودة في المتحف البريطاني الان عددا من هذه التقارير .

وعنى اية حال فقد نجح البوليس في القبض على ثلاثين شخصا في آخر مايو . ثم ما لبث ان لقي القبض على آخرين في منتصف يونيو . وينشر الاهرام خبرا من مراسله بالاسكندرية ، اغتقل البوليس في الاسكندرية اليوم (١٧ يونيو) اربعة من الوطنيين متهمين بالاشتراك في الحركة الشيوعية وارسلهم الى القاهرة بطار الساعة الثالثة بعد الظهر ، (٢)

ولا يحفظ لنا قرار الاتهام الذي اذاعته النيابة في ٨٠ سبتمبر ١٩٢٥ الاثلاثة عشر اسما فقط اما الباقيون فقد اخرج عنهم لعدم توافر الادلة ، (٣)

والاسماء الثلاثة عشر هي كونيكتين فايس (اغيدور) ، شياوم بولاك ، ليون الكونين ، ريدل هرشليك ، محمد عبد السميح الغنيمي ، رفيق

١ - الاهرام ١٩٢٥-٦-٢

٢ - الاهرام ١٩٢٥-٦-١٨

٣ - راجع نص قرار الاتهام في الجناية رقم ٨٢٧، شبيرا سنة ١٩٢٥

بالملاحق .

جور ، شاكير عبد العظيم ، شعيبان حافظ ، شارلوت روزنتال ، الهامى امين ،
بيومى مرسى الباسوس ، سكلار ايس ياناكاكين ، هارون واينبرج ،
وثمة اسما اخرى من بين المقبوض عليهم في هذه الحملة يمكن التقاطها
من صحف هذه الفترة فقد اهتم المصور ، بنشر صور عدد من المقبوض عليهم
معنا سبقه للصحفي والسيويات التي احاطت بالتقاط هذه الصور مؤكدا انها
ولم تنشر قبلا .

وتحت عناوين مثل ، خطر الشيوعية في مصر ، ، الفلسفية خطر يهدد
العالم ، ، ان تنجح الشيوعية في مصر ، (١) بنشر الصور ، مجموعة من
الصور التاريخية للمقبوض عليهم وبين الاتهام نخذ بالإضافة الى الاسماء
التي وردت في قرار الاتهام اسما محمد طاهر العربي ، محمود ابراهيم
الدمكري ، حسن قطب ، حسن عبده ، تيودوس كاليدس .

وهكذا يمكننا تجميع ١٨ اسما فقط بينما تشير الدلائل الى ان عتيد
المقبوض عليهم حوالي ٢٤ شخصا . فاصرام ١٩٢٥-٦-١ يقول ، واعتقل
منهم ثمانية ١٥ شخصا في سجن الاستئناف في القاهرة وتحو هذا العدد في
سجن الخضرة .

ثم يذكر في ١٨-٦-١٩٢٥ انه قد قبض بالانبيكندرية على اربعة من
اليطانيين بل ان احد تقارير وزارة الخارجية المصرية الى السفارة البريطانية
يشير الى ان عدد المسجونين الشيوعيين في القاهرة والاسكندرية قد بلغ حوالي
خمسين شخصا في فبراير (٢) بها يوحى ان حملات القبض قد استمرت
واتسعت الى حد كبير .

وقد جرت المحاكمة سرية كما يشير الاهرام (٣) الا ان بعض لمحات
نشرتها الصحف تشير الى مواقف شجاعة اتخذها المقبوض عليهم .
فيشير الاهرام اثناء تحقيقات النيابة الى ان بعض المقبوض عليهم
قد سئلوا عن علاقاتهم بالآخرين فاجابوا بانهم لا يتكلمون الا عن انفسهم
وانه لا يجوز لهم الكلام عن غيرهم الا اذا اذنوا لهم بذلك ، (٤)

واشارت ايضا الى ان احد المعتقلين قال اثناء التحقيق ، انه لو كان

١ - المصور اعداد ٢٦-٦ ، ٢-٧ ، ١٧-٧-١٩٢٥ .
E.O. 371 - Egypt And Sudan - Piece No. 11010 (2)

محافظة بمتحف البريطاني

٣ - الاهرام ١٨-١١-١١-١٩٢٦ .
٤ - الاهرام ١٧-٦-١٩٢٥ .

العالم بيدار. بإيدي حكومات من العمال. كانت الحالة أفضل مما هي الآن كثيرا. (١)

وقد أخرج المقبوض عليهم ومحاموهم على سرية الجلسات. وقد تنبأ الأهرام بذلك قبل أن تبدأ الجلسات مستندا إلى تجربة القضية السابقة الذي طالب فيها المتهمون بأن يسمع الشعب صوتهم وهم في قفص الاتهام. وقال الأهرام والمفهوم أنه ستقوم مناقشة حادة بين النيابة والدفاع في سرية وعلنية محاكمة الشيوعيين قبل البدء في نظر القضية. (٢)

وفي الساعة التاسعة من صباح ١٠ يناير ١٩٢٦ بدأت المحاكمة. وقد حضر للإدعاء عن المتهمين حضرات توفيق دوس باشا عن شارلوت روزنتال، وهيب دوس بك عن ياناكاكيس، صالح جودت بك عن رفيق جبور، حسين عامر عن محمد عبد السميع النعيمي، توفيق حداد عن الهامي أمين، زهير صبري عن الآخرين. (٣)

ولمقت النظر هنا وضع زهير صبري الذي حضر للدفاع عن ثمانية من المتهمين دفعة واحدة ويبدو أن زهير صبري - وهو محام وفدى - كان على علاقة ما بالحزب فقد ظل اسمه يتردد يوما تكمام في كل قضايا الشيوعية بعد ذلك. ثم وردت اشارات في تقارير لاحقة تشير إلى علاقاته بالتنظيم السري للحزب في عام ١٩٢٧.

وقد واجه المتهمون سلسلة من الاتهامات غير تلك التي تضمنتها قرار الاتهام فقد ادعت النيابة أن بين الأوراق المضبوطة ما يفيد، علاوة بعض المتهمين بالجمعية الشيوعية الحولية الثالثة بموسكو. وأن الجمعية كانت تنفق على المتهمين في قضية الشيوعية الأولى، كما كانت تنفق على عائلاتهم. (٤)

كذلك واجه المتهمون ثمانية وعشرين شاهدا منهم ستة فقط من رجال البوليس أما الباقون فكان معظمهم من بين قادة الاتجاه اليميني الذي انسلخ عن الحزب عام ١٩٢٢، والذين لم يتورعوا عن الحضور للشهادة ضد زملائهم

- ١ - الأهرام ١٩-٦-١٩٢٥.
 - ٢ - الأهرام ٨-١-١٩٢٦.
 - ٣ - الأهرام ١١-١-١٩٢٦.
- * تقرير سيانو أحد قادة الحزب الإيطالي وسوف نشره إليه تفصيلا فيما بعد.
- ٤ - الأهرام ١٧-٦-١٩٢٥.

الإقدام، وهم في أفضل المحاكمة - بنو وبنو - هؤلاء الشهود - محمد عبد الله عنان
والدكتور على العناني وسلامة موسى .

كذلك حضر للشهادة ضد المتهمين - محمد فؤاد سيكرتير اتحاد النقابات
(الوفد) . (١) .

وقد استغرقت المحاكمة أسبوعاً كاملاً وكانت الجلسة برئاسة حضرة
صاحب العزة على بك سالم وعضوية حضرات كامل بك إبراهيم وعبد العزيز
بك محمد وقد صدر الحكم في الساعة التاسعة من صباح الثلاثاء ١٩ يناير
وهو يقضى بسجن كورنستينين فائس وشالوم بولاك وليون الكونين ثلاث
سنوات . وسيمان حافظ سنة مع الشغل ورفيق جبور والشيخ شياكر
عبد الحليم والنعامي أمين سنة مع الشغل (هؤلاء يخرجون بعد الحكم
لاحتساب مدة سجنهم احتياطياً) وبراءة كل من ريدل هارستيلك ومحمد
عبد السميع الغديمي وسارليت روزنتال وبيومي النابوسني وابكالاريوس
وياناكاس وهارون واينبرج . (٢) .

وبرغم أن هذه التضييق لم تكن تمثل في ذاتها - شيئاً خطيراً
لأن النسبة لعدد المتهمين فيها ولا بالنسبة للأحكام التي صدرت عليهم ، فقد
أثارت محورا لعدد من المؤامرات والمآورات السياسية المختلفة .

* فالانجليز استخدموا كسبيل للضغط على مصر مطالبين بمزيد من
الحزم أو بالدقة بمزيد من الإرعاب .

* واستخدمها الانجليز أيضا كحجة لتوجيه ضربة لحزب الوفد ، وقد
ساعدنا في فصل بناتي، كيف حاولت الصحف الانجليزية ان تثير شكوكا غير
عابحة حول علاقة الوفد بهذه القضية وحول قيام تحالف بين الوفد والبلاشفة .
وقد ادعت الديلي كرونكل و ان هناك علاقة بين محرضي البلاشفة في القاهرة
وحملة القتل (التي انهم فيها عدد من الوفديين) وبين المقبوض عليهم رجل
حكم عليه في ١٩١٢ لاستبراكه في مؤامرة دبرت لاغتيال اللورد كاتسندر . ولكن
افرن عنه في العام الماضي بأمر احد وزراء حكومة زغلول باشا وينتظر ان تظهر
اسرار خطيرة . (٣) .

وسذا الشخص هو محمد طاهر العربي وقد تفتينا من قبل علاقته بلحزب الوفد
بل ولثقتنا انه كان مجرد عميل للامن اما واقعة الافراج عنه بأمر احد الوزراء

- ١ - الاحرام ١١-١-١٩٢٦ .
- ٢ - الامل ٢٣-١-١٩٢٦ .
- ٣ - الاحرام ٣-٦-١٩٢٥ .

الوفديين نهي غير صحيحة على الاطلاق فقد افرج عنه في ٢١ يوليو ١٩٢٣ بعد ان اوفى مدة العقوبة (١) .

كذلك انتهزت المورننج بوست ، الفرصة لتهاجم الوفد ولتدين وسائله التي تستخدمها بلا ضمير للحصول على المساعدة الاجنبية لتأييد وسائله ضد البريطانيين (٢) .

كذلك استخدمت حكومة زيور هذه القضية لتبرير افعالها العنيفة ضد كل القوى الوطنية والديمقراطية ولتبرير كل قراراتها الطائشة والمضحكة في هذا الصدد بحجة مقاومة الخطر البلشفي .

كذلك فان هذه القضية قد استخدمت في محاولة للضغط على العول الاجنبية حتى تتنازل - الى حد ما - عن بعض الامتيازات الاجنبية الممنوحة للمقيمين الاجانب . وتقول الاهرام ان علاقات مصر بالدول الموالية لها شأن مهم في ما تنضى الحاجة بوضعه من التدابير ، فاستئصال الشيوعية في مصر خطر على نظام مصر وعلى المصالح الاجنبية الكبيرة في مصر في وقت واحد . فجدير باندول التوالي لمصر ان تكون عوناً لها على مكافحة هذا الداء لا سيما وان الذين يحملونه بينا اشخاص عن الاجانب (٣) .

بل ان الاهرام ، قد استخدم هذه القضية كخديعة لتهديد الانجليز انفسهم . وهكذا وكما حاولت سلطات الاحتلال ان تجعل من الشيوعية سبباً تخيف به المصريين فان بعض الدوائر التي يتحدث الاهرام باسمها حاولت ان تستخدم نفس السبب ، لتخيف به سلطات الاحتلال ففي افتتاحية الاهرام تحذير واضح للانجليز . . . فعسى ان يكون الحكم الذي صدر امس على دعاء شيوعية خير نذير ايضا للسياسة البريطانية لكي تسلك مسيل الولاء نحو الامة المصرية وتتنظر نظرة انصاف الى حقوقها المضمومة استبقاء لولاهاها ورضائها . . . فليس من المستحيل ان تكون السياسة البريطانية سبباً من اسباب الجرائم الشيوعية فنرى نفرا من القبوليين يعتقد ان الشيوعية وسيلة لتحقيق مطالب الامة (٤) .

وفوق ذلك فان عددا من الكتاب قد استخدم هذه القضية كسبيل للضغط على الحكومة لبذل مزيد من الجهود لحل المشكلات الاجتماعية المعقدة ملوحاً بان تفاقم هذه المشاكل سوف يزيد من خطر انتشار الشيوعية .

- ١ - محمود طاهر العربي : المرجع السابق ص ١٥٤ .
- ٢ - الاهرام ٣-٦-١٩٢٥ .
- ٣ - الاهرام ٢-٦-١٩٢٥ .
- ٤ - الاهرام ٢٠-١-١٩٢٦ .

بصفحات و الصور ، وجنباً التي جفت مع اختبار القبض على المتهمين ومع الصور
التي تباهى و المصور ، بانفراده بنشرها يكتب تكري اباظة تحت عنوان
و الفلسفية في مصر ، و هل مرت على القهوات العامة عقب نتائج الامتحانات ؟
كرر هذا البرور شهراً او شهرين او ثلاثة شهور ، و وخذ بالك ، من خمريات
المتخرجين تجد ، الفلسفية ، في عيونهم و حركاتهم و بديراتهم و اعتقاد ان
و الفلسفية ، في مصر ان تنبت من كواخ الفلاحين او مساكن العمال ، وانما
سئبت و تنزع بين الوسط المتعلمين ، الذين افترقا زهرة العمر في عناء
الدرس حتى اذا تخرجوا و جسدوا ابواب العمل في وجوههم مقلدة و جرد
المستقبل مذكراً يندرج بالاعاصير ،

ثم يختتم فكري اباظة مقاله بتهديد قاطع ، و لكن لم تكن الحكومة
بهذه الحالة فلتأكد ان الفلسفية ينتشر في الخين اولاً بين طبقات المتعلمين
ثم يسرى الى الريف و بين الفلاحين (١)

* كذلك فان وجود كونستنتين فايسي (افيجدور) (٢) بين المتهمين قد

١ - المصور ٧-٩-١٩٢٥

٢ - يوزد والتر لاکور = الاتحاد السوفييتي و الشرق الاوسط . المرجع
السابق المعلومات التالية عن افيجدور في ص ١٥٥ :
افيجدور : (بنيل كوتسي) ولد في اوكرانيا عام ١٨٩٢ و التحق بالحركة
الثورية في وقت مبكر و هاجر الى الولايات المتحدة قبيل الحرب العالمية الاولى .
التحق في امريكا بالفرق اليهودي Jewish Legion الذي كان قيد التسليح
و قنقذ ، ثم ذهب الى فلسطين لوقت قصير عام ١٩١٨ . و اقام في مصر عاماً
و نصف ثم عاد الى روسيا . ارسل الى مصر مرتين عام ١٩٢٢ . و عام ١٩٢٤
لينظم او يسارة ادق ليلسيف الحزب الشيوعي المحلي . و لقد قبض عليه في
ليرة اثنان في القاهرة . و حكم عليه بالسجن لمدة طويلة . ولم يرجع الى موسكو
الا في اواخر العقد الثاني . و قد صار معروفاً ككتفة في شؤون مصر . ثم ارسل
عام ١٩٢٢ ليتجول في الشرق الاوسط و يفتش على الاحزاب المحلية . و قبض
عليه عام ١٩٢٦ في موسكو بتهمة الاشتراك في مؤامرة تروتسكي و حكم عليه
بالسجن لمدة اعوام و مات في احد المسكرات عام ١٩٣٨ . و اعيد اليه اعتباره
عام ١٩٥٥ .

و قد تزوج افيجدور من ابنة جوزيف روزنثال مؤسس الحزب الشيوعي -
الاشتراكي في مصر . و الذي طرد من الحزب بتهمة انحرافاته الفوضوية . اما
زوجة افيجدور فقد اعتقلت في موسكو بعد اعتقال زوجها و ادمت ١١٨ عاماً
في مسكرات الاعتقال الى ان افرج عنها عام ١٩٥٦ .

أثار موجة عنيفة من الاتهامات بان الكومنترن أصبح في نشاط الحرب، وان الكومنترن وممثليه هم الموجهون لنشاطه.

و يشير لاکور أيضا الى شخص امريكي يدعى Ignaz Semenyuk قام بتأسيس شركة تركية رومانية في القياصرة في عام ١٩٢٥، والتي Textil Import الذي تأسس في ١٩٢٧ بتأسيس وكالة تجارية باسم. طرد الأول في عام ١٩٢٨ والثاني في عام ١٩٢٩ (١). وتشير مصادر الحزب الألماني الى ان شيوعيا المانيا اسمه فوجو رودولف Huga Rudolf قد وصل الى مصر عام ١٩٢٥ ليدير اوضاع الشيوعيين المصريين وظروف عملهم وانه افتتح مصنعا للنسيج بالاسكندرية وظل مقبلا بها حتى عام ١٩٢٩ ثم غادر مصر الى موسكو حيث عمل كمندوب بالتحولية الثالثة.

والذي لا شك فيه ان الكومنترن كان يقدم نوعا من العون السياسي والتفريقي للاحزاب الحديثة القابضة، وانه كان يمدجا في بعض الاحيان بعدد من الكوادر العربية.

كذلك تشير الدلائل الى ان الكومنترن وقد كان بمثابة هيئة مركزية بالتنسبة لكل الاحزاب المنتسبة اليه كان يرسل ممثلين سرين له في عدد من البلدان التي تعاني الاحزاب فيها مناعاب ما وكان هؤلاء المندوبون والشريون حتى على الحزب نفسه يعنون تقارير حول مشاكل معينة.

وفي وثائق المؤتمر الخامس للكومنترن ما يشير الى شكوى بعض الاحزاب من ان اللجنة التنفيذية للكومنترن تتلقى معلومات غير دقيقة بطرق غير سليمة من الفاحية التنظيمية.

وربما كان ذلك كله ضروريا في البداية حيث كانت الاحزاب وخاصة تلك التي نشأت في المستعمرات تفتقر الى الخبرة والى الكادر الحزبي لكن تولد هذه العناصر الاجنبية في صفوف حزب يعمل في بلد يفاضل اساسا ضد الاستعمار، ويعاني سكانه في الاساس من التسلط الاجنبي ومن الامتيازات التي يعانى منها الاجانب كان سعيها في كثير من المتاعب.

سولمتنا هنا يصعد تقييم الثورة الذي لعبه اشخاص مثل انيجدور، وهن

ص ٤٠

كانت نتائجه سلبية اذ لم ايجابية بل كثر الشيء المؤكد ان تواجدهم قد اثار بعض الاضطراب في صفوف الحزب الشيوعي

وما ان اذبح عن جيشي العرابي المكرهين العام للحزب وكان قد قبض عليه في حملة عام ١٩٢٥ حتى ارفع شعار الالتماد عن الكومنترون

وكان التصور العام الذي يتبادر به العرابي هو ان الحزب ظل غنيا ونشيطا بطوال الفترة التي كان يسمى نفسه فيها بالحزب الاشتراكي وان الالتماد، الكومنترون واضرار الكومنترون على تغيير اسم الحزب الى الحزب

الشيوعي قد وضع الحزب في مواجهة مباشرة وجنمية ضد الدستور والقوانين التي تنص صراحة على تحريم الشيوعية وتحريم اقامة أية تنظيمات

وتصور ان الحزب كى يعيش ان يرفع من الشعارات ما يسمح له بالبقاء وان على الحزب كى يعيش ان يرفع من الشعارات ما يسمح له بالبقاء

نك انه لا امل في اقامة تنظيم سرى
وعندما يقول مارسيل ايزراييل وما وعندما يخرج محمود احسنى العرابي من السجن اقترح ان يضم الحزب من الدولية وطالب باتخاذ مواقف ذات

مضمون انهاري (١) على ان يرفع من الشعارات ما يسمح له بالبقاء
لكن مجموع كادر الحزب قاوم هذه الفكرة ورفضها فالرجعية الصرية ليست فقط ضد هذه الكلمة او تلك لكنها ضد كل تجمع طبقى يمثل خصامه

العمال والفلاحين
وحيث ان الحزب ولم يخرج معه الا الهامى امين (الجزنجى) بالبيسكة

الحدود والذى قبض عليه في حملة ١٩٢٥ ثم اخرج عنه لاستيفاء مدة العقوبة

وقد ظل الهامى امين على ولاء تام للعرابي فاضطر في ١٩٢٧ ككتيبا بعنوان مقالات العرابي قال في مقدمته واعتقد عن يقين ان من ابلغ واتوى

وامتن ما كتب بالعربية في تقويض الرجعية ونشر الثقافة الجديدة ورفع لواء التجديد بنوا اكان ذلك في الاذنب بالام الاجتماع ام التاريخ الم الاقتصادي

وبالاسد مارسيل ايزراييل (تشيبيزي) ان تقريره راجع للنص الكامل

ما كتبه، صديقي الاستاذ محمود حسنى العرابى، ولا اكون مغربا اذا قلت ان غير محمود حسنى العرابى في مصر لا يقوى، على صرخته الجريئة، (١)

وعنى اية حال، لقد ابتعد العرابى عن الحزب، محاولا ان يشق لنفسه طريقا جديدا هو طريق «العنصرية» ولمسوف نجاول تتبع هذا الطريق للجديد في صفحات قادمة فلنركز الان انتباهنا على المسيرة الايسابية، ولنتابع خطى الحزب بعد حملة القبض التى تمت في ١٩٢٥

وكما يحدث في كل مرة فان الرجعية قد تصورت ان القبض على هذه المجموعة الكبيرة من الكادر قد اوقفت نبض الحزب، لكن التقارير الشهرية المرفوعة من وزارة الخارجية المصرية الى السفارة الانجليزية تكشف عكس ذلك

فبعد التليل لعمليات القبض وبعد التباهى الذى ظهر في هذه التقارير بان النسجون تضم اكثر من خمسين من اعضاء الحزب فاننا لا نلبث ان نجد احد هذه التقارير يشكو من «ان الشيوعية تنتشر بكثرة في القاهرة وهناك شيوعيين كثيرين وسط النعمان» ان هناك مطبوعات شيوعية نزيهة تصدر بكثرة، (٢) فلنحاول ان نبحث عن مصدر هذه الشكوى الجديده

والحقيقة ان النشاط الحزبى قد انطلق سريعا بالرغم من حملات القبض التى استمرت من اواخر مايو حتى اواخر يونيو ١٩٢٥

وبالرغم من النشاط العنيف الذى قامت به قوات البوليس المصرى تحت القيادة الاجنبية وبرغم الخبراء الذين سافروا الى لندن عدة مرات لدراسة مكافحة «المبادئ الهدامة» فقد استطاع الحزب ان يواصل نشاطه في مواجهة هذه الصعوبات البالغة

وكانت الخطة التى انتهجها الحزب بعد حملات الدعاية المضادة التى شنت عقب القبض على أفيجدور هي الاستغناء عن الكوادر الاجنبية والاعتماد قدر الامكان على ايفاد كوادر مصرية وعملية على الاخص للدراسة والتدريب في جامعة كادحي الشرق بموسكو حتى يعودوا الى مصر ليقودوا نضال الحزب

وفي هذه الفترة نجح الحزب في ايفاد عدد من كوادره العمالية للدراسة في

١ - محمود حسنى العرابى - مقالات العرابى - عنى بجمعها وترتيبها ونشرها الهامى امين - الطبعة الاولى - المطبعة الاهلية الكبرى - ص ٢
٢ - مؤرخ في ١٩٣٠-١٩٢٥ ومدرج في مجموعة الوثائق النصرية تحت

F.O. 371. Egypt And Sudan. File 29 - Piece No 10888.

- مودع في المتحف البريطانى

موسكو ومن بينها عبد الرحمن بصل (تجار) - محمد دويجار (عظمى) في السمكة الحديد - عبد العزيز مزعي (براد يالبيكي الحديد) - وآخرين
منسقة ومكذبة فانما يرى ان الوثائق المصرية لوزارة الخارجية البريطانية قد
بدلتا نطق من حديثها عن مبعوثي الكومنترن وتتركز الاهتمام على الطلبة
المصريين اليونانيين من موسكو - في مصر - وثمة وثيقة تقول في منذ عام 1921 كان
ومع ذلك فقد ظلت بعض العناصر الأجنبية التي قيل انها تتمثل
الكومنترن يتواجد في مصر - وثمة وثيقة تقول في منذ عام 1921 كان
هناك شيوعيا تحت مراقبة البوليس اليوناني في مصر -
ومن بين هؤلاء (مكتوبا الكومنترن) ماكس كوجيل Max-Kogel

والله هو تغيير - E-Haliou Féper - (١) في مصر
يمكن الشئ الجديد والمفيد للنظر في هذه الوثيقة هو العبارة التي تشير
الى الكوادير المصرية القائدة من موسكو - ان خصية من الطلبة المصريين الذين
درسوا في مدرسة كادخي الشرق قد عادوا وهم يتصلون بنشاط بالعناصر
اليسارية في حزب الوفد -
و ان من بين اليونانيين من موسكو محمد عبد العزيز

وقد سارع و يانا كاكس ، زعيم المجموعة الشيوعية اليونانية والذي كان
فيما يبدو على علاقة مباشرة بالحزب الشيوعي اليوناني ويتضمن مندوبي
الكومنترن بمصر بترسيخ محمد عبد العزيز سكرتيرا عاما للحزب
وتؤكد العديد من المصادر هذه الواقعة ، ويؤكدها أيضا مارسيل اسراييل
(تشريري) ، وبعد ذلك حين عامل يدعى عبد العزيز كان قد تلقى دراسه
في موسكو في منصب تنكتر الحزب وكان ترشيحه بناء على توصية من مناص
يوناني من يدعى و يانا كاكس ، (٢)

وكان محمد عبد العزيز - كما تجمع مصادر عديدة عميلا للبوليس منذ
بد، انضمه للحزب ، وكان البوليس المصري مطلعاً بخبرة البوليس البريطاني
في ليبيا التي اسلوب التسلل التي صفوف الحزب والانتظار الطويل سيعيا وراء
اصطياد أكبر عدد من الكوادير ترسيخ

(1) F.O. 371 - Egypt And Sudan - File 2073 / 230 - Piece No 1380.
٢ - مارسيل اسراييل (تشريري) - المرجع السابق -

وتقارير البوليس السرية المرفوعة لوزارة الخارجية البريطانية وتشتمل
بإستمرار الى اشخاص موضوعين تحت المراقبة الإنتظارا لصيد أكبر عدد من
الكوادر . . .

منذ ١٦ - ٤ - ١٩٢٤ والمدعو أندرييف تحت مراقبة البوليس (١)

ومنذ عام ١٩٢٦ كان ٤ شخصا تحت مراقبة البوليس وكانوا يقومون
بتأسيس خلايا (٢)

وبرغم كل ذلك فقد استطاع الحزب أن يواصل المسيرة . . .

ولنحاول أن نستخلص بعض المعلومات عن أسلوب النشاط الحزبي من
حوار مع محمود دويدار (٢) وهو واحد من ضمنهم الحزب في هذه الفترة . . .
س : كيف انضمت الى الحزب ؟

ج : في سنة ١٩٢٧ كنت أعمل في طنطا وكان لي زميل اسمه أحمد
عبد العزيز كان هو أيضا عطشجي بالسكة الحديد . وفي أحد زيارتي له
أطلعني على خطابات وصلتته من أخيه محمد عبد العزيز الذي كان في موسكو
في ذلك الحين وبيروني وصفه للحياة في الاتحاد السوفيتي وقد دفعني هذا
الى توطيد علاقاتي بأحمد عبد العزيز حتى أطلع على المزيد من المعلومات عن
الاتحاد السوفيتي .

س : ثم عاد محمد عبد العزيز من موسكو وسعيت الى التعرف عليه . وفي أول
مناقشة تناولني عن انتمائي الحزبي فقلت له أنت أميل الى الحزب الوطني
لانه يهتم بشؤون العمال لكنني لا أعمل معهم . وبعد عدة مناقشات ضمنيا
محمد عبد العزيز الى أحد خلايا الحزب في طنطا .

س : هل يمكن أن تشرح لي أسلوب عملكم الحزبي في عام ١٩٢٧ ؟

ج : كان التنظيم سري ، لكنني كنت أعرف أن هناك خلايا في القاهرة
والأسكندرية وطنطا وفي أماكن أخرى . وكان شعبان حافظ يتصل بنا في
طنطا أحيانا . وفي أحيان أخرى كنت أسأل أنا الى القاهرة لأقابل محمد
عبد العزيز . اتسع نشاطنا في طنطا فأننا جعلنا عددا من العمال بينهم

(1) - No. 1380 - Egypt And Sudan - File 2073/2730 - F.O. 371 - (1)

(2) - F.O. 371 - Egypt And Sudan - File 29 - Piece No : 10888

٣ - محمد دويدار عطشجي بالسكة الحديد - جند في صفوف الحزب عام
١٩٢٧ - راجع محضر النقاش مع الملاحق . . .

إثنان. سافرا الى جامعة كادجي الشرق بموسكو. هما عبد العزيز مرعني (براد
في الشبكة الحديدية) والثاني اسمه عبد المجيد. (لا أنكر بقية اسمه) وكان
أيضا عاملا في السكة الحديد.

وكانت الخليا تدرس الماركسية وتحوّز مناقشات عديدة حول الاوضاع
في الاتحاد السوفيتي (١)
وفي مناقشة اخرى قال محمد دويدار ، بالاضافة الى المعلومات التي اديت
بها في الجلسة السابقة اذكر انني جنديت في طنطا وكنت عضوا في خلية
عدد اعضائها خمسة ، ولم اكن اعرفهم فقد كانت السرية مطلقة ، وكنا نستخدم
اسماء حركية . واحيانا كنت استدعي لحضور اجتماعات القاهرة واذكر انني
دعيت الى اجتماع في منزل يسار كوت بك حضره محمد عبد العزيز وثلاثة
من عمال العنابر لمناقشة بعض المشاكل العمالية . وكانت معظم الموضوعات
الدراسية تتركز حول حالة العمال واستغلال الرأسماليين لهم . وكذا باستمرار
نربط بين الرأسمالية والاستعمار (٢)

وقد نشط الحزب في ذلك الحين لتأسيس فرع مصري لعصبة النضال ضد
الامبريالية . ويبدو انه قد نجح فعلا في تأسيس فرع يضم عددا من الموظفين
والعناصر اليسارية والتقدمية ويسار حزب التومد وعناصر الحزب الوطني

وقد وجهت الدعوة لحافظ رمضان لحضور مؤتمر العصبة في بروكسل
وقد اعتذر عن الحضور لكن وجه رسالة تحية للمؤتمر بنشرتها مجلة العصبة
وبناء على هذه الرسالة قرر المؤتمر الاول للعصبة ضم حافظ رمضان الي اللجنة
التنفيذية للعصبة
وتشير الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية الي اتصالات واسعة
قامت بها عصبة النضال ضد الامبريالية مع اوساط واسعة وشخصيات عامة
في مصر . وقد ظاهريا في نصيب بايتي بعض ما جاء في وثيقة حصلت عليها
المخابرات البريطانية عن المخابرات الهولندية حول نشاط هذه العصبة (٣)
ولنواصل الان متابعة ما جاء في هذه الوثيقة الهامة من المعلومات

١ - محضر نقاش معه بتاريخ ٢٢ - ١ - ١٩٧٠ - بالملاحق
٢ - محضر نقاش بتاريخ ١٧ - ٣ - ١٩٧٠ - راجع النص الكامل بالملاحق
٣ - 157/29 : 5302 W - File 156/792 - F. 371/13417 (3)

من وثائق وزارة الخارجية البريطانية - ومشار في صفحتها الاولى الي انها
مترجمة عن تقرير سرى مكتوب باللغة الالمانية - مودعة بالمتحف البريطاني

وَمِنْهَا فِي الْقَاهِرَةِ أَيْضًا الْيَاسَ يَعْتُوبُ مَحْرَرُ جَرِيدَةِ Piliwan Eimoer
الَّتِي تُصَدَّرُ فِي الْقَاهِرَةِ وَانْتَى صَدْرُ عَدَدِهَا الْأَوَّلِ فِي أَكْتُوبَرِ ١٩٢٧ وَهُوَ يَعْمَلُ
أَيْضًا كِمُرَاسِلٍ لِجَرِيدَةِ تَضَرَّرُ فِي جَاوَا بِاسْمِ Pambrita Kemadjoean
جَرِيدَةٍ شِبُوعِيَّةٍ كَانَتْ تُقْسَمُ مِنْ قَبْلِ بِاسْمِ Sinar Indonesia.

وَمَنْ الْمَعْرُوفُ أَنَّ الْيَاسَ يَعْتُوبُ هَذَا قَدْ قَامَ بِعِدَّةِ زِيَارَاتٍ لِرَأْسِ جَمْعِيَّةِ
الشَّبَابِ الْمُحَمَدِيِّ (عَبْدُ الْحَمِيدِ بَكْ سَعِيدٍ) بِصَحْبِهِ الشَّيْخَ مُحَمَّدٍ أَبُو الْعَيْوَنِ
مِفْتَشِي الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَعَضُو الْحَزْبِ الْوَطْنِيِّ الْمُتَطَرِّفِ.

وَذَمَّى الْوَثِيقَةَ قَائِلًا: «وَعِنَّا يَشُورُ تَسَاوُلُ هَامِ عُو: هَلْ قَامَتْ مُوسَكُو
عَنْ طَرِيقِ الْعَصْبَةِ الْمُنَاهِضَةِ لِلإِمْبِرِيَالِيَّةِ فِي بُرْلِينَ بِدَوْرٍ أُسَاسِيٍّ فِي تَأْسِيسِ جَمْعِيَّةِ
الشَّبَابِ الْمُحَمَدِيِّ بِبَدَفِ التَّأَثِيرِ فِي الطُّلَّابِ الْبُنُودِ وَالإِنْدُونِيسِيِّينَ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ
فِي الْأَزْهَرِ. وَمَنْ ثَمَّ يُمْكِنُ أَنْ تَنْتَحِلَ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةُ الَّتِي مَقَرُّهَا الْقَاهِرَةُ إِلَى
مَرْكَزِ الدَّعَايَةِ الْمَوَالِيَّةِ لِمُوسَكُو وَالْمُنَاهِضَةِ لِإِبْرِيطَانِيَا وَمُولِنْدَا؟ وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ
هَذَاكَ ذَمًّا عَوَامِلِيٌّ تَرْجَحُ أَنْ يَرُدَّ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ مَوْ بِالْإِجَابِ.»

وَيَبْهَوُ الذَّعْرُ وَاضِحًا فِي هَذِهِ الْوَثِيقَةِ مِنْ تِلْكَ الْعِلَاقَةِ الَّتِي نَجَحَتْ فِيهَا الْعَصْبَةُ
مِنْ خِلَالِ الْحَزْبِ فِي لِقَائِهَا مَعَ بَعْضِ عُنَاصِرِ الْحَزْبِ الْوَطْنِيِّ الْمَصْرِيِّ وَمَعَ بَعْضِ
رِجَالِ «الِدِينِ وَالْجَمْعِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ» وَمَعَ بَعْضِ الْقَوَى الْوَطْنِيَّةِ وَسَطِّ طُلَّابِ
العَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ.

وَفِي الْمُرْتَبِعِ الثَّانِي لِلْعَصْبَةِ الَّتِي عَقِدَتْ فِي فِرَانِكْفُورْتِ فِي ١٩٢٩ مِثْلَ مِصْرٍ
عَضْوَانِ عَمَّا عَبْدُ الْحَمِيدِ سَعِيدٍ وَعَبْدُ الْفَتَّاحِ الْعَزِيزِيِّ.

وَفِي الْمَجَلَّةِ الَّتِي تُصَدَّرُ بِاسْمِ (Anti Imperialism Review).

كَانَ يَعْمَلُ مِصْرِيًّا عَمَّا إِبْرَاهِيمَ يُوْبُفَ وَعَبْدَ الرَّؤُوفِ مَالِكٍ

كَذَلِكَ نَجَحَتْ هَذِهِ الْعَصْبَةُ فِي إِقَامَةِ عِلَاقَاتٍ وَاسِعَةٍ مَعَ الْمُنْتَظَمَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ
فِي مَخْتَلَفِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَتَشِيرُ مَجَلَّةُ الْمَسِيحِيَّةِ الْإِسْبُوعِيَّةِ إِلَى هَذِهِ
العِلَاقَةِ فِي مَقَالٍ بِعَنْوَانِ: «الِاضْطْرَابَاتُ فِي الْهِنْدِ الشَّرْقِيَّةِ وَنَشَاطُ الدَّعَاةِ
الْبِلَاتِنِغَةِ» قَالَتْ فِيهِ: أَنَّ الدَّعَاةَ الْبِلَاتِنِغَةَ قَبْدَ التَّنْفُو: حَوْلَ جَمْعِيَّةِ (رَابِطَةُ
الْإِسْلَامِ) حَتَّى غَلَبَتْ فِيهَا الْعُنَاصِرُ الْمُتَطَرِّفَةُ. وَيَبْدُلُ الدَّعَاةُ قِصَارَى جِهْدِهِمْ
لِكَيْ يَجْعَلُوا مِنْ هَذِهِ الْهَيْئَةِ الْقَائِمَةِ الْقَوِيَّةِ أَلَةً لِدَعْوَتِهِمْ نَاتَجِزُوا شِبَعَارِهِمْ
تَحْقِيقًا لِهَذِهِ الْغَايَةِ: «أَرْضُ الْإِسْلَامِ لِلْمُسْلِمِينَ» وَأَلْهَى الدَّعَاةُ عَضُدُ الْوُيَا
لِتَحْرِيلِ التِّيَارِ الدِّينِيِّ إِلَى تِيَارٍ سِيَاسِيٍّ فِي كَوْنِ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ يَضُنُّونَ
بِالْعَمَلِ عَلَى الْعَمَالِ الَّذِينَ يَلْتَحِتُونَ بِالرَّابِطَةِ وَبِذَلِكَ يَظْهَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ الدِّينِ
الْإِسْلَامِيِّ (١).

١ - الْمَسِيحِيَّةُ - ٢٦ مَآيُو ١٩٢٨

كذلك نجحت العصبة في اقامة علاقات وثيقة مع حركات التحرر الوطني في مختلف البلدان العربية وقد حضر المؤتمر الثاني للعصبة، بالإضافة إلى مندوبين مصر، حمدي الحسيني، والعيني، (الثمام)، شبل، بن مصيطري، (توتون)، والجسري (الجزائري).

وكان قيد حضور المؤتمر، الأول مظهر البكري، المناضل السوري المعروف، وثمة وثيقة في المتحف البريطاني عبارة عن ملخص للترجمة مقال منشور في جريدة

Bandra Islam، الصادرة في 4 يوليو 1927 (1) تتبل وتبحث المقال عن العصبة ونشاطها، وعن تقرير السكرتارية العالية حول النشاط الذي قامت به خلال الفترة بين شهري فبراير ومايو 1927.

ويضمون المقال معلومات تفيد بأن السيد مظهر البكري قد اقترح تكوين فرع لهذه العصبة في كل البلدان العربية، على أن تبذل جهود لتوحيد هذه الفروع وتكوين قيادة مركزية عربية يمكن أن تسمى عصبة تحرير البلدان العربية.

وقد اقترح السيد البكري عقد مؤتمر عربي للتضامن ضد الامبريالية، وذلك بهدف تعزيز التضامن العربي ضد الاستعمار.

وقال انه قد تم الاتصال بالفعل بعدد من الشخصيات العربية لبحث مسألة عقد هذا المؤتمر معاً، ونحن نرى هذه الشخصيات عضواً في البرلمان المصري.

وسوف يدعى الى هذا المؤتمر أيضاً مندوبون من الصين واندونيسيا وانجلترا والهند.

وثمة مقال مثير للاهتمام والدقيق فيما يتعلق بفترة من تاريخ مصر، ان مصر مقبل الآن على بحر متلاطم الأنواع، من انفسنا تحتاج إلى حزب قومي قادر، ووزعيم قومي ذوا باؤود والسبح، كجزء من رفع شعار، لكل الشعوب العربية الذخيرة التي في الشرق الأدنى، لنعمل يستطيعنا تعديل ذلك

باشياء أن يلبث هذا الجوز، يؤمل ذلك، وأن كنا نشك كثيراً في إمكانية ذلك.

والفترة التي مضتها أكثر من تساوول، حول مسائل وردت

1- راجع النص الكامل للوثيقة بالملاحق

بيرنعنا دون ايضاح بل ولم تتكرر كثيرا فيها بمعنى - غيرنا نعلم - اميرالبل مثل
حزب قومي ، ، زعيم قومي ، ، كل السلطة للجمهوريات العربية والتبديلية
في الشرق الأدنى

وقد نتج الحزب في ان ينشر موضوعا مصورا عن المؤتمر الاول للعصبة
في مجلة اللطائف المصورة وقد تضمن الموضوع صورة لظهور البكري كتب تحتها
مظهر بك البكري مندوب سوريا في مؤتمر الشعوب المظلمة وهو شقيق
نسيب بك البكري الزعيم السوري المعروف

وقد تضمن الموضوع بيانات هامة عن المؤتمر جاء فيها عقد في بروكسل
عاصمة البلجيك في شهر فبراير الماضي مؤتمر الشعوب المظلمة وقد تألف من
170 عضوا يمثلون جميع الشعوب المستعبدة ومعظم الاحزاب الاشتراكية
والشيوعية وممثلي الاحزاب الاستقلالية في تونس والجزائر وافريقية الجنوبية
والهند والصين وقد استمرت جلسات المؤتمر خمسة ايام التي فيها الخطب
وتكلم مندوبو الشعوب عن استعمار الدول في مختلف البلدان وكان اشهر
الاعضاء تحمسا مندوب الصين وقد قال احدكم في إحدى خطبه نحن نعلم
كيف يجب علينا ان نموت في سبيل الثورة ، وكانت جذرا ناعة المؤتمر
مزيعة بصور كبيرة للثورة الصينية وبطاشة من الصور الاخرى وكان بين
مندوبي تلك الشعوب كثير من الزوج والعبيد (1)

وتشير إحدى وثائق وزارة الخارجية البريطانية عن هذه الفترة الى ان
الحزب قد اتصل بالعناصر البيمارية في حزب الوفد وتقول نفس الوثيقة
وقد تكون مصر فرع لعصبة النضال ضد الامبريالية (2)
كذلك فان احد التقارير البيرية المرفوعة عن السفارة الانجليزية بالقاهرة
الى وزارة الخارجية تشير ان الحزب حاول الاتصال بالشيخ عبد العزيز
جاويش (مات عام 1929) لكنه فشل في ذلك (3)

وعندما منعت الحكومة المصرية النائب البريطاني الشيوعي سكلا تقالاً
من دخول البلاد كشفت المناقشات التي جرت في البرلمان حول هذا
الموضوع عن اتصال بعض نواب الوفد والحزب الوطني بفرع العصبة في مصر

- ١ - اللطائف المصورة (٢١-٢٧-١٩٢٧) - Piece No : 1380 - Egypt And Sudan - File-2073/2730 - K.O 371 (2)
- ٢ - التقرير السنوي للسفارة الانجليزية المرفوعة لوزارة الخارجية عن
عام 1921 - ومودع بالمتحف البريطاني تحت رقم
File 2862/38746 Piece No : 14652

خطبات
أشقى يبقو أنه نشط في توزيع صور من كتبه سكرًا تفلاً على عدد من
السنوات
وقد قال النائب حسن سيد أحمد نافع « أنه قد ورد لأكثر من واحد
من المصريين كتب شخصية من المستر بيكلا-تفلاً من واستحووا لي إن أتوا
على حضراتكم ترجمة إحدى المقربات من بعض خطباته »
ويقول محمد حافظ رمضان في نفس الجلسة أنه قد تلقى واحداً من هذه
الخطابات (١)

ولعل مسرحية سكرًا تفلاً بكل ما كشفت عنه من صراعات كانت النضال
الأول من الحملة الجديدة ضد الحزب الذي استطاع أن يقم إلى حد ما نوعاً من
التجمع الوطني المناهض للاستعمار . والأذى نجح إلى حد ما في تحقيق
الهدوء الأكثر خطراً من وجهة نظر الترجمة الحزبية والأختلال البريطاني وهو
أيجاد علاقات بين الحركة الوطنية المصرية وبين حركة اليسار العالمي المناهض
للاستعمار والإمبريالية والسعي لأيجاد تجمع عربي مناهض للإمبريالية
وكانت قضية المؤامرة الوهمية التي جاول فيها أحد عملاء البوليس اتهام
الشيوعيين وحافظ رمضان بالاشتراك في مؤامرة لاغتيال الملك فؤاد خلال زيارته
لاوروبا (٢) . في الفصل الثاني من الحملة التي صارت توجهها ضد اليسار

وقصد القومي الوطنية التي تجالفت معه
ثم بدأ الفصل الثالث بحملات التشهير والقبض ضد الزعماء العرب الذين
شاركوا في نشاط العصبة . وإذا كان مظهر البكري وأكداً من أبرز القادة
العرب اللذين أسهموا في نشاط العصبة . وصاحب الاقتراح الخاص بتأسيس
عصبة عربية مناهضة للإمبريالية وبعد مؤتمر عربي للنضال ضد الاستعمار
بالمهارة . فإن الضربة الأولى يجب أن توجه إليه . ويجب أن تتخذ ضد
لها على صفحات الجرائد المصرية لمبدأ تكون تحديراً للوطنيين المصريين . ورادعا
لهم .
وتنشر الصحف المصرية الخبر التالي في تحري البوليس في يناير دار السيد
نسيب البكري للتحقيق عن أوراق عامة يقال أن لها صلة بعلاقة السيد نسيب
وأخيه مظهر بقبض مبالغ من اللجنة الشيوعية باسم بعض الحملات . وقد
شاغ قبل شهرين أن الحكومة عذرت على أوراق تشير إلى ذلك في دار اللجنة

١ - مضطحة الجلسة الثانية والثلاثين من المجلس السنوي يوم
١٩٢٧-١-٢٥ راجع النص الكامل بالملاحق
٢ - اللجان الثثة ١١-٢٢-١٩٢٧

لشيوعية، بياثما . ويقال أيضا ان السيد مظهر البكري سائر بأموال الشيوعيين
الى مؤتمر بروكسل (١) .

والآن فان المسرح يبدو معدا لتوجيه ضربة جديدة للحزب في مصر . ذلك
ان كل نجاح جديد يحققه في أى مجال من المجالات كان يستتبع بالضرورة
حملة بوليسية عنيفة تستهدف اجهاض هذا النجاح .

وكذلك فان توجيه الضربة للحزب كان يعنى بالضرورة احباط المحاولات
الجادة التى بذلها بوعى وكفاءة لخلق جبهة مصرية مناهضة للاستعمار ولخلق
جبهة عربية ضد الاستعمار ايضا .

وكان ضروريا ان تثن حملات دعاية تكون بمثابة الموسيقى المصاحبة
لحملات الاعتقال وتركزت الحملات في هذه المرة ايضا على العلاقات بالكونغرس
وعن العناصر الاجنبية ، واخيرا - وهذا هو المهم - حول دور بنود فلسطين في
الحركة .

وهكذا ومع اول علاقة ثورية ينظمها الحزب او يدعو لتنظيمها مع القوى
الثورية العربية تثن الحملة ضده من جانب ذكى يحاول تثن التحالف العربي
من حوله .

فيستخدم النشاط الشيوعى وسط يهود فلسطين وعلاقته بنشاط الحزب
في مصر .
وكالمادة : فقد بدأ احد الراسلين الاجانب الحملة .

ففى أوائل مايو ١٩٢٨ كتب مراسل للتايمز بالقاهرة مقالا حيزر فيه
من ان « الدعوة الشيوعية عادت تسمى في مصر مسرى سريعا ، وانها ستخلع
دورا خطيرا في المستقبل القريب ان لم تتخذ احتياطات حازمة لقمعها . »
وقال ان النشاط قد بدأ يذب في اوساط الشيوعيين من جديد . « وقد عاد من
موسكو اخيرا شبان مصريون بعثوا اليها على نفقة السوفييت حيث تلقوا
هناك المبادئ في موسكو ، وهؤلاء دعاة قادرون وسيمنظمون بزوباجسدة
ناجحة . ومن المحتمل ان تستمر هذه البعثات في السنوات القليلة القادمة .
نمن الضروري ان تنشط السلطات المصرية لمراقبة حركات هؤلاء الطلبة التى
ينظمها السوفييت في اوديسا وغيرها من الموانئ الشرقية ، ثم يصل الى بيت
القصيد فيقول « وما يزيد من مهمة السلطات المصرية صعوبة ومشقة ان
فلسطين مركز قوى للشيوعية فهى بمثابة حلقة اتصال بين موسكو والقاهرة (٢)

١ - السياسة - ٢٠-٨-١٩٢٧ .

٢ - عبد العظيم رمضان - المرجع السابق - ص ٥٥٦ .

وعلى الجانب الآخر يزدقم أيضاً صوت الموشمي المصاحبة في منتبهات
المقالات في الصحف المصرية تردد ناس الفعنة ويشترط البلاغ، مقالاً للكثيرة
محمد ابو طائلة نطالب الحكومة بان تزيد رقابتها على الاحزاب المرفدين من
تلبطين خاصة، فقد سررت افكار الشيوعية بين المهاجرين الذين استعصروها
حديثاً وصاروا رسل البلشفية الى هذه البلاد، والصلة بين روسيا والشرق
ومن المصريين ايضا افراد قليل من روثق المبادئ الشيوعية وحسن طلاقتها
او دعتهم الحاجة التي ان يتبعوا انفسهم بالاشقة ويصحبوا ما يوزونهم في
مضراً ومهم شتيان فيلتنون التعاليم البلشفية في جامعة دمشق (١) في
السياسة ، فانبأ تربط بين النشاط الشيوعي وبين مؤامرة عالية
واسعة النطاق في حوادث الايام الاخيرة ما يبيهن على ان الشيوعية تقوم
بوتية في سبيل بيت الدعوة الثورية ، والظلم وان هذه الوثبة عامة تشمل
البلدان التي تانس فيها الشيوعية ميدانا للعمل ، وليس بعيدا ان مصر إحدى
هذه الميادين ، وانها وثبة محكمة مديرة تتجمع بينها وحدة الرعي والخطا
والمؤامرة المتأخرة والفتوية ، في هذا الحقل المصاحبة في ريادة الفعنة
وبعد حديث منسوب عن النشاط الشيوعي المتزايد في النمسا والمجر
وقتلندا وبريطانيا واليابان تمضي السياسة قاتلة ، وهكذا نرى زيج الشيوعية
تعصفت في أنحاء مختلفة من انقى العالم التي باقتضاة وتبعيداً كما ان
يرجع اتحاد هذه الفورات في الظروف والاساليب والمقاصد التي الاتفاق المجدد
فليس من ريب انها حزبة موحدة مبدية ، وانها تخرج كلها الى وجه واحد (٢)

وفي مواكبة هذه الموشمي المصاحبة بدأت حملات التنصير والاعتقال وفي
٥ مايو ١٩٢٨ تلتفت حكومتنا بولنيس الشهادة من وزارة الداخلية بتويات
خاصة بالتنصير على ٢٨ شيوعياً ، وكان من بينه ما يشرف على العمل
ان سيرة الإجراءات التي تمت خلال عملية القبض توحي بان البوليس
طور الى حد كبير اثنائه في مكانه الحزب ، وبتنصير في
فيأخذ جناب بيكر بك ما هو الضبط في الحكمدارية في ووضع الترتيبات
بمهاجمة منازل هؤلاء الشيوعيين واصدر في الحال دعوة الى ضباط البوليس
الآنية اسماءهم بالحضور الى فناء الحكمدارية في الساعة الخامسة صباحاً
(وعرف من ضباط الاقسام ورا من ضباط نظم المكتب السياسي وضباط نظم
الضبط الاجنبى) في يومه من ذلك من انفسه في كل من
١ - البلاغ - ٩-٥-١٩٢٨ : ٤١ : ٧٥ : ٨٠ : ٧٥ : ٨٠
٢ - السياسة - ٨-٥-١٩٢٨ : ١١ : ٧٥ : ٨٠ : ٧٥ : ٨٠

منه، ولما كانت الاجراءات والقرتديات، بسرية غاية في الكتمان، لم يستطع
اي ضابط من الضباط الوقوف على الامر الذي دعى من اجله.

وعند الساعة الخامسة والثلاث من صباح امس كان كل الضباط مجتمعين
في فناء الحكمادارية وهناك سلم بيكر بك الي كل منهم امرا مكتوبا باعتقال
شخص معروف بمبينة اوصافه ومميزاته واقامته وتفتيش منزله واحضاره
هو وكل ما يعثر عليه في منزله من صور فردية او عائلية وضخف اجنبية
وخطابات وبطاقات زيارة واوراق خاصة (١) بها رموز من مسماه

وهكذا عاجم البوليس في وقت واحد ١٨ منزلا في شوارع محمد علي
وكلوت بك وحارة المسقاين وشوارع اخرى في شبرا وعابدين والازبكية

والى هنا فان الامر يبدو بالنسبة لكثير من المؤرخين وكأنه جاذبة
الطبيب

نقد اكتفى هؤلاء المؤرخون بالبحث عند هذا الحد معلنين ان ما بعد ذلك
مجرد ولا شيء.

وهكذا اعلن رؤوف غباش ان النشاط الشيوعي في مصر ظل خلال
الثلاثينات هزليا يعتمد على جهود العناصر الاجنبية (٢)

اما عبد العظيم رمضان فقد اعلن - بصورة قاطعة - عزيمته على السلوب
البحث العلمي - ومنذ ذلك الحين لم تقم محاولة تذكر لاعادة تاسيس الحزب
الشيوعي المصري (٣)

بل ان عبد العظيم رمضان قد حاول استتخراج ما يمكن تسميته
بشهادة الوفاة لهذا الحزب فأفرد فصلا تحدث فيه عن اسباب فشل
الحركة الشيوعية والاشتراكية في تثبيت اقدامها في التربة المصرية

وعلى اية حال - ويرون ان يكلف انفسنا عناء اثبات خطأ هذا رأي -
فاننا سنواصل البحث عن معلومات حول نشاط الحزب

والذي لا شك فيه ان الحزب كان يعاني معاناة لا يحكود لها، ليس فقط
من المطاردات المستمرة والعنيفة من جانب البوليس، ولا من حملات الذعاية
والتشويش التي نجسحتها صحافة وكتب هذه الفترة، وانما - وهذا هو الاكثر

خطرا - من تسلل احد عملاء البوليس ليصل جثتي، متصب السكرتير العام

١ - الميمنة ٥٤١٢ - ١٩٢٨ - ص ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢
٢ - رؤوف غباش المرجع السابق ص ٢٦٤
٣ - عبد العظيم رمضان - المرجع السابق ص ٥٥٨

الامر الذي يمكنه من توجيه ضربات عنيفة للحزب وتآكثركوا دره وقيادته
إخلاصا كانوا يقبض عليهم أو يختنقون بطريقة غامضة، بل يبدو ان احد
مبعوثي الدولة الشيوعية قد اختفى هو ايضا لدى مروره بمصر، والبعض
الاخر قبض عليه أو طرد من البلاد (١)

ويرغم ذلك كله فإن ثمة دلائل تشير الى ان الحزب قد واصل - الى
حدي ما - تقديمه

ولنعد مرة اخرى الى وثائق وزارة الخارجية البريطانية والى صحيف
هذه الفترة لنحاول ان نستجمع منها بعض اشارات أو لمحات حول نشاط كان
يجرى في سرية تامة

وفي التقرير السنوي للسفارة الانجليزية بالقاهرة المرفوع لوزارة الخارجية
البريطانية عن عام ١٩٢٩ - (٢) نقرة بعنوان: الشيوعية خاء فيها، ويواصل
البوليس مراقبته الحذرة ضد الشيوعيين، ويحاول جهد الطاقة منع أي عميل
شيوعي من التسلل الى مصر

وخلال عام ١٩٢٩ حاول ١٣ عميلا التسلل الى مصر وقبض عليهم لكن
القوميون لم يكف عن نشاطه ومحاولاته لتحويل مصر الى مركز للنشاط
الشيوعي في العالم العربي

ويستحيم الكومنترون السفن السوفيتية في عمليات التهريب كذلك يستند
الى النفوذ الشيوعي في اوروبا (ايطاليا واليونان)

وقد قام الكومنترون بتوجيه الدعوة الى عدد من المصريين للدراسة في
جامعة كادحي الشرق، وقد عاد ٦ من المصريين بعد ان اتموا دراساتهم وبقى في
موسكو آخرون

والحقيقة ان الجور الاساسي لتربية الكادر واعياده كان يتركز حول ايفاد
عدد جديد من اعضاء الحزب من الشباب للدراسة في جامعة كادحي الشرق
وتشير الدلائل الى ان الحزب قد استمر تنجاح في عملية ايفاد الكادر للدراسة
ثم اعانتهم الى مصر

وهكذا فان الامر قد اصبح وكأنه نوع من البنيان الذي يفوز في حلقة
مفرغة، الحزب يفوز على الجوام كوادر جديدة ومخصصة، ويستقدم باستمرار
عناصره التي تربت في جامعة كادحي الشرق لكن كل ذلك يذهب الى هضام
البوليس التي فشلتها السكرتير العام محمد عبد العزيز

١ - مارسيل اسرائيل تشيريزي - المزج السابق -
Egypt And Sudan File: 2862/3874 - Piece No : 371 - F.O. (2)
14652

مرة أخرى تتخذت وقائق وزارة الخارجية البريطانية عن عمليات قبض جديدة .
 مذمة وثيقة بعنوان « التقرير السنوي لبوليس القاهرة عن ١٩٣٠ »
 جاء فيها (١) : « ... »
 « ألقى القبض على مجموعتين للشيوعيين الأولى مكونة من الأرمن وقد سجن أعضاؤها أو ذنوا والآخرى من المصريين وقد سجنوا ... »
 « وتمضى الوثيقة لتورد عبارة ذات دلالة عامة « ويقول رئيس بوليس القاهرة ان رؤساء هذه المجموعة كانوا من الفعالية بحيث ان نشاطهم كان مؤثرا في اوساط واسعة ... »
 والحقيقة ان النشاط الحزبي قد استمر برغم كل هذه الصعوبات . ففي اول مايو ١٩٣٠ وزع الحزب على نطاق واسع منشورا دعا العمال الى الاحتفال بعيد اول مايو . وقدم كعادته برنامج عمل للطبقة العاملة بهذه المناسبة .
 وقد قبض البوليس على اثر توزيع هذا المنشور على عدد من العمال من بينهم شعبان حافظ لكن شعبان حافظ افرج عنه بضمان وتمكن من السفر سرا الى الاتحاد السوفييتي وعاد سرا في عام ١٩٣٤ حيث اقام بالزقازيق وكون خلية حزبية هناك (٢) .

وقد استبطاع الحزب مرة اخرى ايفساد عدد من كوادره الى الاتحاد السوفييتي وفي عام ١٩٣٠ يسافر عدد من اعضاءه العمال من بينهم يوسف حسن خضر (٣) .

ويبدو ان حملات القبض على الشيوعيين قد اتسعت مرة اخرى خلال عامي ٣٠ - ١٩٣١ بحيث بدأت الصحابة العربية في الشمام تطالب بالافراج عن العمال المصريين الذين يعانون في السجون بتهمة الشيوعية (٤) .
 كذلك فان وفاق المؤتمر السادس للكونغرس (١٩٢٨) تشير الى ان الحزب الشيوعي المصري يلعب دورا هاما في حركة التحرر الوطني . ويعتمد في تنظيمه على البروليتاريا . والنقابات التي تضم العمال المصريين هي مصدر الطلائع والقيادات بالنسبة له (٥) .

Egypt And Sudan - File 3759/3789 - E.O. 12812 (٥)

٢ - الاهرام ١٩-٦-١٩٣٥
 ٣ - المصري - ٣٠-١٠-١٩٣٦ . وردت هذه الاشارة عرضاً في موضوع خاص بمحمد عبد العزيز .

٤ - الف - باء - تشرين ثاني - نوفمبر ١٩٣١
 ٥ - بروتوكول المؤتمر السادس للكونغرس - الجزء الرابع ص ١٩٥ من الطبعة الالمانية .

مقدماته لكن الفتحاح الأكثر الذي تحدثه الحزب في ذلك الوقت وهو اكتشاف
خيانة محمد عبد العزيز وطرده من صفوف الحزب .
١٩٢٢م هو محمد عبد العزيز وهذا . ان جريدة المصرى تروي قصة تقول
ان الثورة سنة ١٩١٩ فصل محمد عبد العزيز الموظف بالسكة الحديدية عقبا
الأضراب العام في وقت تزكته الختمه بنامه اتصل ببعض الأشخاص ممن
كانوا يروجون للمبادئ الشيوعيه فعرضوا عليه السفر الى روسيا
في سنة ١٩٢٢م وافق عليهم . كان في طريقه الى روسيا مع صديق له
من المصريين . والحقا ان المدرسة الاشتراكية الشيوعيه وظلا يتلقيان العلوم الخاصيه
بالمبادئ الشيوعيه وما يتبعها من علوم اخرى وفنون متنوعه . وفي سنة ١٩٢٢
اتهما علومهما وعاذرا المدرسية الى ميدان العمل بين من خدمته في
سنة ١٩٢٢م وعين محمد عبد العزيز على اثر تخرجه من المدرسة قاضيا بالمحكمة
الثورية في موسكو وظل يقوم بخدماته كعضو في هذه اللجنة حتى نهاية ١٩٢٧م
ثم ما وتقول جريدة المصرى في روايتها ان محمد عبد العزيز له وضع قدمه
في مصر راح يتشرب دعايات ضد المبادئ الشيوعيه خصوصا وانها تخالف
الدين الحقيقي له (١) من سنة ١٩٢٢م - ١٩٢٣م - ١٩٢٤م .
ولذا كان مرسيل اسرائيل (تشريزي) يلتقي للوم على اناتاكاس في
اختياره محمد عبد العزيز مذكرات في الحزب فان ذلك عهدا الفتحاح القاضى يلتقى
اللموم على حسن الجرائد في اختياره اصلا للسفر الى موسكو في سنة ١٩٢٢م
و لكن حسن الجرائد كان ظنه طبيبا ويخدع بسهولة وكان لا يخشى
اختيار الاشخاص وعاشته الذين ارسبلهم الى أمريكا كدراسته فقد ارسبل
مثلا محمد عبد العزيز وهو الذي اختاره في سنة ١٩٢٣م - ١٩٢٤م .
ووفقا لرؤية محمد الفتحاح القاضى اننا يؤكد ان محمد عبد العزيز
كان جاسوسا منذ التزمه الاول . وهو يؤكد ذلك مستفيدا الى مصدر مهم هو
اعترافات محمد عبد العزيز نفسه . انا قرأت مذكرات محمد عبد العزيز وكان قد
اودعها عند المحامين وكل المذكرات خيانة وحتى وهو في الاتحاد السوفيتى
كان يحون وهو يذكر ذلك صراحة في مذكراته وكانت مكتوبة بخط اليد في
حوالى خمسة كراسات . وعندما كان في روسيا ارسل مثلا الى مستلمي الاتحاد
السوفيتى لاتقاعهم بالاشتراكية فكان يجردهم في يد النظام الاشتراكى
وأورد في مذكراته ايضا سلسلة خياناته وتبليغه لكل المتدوين الذين اتوا
الى مصر (٢)

١ - المصرى - ٣ - ١ - ١٩٢٦م
٢ - راجع النص الكامل لتاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - الرخ
السابق - ص ٢٧٠

ويقول عصام الدين حنفي ناصف في مناقشة معه « الكومنترون ارسل شخص نمساوي اسمه فاييس في عام ١٩٢٧ على ما اظن وعندما وصل قابله محمد عبد العزيز واستولى على نقوده وسلمه للمباحث » (١) .

وقد جرت عدة محاولات لاغتيال محمد عبد العزيز قال البوليس ان الشيوعيين هم الذين قاموا بها ، وقال الشيوعيون ان البوليس هو الذي يريد التخلص من عميل اكتشف واصبح مجرد عبء .

وعلى اية حال فان المصادر جميعا تجمع على توالي محاولات الاغتيال .
• وعلى ان محمد عبد العزيز قد مات بانسا وفي حالة تزيينة من الجنون .

واذا كان اكتشاف محمد عبد العزيز يمثل خطوة هامة في تاريخ الحزب بحيث مكنته بعد ذلك من أن يحاول من جديد بناء كوادره ومجموعاته بعيدا عن المراقبة المباشرة لعيون البوليس فان استمرار عميل للبوليس في موقع السكرتير العام للحزب طوال اربعة سنوات كان كفيلا بتوجيه ضربات بالغة العنف لحزب سرى .

ان الكوادر كانت تكتشف على الفور ، والذاهبون الى موسكو والعائدون منها يجدون انفسهم بعد فترة أو اخرى في قبضة البوليس .

وكان طبيعيا أن يصاب الحزب بضربات عنيفة وبضعف شديد ، وأن يعاني كوادره من فقدان الثقة في بعضهم البعض وثمة محاولة موجزة لتصوير حالة الحزب في كتاب « الدولية الشيوعية قبل المؤتمر العالمي السابع » تقول « لقد سيطر للبوليس على بعض المجموعات غير المبدئية في الحزب الشيوعي المصري ، وهو يعمل من خلالها لتقسيم الحزب » . ولهذا فانه يمكن وصف حالة الحزب المصري بأنه غير نشيط » (٢) .

والحقيقة ان قصة ترشيح ياناكاكس لحمد عبد العزيز تتكرر من اكثر من مصدر . . . ونيقولا بباريدوتي * يقول « ياناكاكس قابل محمد عبد العزيز

٣ - راجع النص الكامل في المرجع السابق - ص ٢٧٧ .
١ - الدولية الشيوعية قبل المؤتمر العالمي السابع - الطبعة الالمانية
ص ٩٠

* نيقولا بباريدوتي شيوعي يوناني قديم . انضم للمجموعة الشيوعية اليونانية بالقاهرة سنة ١٩٢٥ وكان صديقا شخصيا لياناكاكس ويروى عنه تكريات هامة تدل على تعلقه الشديد به وعلى قوة ذاكرته .

ولا يزال يقيم بالشاهرة حتى الآن (توفي عام ١٩٨٤) . وقد قام بباريدوتي بكتابة مذكراته باللغة الفرنسية وادعها ليدى المؤلف .

في السجن وأعجب به . . . ويقول « كنت أنا وعدد من الرفاق اليونانيين منهم جورج بيريدس ونيكوس نيقولايبديس نجتمع كل يوم بعد الظهر في محل ياناكاكس واذكر أنه في عام ١٩٢٨ أو حوالي ذلك مر شخص من أمام المحل فقال ياناكاكس هذا هو محمد عبد العزيز . . . كان معنا ثم عمل مع البوليس . . . »

وإذا كان الاستناد إلى تحديد تواريخ دقيقة من ذكريات قديمة لاشخاص ، يمثل مجازفة بالنسبة للمؤرخ إلا أن بياريوتى يؤكد أن هذه الواقعة قد حدثت حوالي ١٩٢٨ ويقطع بانها كانت قبل ١٩٣٠ . . .

وإذا كان الأمر كذلك فإن معركة طرد محمد عبد العزيز من الحزب قد استغرقت وقتا طويلا وصراعا داخليا عنيفا . . . وهو امر يسبب لأي حزب ازيمات ومضاعب حمة . . .

ولقد رأينا كيف حاول مارسيل إسرائيل (تشيريزى) أن يلقي اللوم على ياناكاكس لأنه هو الذي رشح محمد عبد العزيز كسكرتير عام للحزب عام ١٩٢٧ . . .

وكيف أن عبد الفتاح القاضى حاول أن يلقي اللوم بدائه على محمود حسنى العرابى لأنه هو الذى رشح عبد العزيز أصلا للسفر إلى موسكو عام ١٩٢٢ . . .

لكننا نعتقد أن الجزء الأكبر من اللوم يجب أن ينصب - أساسا - على أسلوب الكومنترن في تعيين سكرتير عام للحزب ، بقرار علوى يصدر بعيدا عن كادر الحزب وعن أعضائه . . .

وعلى أية حال فإن قرارا كهذا قد أصاب الحزب المصرى والعمل الثورى المصرى ككل بضربات عنيفة ، واجهها أعضاء الحزب في بطولة نادرة ، محتملين في شجاعة وصبر نتائج خطأ لم يرتكبوه . . .

وبعد طرد محمد عبد العزيز قرر الكومنترن أن يحدد علاقاته بالحزب المصرى . . .

وقد ترددت شائعات كثيرة عن صدور قرار من الكومنترن بحل الحزب ، لكن البحث في وثائق الكومنترن ومجلاته لم يسفر عن وجود مثل هذا القرار الذى نشك كثيرا في صحوره . . .

وعلى أية حال فإن كثيرا من الشواهد وخاصة تلك المتعلقة باستمرار ذهاب الكوادر للدراسة في موسكو والعودة منها . . . تدل على أن الكومنترن وإن كان قد « حذ » إلى درجة كبيرة من علاقاته بالحزب إلا أنه لم يقطعها تماما . . .

ذلك أن عددا من كوادر الحزب مثل محمد دويدار ، وتשמبان حافظ ، وعبد الرحمن
نضيل ، كانوا لا يزالون وحتى عام ١٩٣٧ يجنون العون من « الأحزاب الشقيفة »
في تسهيل مهمتهم في العودة الى أرض الوطن تحديدا لقرار اسقاط الجنسية
عنهم .

وعلى أية حال فإن الكومنترن وإن كان لم يصدر قرارا بحل الحزب ،
فإنه ابتداء من عام ١٩٣٥ لم يُعَد يعترف بوجوده كعضو في الكومنترن .

ذلك أن طبعة عام ١٩٣٥ من دائرة المعارف السوفيتية قد استقطت
اسم الحزب المصري من قائمة الأحزاب الشيوعية في العالم .

* * *

وبرغم ذلك كله فقد واصلت كوادر الحزب نشاطها ، بل إن الحزب قد
نمته موجة من النشاط بعد أن تخلص من هيمنة محمد عبد العزيز .

يقول لاکور « لقد نسب الى محمد عبد العزيز أنه نصح الشيوعيين بالآ
يشاركوا في مظاهرات مايو ١٩٣٦ العظمى .

وبعد أن كشف أمره كجاسوس للسلطات بدأ الحزب وكأنه يدنو من
النجاح وقد تبني برنامجا سلبيا (١) .

وإذا عدنا مرة أخرى الى الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية
فإننا نجد اشارات هامة توحى بتجدد نشاط الحزب وبتمركز هذا النشاط
وسط التجمعات العمالية الهامة .

ففي « التقرير السنوي المتنوع من السفارة البريطانية الى وزارة الخارجية
للبريطانية عن عام ١٩٣٣ » نجد فقرة بعفزان « تقرير عن الشيوعية في مصر
عام ١٩٣٣ » وقد تضمنت هذه الفقرة معلومات هامة من بينها « يحاول
الحكومنترن معاودة تأسيس النشاط الشيوعي ، ففي ورش الترسانة بالقاهرة
بدأ النشاط الشيوعي هناك عن طريق عميل أساسي هو سالم يوسف واسمه
الحقيقي وعيب المالك . وفي عنابر السكة الحديد هناك شخص آخر اسمه
حسين الخراط واسمه الآخر على حسين . والاثنين كانا يدرسان في مونسكو
ثم عادا سرا .

١ - لاکور . الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط . المرجع السابق ص ١٢٢ .

وقد حاول الخراط تاسيس خلية شيوعية وسط عمال العنابر وكان يعطى للعمال محاضرات عن النظرية الماركسية .

وفي يونيو ١٩٣٤ قبض على ٢٢ من العمال بعد أن وزعوا منشورات شيوعية في عدد من المصانع ، (١) .

وعلى أية حال فإن صحف هذه الفترة ظلت على الدوام تحمل أنباء القبض على خلايا الحزب أو محاكمة أعضائه . وفي كل مرة كانت الصحف تؤكد أن الخلية التي تم القبض على أعضائها كانت « آخر خلية » .

ولعل تتبع مثل هذه الانباء يقدم لنا بعض المعلومات عن نشاط المجموعات الحزبية التي ظلت تعمل طوال السنوات التالية . وحتى نشأة التنظيمات الشيوعية الجديدة والتي ركزت جهودها أساسا وسط تجمعات العمال .

ففي ٢٠ مايو ١٩٣٥ خبر عن محاكمة مجموعة من العمال الشيوعيين أمام محكمة الجنايات وهم محمد وهيب المالك وعلي حسن حسنين ومحمود السيد علي ومحمد علي ، (٢) .

وبعد شهر واحد قضية أخرى تشير إليها الصحف تحت عنوان قضية المنشورات الشيوعية ، (٣) .

ثم قضية أخرى تشير إلى أن الكوادر العائدة من موسكو قد تمركز بعضها في التجمعات الصناعية بعيدا عن القاهرة بعنوان آخر في الصحف « قضية الشيوعية بالمحلة الكبرى » .

والخبر يقول « نظرت محكمة جنايات طنطا قضية الشيوعية في جلسة سرية وبعد سماع الشهود واستعراض المنشورات المضبوطة تبين أن عزيز عبد الملك نيروز المتهم الاول كان منفيا باحدى الدُول الشيوعية عام ١٩٢٧ وجاء إلى مصر وأقام بالمحلة الكبرى . وإن المتهم اثنى محمد عبد الوهاب والمتهم الثالث مصطفى اسماعيل حافظ والمتهم الرابع مصطفى الحراج » (٤) .

لكن أخبار القبض والاعتقال ورغم أنها دليل لا يدحض على استمرار

(١) F.O. - 371 - Egypt And Sudān - File 421/493 - Piece No.

19089

مودعة بالمتحف البريطاني

٢ - الأهرام ٢٤ - ٥ - ١٩٢٥

٣ - الأهرام ١٩ - ٦ - ١٩٣٥

٤ - الأهرام ١٨ - ٤ - ١٩٢٧

النشاط الحزبي فإنها دليل سلبي : بمعنى أنها تمثل أيضاً وفي نفس الوقت قدرة البوليس على ضرب التنظيم الحزبي وزبما كانت - في ذاتها دليلاً - على ضعف هذا التنظيم وعدم كفاءته .

ومن هنا كان البحث المضمنى عن أدلة أخرى أو دلائل أخرى على هذا النشاط الذى لا تعكس لنا صحف هذه الفترة عنه الا أخباراً متقطعة عن الاعتقالات والمحاكمات . .

ومن حسن الحظ أمكن العثور على بعض ملاحظات دونها الرفيق « سبانو » وهو أحد قادة الحزب الشيوعى الإيطالى وقد حضر لمحضر حوالى عام ١٩٣٥ حيث أقام لبعض الوقت هرباً من ملاحقات الحكم الفاشى (١) . ويضم أرشيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الإيطالى عدة تقارير تتضمن ملاحظات مختصرة ورموزاً وإشارات حول نشاط الشيوعيين المصريين فى هذه الفترة وسوف نثبت فيما يلى بعضاً من هذه الإشارات المختصرة ، نهي على اختصارها تقدم دليلاً تاماً على استمرار النشاط الحزبى وعلى قيام تنظيم متماسك ذى قيادة مركزية وفروع مختلفة وقبيرة . على التأثير وسط الحركة العمالية والحركة النقابية وسط التيار اليسارى فى حزب الوفد . .

ان هذه الملاحظات المختصرة التى أوردها « سبانو » ، والتى أعين فى اختصارها ربما حفاظاً على أمن وسرية العمل ذات دلالة هامة بالرغم من اختصارها .

« سالمون سوربانو » ، منتدب فى الاسماعيلية كموظف فى شركة القنال . نشاطه محدود فى الوقت الحاضر وقد « جند » مهندساً فرنسياً فى الشركة اسمه كوزناكوفسكى . ثمة بعض اتجاهات طفيفة فى آرائه تميل الى القروتسكية .

وهو فى سبيله لأثناء مدرسة للاسبرانتو .

شقيقته اوارد احتفظ دائماً باتصالات فى بورسعيد . ولكنه حالياً مستقر فى القاهرة حيث يدير I.S.C.A (لجنة مكافحة معاداة السامية) التى تضم ١٢٠٠ عضو .

✽ ومن أحسن الرزاق موبز أصغر عائلة ماصارى عمره ١٩ سنة . يتكلم

١ - يقول لاکور - الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط . « أقام سبانو فى مصر كلاجئ سباني منذ قيام الفاشستية ، وعاد الى ايطاليا بعد الحرب » . المرجع السابق . جاشية ص ٣٢١ .

ويكتب العربية والفرنسية والإنجليزية والأسبرانتو . نشيط وشجاع وجريء له تأثير كبير بين موظفي البلدة .

* أما ادولرد سوريانو فيتميز بنفس الصفات لكنه متقف أكثر من اللازم . ولا يعرف العربية النصحى .

* أما العشرون رفيقا الاخرون فهم مصريون وموزعون بين الزقازيق والسويس والقاهرة والاسكندرية .

* من بين هؤلاء الرفاق يوجد « العجوز » وابناؤه .

* وشيخ من الزقازيق يعمل سكرتيرا للجنة السلام بالمدينة .

* وشيخ آخر هو سكرتير نقابة عمال السكة الحديد بالزقازيق .

* ومدير الشركة التعاونية للاوتوبيس .

* وآخر من اللجنة المركزية للنقابات عباس حليم .

* للحزب لجنة مركزية - من الذي انتخبها ؟ - من ٧ أعضاء من بينهم « العجوز ابراهيم » من الزقازيق سكرتيرا .

و « الجزائر » الذي اعتبر عضوا لكنه لم يدع أبدا للاجتماعات . واثنان من المخامين من القاهرة أحدهما يدعى زهير صبرى وكلاهما عضو في الوفد والنقابات الوحدية . ومدير الشركة التعاونية للاوتوبيس واثنين آخرين .

* طرح اقتراح بتوزيع منشورين في المظاهرات الكبرى التي نظمتها الوفد ولكن « العجوز » رفض .

* وكان هناك استياء كبير في صفوف عمال النقابات الوحدية - فالاجتماعات قليلة والعمال ليس لهم حق الكلام فيها . ومن ثم وزع ابراهيم من القاهرة (واضح أنه غير « العجوز ابراهيم » السكرتير وهو من الزقازيق) منشورا بين الجماهير عن طريق العلاقات الشخصية ، وقد أعيد نشر هذا المنشور بواسطة النقابات المستقلة للاوتوبيس وكان شعاره الأساسي حرية الكلام والمبادرة العمالية داخل النقابات ، والانتخابات الديمقراطية لقيادات النقابات بواسطة مجالس النقابات .

* وقد تلقى ٤ عمال من قيادة الحركة العمالية هذه الشعارات ثم طلبوا انعقاد اللجنة العليا (يقصد اللجنة الاستشارية العليا للنقابات التي أسسها الوفد) ولكن « العجوز » اعتبر هذه السياسة متناقضة مع القيادة .

✳️ وأبراهيم العجوز من الزقازيق رفيق طيب ونشط جدا ولكنه متأثر جدا بحلقة الرفاق السوريين وكذلك بالمحامين الوفديين الذين في القيادة المركزية وجمدوا الحركة .

✳️ مراكز ثقل « الجزائر » في بورسعيد • إبراهيم يوسف في القاهرة .
✳️ إبراهيم من القاهرة (الصحيق العربي الالماني الذي كان على صلة بعصبة النضال ضد الامبريالية) وقد أحضره الحاج (١) .

✳️ هناك تجمع من «لاستقزازيين والعناصر الشيوعية (عزيز ويحيى) يقال انهم كانوا في موسكو » وقد حاولوا الاتصال بلجنة التسليم في الاسكندرية ، ولجنة مكافحة معاداة السامية ،

والآن فان هذه الملاحظات المختصرة تفتح الباب امامنا لنبحث عن تفاصيل نشاط هذا «الحزب» كما أسماه « سبانو » وعن أعضاء لجنته المركزية السبعة . . وعن « العجوز » السكرتير العام .

وإذا كان من حق المؤرخ أن يطرح بعض الافتراضات فاننا نفترض أن « العجوز » من الزقازيق هو شعبان حافظ فهو الكادر المهم الذي استقر في هذه الفترة بالزقازيق وقد قبض عليه البوليس فعلا في عام ١٩٣٥ بالزقازيق(١) .

لكن الشيء الواضح هو أن هذا « الحزب » كان كيانا ذا قيمة ، فله علاقات هامة بالنقابات والتجمعات العمالية . وكانت له علاقات أيضا بالتجمعات الاجنبية « سوريانو » ولجنة مكافحة معاداة السامية (١٢٠٠ عضو بالقاهرة) وكانت له علاقات أيضا بيسار حزب الوفد والتجمعات الوفدية النيابية والعمالية . .

وإذا كان هذا « الحزب » قد عانى من بعض الذرود والحلقة وعدم الانتعاش على الجماهير فان ذلك طبيعي تماما كرد فعل لكل هذه الضربات البوليسية التي وجهت اليه . .

وكان لهذا الحزب تجمع هام في الاسكندرية لعب دورا عاما في ادارة ملحمة عبد الرحمن فضل والانتصار فيها . وقد أشار اليه محمد دويدار في مناقشة معه .

١ - أشرنا من قبل الى اسم ابراهيم يوسف كأحد اثنين من المصريين كانا يعملان في مجلة العصبة .
١ - الأرقام ١٩ - ٦ - ١٩٣٥ .

د س : ماذا فعلت بعد وصولك الى مصر ؟

د ج : اتصلت بالدكتور حسونة (١) بالاسكندرية الذي ابلغني ان هنا خلايا حزبية وان خلية الاسكندرية قررت استضافتي لمدة اشهر للاستجمام والراحة بعد هذه الفترة الصعبة. وفعلا اتممت في بيت بجليم يملكه الرئيس محمد عمر « عمروف » .

وانضمت الى مجموعة الاسكندرية وكانت تضم د : حسونة - عبد الرحمن فضل - محمد عمر - الشيخ صفوان ابو الفتوح

وبعد ذلك انتقل عبد الرحمن فضل الى القاهرة وقررت أنا أيضا ان اذهب للقاهرة لأبحث عن عمل ، وفي القاهرة انضمت الى المجموعة الحزبية فيها وكانت تضم شعبان حافظ د : عبد الفتاح القاضي - وعبد الرحمن فضل وآخرين .

وبعد ذلك اتصلنا جميعا بهنري كورييل وانضمنا الى تنظيمه « (٢) » .

وبروي د : عبد الفتاح القاضي قصة التقائه هو ومجموعته مع كورييل فيقول :

« ذات يوم عند عودتي لمنزلي اذا باحمد اسماعيل جالس في مطعم زينون ومعه عسكري انجليزي ، وباداني وقدمه لي وكان اسمه سام باردل وكان متزوجا من فتاة اسمها جورجيت على ما اذكر كانت تعمل في مكتبة الميدان التي يمتلكها كورييل (اسمها الصحيح هنريت آربيه) وقد قدم أحمد اسماعيل سام باردل لي على انه عضو في الحزب الانجليزي ، وبعد حديث طويل سألني سام لماذا تعملون متفرقين وابلغني ان هناك مجموعة أخرى وقد تعرفت بكورييل وابدأنا العمل معه في تنظيم ح م « (٣) » .

١ - اسمه الكامل حسونة حسين اسماعيل وقد تعلم طب الاسنان بالاتحاد السوفيتي . وقد ألف كتابا عن النقابات العمالية في مصر ، - الأخبار - ٧ - ١٩٧٠ .

٢ - راجع محضر النقاش معه بالملاحق .

٣ - راجع النص الكامل - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ٢٧٠ .

وهكذا . . . وأخيرا وبعد توضيحات - تفوق الوصف - وصعاب ومخاطر
ومطاردات هي من أعنف ما شهدهته مصر ، استطاع هؤلاء الرجال الشجعان ،
أن يسلطوا رأيهم التي حملوها منذ عام ١٩٢٤ إلى الطلائع الجديدة للحركة
الماركسية المصرية في الأربعينيات .

والحقيقة أن كل هذه التوضيحات الغالية وكل هذا التحمل الجاسل
للمشاق والصعاب ليتضاءل أمام روح التواضع وانكار الذات التي دعت
رجالا كهؤلاء كي يقبلوا عن طيب خاطر تسليم زمام القيادة لآخرين غيرهم .
بينما قنعوا هم بمكان - في القاعة - يواصلون من خلاله النقضال من
أجل بناء مصر الاشتراكية .

العرايبي ناصف - القاضى - جماعة التمسك بالقانونية

قلنا في فصل سابق أن محمود حسنى العرايبي قد نادى عقب خروجه من السجن بالاتجاه الإصلاحى القانونى الذى يطالب بالانسحاب من الكومنترن - عدم اعلان شيوعية الحزب - الاكتفاء بطرح برامج وشيعارات تتماشى مع القانون والدستور بحيث يحافظ الحزب على عليته . ذلك من العنصرية فى السبيل الوحيد لتحقيق أية دعوة ناجحة . وقد قاوم الحزب هذا الاتجاه ورفضه بشدة ، وأدى الأمر إلى انسحاب العرايبي الى الانسحاب وحيدا .

ذلك أن كسابة المصادر توضح أن أحدا من كوادر الحزب لم يخرج مع العرايبي باستثناء الهامى أمين .

وخير دليل على ذلك أن حسنى العرايبي سميا وراء تنفيذ فكرته لم يجد من يعاونه سوى اثنين من المثقفين اليساريين هما عصام الدين حسنى ناصف والدكتور عبد الفتاح القاضى وكانا بعيدين حتى ذلك الحين عن صفوف الحزب .

والحقيقة أن كلاما كثيرا قد قيل عن حسنى العرايبي . . أول سكرتير عام لأول حزب شيوعى مضرى . وسكرتير عام اتحاد النقابات وأول ممثل للحزب لدى الكومنترن ، والرجل الذى تم على يديه انضمام الحزب للكومنترن .

فلما اختلف مع الحزب وابتعد عن صفوفه حاول أن ينفذ فكرته عن العمل العلنى ، بأن يتحول الى كاتب ينشر أفكاره عن طريق الكتابة فى الصحف ، وتحت له بعض الصحف أبوابها وبدأت مقالاته تتوالى فى الظهور ابتداء من يناير ١٩٢٧ على صفحات الهلال - المقتطف - الرقيب - الحياة الجديدة . . الخ .

وربما كان انساح المجال بهذه الصورة للعرايبي كي يكتب فى كل هذه المجالات دفعة واحدة نوعا من المؤامرة المحبوكة التى استهدفت اصطياد العرايبي بعيدا عن الحزب وتشجيعه على سياسته الانفصالية ومحاولة إيهامه بأن تحقيق فكرته أمر ممكن . .

ثم بعد ذلك وبعد أن تحقق هدف المؤامرة أوصدت كل الصحف أبوابها فى وجه للرجل . .

لكن الرجل لم يكن يريد بالفعل أن يتخطى تماما عن القضية التي أمن بها .

وربما كان يتصور أن انفصاله عن الحزب لا يعنى انفصاله عن القضايا وهكذا حاول أن يخوض المعركة القانونية من اوسع أبوابها ، باب إصدار الصحف .

واتفق مع عصام الدين ناصف ومع الدكتور عبد الفتاح القاضي إصدار مجلة « روح العصر » .

ويبدو أن تجمع العرابي - ناصف - القاضي لم يكن وليد المصادفة ولم يكن موقوتا بإصدار روح العصر . بل كان سابقا عليها . . .
فمصام الدين ناصف يقول في محضر تحقيق أمام النيابة أجرى في أبريل ١٩٣١ ما يلي :

« س : هل تعرف محمود حسنى العرابي ؟

ج : نعم أعرفه وهو صاحبي .

س : من أى وقت تصادفه ؟

ج : من بضع سنوات ، (١) .

ومجلة روح العصر صدر عددا الاول في فبراير ١٩٣٠ .

وثمة شيء آخر يلفت النظر ، ففي نفس الوقت الذي انسحب فيه العرابي من الحزب وهو أواخر عام ١٩٢٦ أو أوائل ١٩٢٧ تصدر اسم عصام ناصف بيانا صادرا من اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكي المصري .

تقد نشرت كوكب الشرق برقية واردة اليها من هذه اللجنة تقول « اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكي المصري تحتج بشدة على منسج النائب الشبيوعى البريطانى سكلا تقالا من دخول مصر ، وتعلن أن اضطهاد الحرية الفكرية لا يمكن أن يدل على شجاعة الحكام الذين يخافون من ذبوع الحقائق .
السكرتير - عصام الدين ناصف . »

وتتهكم « كوكب الشرق » على هذا الحزب الذى « لم يسمع به أحد والذى نعت نيتا شيطانيا » (٢) .

١ - ملف القضية ٢٤٤ كلى ١٩٣١ جنايات الاسكندرية - ص ٢٤ .

٢ - كوكب الشرق - ٨ - ١ - ١٩٢٧ .

لكن المؤكد ان الرجعية المصرية قد كتبت انسان هذه المحاولة بالرغم من تصكها باهداب العننية ومراعاتها لنصوص التمانون ، وهكذا تغر على العربى ان ينفذ مشروعه بتأسيس حزب على نلا بأس من أن يتواضع وأن يكتفى باستخدام الإمكانيات « القانونية » المتاحة . ومعنى الكتابة فى الصحف ولا بأس من التجزؤ فيما بعد واصذار « جريدة »

واعتقد أنه من الضرورى أن نستعرض بعضاً من هذه الافكار التى روجها العربى ومجموعته واعتبروها بديلاً كافياً عن العمل الحزبى السرى

وأمامنا فى البداية مجموعة مقالات العربى التى كتبتها فور انسحابه من الحزب . . . وهى فى مجموعها مقالات أدبية واجتماعية وتاريخية . . . تمثل الى حد كبير محاكاة متطورة وذكية لكتابات سلامة موسى التى تستهدف « التنوير » بشكل عام ولتت انظار جمهور القراء الى عديد من الحقائق الاجتماعية والاقتصادية بأسلوب يتمشى مع المذهب العلمى والجدلى

ولنحاول أن نستعرض بسرعة بعض هذه الافكار التى حاول العربى أن يقدمها لقرائه . وثمة مقال بعنوان « الاكتشاف طليئة الاستعمار » (1) يعرض فيه كتاب السير صموئيل بيكر عن رحلته الى منابع النيل . . . وهو ينتهز فرصة عرض الكتاب ليدين الاستعمار ويكشف عن جذوره ويعبى المشاعر ضده فهو يقدم مؤلف الكتاب قائلاً : « فالسير صموئيل أرسدمقراطى بحكم نشاته ، مستعمر بحكم بيئته ، مسيحي متعصب ناظم على الشرق والشرقيين والاسلام والمسلمين يراه القارىء فى كتاباته ينعى على الديمقراطية، ويهزأ بصوت الشعب ويضحك من المساواة ويبرر الاستعمار ويستحسنه . . . ويحمل على المصريين والأتراك حملات شعواء بدون مبالاة لفتنا لانظار شعبية الى استغلال وادى النيل » . . .

لكن العربى لم يكتف بالهجوم على الاستعمار والمستعمرين فهو يدافع عن حقوق العمال مطالباً لهم بأجور أعلى قائلاً « ان فى بلادنا عمالا يجب البحث فى شؤونهم والتفكير فى سياستهم ولو من الوجهة العلمية البحتة ان لم يكن كذلك من الوجهة الاجتماعية » ، وانه عن قريب سيظهر لهم أثر فى شؤون الدولة وستكون لهم دوائر تنطق عن لسانهم كما حدث فى الصين مثلاً ، وان دلائل الامور تدلنا على صحة ماذعنا اليه بالمشاكل التى نسمع

عنها ونقرأها كل يوم بين العمال وأصحاب رؤوس المال في مصر تبذّر
بقرب هذا اليوم .

لكن الرجل لا يريد لكلماته أن تنتهم على أنها دعائية أو تحريص ،
وهو حريص كل الحرص على ذلك فهو يؤكد في مقاله « والذي نريد أن نبخّثه
اليوم في مقالنا ليس مذهباً سياسياً ولكنه نظرية اقتصادية حديثة تلت
المدرسة الحديثة من الاقتصاديين على ضرورة الأخذ بها لصالح العمال
والعامل أو قل لصالح الصناعة والدولة . »

ويعد هذا الإيضاح - الذي يرى العراقي أنه ضروري - يمضى ليشرح
نظرية اقتصادية تطالب بفتح العمال أجراً يوفّر لهم « ضروريات الكفاية »
وليس مجرد « ضروريات الحياة » ويتحدث طويلاً عن نضال العمال الأوروبيين
والمكاسب التي أحرزوها نتيجة لنضالهم المستمر ثم يعرج على مصر قائلاً
« ما زالت أجور العمال عندنا منحطّة لدرجة تكاد تكون تحت مستوى
(ضروريات الحياة) فأجر العامل غير المدرب عشرة قروش تقريباً بينما عدد
الأففس التي يمولها سنة أنفس كما جاء في أحد تقارير جمعية الصنائع -
وأجور البنات والأولاد التي تعمل نحو ١٥ ساعة في اليوم زهيدة جداً
نلا تزيد عن قرشين ونصف قرش . وساعات العمل على العموم عنفنا أطول
منها في كل البلاد المتقدمة . والثقافة معدومة . والمسائل الصحية وغيرها
لم يأت دور التفكير فيها بعد . »

وبعرة أخرى يشعر الرجل أنه بحاجة إلى « إيضاح » موقفه
والى تبرير دفاعه عن العمال بل وإلى دفع شبهة تحمسه للدفاع عنهم فيقول :

« ونحن لا نطلب للعمال شيئاً غيرهم أحق وأقدر على الطلب منا ولكننا
إذا قصدنا من الكتابة شيئاً إنما نقصد أن نلفت أصحاب الصناعات ورجال
السياسة في مصر إلى الضرر الحقيقي الذي يَحْتِق بالصناعة المصرية وعلى في
مهدمها من اضعاف الانتاج على توالي الأيام بأعمال تحسّن حال العمال
اكتفاء بالربح القريب المؤقت » (١) .

ويستخدم العراقي في مقالاته كل ما لديه من نكاه ليهاجم الحكومة
القائمة في ذلك الحين وليهاجم الاستبداد والاعتداء على حرية الرأي . . . ،
وتحت عنوان يرى « ذلك » الجريمة أسبابها وعلاجها « يشن هجومه العنيف
قائلاً : البيئة التي تنتقل حرية الرأي وتعتدى على الحرية الشخصية خدمة
لبعض أفرادها ، لا بد وأن تبلى بالجمعيات السرية . والمؤامرات تدبر

لتحطيمها في الظلام وتحت الأرض ، والبيئة التي تعمل على انقراض أفرادها
لا بد وأن يكثر فيها اللصوص وقطاع الطريق . . .

بل أنه يوشك أن يقدم نوعاً من « البرنامج » فيقول :

« فلما تدبرت البيئة في العوامل الاقتصادية المحيطة بها لا يمكنها أن
تشمل سير الاجرام ، فمثلاً لو لاحظت إحدى البيئات الزراعية بعض اصلاحات
كجعل ايجار الفدان لا يزيد عن نسبة مخصوصة من قيمة الضريبة كان
تكون مثلاً أربعة أضعاف ، وعملت على اصلاح الاراضى البور والمستنقعات
وتوزيعها بعد اصلاح على فقراء الملاحين ، وقربت بين الثروات بتخفيف
الضريبة على المالك الصغير ، وسن ضرائب على الشركات الكبيرة ، وعممت
التعليم الى غير ذلك : لكان من الصعب على الجريمة أن تجد مثل تلك البيئة
مجالاً لتفليس والتفريخ . »

ثم أما البيئة التي تغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية ، وتكتفي
باضدار القوانين الاستثنائية من وقت لآخر ، وتشيد كل يوم سجنًا وتطلب
اعتمادات جديدة من هيئاتها الديارية لاعمالها السرية فبشر حكامها وسواسها
بتفشي الجريمة وازديادها على مر الايام . وهذه هي الحال في كل البلاد
المستخارة (١)

بل كان العرابي يقصد فعلاً الحديث عن أسباب الجريمة أم أنه
تتمر تحت عنوان برى ، ليقدم أفكاراً وبرنامجاً محدداً . . .

وأضح أن الاحتمال الثاني هو المرجح .

كذلك فقد شن العرابي في مقالاته هجمات اجتماعية جريئة غاية الجراءة
تناول فيها موضوعات مثل « الزواج الحاضر » الذي وصفه بأنه « بغواء
مشروع » ، « ليس الزواج عندنا زفاف مجهولة الى مجهول طمعاً في ثروة
أو اطمئناناً لشيء ؟ فإذا تزعمت الثروة لسبب ما تزعمت معها أركان

الزوجية ، وإذا أخذت حرارة الشهوة ففترت غلائق الزوجية » (٢)

بل انه يتحدى مشايخ الازهر مطالباً باصلاح جذرى لشؤون الازهر
وتحويله الى كلية للاهوت ويقول « لقد كان الدين في العصور الاولى صناعة
احتكرتها طائفة من الناس فاطفأوا بها شهوة ، ونالوا من وراثتها جاهاً
وسلطاناً ، فسادوا المتعبد ، وأقاموا القصور وقصموا ظهور الشعوب بما كانوا
يجتمونه من كدهم وعرق جبينهم . . . وقد جرى في الاسلام شيء كثير مما

١ - الرقيب ١٩ - ٢ - ١٩٢٨ .

٢ - الحياة الجديدة ١٥ - ١ - ١٩٢٨ .

جرى في المسيحية في القرون الوسطى نجلد المفكرون الاحرار وأحرقت كتبهم
وسجن الأئمة والمجتهدون .

ثم يوجه الهجوم الى «المشايخ» أنفسهم قائلا أنهم « قطعوا حياتهم
الدراسية يرتزقون باسم الذين بما يفتق عليهم من « الجراية » ويعيشون
بعد أن تخرجوا من الدين . والازمريون جيش كبير لوجه به الى عمل
منتج في أعمال الدولة لخطت البلاد خطوة واسعة الى الامام » (١) .

ثم هو - فوق ذلك - يقدم دراسات في تاريخ تطور المجتمعات ونشأتها.
متبعاً نفس الاسلوب الكلاسيكي الذي نهجه الماركسيون القنذامى في
استعراض ما أسماه « تاريخ البشرية المادى » عارضا فكرة ماركس عن
« المادية التاريخية » (٢) .

وثمة سؤال آخر يطرحه العرابى ليجيب عليه « كيف يكتب التاريخ
اليوم ؟ » وهو ينتقد في اجابته المنهج « البرجوازى » في كتابة التاريخ
شارحا وجيزة نظر الاشتراكيين في ضرورة أن ينظر المؤرخ الى « الشعوب
نفسها والى المؤثرات الطبيعية فيها والظائرة عليها ، ويحلل عاداتها وأعمالها
ومذنياتها » (٣) .

بل ان مجلة الرقيب تطلب اليه ان يسجل ذكرياته في السجن فتقدمه الى
قرائها قائلة « الرجل الكبير الذمى كالذهب ، لا تذهب بقيمة الخطوب ،
ولا تفل من عزمه الكروب ، فهو لا تبدله النعمى ولا الباساء ، ولا تخيره الايام
السوداء ، فالذهب في القراب ، هو الذهب في أعناق الحسان وصدورهن . ومن
هؤلاء الاصدقاء الكرام الاستاذ حسنى العرابى الذى حوكم كزعيم للشبيوعيين في
مصر ثم أخرج عنه منذ زمن قصير » .

أما العرابى فتقدم الحلقة الاولى من ذكرياته « في الأسر وبعد الاسر »
بعبارة لجول سيمون تقول « فحرية الاعتقاد التى قتل في سبيلها ذلك العدد
العظيم من الشهداء ليست حرية التأكيد الباطنى وإنما هى حرية اعلان الفكر » .
أما الحلقة الثالثة والاخيرة من ذكرياته هذه فتتصدرها عبارة أخرى لجول
سيمون « فيا للشقاء لقانون مكتوب لا يكون صدى لقانون الاخلاق ، ويا ضيعة

١ - الحياة الجديدة ٢٩ - ١ - ١٩٢٨ .

٢ - المقتطف - مارس ١٩٢٩ .

٣ - الحياة الجديدة ٨ - ١ - ١٩٢٨ .

مجتمع يكون القانون فيه ممالئا للأحزاب لا للمعدل ويقع السيف فيه على رؤوس الشهداء مكان المجرمين» (١)

ولقد تبعدت أن أورد بعضاً من كتابات الرجل لعلها تكون فرصة لنا لتتعرف على أول سكرتير عام للحزب الشيوعي المصري وعلى أسلوب تفكيره ومستواه الثقافي والفكري، وعلى أية حال فإن الفرصة لم تتح طويلاً أمام الرجل كي يكتب عما ليثب الصحف أن أغلقت أبوابها في وجهه. وكان هو كما أسمى نفسه في ذلك الحين « الأسير الطليق » فقد أفرج عنه لكنه خاضع لحكم « الرقابة » يفرض عليه عدم مغادرة منزله بعيد الغروب وعدم مغادرة المدينة التي يقيم فيها « المحلة الكبرى » إلا بأذن خاص من البوليس .

وتنتهى فترة الرقابة . ويصل الرجل لى القاهرة ليبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة « روح العصر » .

و « روح العصر » تمثل خطوة جديدة في نضال جماعة « الإصلاحيين » فهي تعلن عن نفسها صراحة بأنها « جريدة اشتراكية سياسية » وكان من المبتدئ منح ترخيص بإصدار المجلة لحسنى المرابى أو عصام ناصف . فحصل د . عبد الفتاح القاضي على الترخيص باسمه وتولى رئاسة التحرير وصدر العدد الأول في ١٤ فبراير ١٩٣٠ .

وتتمثل الأهمية الأساسية في مجلة « روح العصر » في أنها تكشف لنا بوضوح عن الذى الذى وصل به هؤلاء الرجال الثلاثة بفكرتهم عن « العلية » ، والى أى حد أصبحت « العلية » والتقييد بها سبيلاً لترويج أفكار خاطئة وانتهازية من وجهة النظر الماركسية .

فالأفكار التى أمكن لها أن تتردد « علنا » في ظل الظروف السياسية التى سادت مصر عام ١٩٣٠ كانت مجرد أفكار ليبرالية أو تكرار لفاهيم الدولية الثانية .

صحيح أنها تضمنت مقالات بالغة القيمة تتناول الفكرة الاشتراكية بالشرح والتحليل وتجب على كثير من التساؤلات التى تشور حولها . مثل ذلك المسأل القيم الذى نشره عصام الدين ناصف في أول أعداد « روح العصر » بعنوان « ما هى الاشتراكية ؟ » ، ويجيب على السؤال قائلاً :

« الاشتراكية هى نظام اقتصادى واجتماعى يراد به :

١ - مقالات المرابى - المرجع السابق ص ١٦ .

١ - منع الانسان من استعباد الآخرين أو استغلال مجهوداتهم ، فلا يسمح لرجل أن يمتلك مصنعا يستخدم فيه مئات العمال يتحكم في أرواقهم ، ولكن يسمح له بامتلاك منزل صغير لسكنائه .

٢ - منع الأغرار والشركات الرأسمالية من التحكم في كمية المحاصيل الزراعية والصناعية وفي تصدير ثمنها . . . وذلك لا يتأتى الا بجعل وسائل الانتاج ملكا لامة تديرها الحكومة أو المجالس البلدية أو النقابات التعاونية .

٣ - منع الاستعمار والحروب التي تنشأ من الرغبة في الاستعمار . . .

٤ - منع الحروب التي تنشأ من التنافس لتجارى ، فان الحرب العظمى التي قتل فيها ملايين الشبان ممن لا ذنب لهم والتي صرفت فيها الدول ألوف الملايين من الجنديت ، هذه الحروب ينشأ بسبب التنافس التجارى بين الدول . . .

٥ - تقليل تكاليف الانتاج ، فاذا كانت الاراضى الزراعية التي في مصر تستثمر كلها على الطريقة الاشتراكية فان اوابورات الحرث وماكينات الدراس وغيرها تحل محل الجرثا البلدى والنورج - فنقل تكاليف حرث الفدان في المرة الواحدة من ٧٩ قرشا الى ١٥ أو ٢٠ قرشا فقط .

وينشأ من ذلك انه يمكن للزراعة أن تستغنى عن عدد من عمالها فيستعمل بعضهم في بناء منازل صحية للفلاحين وانشاء طرقا جميلة في القرى ومسارح للتمثيل ومدارس ومستشفيات ودور للكتب . . .

٦ - تقليل عدد ساعات العمل . . . وقد خفضت روسيا ساعات العمل الى ٧ ساعات في اليوم . . . والامول اننا نستطيع في ظل النظام الاشتراكي أن نخفض ساعات العمل الى ٤ ساعات في اليوم على الاكثرج حتى نستطيع العامل أن يجد الوقت اللازم لتثقيف ذهنه بالقراءة والحراسة وتربيض جسمه بالالغاب المختلفة ، والشعور بالهناء العائلى وهو يقيم مع عائلته ويلعب أطفاله . . . (١)

وصحيف أيضا أن « روح العصر » قد تعرضت لكثير من القضايا السياسية المحلية متخذة مواقف صحيحة تقف الى جانب الشعب ومصلحه وتدين الرجعية ومؤامراتها على هذه المصالح . . . فتحت عنوان « سائس الرجعيين ضد التمليم الالزامى » يهاجم د . عبد الفتاح القاضى الحمينة الرجعية التي ترفض التمليم الالزامى وتقاومه بحجة أن « السواد الأعظم . . .

١ - روح العصر ١٤ - ٢ - ١٩٣٠

فماذا قرأ، وكتبه، إن يرضى بأن يعمل عمله الحرالي، في الأرض أو المصنع،
 ويراد: عيد الفتح، القباضي على ريدم الحجة بعنف وصرخة قائلين: نيجين لا
 فنكر أن انتشار التعليم والتربية بين السوان الأعظم لهذا الشعب وهي الطينة
 المياملة - سيثير في نفوسهم عيم الرضي بحالتهم البراهنة من أجور منخفضة
 لا تكاد تميد الرمي، التي مسكن هو بالغير أشبه منه بالسكن، إلى ازدياد
 وسوء معاملة، نعم إن يرضى العامل المصري إذا ما نتجت وتعلم بهذه الحال (١)

وعندما توقفت المفاوضات بين الحكومتين المصرية والبريطانية تستأنف
 روح الغضب، قطعت المفاوضات، فماذا نحن فاعلون؟ وفي الإجابة على
 هذا السؤال تتجسد الحجة طويلا عن حقوق الشعوب ثم تؤكد ان السبيل للقضاء
 على الروح الاستعمارية هو انتصار الاشتراكية واتصواء العالمية السباحة
 للعمال في العالم تحت لوائها، ثم تقول: ان من يمعن النظر في تطور المذاهب
 في العالم في السنين الأخيرة لابد وان يعترف معنا بان المذهب الاشتراكي يكتب
 انصارا ويزداد قوة اليوم بعد اليوم، وان العالم كله ضائر إلى الاشتراكية
 رة لارمخاله، وهنا يتحقق ما قرأه الانسان في اليوم وتضجر اليه فتستعيد الامم
 شجاعتها بحريتها واستقلالها وتحل المعادلات الاقتصادية محل الفئودال الاستعمارية
 من اضمآن يتزايد كل شيعة بما يلزمه من المواد الخام أو غيرها ايميش غيمنة
 هنية شديدة في سلام (٢)

وكذلك فقد حملت روح الغضب من صفحاتها مندبرا تجمع احوله عدد من
 بقيادة العمال والنقائين والقوريين والذين لم يكتبوا بتخزين صفحاتها بل كانوا
 يقومون ايضا بتوزيعها في بيوتهم من اجل راحة

ومن بين هؤلاء النقائين الذين التقوا احوال روح الغضب كمنبر اشتراكي،
 النقائين العظيم السيد فذليل الذي كتبت على صفحاتها مقال بعنوان: كيف تكون
 اشتراكيين؟ وماذا جاء فيه، ان اتحادنا دليل قوتنا، ودليل عظمتنا،
 ودليل تقدمنا، وباعت اجضارتنا وفوق هذا فهو عنوان اشتراكيتنا، ونحن
 نتكلمنا عن الاشتراكية، فليكن معنا اشخاص عاملون لها بكل قواهم، يبادلون
 في سبيلها جميع جهودهم، لا يرهيبهم غير صوت الحق ولا يفتد بهم ما يلاقونه
 من عسف وجور فالحق في ايديهم والله كفيل به، والجور في يد مضطهديهم
 والله غير راض عنه،
 انتم تقدم سيد فذليل نوعا من برنامج العمل، ويهيب ياخوانه العميال
 ان يلتزموا به، وانه يترجمه في بيوتهم من اجل راحة

- ١ - روح الغضب - المرجع السابق
- ٢ - روح العصر ١٦-٥-١٩٣٠

١ - تشجيع صحافتنا الناطقة بلسان حالنا

٢ - ضم صوتنا لصوت اخواننا الاشتراكيين في بلدان العالم وعلى
الاخص العاطفين علينا منهم في الشرق

٣ - مطالبة الحكومة بسرعة اصدار وطيح تشريع العمال - وضرورة
سن قوانين تحميها من عسف المولدين واصحاب الاعمال خصوصا وغالبهم من
الاجانب

٤ - مطالبة الحكومة بمساعدتنا لدى المولدين المصريين في تشجيع العامل
المصرى

ثم يختتم سيد قنديل مقاله قائلا « فاذا تمنا بما يجب علينا من ذلك
نكون اشتراكيين (مع التحفظ) فما قصدنا من الاشتراكية الا اصلاح حالنا
نحن العمال جميعا . واني وان قلت جميعا فهذا دليل اشتراكيتنا الخالصة من
ما في ظنون محاربينا الذين لا غاية لهم الا استثمار اموالهم باستغلال مجهودنا
وعرقنا . ولئن كنت اخص احدا بكلمتي هذه - وهذا واجبي - فلاخص بها
اخواني العمال المضربين » (١)

لكن « روح العصر » قد فتحت صفحاتها ايضا امام اتجاهات لا تمت
للاشتراكية بصلة وان ادعت الاشتراكية . . . فثمة مقال بتوقيع « احمد المصري »
بعنوان « اشتراكية الدولة - حكومة مصر تسير على نظام اشتراكي » . يتحدث
فيه عن عيوب النظام الفردي ويدعو الى تدخل الدولة في ادارة المشاريع الانتاجية
ويقول : « وحكومة مصر تكاد تكون سائرة على نظام اشتراكي فهي تدبير
السيكك الحديدية باحسن نظام وما هي تدبير البريد والتلغراف . . » (٢)
ثم مقال آخر لنفس الكاتب بعنوان « محمد علي باشا - يطبق النظام
الاشتراكي في مصر » (٣)

لكن ذلك كله لم يعف « روح العصر » من هجوم عنيف شنته عليها
جريدة « السياسة » واتهمتها بالشيوعية . ويحاول عبد الفتاح القاضي ان ينفى
عن مجلته وعن الجماعة التي تصدرها هذه « التهمة » فيكتب مقالا عنيفا بعنوان
« اجمل ام تجامل - كشف النقاب عن وجه السياسة » يؤكد فيه ان روح
العصر اشتراكية سياسية لا تختلف في لهجتها ولا في ابحاثها عن الدلي
هيرالد » (٤)

- ١ - روح العصر - ١٦-٥-١٩٣٠
- ٢ - روح العصر - ٢٨-٢-١٩٣٠
- ٣ - روح العصر - ١٤-٣-١٩٣٠
- ٤ - روح العصر - ٢٨-٣-١٩٣٠

لكن ذلك ايضا لم يستطع ان ينفذ المجلة من سيف الارهاب واصبحت
حكومة صديقي قرارا بالغاء رخصتها ومنعها نهائيا من الصدور

وهكذا انهار آخر امل للعمل القانوني عند العراقي وتبخرت نظريته
والتي انفصل بسببها عن الحزب تحت بطش ارباب الرجعية المصرية التي لم تكن
بدلتيسمخ حتى ياجاد منبذ امثل روح القصر

وتفرقت الجماعة

عبد الفتاح القاضي سافر الى المانيا للعلاج وحسنى العراقي سافرت
الى هولندا ومنها الى المانيا ولكنها لم يبق لها من الضياع والحصارة والفقير وانكار
السياسي

ويروي العراقي في كلمات جزئية قصة سفره والساعات الأخيرة التي
قضتها منجولا في شوارع الاسكندرية احيى بلاد مصر التي نلتها قضيت زهرة
شبابي فيها درست في العباسية الثانوية فيها ضاربت في البورصة
وجمعت عشرات الالوف من الجنيهات فيها بدأت حياتي السياسية وخطبت
في الوقت المناسب

في شوارعها ساعات اشغال النور والنازل على اضبابها ما اصنابني
وكلت عليها الايام كما عدت اعلى فكان جوابها ضريحا لا الشوارع
تنظيفة والعمارات جددت شبابها والشمس مشرقة ضاحكة والناس رائحون
غادرون وعلى وجوههم مظاهر المرح والبهجة - اما انا فاسير وحدي كسير القلب
المبيض الجناح لا ياله لي ماز ولا نمازة كان لم يكن لي فيها دولة اعريب
انا ؟ (1)

وهكذا وجد الرجل نفسه فجأة وحيدا بلا أمل فقرر ان يهاجر
من العراق الى المانيا اشهارا جديدا لاملاس الفكرة الإصلاحية ولقد
بطل الفشل في حصول رخصة كيفية منبذ الرجعية المصرية بصلفها وتعنتها البات
امام اية دعوة اصلاحية ولقد كان على العراقي ان يدرك منذ البداية ان الذين
رفضوا بل وقاموا الدعوات الإصلاحية لعبد الرحمن فهمي واسماعيل مظهر
كان من الضروري والحتمي ان يرفضوا دعوة صادرة منه بالذات

١ - محمود حسيني العراقي - ٨٩٧ - شهرها في المنفى - مطبعة التوكل -
القاهرة (١٩٤٨) - ص ٧ - ٧٦١ - ١٠٠ - ١٠٠ - ١٠٠

وعلى أية حال لقد هاجز الرجل وأقام في ألمانيا شهوراً طويلة تجرد خلالها من جنسيتها بمرسوم ملكي . وفي برلين عانى الرجل كما روي في مذكراته الكثير من التشريد والجوع والحرمان . ثم عاد إلى مصر .

وهنا نشور تساؤلات عديدة حول عودة الرجل ، وحول مدى تورطه في «الإقعة مع النازي» . ويؤكد الدكتور محمد انيس ان العرابي قد انتهى به الامر الى ان اصبح من دعاة الفاشية الألمانية (١) .

لكن انشىء المؤكد ان الرجل قد عاد بواسطة حسن نشأت باشا . والعرابي لا يخفى ذلك فهو يقول « فجددت مسعاى لدى الحكومة المصرية ، وكان وزير مدير المنفوس في برلين في ذلك الوقت الرجل اللمعى » ، «حسن باشا نشأت» (٢) .

ويقول عصام الدين ناصف ان حسن نشأت اعاد العرابي من ألمانيا خذمه . لانجيز حتى لا يستخدمه الالمان كيقوق لهم اذا ما قامت الحرب .

وعلى اية حال - لقد عاد حسن العرابي ليجد أصدقائه التذلمى قد يئبوا من ايجاد أى سبيل لتنفيذ افكاره الاصلاحية عن العمل العلنى وليجد انهم قد اجاؤا الى العمل السرى .

وعندما هاجر العرابي والقاضى لم يثبت في ميدان « العننية » الا عصام ناصف الذى اصدر عديدا من الكتب واسهم في تحرير عشرات المجلات وشارك عباس حليم عمله وسط العمال محاولا جهد طاقته ان يكسب هذا العمل طابعا ثوريا .

وقد تصيد عصام ناصف كل نزعة « اصلاحية » يحاول جاهدا ان ينفخ فيها بعض الروح دون جدوى .

وهكذا وبعد ان اصدر العديد من الكتب وبعد ان كتب عشرات بل مئات المقالات في صحف عديدة ابتداء من « الاهرام » و « كوكب الشرق » و « الوادى » و « المقتطف » و « المجلة الجديدة » و « العضور » و « السياسة » الى مجلات

٧ - د . محمد انيس - الحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الاوروبى - سلسلة محاضرات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية - مطبوعة بالرونيتو .

٨ - لا زالت شخصية حسن نشأت لغزا يحير الباحثين في تاريخ هيذه الفترة . فقد كان سفيرا لمصر في برلين حتى قبل اعلان الحرب العالمية الثانية . وقد اكد هو اكثر من مرة انه قام بالوساطة بين ألمانيا وانجلترا وانه حمل قبل اشتعال الحرب رسالة من هتلر الى تشمبرلين . وكان نشأت يؤكد في احاديثه الخاصة انه كان صديقا شخصيا لهملر وجورنج وكان يخرج معهما كثيرا للصيد ومن سنارة مصر في برلين الى سفارة مصر في لندن انتقل حسن نشأت ليعمل سفيرا في لندن طوال الحرب الامر الذى يوحى برضاء الانجليز عنه .

ربما لم يسمع عنها أحد مثل « شيرا » (*) و « الشباع » و « المصرية » الخ
وبعد ان تحالفت مع كل دعوة اصلاحية مع اسماعيل مظهر وعياش حليم
والتجمعات المناهضة للفاشية والتجمعات المعادية للحرب بعد ذلك كله عادوا
عصام ناصيف والقاضي مما ليقينها انه ما من سبيل الا لعمل السري .
وتعود الغرابي الى مصر ليجد ان آخر ترسان و الاصلاحية والعنيفة قد
نحلت عن تلك الفكرة القديمة التي تزعمها ، وانه قد شرع بالفعل في تكوين
تنظيم سري .

وشارك حسين العرابي معهم في هذا التنظيم السري ثم ما لبث ان انفض
عنهم بعيد ان اكتشفوا ميوله النازية ، فمار ان اجتاحت جيوش هتلر اراضي روسيا
وبدا البعض ان روسيل قد هزمت ، حتى سارع العرابي مطالبا التنظيم بتأييد
المانيا ولما رفضت المجموعة انفصل عنها واخذ في الاستعداد لملاقاة جيوش
روميل ، بل ويقال انه كون حكومة ظل استعدادا لوصول روميل (١) .
اما بقية المجموعة فقد التفتت من جديد مع مجموعة الحزب بالقاهرة وعملوا
معتادا (٢) .

و هكذا وبعد ، رحلة طويلة ، استغرقت سنوات عديدة وجهود ضخمة ،
كتب ومقالات ومجلات وقضايا وسجون ، ومناورات ومجاورات مع الاصلاحيين
بعد ذلك كله عاد دعاة الاصلاحية والعمل القانوني من جديد ليمتلوا في نفس
الاصفوف التي ابتغوا عنها منذ ١٩٢٧ .
وربما كانت عودتهم هذه كافية بذاتها لاثبات صحة خط الحزب في تمسكه
بضرورة العمل السري في مواجهة العنف الرجعي المتشدد وبالتمسك بالنظرية
الماركسية كاملة في مواجهة دعاوى التحلل والتساهل النظري .

مجلة شيرا : اصدرها محمد عبد الحميد عبد الله المحامي لتبر عن
مشاكل حتى شيرا ثم وقد صدر عددها الاول في ٢٥ مارس ١٩٢٧ وابتداء من
العدد الثاني الصادر في اول ابريل ١٩٢٧ بدأ عصام الدين ناصيف بالكتابة فيها
باعتباره من ابناء حتى شيرا ، وبالتدرج تحولت المجلة الى منبع للدفاع عن حقوق
العمال وتوالت مقالات عصام الدين غيرها ومن بينها مقالات الاشتراكية
والاسلام (١٥-٤-١٩٢٧) ، علامة الاشتراكية بالاذان الاجتماعية
الاخرى (٢٩-٤-١٩٢٧) وابتداء من ٢٦ اغسطس سنة ١٩٢٧ صدرت مجلة شيرا
في حجم جديد مملنة في صفحاتها الاولى انها للشبان العمال على مبادئ الزعيم
عياش حليم .
١- راجع محضر النقاش مع عبد الفتاح القاضي ، تاريخ الحركة
الاشتراكية في مصر = المرجع السابق - ص ٢٧٠ .
٢- راجع محضر النقاش مع محمد دويدار بالاحتكاك في تاريخ الحركة

جورج حنين - رمسيس يونان - أنور كامل

هل الفن وحده يكفي ؟

كانت الثلاثينيات تقترب من منتصفها أو تتخطاه بقليل . وكانت جماعات المثقفين المصريين تقترب من حافة التوهم . كانوا يختارون أن يفهموا وأن يتمعنوا الفهم . وأن يحاولوا الاقتراب من قضايا المجتمع وتفهمها والاشتراك في عملية المواجهة الاجتماعية الصاخبة .

وبعض هؤلاء كانت معرفتهم بالثقافة الأجنبية نتيجة لنشأة اجتماعية مدمية أو لفرصة التعلم في مدارس أجنبية. تشدهم نحو المزيد من « التغريب » . والانغماس في النقاش الفكرى لصاحب حول المدارس والاتجاهات الفكرية التي تموج بها أوروبا .

وبعض هؤلاء تلامس أو تواجد مع الأدبية الأجنبية الطابع والمحتوى محتفيا أما بوضعه الاجتماعى الرافى ، أو باتقانه اللغة الفرنسية ، لغة هذه الأدبية .

والبعض استمد من هذا التلامس اقترابا من الوعى الاجتماعى . أقول لتتربا وليس تفهما ولا ادراكا .

سئل واحد من هؤلاء . هو أنور كامل « لماذا ارتبط نشاطكم بالفن ؟ » فقال (١) :

« لا يمكن تخيل حركة سياسية بدون ثقافة ، السياسة بدون ثقافة تتحول الى محاولات جافة ، وهذا خطر على العمل الثورى . حركة سياسية بدون ثقافة يمكن أن تؤدى الى فشل أو الى ديكتاتورية . والحقيقة ان العديد من الكوادر اليسارية المصرية لم تكن على قدر كاف من الثقافة . ربما كان البعض يعرف الكثير عن الماركسية : لكن الماركسية وحدها ليست ثقافة . وربما فشلنا كحركة يسارية لاننا لم نوفر لأنفسنا قبرا كافيا من الثقافة قبل أن نحوض غمار تأسيس حركة جماهيرية . »

١ - محضر نقاش أجرته الباحثة الامريكية سيلما بوتمان مع أنور كامل فى ٤ أبريل ١٩٨٠ - المحضر مدون باللغة الكاتبة الانجليزية .

وعندما يسأل عن العلاقة بين السيريلية والسياسة يقول
السيريلية ترتبط بتزويد وبالإعلام ، والحلم هو الرغبة في تحقيق الاماني
وكانت امانينا مقبورة ، وعبر الفن السيريلي كنا نعبر عن امانينا المقبورة
ومن هذه الزاوية يمكنني ان اعتبر السيريلية حركة ثورية ، ولقد انضم
الى الحركة السيريلية المصرية يوسف العفيفي وكامل التلخستاني ، ورمسيس
يونان ، فتحى البكرى ، فؤاد كامل ، ابو خليل لطفي ، وفي معارضنا كنا
نعد كتالوجات برسوم وقصائد ثورية ، وفي مجال الشعر كان كلا من
جورج حنين وكائتروفتش يمارسان اداء ثوريا ، فقد كان محيزود يتصير
الاطيار التقليدي للشعر، عملا ثوريا ، وهذا بذاته سياسية غلبت السياسة
مجرد معادلة ضيقة الافق ، ولكن عبر يدفة عن مغزى افكارى فائض
اقوم مثلا ان ١٠٠٠ لا يمكنها ان لا ، وان تكون ارايا ان تكون واحد كبير
لقد نتت من البداية ماركسي حر ، بلا دوجما ، فإى شئ يتحول الى دوجما
يفتجروا

ولعل القارئ ينتظر تعقبا لمنى ، لكنى اهمته تحلى اتابع منه
بعض افتتاز هذه المجموعة كنت جورج حنين الشارون الاول لهدة الصحافة مقال
(بالفرنسية) في مجلة Un Effort بعنوان قاموس للاستخدام الليرجوازي
وقد نشر المقال مصحوبا برسوم كاريكاتورية لكامل الديب ، مقدم القاموس
التالى

فوضى = انتصار الروح على اليقين

رأى جمال في المنطقة التاريخية

كرامة = افتراض جاهز لايام الاستقبال

امرأة شريفة = احتكار جنسى

فكرة = لعبة لا تفكر ، محانية واجيانا فائلة

شريفه = لجام المشعوب

الانا = الشئ الاكثر اهمية في العالم

شريفه = اكبر منزلة معترف بها رسميا

عمل = كل شئ لا ترتع في فعله

وقد اثار هذا القاموس استياء ودهشة دفعت جريدة البورص
اجيبسيان ، الى ان تعلق عليه قائلا : انه كلام شياطين يمكن بطلب ميت وروح
جامدة ، فرد حنين على كاتبه القيل قائلا : تاكيدى من فضلك ان ندائك

المهتز يمثل هذه الاحتجاجات العنيفة ضد وصالتي ولم يهزنى لقد كان هؤلاء المتوحشون الديمويون بالتصديد في طريق الغرق في الوحل ، عتقتهما وضلت رسالتك لتتقدم من ممارسة مهامهم (١)

••••• وبلا تعليق ، فتوقف أما شبان يتكلمون الفرنسية ويتجادلون بها ••••• غارسهم الانيق يقول ان الأنا د هي الشيء الأكثر أهمية في العالم ، ••••• حواراتهم المعقدة قد تشغل بالهم وحدهم وبال أمثالهم من المتكلمين لكنها على أية لا تصل ولا يمكن أن تفهم من جانب الكثير من المصريين فما بالك بالطبقة العاملة ••••• ؟؟

ولكن أولا وقبل أى تحليل أو استطلاع من هم هؤلاء الناس ؟

* جورج حنين :

ولد في ٢٠ نوفمبر ١٩١٤ لاب دبلوماسي هو صائق حنين باشا ••••• الاب مصري قبطي والام ايطالية تسمى ماري زانلي • كان ارستقراطيا الى الدرجة التي منعته من الذهاب الى المدرسة ، فبعد تولى مربي خاص تعليمه حتى سن الثانية عشرة ••• وفي عام ١٩٢٤ عين والده سفيرا لمصر في هدريد فصحبه جورج والمترس الخاص • وهناك فقط تعلم جورج اللغة العربية •••

وفي عام ١٩٢٦ عين والده سفيرا لمصر في روما فانتقل معه جورج حيث التحق بمدرسة سانتوريان الثانوية ، ثم انتقل مع أمه الى باريس ••• والتحق بعد ذلك بالسوربون حيث حصل على ثلاث شهادات ليسانس ••• واحدة في الحقوق والاخرى في الآداب والثالثة في التاريخ •••

وقد استقر بالقاهرة ابتداء من ١٩٢٩ (٢)

وقبل ذلك التاريخ كان جورج حنين في فترات انتقاله للقاهرة يمارس نشاطا ثقافيا ملحوظا ••• ومنذ عام ١٩٣٣ التحق بجامعة الجاولين وكان سكرتيرها جابرييل بقطر ••• وكانت تصدر مجلة شهرية باللغة الفرنسية اسمها Un Effort وتصف نفسها بأنها « المجلة الوحيدة النزيهة في مصر ، ولها مركز الفكر الحر » (٢)

1 Alexandrian - Georges Henien - Editions Seghers - Paris (1981) P.14

٢ - مزيد من التفاصيل راجع : سفر غريب - السيرالية في مصر - الهيئة المصرية للامامة للكتاب (١٩٨٦) - ص ١٢

٣ - المرجع السابق • ص ١٣

ويبدو أن جورج قد أصبح أحد الكتاب الدائمين في هذه المجلة ، وذلك برغم عدم إقامته الدائمة في مصر ، وقد نشر له من المقالات ١٢٦ ، وقد نشرته مجلة «فنون» في

مثال بعنوان «العالم بدون روح» ، ويصف فيه بأسلوب فني صورة العالم داخل نفسه (١) وقصة بعنوان «صنع في أمريكا» ، وهي قصة شاعرية تدور في أجد الملاهي ، يعالج فيها العالم الداخلي لأحد الغانبات (٢) ثم يبدأ في كتاباته «لا واقعية» تعتمد على تدفق اللاوعي والتي يصعب فهمها أو فهم مغزاهما ك مقال بعنوان «النومين هارب ومنبعث» (٣)

و ذات يوم سئل جورج حين : ما هي أجل أممناك ؟ فأجاب «الوصول الى نقطة الصفاء القصوى ، حيث يحل الأدب محل الحياة» ، وعندئذ فقط ستكون هناك ضرورة للكلام ، وستكون للكلمات سلطة ووحدانية» (٤)

وسرعان ما غادر حين مصر ، فما لامر لا يعنيه كثيرا أن يقول هنا أو هناك ، وفي باريس استقر نهائيا ، وفي فرنسا صار يعتبر واحدا من أهم رذباء اللغة الفرنسية المعاصرة ، وتحدث عنه الكاتب المغربي الطاهر ابن جلون ، وأنه من الشعراء الذين يعبرون العصر على أطراف أقدامهم ، وضائعين من أجسادهم ظلا للكلمات ، يفرون بين شمسين في طيران رقيق بنعمة الضمير ، وبحياء الجهول ،

* رمسيس يونان :
ولد عام ١٩١٢ من أسرة بروتينغتونية من مدينة المنيا ، توفي والده في الخامس عشرة من عمره ، فأضطر للعمل والدراسة في آن واحد ، وتلقى تعليمه الثانوي في المدرسة السعيدية ، حيث تعرف على أستاذ الرسم يوسف العفيفي الذي أثر في جيل كامل من الفنانين المصريين ، (٥)

وقد اطلب رمسيس يونان على المشاركة في معارض صالون القاهرة التي كانت تقيمها جمعية محبي الفنون الجميلة في أعوام ١٩٣٨ - ١٩٣٩

وفي عام ١٩٣٥ بدأ اتصاله بجماعة الدعاية الفنية التي كان يرأسها حبيب جورجى ، وعن طريق هذه الجمعية بدأ خاصة المثقفين في التعرف على رمسيس

1 - Un'EFFort — No : 38 — 12-1933

2 - Un'EFFort — No: 44 - 6-1934

3 - Un'EFFort — No: 52 — 3-1935

4 - Savoir vivre. — 1946

٥ - سمير غريب - المرجع السابق - ص ٢١٢ - رقم ٤٠ - ١٩٣٨

يونان كنبأه مقيم. وقد ثوتف نشاط هذه الجماعة عام ١٩٢٩ بعد أن أقامت معرضين جماعيين في عامي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ وقد شارك رمسيس يونان في المعرض الأخير (١).

* أنور كامل :

• لم يكن من بين أعضاء جماعة المحاولين ، كانت علاقتي بهم ضعيفة جدا ، ولم تتعد سوى زيارتين أو ثلاثة ، لكنني لم أشعر بالتحرة على الاندماج معهم .

ولكن يبرز اسم أنور كامل فجأة في ١٩٢٦ حيث أصدر كتابا اتخذ عنوانا غريباً هو « الكتاب النبوذ » هذا الكتاب الذي لم يطبع منه سوى ٢٥٠ نسخة فقط أثار ضجة كبيرة فقد تحدث عن مسألة الحرية الجنسية ، وتلمس أيضا - كما يقول صاحبه - بعض الجوانب الاجتماعية . لكن الكتاب - وربما لأسباب أخلاقية - صدر بقرار من الحكومة .

ومن خلال الضجة التي أحدثها كتاب تحدث عن الحرية الجنسية وطبع منه ٢٥٠ نسخة فقط صدر معظمها . توجهت بعض الأنظار من هذا النمط من المثقفين نحو أنور كامل . ويمضى هو قائلاً :

« كان معي أخى عزاد كامل - كامل التلمساني - أحمد رشدي ونعيم جبالا وهو رسام تشكيلي يهوى الموسيقى وأسس جمعية الجراففون . وكونا معاً « جمعية النبوذيين » واتخذنا شقة صغيرة كمقر لجمعيتنا . حيث كنا نجتمع لنتداول في همومنا ، لكننا على أية حال كنا بغير نقود ، ولم يكن لنا أي نشاط سياسي » (٢)

• لتتوقف قليلاً لنجمع أطراف الموضوع . ولنورد أسماء الجماعات والجمعيات والاتدية التي تتأثرت بكثرة غريبة في أنشطة هؤلاء الثلاثة . وبرغم اعترافهم جميعاً بالعزلة عن الجماهير ، وإنما كانت جماعات محدودة في إطار محدود ، هو صفة المثقفين .

المحاولين - جماعة الدعاية الفنية - صالون القاهرة - جمعية محبي الفنون الجميلة - جمعية الجراففون - جمعية النبوذيين .

• ونواصل متابعة مسار هؤلاء الثلاثة . نعم لم يكونوا وحدهم ، لكنهم كانوا في عزلة مهما تكاثروا ، تعزلهم مواقفهم المتعالية على مشكلات

١ - المجلة - فبراير ١٩٦٧ - مقال لصبحي الشاروني بعنوان « الثقافة والتمرد ورمسيس يونان » .

٢ - محضر نقاش أجرته سيلما بوتمان - المرجع السابق . وأيضا محضر نقاش مع المؤلف - بالملاحق .

الجماعير . والتي لا تتلمس مزاج وطن مستعمر ومستعبد وشعب فقير
فقرا بلا حدود وهم منغمسون في أحاديث مخدبة مهما كانت برفاعة عن الفن
والادب ، وبهجة متفلسفة ومتعالية ، وبلغه فرنسية في غالب الأحيان .

وتعزلهم النزعة المترفعة عن الجماعير ومنظلماتها ، وأدواتها التخماهيرية
••••• فتألمات ، اتحادات ، تجمعات عشوية وطبقية . . . والايكيباء داخل
المخاولين وجمعية الجرامفون ، وصالون الشاهزة ، الخ . . .

وتعزلهم وهذا هو الاخطر النزعة التروتسكية الواضحة التي غلفت ايسه
محاولة لتسييس مواقفهم المتباعدة عن الجماعير . بضباب غير مختل
فهم ضد النازية وهم ضد الرأسمالية وهم ضد الاستعمار وهم أيضا ضد الاتحاد
السوفييتي . مع من هم ؟ هذا السؤال تردد كثيرا وهو يحيط عزلتهم القاسية
بغموض من الشكوك والتوجسات وكم كان صعبا . شرح الذكرة التروتسكية
مضافا اليها كل هذا التفلسف المنهجي والتعميق اللغوي ، والانحرال الفكرى

••••• يقول انور . كابل « الحقيقة اننا لم نتعلم من أية معلومات سابقة
أو مصادر أقدم ، ولم تكن لدينا أية خبرة تنظيمية ، كانت لدينا أفكار
••••• ولكن لا معرفة بالتطبيق ولا خبرة في الممارسة » (١)

وإذا كان انور كابل ينفي عن نفسه الانتماء للتروتسكية فإنه يؤكد أن
جورج حنين ولطف الله نديمان كانا كذلك . . . الحقيقة اننا كنا في بداية
الطريق للدراسة النظرية ، كنا يساريين ، ولكن لم تنتج لنا فرصة قرآنية
أفكار ستالين وأفكار تروتسكي والمفاضلة بينهما . . . لكنني متأكد أن
جورج حنين وقد كان أكثر اطلاعا كان له موقف محدد هو ولطف الله نديمان
وأعتقد انهما كانا تروتسكيين » (٢)

وثمة تأكيدات على انتماء جورج حنين المبكر للتروتسكية ، فقد حرص
على الاستمرار في مراسلة المجلة التروتسكية الفرنسية Les Humbles التي
كان يحررها التروتسكي الفرنسي - موريش ويلين . . . وفي عدد يونيو ١٩٣٥ من
هذه المجلة نجد مقالا عنينا لجورج حنين بعنوان « أغنيات رجال العنف »
يطلب فيها البروليتاريا بالدورة . . . ويأقضى عنف ضد الرأسمالية (٣)

وفي أعداد لاحقة من ذات المجلة هاجم حنين ستالين بشدة ، وهاجم
رومان زولان متهما لياه بأنه مجرد عميل لستالين . . . وفي مايو ١٩٣٦ نشرت

١ - محضر نقاش أجرته سليما بوتمان - المرجع السابق
٢ - محضر نقاش أجراه المؤلف - بالملاحق - المرجع السابق
3. Les Humbles - Juin 1935

له المجلة نفسها مقالا بعنوان « احياء لذكرى الثابتون على مواقفهم » اهتم فيه رومان رولان بأنه « مدير عام لا وعى اليسار » (١) .
ومن القاهرة أرسل جورج حنين سلسلة من التصانيد الى هذه المجلة يتابع فيها محاكمات موسكو ويهاجم ستالين بشدة . . . وثمة تصانيد بعنوان « عاشت كاتالونيا » - و « لو انهم يشنقوه » و « مشروع اثر دولي » (٢) .
و اذا كانت التروتسكية سمة مشتركة ، فثمة مشترك آخر هو للانتماء ل«مدرسة » السيربيالية .

فى عام ١٩٢٧ ألقى جورج حنين محاضرة فى القاهرة حاول ان يشرح فيها للمثقفين المحيطين به « السيربيالية » وكالمادة أُبرِج بتأسيس جمعية « الجماعة السيربيالية المصرية » وانضم اليه كالمادة أيضا ذات الاصدقاء المخدودى العدد الذين ينضمون الى أية جمعية من هذا القبيل « الشاعر ادهون جابى ، الصحفى ايميل سيمون ، الرسامين كامل القلمسانى ، وانجلو دى ريز ورمسيس يونان » .

وكان عام ١٩٢٨ عام الانطلاق لهذه المجموعة .
جورج حنين أصدر أول دواوينه بالفرنسية « لا معقولة الوجود » مزينا برسوم كامل القلمسانى . ورمسيس يونان أصدر عن طريق جماعة الدعاية الفنية كتابا تنجز كفضيلة فى ميدان الثقافة المصرية عنوانه « غاية لنشام العصرى » .

وفى نهاية العام بدأ أول عمل جماهيرى للمجموعة فاصدرت منشورا باللغتين العربية والفرنسية بعنوان « يخيا الفن المنحط » يهاجم منح هتلر للفن انتشكيلي الحديث بحجة أنه فن منحط . . . وقد وقع البيان ٤٠ من المثقفين منهم جورج حنين - رمسيس يونان - كامل القلمسانى - فؤاد كامل - أنور كامل - سلامة موسى - وعلى ظهر المنشور طبعت صورة « جرنيكسا » لنيكاستو . . .

و يكون الامر الآن أكثر وضحا يعلمن جورج حنين رسميا تأسيس جماعة « الفن والحرية » فى ٩ يناير ١٩٢٩ - ويعلن قانونها الاساسى من مادتين :

١ - « المادة الأولى : تكونت فى يوم ٩ يناير ١٩٢٩ جماعة باسم « الفن والحرية » للاغراض الاتية :

1 Les Hambley — Maie 1936 . . .

٢ - لمزيد من التفاصيل راجع : « شمير » مغرب - المرجع السابق - ص ١٧

١ - الدفاع عن حرية الفن والثقافة
ب - نشر المؤلفات الحديثة ، والقاء محاضرات ، وكتابة خلاصات من
كبار المفكرين في العصر الحديث
ج - ايقاف الشبياب المصري على الحركات الأدبية والفنية والاجتماعية
في العالم

المادة الثانية : تمثل الجماعة لجنة دائمة تنتخب ونقلا للقيادون
الداخلي - مقر الجماعة بشارع المدايح ٢٨ - القاهرة (١)

وأصدرت جماعة الفن والحرية نشرة مطبوعة بالرونيو على
غلافها رسم تشكيلي بتوقيع التلمساني
وفي العدد الثاني، والآخر من هذه النشرة يكتب جورج حنين (بالفرنسية
أيضا) : إن هدفنا ليس تغيير الرغبة ، بل تغيير المجتمع ، وتكديفه مع
رغباتنا ، ولا يمكن للفن أن يكون عاطفيا فقط ، فهو ضد النظام القائم ،
وضد الطبقة الحاكمة ، وضد الخنوع ، وضد الورع البوذي ، فالفن ليس
سوى معمل بارود (٢)

ومع استعمال الحرب العالمية الثانية يستقر جورج حنين نهائيا
في القاهرة ليغادرها نهائيا أيضا بعد الحرب مباشرة

وفي عام ١٩٢٩ يسهم جورج في اصدار مجلة انازت لغضا شديدا فلما
بمدى هي « دون كيشوت » واللفظ مصدره أنه هو وهنري كوربيل أسهما في
اصدارها وفشلا في اقتسامها فجورج أراد أن ينجريها منحى تروتسكي ورفض
كوربيل وتوقفت المجلة . لكن ظلال « دون كيشوت » ظلت تلاحق كوربيل
لفترة من الوقت واستخدمها خصومه وهم كثيرون .

لكن متابعة أعداد دون كيشوت تؤكد ان صراعا مريرا دار بداخلها وأن
هنري كوربيل قد أثار غضب التروتسكيين على جورج حنين فقد كان صوت
كوربيل هو الاعلى بينما صوت التروتسكية يوشك الا يظهر . والا يلتمس ،
وهن باريس أرسل هنري كاليه (تروتسكي فرنسي) الى جورج حنين يعتمفه
« ان اليسول في هذه المجلة مضطربة جدا ، والصفحات متناقضة ، وانت تخاطر
بضياعك فيها . ربما كان انهزادك بمجلة صغيرة أفضل بالنسبة لك ، ان
ميتالاتك هي وحدها ذات المستوى . انها مجلة مخلية جدا ، وطفولية . »

١ - التطور - العدد الاول - يناير ١٩٤٠

٢ - الفن والحرية - نشرة مطبوعة بالرونيو - العدد الثاني

٠٠ وتوقف المجلة بعد أربعة أشهر لتعذر قراءها انها ستصدر شهرية بعد أن انقرد بها جورج حنين ، لكنه يعجز عن اصدارها ٠٠
لكننا اختتمنا قصة « دون كيشوت » دون أن نبدأها ٠ فكيف بدأت ؟

٠٠ في ديسمبر ١٩٣٩ تجمعت مجموعة من اليساريين المصريين والاجانب (والأغلبية أجنبية) واستأجرت رخصة مجلة تصدر بالفرنسية كانت متخصصة في سباق الخيل اسمها « دون كيشوت » وأعلنت المجلة عن نفسها كما يلي :

« دون كيشوت » « أسبوعية » اخبارية ، يحررها الشباب ، صاحبها امثول ادوارد الشدياق ، رئيس تحريرها هنرى كورييل تصدر كل خميس - مقرها ١٦ شارع الجنيبة « ثم « نحن نناضل ضد الفوارق الطبقية ، والمغالطة التاريخية ، والتساهل ، والممارسة التي لا يمارسها الناس بحرية ، نناضل ضد كل التلغيمات وكل الكلمات المستترة » (١) ٠

٠ وقد شارك في تحرير دون كيشوت كلا من هنرى رومانى - مارسيل بياجيني - جوفارنا - اديت جاف - الكسندر ياسكال - هنرى كاليه - ايزاك هرارى - ادوارد ليفى ٠٠ وكان كامل التلمسانى يشرف على توضيبيها ويرسم القصص والقصائد المنشورة بالاضافة الى مقالاته عن الفن المصرى ٠

وكانت دون كيشوت تصدر في ست أو ثمانى صفحات خصصت للصفحة الأولى للسياسة المطية والعالمية والثانية للموضوعات الادبية والفنية ، والصفحة الثالثة بعنوان « عروض حية » وتنتشر فيها موضوعات متنوعة وكانت الصفحتان الرابعة والخامسة مخصصتان لسباق الخيل ذلك لان رخصة الجريدة كانت صادرة على أنها جريدة لسباق الخيل ٠٠

٠٠ وكان الاتجاه العام للجريدة بيناريا معاديا للنظام الملكى ومدافعا عن العمال والفلاحين ٠٠ وقد نشرت المجلة في أحد أعدادها قصة لتوفيق الحكيم ترجمها ادوارد الشدياق بعنوان « تابع الموت » وصحبها رسم لكامل التلمسانى (٢) ٠

وسرعان ما تفرقت السبل ٠٠ هنرى كورييل رافضا للتروتسكية ، ورافضا وطن المثقفين ، وتلمسا الطريق نحو الفهم والنهمل الماركسى ٠٠

1 Don Quichotte — 15-3-1940

2 Don Quichotte — 11-1-1940

ترك دون كيموت، وأسس النادي الديمقراطي ثم الحركة المصرية للتحرير
الوطني

أما جورج حنين فقد ظل مؤشبتا بتروستكيتها، منشبتا معها بالاكتماء
بالبين كعطل بارود. . . فهل كان الفن وحده ودون فضال جماهيري كافيا
وحده ليصبح معلا طبقيًا للبارود. يجيب على هذا واحد من زملاء جورج
حنين هو أنور كامل يقول: «لكن نكرا هكذا، لم يكن من الممكن أن يظهر وأن
يتطور إلا من خلال تنظيم سياسي» ولكن جورج حنين لم يكون تنظيميا
سياسيا، وأريد أن أشير الى أن ارتباط هذه الموجة اليسارية بالفن والفنانين
بند أعاق تحولها الى تنظيم، والفنانين عادة يحبون الدردشة، لكنهم لا يقبلون
بسهولة الخضوع لقيود التنظيم» (1).
وفارق كينز، بل هو شائعة بين الدردشة وبين متطلبات الصراع
الطبقى

المختصون ناقشوا مع أنور كامل أجراه المؤلف - بالملاحق - (المرجع
السابق)

بعض القضايا الايديولوجية

في بعض الاحيان ، يصبح الموقف الايديولوجي عنصرا حاسما في تكوين الصورة العامة لأي حزب سياسي .

وثمة قضايا فكرية - معرنية - نكتسب أهمية خاصة بحيث يصبح الموقف تجاهها العامل الفعال في تحديد مستقبل الحزب والحكم عليه .

ولقد تنطقت الكثير من البطولات والتضحيات والنجاحات الباهرة امام وهج موقف أيديولوجي خاطئ .

وفي تاريخ - الرفاق المصريين - عدد من المواقف الايديولوجية الفاصلة ، لعلها حددت الى درجة كبيرة مسار انطلاقهم العام ، بل لعلها تركت بصماتها على جميع التقييمات التي قدمت حول دورهم .

ولعله من حقنا ، ومن حق هذه الكواكب ، أن نلقى بعض الضوء على عدد من المواقف الايديولوجية الهامة .

ذلك أن بعضها رغم أهميته القصوى - غير معروف - بل وربما تداول الكتاب اثنائها توحى بنقيضه مثل موقف الحزب من الصهيونية وقضية فلسطين . وبعضها الآخر يتطلب النظر اليه في اطار التاثير بالموقف العام للحركة الصهيونية العالمية التي كانت تمارس في ذلك الحين تأثيرا حاسما وغاطعا على الاحزاب في مختلف بلدان العالم . وفي اطار الفكر الماركسي الامالي الذي سادت فيه الاتجاهات الستالينية بصورة لا تقبل المعارضة ولا الانتقاد . مثل الموقف من البرجوازية الوطنية في المستعمرات والبلدان التابعة .

ولنبدا بموقف حقق فيه - الرفاق المصريون - نجاحا حقيقيا ومهما صحيحا لوضع الامة العربية واستبصارا ذكيا بقضايا مستقبلها وهو الموقف من الحركة الصهيونية .

فالحزب الذي حورب دوما بتهمة أن لليهود نفوذ كبير وسط صفوفه وأن للاجانب اليد الطولى في أعماله ، هذا الحزب كان اول الاحزاب المصرية التي أدركت خطر الصهيونية وأعلنت عليها حربا لا هوادة فيها .

وفي الوقت الذي كانت فيه صحف الأحزاب البرجوازية المصرية تنشر المقالات عن النشاط «الخيري» للحركة الصهيونية وعن أعمالها الجيدة لتعمير فلسطين كانت جريدة «الحساب» تنصدي - وربما على انفراد - لكشف الصهيونية وادانة مظامعها في فلسطين وفضحها كخليف للاستعمار .

وتحت عنوان « بلفور يزور ضحيته » وفلسطين تقابله بالاضراب العام » كتبت « الحساب » تقول « احتفل الصهيونيون في فلسطين بتأسيس جامعتهم العبرية يوم اول ابريل الجاري فدعوا لحضور احتفالهم ذلك نخبة رجالهم وجميع الذين يعطفون على قضيتهم ويساعدونهم في عملهم الاستعماري وكان في مقدمة الدعويين اللورد بلفور صاحب التصريح المشهور الذي أصدره باسم الحكومة الانجليزية . . . والذي بهووجه أعطت انجلترا فلسطين لليهود الصهيونيين رغم ارادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون .

وقد لبي بلفور الدعوة فتقابله السكان في كل مكان حل يبه بجميع الوسائل التي تعبر عن سخطهم وغيظهم واشتمزازهم من زيارته التي تشبه زيارة القاتل لآل القتيل ، والمعتدى لضحيته .

نقد أعلن أهل فلسطين الاضراب العام بمناسبة وصول بلفور الى بلادهم فاعتقلت المتاجر والمصانع . والورش وحوانيت البقالة ووقفت السيارات وعربات الركوب وعربات النقل ، وامتنع التلامذة عن حضور دروسهم والذهاب الى مدارسهم . . . ووضع أهل فلسطين شارات الحداد على ثوبهم ومتاجرهم .

« . . . ولم يكن سخط الطبقة العاملة من اليهود على بلفور بأقل من سخط الفلسطينيين أنفسهم فقد شاركوا الاهالي بالاضراب وأرسلوا برفقيات الاحتجاج ، وأظهروا بكل الوسائل نفورهم من صاحب ذلك الوعد الاستعماري الذي يكرمه كل عامل لا تفرق في المذهب والعنصر والدين . . . »

« . . . وقد عرف أهل فلسطين الكرام أن ليس كل يهودي صهيونيا ، وأن الصهيونية نوع خطر من الاستعمار يكرمه العامل اليهودي مثل ما يكرمه العامل الفلسطيني تماما . لان العامل هو عامل قتل كل شي ، وهو ضد الاستعمار ولو كان المستعمر اخاه كما قلنا . . . »

« . . . وانا نحیی هذه النهضة الجديدة في فلسطين ، وتأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم في سبيل استقلال بلادهم ، وهم كمالومين مرهقين عليهم . أن يضعوا ايديهم في ايدي كل طبقة من طبقات

العمال في أى بلد من البلدان فالطبقة العاملة مظلومة في كل مكان ، وكل مظلوم للمظلوم نسيب» (١) .

ولعل المشكلة الأيديولوجية الكبرى التي واجهت الرفاق المصريين في ذلك الحين كانت تحديد الموقف من البرجوازية المتوسطة والصغيرة في بلد كمصر ، وطبيعة العلاقة مع كل منهما .

وبغير ما شك فإن كلمات ستالين كانت تمثل في فترة كهذه بالنسبة لجميع الأحزاب بغير استثناء نقطة الانطلاق الأساسية في أى عمل أيديولوجي

فماذا قال ستالين ؟

في عام ١٩٢٥ تحدث ستالين طويلا عن قضية المستعمرات قائلا انها تنقسم الى ثلاثة أقسام مؤكدا ضرورة معاملة كل قسم منها بأسلوب مختلف ، وفي بلد كمصر والصين (مستعمرات الدرجة الثانية) « فانه يتعين على الشيوعيين السعي لتأسيس كتلة ثورية (لاحظ الفرق الكبير بين الكتلة الثورية والجبهة الوطنية) من العمال والبرجوازية الصغيرة (يقصد بالبرجوازية الصغيرة الفلاحين أساسا)» (٢) .

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد ، اذ سرعان ما وقع الصراع الدامي في الصين والذي تميز - الى حد كبير - بطابع الغدر والخيانة من جانب البرجوازية الصينية ممثلة في الكومنتانج .

وهكذا كان الموقف الجديد الذي تبناه مؤتمر الكومنترن السادس (١٩٢٨) والذي يعلن أن البرجوازية الصينية قد انتقلت وبصورة نهائية الى معسكر الثورة المعادية وبصورة تلقائية ارتبط تحليل الموقف في مصر بالموقف في الصين . وعملت البرجوازية المصرية تماما مثل البرجوازية في الهند و٣ ستالين شيرعيتها بأن يركزوا جهودهم لشن حرب لا هوادة فيها ضد البرجوازية (٢) .

١ - الحساب - ١٠ - ٤ - ١٩٢٥ .

2 Joseph Stalin-Marxism and the National and Colonial question - London, 1947 - PP: 216

3 M.S Agwani - Communism in The Arab East Asia Publishing House, Bombay — PP 6.

وَمَكَدًا فَانهُ وَقَفَا لَوَجْهَةً نَظَرَ سِتَالِيْنَ وَالْمُؤْتَمِرَ السَّادِسَ لِلْكَوْمُنِئْتَرِيْنَ
فَقَدَّ كَانِ يَتَحَدَّثُ عَلَى الْحَزْبِ الشُّيُوعِيِّ ، أَنْ يَرْكُزَ جِهَوْدَهُ لَشَنْ حَزْبِ لَآ هَوَادَّةَ
فِيهَا « ضَدَّ حَزْبِ الْوَلَدِ »

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْحَزْبِ الشُّيُوعِيِّ الْمَصْرِيَّ قَدَّ رَفِضَ ذَلِكَ وَجَاوَلَ قَدَّرَ مَا تَسْمَعُ بِهِ
طَاقَتَهُ وَمَا يَسْمَعُ بِهِ فَطَلَهُ أَنْ يَتَاوَمَ هَذَا الْإِتِّجَاهَ وَأَعْلَنَ مِنْ عَلَى مَنَصِبِهِ
الْمُؤْتَمِرِ ، عَنِ اعْتِقَادِهِ أَنَّ الْبِرْجُوزِيَّةَ الْوَطْنِيَّةَ فِي مِصْرَ لَمْ تَنْتَقِلْ نَهَائِيًّا
إِلَى الْمَعْيَكِرِ الْمَبَادِي لِثَوْرَةٍ كَمَا يَفْعَلُ الْكُومُنِئَانْجِ « (١) »

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْحَزْبِ الْمَصْرِيَّ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرْسَلَ مَنَدُوبًا لِحَضُورِهِ
مُؤْتَمِرَ الْكُومُنِئْتَرِيْنَ السَّادِسَ وَلَمْ يَظْهَرَ فِي وَثَائِقِ الْمُؤْتَمِرِ اسْمُ مَنَدُوبٍ مِصْرِيٍّ ،
لَكِنَّهُ يَبْدُو أَنَّ الَّذِي مَثَلَ وَجْهَةً لِلنَّظَرِ الْمِصْرِيَّةِ هُوَ « حَيْدَرُ » مَنَدُوبٌ فِلَسْطِينِيٌّ
وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْعِلَاقَاتَ بَيْنَ الْحَزْبِ الْمَصْرِيِّ وَالْحَزْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ - السُّورِيَّ
كَانَتْ وَثِيقَةً لِلغَايَةِ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ .

وَتَعْلَى آيَةَ حَالِ خَانَ وَ حَيْدَرُ ، هُوَ الَّذِي تَخَدَّتْ حَوْلَ مِصْرَ ، وَخَوْلَ هَذِهِ
الْقَضِيَّةَ بِالذَّاتِ قَضِيَّةَ الْمَوْقِفِ مِنَ الْبِرْجُوزِيَّةِ الْوَطْنِيَّةِ وَمِنْ حَزْبِ الْوَلَدِ
مَالْتَحِدِيدِ . فَمَاذَا قَالَ حَيْدَرُ . . .

لَقَدْ بَدَأَ حَيْدَرُ تَعْلِيْقَهُ حَوْلَ قَضِيَّةِ الْحَرَكَةِ الثَّوْرِيَّةِ فِي الْمُسْتَعْمَرَاتِ بِتَوْجِيهِ
الِاتِّجَاهِ أَسَاسِيٍّ فَقَالَ « أَيُّهَا الرِّفَاقُ : إِنَّ الْقَضِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ ، وَالشَّرْقَ الْعَرَبِيَّ
كُلَّهُ غَائِبَانِ تَمَامًا عَنِ عَذَّةِ الْجِلْمَةِ ، نَقَدَّ تَجَاهَلْتُهُمَا الْبِتَّارِيْرَ الْمَقْدَمَةَ
حَوْلَ قَضِيَّةِ الْمُسْتَعْمَرَاتِ »

وَمَضَى حَيْدَرُ لِيَتَحَدَّثَ عَنِ أَمْهِمَةِ الْقَضِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَعْطَى لِحُجَّةٍ مِنْ ظُرُوفِ
الْمَقْطَعَةِ لَكِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يَفْضَلَ الْفِكْرَةَ الَّتِي سَادَتْ الْمُؤْتَمِرَ وَالتَّتِي سَبَقَ أَنْ ذَكَرَهَا
سِتَالِيْنَ . وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدًا عَلَى مُعَارَضَتِهِ فِيهَا وَهِيَ وَضَعُ مِصْرَ وَالصَّيْنِ فِي
مَرْتَبَةِ وَاحِدَةٍ وَالنَّظَرَ الْبَيْتَمَا بِمَنْظَارِ وَاحِدٍ .

فَقَالَ حَيْدَرُ « إِذَا حَاوَلْنَا الْمَقَارَنَةَ بَيْنَ الْحَرَكَةِ الْعَمَالِيَّةِ فِي كُلِّ مِصْرَ
وَسُورِيَّا وَبَيْنَ الصَّيْنِ لِجَابِهَتِنَا الْحَقَائِقِ الْتَالِيَةِ :

غَنَى الصَّيْنِ نَشَطَ الْعَمَالِ وَتَحَرَّكُوا كَطَبَقَةِ مَعَ مَطْلَعِ الْحَرَكَةِ الثَّوْرِيَّةِ .
(حَمَلَةُ الشَّمَالِ ، هَيْئَةُ شَنْغَهَاي) وَكَانُوا مَنظَمِيْنَ بِالْفِعْلِ فِي نَقَابَاتِ وَلِهَمِ
حَزْبٍ مُتَوَاجِدٍ بِالْفِعْلِ فِي قَلْبِ الْإِحْدَاثِ ، بَيْنَمَا نَرَى الْعَكْسَ تَمَامًا فِي بِلْدَانِ

—1 Ibid - PP.7 : Revolutionary Movement in the Colonies
and Semi - Colonies : Thesis Adopted by the Six-th congress of the
communint interuational, 1928 (Bombay,1948) PP. 33-5

الشرق العربي بحيث نجد أن العمال قد دخلوا الميدان متأخرين إلى حد كبير . لقد كان العمال مجرد وقود للمذامع خلال الانتفاضات الثورية في كل من مصر وسوريا ، بينما اختفى دورهم كطبقة مستقلة ، كقوة منظمة .
وإذا بدأ الحزب الشيوعي المصري نشاطه ، ليس بتكوين جبهة عامة « كومنترانج » وليس بمساندة زغول باشا وإنما على العكس من ذلك بالهجوم عليه .

وبعد أن قدم « حيدر » تحليلا تفصيليا لحزب الوفد ودوره وموقف الشيوعيين منه قال : إن الأمبرياليين يريدون الإبقاء على حزب الوفد كقوة معارضة ، كجسام يكبحون به جماح العناصر الاقطاعية . لكنهم من ناحية أخرى يريدون للوفد أن يبقى داخل إطار معين ويرقبون بحذر بالغ « نفوذه الثوري » .

« والآن ما هو الموقف الذي يتعين علينا إتخاذه تجاه الوفد ؟ » هكذا يسأل حيدر ثم يمضى منتقدا موقف الكومنترن قائلا « يتصور بعض الرفاق أن الدور الثوري لحزب الوفد قد انتهى تماما وأنه قد أصبح الآن قوة مناضة للثورة ، وأنه قد ربط نفسه بالقوى المناهضة للثورة ، ولم يعد هناك ثمة مجال للحديث عن التحالف معه .

لكنني أيتها الرفاق أعتقد أننا بمتطاعتنا للوفد سوف نقع في التقيض الآخر وسوف نرتكب خطأ فادحا .

اننى أحدد واجباتنا في مصر على النحو التالي : لا اعلان للتحالف مع حزب الوفد ولا لقامة لاية تنظيمات مشتركة معه ، ولكن من الحتمي الاستمرار في إقامة اتصال دائم مع الوفد ، اتصالات مع قواعد الوفد للقيام بأعمال مشتركة محددة « (1)

لكن الاتجاه السائد في الكومنترن كان هو أن الوفد مثله مثل انكومنترانج قد خان الثورة الوطنية و « ألقى بأعلام الحزبية في الوخل » كما قال ستالين .

وهكذا وبرغم المعارضة فقد كان الرفاق المصريون مضطرين لمسايرة الاتجاه ، وقد كان استمرار اتخاذ الوفد موقف التخاضل والتهادن خير مشجع لهم على ذلك .

1 International Press correspondence - 'The Discussion on Comrade'

Bukharin's Report- No: 72 - 17/10/1928 - PP7311

ان تتبع المقالات والدراسات التي تناولت دور الوفد في هذه الفترة
توضح لنا ذلك الصراع الذي كان يعتمل بين قرار الكونغرس وبين رؤيه
الرفاق المصريين للواقع المصري . لكن ذلك لا يعنى ان الرفاق المصريين
مقد تتاسوا اخطاء الوفد بل لقد ضاعفوا من هجومهم عليه وانتقادهم
له ، لرفضه الاعتماد على الجماهير .

• ان الوفد في صراعه ضد حكومة محمود كان يرفع شعارا سياسيا
محددا هو عودة الدستور ، لكن الوفد لم يكن يضع في اعتباره قوى الجماهير
المصرية ونضالها ضد الديكتاتورية الحالية وانما كان يعلق كل اماله على
انتصار حزب العمال في انجلترا . بل ان حزب الوفد قد حاول ان يلعب
على الخلافات في وجهات النظر داخل الوزارة البريطانية .

• ان سياسى الوفد عندما يتخبطون عن الجماهير ، فانما
يفعلون ذلك لمجرد تحقيق اهدافهم ويشترط اساسى وحاسم هو الا تتمكن هذه
الجماهير من ممارسة أى دور ايجابى للتأثير على اعمال الوفد .

ان رئيس الوفد النحاس باشا قد ركز في خطابه الذى ألقاه
بمناسبة مرور عشرة اعوام على تأسيس حزب الوفد ، ركز على اصرار الحزب
على عدم فتح الباب امام الصراع الطبقي الذى وصفه بأنه يقود الشعب الى
الهاوية والهلاك (١) .

وتعليقا على الصراع الذى دار بين النحاس ومحمد محمود عقب
الانقلاب الدستوري كتب أحد الرفاق المصريين مقالا بعنوان « بلا مخرج »
جاء فيه : « بين رئيس الوزراء المصرى الحالى محمد محمود ، ورئيس الوزراء
السابق النحاس باشا (زعيم الوفد) توجد أزمة ذات طابع خاص .
محمد محمود يقوم بجولات « مظفرة » في أرجاء البلاد اما النحاس
باشا الذى يصعد محمد محمود على هذا النجاح فقد أخذ يروج ويدعو
لشعبيته الخاصة ولشعبية الوفد بين الجماهير . . . »

ان هذه المسرحية ذات الخصائص الفريدة تجرى من أجل متفرج
واحد هو المندوب السامى البريطانى اللورد لويد . فان كلا من محمد محمود
والنحاس باشا يحاول أن يقنع المندوب السامى البريطانى بأن حكم مصر
ممكن بواسطة هو شخصيا .

١ - رينولوسيونى فوستوك - (العدد ١ عام ١٩٢٢) . مقال - شامى
بعنوان مصر بعين الانقلاب ص ٢٧٦ (مترجم عن النص الروسى) .

ويُمضي المقال مؤكداً ، لقد كانت انجلترا باعمالها لتدأبات الجماهير العريضة في مصر تعتمد أساساً على اعتقاد راسخ مؤداه أنه ما من جماعة من الجماعات السياسية المصرية تعارض معارضة حقيقية في استمرار السيطرة البريطانية ، (١)

لكن هذا الهجوم ضد حزب الوفد لم يكن هجوماً مطلقاً ، بل على العكس من ذلك ، فقد كان الرفاق المصريون يشعرون دائماً أنهم أقرب إلى حزب الوفد من حكومة الانقلاب الرجعي ، بل لعظم كانوا يشعرون - في بعض الأحيان - أنهم أقرب إلى الوفد منهم إلى الحزب الوطني ، رغم أن الحزب الوطني كان وفقاً لتحليلهم الطبقي حزب مثقفي البرجوازية الصغيرة الراديكاليين .

• أما حزب المثقفين الراديكاليين (الحزب الوطني) فقد تبعثر تماماً بعد الانقلاب وقد تجبض على مجموعة من أعضائه ، لكن الجزء الأكبر من المجموعة المحدودة التي استمرت في النشاط لجأت إلى حزب الوفد .

• إن هؤلاء المثقفين الراديكاليين لم يستطيعوا اللجوء إلى الجماهير الشعبية ، ولم يستطيعوا الاتصال بها ، بينما استطاع الوفد أن يتصل بالجماهير وأن يحرك مشاعرهم ونشاطهم السياسي ، (٢)

وعندما ثارت قضية الأمير سيف الدين واستخدمت ضد الوفد بهدف إبعاده عن الحكم ، كان الرفاق المصريون يعارضون حملة الحزب الوطني على الوفد .

• لقد كان من الممكن بل من الواجب استخدام قضية الأمير سيف الدين كمادة لفضح الملك فؤاد كعميل للانجليز . إن قيادة الوفد (ومن بينهم النحاس باشا نفسه) دافعوا عن الأمير سيف الدين وأخفوا على عاقبتهم هذه المهمة . أما قادة الحزب الوطني فلأسباب مجهولة تماماً عارضوا الوفد في موقفه هذا . وفي البرلمان وقف زعيم الحزب الوطني حاداً بك رمضان ليخطب قائلاً : إن النحاس والحامين الوفديين يقبضون أموالاً طائلة ثمناً لتبنيهم قضية سيف الدين .

وقد أمكن « نبركة » حملة واسعة وسط الرأي العام بواسطة الصحافة

١ - أ. الجبالي . مقال « بلا مخرج » - مجلة رينولوسيونى غوستوك المرجع السابق - راجع النص كاملاً بالملاحق .
٢ - أ. شامى . المقال السابق الإشارة إليه .

المصرية والانجليزية المأجورة حول هذه القضية . وكانت النتيجة سقوط حكومة الوفد .

وبعد ذلك حل البرلمان ، والذى الدستور ، ووصل الى السلطة عملاء الرجعيين عملاء الندوب السامى البريطانى . أما الزاديكاليون من أعضاء الحزب الوطنى فقد ساعدوا الرجعية فى معركتها ضد الوفد ، وبعد أن تحقق النصر للرجعية ذهبوا جميعا الى أوروبا للراحة !!

وهكذا أصبح الميدان خاليا تماما للرجعية ، ثم أعد مشروع معاهدة عار وذل مع انجلترا (1) .

لكن هذا التعاطف المشوب بالحذر لم يرتق أبدا الى مرتبة الدعوة للتخالف أو التقارب أو حتى ما هو أقل من التخالف والتقارب .

فقد كان الرفاق المصريون لا يثقون مطلقا بالوفد ، ولقد كان من حقهم الا يثقوا فيه ، فإن أعنف الضربات التى وجهت لهم ووجهت فى عهد حكومة الوفد .

لكن ثمة موقف يستحق الانتباه ، فلقد اتفق الزفاق الوفد مرات عديدة لانه لم يلجأ للجمهير لكنهم انتقدوه أيضا بل واتهموه عندما حاول - بطريقته الخاصة طبعاً - ان يحرك الجماهير .

• وفى مواجهة التخالف بين حزب الاتحاد (حزب كبار الملاك) وحزب الأحرار الدستوريين ، كان الوفد يصر على تأكيد إخلاصه لاهداف الأمة ، ولعل اكبر مثال على ذلك جملة التوقعيات التى نظمها الوفد والتى انتهالت فيها آلاف التوقعيات من مختلف أنحاء مصر على الملك بمطالبة بعودة الدستور والبرلمان .

وقد شكك الوفد مجموعة من أعضائه لتنظيم حملة جمع التوقعيات هذه وقد نجحت هذه المجموعة بالفعل فى تنظيم مسيرات ووفود يوم ١٥ مارس التى القصر سنار على رأسها نواب وشيوخ الوفد وكانت المظاهرات الواسعة التى حشدتها الوفد تهتف « يحيى الملك » . غير ان هذا التحالف لم يمنع بوليس الملك من ان يصطدم بهذه المظاهرات .

ان المرء عندما يقرأ عن مظاهرات القاهرة فى ١٥ مارس يتذكر على الفور المظاهرات الروسية التى حدثت فى ٨ يناير ١٩٠٥ . وهنا لابد وأن يذكر كلمات

١ - أ. الجبالي : مقال فى الحزب الذى يثرثر كثيرا - مجلة ريفولوشيونى فوستوك - العدد ٢ - عام ١٩٣٢ - ص ٢٨٨ (مترجم عن النص الروسى) .
راجع النص الكامل للمقال بالملاحق

ماركس « أن التاريخ يعيد نفسه في المرة الأولى كتراجيديا وفي المرة الثانية
فارس » (١) .

ولسنا نعتقد ان هذا التشبيه كان صحيحا . . . فلا قادة الوفد كانوا مثل
« النفس جايون » الذي نظم مظاهرة ٩ يناير ١٩٥٥ . والذي كان عميلا للاوخرانا
(البوليس السرى الفيصري) والذي دبر المظاهرة بإيعاز منها كسبيل لتوجيه
ضربة للحركة العمالية واخمادها (٢) ولا مظاهراتهم كانت تديرا بوليسيا ضد
مصلحة الجماهير .

لكن هذا التشبيه لم يكن مجرد موقف عابر ولا استعراضا لمعلومات
الكاتب ، فقد تطور فيما بعد في موقف بالغ الخطورة عندما اندجرت الاضرابات
العمالية في هبتين عنيفتين ضد حكومة الديكتاتورية وكتصعيد عمالي وثورى
تذءات الوفد المتسمة بالاعتدال ، فان الرفاق المصريين قد اتخذوا تحسنا
الانتفاضتين العماليتين الثوريتين موقفا سلبييا تماما بل وكما وصفه « أنيجدور »
« موقف مشين للشرف الثورى » . . .

« فاننشور الوحيد الذى إصداره رفاقنا ايام الهبة لم يدع الجماهير
لمواصلة النضال وانما دعاهم الى الاستسلام (دعوا هؤلاء الوغديين يخطبون
ويضطنون ويتصارعون ويموتون فانهم يفعلون ذلك من أجل مصالحهم
الخاصة) ، وهكذا لم يحرك الرفاق المصريون الاهمية الثورية القصوى للانتفاضة
عشرات الالوف من العمال متبنين شعار الوفد الذى يدعى الجماهير للنضال
من أجل الدستور .

ولم يستطع الرفاق المصريون ان يحشوا قواهم (حتى تلك القوى التى
يمتلكونها بالفعل) في مشاركة نشيطة في الانتفاضة ومن أجل قيادة حركة
الطبقة العاملة والفلاحين » (٢) .

وثمة مقال آخر يستحق الاهتمام كتبه ج . ب (جوزيف بيرجر) بعنوان
« الموجه الجديدة من الانتفاضات في مصر » يقول :

« ولكن ومهما كانت « الثورية » التى ينظاها ربهىا الوفد (كتب المقال أثناء
معركة الوفد ضد قيام صدقى بالفناء الدستور) فانه يظل بعيدا عن تمثيل

١ - أ . شامى . المقال السابق .

2 History of the Communist party of the Soviet - Second' revisee
Edition - Moscow - PP.88

٣ - أنيجدور - مقال الازمة والمد الثورى في مصر - العدد ٢ لعام ١٩٣٢
عن مجلة ريفولوسيوني غوستوك ص ١٠٢ (مترجم عن الاصل الروسى) راجع
الملاحق . . .

مصالح الجماهير ، بل ان صحيفة مصرية قد شبهت مصطفى النحاس باشا بانه « كيرنسكى » . ان الوفد ليس في وضع يؤمله لحل المشكلات الاجتماعية للجماهير العريضة . انهم يستقلون الجماهير ، ثم يدعونها كي تبذل دماءها دفاعا عن الدستور .

•• ولكن ماذا يمكن للوفد ان يقدم للعمال في صراعهم الاجتماعي الراهن ؟
الاجابة : لا شيء . انها خبيرة ثلاث وزارات وندية سابقة ١٩٢٤ - ١٩٢٨ - ١٩٣٠ .

ان الوفد بقيادة تضم امثال فتح الله بركات باشا وحمد الباسل باشا وهما يعتبران من اغنى اغنياء مصر لا يمكن ان يقدم شيئا للجماهير . وفي ظل وضع كهذا يقع دور رئيسي وبارز على كاهل الشيوعيين المصريين ، الذين يتعرض حزبهم لعداء كإدارة الحكومات المصرية ايا كانت .

انه الحزب الشيوعي وحده الذي يستطيع ان يخلق الجيش الثوري للعمال ، الذي سينهض بالثورة المصرية الى مستوى جديد ، مستوى النضال المباشر دفاعا عن مصالح الجماهير العاملة ، (١) .

ونلاحظ نقط النسيان الكامل لطبيعة المرحلة ، ولل قضية الوطنية .

وهكذا نتم هذا التصارع والشد والجذب بين موقف الرفاق المصريين وبين موقف الكومنترون ، وذلك التردد المخيب للامال دوما الذي وصم كل تحركات الوغد ، وذلك الحقد الذي كان يعتمل دوما في نفوس قادة الوغد ضد حركة الطبقة العاملة بالاضافة الى تسلط محمد عبد العزيز عميل البوليس على مقدرات الحزب في ذلك الحين اثمر كل ذلك موقفا متحفظا تجاه قضية من اعدت للقضايا ومن اهمها على الاطلاق .

لكن هذا التحبط ، وهذا الخطأ في تفهم طبيعة الانتفاضة العمالية يجب الا ينسيانا تلك اللمحات الذكية التي اتسمت بها بعض مواقف الرفاق المصريين تجاه الوفد والتي اشرنا الي بعضها في الصفحات السابقة

وعلى اية حال فان الموقف من البرجوازية المتوسطة ودمغها بانها جزء من معسكر الثورة المضادة قد قاد بالضرورة الى قضية ابيولوجية اخرى هي ما اتسمى في الادبيات الماركسية في هذه الفترة « بالكتلة الثورية » .

فالجبهة والتحالف مع البرجوازيات مرفوضة ، والبديل هو الكتلة الثورية من العمال والفلاحين

—1. The Labour Monthly — vol 12- No 12 — December 1930

The New wave of Revolts in Egypt. J.B . (Jerusalem) .

وحتى الحزب الوطني الذي أسماه الرفاق حزب « متفنى البرجوازية الصغيرة » فان التحالف معه لم يستمر الا فترة وجيزة جدا ثم ما لبثوا ان دعوا للـ « تجبيره » من الداخل .

« ان هذا الحزب الراديكالي ظل دوما على اللهايش بالنسبة لكل الاحداث السياسية الهامة ، ولم يحاول ان يدرس اوضاع مصر دراسة جادة ، ولم يقدم لية شعارات سياسية ايجابية ، ولم يكن غريبا بعد ذلك ان يفقد احترامه ، وأن يسقط من حساب الكثيرين كحزب سياسي حقيقي اللهم الا بضعة مئات يشكلون مجموع عضويته » .

« . . . » لقد مثل قادة الحزب الوطني لسنوات طويلة دور حماة الجماهير للأكاذيب والمدافعين عنها . لقد حاولت البرجوازية الصغيرة الراديكالية عبثا ان تقنع الجماهير بأن ممثليها لم يبتعدوا عن خشية المسرح . لكن الصراع فدائر بين صفوف اعضاء الحزب أنفسهم ، لم يكشف فقط عن مدى الضعف لسياسي لقادة الحزب وانما كشف ايضا عن ضرورة البحث عن « مسارات » جديدة لحركة التحرر الوطني .

وكلما تم الاسراع بعملية « تجبير » الحزب الوطني من الداخل ، كلما وجدت العناصر الشريفة داخل هذا الحزب بسرعة اكبر طريقها الصحيح نحو تأسيس الكتلة الوطنية الموحدة تحت قيادة حزب الطبقة العاملة (١) .

والآن يبقى تساؤل هام ، كيف حاول الحزب ان يقيم هذه « الكتلة الثورية من العمال والفلاحين » ؟

الحقيقة ان للرفاق المصريين قد بدأوا هذه المحاولة بداية واقعية تثقن مع حقيقة قواهم ومع امكانياتهم .

فاذا كان من الصعب انتزاع جماهير الفلاحين من نفوذ الوفد للعمل ضمن كتلة ثورية سرية (بطبيعة الحال) فلا بد من ايجاد شكل من اشكال العنيفة .

فائثناء انتخابات زيور. حاول - الرفاق تكوين نوع من التجمع العلني باسم « لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » .

كانت مؤلدة كما تقول جريدة « الحساب » ، « من بعض الغيورين الذين يبتغون بشأن الطبقة العاملة ، وكانت قد عازمت على خوض المعركة الانتخابية بكل قواها الا انها ما باشرت اصدار منشورها الاول * حتى يابرت

١ - أ. الجبالي . مقال « الحزب الذي يثرثر كثيرا » - المرجع السابق .

* راجع النص الكامل في الملاحق .

الجهات الادارية التي ضبطه ومنع طبعه وانتشاره ، والتحقيق مع المسؤول عن اللجنة مما اضطر اعضاءها الى السكوت حتى تظهر نتيجة التحقيق . وفي اثناء ذلك انتهت المعركة الانتخابية وتم للحكومة ما ارادت من الخيولة دون انتشار حركة عمال كانت بلا ريب مفيدة لهم على ان اعضاء اللجنة لا يزالون متمسكين بديانتهم وعند حسن ظن الطبقة العاملة بهم ، ولكن الظروف الجائهم الى استعداد تام للعودة الى الجهاد ، (١) .

ثم عاود - الرفاق - المحاولة بشروعهم في تأسيس حزب للعمال والفلاحين يكون واجهة علفية لتنظيمهم السرى .

وعلى صفحات مجلتهم « الحساب » بدأت الدعوة لتكون حزب « العمال والفلاحين » وقد نجح ما كرو الحزب في وضع صيغة مرنة - وطنية وثورية مما - لتكون اساسا فكريا للتجمع الجديد .

فان الهدف الاساسى لتجمع - العمال والفلاحين - هو النضال لتحقيق الامانى الوطنية .

لقد تمهّرت الحركة الوطنية منذ ان خرجت من يد الطبقة العاملة من فلاحين وعمال وتسلّمتها الطبقة الخاصة من الباشوات وارباب الاموال والاراضى فان هؤلاء يد انضموا الي هذه الحركة يدافع من مصلحتهم الخاصة فبعضهم خاف نجاحها وانتقام اربابها منه وبعضهم رأى الإندفاع فيها جرا لمغتم وطعما في منصب ، وبعضهم انساق مع التيار غصبا عنه ، وبعضهم رأى الفرصة مناسبة لتسيويد نفسه وجعله ذاته زعيما فاغتنم الفرصة وطم جرا .

لقد كان من الضرورى تقديم مبرر - وطنى - لإعلان قيام منبر جديد .

فالجماهير التي التفت حول الوفد خلال ثورة ١٩١٩ ظلت لفترة طويلة تنتظر بعين الشك تجاه أى منبر جديد وتعتبره تجمعا « انقساميا » .

كذلك فان « القضية الوطنية » كانت تمثل - منطقيا - المنطلق الاول لى تجمع وطنى وثورى

ومن هنا فان « الرفاق » ركزوا هجومهم على الاحزاب القديمة ومطالبتهم بتكوين تجمع جديد ليس على اساس طبقى فقط ، وانما في المقام الاول على اساس وطنى معادين على للأفضل احزاب البرجوازية في نيل الاستقلال الوطنى ، ومن ثم فلا بد من قيام تجمع جديد من اصحاب المصلحة الحقيقية في الاستقلال .

« فأحزاب مصر اليوم ليست سوى جماعات سياسية تعمل بدون غاية ولا مبدأ وتسير حسب الظروف وتقلب الأحوال فتكون تارة متطرفة وتارة معتدلة وتتحد تارة مع العناصر الرجعية وتمسك حيناً عن بعض مطالبها وتغالى أحياناً في الطلب ولا يهم لأفرادها إلا الحصول على الوظيفة والمنصب .

وأخيراً فإن « الطبقة العاملة من عمال وفلاحين لا يمكنها الانتظار إلى ما شاء الله حتى يقضى حزب على آخر وينتصر الوطنيون الحقيقيون على الوطنيين المزيين ... ثم يتنزع الظافرون للذئب في شؤونها واجابة مطالبها » (١) .

غير أنه من المتعين ان نلتفت باهتمام بالغ إلى المحتوى الطبقي للتجمع الذي سعى - الرفاق - لتكوينه .

فبرغم انه كان من ناحية المظهر التزاماً بخط الكومنترن « الكتلة الثورية من العمال والفلاحين » إلا انه في الواقع ، ومع تسليمه الكامل بضرورة قيادة الطبقة العاملة وكسب نقراء الفلاحين ... قد فتح أبوابه ليستقبل قوى طبقية أخرى غير العمال والفلاحين ...

وهكذا وفي دراسة ممتعة ودقيقة قدمها « الرفاق » على صفحات مجلة الحساب حول التقسيمات الطبقية في مصر ... أكدوا ان الحزب المنشود يجب ان يتألف من مختلف طوائف عمال المدن ومن عمال الارياف الذين يشتغلون في الزراعة وتوابعها ، على ان تكون عاتق الطبقتين طبقتي عمال المدن وعمال الارياف هما اساس وأركان وجدران الحزب .

وبعد ذلك لا بأس من قبول بعض أبناء الطبقات الأخرى الذين لا يتناقى وجردهم مع الغاية التي أنشئ الحزب مع أجلها كما سنبين فيما بعد » .

أما الطبقات الأخرى التي يمكن ضم بعض أبنائها فقد أشارت الدراسة إلى انها تضم المثقنين ، لانه « معلوم ان في مصر عددا كبيرا من الناشئة الجديدة المتعلمة لا تجد أمامها عملا إلا وظائف الحكومة لان الصناعة غير متقدمة في مصر ... ولان المعامل التجارية بيد الأجانب الذين لا يستخدمون إلا إجناب مثليهم ... والحكومة لا يمكنها ان تستخدم كل تلميذ يغادر المدرسة كما لا يخفى . فهذه الناشئة المتعلمة متى كانت من أبناء غير الأغنياء تميل بطبيعتها وبدافع مصلحتها نحو الطبقة العاملة أكثر مما تميل نحو أية طبقة أخرى » .

وهناك أيضا فقراء ومتوسطو الفلاحين الذين يعانون القهر والاستغلال بالرغم من انهم يمتلكون أرضا . . .

« فنكل افراد الفلاحين الفقراء يندمجون طبعاً في حزب العمال وعدد كبير من طبقة الفلاحين المتوسطين . . . مضطر الى الاندماج فيه ايضاً وان لم تكن مصلحته هي مصلحة طبقة العمال الا ان عليه ان يختار بين الانحياز الى كبار المالكين من اصحاب الاطيان وتعصيدهم والاندماج في مسلكتهم حتى يصبح عبدا لهم وفنياً لطبقتهم أو الانحياز الى العمال فيربح هو من تعصيدهم اياه ولا يكون مرووساً منهم على الأقل .

ثم ارباب الصناعات الصغيرة واصحاب المهن الذين يعملون بانفسهم دون استخدام سواهم في أشغالهم . . .

ثم تضى الدراسة ليقول « وهكذا نرى ان لدينا خمس طبقات من طبقات الامة أو الاخرى خمس هيئات كبرى من هيئاتها يجب أن تندمج في حزب العمال وهذه هي حسب قريتها اليه : طبقة العمال في المدن والإرياف ، طبقة الفلاحين الفقراء . . . طبقة الناشئة الجديدة . . . طبقة اصحاب الصناعات الصغيرة طبقة الفلاحين المتوسطي الحال . . .

لكن الدراسة تعود تؤكد مرة أخرى - وفي حرص بالغ « ان العمود الفقري للحزب ودماعه الفكر وقلبه النابض يجب ان يكون من العمال وعلى قانون الحزب الاحتياط الشديد لعدم تمكين بعض افراد الطبقات الاخرى التي تندمج في الحزب الاحتياط الشديد لعدم تمكين بعض افراد الطبقات الاخرى التي تندمج في الحزب من السيطرة عليه والتلاعب بمصالحه بل يجب ان يكون الحزب حزب عمال ، للعمال ومن العمال ، اما من ينضم اليه من ابناء الطبقات القريبة جدا من الطبقة العاملة فيجب ان يبقى دائماً تابعاً للحزب الى حد ما ولكن على كل حال يجب ان تكون وتبقى السيطرة في الحزب للعمال وحدهم « (١)

لكن كل هذا للتشدد - الذي كان لابد لاعلانه من ان يترك بصمة الانعزالية على الحركة لم يعجب البعض الذين راخروا يهاجمون فكرة « الحزب الملني للعمال والفلاحين » .

وفي نفس الوقت الذي كانت الرجعية المصرية تشذل اقصى جهدها لاجهاض المولود الجديد ، والزج بدعائه الى السجن واغلاق صحيفتهم « الحساب » . . . فان الانتقادات كانت تتصاعد من الناحية الاخرى .

ومن فوق منصة المؤتمر السادس للكونغرس وقف « حيدر » لينهاجم هذه المحاولة قائلا :

« حيدر » - لقد تكلم البعض حول تكوين حزب للعمال والفلاحين . وهذا خطأ وخيال محض . نيمس فقط لما يحمله من خطر يهدد بتحويل الحزب الشيوعي نفسه الى حزب للبرجوازية الصغيرة ثمنا لتحالفه مع الفلاحين ، ولكن ايضا لان تكوين مثل هذا الحزب مستحيل .

ذلك انه لا يوجد مثل هذا الحزب الشيوعي ، ولا هؤلاء الكوادر التي نستطيع التصدي للقيام بواجب تنظيم الفلاحين ، غير ان قضية الفلاحين يجب ان تعالج بطريقة أخرى تماما ، وأنا أعرض مثلاً فكرة تكوين لجان الفلاحين ، جمعيات تعاونية .. وغيرها من المؤسسات الاقتصادية مثل جمعيات المعونة المتبادلة .. الخ . وهي تنظيمات يمكن ان تضم عمال الزراعة وقرناء الفلاحين والمزارعين ويتعين علينا ايضاً الرفاق ان نضع في اعتبارنا ان الفلاح المصري يعمل ستة اشهر في السنة كأجير والسنة اشهر الأخرى كمالك ومن ثم فانه من الصعب وضع خط فاصل يميز العامل الزراعي عن المالك الصغير .

« فابسيليف » (من فوق المنصة) : كيف يمكن ضم مثل هذه العناصر الى الحركة التعاونية ؟

« حيدر » : ان لهم مصالح مادية مشتركة ، فالفلاح يعاني من المضارين ويعتمد على المزارعين ، وثمة حركة تعاونية قوية موجودة بالفعل بمساعدة الحزب الوطني ويتعين علينا ان نستخدم هذه الحركة كمنطلق لنشاطنا (١) .

وهكذا ومن سياق الحديث يتضح ان النقاش كله كان يدور حول مصر وحول جهود الرفاق المضربين لتأسيس منبر علني للعمال والفلاحين . فحيدر يشير الى جهود الحزب الوطني في الحركة التعاونية المصرية .

وأخيراً :

وكمحصلة - طبيعية - لعوامل عديدة أهمها تزايد ضعف الحزب وتناقص كوادره تحت وطأة مطاردة البوليس المستمرة ، وكثيراً ما يؤدي ضعف الحزب وعزلته عن العمل الجماهيري الى زيادة شعارات يسارية وعنتقدة داخل صفوفه .

وتزايد تردى - الوغد - والحزب الوطني في هاوية التيهان والانعزال عن المصالح الحقيقية للوطن والجماهير .

وتزايد ضغط - كرادز - الكومنترن على الحزب لكي يتخذ من حركة الجماهير موقفاً ثورياً ، بمعنى السعى لتصفية نفوذ الوفد فيها واقامة كتلة ثورية من العمال والفلاحين .

كمحصلة - طبيعية - لكل هذه العوامل أصدر الحزب برنامجاً عام ١٩٣١ تحت عنوان « برنامج عمل للحزب الشيوعي المصري » (١)

وبعد ان اورد البرنامج في صفحاته الاولى وصفاً بالغ الدقة والصدق للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المصري ، وعن الحالة المعيشية لجماهير العمال والفلاحين والظروف الصعبة التي يعيشون فيها : اورد تحليلاً للحزب السياسية الموجودة في مصر في ذلك الحين .

« حزب الاتحاد هو حزب عملاء السراي ، وكبار البيروقراطيين وكبار الاقطاعيين . وحزب الشعب هو حزب اصحاب الملايين من البرجوازية الكومبرانورية ومصدري الاقطان . وحزب الاحرار الديمستورين هو حزب البرجوازيين من رجال الاعمال والمرابين ومضاربي البورصة .

وكل هذه الاحزاب تخفى خلف اسمائها ووعودها البراقة عبودية وتخضوعاً للامبريالية الانجليزية وللاتجاهات الاكثر رجعية .

١ - نشر هذا البرنامج كاملاً بالانجليزية في كتاب

- Ivor Spector - The Soviet Union and The Muslim World 1917-1958.
- University-of Washington Press Seattle, 1959 - PP: 141-156.

نقلاً عن

Documents of The programme of The Communist Parties of The East.
Edited By : L. Madyar - P. MIF - M. Orakhelashvili - G. Safarov - Party
Publication - Moscow - 1934.

Revolutsionnyi Vostok

وقد اورد « سبكتور » في نهاية البرنامج انه نشر في مجلة (الشرق الثوري) عددي ١ ، ٢ لعام ١٩٣٢ - لكنه بالبحث في هذين العددين لم يعثر على البرنامج

وبالرغم من غرابة هذا الامر فانه لا يقلل من قيمة هذه الوثيقة . ذلك ان التمعن في دراستها يعطي انطباعاً كائياً بصحتها . وربما خطأ « سبكتور » في ايراد رقم العدد أو تاريخه .

وقد نشر الياس مرقص « الاممية الشيوعية والثورة العربية » - دار الحقيقة ببيروت ، ترجمة رديئة وغير دقيقة للنص الكامل للبرنامج .

وحزب الوفد هو حزب البرجوازيين والملك الزراعيين من الوطنيين
الاصلاحيين المعادين للثورة ، وهو يضم في صفوفه الراسماليين الانجليز
والحاميين والغضابيين والملك الزراعيين الليبراليين ، الذين يلجأون من فرط
خشيتهم من ثورة الشعب الى التواطؤ الى درجة كبيرة مع الذين يستجدون
مصر ، طمعا في ان يحصلوا في المقابل على بعض الفئات

انه الحزب الذي يضلل جماهير الشعب ، انه حزب الخيانة الوطنية ، (1)

وإذا كانت أحزاب الاقطاع وأصحاب الملايين من الكمبرادورين وكثائر
البيروقراطيين والمرابين ، عملاء السراى والاستعمار قد حظيت من البرنامج
بسطة اسطر فقط ، فان حزب الوفد قد حظى بفتنرات من الاسطر تهاجمه وتتهمه
وتأدينه

وليس هذا غريبا وفقا لنظرية ستالين حول ما اسمى « باتجاه الضريبة
الرئيسية » التي يجب ان تسدد لعزل نفوذ البرجوازية عن جماهير العمال
والفلاحين وهكذا يمشى البرنامج ليضم الوفد بانه « يساوم للحصول على
مكاسب تافهة وغير مهمة من الامبرياليين ومن عصابة فؤاد في مقابل تعزيز
واقع الراسماليين والاقطاعيين على حساب العمال والفلاحين

انه يخوض المعركة ضد فؤاد وضد صنفى باشا ، لكنه في واقع الامر
يحاول امتطاء حركة التحرر الوطنى التي تخوضها جماهير الشعب بهدف تمهيد
الانضال الثورى ، ومن اجل المساومة لحساب البرجوازية والاقطاع

ان حزب الوفد لا يعارض فاحصاى اى انضال جاد من اجل استقلال مصر
ومن اجل الاطاحة بالنظام الملكى ومصادرة املاك الاقطاعيين ومن اجل يوم عمل
من ثمانى ساعات بل انه يسعى الى امتطاء حركة الجماهير وشيانتها مستهدفا
اضعاف هذه الحركة وسحقها ثم خيانتها وبيعها

ان كل تاريخ الوفد منذ ١٩١٩ هو تاريخ صراعه ضد العمال الثوريين
والفلاحين وضد كل الكادحين بوجه عام

وعندما كان الوفد متوليا زمام السلطة قام بتدمير كل المنظمات الطبقيه
لعمال وكل المنظمات الثورية

كما ان الوفد قد عقد صفقة مع الامبريالية الانجليزية في عام ١٩٣٠ باع

1 Spector - PP : 144.

فيها حرية مصر واستقلالها ، غير ان هذه الصفقة لم توقع بسبب الاختلاف على بعض المسائل الشكلية الخاصة بالوزارة
ولقد كان الوفد على اتم استعداد لتعديلها صنفه مع الامبريالية بشرط ان تتخذ طابعاً دستورياً .

انه حزب مهاد للجماعير . وينتج سياسة معادية للثورة . حزب اعلى على لسان النحاس باشا استعداداً لخوض الحرب ضد الاتحاد السوفيتي لحساب المصالح الامبريالية البريطانية . ان شعارات الوفد تساعد الامبريالية وسيراى على ضرب وسحق حركة الجماعير . ولقد تظاهر الوفد لسنوات طويلة بأنه يناضل من اجل استقلال مصر محاولاً ان يخدع الجماعير بالوعود . وعندما لجأت الامبريالية الانجليزية الى غزاد لتستخدمه سفاراً لحكمها ، تعالت صيحات الوفد بشن النضال من اجل « الحرية الدستورية » لكنه لم يجرؤ على دعوة الجماعير للنضال للإطاحة بالنكبة الفاسدة . وعاد الوفد من جديد ليتظاهر بالمعاداة للامبريالية الانجليزية . لكنه في واقع الامر كان يسعى جنباً الى جنب مع الامبرياليين وعماليتهم من المصريين للبحث عن مخرج من الازمة من خلال مزيد من القهر والعبودية للجماعير الشعب . لكنه حرص في نفس الوقت على اخفاء هذا الموقف خلف شعارات « معارضة » (1)

وفي موضع آخر من « البرنامج » نرى هجرنا أشد قسوة و غالراًسماليين المصريين والملك و الليبراليين ، يريدون نوعاً محدداً من « الحرية » لئلا يمكن لائ غامل أو فلاح ان يستمتع بحريته في ظلها . انهم يريدون نوعاً محدداً من « الاستقلال » لئلا يمكنهم ان يلعبوا في ظله دور العملاء الذين يقبضون الجماعير الكاححة الحسابة الاضرياليين

والحقيقة انه لا يمكن ان يكون هناك نضال ثوري ناجح وقادر على الانتصار بغير انفصاله انفصلاً تاماً عن حزب الوفد ، بل وبدون شن نضال عنيف وحاد ضده .

ان بين معسكر الوفد ومعسكر الشعب (معسكر النضال ضد الامبريالية ومن اجل الثورة الزراعية الفلاحية) هوة سحيقة لا يمكن اجتيازها
والتي يمكن الاطاحة بالقوية الامبريالية فانه يتعين اولاً ان تضم نفوذ الوفد وسط الجماعير ، نفوذه وسط العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة
وإذا كان البرنامج يرى ان الهوة التي بين الوفد وبين الجماعير هوة

I Ibid - PP : 145.

شحيحة ولا يمكن اجتيازها فانه يؤكد في موضع آخر « ان بين معسكر الوفد وبين معسكر الامبريالية وعمليتها السراى توجد روابط قوية » (١) .

ولسنا بطبيعة الحال بحاجة الى تأكيد مدى « انحرافية » هذا البرنامج وبعده عن الواقع في تحليل الوفد وطبيعة مواقفه .

لقد قاوم - كوادر الحزب - لعدة سنوات الموقف الستاليني الذى تبناه الكومنترن ، لكنهم ما لبثوا ان استسلموا تماما في النهاية ، ولقد كان استسلامهم تعبيرا عن الضعف التنظيمى والفكرى الذى اصاب الحزب على اثر الضربات البوليمسية المتتالية ، كما انه كان ايذانا بمزيد من الضعف التنظيمى والفكرى . ولعل خير دليل على ان هذا البرنامج قد وضع تحت تأثير كوادر الكومنترن ان مقال افيجدور السابق الاشارة اليه يطالب « بحل ثورى لازمة » : نادا بالبرنامج يعنون فصلا كاملا فيه « التضال من أجل حل ثورى لازمة » (٢) .

وبطبيعة الحال فقد انعكس ذلك كله على مطالب البرنامج . . .

« على البروليتاريا المصرية والكادحين والفلاحين المستغلين الا ينتظروا ان يمن عليهم احد بمطالبهم . ذلك ان برنامجهم هو برنامج ثورة ، ثورة تتطلب تضحيات ونكران ذات لكنها توصل حتما الى الهدف المنشود . . . »
ان مطالبنا الثورية الاساسية هي :

١ - طرد الامبرياليين الانجليز وقواتهم البرية والبحرية والجوية من مصر والسودان .

٢ - الاستقلال الاقتصادى والسياسى التام وغير المشروط لمصر والسودان . مع الضمان الكامل لحق السودان في تقرير مصيره .
من أجل تحرير كل الشعوب العربية من التهر الاستعمارى ومن أجل وحدة عربية شاملة تنتظم فيها كل الشعوب العربية الحرة .
- الغاء كل الامتيازات التى

1 Ibid - PP : 147.

2 Ibid - PP : 146.

« عندما رفعت ح . م (الحركة المصرية للتحرير الوطنى) في مطلع الاربعينات شعار الكفاح المشترك مع الشعب السودانى مع ضمان حقه في تقرير مصيره في مواجهة شعار البرجوازية « تاج واجد ، ملك واحد ، نيل واحد » تصور الكثيرون انها كانت البادئة برفع هذا الشعار التقدمى ولعل هذا يوضح كيف ان الترتك الفكرى والنضالى لرفاق الثلاثينات كان مطموئنا الى حد كبير . . .
* * * انها المرة الاولى التى يظهر فيها شعار للوحدة الشاملة بين الشعوب العربية الحرة في اية وثيقة سياسية لاي حزب مصرى .

يستمتع بها الامبرياليون - الاطاحة بالنظام الملكي وهدم الجهاز البيروقراطي العتيق الذي يضم العمدة ومجالس المديرية والزائفة والبوليس - الشعب هو الذي يختار القضاة - تمسليح الكادحين حتى يستطيعوا الدفاع عن استقلالهم الوطني ومكتسباتهم العمالية - حرية الصحافة للعمال - فصل الذين عن الحولة واصل القضاء عن الدين .

(ولعل اوضح دليل على انعزالية هذا البرنامج هو تصميمه على ان القضية الوطنية لا تنهم الا العمال وحدهم . فالعمال يتسلحون للدفاع عن استقلالهم الوطني وحتى حرية الصحافة لا تنهم الا العمال فهو لا يطالب بحرية الصحافة عموما . . . وإنما حرية الصحافة للعمال . مع ملاحظة ان هذا البرنامج قد وضع في عام ١٩٢١ في ظل ارماب صخى الذي انصب على المضربين جميعا وفي ظل مصادرة كل الصحف غير الموالية للحكومة بغير حساب) .

٣ - حكومة سوفيتية للعمال والفلاحين . نظام سوفيتي .

٤ - مصادرة جميع الاراضى والماشية والادوات الزراعية المملوكة للامبرياليين وملاك الارض والمرابين والملك وكبار البيروقراطيين والاقواق (بما فيها الاوقاف الالهية) بدون اى مقابل . وتوزيعها على عمال الزراعة وعلى فقراء الفلاحين ومتوسطيهم الذين لا يستغلون عمل الآخرين .

٥ - تأميم جميع مشابيح الري وما يتعلق بها من آلات مثل (المضخات . الخ) . وضمان رى اراضى فقراء الفلاحين مجانا .

٦ - مصادرة وتأميم كل البنوك والمؤسسات الصناعية المملوكة للامبرياليين . والغاء كافة الديون الخاصة بالدولة والامبرياليين . (ويلاحظ هنا ان البرنامج يتخذ موقفا صحيحا من الراسمال الوطنى فهو يطالب بتأميم بنوك ومؤسسات والغاء ديون الامبرياليين وحدهم) .

٧ - الغاء كافة الديون الربوية والديون المبنية على الغش - واسقاط كافة الديون عن كامل الفلاحين - والغاء الرسوم والضرائب التى تثقل كاهل الكادحين . فرض ضرائب تصاعدية على دخول الاغنياء .

٨ - حرية العمال والكادحين في تأسيس منظماتهم ، وحرية العمل لجميع هذه المنظمات - يوم عمل ذى ثمانى ساعات - الاجرة المتساوى للعمل المتساوى بغض النظر عن القومية أو الجنس - وضع حد أدنى للاجور - يوم عمل من اربع ساعات للاحداث من سن ١٤ الى ١٦ سنة ، وستة ساعات من سن ١٦ الى ١٨ سنة - منع تشغيل النساء والاطفال ليلا - تأمين اجتماعى

ضد المرض والشيخوخة والبطالة والعجز - تطوير جذرى للإسكان - تنظيم
وقاية العمال من إصابات العمل .

٩ - التعليم العام المجانى للعمال والفلاحين .

(ويلاحظ ان المطالبة كانت يجب ان تمتد لتشمل جماهير الشعب كله
وليس مجرد العمال والفلاحين الذين لم يكونوا محرومين وحدهم من التعليم) .

١٠ - التحالف مع الأتحاد السوفييتى ومع الحركة الثورية للبروليتاريا
العالمية ، ومع نضال كادحى المستعمرات (١) .

(ويلاحظ ان البرنامج لم يدع الى التحالف مع حركة التحرر الوطنى فى
المستعمرات وانما فقط مع نضال كادحى المستعمرات) .

وهكذا وبالرغم من اللحامات الذكية فى البرنامج ، وبالرغم من تعبيرة
تعبيرا قاطعا عن كثير من المطالب العمالية والفلاحية التحتية ، بحيث يعتبر
ادراجها فى البرنامج كاتجاها بذاته على التقليل على التصاق الحزب بالمطالب
الفعلية لجماهير العمال والفلاحين ، الا ان الموقف الايديولوجى العام من
البرجوازية الوطنية والتشدد العنيف تجاهها والتصميم على ان المجال الوحيد
لاى عمل ثورى فى مصر لا يمكن ان يوجد الا فى اطار « الكتلة الثورية للعمال
والفلاحين » قد دلتع البرنامج وحركة الحزب ككل الى منعطف انمزالى .

ان الكلمات الحماسية مثل « ان العمال المصريين يتمسكون بحزم
بقضيتهم قضية العمل . قضية الاممية الشيوعية ، ان عمال بورسعيد
والسويس والقاهرة والاسكندرية ان عمال بولاق الذين اقاموا المتاريس فى
الشوارع عام ١٩٣١ ، ان الآلاف المولدة من البروليتاريين من عمال الزراعة
والفلاحين المنقرضين الوعى الطبقي . ان هذه القوى لا يمكنها مطلقا ان تفشل
فى بناء حزبها الثورى البروليتارى المتقاتل ، حزبها الذى يقود نضالها من أجل
ثورة مناهضة للامبريالية والاقطاع من أجل نظام سوفييتى لحكم العمال
والفلاحين ، ذلك النظام الذى سيضع الاساس لتعزير قوى الثورة وتعزير النضال
من أجل اقامة ديكتاتورية البروليتاريا والاشتراكية » (٢) . ان مثل هذه
الكلمات وكل هذا الحماس الدافق ، لم تكن ليغير من حقيقة الامر شيئا ، وهى
ان مصر وهى بلد شبه مستعمر كانت ظروفها الموضوعية تفرض نوعا آخر من
المجاهبة لقضية البرجوازية الوطنية .

1. Ibid - PP : 151

5 Ibid - PP : 144.

وإن حزب الوفد - بالذات - ويغض النظر عن كل أخطائه ويغض النظر
عن كل تحذراته ضد العمل الثوري الجاد، وعن كل حملاته ضد الاشتراكية ،
كان من المتعين النظر إليه نظرة أخرى . .

وعلى أية حال

فإن صفحات هذا الفصل لم تكن محاولة لاستقصاء أهم المواقف الفكرية
للرفاق المصريين في فترة صعبة ومعقدة .

وليست محاولة لاختصاص هذه المواقف للنقد والتحليل ، بقدر ما هي
محاولة ليرضع هذه المشكلات الأيديولوجية في إطارها البالغ التعقيد والبالغ
الصعوبة .

لعل ذلك يمكننا من أن ندرك حقيقة المشاكل والصعوبات التي أحاطت
بكوادر الحزب وهم يحاولون - برغم كل شيء - أن يؤسسوا وسط المناخ
الفكري المصري خطا واضحا المعالم للاشتراكية العلمية .

كلمة أخيرة

اعتاد الكتاب ان يضعوا في نهاية كتاباتهم نقطة تثل على الانتهاء . لكننا لم ننته بعد . بل ربما كانت الصفحات الماضية مجرد بداية لتفهم موضوع البحث .

• نعمة موضوعات كثيرة يجب ان تدرس . وثمة تساؤلات عديدة لم يجب عليها بعد .

ومحاضر النقاش التي سخلت اقوال شخصيات هامة لعبت دورا اساسيا في تطورات الاحداث وصنعها بحاجة الى من يخضع ما فيها من اقوال ومواقف للتحليل والمقارنة والانتقاد * واستقصاء ما فيها من معلومات وبيانات بالغة الاعمىة وبالغة الدلالة .

لكننى قلت منذ البداية لنى لا اريد ان اضع نفسى حكما بين هؤلاء الرجال . فما اسهل ان يمسك المؤرخ بقلم « المدرس » الاحمر ليشرح بعلامة ✓ أو بعلامة × غير مدرك ان هذا الحدث أو ذلك الذى لم يتمهل طويلا في تقييمه هو نتاج عرق وجهد عشرات من الرجال للوسائل خاضوا تجربة شامة ومريرة لا يمكن للانسان ان يتخيل مدى تسوتها ومرارتها .

واذ كنت لا اجد في نفسى الشجاعة كي امسك بالنسبة لهؤلاء الرجال بقلم « المدرس » فانه يكتفى لنى كرسيت كل ما استطيت من جهد لجمع هذه المواد وتقديمها للباحثين والقراء معا فلعلها تجلى منهم بمزيد من الدرس والتقييم .

ولئن كان كل ما بذلت من جهد متواضع هو مجرد سبيل لجذب انظار مزيد من الباحثين والدارسين نحو هذا الموضوع البالغ الاعمىة ، فان هذا يكتفى ويزيد .

* لقد حرص المؤلف ان يعرض وجهات النظر المختلفة لمثلئ جميع الاتجاهات التي تواجدت في هذه الفترة وقد نجح الى حد كبير في التوصل الى مقابلة ممثلى مختلف الاتجاهات باستثناء عليل شوارتز الذى اتصل به المؤلف خلال وجوده في باريس لكنه رفض التحدث عن ماضيه في مصر قائلا انه قد نسى كل شئ عنه .

THE HISTORY OF THE

... of the ...

... of the ...

... of the ...

... of the ...

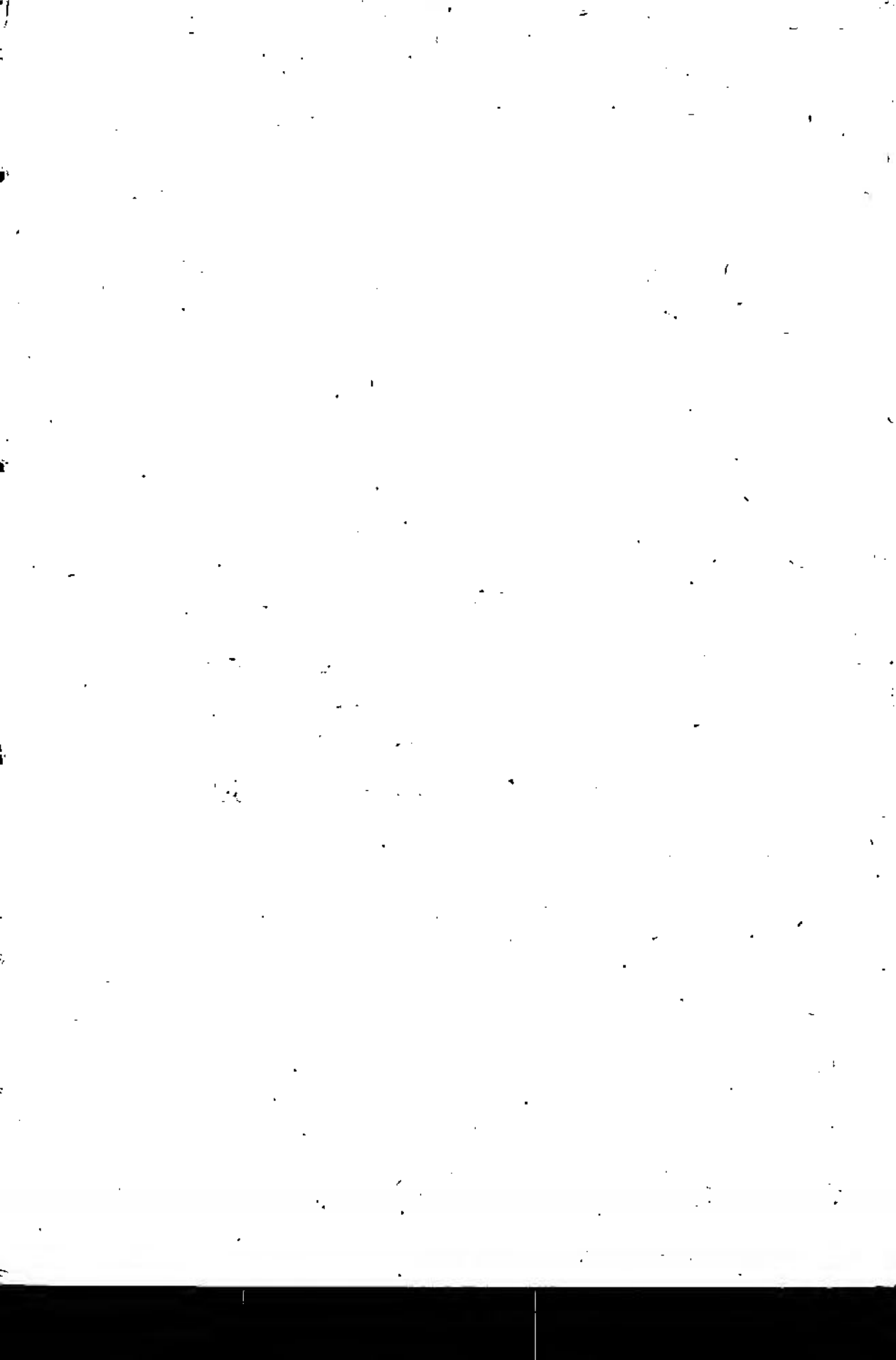
... of the ...

... of the ...

القسم الثالث

ملاحق

- ١ - وثائق ايدولوجية
- ٢ - اوراق قضائية
- ٣ - وثائق حول موضوع سكتا تقالا
- ٤ - تقارير شخصية ومحاضر نقاش



(١) وثائق ايدولوجية

- * برنامج لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين
- * بلا مخرج - مقال - أ. الجبالي
- * الحزب الذي يثرثر كثيرا - مقال - أ. الجبالي
- * برنامج نيكتاتورية محمود في مصر - مقال - ج. ب.
- * الازمة والمد الثوري في مصر - مقال - أنيجدور
- * موقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في فلسطين وسوريا من الانقلاب في مصر

لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين *

« برنامج »

- أولاً : الاستقلال التام لمصر والسودان بلا قيد ولا شرط .
- ثانياً : رفع الرقابة الأجنبية عن المالية المصرية .
- ثالثاً : إعادة العلاقات السياسية والتجارية بين مصر باعتبار أنها دولة مستقلة وبين جميع الدول على الإطلاق ومنها تركيا وروسيا وبلغاريا . . الخ كما كانت الحالة من قبل الحرب .
- رابعاً : اجبار الحكومة والمجالس البلدية على مشتري جميع الشركات التي تقوم بإعمال ذات منفعة عامة مثل السكك الحديدية والماء والغاز والترام والكهرباء . . الخ .
- خامساً : احترام كافة الحريات التي نص عليها الدستور وتنفيذ نصوصه مثل : حرية الصحافة - حرية الانكسار - حرية الاجتماعات - حرية الأحزاب .
- سادساً : تنفيذ نصوص الدستور بشأن التعليم الأولي الاجباري المجاني وتوسيع نطاق المشاريع الصحية وتعميم المستشفيات في أحياء الفقراء والفلاحين
- سابعاً : إلغاء الضرائب غير المباشرة على المواد الأولية الضرورية للمعيشة مثل الخبز والخضار واللحم والماء . . الخ .
- ثامناً : فرض الضرائب على المشاريع والأعمال الوطنية والأجنبية على السواء .
- تاسعاً : مكافحة أزمة غلاء المعيشة والسكن .
- عاشراً : سن تشريع خاص للعمل .

* تكونت هذه اللجنة ابان الانتخابات التي اجراها زيور باشا كجبهة عمالية لمساندة المرشحين العماليين في الانتخابات والعمل على ربطهم ببرنامج وطني تقدمي . وقد قام الحزب الشيوعي المصري بالدور الاساسي في تكوين هذه اللجنة وقد هاجم البوليس مطبعة الدواوين حيث صادر نسخ هذا البرنامج لكن مجلة الحساب اعادت نشر النص الكامل للبرنامج في عدد (١ - ٥ - ١٩٤٥) .

- **حادى عشر :** جعل يوم العمل ثمان ساعات تبتدى، وتنتهى فى آن واحد .
- **ثانى عشر :** انشاء مكتب للعمل فى وزارة الداخلية مؤلف من موظفين وممثلين للعمال وتاليف لجنة برلمانية للعمل .
- **ثالث عشر :** التأمين على حياة العامل ومستقبله بواسطة المصلحة التى يشتغل فيها سواء كانت حكومية أو اقليمية .
- **رابع عشر :** الغاء قانون منع الاعتصابات .
- **خامس عشر :** حماية النساء والاولاد ومنع تشغيلهم ليلا فى أى عمل كان من الاعمال .
- **سادس عشر :** انشاء مشاريع حكومية جديدة وتوسيع نطاق المشاريع الموجودة بقصد تشغيل العمال العاطلين .
- **سابع عشر :** توزيع اراضى الحكومة البور على صغار الفلاحين بعد توصيل المياه اللازمة لها .
- **ثامن عشر :** جعل الانتخابات مباشرة بلا قيد ولا شرط .
- **تاسع عشر :** تسليف الحكومة صغار الفلاحين ما يحتاجون اليه من الاموال بفوائد قليلة جدا وانشاء مصرف زراعى لهذا الغرض .
- **عشرون :** تعديل الضرائب على الاطيان بقصد تخفيضها على صغار المالكين وزيادتها على كبارهم .
- **واحد وعشرون :** تسهيل رى الاطيان على الفلاحين الصغار الذين يملكون خمسة اقدنة أو أقل مع اعطائهم كفايتهم من الماء .
- الى الفلاحين والعمال :

• لا تعطوا اصواتكم لى شخص لا يقبل هذا البرنامج ويعمد بتنفيذه .

لجنة الدفاع

عن حقوق العمال والفلاحين

بلا مخرج

(رسالة من مصر) (١)

بقلم أ. الجبالي

بين رئيس الوزراء المصري الحالي محمد محمود ، ورئيس الوزراء السابق النحاس باشا (زعيم الوفد) توجد الآن أزمة ذات طابع خاص :

فمحمد محمود يقوم بجولات « مظفرة » في أرجاء البلاد وممثلي مجالس الحيريات. والعمد المعينين من قبل الحكومة يبذلون جهدهم في خلق تجمعات حاشدة ويدعون الشعب الى مقابلة الديكتاتور بصيحات القرحيب .

والديكتاتور الخاضع تماما. للمنحوب السامي البريطاني يأتي خطبا طنانة تمنى للجماهير بالكاسب التي ستتحقق في ظل رئاسته . أما النحاس باشا الذي يحسد محمد محمود على هذا النجاح فقد أخذ يروج ويجهد نفسه للحفاظ على شعبيته الخاصة وشعبية الوفد بين الجماهير .

وتتوافد اليه جماعات ووفود تمثل لجان الحزب من كل أنحاء البلاد معاهدة اياه على الاخلاص الدائم للوفد . أما خليفة المرحوم زغلول فانه يعدهم بحوره باسم الوفد وبصورة مبحية أن يستمر على الطريق لنيل استقلال البلاد .

ان هذه الازمة ذات الخصائص الفريدة من نوعها تجري أحداثها من أجل متفرج واحد هو المنحوب السامي البريطاني اللورد لويد . فقد كان كل

١ - مجلة ريفولوسيونى فوسترك « الشرق الثورى » - عدد ١ - ١٩٣٢ .
ص ١٤٦ (مترجم عن النص الروسى) .

* تضمنت أعداد المجلة الروسية ريفولوسيونى فوسترك في مطلع الثلاثينيات عددا من المقالات الهامة عن مصر كتبتها عدد من خبراء الكومنترن في شؤون الشرق العربي أمثال أ. شامى ، انيجدور . وقد اهتمنا بنشر مقالى ١ . للجبالى باعتبار انهما أرسلتا من داخل مصر. وان كاتبتها مضرى . (والأسم حركى بطبيعة الحال) ولذلك فانه من الممكن اعتبار انهما أكثر ايضاحا لموقف الرفاق المصريين وتعبيرا عن مستواهم الفكرى والسياسى .

نزهة - حميد محمود والنحاس باشا يحاول بهذه التحركات ان يقنع المنسوب
السامى البريطانى بان حكم مصر ممكن فقط بواسطته هو شخصيا .

وبالذات من جهند ضائع ، فانجلترا تعرف جيدا ان حزب « الاتحاد » هو
حزب كبار الملاك وان الليبراليين وعددهم لا يزيد كثيرا عن المجموعات الساقية
هم يجماعة من الليبراليين وان أقصى ما تستطيعه هاتان المجموعتان هو
تشكيل حكومة تابعة لبريطانيا .

كذلك تحرك انجلترا ان الوفاء يمكنه - حاليا - ان يعتمد بغير منازع
على قوى البرجوازية المتوسطة والصغيرة والمتخفين ، كما ان له اتصالات قوية
وكافية بالفلاحين ، بل انه يستطيع ان يستخدم شعبيته أيضا في الأوساط
البروليتارية .

وتعلم بريطانيا تمام العلم حقيقة علاقات القوى بين الاحزاب
السياسية المتصارعة في مصر غير انها تعي بدرجة أقل الاوزان النسبية لهذه
الاحزاب . وهكذا فان حكومة الامبريالية البريطانية بالسياسة التي تنتهجها
في هذا الصدد لم تدفع الى معاداتها بجماعير الفلاحين المصريين وبروليتاريا
السودان فخصيب وانما أيضا البرجوازية المصرية .

لقد كانت انجلترا باعمالها لنداءات الجماهير العريضة في مصر تعتمد
في الأساس على اعتقاد راسخ مؤداه انه ما من جماعة من الجماعات السياسية
المصرية تعارض معارضة حقيقية للسيطرة البريطانية .

ان الحركة العمالية في مصر ضعيفة للغاية . وحزب الطبقة العاملة
لا يمكن النظر اليه الان على انه عامل سياسى مؤثر ، والجماهير الشعبية لاتساهم
في الحياة السياسية للبلاد وكلا الحزبين البرجوازيين المصريين غير قادر
على قيادة الحركة الوطنية المناهضة ضد الاحتلال .

والوفد - الذى كان الى حد ما - في مركز الاعتماد في مصر ، والسدى
تمكن - الى حد ما - من قيادة موجات الغضب الجماهيري غير المنظم ضد
الحكم القائم ، وقادة الوفد - تلاميذ واتباع زغلول - كانوا جميعا في انتظار
التحول الفاصل . لكن الوفد كان يخشى بقطعة الجماهير خشية الموت .

والوفد الذى يتحجج دائما باسم الشعب المصرى مطالبا بالاستقلال
التام غير المشروط لمصر - يخشى أكثر ما يخشاه - الشعب ، واحتمالات أن
يصبح الشعب عتية في سبيل التقام مع الحكومة الإنجليزية ، منطلقا
من اعتقاده أن الجيش الانجليزى قد لعب دائما دورا رئيسيا في كل الصراعات
الاجتماعية الحابسة في مصر ، وان رحيله عن البلاد سوف يؤدي بالضرورة
الى تفجر الصراع الطبقي .

وبالتسبب لقيادة الوفد فإن النضال الطبقي مسألة غير مرغوب فيها .
ولقد قال النحاس باشا أثناء استقباله مؤخرا لأحد الوفود « منذ قيام
الوفد تمكننا دائما من أن نتجنب صراع الطبقات الذي يقود الأمة الى الفوضى
والقتال » .

وفي ظل كل مد للحكومة الوطنية ، وفي ظل كل تحرك شعبي يحاول الوفد
أن يقيد آفاق الحركة وحدودها ، وأن يوجهها نحو إطار الشرعية . والوفد
يبحث دائما عن اثار الجماهير ولكنه يتجنب دائما أي تحرك فعال من
جانباها . والشعار الذي يرفعه الوفد دائما هو « مطالبية الجماهير بالهدوء » .
« ايها المصريون : ان زعماءكم سوف يحصلون لكم على الاستقلال » .

وحتى الان ، وعندهما أبعد الوزراء الوفديون عن الحكم بطريقة
مهينة ، وحل البرلمان وأوقف الدستور ووصلت الى السلطة العناصر التي تمثل
قيمة الرجعية الثيرة لم تغير تكتيك الوفد .

لقد أغلقت كل للصحف فيما عدا صحف الحكومة ، ولجأ الوفد الى
اصدار طبقات سرية من جرائده . ولكنه حتى في مثل هذه الطبقات السرية
ظل متمسكا بشعار زغول القديم « الحق فوق القوة » ، موصيا الجماهير
بالصبر والانتظار .

لكن حكومة الاقطاعيين أكدت أن « قوتها » فوق (حق) الوفديين .
وبمجرد أن وصلت الى السلطة دخلت في مفاوضات مع الانجليز حول تنظيم
استغلال مياه النيل ، أي أنها تضع في ايدي الانجليز مشكلة الري وهو عماد
كل الاقتصاد المصري .

لقد وعدت حكومة محمد محمود ببناء عشرات المستشفيات والمساكن
الشعبية للعمال لكنها بدلا من أن تبني مساكن شعبية قامت ببناء سجون
جديدة ، أما الاموال التي أنفقناها بسخاء على البوليس السري فقد كانت
تكتفي لتنفيذ مشروعات الصحة والانارة . الخ .

كذلك فإن المشروع الذي أعدته الحكومة لقوانين العمل اكتفى بتثبيت
وتقنين حالة العمودية التي تسود العمل واعتبروها ظروفا عادية ، وهو ينص
فوق ذلك على وضع النقابات تحت رقابة الادارة .

ولم يحتج الوفد على هذا القمع المدين ضد بيرونيقاريا مضر ، فهو
نفسه كان يتعامل مع الطبقة العاملة بنفس الاسلوب عندما كان في
السلطة . وفي ظل حكومة الوفد قمع البوليس بعنف محاولة للاضراب السلمى
تقام فيها عمال الاسكندرية واعتقل الكثيرين من العمال بتهمة « الشيوعية »
ومنجن العديده منهم وأبعد الكثيرين الى اماكن نائية اما العمال الاجانب فقد
نفاهم الى ايطاليا واليونان .

لقد ركز محامو الوفد احتجاجاتهم بصورة أساسية على انتهاك الحكومة لحرية الصحافة غير أن الوفد كان - حتى في ظل احتجاجه على إجراءات محمد محمود - لا يمانع في فرض بعض القيود على الصحافة معلنا أن الصحف التي تهتم البناء الاجتماعي القائم ، يمكن أن تغلق بقرار إداري ووفقا لأحكام الدستور .

ان الوفد في مازق حقيقي .. والزاسمالية الوطنية التي يمثلها الوفد تقف ضد الامبريالية الانجليزية باعتبار أنها المعوق الوحيد للصناعة المصرية لكنه في حلمه بالسيطرة بغير شريك على متاليد الحكومة ، أخذ يساوم الانجليز حول نصيبه في استغلال جماهير الشعب . والحقيقة أن تعنت الحكومة البريطانية ، ذلك التعنت الذي يعبر عن التناقض الكامل بين المصالح الامبريالية الانجليزية وبين مصالح مصر ، هو وحده الذي خال دون الوصول إلى تسوية مع انجلترا .

وهكذا فان التحرك الوفدي ضد السيادة الانجليزية في مصر وضد الحكومة المصرية الزائفة هو نوع من « محلك سر » ، وحتى ضراخ النحاس بائسا وهو يردد عبارات زغلول « دولة الظلم ساعة ، ودولة الحق حتى اقيام الساعة » قد فقد تأثيره .

ان بنيامة محمد محمود تجاه الحركة العمالية ، واعتدائه على حرية واستقلال مؤسسات النضال الاقتصادي للبروليتاريا قد اعطى دفعة لحد جديد لنضال الحركة العمالية .

ان الحركة العمالية هي المعارض الحقيقي الوحيد لسيطرة الامبريالية الانجليزية وسياسة الحكومة المصرية تجاه الفلاحين والعمال تقود كادحي القبرى والمخن بالضرورة الى صدام حاد مع حكومة رأس المال والاقطاع ، بل ان حركة التحرر الوطني في مصر مدعوة بانجمعها إلى الوقوف بكل قواها ضد هذه السلطة .

واذا وضعنا في اعتبارنا ذلك السخط المتزايد من جانب كل الجماهير العاملة في مصر ، وتصاعد نضال هذه الجماهير من أجل مصالحها اليومية ، وحسب الجماهير حول مطالب الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية ، فان حركة الثورة الوطنية سوف تنتصر حتما على السيطرة الاستعمارية وعلى سلطة الارستقراطية المالكة .

ان التربية السياسية للجماهير الكادحة في مصر تتقدم ببطء ولكن نشاطها يتصاعد فان هذه الجماهير الكادحة هي القاعدة الأساسية للنضال ضد المحتلن وأعوانهم من المصريين وضد ديماجوجيى الوفد .

١٠ الجنالي

تحريراً في نوفمبر ١٩٢٨ .

الحزب الذى يثرثر كثيرا

(رسالة من مصر)

بقلم أ. الجبالي (١)

ان الظروف السياسية ذات الطبيعة الخاصة في مصر قد أدت الى خلق حزب فريد من نوعه هو « الحزب الوطنى » .

وهذا الحزب يمكن اعتباره من حيث المحتوى الاجتماعى حزب البرجوازية المصرية المثقفة .

وعلى عكس الاحزاب البرجوازية الاخرى التى تتبنى فكرة المساومة مع الانجليز ، فان اعضاء الحزب الوطنى مصممون على انه لا توجد أية امكانية لاتفاق بين مصالح مصر وانجلترا . ولقد ظلوا على الدوام يرفعون شعارا يبدو راديكاليا للغاية « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » وعلى هذا الشعار يبني كل برنامج الحزب .

والحقيقة ان الحزب الوطنى ، هو وكل حزب من الاحزاب البرجوازية الاخرى قد حدد بدقة ووضوح سياسته الخارجية ، لكنه كان من الصعب عليهم جميعا تحديد برنامج عملى للسياسة الداخلية ، وذلك بسبب التناقضات التى تحكم تكوين هذه الاحزاب .

ولقد وجه اعضاء الحزب الوطنى انتقادات شديدة لتكتيكات الجماعات السياسية الاخرى ، وهم يشعرون دوما بالاعتزاز بهماضى حزبهم فهم أقدم الاحزاب المصرية وهم يعتبرون انفسهم الامناء الوحيدين على دعوة مصطفى كامل ، ابو الحركة الوطنية المصرية الحديثة . غير ان هذا الحزب الراديكالى ظل دوما على الهامش بالنسبة لكل الأحداث

١ - مجلة ريفلوسيونى فوستوك « الشرق الثورى » عدد ٢ - ١٩٣٢ :
ص ٢٨٨ (مترجم عن النص الروسى)

السياسية الهامة ، ولم يحاول أن يدرس أوضاع مصر دراسة جادة ، ولم يتقدم أية شعارات سياسية إيجابية ولم يكن غريباً بعد ذلك أن يفقد احترامه ، وأن يستق من حساب الكثيرين كحزب سياسي حقيقي اللهم الا بضعة مئات يشكلون مجموع عضويته .

ولقد قام قادة الحزب الوطني ، تحت ضغط راديكالي البرجوازية الصغيرة ، بسلسلة من الاستعراضات ذات المظهر الثوري ، شاركوا في تكوين « عمية النضال ضد الامبريالية » ، لكن مثل هذه الاستعراضات المظهرية لم تغير ولو لأدنى درجة من الخط السياسي للحزب .

ولقد تجسدت السذاجة السياسية والفراغ الفكري لهذا الحزب - بشكل خاص - في تصرفاته ازاء أحداث الأشهر الأخيرة . فقد عرضت إنجلترا طريقاً للاستقلال التام لمصر وتولى الوفد - وهو الحزب القائد للبرجوازية المصرية والحائز على الاغلبية البرلمانية والحزب الحاكم السابق - تولى مهمة تهيئة الجماهير ، ولقد هاجم الليبراليون موقف الوفد ، لكنهم لم يكشفوا النقاب عن الرجعيين المفضوحين . وهكذا تعاروق الحزب الوطني مع انقلاب الرجعية المفضوحين من أجل اسقاط الوزارة الوضعية .

وقد استخدمت قضية الامير سيف الدين كمبرر لاسقاط حكومة النحاس باشا ، وهذه القضية تعبر تعبيراً دقيقاً عن طبيعة العلاقات السياسية المصرية البريطانية (ثم أورد الكاتب بشكل تفصيلي قصة قضية الامير سيف الدين ، ومضى بعد ذلك قائلاً) :

« لقد كان من الممكن بل من الواجب استخدام قضية الامير سيف الدين كمادة افصح الملك مؤاد كعميل للانجليز ، ان قادة الوفد (ومن بينهم النحاس باشا نفسه) دافعوا عن الامير سيف الدين وأخذوا على عاتقهم هذه المهمة . أما قادة الحزب الوطني فالسبب مجبولة تماماً عارضوا الوفد في موقفه هذا . وفي البرلمان وقف زعيم الحزب الوطني حافظ بك رمضان ليخطب قائلاً : ان النحاس والحامين الوفديين الآخرين يقبضون أموالاً طائلة ثمناً لتبنيهم قضية سيف الدين . »

وقد امكن « فبركة » حملة واسعة وسط الرأي العام بواسطة الصحافة المصرية والانجليزية المأجورة حول هذه القضية ، وكانت النتيجة سقوط حكومة الوفد .

وبعد ذلك حل البرلمان ، وألغى الدستور ، ووصل الى السلطة غلاة

الإقطاعيين والرجعيين ، علاء النوب السامى البريطانى . أما الراديكاليون من أعضاء الحزب الوطنى قد ساعدوا الرجعية فى معركتها ضد الوفد وبعد أن تحقق النصر للرجعية ذهبوا جميعا الى أوروبا للراحة !!

وهكذا أصبح الميدان خاليا تماما للرجعية . ثم أعد مشروع معاهدة غاروفل مع انجلترا وأمنت الرجعية المصرية بموجبه على إعطاء الانجليز الرقابة الكاملة على مياه النيل وبذلك يتم للانجليز التحكم النهائى فى مصائر الفلاحين المصريين واستعبادهم بشكل كامل . وقد توصل هذا المشروع بالامتعاض والرفض من جانب المصريين جميعا . وفى المقابل منعت الحكومة عقد أية اجتماعات وأخذت فى إغلاق الصحف الواحدة بعد الأخرى مانعة نشر أى نقد ولو متواضع موجه ضيحا .

وفى شهرين اثنين تبطأ ضم إلى البوليس السرى - وفقا للارقام السرية - ثلاثة آلاف شخص . وعزل من الإجهزة الحكومية ومن سلك القضاة كل العناصر غير المرغوب فيها ونظمت حملات للاعتقال الجماعى ، ووضعفت النقابات تحت إشراف الحكومة . وتضاعف السخط فى البلاد بصورة لم يسبق لها مثيل . غير أن الجماهير الساخطة سخطا تلقائيا ، كانت تفتقر الى القيادة ، أما قادة الحزب الوطنى فقد احتفظوا بصمت بليغ .

لقد مثل قادة الحزب الوطنى لسنوات طويلة دور حماة الجماهير الكادحة والمدافعين عنها . لقد حاولت البرجوازية الصغيرة الراديكالية عبثا أن تقنع الجماهير بأن ممثليها لم يبتعدوا عن خشية المسرح . لكن الصراع الدائر بين صفوف أعضاء الحزب أنفسهم ، ثم يكشف فقط عن مدى الضعف السياسى لقادة الحزب وإنما كشف أيضا عن ضرورة البحث عن مسارات جديدة لحركة التحرر الوطنى .

وكما يتم الإسراع بعملية « تفجير » الحزب الوطنى من الداخل ، كلما وجدت العناصر الشريفة داخل هذا الحزب بسرعة أكبر طريقها الصحيح نحو تأسيس اللبنة الثورية الوطنية الموحدة تحت قيادة حزب النخبة العاملة . . . وكما سرغت حركة التحرر الوطنى المصرية بالسير فى الطريق الصحيح .

بتحريرا فى مايو ١٩٢٩

برنامج ديكتاتورية محمود في مصر (١)

بقلم ج. ب. (القصير)

لم تَمْضِ سوى أقل من ثلاثة أشهر على الانقلاب محمد محمود الذي وقع في القاهرة ولم تستطع ديكتاتورية محمود بعد أن تحقق هدفها الأساسي وهو تحطيم حزب الوفد ذي الاتجاهات الوطنية وتجريده من نفوذه .

لكن محمد محمود قد استطاع أن يصمد أمام الهجوم الأول الذي شنّه الوفد ضده وهو الآن بصدد الاستعداد لشن الهجوم المضاد . ولكي نستطيع فهم تطورات الأحداث التي تجرى في مصر فهما واضحا فإنه يتعين علينا أن نتعرض للبرنامج الذي طرحته ديكتاتورية محمود .

وكما هو واضح من سلسلة البيانات الرسمية وشبه الرسمية . ومما أعلنه محمود تفصيلا في خطابه أمام أعيان طنطا ، فإن هذا البرنامج يمكن أن ينقسم إلى ثلاثة أقسام : البناء الروحي - خطط للإصلاح - السياسة الخارجية .

وفيما يتعلق بالقسم الأول ، فإن محمودا يحاول الإيهام بأن حكومته ترغب في انقاذ مصر من الهوة السحيقة للفساد والجسوبة ومحاياة الإقارب والنفوس الاخلاقية التي ترعرعت في ظل الادارة الوفدية . وبدلا من « حكومة اصالح الحاكمين » فقد بشر محمود « بحكومة لاصالح المحكومين » . ويزعم محمود في شن « ارباب عنيف » لتدمير جماعة الوفد التي لا تختلف معه في أي موقف من المواقف السياسية اللهم الا اعتماداتها العمياء ، وسمعيًا بتحقيق هذا الهدف بقصد عطل محمود البرلمان وصادر حرية الصحافة وحرية الاجتماعات . وامتدت عمليات البناء الروحي الى حد منع الطلبة من الاشتغال بالسياسة وذلك حتى يتجهزوا من « التحزب السياسي الذي هو أودأ أنواع التحزب » . ولكي يصبحوا أعضاء نافعين في المجتمع .

وحتى تستقر الاخلاقيات السياسية في مصر . فإن محمودا قرر أن يتفرغ نهائيا لتحقيق مصالح الشعب ، وقد حدد خطته للإصلاح في النقاط التالية :

١ - اصلاحات خاصة بالازرعين المسفارين : وينطلق محدود من منطلق معترف به من الجميع وهو أن اصلاح حال التلاح هو مفتاح مشكلة اية سلطة في

وادي النيل . ولبيذا فقيده وعدم محمود الفلاحين يتقسيم كل الاراضي الزراعية الملوكة للحكومة الى قطع صغيرة مساحة منها ٥ ، ٢ فدان (الفدان يساوي ٤٤٠٠ متر مربع) على أن يختص الذين بنيتهم ١٠٪ ويسدد على اقتساط مدتها ١٥ سنة . كذلك وعدم محمود بالعمل على بذل أقصى جهد ممكن لتزويد القرى بالمياه الصالحة للشرب : وعلى تدعيم أجهزة تنقية مياه الشرب بالمدن بحيث تستطيع بذل القرى المجاورة لها بمياه الشرب وعدم كذلك بتحسين وسائل الري باستخدام القوي الكهربائية التي ستزيد بإنشاء محطات لتوليد الكهرباء وبناء ١٠٠ مستشفى بالريف خلال خمس سنوات وتخصيص ٤ ملايين جنيه لأراضي الفلاحين لمواجهة احتمالات تعثر تصريف محصول القطن .

٢ - اصلاحات خاصة بالمهمل : وتتضمن إصدار تشريع للعمل يحمي مصالح العمال ويعالج النزاعات بين العمال وأصحاب العمل ، وبناء ٥٠٠ مستشفى بالمدن وإنشاء مدارس متخفة .

٣ - أعمال الري : وفي الدرجة الاولى تلبية خزان اتموان والعمل على بناء خزان جديد في جبل الأولياء بالسودان وذلك بهدف التمكن من استصلاح ما لا يقل عن ٧٠٠٠ فدان جديدة من الارض الصالحة لزراعة القطن . وقيل أن العمل في هذا المشروع الذي سَيَتكلف آلاف عديدة من الجنيهات سوف يبدأ في الشتاء القادم . وكانت نقطة الضعف الانسانية في برنامج محمود تكمن في سياسته الخارجية فالصخافة الوفدية كانت تجمع على أنه قد باع نفسه للانجليز . وعلى أية حال فان محمودا قد أعطى في الايام الاخيرة ردا حاسما على الدعوة الامريكية للانضمام الى «ميثاق كيلوج» معلنا في نفس الوقت أن مصر لن تتقيد بأية تحفظات قد تقدمك بهذا بعض الحكومات المنضمة الى هذا الميثاق ، وهو اعلان يشير بطبيعة الحال الى القديطات البريطانية تجاه القضية المصرية . وهكذا بزمن محمود أخيرا على أنه مستقل أيضا في سياسته الخارجية .

وهذا البرنامج الممتليء بالعبارات الطنانة والديماجوجية مثل « حكومة اصديقاء الفقراء » ، « الحكومة التي فوق الطبقات والخلقات للطبقية » ، « الحكومة التي تسعى للاستقلال » ، « الخ الخ » كان بالدرجة الأولى سلاحا فعالا في يد محمود في معركته ضد الوفد .

ويعتبر هذا البرنامج محاولة ذكية لضدع الجماهير . وعلى لا تستهتف بنظر « تخليص الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن من نفوذ الوفد » .

وانما تستهدف أيضا حرف أنظار الحركة العمالية التي نهضت خلال السنوات
الاسبوعية نحو مسارات اصلاحية او بالدقة العمل على تدمير هذه الحركة .

وعلم اية حال فان اهم ما ادى الى تعزيز مركز محمود هو عجز قادة الوفد
عن انتماج سياسة ثورية حقة . فان كل هجومهم ضد محمود كان مجرد
شعارات مكتوبة على الورق وهكذا تنجرا محمودا الى الحد الذي أصدر معه
قرارات بتعطيل الصحف الوفدية .

ومن ناحية اخرى فان هناك اتجاها واضحا لدى بعض الدوائر الوافية
للتدابير بمصالحة مع الدكتاتورية .

ان البرنامج الذكي الذي غطت به حكومة محمود تحالفها مع الامبرياليين
واستعداداتها لمواصلة خداع الشعب المصري لا يمكن مواجهته مواجهة حاسمة
من خلال نشاط اى من احزاب البرجوازية الصغيرة القائمة الان في مصر وانما
فقط يمكن مواجهته من قبل الطبقة العاملة وحزبها .

الأزمة والمد الثورى في مصر

بقلم أفيجدور

(تحت هذا العنوان كتب أفيجدور دراسة وأقية عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصراعات السياسية في مصر .

وقد استغرقت هذه الدراسة الصفحات من ١٠٢ حتى ١٣٢ من العدد ٢ لعام ١٩٣٢ من مجلة « ريفولوشيونى فوستك » (الشرق الثورى) الروسية . ونحن نجترى هنا الفصل الاخير من هذه الدراسة لأهميته الخاصة) .

« المد الثورى وهام الرفاق المصريين »

لكى يمكن أن يتحول المد الثورى الموجود الان في مصر نحو أزمة ثورية أى نحو وضع ثورى فإنه من الضرورى العمل لايجاد العامل الموضوعى وهو الحزب الشيوعى القوى الذى يتعين عليه أن يجد لغة مشتركة بينه وبين الجماهير والذى يمكنه أن يقود نضالهم الثورى . ويمكن أن تؤكد بشكل قاطع انه بالنسبة لمصر فإن القضية الأساسية تتمثل الان في ضرورة نهوض حزب شيوعى قوى يتمسك ببرنامج نضالى ثورى يمثل مصالح الجماهير العريضة ويعطى الاجابات الصحيحة على كل القضايا الرئيسية لنضال الجماهير ويحثها عن أكثر للحلول ثورية للخروج من الازمة والتحرر من نير الامبريالية والاقطاع .

لكننا يتعين علينا أن نقرر أن رفاقنا المصريين لم يجدوا بعد اللغة المشتركة بينهم وبين الجماهير ولذلك فإن تأثيرهم على الجماهير ضئيل . أن دور رفاقنا المصريين في كلا الهيئتين يؤكد أنهم كانوا سلبيين تماما ، وعدا موقف لا يغتفر لحزب قائد للطبقة العاملة .

ونوق ذلك فان ما أبود من نشاط خلال فترة هبة يوليو ١٩٣٠ كان نشاطا مشينا للشرف الثورى .

ان المشور الوحيد الذى أصحره رفاقنا أيام الهبة لم يدع الجماهير لمواصلة النضال وانما دعاهم الى الاستسلام ، دعوا هؤلاء الوندبين يخطبون ويظفنون ويتصارعون ويموتون فانهم يفعلون ذلك من أجل مصالحهم الخاصة ،

ومكذا لم يدرك الرفاق المصريون الاعمية للثورية القصى لانفاضة عشرات الالوف من العمال متبئين شمعار الوند الذى يدعو الجماهير للنضال من أجل الدستور .

ولم يستطع الزنابق المصريون أن يحشدوا قواعم (حتى تلك القوى التي يمتلكونها بالفعل) في مشاركة نشيطة في الانتفاضة ومن أجل قيادة حركة الطبقة العاملة والفلاحين .

ان خبرة هبة يوليو ، وكل ما تبعها من أحداث كان من المتعين لها أن تلقن رفاقنا المصريين الكثير من الدروس ، لكنه لا تصاعد الحركة الفلاحية ، ولا مظاهرات العمال الحوية استطاعت أن تنتزعهم من حالة السلبية الموسعة واستمروا دائما يتحركون في ذيل الحوادث ، وفي ظل وضع كهذا فقد ظل الوضع الثوري في مصر يعاني من أزمة ثورية تتطلب العمل الجاد لتصعيد النضال الذي تخوضه الجماهير العمالية والفلاحية من أجل حل ثوري للآزمة . ومن أجل ثورة معادية للامبريالية .

ولا بد لهذا الوضع أن يلفت انظار رفاقنا المصريين ، فهو يلقي عليهم مسؤولية عظيمة تجاه الجماهير العمالية والفلاحية في مصر . وتجاه البروليتاريا العمالية والثورة العمالية ككل .

ان النتيجة الرئيسية التي يمكن أن نخرج بها من هاتين الهبتين والتي يتعين على رفاقنا المصريين أن يستنتجوها ، هي أن الجماهير المصرية قد تلقنت درس الصراع ، وأن هبتى يوليو ومايو تعتبران مجرد « هبتين » للمشارك العظيمة التي ما زالت تنتظر هذه الجماهير في المستقبل القريب .

ان آفاق المستقبل ، بالنسبة للآزمة الثورية ترتبطها بالحركة الهائلة للجماهير ، تلك الحركة القادرة على تمجير كل الصراعات الطباقية في البلاد ، وترتبط كذلك بتصاعد الارهاب الحكومي وتزايد النير الامبريالي ، وبنمو الحركة الثورية في الاقطار الجاورة وبالنجاح في بناء الاشتراكية على أرض الاتحاد السوفييتي ، ذلك النجاح الذي لم يعد من الممكن أن يحجب عن الصعانة البرجوازية المصرية . . . كل هذه العوامل سوف تخلق حتما الظروف المواتية لانفجار جديد هائل يمكنه أن يصبح انفجارا حاسما اذا ما استطاع رفاقنا المصريون أن يخرجوا من عزلتهم ، وانذا ما استطاعوا أن يرتبطوا بالجماهير وانذا ما استطاعوا أن يقيموا حقيقة حزبا شيوعيا ثوريا منظما وجماهيريا قائدا بحق للنضال اليومي للطبقة العاملة والفلاحين ، وان يكتفوا عن تصورهم للنضال كمجرد دراسة ممتعة .

ان الظروف الموضوعية ملائمة تماما لآداء هذه الواجبات ، فالجماهير تبحث عن قائد ، تبحث عن زعيم ، وعلى الزفاق المصريين ، وعلى اللور الذي سيقومون به يتوقف ما اذا كانت الجماهير ستجد قائدها الحقيقي .

أفيجدور - أغسطس ١٩٣١

موقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي

في فلسطين وسوريا من الانقلاب في مصر (١).

وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في فلسطين وسوريا الرسالتين التاليين حول الانقلاب الرجعي الموالي للإمبريالية الذي وقع في مصر :

١ - إلى رئيس الحكومة المصرية - محمد محمود باشا - القاهرة .

ان الحزب الشيوعي في فلسطين وسوريا يستنكر أشد الاستنكار الاجراءات الديكتاتورية التي ترتبها حكومتهم ، والتي تستهدف القضاء على الحقوق الأولية للبرلمان وحرية الصحافة والخطابة والاجتماع ، تلك الحقوق التي اكتسبت من خلال نضال مرير امتد لسنوات طويلة . ان أعمال العنف التي ترتبونها لتضطبع بطابع اجرامي خاص لانها ترتكب في حماية الحزاب البريطانية ومن ثم فهي تستخدم مصالح الامبرياليون ليس في مصر وحدها وانما في كل أنحاء الشرق الادنى .

انك - بوضعك نفسك في خدمة المخططات البريطانية وباغتصابك لحرية الشعب المصري انما تتدمع نفسك - بالرغم من كل ما تردده من شعارات - كعدو لحركة تحزير الجماهير الكادحة تلك الحركة التي هاجمتها مجوما وخشيا .

لتسقط ديكتاتورية الحزاب البريطانية -

عاشت الحرية السياسية

لتسقط الامبريالية البريطانية

عاشت مصر مستقلة

٢ - إلى رئيس الوفد مصطفى باشا النحاس - القاهرة .

وإلى رئيس « الحزب الوطني » حافظ بك رمضان - القاهرة .

استنكارا للانقلاب الرجعي الذي قام به محمد محمود فقد قمنا بتوجيه الرسالة المرفق صورة منها الى الحكومة .
ونحن إذ نطلبكم بذلك لنود أن نعرب لكم عن اعتقادنا عن انه ما من

سبيل لشن نضال ثوري ضد الامبريالية البريطانية وعمليها ، الديكتاتور ،
محمد محمود بهدف فتح الطريق لتحقيق الاستقلال التام والتحرير الاجتماعي
للجمامير العاملة المصرية الا بقيام حركة مصرية تحررية ثورية قومية تقوم على
اساس توحيد قوى عمال المدن والريف والمثقفين الثوريين .

ان الحزب الشيوعي في فلسطين (ومصر) * سوف يواصل جنبا الى
جنب مع كل البروليتاريا الشيوعية في جميع البلدان العمل لمساندة النضال ضد
الديكتاتورية الرجعية في مصر ومن اجل اقامة جمهورية ديمقراطية حرة على
ارضها .

٢٦ يوليو ١٩٢٨

* هكذا في النص الانجليزي . ولا شك في انها خطأ مطبعي . وان صحتها
الحزب الشيوعي في فلسطين وسوريا .

(٢) أوراق قضائية

- * تقرير الاتهام في قضية الشيوعية سبتمبر ١٩٢٥ .
- * مرسوم ملكي بإسقاط الجنسية المصرية عن ثمانية من المصريين
• (١٩٣١/٨/٢٣)
- * حثييات الحكم ببراءة عصام الدين ناصف في القضية ٣٤٤ كلى الاسكندرية
• لسنة ١٩٣١ .
- * محضر تحقيق النيابة العسكرية مع أنور كامل .
- * مذكرة من حكمدارية بوليس مصر عن عنرى كوربيل (مذكرتان) .
- * مذكرة حكمدارية بوليس عن « الجبهة الاشتراكية » .

قضية الشيوعية

تقرير النيابة العمومية. لقاضي الاحالة

مقدم من النيابة العمومية لخضرة قاضي الاحالة بمحكمة مصر الاطبية
في قضية الجنائية رقم ٨٢٧ شبرا لسنة ١٩٢٥
تتهم النيابة العمومية :

- ١ - كونستنتين فايس سن ٢٦ سنة - محرر جرائد وقومسيونجي مولود في النمسا ساكن بشبرا نمرة ٨ شارع غواد ومسجون الان .
- ٢ - شالوم بولوك - سن ٢٥ سنة كاتب مولود بمرسكو مقيم بشبرا شارع غواد نمرة ٨ ومسجون الان .
- ٣ - ليون الكوتين - سن ٢٩ سنة كاتب مولود بالروسيا ساكن بشارع المناصرة نمرة ٨. بشارع محمد علي ومسجون الان .
- ٤ - ريدل هوشليك - سن ٣٢ سنة كيربائى مولود ببولونيا ساكن بالمناصرة نمرة ٨ شارع محمد علي ومسجون الان .
- ٥ - محمد عبد السميع الغنيمي - سن ٣٠ سنة كاتب بوزارة المعارف مولود بشبرا النخلة مركز بلبيس وساكن في شارع أم الغلام بدرب الحمام نمرة ٣ بالجمالية ومسجون الان .
- ٦ - رفيق جبور - سن ٤٣ سنة مولود بجبل لبنان مقيم بشبرا بشارع البعثة حارة محمد خليل نمرة ٣ محرر بجريدة النظام والحسان مسجون الان .
- ٧ - شاكرا عبد الحليم - سن ٢٦ سنة طالب بالازهر مولود بالمتانية مركز العياط مقيم بالمتانية بدرب الحصر حارة رشوان بك نمرة ١٨ ومسجون الان .
- ٨ - شعبان حانظ - سن ٢١ سنة مساعد اجزى مولود بالاسكندرية مقيم بشارع الكرداسى قسم غابدين نمرة ٢٦ مسجون الان .
- ٩ - شارلوت روزنتال سن ٢٦ خالية للصناعة ومولودة بالاسكندرية مقيمة بكموم الناصورة ومسجونة الان .
- ١٠ - الهامى امين - سن ٢٢ سنة مخزنجى بالسكة الحديد مولود بمصر مقيم بالمطارين بباب سدره شارع المرغنى ومسجون الان .
- ١١ - بيومى مرسى النياسوسى سن ٢٩ سنة خراط معادن مولود بالعطف ومقيم بالاسكندرية بغيط العنب ملك محمد عطية شريف ومسجون الان .

١٢ - سيكلز يديس ييناكاكيس - سن ٣١ سنة ببيع اسفنج مولود بكمونس
مقيم بالاسكندرية بشارع عبد النعم نمرة ١٨ ومسجون الان

١٣ = أرون واينزج - سن ٣٣ سنة ببيع فرش مولود بالروشيا مقيم
بالاسكندرية بشارع أبو الدرداء نمرة ٤ مسجون الان

بانهم في المدة بين ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٤ الموافق ٧ ربيع أول سنة ١٣٤٣
و ٣٠ مايو سنة ١٩٢٥ الموافق ٧ ذو القعدة سنة ١٣٤٣ .

أولا : اتفقوا اتفاقا جنائيا بأن اتحدوا مع غيرهم على ارتكاب الجنايات والجنح
الاثنية وهي جنایات القتل العمل ونشر الإنكار الثورية المغايرة لمبادئ
الدستور المصرى الاساسية وتحبيذ تغيير النظم الاساسية للهيئة
الاجتماعية بالقوة والارهاب وبوسائل أخرى غير مشروعة المنطبقة على
المادة ١٩٤ و ١٥١ فقرتي ٢ و ٣ من قانون العقوبات وجنح انتهاك
حرمة ملك الغير المنطبقة على المواد من ٣٢٤ الى ٣٢٧ من قانون العقوبات
وقد حرضوا جميعهم على الاتحاق الجنائي المذكور وأداروا جميعا حركته .

ثانيا : اشتركوا في اتحاق جنائي الغرض منه ارتكاب جريمة تاليف عصابة من
العمال وصغار الفلاحين لارهاب طائفة من السكان وهي طبقة أصحاب
الاعمال والملاك وهذه هي الجنایة المنطبقة على المادة ٨٠ من قانون
العقوبات وقد حرضوا جميعهم على الاتحاق المذكور وتدخلوا جميعا
في ادارة حركته .

ثالثا : نشروا وهم مقتنون جميعا على ذلك أفكارا ثورية مغايرة للمبادئ
الاساسية للدستور الدولة المصرية وحجروا تغيير النظم الاساسية للهيئة
الاجتماعية في البلاد المصرية بالقوة والارهاب وبوسائل أخرى غير
مشروعة وذلك علنيا بطريق بيع وتوزيع كتب وجرائد ونشرات مطبوعة
وغير مطبوعة والكتب مقالات في المحال والمحافل العمومية وبواسطة
اشهار رسوم وتصاویر وهذه الكتب والجرائد والنشرات والمقالات
والرسائل الأخرى تحوى أمورا وأفكارا تخالف مبادئ الدستور المصرى
الاساسية ومن شأنها تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية مثل الغاء
نظام الملكية الفردية المقرر في دستور الدولة واستبداله بنظام شيوعى
بطريق الثورة والقوة والتهدید . وذكر فيها أن النظم الذى يسعون
اليها أفضل من النظم الحالية وانها حرية بأن تحقق وأنه يجب العمل
والسعى لتحقيقها وقد انوا حزبا لهذا الغرض سموه بالحزب الشيوعى
المصرى التابع للدولية الشيوعية الثالثة . وقد عمل ذلك الحزب على

مقتضى شروط تلك الدولية وبناء على تعاليمها التي ترمى الى الغلباء
الملكية الفردية ومصادرة الاملاك من اصحابها وخجزها عنهم وغير ذلك
بطريق القوة والتهديد والطرق الاخرى الغير مشروعة واخذ الجزب
المذكور بنشر دعوته الضارة المذكورة بطرق العلنية المختلفة المبينة آنفا
بين العمال وصغار الفلاحين وغيرهم .

بناء عليه :

يكونون قد ارتكبوا الجرائم المنصوص عنها في المادة ٤٧ مكرر وفي المواد
٨٠ و ٨٢ و ٨٣ وفي المواد ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١. فترتي ٢ و ٣ من قانون
العقوبات .

من اجل ذلك

تطلب النيابة العمومية من حضرة قاضي الاحالة ان يحيل هذه القضية
على محكمة الجنايات للحكم فيها طبقا للمواد سالفة الذكر وقد تحررت
قائمة بشهود الاتبات وهي مرفقة بهذا .

نحن النائب العمومي بالمحاكم الاهلية
نكلف احد المحضرين بان يعلن هذا التقرير والقائمة طيه للمتهمين الذين
هم في السجن .

(١٩٣٥/٩/١٠)

النائب العمومي

امضاء

ملحوظة : نشرت جريدة « الأخبار » نصا موجزا لهذا القرار بتاريخ ١٩٣٥/٩/٩ .
أى قبل توقيع من النائب العمومي بيوم واحد .

مرسوم ملغى

باسقاط الجنسية المصرية عن ثمانية من المصريين

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على المادة ١٣ من قانون الجنسية المصرية رقم ١٩ لسنة ١٩٢٩

وعلى المذكرة المرفوعة من وزارة الداخلية الى مجلس الوزراء بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٣١

وبناء على ما عرضه علينا وزير الداخلية وموافقة رأى مجلس الوزراء
رسمنا بما هو آت

المادة الأولى

تسقط الجنسية المصرية عن الأشخاص الآتية أسماؤهم :

- ١ - محمد أحمد سلام المشهور حمدي سلام
- ٢ - عبد الرحمن فضل
- ٣ - حسين حسن الجزيري
- ٤ - محمو مصطفى دويدار
- ٥ - عبد العزيز محمد مرعي
- ٦ - علي حسين حسين
- ٧ - شارلوت روزنثال
- ٨ - شعيبان حافظ

المادة الثانية

على وزير الداخلية تنفيذ هذا المرسوم
صدر بسراى التنزة فى ٦ ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ
٢٠ أغسطس ١٩٣١ م

فؤاد

بأمر حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء

اسماعيل صدقى

وزير الداخلية

اسماعيل صدقى

١٩٣١/٨/٢٣

مرسل الى وزارة الداخلية لتنفيذه

رئيس مجلس الوزراء

اسماعيل صدقى

حيثيات الحكم ببراءة عصام الدين ناصف

نص أسباب الحكم في قضية الاستناذ عصام الدين ناصف

أصدرت محكمة جنايات الإسكندرية المشكلة علنا تحت رئاسة حضرة صاحب العزة محمد أنور بك وحضور حضرات صاحبي العزة محمد راغب بك وخليل غزالات بك مستشارين بمحكمة الاستئناف الأهلية وفهيم ابراهيم عوض أفندي وكيل النيابة وحامد حسين عباس أفندي كاتب المحكمة حكمها بالبراءة في قضية النيابة العمومية نمرة: ٥٧٣ المنشئية سنة ١٩٣١. المقيدة بالجدول الكلى نمرة ٣٤٤ سنة ١٩٣١.

فصل

عصام الدين حفنى ناصف أفندي عمره ٣٢ سنة وصناعته مدرس وسكنه شازع الأمير فاروق رقم ٤٨.

وحضر للدفاع عنه حضرة صاحب السعادة محمد على باشا وحضرة ابراهيم الهلباوى بك وحضرة مصطفى مرعى أفندي المحامون.

وقد وضعت للمحكمة أسباب الحكم كما يلي:

بعد سماع أمر الاحالة وطلبات النيابة العمومية والاطلاع على أوراق القضية والداوله قانونا.

حيث ان النيابة العمومية اتهمت المذكور بأنه في السنين ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١ بالقاهرة والاسكندرية وبلاد أخرى بالدولة المصرية نشر افكارا ثورية مغايرة للمبادئ الأساسية لدستور الدولة المصرية وحبذ تغيير للنظم الأساسية للهيئة الاجتماعية في البلاد المصرية بوسائل غير مشروعة وذلك علنا بطريق بيع وتوزيع كتب مطبوعة تحوى أمورا وافكارا تخالف مبادئ الدستور الأساسية ومن شأنها ان تؤدى الى تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية مثل الغاء نظام الملكية الفردية المقرر في دستور الدولة ونزع ملكية الغير.

* نقلا عن جريدة الجهاد ٣٠ نوفمبر ١٩٣١

بغير الطرق القانونية المشروعة واستبداله بنظام آخر وذلك بطريق الثورة والقوة وأن النظم التي يبسعى لتحقيقها أفضل من النظم الحالية وأنها حرة بأن تتحقق ويجب العمل والسعى لتحقيقها والكتب التي وزعت وبيعت هي « كتاب التجديد الاجتماعي » و« كتاب الاشتراكية الحديثة » وغيرها وظلت من حضرة قاضي الاحالة حالته على محكمة الجنايات لمحاكمته بالمواد ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ فقرة أولى وثانية من قانون العقوبات .

وحيث أن حضرة قاضي الاحالة قرر في ١٣ يونيو سنة ١٩٣١ أحالته على هذه المحكمة لمحاكمته بالمواد المذكورة آنفا .

وحيث أنه بجلسة يوم السبت ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣١ سمعت هذه القضية على الوجه المشروح بمحضر الجلسة وقد تأجل النطق بالحكم بجلسة اليوم .

عن القانون .

حيث أن النية العمومية تطلب معاقبة المتهم بمقتضى المادة ١٥١ فقرة ثانية وثالثة من قانون العقوبات المعدلة بالقانون رقم ٢٧ سنة ١٩٢٣ وقد أثارت النيابة كما أثار الدفاع الكلام على المقصود من هذه المادة لان كلا من الطرفين يركز في دفاعه في الدعوى على المعنى الذي يعتقد أن هذه المادة تؤيد به ، لذلك كان من الواجب البدء بتعريف معنى هذه المادة حتى يتيسر تطبيق الوقائع المنسوبة الى المتهم عليها .

وحيث أن المادة المذكورة نصها :

يعاقب بالسجن لمدة لا تتجاوز خمس سنين كل من ارتكب فعلا من الاعمال الاتية وذلك باستعمال احدي الطرق المبينة في المادة السابقة :
أولا : التحريض على كراهة نظام الحكومة في القطر المصري أو على الازدراء بها .

ثانيا : نشر الانكار الثورية المغايرة لمبادئ الدستور الاساسية .

ثالثا : تحييد تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالثورة أو الارهاب أو بوسائل أخرى غير مشروعة . وحيث أن الجريمة الواردة في الفقرة الاولى لا شأن لها في هذه الدعوى فلا ترى المحكمة موجبا لبحثها الان لان الجزء المطلوب معاقبة المتهم عليه منها هو ما ورد بعد ذلك في الفقرتين ثانيا وثالثا .

وحيث أن مدار الخلاف القائم بين الطرفين ينحصر في الحقيقة في نقطة واحدة وهي هل للفعل المنصوص عليه في الفقرة الثانية وهو « نشر الانكار الثورية المغايرة لمبادئ الدستور الاساسية » يتضمن في ذاته « القوة والارهاب »

أو الوسائل غير المشروعة ولو لم ينص عليها المشروع في الفقرة المذكورة كما نص عليها صراحة في الفقرة الثالثة أولاً .

وحيث أن النياية العمومية ذهبت في تفسيرها لهذه الفقرة الى انها لا تتطلب ما تطلبته الفقرة الثالثة من تلك المادة من استعمال القوة أو الارهاب أو وسائل أخرى غير مشروعة ملاحظة أن كلمة ثورية في النص الفرنسي للمادة معبر عنها بلفظ Subversives لا بلفظ Revolutionnaires والدفاع يخالفها في ذلك .

وحيث ان المحكمة ترى أن اللفظ الذي استعمله المشرع في الفقرة الثانية المذكورة سواء في النص العربي « الانتكار الثورية » أو النص الفرنسي Ideas Subversives يتضمن في ذاته معنى استعمال القوة أو الارهاب أو الطرق غير المشروعة ولذلك لم ير المشرع ضرورة للنص عليها في هذه الفقرة الثالثة والذي يدل على أن هذه هي نية المشرع هو ما جاء في المذكرة الايضاحية الخاصة بتعديل هذه المادة (قانون رقم ٢٧ سنة ١٩٢٣) حيث جاء فيها بالنص :

« أما الفقرتان الثانية والثالثة من المادة ١٥١ فالغرض منهما قمع الدعوى الضرة التي تقوم بها الهيئات الفوضوية أو الشيوعية » وبما أن واضح القانون هو اقتدر الناس على بيان غرضه من وضعه فلا يكون هناك أدنى شك في أن هذه هي نية المشرع لأن الهيئات الفوضوية أو الشيوعية من وسائلها كما هو معروف القوة المسلحة والمشرع قال صراحة أنه يقصد بقانونه قمع دعوة هذه الهيئات الخطرة على أن الذي يؤكد نية المشرع هذه هو التعديل الذي أصدره للمادة المذكورة بالقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٣١ حيث أدمج الفقرتين الثانية والثالثة في فقرة واحدة وهي الفقرة الثانية من المادة ١٥١ المعدلة بالقانون المذكور ونصها :

« تحبيذ ونشر المذاهب التي ترمي الى تغيير مبادئ الدستور الاساسية أو النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة أو الارهاب أو أية وسيلة أخرى غير مشروعة » . ويلاحظ أن المشرع وبهذا النص قد أوضح بصراحة ما يمكن أن يكون محل اتهام في النص القديم وأنه وإن كان شديداً نوعاً في العقوبة فاضاف الى السجن الغرامة من خمسين جنيتها الى خمسمائة جنيتها الا انه لم يأت بشيء جديد بالنسبة للانفعال المعاقب عليها وإنما بينها تبيننا بتدليل ما جاء في المذكرة الايضاحية للقانون المذكور ما يأتى تطبيقاً على المادة ١٥١ « المادة ١٥١ : تتناول المادة ١٥١ من القانون الحالي والتعديلات التي ادخلت عليها هي :

أ - أدمجت في فقرة واحدة هي الفقرة ثانياً الجديدة الالتمتثال التي كانت مذكورة في الفقرتين « ثانياً وثالثاً » من المادة القديمة فوصف الجريمة

باعتبار ضيقة المادة الجديدة لا يقتصر على من يحدّد بنفسه استعمال القوة لتغيير نظم الهيئة الاجتماعية الأساسية أو مبادئ الدستور الأساسية بل يتناول كذلك من ينشر أو يحدّد المذاهب التي ترمي إلى تغيير هذه المبادئ أو هذه النظم بالقوة ولو لم ينصح هو نفسه باستعمالها أو صرح بأنه لا يشير باستعمالها ، فمن يحدّد مثلا نظريات شيوعية كما تطبق في روسيا ، ومعنى هذه البلشفية أو يترط مذهب لينين يقع تحت طائلة العقاب ولو احتاط لنفسه وصرح بأنه لا يشير باستعمال القوة - وذلك لأن هذه المذاهب تنطوي على أن يستولى العمال مباشرة وبالقوة على مقاليد الاحكام في الدولة اذ كانت تعتبر كل وسيلة أخرى لسيط النظام الشيوعي غير فعالة .

ب - شددت العقوبات بأن اُضيفت الى السجن الغرامة من خمسين جنيها الى خمسمائة جنيه وظاهر بوضوح في نص هذه المذكرة من أن المشرع ادمج في فقرة واحدة الاعمال التي كانت مذكورة في الفقرتين ثانيا وثالثا من المادة القديمة انه لم يأت فيها بجديد من حيث الازكان المكونة للجريمة وانما ابان غرضه من المقصود باستعمال القوة والارهاب فقال ان هذا الركن لا يقتصر على من يحدّد بنفسه استعمال القوة لتغيير النظم - بل يتناول أيضا من ينشر أو يحدّد المذاهب التي ترمي بطبيعة مبادئها الى أن يكون التغيير بالقوة ولو لم ينصح هو بنفسه باستعمالها أو صرح بأنه لا يشير باستعمالها وهذا المعنى هو نفسه ما كان مفهوما من قبل من نص الفقرة ثانيا من المادة ١٥١ المعدلة بقانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٢ .

عن الوقائع

حيث انه لا جدال في أن التهم نشر كتاب التجديد الاجتماعي الذي طبعه ووزعه سنة ١٩٣١ وهو معترف بهذا وقال ان هذا الكتاب هو عبارة عن مقالات سبق نشرها في الجرائد وأنه أراد بطبعها في كتاب تسجيلها باعتبارها عملا قبيحا كما أنه اعترف بنشر بعض مقالات عن الاشتراكية في مجلة روح العصر كما أنه معترف بترجمة وطبع ونشر كتاب الاشتراكية الحديثة سنة ١٩٢٨ فركن العائدية لا نزاع فيه .

عن كتاب التجديد الاجتماعي

مقالة الفلاح المصري

وحيث أن النياية العمومية شرحت الدعوى أمام المحكمة وأشادت في مرافعتها الى الواضع التي تقبل انها تكل على وجود الانتكار الثورية المغايرة للمبادئ الأساسية للدستور المصري وتحييد تغيير نظم الهيئة الاجتماعية في البلاد المصرية بوسائل غير مشروعة وقد ظهر من مرافعتها أن كل ما تنسبه الى

التيهم من الدعوة التي تغير مبادئ الدستور وتغير نظم الهيئة الاجتماعية ينحصر في دعوته الى الغاء الملكية الفردية والاستعاضة عنها بنظام الملكية المشتركة وأن تنزع هذه الطرق غير الطرق القانونية المشروعة وقد دلت على غرض التهم ببعض فقرات أشارت اليها في كتاباته تستنتج منها دعوة التهم الى هذا التغيير بطريق القوة فتكرت :

١ - ما جاء بالصحيفة نمرة ٩ من كتاب التجديد الاجتماعي ضمن مقالة التصلاح المصري حيث أوضح التهم الفارق بين الفلاح الاوربي والفلاح المصري يتمثل الفلاح الاوربي واقفا على أحد قدميه وهو يجيب المالك عن سبب وقوفه كذلك بأنه ليس في قطعة الارض الخاصة به مكان لقدمه الاخرى لان باقى الارض كلها ملك له ووصف حالة الفلاح المصري بأنها مظلمة قاتمة ونفوس الذين ينظرون اليه باعتباره ثورا يضمنون في عنقه فيرغم الى أن قال : ان الفلاح انسان يجب أن يتمتع بحقوق الانسان

٢ - ثم تكرت النيباية ما جاء بالصحيفتين ١٠ ، ١١ من الكتاب المذكور ، ان التهم قال ان القوانين التي سنت لمناخضة انتشار المواد المخدرة لا يمكن أن يكون لها أثر فعال لان العملة الاساسية باقية وهي اليوس والتعاسفة والشعور بالظلم وأن الفلاح لا يطيق هذا الظلم فيركن الى الفرار منه بانتهمال هذه المغيبات ثم ان الكاتب عاب على من لا يهتمون باسعاد الفلاح قائلهم انه قانع بعيشه ولا يشعر أن له حقوقا مهضومة وهو منطلق عجيب لا يحل المسألة ، ثم قال « لا بأس فلندناظر فستطها الايام » الى أن قال الكاتب « اما نحن فلانترضى الا ان تشمر الهيئة الاجتماعية يقسوتها وفضاعتها والا أن نهجر السبيل لتحسين نظمها وقواعدها ونحن اذا اقتنمنا فلن نحجم عن المضي في مهاجمة جميع الاخطاء الحالية - الفلاح هو خير أبناء مصر فيجب أن نتخضم خير ما فيها لمصلحة الفلاح »

٣ - ثم أشارت النيباية الى ما ذكره التهم في الصحف ١١ ، ١٢ ، ١٣ من الكتاب المذكور عن حالة الفلاح في مسكنه وتعرضه للأمراض الخطرة كالبلهارسيا والانكلستوما والروما تزم والبلاجرا والرمم الصيدي وأنه قد يكون مستاجرا صغيرا ولكنه مع ذلك لا يحصل من الارض على ما يحفظ كيانه العادي يتهو في الواقع عبد رق ينادى صاحب الارض بلذات السيادة ويقبول له الأرض أرضك والزرع زرعك والعبيد وما ملكت يدها - وان الكثيرين من الملاك قد سلبوا الفلاح كل شيء ولم يتركوا له الا أشياء تافهة - وأن في الفلاح المصري جميع الصفات الخاصة بأبناء الشعوب المستعبدة

٤ - ثم أشارت النياية إلى ما ذكره الكاتب يندد به على أصحاب الأباغيد الذين يبعثون الآلاف فيينا لا تافع منه وفي النخخة القذرة ولا يسمحون للفلاحين بالمعيشة إلى جانبهم وعم يكونون ٧٠ في المئة من سكان القطر وتتبع عليهم اعباء الخدمة العسكرية في الحرب وفي السلم ويأبون عليهم أن ينالوا قسطهم من القوت وأن يتمتعوا بنصيبهم من الحضارة والمدنية - إلى أن قال المتهم فكان آباءنا وأجدادنا ومئات الأجيال الماضية قد ظلوا يعملون في بناء المدنية آلاف السنين ليتمتع بها بضع مئات من الأغنياء والبولازئين - لئن كان كذلك فسحقا لنا ونعسا - اننا نزيد حضارة قصى بنورها للشعب كله ، نريد أن يتمتع بها كل من يعمل على قدر ما يعمل إلى أن يقول الكاتب متحدثا عن فلاح مصر انه يقدم لها طعامها فلا تقدم له إلا الذل والهوان - وانه أدرك أن تجارة الرقيق لم تمنح واننا لا نعيش في القرن العشرين .

٥ - ثم قالت النياية ان المتهم بعد ان أشار إلى بعض طرق التصحيح فزا للرماد في العيون واخفاء الحقيقة نواياه يقول في الصفحة ٢٣ : أساس الإصلاح عندي أن يشمر الفلاح أن حقوقه متضمنة وأنه مظلوم بائس مهان وأنه ينقصه الكثير ليكون انسانا كما يجب أن يكون انسانا . أدوه إلى بداية الطريق الاصح فلا يثبت أن ينطلق فيه إلى آخره - ساعده على فهم حقيقة مركزه وانتم ترون منه العجيب العجيب - الفلاح يزرع فيجب أن يجصد والإصلاح هو المنتج فيجب أن يكون هو المستمتع .

مقالة نرعة التجديد الحالية في مصر

ثم قالت النياية ان المتهم كتب في مقالة أخرى تحت عنوان « نرعة التجديد الحالية في مصر » يقول :

١ - العالم لم يزل يتطور ويترقى ويتقدم إلى الامام في خطوات سرع فمن لازمه في تقدمه فازوا في معترك الكناح لاجل الحياة ومن أبوا الا أن يحتفظوا في رؤوسهم بعقلية القرون الخالية وافكار اعليها ونظيراتهم إلى الحياة فهؤلاء هم الذين يتجامل الجيل الحاضر وجردهم ويطوعم يقبدهم ولقد يذم تطور الشعوب - كما يرى هيجل - بتأثير الافكار العظيمة التي يبشر بها دعاة المذاهب الفكرية المختلفة ومن ذا الذي ينكر التمهيد المنظم الذي مهنت به كتابات جان جاك روسو وزملائه عقول الفرنسيين للقيام بثورتهم الكبرى ، ومن ذا الذي ينكر ما أحدثته كتابات تولستوى واضرابه من كبار كتاب الروس في اعداد شعب غير مثقف كالشعب الروسى

للقيام بتلك الثورة التي لمحت بلهيبها دول العالم أجمع : لقد أصبح من المسلم به أن الظلم لا يحدث الثورات ولكن يحدثها الشعور به. واذن فالذي يداب على لفت نظر أمة من الأمم أو طبقة من الطبقات إلى ما يصيبها من ظلم كانت غافلة عنه لا يقل اشتراكا في أحداث ثورتها عن يتولى قيادة حركاتها المسلحة - ص ٤٣ من الكتاب .

٢ - وقالت النيابة ان المتهم بعد أن يشرح نظرية كارل ماركس الاشتراكية وتأثيرها في ألمانيا وما قام به العمال هناك وكذلك في إنجلترا ، يقول في صفحة ٤٨ : ومضى كان من المسلم به أن الظروف الاقتصادية لا بد فاعلة أثرها يتضح لنا أن من الحمق محاولة المناومة غير المجدية بل ان الواجب علينا أن نمهد الطريق أمام النظم الجديدة كي نوفر على أنفسنا تكاليف معركة نحن موقنون فيها بغلبة الجديد على القديم وبقاء الإصلاح الملائم لروح العصر على النهج الذي فات وأصبح من البله أن نطلب عودة الشباب إليه .

٣ - وبعد أن ذكر احة تاريخية عن الثورة المصرية الحديثة والتطور الحديث تطبيقتا لنظريته قال في صفحة ٥٠ : وتجتلي الروح الجديدة في مختلف مرائق الحياة الحيوية فقد بنتنا نسجم الان الاقتراحات بتحديد الملكية الزراعية والنماء الرتب والنياشين وانشاء حزب للفلاحين أو العمال أو حزب اشتراكي أو غير ذلك ، وكل هذا سهل ومفهوم اذا رجعنا في تفنمه الى نظرية التفسير المادي للتاريخ - على أن ماركس لم يقصد بهذه النظرية أن يطبقها على الماضي بحسب بل انه يريد بها المستقبل قبل كل شيء ، واذن فلنترك الخيالات والاهوام ولنبتعد عن مقاومة الجديد الذي لا بد أن يطرأ على جميع مرائقتنا ما دامت ظروفنا الاقتصادية تتغير يوما بعد يوم .

وقالت النيابة بشأن ما نشره المتهم في الكتاب المذكور تحت عنوان مقالة الاشتراكية من الوجة العلمية انه جاء في المقالة صفحة ٥١ قوله : والفت النظر من الان الى أن الغرض من الاشتراكية ليس رفع أجور العمال وتحسين أحوالهم تحسينا محدودا وانما أن نحل الدولة محل طبقة مالكي الأراضي والمصانع وأن تمنح أصحاب رؤوس الاموال من التحكم في النقراء واستعمالهم عمالا أجيرين لا يتمتعون بكل ما ينتجه كدهم من الثمار . وأورد نقد ماركس للكونت لاسال الذي كان يريد تحقيق مبادئه عن طريق مطالبة الحكومة باصاح حال العمال - ثم أخذ يعرف ماعية الاشتراكية فقال في صفحة ٥٢ : الاشتراكية تلغي الملكية الخاصة لوسائل الانتاج .

كالأرض وأبنية المصانع وألوانها والمواد الخام وهذا من الوجهة السلبية إما من الوجهة الايجابية فهي لا تصرح بالدخل الشخصي الذي يجيء من غير طريق العمل ثم انه في صفحة ٥٣ يعرف الشيوعية فيقول : انها لا تقتصر كالاشتراكية على حرمان الافراد من التصرف في وسائل الانتاج بل هي تحرمهم أيضاً من التصرف في وسائل الاستهلاك أى الحصول الزراعى أو المنتجات الصناعية فلا يستطيع المنتج أن يبيعها لمن يشاء وبالعلم الذى يشاء. ولا أن يستعمل منها المقدار الذى يشاء ، فالجماعة الشيوعية تحدد المقدار الذى يلزم كل فرد من الماكل واللبس . ثم يتطرق الى وصف الفوضوية فقال : انها تُرغب في تقوية حرية الفرد الى أقصى حد وتطلب الغناء لجميع القوانين فيكون كل امرئ سيد نفسه . وبعد أن يبسط المقيم نظريات عدة للاشتراكية . . تراه يختم المقالة بقوله في صفحة ٥٦ : « ولا معنى للاعتراض بأن هذا النظام غير طبيعى فقد عاش هذا النظام مئات السنين في المياضى ولا يزال سائداً في روسيا وفي الجهات التى تعمرها الزمر القدينية في أمريكا الشمالية فهو إذن لا يتضام مع الطبيعة الانسانية على ان المهم هو معرفة أوتق النظام لمصلحة الانسان وأقربها الى طبيعته ،

عن كتاب الاشتراكية الحديثة

تقول النياية : جاء في كلمة العرب وهو الختم : الاشتراكية هي المحور الذى يدور عليه النزاع بين جميع الاحزاب السياسية في العالم المتقدمين .

وانى لأمل ان أخرج لقراء العربية غيره في القريب العاجل كما أمل بان يقوم الكثيرون بالكتابة في هذا الموضوع ، ومتى فهم الشعب هذه المبادئ امكنه ان يعرف مصدر نكته والسبيل الى الخلاص منها . ولقد نراه يشرح في هذا الكتاب النظريات الاشتراكية والشيوعية ونظرية التوارث عند السلافيين ص ١١ ، ١٢ ونظرية ماركس وانجلز ص ١٢ وما يابها . ويقول في ص ١٢ ان النظام الرأسمالى أنتج حالات اجتماعية مروعة . فالعامل يتحول الى ضلوك والفاقة تنمو وتنتشر بأسرع ما ينمو الاهالى والثروة وتلك حال تاجها طبقة البروليتاريا ، الآن كما كانت تاجها وتكسح ضدّها في تصور النظم السابقة مكافحة عنية . او خفية . وستنتهى اما بانقلاب النظام الرأسمالى واما بهلاك الطبقات المتنازعة ولن يكون غرض الطبقات المضطهدة من هذا الكفاح الا تحويل نظام الانتاج الرأسمالى الى نظام اشتراكى وذلك يقضى بتحويل ما يمتلكه الرأسماليون من وسائل الانتاج الى ممتلكات عامة وادارة الانتاج تقوم على قواعد الاشتراكية أى بواسطة الجماعة والاجتهاد . وشرح ماهية النظام الاشتراكى للانتاج ونظام الانتاج الاشتراكى في الوقت الحاضر واشتراكية الدولة بكل أنواعها والمساعى الحاضرة لنشر النظام الاشتراكى

وحدد نظام الانتاج الاشتراكي - ثم قال في فضل الشيوعية الزراعية في روسيا ص ٤٢ بان لينين بجرة من قلمه اعاد مساحة الاطيان التي كانت مملوكة للامراء والاشراف في روسيا الى ملكية القرى والبلديات وانه معا الملك الخاص

ثم قالت النيابة ان المتهم نشر في مجلة روح العصر بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٣٠ مقالة قارن فيها الاشتراكية بالشيوعية والفوضوية والطرق المؤدية لتحقيق اغراض كل منها

وقد استشهدت النيابة بكتابات للمتهم اسماء متابعه التجديد الاجتماعي لم يكن قد نشر بعد وقالت انه وان كان ركن العلنية لم يتحقق بشئانه الا انها قالت انها تسوق منه عبارات للتخيل على روح المتهم ونزعاته . هذا كل ما استندت عليه النيابة في اثبات التهمة ضد المتهم وقد بينته في مرافعتها الشفوية وقدمت للمحكمة في نهاية المرافعة مكررة كتابية تحصر فيها الادلة بحسب البيان السابق ايضا

وحيث ان المتهم ينكر التهمة وقد قرر في التحقيقات ان مقالة الفلاح المصري ليس فيها دعوة الى تغيير نظام الملكية وانه متحمل مسؤولية كل ما جاء فيها وان الاصلاحات التي طلبها في المقالة المذكورة لا تمنع من بقاء نظام الملكية وقال ان ما نشره بشأن الاشتراكية مسألة ثقافية يريد بها تنوير الاذهان عن مرامي الاشتراكية وانه اذا فرض ان نشر مبادئ الاشتراكية يترتب عليه قلب نظام الملكية فانه ما دام هذا يحصل بواسطة الحصول على غالبية برلمانية وبطرق سلمية ليس هناك مانع من نشرها وان المنوع هو ان يدعو المرء الى ذلك بالعنف وقال ان الظروف في نظره لا سيما الاحتلال الانجليزي والدين الاسلامي تجعل قيام حركة اشتراكية حقيقية في مصر من المستحيل وكل ما يريده ان الناس تحس وتعمل جانبا من الاصلاحات للفلاحين وان الاشتراكية المعدلة مثل فرض الضرائب على الدخل تنفق مع الدين الاسلامي لتوذه تعالى : « وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وانه ان ذكر الشيوعية او الفوضوية فتلك من باب توضيح معنى الاشتراكية لان بعض الناس يلتبس عليه معناها

وحيث ان الدفاع عن المتهم طلب الحكم ببرائته ويرتكز في ذلك على ان المتهم لم يمتل مطلقا في كتاباته كلمة واخذة بينهم منها انه يريد الغاء الملكية الفردية وانه اذا قال فلا عقاب عليه لانه لم يقل ان وسيلته الثورة وشرح مبادئ الاشتراكية ووسائلها شرحا وانبيا

وحيث أنه من أطلاع الحكمة على كل ما كتبه المتهم ونشره مما سبق
 بيناهه وبعد سماع مرافعة النيابة والدفاع قد تبين لها أن مقالة الفلاح
 المصرى ليس فيها أية دعوى الى الغاء نظام الملكية الفردية واستبدالها بنظام
 اشتراكى وكل ما جاء فيها هو وصف حالة الفلاح التى يعتقد المتهم انها
 سيئة جدا وبعض اصلاحات طلب اجراءها لمصلحته . صحيح أن المتهم فى وصفه
 بالغ فى سوء حالة الفلاح مبالغة قد لا تتفق مع الحقيقة الا أنه على كل حال
 لم يأت فيهما بكلمة تفيد أنه يدعو الى تغيير نظام الملكية الفردية لا بطريقة
 سلمية ولا بطريق العنف والاصلاحات التى اقترحها موجهة الى الحكومة . وعبارة
 العمل على زيادة ما يخص كل فرد من مساحة الاراضى المزروعة وهى موضوع
 الاقتراح السادس قد بين المتهم الطريقة العملية للوصول اليها بأن تقسم
 الحكومة باصلاح الاراضى البور على نمط واسع ثم تتبعها للفلاحين بثمن
 مماثل متوسط تكاليفها فهو لم يقترح على الحكومة ان تأخذ من الملاك الحاليين
 اراضيه لتوزع على الفلاحين بثمن أو بغير ثمن . وأما الفقرات التى ذكرتها النيابة
 من مقالة الفلاح المصرى فليس فيها مطلقا إشارة الى أن غرض المتهم الغاء
 نظام الملكية الفردية ولا نزع ملكيتها بطرق غير مشروعة انما كلها مبالغة فى
 وصف الفلاح بطريقة مثيرة للشعور كقوله : « ان حالته مظلمة قاتمة -
 يظنرون اليه باعتباره ثورا يضعون فى عنقه نيرهم - الفلاح انسان يجب أن
 يتمتع بحقوق الانسان - رائهم يفرون من الظلام الى المخرات والمغيبات -
 لا باس فلننظر فستطرحها الايام - اما نحن فلا نرتضى الا أن تشعر الهيئة
 الاجتماعية بقسوتها وفظاعتها والا أن نهيب لها السبيل لتحسين نظمها
 وقواعدها - ونحن اذا اقتنعنا فلن نحجم عن المضى فى مهاجمة جميع الاخطاء
 الحالية - الفلاح خير أبناء مصر فيجب أن ينظم خير ما نتمسك لمصلحة
 الفلاح - ان فى الفلاح المصرى جميع الصفات الخاصة بأبناء الشعوب المستعبدة
 فسبحا لها وتعبا - اننا نريد حضارة تضى بنورها للشعب كله - نريد
 مدنية يتمتع بها كل من يعمل على شئ ما يعمل . الخ . كل هذه الجمل
 وما شابهها مما ورد فى مرافعة النيابة هى عبارة عن تعبيرات كلامية فيها
 كثير من المبالغة يقصد بها الكاثب اظهار ما يعتقد وما يتأثر به مما شاهد
 على الطريقة التى يشعر بها - وأما تفسير النيابة لبعض هذه التعبيرات بأن
 اتهم يقصد نشر الافكار الثورية وحث الفلاحين على القيام فى وجه الملاك
 أو الحكومة ففيه تحريج غير مقبول للالفاظ والتعبيرات عن معانيها وتحميلها
 غير ما تحمل من المعانى والمقاصد .

وحيث أنه فيما يختص بما أشارت اليه النيابة مما جاء فى مقاله : نزع
 التجديد الحالية فى مصر فان فهم العبارات التى ساقها على حقيقتها لا يمكن
 أن يؤدى الى ما ذهب اليه النيابة من أنه يريد استعمال القوة لأنه انما يريد

أن يبين مقدار ما لكتابة الكتاب من تأثير وان الذي يوقظ شعور أمة أو طبقة من الطبقات وينبئها الى ما يصيبها من ظلم كانت غافلة عنه يكون له من الفضل في وصولها الى غرضها مثل ما يكون لمن يتولى قيادة حركاتها المسلحة . كل هذا جاء بيانا لقوله قد يتم تطور الشعوب بتأثير الافكار العظيمة التي يبشر بها دعاة المذهب الفكرية فالسباق ليس سباق الوصول الى حق استعماق القوة أو بالثورة المسلحة وانما سباق حصول التطور بتأثير الكتابة ففكرة الكاتب اذن بعيدة كل البعد عن الدعوة الى استعمال القوة . أما قول الكاتب لا يقل اشتراكا في احداث ثورتها ، فلا مانع من أن تكون ثورتها الفكرية كما يحل على ذلك في سياق الكلام . فان الكاتب بدأ مقالته بتبرله ان العالم يتطور ويترقى ثم ذكر كيفية حصول التطور فقال قد يتم تطور الشعوب بتأثير الانكار العظيمة . الخ ، ثم قال بيانا للطريقة الاخرى انها تطور الظروف المادية والاقتصادية وهي نظرية التفسير المادي للتاريخ التي هي موضوع المقالة - فقال : يرى ماركس أن الافكار المثالية ليست الا انعكاس الظروف الاقتصادية - واذن فليست هي الدافع الحقيقي الذي يثير الحركات الاشتراكية وغيرها انما الدافع هو تغير ظروف الانتاج - وقد انتهى الكاتب بعد بيان أن الظروف الاقتصادية متى تغيرت تغير تفكير الناس تبعاً لذلك وتحتم أيضا تغيير نظمهم وعوائلدهم الى قوله : وحتى كان من المسلم به ان الظروف الاقتصادية لا بد غاظة اثرها يتضح لنا أنه من الحق محاولة المقاومة غير المحدية بل ان الواجب علينا أن نهمد الطريق أمام النظم الجديدة كي نوفر على أنفسنا تكاليف معركة نحن موقنون فيها بالغلبة للجديد على القديم . الخ - ولا يمكن أن يفهم من هذا تهديدا باستعمال القوة وانما هو نصح انتقاء للنتائج التي هي حاصلة من تغيير الظروف الاقتصادية بحسب اعتقاد الكاتب في صحة هذه النظرية - والمقصود بتعبير الكاتب هنا بلناظ معركة وغلبة ليس المعركة الحربية والانتصار فيها وانما هذه كلها تعبيرات كتابية يعرفها من يفهم اللغة العربية .

وحيث انه فيما يختص بمقالة الاشتراكية من الوجهة العلمية - وكتاب الاشتراكية الحديثة والمقالة التي نشرها المتهم في مجلة روح العصر هي كلها متعلقة في الكلام على الاشتراكية وبعض نظرياتها فان المتهم يقول في شأنها انها دراسة علمية يريد بها توضيح معنى الاشتراكية للناس لانه يلتبس عليهم معناها وهو لا ينكر أن نشر مبادئ الاشتراكية قد يترتب عليه قلب نظام الملكية الفردية ، كما تقضى به مبادئ المذهب الا أن وسائل هذا المذهب في تنفيذ برامجه ليست وسائل العنف والقوة ، وعمدة هذا المذهب ذاته كارل ماركس يرى أن تطور الظروف الاقتصادية وتغير ظروف الانتاج هي التي تؤدي الى التغيير .

وحيث أنه معروف حقيقة عن علماء هذا المذهب أنه وإن كانت مبادئه ونظرياته غير محدودة ، ولا متفق عليها بين كبار أقطابه إلا أنهم بوجه عام لا يقولون باستعمال القوة في الحصول على تنفيذ مقاصدهم إلا المتطرفين منهم ، والمتهم لم يشر فيما كتب أو قيل بطريق الترجمة إلى هذا النوع بل هو يتكلم عن الاشتراكية المعتدلة وهو مع هذا يعتقد أن الاشتراكية لم تجد لها أرضاً خصبة في مصر للأسباب التي ذكرها ، وعلى كل حال فإنه مع التسليم بأن مبادئ الاشتراكية على وجه عام من شأنها إلغاء الملكية الفردية فإن القوة ليست من وسائلها وعلماؤها لم يبينوا الوسائل التي تؤدي إلى إلغاء هذا النظام ويتركون تحقيقه للزمن تدريجياً - وأما كون المتهم لجاناً أثناء كلامه عن الاشتراكية إلى الإشارة أحياناً وبطريقة مختصرة إلى الشيوعية أو الفوضوية فلم يكن ذلك بقصد نشر مبادئها ولا تحبيذها وإنما بياناً للفرق بينهما وبين الاشتراكية التي يتكلم عنها ورفعاً للبس إذ أن كثيراً من الناس يخلط بين الاشتراكية وبين الفوضوية والشيوعية فليس مجرد ذكر شيء لطيف عنهما عرضاً ليس فيه إشارة إلى وسائل القوة التي هي أساسها يكون الجريمة التي أرادها القانون ، ولأن المشرع يعرف هذه الحقائق ذكر أسماؤها في المذكرة التفسيرية للقانون ص ٢٧ لسنة ١٩٢٢ أو المذكرة التفسيرية للقانون ص ٩٧ لسنة ١٩٢١ الخاصين بالمادة ١٥١ أن القصد هو قمع الدعوة الخطرة التي تقوم بها الهيئات الفوضوية والشيوعية ، ولم يذكر عن الاشتراكية شيئاً لأن المشرع يقدر أن الخطر يأتي من أن الهيئات الفوضوية والشيوعية تعتمد على القوة المسلحة لتنفيذ أغراضها واتهم عندما أشار عرضاً إلى الشيوعية أو الفوضوية لم يتعرض لدراستها ولا لنشر مبادئها وإنما اكتفى بإشارة ليمنع القارئ من الخطأ بينهما وبين الاشتراكية ولا يمكن القول بأن الفصل الوارد في كتاب الاشتراكية الحديثة ص ٤٠ تحت عنوان : الشيوعية الزراعية في روسيا يعتبر نشر مبادئ الشيوعية الروسية لأن المؤلف ذكر في هذا الفصل أن الامتلاك الخاص للأرض في روسيا ، بالمعنى المفهوم في غرب أوروبا لم يكن موجوداً من قبل تحرير الفلاحين - وأن إرادة الملك الخاص هو في روسيا الأصلية حالة أصلية قديمة واقعة ، وليس للفرد أن يملك أرضاً وكل الأرض فيما عدا تلك المشيدة فوقها أكواخ الفلاحين هي ملك للبلدية - فالملكية الرأسمالية الحقيقية للزراعة لم توجد في روسيا إلا بعد تحرير الفلاحين إذا سلحت من البلديات أكثر من ثلث أراضيها أعطي ملكاً خاصاً للإشراف الخ . من المبادئ التاريخية السابقة على الثورة الروسية إلى أن قال عندما نشبت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ كان في روسيا الكبيرة ٧٥٠ مليون فدان من الأراضي الزراعية العامة مقابل ٢١٥ مليون فداناً من المزارع والغابات الخاصة به قد أعادها لينين بجرة من قلمه إلى ملائكتها الأولى

اعنى القرى والبلديات - وظاهر من هذا الفصل انه دراسة تاريخية لا توضيح لمبادئ الشيوعية ونظرياتها .

وحيث انه مما تقدم يتضح ان ما كتبه جزء منه لا ذكر فيه لالغاء الملكية الفردية ولا نزع ملكيتها لا بالقوة ولا بغيرها وجزء منه وهو الخاص بالاستراكية وان كان يتضمن تغيير نظام الملكية الفردية الا ان وسائله لا تتدرج بالقوة ولا بالتهديد ولا بطرق غير مشروعة .

وحيث انه بناء على ما تقدم شرحه من ان الفقرتين الثانية والثالثة من المادة ١٥١ القديمة تشترطان لتكوين الجريمة استخدام القوة أو التهديد أو الطرق غير المشروعة . وبما ان هذا الركن غير متوفر في الاعمال المنسوبة له غير معاقب عليها ويتعين الحكم ببراءته على انه على فرض التسليم جدلا . وجدلا فقط . بان الفقرة الثانية من المادة ١٥١ الجديدة لا تتطلب تودر القوة فان القائلون بمررة ٩٧ لسنة ١٩٣١ الذي عدل هذه المادة قد اشترط هذا الركن ضراحة . وبما ان هذا القانون يعتبر لمصلحة المتهم لانه بتطبيقه على الاعمال المنسوبة له تعتبر الجريمة غير متوفرة الاركان أى أن الفعل الذى كان يعاقب عليه القائلون القديم اذا لم تكن عنك قوة بحسب هذا الغرض أصبح غير معاقب عليه بيمقتضى قانون سنة ١٩٣١ وهو قانون بلا شك يعتبر في مصلحة المتهم وقد صدر قبل الحكم في القضية وهو الواجب تطبيقه دون غيره عملا بنص المادة الخامسة من قانون العقوبات ويكون الواجب الحكم ببراءة المتهم في كلتا الحالتين عملا بالمادة (٥٠) من قانون تشكيل محاكم الجنايات :

فلهذه الأسباب

وبعد الاطلاع على المادة ٥٠ من قانون تشكيل محاكم الجنايات حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم .

صدر هذا الحكم علنا بجلسة يوم الاحد ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣١ الموافق ١٢ رجب سنة ١٣٥٠ هـ .

كاتب المحكمة

رئيس المحكمة

محضر تحقيق النيابة العسكرية مع أنور كامل

أقوال المتهم الأول / أنور كامل

أمام النيابة العسكرية العليا

في قضية الاشتراكية المتهم فيها

مع أعضاء جمعية - الخبز

والحرية - بالاتفاق الجنائي على ثلث نظام الحكم بالقوة - بيونية ١٩٤٢

استدعيته أنور كامل وبسؤاله قال :

اسمى أنور كامل

س : اذكر لنا تاريخ حياتك .

ج : تخرجت من الجامعة الأمريكية ١٩٣٢ ، ثم اشتغلت بمصلحة المساحة وكان لي نشاط سياسي محدود في ذلك الوقت ، وفي سنة ١٩٣٩ أصدرت بيانا عن العمال والفلاحين فصلت بسببه من الحكومة وقد حققت النيابة في هذا البيان وقررت حفظ القضية . وفي يناير ١٩٤٠ أصدرت مجلة « التطور » عندما كنت عضوا في جماعة « الفن والحرية » ثم حدثت ظروف اضطرت فيها إلى إغلاق هذه المجلة وفي سبتمبر ١٩٤٠ ألقت جماعة « الخبز والحرية » للدفاع عن مصالح الطبقات العاملة في هذه البلاد ، وفي أواخر ١٩٤١ قبض على مع آخرين بتهمة الاتفاق الجنائي على ثلث نظام الحكم بالقوة . ولكن هذه القضية حفظت لعدم وجود الأدلة ، وأنا اليوم أمامكم لنفس التهمة كما يظهر لي .

س : هل التحقت رأسا بمصلحة المساحة ؟

ج : نعم .

س : وهل كان لك شغف بالاطلاع على الكتب الاجتماعية في ذلك الوقت ؟

ج : أنا من طفولتي وأنا أفكر وأطلع ولعل بعض الاساتذة في الجامعة الأمريكية يذكرون لي هذا

س : ما هو الطرف المباشر الذي جعلك تصدر بيانا عن العمال والفلاحين ؟

ج : لم يكن هناك ظرف مباشر وإنما هذا البيان كان بداية لفكرة أخذت تجتمهر في رأسي مع الزمن .

س : ما هي الاسس التي قام عليها تفكيرك هذا ؟

ج : اظن ان المسألة واضحة جدا. وان في هذه البلاد ملايين يعيشون في حالة تشبه البهائم بينما تتمتع اقلية بكل موارد الثروة في البلاد .

س : ما الذي تناوله بيانك حتى حقق معك وفصلت بسببه ؟

ج : تناول البيان حالة العمال والفلاحين وصغار الموظفين من جهة ودانة الملاك واصحاب الصناعات وكبار الموظفين من جهة اخرى .

س : ألم يحتو البيان على تحريض لاتباع طريق معين للتخلص من هذه الحالة ؟

ج : أنا لم أعرض طريقا معينا في ذلك الوقت وكانت المسألة كلها مجرد مقارنة وعلى هذا حفظت القضية جنائيا .

س : هل كان لك شعبية أو جمعية حتى ذلك الوقت ؟

ج : لم يكن لي شعبية ولا جمعية في ذلك الوقت .

س : وما الذي فعلته بعد أن فصلت من المساحة ؟

ج : أنا فصلت من المساحة في يوليو ١٩٣٩ وفي يناير ١٩٤٠ أصدرت مجلة « التطور » .

س : هل كان لديك رأس مال لأصدار هذه المجلة ؟

ج : الواقع أن هذه المجلة لم تكن تحتاج إلى رأس مال كبير ، والمجلة كانت تصدرها جماعة « الفن والحرية » وقد كنا نجتمع تكاليف الإعداد من أعضاء الجماعة .

س : كيف اتصلت بجماعة « الفن والحرية » ؟

ج : كنت عضوا مؤسسا غيبيا .

س : من هم الاعضاء المؤسسون لجماعة « الفن والحرية » ؟

ج : أذكر منهم جورج حنين وكامل التلمساني وفريقا آخر من المثاليين والفنانين .

س : وما هو الغرض الذي كانت ترمى اليه جماعة « الفن والحرية » ؟

ج : - غرض هذه الجماعة كان ينحصر في نشر الثقافة المتقدمة ، وإيقاف

الشباب المصرى على الحركات الفنية في العالم وتشجيع الآداب والفنون في مصر وذلك عن طريق إصدار المجلات واللقاء المحاضرات واقامة المعارض العامة وما الى ذلك من مختلف وسائل النشر المشروعة .

س : هذا الغرض يتماشى مع كلمة الفن فما الغرض من كلمة الحرية ؟

ج : الفن أنواع فهناك فن رجمى يثائر بالقيود والقيم البالية وهناك فن ححيث يتحرر من هذه القيود . ومن هذه القيم فالفن الذى كانت تعمل على نشره جماعة « الفن والحزبية » هو النوع الثانى بلا جدال .

س : من الذى كان يقولى تحرير هذه المجلة ؟

ج : أنا كنت رئيسا للتحرير في هذه المجلة وقد كان يكتب فيها العديد من الكتاب المتقدمين في هذه البلاد أمثال جورج حنين ورمسيس يونان وكامل التلمسانى وعبد العزيز هيكل وغيرهم .

س : الى متى استمرت مجلة « التطور » ؟

ج : تسعة أشهر ووقف إصدارها بعدها لاسباب ترجع اولا الى غلاء أسعار الورق وعدم توزيع المجلة توزيعا كافيا ثم الى عوامل أخرى خفية كضغط الحكومة وشدة الرقابة من ناحية أخرى كل هذا كان باعثا على اغلاق المجلة ولو الى حين .

س : ولكنك ذكرت أولا أن المجلة لم تكن تحتاج الى تكاليف اذا كانت تمدها اغاثة الاعضاء ؟

ج : هذا صحيح ولكن من العبث أن تستمر في إصدار مجلة تعمل جهات مختلفة على تحطيمها ، وعدم اذاعتها بين الناس بحيث لا يباع منها الا عدد ضئيل جدا مع العلم انها باعتراف اقطاب الادب في مصر تضارع المجلات المتقدمة في أوروبا .

س : ما السبب الذى من أجله كانت الحكومة تحارب المجلة على النحو الذى تذكره ؟

ج : هذا يمكن سؤال الحكومة عنه ، وعلى كل حال أظن ان تاريخ العالم ملئ بحكومات بعضها متقدم وبعضها رجمى ، والحكومة في ذلك الوقت كانت تلا جدال حكومة رجعية .

س : ألم تكن تحوى المجلة في ذلك الوقت مقالات مثيرة ؟

ج : مسألة مثيرة وغير مثيرة أمر نسبي ، فما تراه أنت مثيرا أراه أنا شيئا عاديا والعكس بالعكس وعلى كل حال اذا كان في هذه المجلة بعض مقالات

مشيرة مما يدخل تحت طائلة القانون فلماذا لم تحاكمنا الحكومة على ما جاء في هذه المقالات . . .

س : هل استمرت جماعة « الفن والحرية » قائمة بعد غلق المجلة ؟

ج : لا أعرف بالضبط ولكني أعتقد أنها لا تزال قائمة دون أن يكون لها مقر فهي تقيم كل سنة معرضا ، وآخر مرة أقيم هذا المعرض في فندق الكوندننتال وكان عبارة عن لوحات في الفن الحديث . . .

س : وهل استمرت عضويتك في الجماعة بعد غلق المجلة ؟

ج : لم تستمر عضويتي فيها لان أصبح لى نشاط آخر . . .

س : هل كنت تتقاضى من مجلة التطور مرتبا ؟

ج : لا . . .

س : اذن كيف كنت تقوم باورد حياتك ؟

ج : كنت مقبلا مع عائلتي . . .

س : ما هو النشاط الخاص الذي اتجهت اليه والذي كان اساسا لتركك جماعة « الفن والحرية » ؟

ج : بدأت اتجه اتجاها اجتماعيا أكثر من الاتجاه الذي كانت تسيطر عليه

فالتفت جمعية « الخبز والحرية » للدفاع عن الطبقات العاملة ولكن بكل أسف قوومت هذه الجمعية من التوليس مقاومة عنيفة لم أفهم لها سببا حتى تحولت من جمعية اجتماعية سياسية الى حلقة فكرية تضم بعض العناصر المتقدمة في الفكر فكانوا يزوروننى في منزلى وكنت أتحدث اليهم في مختلف الشؤون . . .

س : هل اتخذت لجمعية « الخبز والحرية » مقرا خاصا ؟

ج : اتخذت لها مكانا خاصا بشارع محمد على بغمارة المؤيد . . .

س : من الذى كان يقوم بالانفاق على هذه الجمعية ؟

ج : نفقات الجمعية كانت ضئيلة بمعنى انها كانت تكاد لا تتعدى ايجار مكانها وأظن أن مبلغا تامها كهذا . . .

س : التفاهة مسألة نسبية فهل كان من أعضاء الجمعية من يستطيعون دفع هذا المبلغ مضافا اليه النور والخدعة والطبوعات ؟

- ج : نعم كان في الجمعية من يكفى للقيام بهذا
- س : من هم الاعضاء الذين اشتركوا في تأسيس الجمعية في ذلك الوقت ؟
- ج : تالفت الجمعية في بادئ الامر منى ومن عبد العزيز فهمى هيكمل وأسعد
رجليم جرجس ونجوى الرملى وصالح عرابى
- س : ما هو النشاط الخاص الذي أسست على أساسه جمعية « الخبز
والحرية » ؟
- ج : في بادئ الامر كان النشاط ينحصر في لقاء المحاضرات العامة ونشر
بعض المؤلفات المترجمة دفاعا عن مصالح الطبقات العامة أو
ابقاظا لنوع من الرأى العام سواء بالطرق المباشرة أو غير المباشرة .
- س : ألم تكن مجلة « التطور » ترمى الى هذا الغرض ؟
- ج : نعم ولكنها كانت مصطفة بالصيغة الفنية الى حد كبير بحيث انها
لم تكن مرتكزة فيما يتصل بالمسائل الاجتماعية .
- س : ما هو الطريق المباشر وغير المباشر الذى كانت الجمعية ترمى اليه ؟
- ج : الطريق المباشر هو أن تنشر بحوثا تتصل مباشرة بشئون العمال
وغير المباشر هو أن تنشر نوعا من الادب يعالج مسائل المجتمع فتؤثر
في الرأى العام بطريقة غير مباشرة أو على درجتين كما يقولون .
- س : ما هو السبيل الذى كانت ستتخذه الجمعية لتحقيق هذا الغرض ؟
- ج : توحيد الرأى العام حول « الخبز والحرية » وحول الافكار التى
تعمل على اذاعتها .
- س : وما هي الطريقة لاحداث هذا التوحيد ؟
- ج : هي أن تقنع الناس بصحة الافكار التى تنادى بها فاذا اقتنع بها
الناس فانهم بلا شك سيسيرون مع « الخبز والحرية » في كساحها من
أجل بناء مجتمع أصلح .
- س : ولكن ما هي الطريقة التى ستؤدى الى توصيل مبادئ الجمعية الى
الناس ؟
- ج : بالخطب العامة وبالنشرات وبكافة الطرق المشروعة .
- س : ولكن هذا يحتاج الى مال فمن اين كانت ستترد اليكم المادة المؤدية
الى تحقيق هذا الغرض ؟

ج : الطبيعي أننا كنا سننفق انفاقا يتناسب مع عدد أعضاء الجمعية وكلما زاد عدد الاعضاء أمكننا أن ننفق مقدارا أكبر من المال على إصدار هذه النشرات وإقامة هذه الاجتماعات الهامة .

س : هل نشرتم عن الجمعية في المجلات والجرائد ؟

ج : أرسلنا الى جميع الجرائد والمجلات ولكنها لم تنشر شيئا عنها والظاهر أن هذه الجرائد والمجلات تخشى هي الأخرى كل ما هو جديد ، أما المحاضرات التي كنا نعلن عنها فقد كانت تثير اليها ، إلا أن القلم السياسي بكل أسف كان يمتنع هذه المحاضرات .

س : ألم ينشر خبر عن الجمعية في «المجلة الجديدة» أو «حرية الشعوب» ؟

ج : لا أذكر .

س : إذا كان الأمر كذلك فقد سحبت في وجه الجمعية طرق النشر والمحاضرات فما هي الوسيلة إذن لنشر الدعاية عنها ؟

ج : قلت فيما سبق أن الجمعية تحولت تحت ضغط البوليس الى حلقة فكرية . وقلت أيضا أن بعض الأشخاص كانوا يترددون على وكانوا يستمعون الى ما أقول من احاديث ولقد كان هذا في الفترة الأخيرة هو نشاط الجمعية التي كنا نسيها جمعية بحكم العادة . وقد فاتتني أن أذكر أننا أصدرنا نشرة عن «مشاكل العمال في مصر» .

س : كيف كان تكون الجمعية في مبدئها ؟

ج : أنا كنت رئيسها . وكان هناك أربعة أعضاء آخرون ثم انضم اليها بعد ذلك عدد آخر ولكن لا أعرف عناوينهم الآن ، لأن هناك أوراقا كثيرة صودرت ومن بينها استمارات العضوية .

س : ما هي البواعث التي أدت الى ضبط الجمعية وعمل التحقيق الذي تقول عنه ؟

ج : أعتقلت وتقدمت للنيابة وحقق معي . وقد حفظت الأوراق لعدم وجود أدلة وأخرج عني .

س : ومن كان متهما معك في هذه القضية ؟

ج : مجموعة من الناس منهم عبد العزيز سيكل وأسعد حليم وفتحى الرملى وخضر محمود خضر ولييب حنا وغير هؤلاء وقد تعرفت بهم جميعا في إدارة مجلة «التطور» .

س : وما الذي حصل بعد أن أفرج عنك في القضية المذكورة ؟
ج : ظلت أوصل دعوتي إلى الإصلاح ، وكان كثير من الناس يزوروني في المنزل وكنت أتحدث مع هؤلاء الناس ولكن الجمعية كما قلت كانت قد تحولت إلى حركة فكرية أو إلى تيار فكري فلما رأيت أن عدد المترددين عليّ قد كثر فكرت في أن أعيند تنظيم الجمعية أما باسم « الخبز والحرية » ، وأما باسم آخر هو « الحزب الاشتراكي » ، وكنت قد فكرت أيضاً في أن أدعو إلى اجتماع عام يعقد في ١٦ سبتمبر ١٩٤٢ يضم جميع العناصر ذات الميول الاشتراكية في مصر لأعلن تاليف هذا الحزب .

س : هل اتخذت مقراً جديداً للجمعية « الخبز والحرية » بعد أن أفرج عنك ؟
ج : أنا لم اتخذ لها مقراً جديداً وإنما اتخذت مسكناً لي في شارع القصر العيني رقم ٦٥ الف .

س : ولكنك قررت أنك كنت تقيم مع أهلك ؟
ج : أنا كنت أتحدث عن الزمن الماضي .

س : وكيف كنت تنفق بعد أن اتخذت هذا المكان الجديد حتى قبض عليك ؟
ج : أنا تزكت العائلة منذ سنة وفي هذه الفترة أصحرت كتاب « مشاكل العمال في مصر » ، وقد ربحت من هذا الكتاب مبلغاً من المال لا يقل عن الخمسين جنيهها وأظن أن هذا المبلغ يكفيني كبريد عادي من أفراد الشعب .

س : كيف انتشرت الدعاية للجمعية حتى أقبل عليها أشخاص كثيرين كما تقول ؟

ج : انتشرت بمسوة الكلمة المنطوقة التي كتبت أرسلها في أحاديثي والتي كان المستمعون إلى ينقلونها عنى في كل مكان .

س : هل كان لديك سجل تكتب فيه أسماء الاعضاء الذين يشتركون في الجمعية ؟

ج : كان لدى سجل ولكن عندما تحولت الجمعية إلى حلقة فكرية كما ذكرت كنت أكتفي بكتابة الأسماء في مفكرة خاصة .

س : وأين هذه المفكرة ؟

ج : أظن أنها فقدت لأن لم تكن وقعت في يد القلم السياسي .

س : هذه المذكرة لم توجد بين الأوراق المضيطة في منزلك مع أنه وجدت
خطابات وأسماء بعض الأعضاء وعناوينهم تحت الأرسال مما يدل
على أنها نقلت من سجل خاص الامر الذي يدل على أن لديك سجلا
تعهدت إخفاؤه

ج : ليس في هذا شيء من الحقيقة فانا كتبت هذه الخطابات في يوم
الاربعاء مثلا والمذكرة فقدت مني في نفس اليوم أو في اليوم التالي

س : أين كنت تحتفظ بهذه المذكرة ؟

ج : هذه المذكرة كنت أحملها دائما في جيبى والظاهر انها سقطت مني
بعد كتابة هذه الخطابات وقد تأسفت جدا على افتقادها بطبيعة
الحال

س : هل كنت تأخذ أسماء الاعضاء رأسا من هذه المذكرة ؟

ج : نعم وهذه المذكرة عبارة عن ورقة مطوية غير معتنى بها

س : كم يبلغ عدد الاعضاء في الفترة الاخيرة ؟

ج : لا اذكر ولكنى اؤكد أنه عدد كبير

س : وهل الورقة المطوية تكفي لتسجيل هذا العدد الكبير ؟

ج : نعم فقد كانت عبارة عن فرخ من أربعة اوجه وكانت مطوية فكانت
تتسع لكتابة أسماء لأربعة أمثال الاسطر الموجودة فيه

س : ألم تكن هذه الورقة مسودة تنقل ما فيها الى سجل آخر تودعه
جهة لا يصل اليها التفتيش ؟

ج : هذا غير صحيح وهذه المسودة كنت أحفظ فيها الشيء وأخذت وهو
الدعوة الى اجتماع ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٢ الذي كنت أفكر في عقده
وأظن الا داعي لإخفاء هذه الورقة لانني أعتقد انني لم ارتكب
جريمة وأن الاشخاص الذين اتصلوا بي والذين يؤمنون بالانكار القبي
أنادى بها لم يرتكبوا هم أيضا جريمة ولو انني أريد أن أخفي إنتشار
الحركة لقلت لك أن عدد من اتصلوا بي صغير

س : من هم الاعضاء الذين ظلوا في الجمعية بعد أن أفرج عنك ؟

ج : عبد العزيز عيكل كان يتصل بي دائما وأسعد حليم كان يتصل بي من
حين لآخر وفتحي الرملي كنت أراه بطريق الصدفة وكذلك ضالح

عرايى . أما بقية الأشخاص الذين كانوا متهمين مجي في القضية
فكنت أتصل بهم نادراً .

س : هل كان للجمعية في الوقت الأخير مجلس إدارة ؟

ج : أنا قلت أن الجمعية تحولت الى حلقة فكرية . فلم يكن هناك إذن
مجلس إدارة وإنما كان هناك شخص يفكلم الى أشخاص ، وقلت
أيضاً أنني فكرت عندما رأيت زيادة المترددين على منزلي في تنظيم
الجمعية من جديد أو في تأليف الحزب الاشتراكي في الاجتماع الذي
كنت سأعقده في ١١ سبتمبر ١٩٤٢ وبطبيعة الحال بعد تصريح
من القلم السياسي .

س : ولكن الخطابات التي ضبطت عندك والتي ضبطت لدى بعض أعضاء
الجمعية كلها موقَّع عليها بأسماءك تحت كلمة الرئيس مما يدل على
أنه كانت هناك جمعية مثلاً ؟

ج : أنا قلت إن اسم الجمعية ظل يجري على السبنتنا بحكم العادة .

س : كنت توجه الخطابات الى العضو باسم الزميل مما يدل على أن
الجمعية كانت ذات اصطلاح خاص الأمر الذي يدل على أنه كان هناك
تنظيم خاص ؟

ج : كل من كان يتصل بي ويستمع الى وأرى أنه يميل الى المبادئ التي
أنا نادى بها كنت أسميه زميلاً .

س : كانت تحوى هذه الخطابات شئ من التأييد على عدم المحافظة على
المواعيد بما يتناقض صدوره إلا من زعيم الى أعضائه .

ج : هذا كلام يصح أن يصدر من أى أستاذ الى أى تلميذ وهؤلاء الأشخاص
جميعاً هم تلاميذ لي بالفعل .

س : كنت تتكلم في كثير من هذه الخطابات عن الحركة وهذا يدل من ناحية
أخرى على أن الجمعية ذات نظام خاص يرمى الى أحداث حركة
معينة .

ج : الحركة يمكن أن توجد دون وجود جمعية ودون وجود تنظيم خاص
ونحن مثلاً نستطيع أن نقول الحركة الفكرية في فرنسا في القرن
التاسع عشر دون أن يكون لهذه الحركة تنظيم خاص وتستطيع أن
تقول إن الحركة الفكرية التي أنشأها في مصر جمال الدين الأفغانى
دون أن يكون لجمال الدين الأفغانى تنظيم خاص .

س : هذا التفسير في اللابسات التي تذكرها إنما ينأتى على لسان المؤرخين أو من يصفون عصرنا معيننا أما أن يقول شخص عن نفسه أنه زعيم الحركة فهو يدل على أنه يقود جماعة ترمى إلى عمل وتوصل إليه بتنظيم ما .

ج : أنا قلت أن عناك جمعية انتقلت الى حركة فكرية ولما ازداد عدد أنصار هذه الحركة الفكرية فكرت في تكوين الجمعية من جديد أو عقد مؤتمر لاعلان تأليف الحزب الاشتراكي .

س : هل كان للجمعية أمين صندوق ؟

ج : في الفترة الاولى كان لها أمين صندوق هو عبد العزيز هيكل أولا ثم اسعد حليم ثانيا . أما في الفترة الاخيرة فلم يكن لها أمين صندوق .

س : ألم تكن تجمع تبرعات في الاناء الأحمر ؟

ج : كنت أجمع بعض التبرعات في الاناء الأحمر في بعض الاحلين بقصد المحافظة على ارسال بعض الخطابات أو ما الى ذلك .

س : ما هي المحاضرات التي كنت تلقيها على الأعضاء ؟

ج : كنت أتكلم عما أريد تطبيقه في هذه البلاد وكنت أتكلم في كثير من المواضيع الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية

س : أذكر لنا بالتفصيل المبادئ التي كنت تذكرها .

ج : كنت أتكلم عن مشاكل المجتمع المصري عن الفقر والمرض والجهل . كنت أشرح عللة هذه المشاكل وأحصر هذه العللة في نظام الطبقات . كنت أقول ان الكتاب في مصر ودعاة الاصلاح فيها ينظرون الى هذه المشاكل دون أن يفتوا على العللة التي تنبئ عليها ، فهم يقولون مثلا أن الستة عشر مليوناً من المصريين يعيشون بمتوسط ضئيل ، لا يزيد في أحسن الظروف عن عشرة جنيهات في السنة ثم ينادون لاصلاح هذه الزيادة - ونحن ننادى فيها بلا جدال - لكن الزيادة لن تؤخر ولن تقضم في الحقيقة الرهيبة التي يصطبغ بها الواقع المصري فالدخول في هذه البلاد لا يوزع مثل هذا التوزيع وإنما يحظى بالنصيب الأكبر منه بضعة ألوف من الملاك والرأسماليين والتجار والمولدين بينما يعيش سواد الشعب من عمال وملاحين على دخول ضئيلة لا تكفي القوت وهذا التوزيع السيء للدخل يرتبط بلا جدال بالتوزيع السيء لوسائل الانتاج (الأراضي الزراعية والمصانع) نادا كانت وسائل الانتاج مركزة في أيدي فئة ضئيلة من الملاك العثمانيين والرأسماليين فسان

توزيع المنتجات لا بد وأن يتأثر بهذا التوزيع السيء لوسائل الإنتاج
فلكى نعالج الفقر الذي يخيم على أكثر من أربعة عشر مليوناً من
الصيريين لا بد إذن من إلغاء السبب الذي يؤدي إلى هذا التوزيع السيء
في الدخل وهو نظام الطبقات أو بعبارة أخرى لا بد من توزيع عادل
لوسائل الإنتاج بمعنى أن تتولى الحكومة الاشراف على هذه الوسائل
فيستغل جميع الافراد في الدولة كل فرد منهم بحسب قدرته وتعطى
أجراً لكل فرد بحسب العمل الذي يقوم به هذا فيما يتصل بمسألة
الفقر .

أما المرض فإن الكتاب ودعاة الإصلاح في هذه البلاد قد اعتادوا
أن يقولوا إن في مصر خمسين مليون حالة من حالات المرض المختلفة
أو بعبارة أخرى لنفياً لو وزعنا مجموع هذه الأمراض على أفراد
الشعب لأصاب كل فرد منهم في المتوسط ثلاثة أمراض وهم ينادون
لعلاج هذه الحالة بحث الحكومة على إنشاء المستشفيات ولكنها ترى
أن هناك وجهاً آخر لهذه المسألة فمشكلة المرض - كمشكلة الفقر -
تتصل هي الأخرى بنظام الطبقات . فإذا كان الدخل يتناسب تناسباً
طردياً مع مقدار ملكية وسائل الإنتاج فإن المرض يتناسب تناسباً
عكسياً مع مقدار هذه الملكية . ولهذا فنحن نجد أن الأمراض تتركز
في جانب الأغلبية المجردة من الثروة بحيث يصيب في بعض الحالات
أفراد هذه الأغلبية أكثر من عشرة أمراض في نفس الوقت وهؤلاء الكتاب
وهؤلاء الصالحون الذين يطالبون الأغنياء بالعناية بصحة الفقراء
يتصورون بهذا أن الأغنياء قد يمتنون بجزء من المال ينفقونه على
العمال والفلاحين الذين يشتغلون في مزارعهم وفي مصانعهم . وهذا
عبث ما دام في مقدور الجنس البشري أن يتوالد ويتكاثر دون انقطاع
فيعوض هؤلاء الأسياد عن عبيدهم الذين أنفاهم المرض بجبل آخر
من العبيد ينتظرهم نفس المصير . ولهذا فنحن نرى أن المالك يستدعي
الطبيب لهلاج جاموسه إذا مرضت بينما يتترك الفلاح الذي يزرع له
الأرض إذا مرض حتى يموت أو على الأقل لا يعنى به العناية الكافية
لعلاج المرض .

إذن لا بد من حكومة شعبية تشرف بنفسها على كل شيء في الدولة
وأما الجهل فقيد اعتقاد الكتاب ودعاة الإصلاح هؤلاء أن يقولوا أن
عشرين في المائة من أفراد هذا الشعب أو أقل هم الذين يحطون وخدم
بحق العلم . هذا إذا كانت القراءة والكتابة هي الحد الفاصل بين
الجهل والعلم . يقولون هذا ثم يطالبون بالعناية بالتعليم ونشر
المدارس وينسون أن هناك للمشكلة وجهاً آخر إذ تتصل هي الأخرى

بنظام الطبقات . فلو وزعنا عدد الطلبة الذين يدرسون في معاهد العلم المختلفة تبعا لاختلاف مهن آبائهم لوجدنا أن أبواب المدارس لا تفتح إلا لأبناء الأغنياء بينما تغلق في وجوه الفقراء وقد يقال أن أبناء الفقراء يتعلمون هم أيضا والمدارس مملأ بهم ولكن لهذه المسألة سر وهي أن أبناء الأغنياء لا يكفون لإدارة شؤون الدولة الحكومية وغير الحكومية فهم يعمدون إلى تعليم فريق من أبناء الفقراء لكي يكملوا به جهاز الدولة حتى إذا امتلأت الوظائف الحكومية وغير الحكومية ارتفعت بعض الصيحات الرجعية وهي تمثل مصالح المستغلين بضرورة تحديد التعليم - أما نحن فأننا نريد العلم لكل فرد من أفراد الشعب - وهذا بدوره لا يمكن أن يتحقق إلا إذا قامت على رأس البلاد حكومة شعبية تسيطر على وسائل الإنتاج وعلى الحياة الاقتصادية التي هي أساس لجميع الفعاليات الاجتماعية المختلفة ومن بينها التعليم - هذا فيما يتعلق بمشاكل المجتمع المصري ومدى ارتباطها بنظام الطبقات وكنت أتكلم إلى جانب هذا عن طبيعة الاستغلال في المجتمع الحاضر .

كنت أثبت أن كل ربح يحصل عليه صاحب رأس المال إنما يحصل عليه من جهود العمال فالعمل هو الذي يعطي للسلعة قيمتها والعمل يقوم به العمال واذن فكل ثروة في المجتمع الحاضر هي عبارة عن عمل متجمع . واذن فصاحب رأس المال إن كان يحصل على جزء من المنتجات فإن هذا معناه أنه يستولى دون وجه حق على عمل يقوم به العمال . ولكي نلغي هذا لا بد وأن تضع الحكومة يدها على جميع وسائل الإنتاج حتى يعمل جميع أفراد الشعب وتأخذ من كل فرد منهم حسب قدرته وتعطى لكل فرد حسب عمله . وكنت أتكلم أيضا عن موقف الأحزاب المصرية من الشعب المصري . هل هي تدافع عن مصالح طبقات معينة أم تدافع عن مصالح هذا الشعب فكنت أقول أن هذه الأحزاب جاءت لتدافع عن مصالح الطبقات المستغلة فالذي أفاد من الحركة الوطنية هم الراسماليون المصريون ضد الراسماليون الاجانب . والذي أفاد من التيار الديمقراطي هم أعيان البلاد ورأساليوها أما الشعب فإنه لم يمثل أبدا في البرلمان . ولكن هذا لا يمنع من أن نقدر لهذه الحركة قدرها على أن تكمل الديمقراطية السياسية وتدعمها بنوع آخر من الديمقراطية الاقتصادية .

وكنت أتكلم أيضا عن الدور الذي ستلعبه الخبز والحرية في تاريخ البلاد وهو تحقيق مجتمع لا أثر فيه لاستغلال الانسان للانسان . مجتمع تكون على رأسه حكومة شعبية تشرف على الإنتاج وتضمن عدالة التوزيع .

- س : يؤخذ من مبادئك أنك تنادى بالغاء الرأسمالية ؟
- ج : بلا جدال .
- س : ما ذا يكون مصير الاموال المملوكة للامراء ؟
- ج : رؤوس الاموال تنتقل كلها الى حكومة الشعب فنبداً أولاً بنقل شركات الاحتكار الى ملكيتها ، وهكذا في بقية وسائل الانتاج الكبير الى أن يتحقق بالتدرج تحول رأس المال كله اليها .
- س : ألا يجوز أن يكون للشخص ثروة خاصة ؟
- ج : يجوز أن يكون للشخص ثروة خاصة بحيث لا يستغل عن طريقها الآخرين .
- س : اذن أنت تريد بمبادئك أن تلغى النظام القائم ؟
- ج : نعم . أنا أريد بمبادئك أن تلغى النظام القائم . أنا أريد أن احقق نظاماً اصلياً .
- س : وبأى وسيلة تستطيع تنفيذ هذا ؟
- ج : سننشر هذه المبادئ على الناس واذا اقتنعوا بها نستطيع أن ننفذها .
- س : وبأى طريقة تنفذها ؟
- ج : بالطرق المشروعة .
- س : واذا أبى أولى الامر هذه المبادئ ؟
- ج : كيف يأتون ما دامت الاغلبية ستكون معنا ؟
- س : وماذا يكون العمل لو أن الطبقات الحاكمة لا ترى هذا الرأي ؟
- ج : اذا رأت الطبقات الحاكمة غير هذا الرأي سننتقم الى البرلمان بعد أن يفتتح الشعب بها . وبتقدمنا الى البرلمان نستطيع أن نحقق مبادئنا لانه ستكون لنا اغلبية فيه .
- س : لقد ثبت من اقوال كثيرين ممن حضروا دعايتك أنك كنت تقول أنه عند تخرج الحال ستنفذ الامر بقوة السلاح ؟
- ج : هذا غير صحيح وربما أخطأوا السمع أو أخطأوا الفهم .
- س : لقد ذكر اولئك الشهود وبعض المتهمين نص العبارات التي ذكرتها الان في اقوالك وكثيراً من التفصيلات التي أيدت بها مشروعاتك مما لا يدع

- مجالا للشك في أنهم أساءوا الفهم في عبارات استعمال السلاح .
- ج : اظنك تذكر اننى قلت ان بعض الافراد لم يستطيعوا فهم نظرياتى
كنظرية « قيمة السلاح » .
- س : هذه النظرية نقلها عنك تلاميذك فعلا في التحقيق بحرفياتها دون تفهم
لحقيقة المقصود منها أما مسألة استعمال السلاح فهي مسألة ليس
فيها فلسفة أو منطق عميق بحيث يتعذر فيها الفهم أو يخطئها
السمح .
- ج : اننى أعود فأكرر أنه ليس في برنامجي مطلقا ان استعمل القوة المسلحة
وكل من يقول هذا القول أحد أمرين إما أن يكون خاضعا لجبهة ما
أثرت عليه حتى يشهد شهادة زور ، وإما أن يكون قد أخطأ الفهم .
- س : لقد ثبت هذا من أقوال المبلغين عن الحادث وهم سعد زغلول عاشور
وكمال الدين عزت وصلاح الدين محمد الذين تقصموا من أنفسهم
مبلغين دون أن يدري أحد انك ذكرت هذه العبارات .
- ج : لست أدري ان كان هؤلاء قد بلغوا من تلقاء أنفسهم أم تلقاء غيرهم
ثم هناك شيء يدعو الى الشك وهو أن مأمور القسم ذكر لى في المحضر
الذى أجراه معى أن شخصا يدعى سعد زغلول عاشور ومعه زميلان
لا أذكر اسميهما الان يقررون اننى أعمل على القيام بحركة ثورية
مسلحة كما حصل في أسبانيا وشهادة مثل هؤلاء الشهود لا يمكن أن
يؤخذ بها لان هذا القول ملئ بالتناقض فالانقلاب الذى حدث في
أسبانيا انقلاب فاشى ونحن معروفون بعدائنا للفاشية بدلين
ما نشرناه من قبل . ففي جماعة « الفن والحرية » أصدرنا بيانا ضد
الفاشية عندما أحرقت في ألمانيا مؤلفات كبار الكتّاب في الميادين
العامة ، وهاجمناها أيضا في المقالات التى كتبت في مجلتنا « التطور »
وكذلك في رسالة « مشاكل العمال في مصر » .
- س : ذكر كل من ابرام ميخائيل ومحمد أبو السعد وأحمد عبد المجيد صيام
ومصطفى اسماعيل سوييف ومحمد سعيد عبد الله انك ناديت فيهم
بتحريض الشعب على اعتناق مبدأ الغاء الرأسمالية على أن تكون
قوة استعمال السلاح هي الوسيلة لتحقيق هذا المبدأ .
- ج : لم أقل شيئا من هذا . وإذا كان صدر منى هذا حقيقة فهل قال به
جميع الذين استجوبوا في التحقيق ؟
- س : لقد ذكرت هذه الأقوال من المقبوض عليهم محمد سعيد عبد الله و ابرام
ميخائيل ومصطفى اسماعيل سوييف وأحمد محمد أحمد .

ج : هناك أفراد آخرون إذن لم يقولوا هذا القول وهذا دليل على أن هذه الأقوال ليست صحيحة ثم هناك شيء آخر أريد أن أسأله وهو لماذا لم يعتقل سعد زغول عاشور وزميله اللذان لا أذكر اسميهما مع أنه ثبت أنهم متصلون بنا على الأقل من الخطاب الذي أرسلته إلى سعد زغول عاشور ؟

س : لقد أفرجت النيابة عن الأشخاص الذين رأيت إلى الآن من التحقيق أنهم لم يتصلوا بالجمعية ويؤيدوا أفكارها أو انفصلوا عنها لما تبينوا مبادئها ؟

ج : ألا يجوز أن يكون هذا تهرباً ؟

س : تقدم بعضهم بالبلاغ دليل مادي على عدم أخذهم بمبادئ الجمعية وكذلك مركز بعضهم وما ثبت من عدم ترددهم أكثر من مرة واثنتين وانقطاعهم على أثر علمهم بالغرض الجنائي من قيام الجمعية .

ج : جميع المقبوض عليهم لم يترددوا على منزلي أكثر من مرة أو مرتين أما البلاغ فيمكن أن يكون قد قدم تحت تأثير معين .

س : الأشخاص المقبوض عليهم ثبت ترددهم عليك أكثر من خمسين أو ست مرات ؟

ج : ليسوا جميعاً ومعظم هؤلاء الأفراد لم يترددوا أكثر من تردد البلع سعد زغول عاشور ، على أي حال فإنتي أعود فأكرر أن ما قيل عن استعمال السلاح قول لا أساس له من الصحة .

س : ما هو موضوع الاسماء الـ ٢٩٩ التي ضبطت بالكراسة التي ضبطت عندهم ؟

ج : هذه مجموعة من الاسماء حصلت عليها من أشخاص مختلفين لكي أرسل إليهم بياناً أو نداءاً قد أصدره .

س : ما وجه اختيارك لهؤلاء الأشخاص ؟

ج : هذه الاسماء عرضت عن طريق سؤال بعض أصدقائي دون نظام ما .

س : هل لك علاقة شخصية بهؤلاء الأشخاص ؟

ج : لا ، وأنا لا أعرف أغلبهم ولم يست لهم علاقة بالجمعية .

س : هل تعرف شخصاً يدعى القنطراوى ؟

ج : أنا لا أذكر هذا الخطاب ولا أذكر الاصطلاحات الواردة فيه .
س : وجدت عندك أوراق بها مقالات عن الفاشية وثورة الطبقة الوسطى
والديكتاتورية والرأسمالية الضخمة والفاشية والثورة ومقالات أخرى
عن هذا الموضوع .

ج : هذه سلسلة مقالات قام بإعدادها الزميل عبد العزيز نهمي هيكل عن
الفاشية وكيفية قيامها في ألمانيا وإيطاليا وبعض دول أوروبا
الوسطى .

س : وما هذه القصص (عرضنا عليه الاوراق المكتوبة بالالة الكاتبة تحت
نمرة ١٦٦٦٦ من محضر فحص الاوراق) .

ج : هذه قصة روسية لانطون تشيكوف .

س : ومن هو سعيد هذا الكاتب للخطاب المؤرخ ١٨/٢/١٩٤٢ ؟

ج : أنا مثذکر هذا الخطاب ولكن لا أتذكر من الذى أرسله .

س : هل تعرف شخصا يدعى أنور شتا مرسل الخطاب نمرة ٢٠ ؟

ج : أنا أذكر هذا الشخص ولكن لا أعرف عنوانه .

س : هل لك علاقة بحزب مصر الفتاة ؟

ج : كانت لى علاقة بحزب مصر الفتاة ولكنها انقطعت .

س : ورد إليك خطاب بإمضاء مصطفى نائب الحزب .

ج : هو مصطفى الوكيل نائب رئيس الحزب .

س : هل تعرف شخصا يدعى توفيق الالابلى ؟

ج : أعرف هذا الاسم ولكنى لا أذكر صاحبه .

س : هل تعرف شخصا يدعى عباس فتحى رضوان ؟

ج : لا أذكر هذا الشخص وربما يكون قد أرسل الى هذا المقال فى مجلة
« التطور » .

س : أنت متهم بأنك أدت ونظمت اتصالاتا جنائيا الغرض منه قلب نظام
الحكم بطريق القوة والعنف .

ج : هذا الاتهام باطل من أساسه وأطلب من النيابة حفظ القضية لان فى
الاقوال التى أدليت بها ما يؤكد أن الحركة التى اتقوم بها بعيدة
كل البعد عن الوصول لاي غرض غير مشروع أو اتخاذ أى طريق
لا يؤيده القانون فى التحقيق هذا الغرض .

تمت اقواله

انتهى

مذكرة

عن هنرى دانييل كوريبيل *

هو هنرى نجل دانييل كوريبيل - الاسرائيلى المعروف وصاحب مصرف كوريبيل . وقد تجنس بالجنسية المصرية فى سنة ١٩٣٩ والذكور يشتغل من عام ١٩٣٨ بتغذية الحركة الشيوعية بمقد ألف جماعة الاتحاد الديمقراطي واتخذ المنزل رقم ١ شارع سكة الفضل تتبع قسم عابدين مقرا لها . وقام هو بأعمال الوكالة فيها . وكان من بين أعضائها . :

ريمون أجيون اسرائيلى

مدموازيل استر ستون اسرائيلية

مدموازيل هنريت ارييه اسرائيلية مدرسة بمدرسة الظاهر الفرنسية

عزرا هيرارى مهندس بشركة موصيرى

وفى عام ١٩٣٩ ألف جماعة الفن والحريية بالاشتراك مع جورج حنين الموظف بشركة مياه القاهرة وأنور كامل عثمان ، وكان هذا الاخير قد تخرج من الجامعة الامريكية سنة ١٩٣٢ بعد حصوله على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان ثم التحق بمصلحة المساحة فى الدرجة الثامنة براتب قدره ستة جنيهات شهريا حيث نسب اليه (أى الى أنور كامل) أثناء وجوده فى خدمة الحكومة :

أولا : العيب فى الذات الملكية غير ان التهمة لم تثبت قبله

ثانيا : اصداره بيانا مقارنا عن حالة العمال والفلاحين وصغار الموظفين من جهة وحالة الملاك وأصحاب الصناعات وكبار الموظفين من جهة أخرى ففصل عن عمله فى يونيو ١٩٣٩ . وأحيل الى النيابة العامة ولكن الدعوى لم ترفع عليه . وفى يناير ١٩٤٠ أصدر أنور كامل المذكور هو ومحمود فتجى الرملى ممن قطعوا شوطا فى التنظيم الثانوى مجلة « التطور » الشهرية لتكون لسان حال لجماعة الفن والحريية ومن بين ما ورد فى بعض أعدادها :

أ - الشعب يموت جوعا فى ظل الحياة النيابية :

ب - يا عمال العالم اتحدوا .

* واردة بملف قضية الشيوعية للكبرى عام ١٩٤٦ فى الصفحات ١٠٩٤ - ١٠٩٥ (المؤلف)

وقد قررت ادارة المطبوعات شطب المجلة المذكورة من اعداد الصحف ،
وذلك في ١٧ ديسمبر ١٩٤٠ لعدم قيام صاحبها بدفع التأمين البنصوص
عليه في المادة ١٥ مطبوعات .

وفي عام ١٩٤٠ أسس المذكورون نادي الثقافة والفزاع ، بشارع
الفلكى ثم بشارع أبو السباع الكان يهيمن على النادي اسرائيلي هو مارسليو
ماريو وزوجته جانيت وكانا على صلة ببيئة شيوعية فلسطينية وكانا يمدان
أنور كامل عثمان بالمسال وكان ظاهر النادي الرياضة والثقافة وحيثقة
الدعاية للشبوعية الى أن أغلق في أغسطس ١٩٤١ وفي ١٦ سبتمبر الفوا
جماعة الخبز والحرية وكان معهم عبد العزيز هيكل الطالب وأسعد حليم
وعبد الرحيم صالح عرابي الصحفيان وكان هذا الاخير مع فتحي الرملى
يكونان جمعية نحن أنفسنا ، وأغراضها متفقة مع أغراض جماعة الخبز
والحرية .

مذكرة معلومات عن

هنرى دانييل نسيم كوريبيل *

سن ٢٥ سنة يقيم بشارع حسين صبرى باشا رقم ٣٦ بالزمالك وله مكتب بشارع الشواربى رقم ٦ بدائرة قسم عابدين ، ووالده ايطالى الجنس ولكن هنرى حصل على الجنسية المصرية بتاريخ ١٩/١٠/١٩٣٩ .

وهو شيوعى خطر يغذى للحركة الشيوعية بالقاهرة ، وفى شهر يونيه سنة ١٩٤١ استاجر جريدة « خربة الشعوب » من صاحبها رجب أحمد غير وأسند رئاسة تحريرها الى انور ماهر حسن فرج لاستغلالها فى الدعاية للمبدأ الشيوعى ، وقد ألف جمعيات تحت ستار الثقافة ضم اليها بعض الأشخاص المعروفين بمبولهم الشيوعية وهى جمعية « الثقافة والفراغ » وجمعية « الخبز والحرية » * * * و « المركز الثقافى والاجتماعى » وكان كوريبيل يحركها من وراء الستار حتى قبض على زعماء الجمعية الاولى وهى « الثقافة والفراغ » فى تاريخ ١٥/١٠/١٩٤١ واعتقل رئيسها اسرائيل مارشيليو ماريو الايطالى وتولت النيابة التحقيق الذى حفظ اداريا فى تاريخ ٢٧/١١/١٩٤١ ، كما قبض على أعضاء جمعية الخبز والحرية بتاريخ ١١/٦/١٩٤٢ وهى برئاسة الشيوعى انور كامل عثمان وأخطرت النيابة بالحادث وتقييد برقم ١٤٩ - جنائيات عسكرية سنة ١٩٤٢ ولم يتم نظرها بعد حيث أحيلت لدور مقبل لم يحدد لأن كما قبض على زعماء « المركز الثقافى والاجتماعى » وهم سلامون سليم سدى وتوماس بلاموتس وعزرا عزراى بتاريخ ١٣ - ١ - ١٩٤٣ وصدر امر رفعه الحاكم العسكرى العام باعتقالهم فى ١٦ - ٦ - ١٩٤٣ وأفرج عن سلامون سليم سدى فى ١٢ - ٦ - ١٩٤٣ وأفرج عن توماس بلاموتس وعزرا عزراى بتاريخ ١١ - ١٠ - ١٩٤٣ مع مراقبتهم لمدة ثلاثة أشهر قابلة للتجديد ، وقد انتهت مراقبة سلامون سدى فى ١٨ - ١١ - ١٩٤٥ ، وانتهت مراقبة توماس بلاموتس وعزرا عزراى فى ٥ - ٧ - ١٩٤٥ .

* مذكرة المعلومات هذه قدمتها حكومة بوليس مصر للنيابة العامة عند القبض عليه فى عام ١٩٤٦ . وهى تتضمن معلومات هامة عن شخصيته ونشاطه وعلاقاته . . .

وهى مودعة فى ملف القضية فى الصفحات ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨

(المؤلف)

* * * لم يكن كوريبيل من مؤسسى « الخبز والحرية » (المؤلف) . . .

وقد قبض على هنري كوربيل في ١٩٤٢/٨/٤ بناء على أمر رفعه الحاكم العسكري العام وقتئذ واعتقل بدار معتقل الزيتون حتى أفرج عنه يوم ١٩٤٢/١٠/١١ ووضع تحت المراقبة العسكرية بمنزله لمدة ثلاثة أشهر قابلة للتجديد حتى رفعت عنه الرقابة في ١٩٤٥/٧/٥ بناء على قرار دولة وزير الداخلية . وفي شهر ديسمبر ١٩٤٤ أوعز هنري كوربيل إلى أحد أبنائه الشيوعي محمود فتحي الرملي بأن يتقدم لترشيح نفسه لعضوية مجلس النواب عن دائرة السيدة زينب وأمه بالمال اللازم ، وعاونته معاونة صادقة بالاشتراك مع أبنائه رغم علمه باستحالة نجاحه وكان غرضه من ذلك نشر المبدأ الشيوعي وقد أبلغ ذلك إلى سعادة حسن غنيمي رفعت باشا بكتابنا رقم ب/١٣٧ بتاريخ ٣١ - ١٢ - ١٩٤٤ .

وهنري كوربيل يعمل جهد استطاعته على نشر الوعي الشيوعي يتبعه في ذلك بضعة شبان أنشطهم كمال شعبان الطالب بمدرسة الفنون الجميلة العليا وحسين كاظم وعبد هيب وعبد الماجد حسبو ومحمود العسكري * وإبراهيم حافظ البطار .

* غير صحيح أن محمود العسكري كان على علاقة ما بهنري كوربيل فالثابت أن العسكري بدأ نشاطه اليساري مع جماعة « النجر الجديد » (المؤلف) .

سرى سياسى رقم ب/١٣٧ - سنة ١٩٤٤

مذكرة عن الجبهة الاشتراكية

حضرة صاحب السعادة حسن فهمى رفعت باشا

الحاقا لكتابنا لسعادتكم رقم ١٢٣٥ بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٤٢ بشأن
هنرى كوربييل وتغذيته الحركة الشيوعية التي كانت تقوم بها جمعيتى
« الثقافة والفراغ » و « الخبز والحرية » وقيامه ببيع بعض الكتب الشيوعية
بمكتبته (مكتبة الميدان) الكائنة بميدان مصطفى كامل باشا رقم ٥ قسم
عابدين ، وصدور أمر عسكري وقتئذ باعتقاله وتنفيذ ذلك بتاريخ ٤ أغسطس
١٩٤٢ ، ثم الافراج عنه مع وضعه تحت مراقبة البوليس عسكريا بالقاهرة
لسدة ثلاثة شهور تجددت حتى الآن .

وبالنسبة لكتابنا لسعادتكم رقم ب/١٣٧ بتاريخ ١٦ يناير ١٩٤٣
بشأن قيام بعض زعماء المركز الثقافى الاجتماعى الذى كان مقره بسكة
الفضل رقم ١ ، بنشر الدعوة الشيوعية والذى كان يستأجر داره ويديره هنرى
كوربييل وضبطهم وتولت النيابة التحقيق معهم وصدور أمر الحاكم العسكري
العام باغلاق الدار المذكورة واعتقال زعماء هذه الحركة وهم :

توماس بلاموتس

سلامون سليم سحنى

عزرا هوارى

ثم الافراج عنهم ووضعهم تحت مراقبة البوليس عسكريا بمحال انقامتهم
بالقاهرة لسدة ثلاثة أشهر تجددت حتى اليوم .

أتشرف بابلاغ سعادتكم اننا علمنا ان هنرى كوربييل المذكور الف أخيرا

• نص رسالة موجبة من سليم زكى حكمدار بوليس مصر بالنيابة الى
حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية حول نشاط الجبهة الاشتراكية
والرسالة مؤرخة فى ٣١ - ١٢ - ١٩٤٤ . وهى مودعة بملف قضية الشيوعية
الكبرى عام ١٩٤٦ فى الصفحات رقم ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ -
١٠٩٢ (المؤلف)

جماعة أطلق عليها اسم الجبهة الاشتراكية من بين أعضائها كل من **
محمود فتحى الرملى - صحافى ومقيم بشارع مجلس النواب رقم ١ قسم
السيدة

محمد فتحى الرملى - مدير دار التعاون الصحفى بشارع مجلس النواب
وسكنه شارع مجلس النواب قسم السيدة

رمسيس يونان - صحافى - ومكتبه بشارع علوى رقم ١٠ ومقيم
بالنزل رقم ٥ بدرب اللبانة قسم الخليفة

لطفالله سليمان - موظف بمكتبة النهضة شارع المغربى وسكنه درب
اللبانة رقم ٥ قسم الخليفة

جورج حنين - موظف بشركة مياه القاهرة ومقيم بمنزل والده سعادة
صادق حنين باشا بشارع الوابور بروض الفرج

عبد العزيز سالم هيكل - موظف بوزارة المعارف ، ومن خريجي كلية
النجارة ومقيم بشارع وهبى باشا رقم ١٠ قسم السيدة

موسى عيد الحميد الشهير بالكاظم - موظف بوزارة المعارف ، وسكنه
شارع تدرى عطفة الشيمى رقم ٢ بركة الفيل قسم السيدة

محمد ناهيد أبو زهرة - طالب بكلية الحقوق ومقيم بشارع فاروق حارة
طود رقم ٥ قسم باب الشعرية

أنور كامل عثمان - موظف بقسم الحدائق بحديقة الأورمان وسكنه
شارع مراد بك رقم ٧ بالجيزة

فؤاد كامل عثمان - طالب بمدرسة الفنون الجميلة العليا وسكنه
شارع مراد بك رقم ٧ بالجيزة

حسين صالح ذهب - سكرتير نقابة خدم المنازل - رقم ١٥ شارع سامى
ويقيم بهذا العنوان أو بملك والده صالح ذهب بعمطة المكتب بالشيخ عبد الله
قسم عابدين

عبد الوهاب محمد - بمطبعة الرغائب

** ليس صحيحا أن كوريبيل شارك فيما سمي بالجبهة الاشتراكية أو انه
تعاون مع كثير من الأسماء الواردة في هذه المذكرة خاصة وأن معظمها كانت
ذات ميول تروتسكية ، ولعل هذا الخط بوضوح تخبط معلومات رجال الامن أو
حرصهم على الصان كل تحرك بيكوريبيل كيمرر لاضطهاده (المؤلف)

إبراهيم إيليا مسعود - طالب بمدرسة الفنون الجميلة العليا ويقم
بشارع بين الجنين رقم ١٢ - الوايلي

خضر محمود خضر - خريج الهندسة التطبيقية وسكنه شارع السلمانية
رقم ١٢٤ قسم بولاق ، أو يظرة البلد ، أو طرف والدء محمود خضر نجار أرانيك
بشارع سوق العصر القديم قسم بولاق

بحور منشة - وقد ضبط وهو يكتب على جذران المنازل بدائرة قسم
عابدين والوايلي عبارات للدعاية الشيوعية وهي :

الاشتراكية ستقود العالم ، الاشتراكية ضد الاستعمار - وبتفتيش
مبزه ومكتبه وجبت أوراق ومذكرات وكتب تدل على أنه من معتنقى المبدأ
الشيوعي وتتضمن تعريضا بنظام الحكم القائم كما تدل على أنه متصل
بمحمود فتحى الرملى ورمسيس يونان وآخرين وقد اعترف المتهم شفاهة
بكتابة النجمل المذكورة لأنه من أتباع محمود فتحى الرملى ويروج لانتخابه
ويدعو الى الاشتراكية

وقد تبلغ ذلك لسيادتكم بكتابنا رقم ٢٢٨٦ سرى سياسى بتاريخ ٢٦
ديسمبر سنة ١٩٤٤ أو نمرة ٢٢٧٧ سرى سياسى بتاريخ أمس

وقد تمادى محمود فتحى الرملى بطبع جطة منشورات تحت ستار
الدعاية الانتخابية تتضمن الايديء الاشتراكية والدعوة لها وقد أبلغنا ذلك
لسيادتكم بكتابنا رقم ٢٣٦٤ ، ٢٢٧٦ بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٤٤

وقما يتضح لسيادتكم أن محمود فتحى الرملى وأفراد هذه الجبهة
يتوهمون بدعاية مثيرة للخواطر ومخلة بالامن العتام وغرضهم الأساسى من
ترشيح محمود فتحى الرملى هو نشر هذه الدعاية

فترجو سيادتكم النظر والتكرم بانغادتنا عما يتبع

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

تحريرا فى ٢٦ ديسمبر ١٩٤٤

حكمدار بوليس مصر

مرعية سليم زكى (ختم)

(٣) وثائق حول موضوع سكا تفال

- * معلومات عن سكا تفال (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)
- * نداء من سكا تفال الى شعب مصر (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)
- * رسالة من سكا تفال الى علي باشا يكن (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)
- * مناقشات في البرلمان المصري (مضابط مجلس النواب المصري)
- * ملخص لقرعة مقال في جريدة "بندر اسلام" الملاوية (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)

سكلا تفاللا

ونائق وزارة الخارجية البريطانية

مكتب السجلات العامة

ملف رقم ١٢٣٥٤/٣٧١

رقم الوثيقة ١٨٨٠

سرى للغاية

- * شاربورجى دورابجى سكلا تفاللا .
- * ابن أخت راتان تاتا .
- * ولد فى بومباى فى ١٨٧١ وتخرج من جامعة بومباى .
- * وصل الى انجلترا ١٩٠٥ .
- * تزوج فى ١٩٠٧ .
- * فى ١٩٠٩ انضم الى فرع مانشستر فى I.L.P.
- * فى ١٩١٦ انضم الى الحزب الاشتراكى الانجليزى الذى أصبح فيما بعد الحزب الشيوعى الانجليزى .
- * أسهم فى جميع الحركات والمؤتمرات والروابط المناهضة للاستعمار .

« انتهى »

نداء من سكان تقالا الى شعب مصر

وثائق وزارة الخارجية البريطانية

مكتب السجلات العامة

ملف رقم ١٢٣٥٤/٣٧١

رقم الوثيقة ١٨٨٠

« لا يجوز تداولها ولا تصويرها إلا بأذن خاص »

٣ يناير ١٩٢٧

الى شعب مصر

أيها الاخوة والأخوات . . .

اننى رجل يؤمن ايمانا عميقا بالشعب ، بالشعب العادى . ان انكسار
وآراء الناس الفقراء والمضطهدين هى عندى أكثر قيمة من آراء كبار الأغنياء
وكبار رجال الدولة .

ولذا فاننى اتوجه اليكم بالحديث أنتم أيها الاخوة والأخوات يا أبناء
أرض مصر العريقة ، أتوجه اليكم أنشد مساعدتكم فى مدة المحنة المشتركة .

أنا رجل انجليزى الجنسية ، لكننى كرسيت حياتى كلها من أجل النضال
دفاعا عن كل البشر المضطهدين والذين اغتصبت حقوقهم الاقتصادية والسياسية
اغتصبها هؤلاء الجشعين الذين يريدون ان يستحوذوا لأنفسهم على كل ما هو
جميل فى هذا العلم ، وأن يفرضوا سلطانهم ، كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا -
على الانسانية جمعاء ، والذين لا يتورعون عن اغتصاب أوطان الشعوب
الأخرى وانتهاك حقوقها .

ان بريطانيا العظمى وهى دولة قوية مولعة ولعاشديدا باغتصاب
حقوق الشعوب الأخرى ، وبفرض سيطرتها عليها مستندة الى مختلف الحجج
والذرائع .

لكنه وفى بريطانيا العظمى نفسها يوجد الملايين من أبناء الطبقة العاملة
الذين لا يشاركون فى حكم بلادهم ، ولا يرغبون مطلقا فى أن تفرض بلادهم
نفوذها على شعوب بلدان أخرى .

ومن بين أبناء هذه الطبقة برز الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى ،
ذو الحزب الذي يطالب ويناضل من أجل المساواة والاستقلال للأمم جميعا ،
ومن أجل الحرية والمساواة بين أبناء الأمة الواحدة .

إن حى « نورث باترسى » هو واحد من أحياء الطبقة العاملة في تلك
المدينة الكبيرة ، لندن ، وبزجر هذا الحي بالمواطنين ذوى التفكير التسليم ،
والذين علموا برغبتي في النضال من أجل المظلومين فأبدوا سعة أفق وتخلصوا
من كل الشوائب التي يثيرها كوني من أصل هندي ومن كل المخاوف الزائفة
عن كوني أمثل الأهمية الشيوعية ، تخلصوا من كل ذلك وأرسلوا لي عضوا
في مجلس العموم البريطاني .

ولما كنت العضو الوحيد في مجلس العموم الذي يمثل الحزب الشيوعي ،
ونظراً لكوني من أصل شرقي فإن عملي كعضو في المجلس يواجه صعوبات
شديدة . ذلك اننى أفكر وأتكلم بطريقة تختلف تماما عن بقية الد ٦١٤
عضوا في مجلس العموم .

لكننى بالرغم من ذلك لا زلت أوصل نشاطى مستلهما امانى ورغبات
الفقراء في إنجلترا واسكتلندة وويلز وحتى ايرلندا ، وهؤلاء الفقراء الذين
أذهب اليهم كل يومى سبت واحد لأخطب فيهم ، يقفون معى ولهذا فأننى
لا أشعر بالوحدة في مجلس العموم .

ومصر المسكينة هي الأخرى واحدة من تلك البلدان التي تعاني المتاعب
نتيجة لنهم وجشع عدد ضئيل من العائلات الغنية في بريطانيا العظمى .

وفي البرلمان يدعى جميع أعضاء المحافظين أنهم يريدون اتخاذ موقف
عادل من مصر ، لكن هذا الموقف العنادل يجب أن يحافظ على استمرار حكمهم
وتحكمهم في مصر . أما الأحرار فانهم يدعون اتخاذ موقف أكثر تحررا من
المحافظين لكنهم مع ذلك يرون ضرورة الاحتفاظ بمصر والسودان من أجل
مصالح بلذهم ومصالح الطبقات الغنية . وحتى حزب العمال الذى كان يوما
ما حزبا اشتراكيا يؤمن بالاخوة والمساواة بين الأمم قد تحول بشكل سافر
ومضحك تحت قيادة رامزى ماكدونالد الذى أصبح أكثر ولعا بالاستحواذ
على السلطة لشخصه من ولعه بالاشتراكية للجمامير .

إن الخطاب الوقح الذى أرسله ماكدونالد الى سعد زغلول باشا لهو خير
تعبير عن وحشية وتعطش الغزاة الى دماء شعب أعزل .

والحقيقة أنه ما عن وزير للخارجية من حزب المحافظين أو الأحرار كان
يوسعه أن يكتب مثل هذه الرسالة المخزية والوقحة التي وجهها ماكدونالد
يوما الى زغلول .

وفي محاولة للتستر خلف الالتزام الزعيم بقرارات الحزب فان قادة
المجموعة البرلمانية لحزب العمال لا يتورعون عن الجاهرة بالعمل على انتهاك
حريات شعوب الصائم

ولا شك أن موقفا كهذا يثير الغثيان ، لكننا يجب أن نتمسك بالامل
والثقة التي تبثها في نفوسنا نضالات الشعب العادي في بريطانيا العظمى .
وعندما كان البرلمان البريطاني يناقش مسألة الغرامة التي فرضت
ظلماً على مصر ومقدارها ٥٠٠ ، ٥٠٠ جنيه ، أو عملية الاستئثار بالسودان
لصالح المستعمرين البريطانيين كان على أنا وحدي أن أخوض نضالاً منفرداً
ضد هذا الظلم الفادح .

ليس هناك فحسب ، لكنني توجهت بالنداءات العديدة الى الطبقة
العاملة في بريطانيا العظمى لتعمل على منع قادة المجموعة البرلمانية لحزب
العمال من ارتكاب مثل هذه اللصوصية ضد مصر .

وعلى هذا المنوال ، فانني قد وطدت العزم على الدفاع عن الحرية
القومية لجميع الأمم وعن حقوق العمال والفلاحين في أن يستمتعوا - هم
وليس غيرهم - بشمار كدهم وكنهم .

وعلى أية حال ، فانه من أجل الاستمرار بفاعلية في مثل هذا النشاط
سواء في البرلمان أو في أوساط الرأي العام فان الانسان يكون بحاجة ماسة
الى دراسة الاوضاع الحقيقية بنفسه .

فريما كان الرسميون الانجليز في مصر مخلصون وجاؤون في علمهم ،
لكنهم ربما كانوا أيضاً يتمسكون بوجهة نظر خاصة ، وهذه الوجهة النظر
الخاصة هي التي تسيطر على تصرفات وزارة الخارجية البريطانية ومن حق
كعضو في البرلمان أن اطلب الاطلاع عليها .

وغرق ذلك ، فانني أرى أنه من الضروري أن اطلع بنفسى على آراء
الشعب المصرى ومواقفه ، وتنظيماته وخاصة مواقف وتطلعات عماله وفلاحيه .

لكن المشكلة هي اننى رجل فقير ولولا ذلك لزررت بلدكم العريق بمبرات
عديدة . ولقد تمكنت من ارتقب نفسى لرحلة الى الهند ، وكان طبيعياً أن تتجه
انظاري لزيارة مصر ، وأعددت برنامجاً قصيراً لكنه مشحون بالعمل لهذه
الزيارة التي رايت أن تتم خلال شهر مارس أو أبريل خلال عودتى من الهند
في طريقي الى لندن . وقد بدأت في الحصول على تأشيرات السفر اللازمة مثل
هذه الرحلة وقد حصلت على جواز السفر بعد سلسلة من الاتصالات بوزارة
الخارجية البريطانية متضمناً الآن بالسفر الى الهند ومصر .

و بعد ذلك توجهت بنفسى الى المفوضية الملكية المصرية فى شارع
تشارلس رقم ٧ بلندن طالبا تأشيرة دخول الى مصر واخبرونى هناك انهم
سوف يبرقون الى القاهرة للاستئذان فى منحى التأشيرة .

وفى اليوم التالى اخبرونى ان سلطات القاهرة قد رفضت منحى التأشيرة
ومن ثم فقد قامت القنصلية فعليا بمنعى من زيارة مصر ، تلك الزيارة الضرورية
لممارسة واجباتى البرلمانية سواء تجاه الشعب البريطانى أو الشعب المصرى
المعذب .

ايها الرفاق ... ايها الاصدقاء ...

ما هو معنى ذلك كله ؟ هل منعت من دخول مصر لاننى عضو فى
الحزب الشيوعى ؟ هل ايد أى حزب شيوعى فى أى بلد من بلدان العنانم
استغلال الامبرياليين للشعب المصرى ؟ هل فاضلت أى عضو فى البرلمان
البريطانى من أى حزب من الاحزاب مثلما ناضت انا بحماس وأخلاص
دفاعا عن حقوقكم ؟ انتم يا من كرمتم رامزى ماك دونالد وأخذيتهوه صينية
قهوة من الفضبة ، انتم يا من تكرمون وترحبون بأى عضو آخر من الاعضاء
الستمائة والاربعة عشر فى البرلمان ؟ هل صحيح انكم تمنعون رجلا
فقيرا مثلى من دخول بلادكم لجرد اننى اناضل عن اجل الحرية الكاملة لشعب
بلادكم ومن اجل تخلصه من أى تحكم أو استغلال اجنبى ايا كانت جنسية
القائمين به ؟ وهل من حق اصديقتائى اللهنود ان يفترضوا ان المصريين
يضطهدوننى وأنا العضو الشرقى الوحيد فى البرلمان البريطانى بينما
لا يمنعون أى عضو آخر فى البرلمان ، هؤلاء الاعضاء الذين ايدوا مرض غرامة
النصف مليون جنيه استرلينى على مصر والذين طردوكم من اراضى اقليمكم
السودان ؟ ام ماذا يا شعب مصر ؟ هل برلمانكم مجرد العوبة ، وهل كان
وزراءكم مجرد منفذين مطيعين لتعليمات بريطانيا بمنعى من دخول مصر ؟
ام ان استقلالكم وبرلمانكم محدودا الاثر ؟ ام تخشون اننى بعد زيارتى لمصر
سوف اكف عن اعتقادى بعدالة قضيتكم ؟

تكلّموا ، تكلّموا يا ابناء مصر ... تكلّموا ، تكلّموا بأعلى صوتكم ،
وباصرح وبأسرع ما يمكن ، حتى تستطيع ان استمع الى صوتكم والى
ارادتكم من هنا ، من بعيد من بومباى ...

ولعلنى فى النهاية أستطيع ان ازور مصر فى طريق عودتى ...

شابورجى سكلانغالا

عضو فى البرلمان البريطانى

وفى الحزب الشيوعى البريطانى

رسالة من سكتا تقالا الى عدلى باشا يكن

وثائق وزارة الخارجية البريطانية

مكتب السجلات العامة

ملف رقم ١٢٣٥٤/٣٧١

رقم الوثيقة ١٨٨٠

« سرى »

حضرة صاحب السعادة عدلى باشا يكن

رئيس الوزراء - القاهرة

يا صاحب السعادة

ربما وصل الى علمكم ان طلبى المتواضع الذى تقدمت به طالبا منحنى تاشيرة الدخول لزيارة مصر قد قوبل بالرفض من قبل المفوضية الملكية المصرية فى لندن ، التى ابلغتنى ان هذا الرفض قد تقرر بناء على تعليمات من القاهرة . هل تسمحون لى ان اقرر لكم ان هذا موقف غير عادى وغير مقبول تجاه عضو فى البرلمان البريطانى ؟ اننا لا نزعم لانفسنا تعاليا على القانون ولا استثناء من احكامه ، وفى حالة قيام أى فرد منا خلال اقامته فى مصر باى انتهاك لقانون بلادكم فانه من المتعين اخضاعه للعقاب المقرر وفقا للقانون .

كما ان أحدا لا يطلب منكم انتهاك قواعدكم الدستورية من أجل تلبية رغبة أعضاء البرلمان البريطانى فى زيارة مصر .

وعلى اية حال فان بريطانيا العظمى لا تزال تدعى - ان صدقا او كذبا - سيطرتها على مصر ، ولا تزال تحتفظ بمندوبين رسميين - عسكريين ووجدنيين فى مصر . ومن وقت قريب فرضت عليكم غرامة قدرها ٥٠٠.٠٠٠ جنيهه استرلينى ، ثم أحكمت - بشكل أو بآخر - سيطرتها الكاملة على السودان . وفى مثل هذه الظروف فان واجب عضو البرلمان البريطانى ازاء شعب بريطانيا العظمى وازاء الشعب المصرى المضطهد هو ان يدين كل ما هو خاطئ .

وان منع عضو فى البرلمان من القيام بزيارة هذا هدفها لهو تعنت لا يقبله أى عرف دستوى ولا أى تفكير متحضر :

هل تلتزم حكومتكم بمبدأ عام يقول انه طالما اننى عضو فى الحزب الشيوعى فان ذلك يجردنى من حقوقى كشخص انتخب عضوا فى البرلمان البريطانى ؟

وتوق ذلك ، هل تخلى الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى يوما عن اعلان تأييده لحق مصر الكامل في حريتها التامة الغير منقوصة ؟

أم هل خفى عليكم انه ما من عضو في مجلس العموم البريطاني من ممثلي أي حزب من الاحزاب الاخرى قد دافع عن قضية مصر في جلسات البرلمان البريطاني الامبريالي بنفس الحماس والاخلاص والتفاني التي دافعت بها انا ؟

الاتعلمون سعادتكم ان اتخاذكم قرارا بمعنى من دخول مصر بعد ان منحني وزارة الخارجية البريطانية موافقتها علي ذلك سوف يعطي الفرضه لاعاء بلادكم من البريطانيين لكي يشهروا بموقفكم هذا امام العالم لجمع متخذين منه دليلا علي « الاستبداد الشرقي الضيق الاسق » اذا قورن « بالديمقراطية البريطانية »

أم انكم تتصورون - انتم ايضا - ان عضوا في البرلمان البريطاني يمكن ان يعامل بهذا الاسلوب طالما انه من اصل شرقي بينما لا تجرؤون مطلقا علي منع أي عضو آخر من اصل اوروبي بالرغم من موقفه المعادي لبلادكم ؟

أم ان وزراءكم يخضعون لتعليمات الرسميين البريطانيين ، وان كان الامر كذلك ، أفلا يعتبر ذلك انتهاكا لكرامة مصر ولحرماتها ؟

أم ان الدعاوى المصرية من الضعف بحيث تخشون من أن اغري ايمانتي بها بمجرد رؤيتي لواتعكم ولشعبكم ، انا الذي دافعت عنكم باستمرار دفاعا مستميتا ؟

أم ان الامر لا يعدو ان يكون خطأ ناجما عن التسرع في اتخاذ القرار ؟

وعلى اية حال - وايا كان السبب فأنني اشعر بالامل يحتوي وانا اتوجه الي سعادتكم بهذا النداء الحار باعادة النظر في هذا القرار الصائر من حكومتكم .

وسوف اكون ممتنا غاية الامتنان لو اتصلتم وشرفتموني بارسال

موافقتكم برقيا علي عنواني في بومباي طرف البنك المركزي ببومباي ، وذلك حتى استطيع الاسراع باتخاذ الترتيبات اللازمة لزيارة بلادكم العريقة اثناء عودتي في مارس .

ولشوف اظل دوما - يا صاحب السعادة

الصديق الوفي للشعب المصري المضطهد

شابورجي سكلانغالا

ملحوظة : ارجو ان تقتضوا سيادتكم بارسال نسخة من ردكم الي سكرتيري بمجلس العموم بلندن .

موضوع النائب البريطاني سكلا تفالاً

مضبطة الجلسة العشرين لمجلس النواب

يوم الاثنين ١٧ يناير ١٩٢٧

المقعد بوقاسنة سعد باشا زغول

صفحة ٢٧٤ وما بعدها من المحاضر الرسمية

..... ثم تلى السؤال الموجه من حضرة الدكتور حامد محمود الى حضرة صاحب الدولة وزير الخارجية ونصه : « هل صحيح ان الفوضية المصرية بلندرة رفضت التأشير على جواز سفر مستر سكلا تفالاً العضو في مجلس النواب البريطاني بالترخيص لجنابه بزيارة مصر ؟ »

وهل تصرفت الفوضية المصرية بلندرة هذا التصرف من تلقاء نفسها أو بعد استشارة وزارة الخارجية المصرية ؟ وهل لا يرى دولة الوزير ان الاجدر بالحكومة المصرية ان تصدر الان قراراً تلغرافياً بالترخيص لنائب ينتسب الي هيئة نيابية محترمة بزيارة البلاد ؟ »

وزير الخارجية :

في جدول اعمال اليوم استجواب خاص بنفس الموضوع وسيؤجل هذا الاستجواب .. فبل لا يرى حضرة العضو المحترم تاجيل هذا السؤال حتى ينظر مع الاستجواب المشار اليه في جلسة واحدة ؟

الدكتور حامد محمود :

ارى ان يجاب على السؤال الان حتى يتنور المجلس ويستعد للمناقشة في موضوع الاستجواب ..

وزير الخارجية :

هو كذلك والجواب على السؤال ما ياتى :

« نعم رفضت التنصية المصرية العامة في لندرة التأشير على جواز سفر المستر سكلا تفالاً وقد كان ذلك بناء على التعليمات التي تلقاها من وزارة الداخلية المصرية . اما الاجابة عن الفقرة الاخيرة من السؤال فيالنفى » ثم اشير الى الاستجواب المقدم من حضرة حسن سيد احمد نافع افندى

الى حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية بئشان منح الحكومة المصرية المستر
اسكالا تقالا عضو مجلس النواب البريطاني من الدخول الى القطر المصري .

وزير الخارجية :

يطلب دولة وزير الداخلية تأجيل الاجابة على هذا الاستجواب ثمانية
ايام

الرئيس :

هل يمانع حضرة مقدم الاستجواب في طلب التاجيل ؟

حسن سيد احمد نافع افندى

لا مانع عندي من التاجيل

الرئيس :

اذن تقرر تاجيل هذا الاستجواب ثمانية ايام

موضوع النائب البريطني سكلا نقالا

مضبطة الجلسة الثانية والعشرين

لجئس النواب

يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٢٧

المنعقدة برئاسة سعد زغلول ثم

مصطفى النحاس ص ٣١٦ وبعدها

من المحاضر الرسمية

... ثم تلى الاستجواب المقدم من حضرة حسن سيد احمد نامع افندي
الى صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ونصه :

أ - ما هي الاسباب التي حدثت باحكومة ان تمنح نائبا بريطانيا هو المستر
سكلا نقالا من الدخول الي القطر المصري مع ما اشتهر به هذا النائب
من العطف على مصر والدفاع عنها في مجلس العموم الانجليزي . ومع انه
اعلن بان حضوره اليها انما هو لدرس احوالنا ؟

ب - وهل يتفق هذا المنع وما اعلنته الحكومة في خطبة الرئيس أولا وثانيا
من اطراد حسن التفاهم وتحسن العلاقات بيننا وبين الدول الاجنبية
عامة وبريطانيا خاصة ؟

ج - وهل يتفضل دولة رئيس الحكومة بان يعد المجلس باعادة النظر في هذه
المسألة ؟

رئيس مجلس الوزراء :

المستر سكلا نقالا نائب شيعوي وقد سبق لحكومة الولايات المتحدة
ان منعتة عن دخول بلادها بسبب ما لقيه من الخطب وما دعا اليه من الهياج
والثورة كما سبق ان حكم عليه من المحاكم الانجليزية نفسها بتهمة التحريض
على الاخلال بالامن . ولا يخفى على حضرة المستجوب ان نشر مبادئ الشيوعية
والدعوى اليها عمل معاقب عليه في مصر بمقتضى المادة ١٥١ من قانون العقوبات
وقد جرت الحكومة على محاربة الشيوعية ومنعها من التسرب الى البلاد بمنع
المعتنقين لبادئها من الدخول الى القطر المصري .

لذلك رأت وزارة الداخلية عدم السماح للنائب الشيعوي المذكور بالدخول

الى البيزو وارسلت نواباتها بذلك الى القنصلية الملكية المصرية بلندن . وهذا
المنع لا يخالف ما جاء في خطاب الرئيس وأشار اليه حضرة العضو المحترم
ولا ترى الحكومة محلا لاعادة النظر في هذه المسألة .

حسن سيد احمد نافع اتفدى :

لم أوجه هذا الاستجواب دفاعا عن شخص المستر سكلا تقالا ولا بسبب
الاتحاد معه في أية فكرة اجتماعية أو سياسية ولكن بالنظر لكونه نائبا في اكبر
هيئة نيابية تمثل أمة دستورية وقد منعه حكومتنا من دخول بلادنا ،
رأينا ان واجبنا حيال الشركة في مبدأ النيابة عن الأمة يقضي علينا بمطالبة
الحكومة بالتصريح بالاستجاب الحقيقية التي دعت الى منعه من دخول مصر
لانه لا يليق بنا ونحن امة دستورية في نظر الدول الأخرى ان نعتدى على
كرامة النيابة في حد ذاتها دون بيان الاسباب . لقد منح المستر سكلا تقالا
اداريا من النزول في أرض مصر ولم يشر قرار المنع الى أى شيء من البيانات
التي ادلى بها حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء .

ان نائبا محترما مثل المستر سكلا تقالا يشعر بقيمة المسؤولية الملقاة
على عاتقه بصفته ممثلا لأمة عظيمة وشعب راق لنا معه صلوات كبيرة .

لا أظن أن نائبا مثله يأتى عملا منكرا او يقوم بنشر أية دعوة ضد
نظام البلاد . وهذا نصا عن ان لنا من قوانيننا ما يقف سدا منيعا ضد كل
محاولة للاخلال بأنظمة البلاد المرعية .

عبد الحميد سعيد اتفدى :

هل اطلع حضرة العضو المحترم على التصريح الذي للقاه المستر سكلا
تقالا في الهند ومؤداه ان مصر جزء من الامبراطورية البريطانية ؟

حسن سيد احمد نافع اتفدى :

ذكرت بعض الصحف ان المستر سكلا تقالا صرح بان مصر جزء من
الامبراطورية البريطانية وانه يريد زيارتها ليقف بنفسه على ادارة دولته لهذا
الجزء من الامبراطورية (مقاطعة) . هذا ما ذكرته الجرائد ولكن ورد لاكثر من
واحد من المصريين كتب شخصية من المستر سكلا تقالا ينفي ما ذكرته الجرائد
ويجبر عن آرائه الشخصية نحو مصر ، واسمحوا لي ان اتلو على حضراتكم
ترجمة احدى الفقرات من بعض خطابات

لا مرية أن البرلمان البريطاني لا يفتأ يدعى ظلما واقتدارا حق الرقابة
عليها على المرافق المصرية ويحتفظ بممثلين عسكريين في الاراضي المصرية
والسنودانية . فيصفتى عضوا في هذا البرلمان اجد من واجبي ازاء الشعبين

البريطاني والمصري ان اتى الى مصر لدرس مسائل معينة في مواقعها ،
ويجمل بي ان اذكر لحضراتكم بهذه المناسبة ان المستر سكلاتفالا انضم
بعد انتخابه نائباً عن العمال في سنة ١٩٢٢ ، الى الهيئة المصرية الانجليزية
التي التفتت في سنة ١٩٢١ للدفاع عن مصر. وقد كان هذا من الاسباب التي دعت
الى تقديم الاستجواب لمعرفة اسباب منعه من زيارة مصر ، حتى لا يقنأل
ان دولته اباحت له الحضور الى مصر ومكنته من الحصول على التصريح
اللازم من وزارة الخارجية البريطانية ولكن حكومة مصر هي التي منعتة من
دخول بلادها .

اننا لا نتهيب اى شخص مهما كانت آراؤه لاننا نزن جميع الآراء
والافعال ونكرم كل الضيوف مع احترام قوانيننا ومبادئنا .
الرئيس :

هل تريد ان نصرح له بدخول مصر بعد ان حكمت عليه محاكم بلاده
بتهمة انتجريض على الاخلال بالامن وبعد ان منعتة حكومة الولايات المتحدة
من دخول بلادها ؟

حسن سيد احمد نافع أفندى :

ان اجابة دولة رئيس مجلس الوزراء دلت على اننا لم نتحد شخص
المستر سكلاتفالا .

محمد صالح حرب أفندى :

كنت أنتظر من حضرة الزميل حسن نافع أفندى بعد ان نقلت التلغرافات
المعمومية ما نقلت من تصريحات المستر سكلاتفالا التي اراد ان يستعين فيها
برئيس الوزارة البريطانية على دخول مصر باعتبارها جزءا من الامبراطورية
البريطانية ، كنت أنتظر ان يسحب استجوابه احتجاجا على هذا التصريح .
(تصفيق)

ان هذا التصريح قد أفقد المستر سكلاتفالا كل عطف في هذه البلاد
لان مصر لم تكن يوما ما ولن تكون تابعة للامبراطورية البريطانية . انه ليؤلمنا
سماع هذه النغمة الكريهة من وقت لآخر . ان القلوب التي امتلات بحب
الحرية لا تزال في صدورنا كما ان اشباح النفوس التي سالت دماؤها على حد
السيوف وأسنة الرماح في سبيل الحصول على استقلال البلاد لا تزال ماثلة
امام أعيننا . (تصفيق)

اننا يا حضرات النواب الكرام نغار على استقلالنا ان يمسن حتى ولو

بالكلام ولهذا نحن لا يمكننا مطلقاً أن نقبل في ضيافتنا رجالاً يريد أن يهبط
أرضنا باعتبار أنها جزء من الامبراطورية البريطانية .

لهذا أتقدم لحضراتكم راجياً أن تؤيدوا الحكومة في تصرفها كما اطلب
من الحكومة أن تنظر الى النهاية على منع هذا النائب من دخول بلادنا
(تصفيق)

محمد حافظ رمضان بك :

أردت ان أتكلم في هذه المسألة لأمرين :

الأول - هو أن النائب الوحيد الذي احتج في مجلس النواب البريطاني
على غرامة الخمسمائة ألف جنيه التي فرضت على مصر بسبب حادثة مقتل
السيردار انما هو النائب الذي يمنع الآن من دخول القطر المصري .

والثاني - هو أن هذا النائب الوحيد أيضاً الذي اعترض على الاجراءات
التي اتخذت في السودان ولست ألقى كلامي هذا على عواهنه فان ما أبديه ثابت
في أعمال مجلس النواب البريطاني وفي خطاب خاص أرسله لي النائب المذكور
جاء فيه :

« ليس هناك من شك في أن البرلمان البريطاني مهما كان غير عادل -
ما زال يريد أن تكون له الرقابة العليا على الشؤون المصرية . ما زال يريد
الاحتفاظ بمصطلحيه العسكريين والمدنيين في البلاد المصرية والسودانية ولكن
بعض من أعضاء البرلمان البريطاني كان واجباً على التسعين البريطاني
والمصري أن أحضر الى مصر وأن أدرس بعض المشاكل في مكانها وأن أكون على
علم وتجربة بالروح والحالة العامة للجماعات في الامة المصرية . وبعد قليل
من المناقشات حصلت علي جواز سفر وأسرت عليه وزارة الخارجية البريطانية
في التصريح بزيارة مصر فذهبت الي المفوضية الملكية المصرية بشوارع شارلس
نمرة ٧ بلندن للتأشير عليه يوم ٢٨ ديسمبر وهناك أخبرتني الموظف المختص
بمصرى انه مضطر الى طلب الموافقة من القاهرة » .

لاحظوا يا حضرات الاعضاء انه ليس من المعتاد دائماً ان تطلب
موضوعياتنا من الحكومة المصرية في أمثال هذه الاحوال فلا بد ان يكون قد
أوعز اليه بذلك من الحكومة البريطانية . وجاء في خطابه أيضاً ما نصه :
« وأرسيل أثناء وجودي اثارة برقية الى مصر لاني كنت راحلاً الي الهند في
نفس الاسبوع ، وفي اليوم التالي (الأربعاء ٢٩ ديسمبر) أبلغت زسماً
ان الحكومة المصرية لا توافق على منحى الترخيص وانها لا تسمح لي بزيارة
مصريتادية لواجب عام دون جزء . هل رأيتم جهادي في البرلمان البريطاني
أثناء المناقشة في غرامة النصف مليون جنيه المقوتة التي فرضت على بلادكم » .

وأثناء انتزاع السودان منكم لصالح المولدين البريطانيين ؟ فهل كان أى عضو من أعضاء البرلمان من أى حزب أكثر إخلاصاً لكم وعدالة قضيتكم ؟ ،
في الواقع يا حضرات الزملاء ان هذا النائب لم يك نائباً بريطانيا فقط ، بل الحقيقة أنه عضو في جمعية أنشئت في العالم الغربي وستجتمع في يوم ١٠ فبراير القادم وهي ضد كل استعمار غربي ، جمعية أعضاؤها في جميع البلاد المحايدة كالسويد والنرويج والدانمرك وغيرها ونظيرتها ان جمعية الامم الحاضرة انما هي جمعية حكومات تريد ان تقسم بلاد الضعفاء ، واذا أريد ان توجد جمعية أمم حقيقية وجب ان تكون أعمال جمعية الأمم وتصريحاتها موجهة ضد كل استعمار وللأخذ بناصر الأمم المستضعفة .

ولم يك هذا النائب وحده في هذه الجمعية بل كان فيها أيضا المستر لانسيري النائب البريطاني وزميله المستر جيمس باكستني . ايمقل ان يحضر الى مصر رجل هذا شأنه ليدافع عن الاستعمار البريطاني مع أنه حوكم في بلاده عن أجل آرائه ضد الاستعمار . ولو كانت حقيقة أحوال هذا النائب كما ذكر لمنع من الدخول الى الهند كما منع من الدخول الى مصر ولكن الرجل أراد ان يقيم الحجة على تدخل الحكومة البريطانية في شؤون دولة اعترف باستقلالها بأن طلب التصريح بالسفر بصفته نائبا بريطانيا . علينا ان نحذر آراء بعض الرجال السياسيين هنا وهناك اذا كانوا يعتمدون في ترويج آرائهم على القوة والعنف .

أشير الى قانون العقوبات ولكن عني يطبق هذا القانون ؟ هل يطبق على كل رجل له مبدءا سياسى او اجتماعى ؟ الجواب بالطبع بالنفى لانه لا يعاقب الا من يستعمل العنف في تنفيذ مبادئه . وتأييدا لقولى أذكر ان المحاكم المصرية قد برأت كثيرا من الشيوعيين الذين لم يرتكبوا عمالا يعاقب عليها تنديدا بآرائهم ولا يمكن ان يحاكم الناس على آرائهم وعقائدهم فالآراء والعقائد يجب ان تكون حرة طليقة وليس يصح ان يحجر على الناس في آرائهم وعقولهم .

والخلاصة انه لم يمنع من الدخول الى بلادنا لانه شيوعى به لانه عضو في جمعية ضد الاستعمار . ومن العار يا حضرات الزملاء ان نقف موقفنا سلبيا في مسألة تختص برجل هو الشخص الوحيد الذى دافع عنا في وقت عصيب لم يأخذ فيه بناصرنا أحد . . ورأى الصريح ان نطالب حكومتنا بان لا تستمر في هذا المنع .

عبد الحليم الملايلى بك :

يقول حضرة الأزميل بأن هذا النائب قد منع من الدخول الى بلادنا لأن

أراؤهم ضد الاستعمار. تنال حضرتك عن العلة التي لأجلها منعت الولايات المتحدة دخوله في بلادها ؟

محمد حافظ رمضان بك :

ألا يعرف حضرة العضو المحترم الى أي حد وصل نفوذ بريطانيا العظمى ؟

عبد العظيم العاليلي بك :

حتى في الولايات المتحدة ؟

محمد حافظ رمضان بك :

ألا تعلم حضرتك أنه يوجد في الولايات المتحدة من يعمل للمصالح البريطانية ؟ هل لا يعلم حضرة العضو بوجود ما يسمونه في العرف السياسي بالجنامة الدولية ؟ فإذا لم يكن قد وقع بسبب آرائه السياسية فيماذا تغفل عن الفرص المصرية في أخذ رأي الحكومة المصرية ؟

رئيس دجاسن الوزراء ووزير الداخلية :

نقد يحصل ذلك في الاحوال الاستثنائية ، وقيد اتبع ذلك في حالتنا هذه لانه نائب بريطاني معروف بمبادئه الشيوعية وليس المنع لسبب آخر ، أما دفاعه لنا فنحن نشكره عليه ولكني أصرح بانى لا أنتظر خيرا كثيرا من دفاع الشيوعيين عنا .

محمد حافظ رمضان بك :

ليست المسألة شيوعية ، وإنما هي مسألة سياسية استثنائية فقد دافع هذا النائب البريطاني عن مصر ولذلك أوغزوا الى المفوضية ، أن تأخذ رأى الحكومة المصرية لينسحروا المجال لرفض التصريح بدخوله الى مصر .

عبد الرحمن عزام أفندى :

أزيد أن استعلم أولا من دولة رئيس مجلس الوزراء هل حصل احتجاج من الحكومة الانجليزية أو من أحد ممثليها على منع هذا النائب ؟

رئيس الوزراء ووزير الداخلية :

لم يحصل أى احتجاج .

عيد الرحمن عزام أفندي :

أردت بهذا السؤال أن ألفت نظر حضراتكم أن الحملة التي أشهرت على المستر سكلّا تقالاً بأنه رجل يؤيد الاستعمار البريطاني ويدعو إليه في مصر إنما هي حملة غير حقيقية أصلاً ولا تستند إلى شيء من الصواب . والدليل على ذلك أنه لو منع نائب آخر لا يعترف بمبادئ الميتر سكلّا تقالاً المتطرفة لاحتجت الحكومة الإنجليزية على ذلك للتصرف وأنى أرى هذا كافياً في أن يزيل من أذهان حضراتكم آثار الحملة التي أريد بها أن تنزع من قلوبكم العطف على ذلك النائب المحترم . تقبول الحكومة أن المستر سكلّا تقالاً منع من دخول هذه البلاد لأنه شيوعي دخل السجن مرارا ومنع من الدخول في أمريكا وهذا القول غير مجد لان الكافرين من زعمائى المجترمين أعضاء سدا المجلس قد حوكموا ودخلوا السجن فكان ذلك مدعاة لفخيارهم وموضعا لاحترامكم وتقديركم .

.....

نحن لا نريد أن ننشر دعاية ولكننا نطلب من الحكومة ألا تضطهد عقيدة ، وقد كان الاجيدر بها أن تسأل المستر سكلّا تقالاً قبل كس شيء عن الغرض من محيئه إلى بلاننا أما أن ترفض الحكومة التصريح بدخوله إلى بلاننا دون أية مخابرة كما ترفض مجرما شديد الاجرام مع أنه نائب منتخب رغم ارادة الاحزاب الانجليزية كلوبا في دائرة (باتريس) فهو اذا رجل عظيم ، ولو لم يكن كذلك (وهو هندي الجنس) لما حاز في إنجلترا أصوات الانجليز أنفسهم وقد تالبت عليه الاحزاب كلها ضده .

لذلك أرجو من الحكومة أن تعيد النظر في مسألة المستر سكلّا تقالاً وأن تتخذ في الوقت عينه كل الإجراءات الكافية التي تكفل منع الشيوعية من التسرب إلى بلاننا لا سيما وأن بين أيديها قوانين شديدة لا توجد في بلاد أخرى فلها أن تطبقها كما تشاء . أما انها تومع دون أن تسأل قبل في نظري تعسف يصح فيه ما قيل من انه نكران للأجيبيل ومخالفة صريحة لآبئيط قواعيد العدالة .

حسين هلال بك :

أؤيد الحكومة كل التأييد في الخطبة التي اتخذتها لمنع المستر سكلّا تقالاً من الدخول في هذه البلاد ، أؤيدها أولا للاعتبارات التي ذكرت أمام هذه الهيئة المحترمة وأخص بالذكر منها اعتناقه للافكار الشيوعية التي نحاربها جميعا .

وأرى أيضا أنه يجب علينا أن لا نطمئن مطلقا إلى أي إنجليزي مهما
كانت صفته . (ضجة)

الدكتور محبوب ثابت :

يا حضرات النواب . . . انى أرى من الخطر ومسألة العمال عنيفا في أول
نشأتها والمجلس مهتم بها جد الاهتمام أن يسمح بالتهويش عليها باختلاطها
بغياصر تدخين بالمشيوعية أو ينسب اليها اعتناق هذا المبدأ . وبصفتي نائبا
تشرفت بالحضور إلى هذا المجلس للدفاع عن مصالح العمال مع زملائي الافاضل
من النواب وللمساعدة في الحكومة (ضحك) أرى ونحن في وقت يراد فيه الصيد في
إزاء العكر بكل الوسائل ان من واجبا أن لا نمكن شيوعيا كائنا من كان
من الحضور إلى هذه البلاد .

حفتى محمود سليهان بك :

لقد اتخذت الحكومة مع المستر سكلّا تقالا تلك الاجراءات القاسية
مستندة إلى أن مبادئه تختلف مع مبادئ ونظم للبلاد ولكنى أشعر بأن في هذه
البلاد مبادئ تتعارض في تطرفها وخطرها مبادئ المستر سكلّا تقالا ، فإذا كان
المستر سكلّا تقالا شيوعيا متطرفا فان هنا قوما متطرفين في الرجعية يقومون
في جامعنا الوحيدة بنشر مبادئهم وبثها في أبنائها فهل لنا وقد سمعنا
من الحكومة أنها منعت حضرة النائب الشيوعي من الدخول إلى القطر المصري
من أجل مبادئه . ان نطلب من الحكومة أن تذكر أن مبادئ أولئك القوم تناقض
أول مبدأ من مبادئ الدستور وهو أن الامة مصدر جميع السلطات (تصفيق)

عبد السلام عبد الغفار بك :

اننى وُيد الحكومة بكل قواى في الاجراءات التى اتخذتها ضد المستر
سكلّا تقالا ولست أرى لحضرات النواب أى حق في أن يغمروا الحكومة ويلمزوها
لانها فعلت ما فعلته أمريكا وهي أغنى بلاد العالم . ان الحكومة باجتهادها
مثال الولايات المتحدة في تصرفها إزاء حضرة النائب الشيوعي المحترم عد
رغبت من شأن مصر الناضجة .

. . . وعلى كل حال فالشيوعية مكروهة وأنا أحيى تصرف الحكومة في
هذا الحادث وأرجو أن تؤيدوها وأن تطلبوا منها الاستمرار على اتباع
هذه الخطة .

الدكتور عبد الخالق محمد سليم :

ان ما أعرفه من مئات الهنود الذين كنت أقابلهم بلندن يوم كنت طالبا
بها انهم يكثرون الشكوى من الإدارة البريطانية وبالتالي تكونت جمعيات

* ورت في المنيظة ، وأساعدة ، وطلب صاحب الكلمة في الجلسة التالية
تصحيحها إلى ، وبمساعدة ،

مختلفة . وبما أن حضرة النائب الشيوعي امتدى الاصل فاني أرجو أن يقصر
مجهوداته على بلاده الاصلية الهند وأن يحصر مساعيه في الدفاع عن مصالحها .
أحمد رمزي بك :

قال بعض زملائي الأفاضل أن بلدنا ديمقراطي لا يجوز أن تحارب فيه
حزبية الفكر وعسدى الديمقراطية شيء والشيوعية شيء آخر فإن الشيوعية تهدم
المساواة . . . وتجعل طبقة تملو غيرها من الطبقات كما انها لا تحترم الملكية
ولا تعرف الحرمات التي أقرها الدستور . قالوا أيضا ان احترام الفكر واجب
ولكن إذا كان الرجل يجيء الينا ويخرج كما دخل فلا بأس من ذلك ولكنه
سيجىء كما جاء في خطاب حضرة النائب المحترم حافظ رمضان بك ليدررس
الثقون الاجتماعية وكل خوف من هذه الدراسة ، لأنه لا يستطيع دراسة هذه
الشؤون الا باتصاله بالعمال وبشبه بينهم روح الشيوعية (ضجة) .

الرئيس :

لقد تكلم الآن جميع الخطباء الذين طلبوا الكلمة ولكن بعض الذين تكلموا
يريدون إعادة الكرة .
أصوات بقتل باب المناقشة .

الرئيس :

تقدم اقتراح من عشرين عضوا بطلب انقالب باب المناقشة فمن
يعارض أحد في ذلك ؟
أصوات : كلا .

الرئيس :

اذن يقتل باب المناقشة والآن أتلو على حضراتكم ما قدم من الاقتراحات
تقدم اقتراحان أحدهما من حضرة عبد الرحمن عزام أفندي وحفني محمود
بك ونصه :

« نقترح أن تعيد الحكومة النظر في مسألة المستر سكلا تفالا وأن تسمح
له بالدخول في القطر المصري اذا تعهد بالا يتكلم وبالا ينشر الدعوة الشيوعية
في مصر . »

يخجل الى أن هذا الاقتراح غير مناسب في صيغته لطبيعة الاستجاب لان
الاستجاب ينتهي بقرار من نوع آخر وأظن أن الأقرب الى ذلك هو الاقتراح
الثاني المقدم من حضرة محمد صبرى أبو علم أفندي وهذا نصه :

« المجلس بعد سماع بيانات حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس
الوزراء يكتفى باثباتها وينتقل الى جدول الاعمال » .
فهل توافقون على هذا الاقتراح الاخير . . . ؟

وافق الحاضرون بالاجماع ما عدا أربعة أعضاء . . .
الرئيس : . . .

وثائق وزارة الخارجية البريطانية

« سرى »

رقم الملف ١٠١

التاريخ : ٢٦ - ٧ - ١٩٢٧

ملخص

لترجمة مقال منشور في جريدة « بندر اسلام » المملوكة الصادرة في

٤ يوليو ١٩٢٧

بعنوان « عصبة النضال ضد الامبريالية ومن أجل التحرر الوطني

تحدث المقال عن العصبة ونشاطها وعن تقرير السكرتارية العاليه
حول النشاط الذى قامت به خلال الفترة بين شهرى فبراير ومايو ١٩٢٧ .

ويؤمّن المقال معلومات تقول أن السيد مظهر البكرى قد اقترح
تكوين فروع لهذه العصبة في كل البلدان العربية على أن تبذل جهود بعد ذلك
لتوحيد هذه الفروع وتكوين قيادة مركزية عربية لها ويمكن أن يطلق عليها
اسم « عصبة تحرير البلدان العربية » .

كذلك اقترح السيد بكرى أن يعقد مؤتمر عربى للنضال ضد الامبريالية
في القاهرة وذلك بهدف تعزيز النضال العربى ضد الاستعمار .

وقال أنه قد تم الاتصال بالفعل بعدد من الشخصيات المصرية لبحث
الامر معها ومن بين هذه الشخصيات التى تم الاتصال بها عضو فى البرلمان *

وسوف يدعى الى هذا المؤتمر أيضا مندوبون من الصين ونيوزلاندا
واندونيسيا وانجلترا والهند .

* يعتقد أنه حافظ رمضان - لان العصبة كانت على اتصال به وكان فى هذه
الفترة عضوا فى البرلمان .

(٤) نقاربر شخصلية ومأزر نقاش

- * مأزر نقاش مع محمد دويدار .
- * مأزر نقاش مع ادوارد ليفى .
- * مأزر نقاش مع ايلى ميزان .
- * مأزر نقاش مع جاكو دى كومب .
- * مأزر نقاش مع ريمون أجيون .
- * مأزر نقاش مع دينا فورتي .
- * مأزر نقاش مع مارسيل ميسيكوا .
- * مأزر نقاش مع راؤول كوريبيل .
- * مأزر نقاش مع أنور كامل .
- * تقرير مارسيل اسرائيل (بدايات الحركة العمالية فى مصر)
- * مأزر نقاش مع فتحى الرملى .
- * مأزر نقاش مع اسعد حليم .
- * مأزر نقاش مع هنرى كوريبيل .
- * مأزر نقاش مع عبده ذهب .

محضر نقاش مع محمد دويدار*

جلسة المناقشة الأولى (القاهرة) ٢٢ - ١ - ١٩٧٠

س : كيف انضممت الى الحزب ؟

ج : كانت نقطة التحول في حياتي هي اطلاعي على كتابات شبلي شميل وقد اشتريت الجزئين بجنينها . ولك ان تتصور كيف يمكن لي عامل بسيط مثلي ان يختر من مرتبه مبلغا كهذا يشتري كتابا . وقد اثرت في كتابات شميل تأثيرا كبيرا .

وكان لي اخ اصغر مني اسمه محمود دويدار كان يعمل صانع احذية في محل بالاسكندرية يمتلكه اخو الشيخ صفوان ابو الفتح . وكنت بطبيعته عملي في السكة الحديد اكثر من التردد على اخي بالاسكندرية . وتعرفت هناك على الشيخ صفوان ابو الفتح . وكانت هذه نقطة التحول الثانية في حياتي . فقد نظم لي الأفكار والخواطر التي كانت تتوحد بها نفسي وشرح لي كثيرا من مبادئ الاشتراكية وأبكارها لكنه لم يضمني للحزب .

وفي سنة ١٩٢٧ كنت أعمل في طنطا وكان لي زميل اسمه احمد عبد العزيز كان هو ايضا عطشجي بالسكة الحديد . وفي احد زيارتي له اطلعني على خطابات وصلته من اخيه محمد عبد العزيز الذي كان في موسكو في ذلك الحين وبهرني وصفه للحياة في الاتحاد السوفييتي وقد دفعني هذا الى توطيد علاقتي باحمد عبد العزيز حتى اطلع على المزيد من المعلومات عن الاتحاد السوفييتي .

(*) ولد في مارس ١٩٠١ وعمل عطشجي في السكة الحديد . انضم للحزب عام ١٩٢٧ . سافر الى موسكو طابا في مدرسة كادحي الشرق اسقطت عنه الجنسية المصرية - عاد الى مصر متسللا عام ١٩٢٧ حيث واصل نشاطه في صفوف الحزب - يعمل حاليا موظفا كتابيا في النيابة العامة لعمال الختمات والادارة (١٩٧٠) وذاكرته قوية الى حد يثير الدهشة وافكاره مرتبة تماما الامر الذي يوحى بكثير من الذمة في المعلومات التي ادلى بها .

ثم عاد محمد عبد العزيز من موسكو وسعيت الى التعرف عليه وفي اول مناقشة سألني محمد عبد العزيز عن انتمائي الحزبي فقلت له انني اميل الى الحزب الوطني لأنه يهتم بشؤون العمال لكنني لا أعمل معهم . وبعد عدة مقابلات ضمنى محمد عبد العزيز الى احد خلايا الحزب في طنطا .

س : هل يمكن ان تشرح لي اسلوب عملكم الحزبي في عام ١٩٢٧ ؟

ج : كان التنظيم سري ، لكنني كنت اعرف ان هناك خلايا في القاهرة والاسكندرية وطنطا وفي اماكن اخرى . وكان شعبان حافظ يتصل بنا في طنطا احيانا ، وفي احيان اخرى كنت اسافر انا الى القاهرة لاقابل محمد عبد العزيز . واتسع نشاطنا في طنطا فانا مثلا جئنا عدد من العمال من بينهم اثنان سافرا الى جامعة كادحي الشرق بموسكو هما عبد العزيز مرعي (براد في السكة الحديد) والثاني اسمه عبد المجيد (لا اذكر بقية اسمه) وكان أيضا عاملا في السكة الحديد . وكانت الخلايا تدرس الماركسية وتداول مناقشات عديدة حول الاوضاع في الاتحاد السوفييتي .

س : كيف سافرت الى الاتحاد السوفييتي ؟

ج : كانت لي رغبة جارفة الى مزيد من المعرفة عن الماركسية وعن الاتحاد السوفييتي وفي احد الاجتماعات تحدثت الى محمد عبد العزيز حول رغبتي في السفر للتدريب في الاتحاد السوفييتي فوافق على الفور وطلب ان استخرج جواز سفر . وهكذا قررت ان اترك اسرتي وعملي (١١ سنة خدمة في السكة الحديد) وسافرت .

س : كيف تمت ترتيبات السفر حتى وصلت للاتحاد السوفييتي ؟

ج : سافرت اولا الى فلسطين ثم الى الاتحاد السوفييتي .

س : لم تعد هناك حاجة الى اخذ جواز سفر في هذه الاسرار فهل يمكن ان تحكي لي تفصيلا كيف سافرت من القاهرة الى الاتحاد السوفييتي ؟

ج : سافرت الى فلسطين حيث كان معي عنوان ارسلت عليه خطابا اعلن فيه وصولي وبعد اسبوعين حضر الى شخص ونقلني الى منزل في يافا وتسلم مني جواز السفر الخاص بي واستخرج لي فيزات للسفر الى سوريا ثم لبنان ثم تركيا للقضية .

وبعد ذلك وصلت الى يافا مركب سوفيتية فقطعوا لي تذكرة عليها علي اساس اني مسافر الى استانبول . ثم سلمت رسالة خاصة الى مسؤول

السفينة فنقلني الى مكان سرى في السفينة وشطب اسمي من سجل المسافرين لان السفينة كانت ستتم ببورسعيد والاسكندرية في طريقها الى اسطنبول وكان البوليس المصري يفتش المراكب السوفيتية تفتيشا دقيقا وعنديما وصلنا الى الاسكندرية اليسونى ملابس احد البحارة ثم اختبأت في عتير البضائع حتى غادرت السفينة الميناء .

واخيرا وصلت الى اوديسا حيث بقيت اسبوعين ومن هناك الى موسكو حيث انضممت الى « جامعة ستالين الشيوعية لكادحي الشرق » .

س : كن ادخل في نقاعسيل حياتك بالادب - جامعة لكن ما هي انطباعاتك العامة ؟

ج : الانطباع العام هو ان المجموعة العربية كانت محط اهتمام العناصر اليهودية الاصل ، وكان المصريون اقلية (حوالي ١٢ شخص) وكان هناك حوالي ٢٠ فلسطيني وآخرين من الجزائر ومراكش والعراق وسوريا لكن هؤلاء كانت غالبيتهم من اليهود . والمصريين فقط هم الذين لم يكن بينهم يهود . وكان معظم موظفي القسم الاداريين والترجمين من اليهود العرب أيضا وكانت لنا نحن المصريون وجهة نظر في ذلك ، واعلنا ان هذا التكوين لا يتلائم مع طبيعة ظروف البلدان العربية . وكذلك كنا نحن المصريين حريصين على ان نتعلم اللغة الروسية بسرعة فادركنا ان المترجمين لا يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة وانهم يترجمون ترجمة رديئة .

وباختصار دخلنا نحن المصريين صراعا ورفعنا شعار « اربيزاتسيا » أي التعريب لكننا هوجمنا بشدة بل ونظمت لنا محاكمة في الجامعة بججة اننا شوفينيين واعداء للسامية وللأسف فان العناصر العربية الاخرى برغم من ثورتها الا انها انجرفت في التيار وشاركت الاخرين في حملة الهجوم على العناصر المصرية الامر الذي ادى الى عزلنا والى هزيمتنا في معركة التعريب .

جلسة المناقشة الثانية - (القاهرة) ١٧-٣-١٩٧٠

س : اتفقنا في المرة السابقة على ان نعيد مناقشة ما سبق طرحه من موضوعات بعد ان تكون قد رتبنا افكارك حولها والآن اسمح لي ان اعود الى نفس الاسئلة السابقة . . . كيف انضممت للحزب ؟

ج : بالإضافة الى المعلومات التي اطلت بها في الجلسة السابقة اذكر اني جنحت في طنطا . وكنت عضوا في خلية عدد اعضاؤها خمسة ، ولم اكن اعرفهم فقد كانت السرية مطلقة وكنا نستخدم اسماء حركية . واحيانا كنت استدعي لحضور اجتماعات في القاهرة واذكر انني دعيت الى اجتماع في منزل بشارع كلوت بك حضره محمد عبد العزيز وثلاثة من عمال العنابر المناقشة بعض المشاكل العمالية . وكانت معظم الموضوعات الدراسية تتركز حول حالة العمال واستغلال الرأسماليين لهم . وكنا باستمرار نربط بين الرأسمالية والاستعمار .

س : هل يمكن ان تحكي لي تفصيلات عن فترة دراستك بجامعة كادحي الشرق ؟

ج : كان هناك ١٢ مصري اذكر منهم حمدي سلام - عبد الرحمن فضيل (وكان اسمه السري هناك نمبروف) والدكتور حسونة - شعبان حافظ - عبد العزيز مرعي (وكان اسمه السري هناك سيرجيفتش) ذلك اننا كنا نتخذ عنك اسماء سرية .

وكان بالجامعة طلبة من جميع الشعوب الشرقية اترك وقرس ، وعرب وآخرين من مدغشقر وكان عددهم حوالي ٤٠٠٠ طالب .

وكان المسؤول عن القسم العربي يهودي من اصل روسي هو ابو زيام واسمه الدركي (حيدر) وكانت له سلطات مطلقة وكان هناك ايضا مسؤول آخر هو جوزيف برجر . وقد عمل برجر على ان يدخل الى الجامعة ٤ من اليهود ليعملوا كمشرفين على القسم العربي وكانوا عناصر تافهة وضعيفة ويضفون حول انفسهم حالات من القدسية وللزعامة لا يستحقونها . وبعد ان ثارت مشكلة التعريب احضروا من فلسطين اعداد كبيرة من العرب كثيرين منهم عناصر تافهة وغير متعلمة وان كان هناك عناصر جيدة . ولا زلت اذكر بعض الاسماء عبد الفتى الكرمي (مايخت) - نجاتي صحتي (مصطفي) واخوه . . (وكان يتسمى حركيا باسمي شياؤول) محمود الاطرش (مزاد) .

وكان المشرفون اليهود يقومون بتقييم الطلبة وكثيرا ما كانوا يظنون من
شأننا . والحقيقة اننى لا استطيع ان اتهم جميع اليهود لكننى اكد اوقن ان
بعضهم كان هميلا صهيونيا بينما كان هناك يهود مخلصين وقد دافعوا عنا
وتبنوا افكارنا وساندونا واضطهدوا معنا .

س : تقول انكم اضطهدتم . . . هل يمكن ان تحكى بعض التفاصيل ؟

ج : الحقيقة ان العمال المصريين الذين وصلوا الى الجامعة كانوا يثيرون
كثيرا من النقاش والجدل ويكثرون من الادلء بآرائهم . ولا بد ان تعرف ان
المستوى الثقافي للعمال المصرى الذى شارك فى ثورة ١٩١٩ والذى شارك فى
النضال السياسى والنقابى لسنوات طويلة كان اعلى بكثير من مستوى الطلبة
العرب الاخرين .

فأنا مؤلا قلت لك اننى كنت قد درست كتابى شغلى شميل قبل
انضمامى للحزب والحقيقة اننى من فرط اعجابى بشميل حفظت كتاباته عن
ظهر قلب وهكذا امكننى المشاركة فى النقاش اثناء المحاضرات متحدثا عن نظرية
التطور وعن قوانين الجدول والديالكتيك وعن الثورة الفرنسية واخطائها وعن
الجذور الطبقيّة للاستعمار . . . ويبدو ان هذا كان كثيرا بالنسبة لعامل عربى
فى نظر المشرفين على القسم وكانوا هم لتفاهتهم يضيقون بآى نقاش حقيقى
فانهموتى باننى لست برولييتارى خاصة وان خطى كان ممتازا لاننى عملت
خطأطا لفترة وانا صغير وكنت اكتب اللافتات العربية فى اجتقالات الجامعة
بخط جميل . وفى احد المرات قال لى احد المشرفين انت مدسوس على
البرولييتاريا ، لم ار برولييتاريا عربيا يتكلم هكذا أو يكتب خطا كهذا . .

ولكى تتصور مستوى الطلبة العرب الاخرين يجب ان تعرف انه كان
هناك فصل تحضيرى قبل بدء الدراسة وفى هذا الفصل الذى انضمت اليه فور
التحاقى بالجامعة فوجئت انهم يدرسون مبادئ القراءة والكتابة العربية
ومبادئ الحساب . . . وكنت انا مثلا قد بدأت فعلا فى دراسة اللغة الروسية .

وباختصار فاننى اعتقد ان ثمة عناصر كانت تتعهد اختيار الطلبة العرب
من مستويات فكرية وثقافية مختلفة . . . وكانت تضطهد كل عنصر متفتح .
والاضطهاد لم يكن منصبا على المصريين وحدهم وانما على كل عربى متفتح بل
وعلى اليهود المخلصين ايضا .

وفى احد المرات وبعد ان ركزوا هجومهم ضدنى على اساس اننى لست
برولييتاريا قرروا ابعادى عن الجامعة لمدة عام كنى اعلم فى احد المصانع حتى
اخالط العمال واتخلق باخلاقهم ناسين اننى برولييتارى ابن برولييتارى .

س : هل يمكن ان تحدثني عن نظام الدراسة في الجامعة ؟

ج : قلت ان هناك سنة تحضيرية اجتزناها نحن المصريين فوراً ثم هناك بعد ذلك خمس سنوات دراسية وأود ان ألفت نظرك الى ان الجامعة كانت مقسمة الى اقسام مختلفة حسب الجنسيات وانا أتحدث عن القسم العربي فقط ولا اعرف نظام ولا ظروف الاقسام الاخرى .

وكاننا ندرس في هذا القسم جغرافيا طبيعية - جغرافيا اقتصادية - جغرافيا سياسية - تاريخ الحزب البلشفي - الاقتصاد السياسي - الحركة النقابية ومهام النقابات وأسلوبها في العمل - اخطار التروتسكية . وفي السنة الاخيرة درسنا الفلسفة الماركسية واسس المادية الجدلية - وتحليلات للوضع في العالم العربي - ونظرية النسو، والارتقاء .

وكان للجامعة بيت خاص لاقامة الطلاب وكل طالب كان يتقاضى ٥٠ روبل

في الشهر .

وكان اسلوب الامتحانات جيد فقبل الامتحان يعرض على الطلاب عشرون سؤالاً تشمل المقرر كله وتترك لنا فرصة مراجعة دروسنا على اساس الاجابة على هذه الاسئلة . ثم بعد ذلك تكتب هذه الاسئلة في اوراق منفصلة في كل ورقة سؤال واحد ثم تطوى الاوراق وكل شخص يختار ورقة ليجيب على السؤال المكتوب فيها .

س : تعود الى معركتكم من اجل « التعريب » أو كما قلت « اربيزاتسيا »
الم يشارككم الطلاب العرب الآخرون في هذه المعركة .

ج : الحقيقة ان بعضهم شاركنا لكن الكثيرين كانوا يفضلون السكوت بدعوى الانضباط الحزبي ، واذكر اننى مثلاً اقامت علاقة وثيقة مع (شاؤول) (الاسم السرى لآخو نجاتي صدقي ولا اذكر اسمه الحقيقي) وكان « شاؤول » هذا عضواً في اللجنة المركزية للحزب الفلسطيني وقد حكى لى كثيراً عن اضطهاد الكوادر العربية في الحزب وكيف ان هناك عناصر كانت تقاوم التعريب مقاومة عنيفة وطلبت منه ان يكتب تقريراً بذلك وبالفعل كتب لى تقريراً احتفظت به معي .

وبعد ان تعالت صيحاتنا بالتعريب فوجئنا بأبو زياد يحضر اجتماعاً عاماً بنفسه هو وعدد من قادة القسم العربي وعدد من منحوبي قيادة الجامعة لبحث ما اسمه بالظاهرة الخطيرة والتي تنادى بشعارات شوفينية . وكان واضحاً ان هذا الاجتماع هو نوع من المحاكمة للمجموعة المصرية . ولم نتراجع امام حجج ابو زياد الذي تحدث حديثاً عنينا ضد معاداة السامية

والشوفينية . . . وطلبت الكلمة ونفيت عن انفسنا قزعة معاداة السامية وقلت
اننا نحن المصريين ساميين نحن ايضا . وتحديثنا عن التعريب كفضية ضرورية
لتعبئة الجماهير العربية في المعركة ضد الاستعمار .

وتحدث عدد من المصريين لذكر منهم عبد الرحمن فضل وعبد العزيز مرعى
وقد اوضحنا وجهات نظرنا بشجاعة ووضوح اذعل الحاضرين .

وكنت في حديثي قد اشرت الى بعض المعلومات التي ضمنها « شاول »
في تقريره . . . حول اضطهاد الكوادر العربية في الحزب الفلسطيني . وبناء
على ايماءة من راس ابو زياد وقف شاول ليكذبني . لكنني فاجأت الحاضرين
جميعا بان ابرزت التقرير المكتوب بخطه والذي يتضمن كل ما اشرت اليه من
وقائع . وانهى ابو زياد الاجتماع الذي ترتب عليه فيما بعد ان كتب ضدى
تقريره . بانثى . بورجوازي صغير ومثقف . ولست عاملا . ونجحوا بناء على هذا
التقرير في ابعادى عن الجامعة لمدة عام انا وعبد العزيز مرعى حتى نعمل في احد
المصانع لتنتقل بالاخلاق البروليتارية .

لكنهم تركوني في المصنع ثلاثة سنوات ونصف ولم اعد الى الجامعة
الإبعد الاحاح شديد . والحقيقة انهم لم يستأيعوا التكنيل بي كما ارادوا لاننى
كنت انا وعبد العزيز مرعى الوحيدين بين الطلبة العرب الذين تشرفنا بالحصول
على عضوية الحزب البلشفي .

لكنهم تعمدوا ارسالنا الى مصنع يبعد اكثر من ٢٠٠ كيلو متر عن موسكو
حتى يبعدونا عن الطلبة العرب وبفضل علاقاتنا بالحزب البلشفي نجحنا في
الحصول على عمل في موسكو ونجحنا في الاقامة في بيت الطلبة .

وقبل ان انهى حديثى في هذه النقطة اود ان اشدد بمجموعة من الرفاق
الفلسطينيين الواعين والمخلصين الذين شاركونا حملتنا من اجل التعريب وكان
على رأسهم رفيق يهودى مخلص جدا ومناضل ثورى اسمه « الرفيق سبوتن »
وقد اضطهد مثلنا وطرد من الجامعة طردا وانتهى الامر ان عمل مدرسا للغة
العربية في جامعة الدرانسات الشرقية .

محمد دويدار

جلسة المناقشة الثالثة - (القاهرة) - ١٨/٣/١٩٧٠

* ن : الآن استطيع ان اسالك كيف عدت الى مصر ؟

ج : الحقيقة ان العناصر المعادية التي اشرت اليها فيما سبق كانت تضع العتبات امام عودة الكوادر العربية الى بلادها وذلك حتى تتاح لهم الفرصة لهم وانوائهم . والذي يصمم على العودة كانت تسد في وجهه الجرق بحيث ينمرو بهو في طريق عودته . فمثلا محمود حسنى العرابي كان في موسكو عندما تقرر ابعاده من سكرتارية الحزب وتميين الجاسوس الخاين محمد عبد العزيز بدلا منه وطلب العرابي ان يعود الى مصر ليواصل العمل كعضو عادي في الحزب فسلوه تخكرة سفر بالدرجة الثالثة بالقطار الى برلين ولم يعطوه اى نقود وقالوا انه سيجد للتعليمات بالمساعدة عند الحزب الالماني . ووصل الى برلين ليجد ان الحزب الالماني لم تصله اية تعليمات ورفض الحزب تقديم اى معونة له وهكذا وضع في مصيدة في برلين . واضطر الى ارتكاب اخطاء .

وانا لا ادافع عن حسنى العرابي لكننى اتقول ان بعض الناس دمروا بهذه الطريقة .

وانا نفسى تعرضت لنفس الاسلوب .

الزم انه صدرت لى تعليمات بان اركب السفينة المتجهة الى بلجيكا عبر بحر البلطيق على وعد بان يقابلنى شخص في ميناء « جيليت » البلجيكي ليساهمنى باسيور ونقود وبعدها اسافر الى باريس حيث سيتولى الحزب تنظيم عودتى الى القاهرة . لكننى وصلت الى « جيليت » ولم اجد احدا في انتظارى . وصممت على ان اواصل الرحلة وقفلا وبعد مغامرات خطيرة وصلت الى باريس دون نقود ودون جواز سفر . وبعد مجهود كبير وصلت الى مقر الحزب الشيوعى الفرنسى في شارع « لامبيت » لكنه كان مغلقا نالايوم يوم احد وقضيت طوال اليوم واللليل في الطريق وفي اليوم التالي قصدت مقر الحزب وقابلت السيدة جان وبعد مناقشة طويلة ابلغتنى انه ليس لديها اية معلومات عن موضوعى . وعلى اية حال فقد ساعدونى على الاقامة في اوتيل واعطونى بعض النقود وقمت بالاتيترك في تحرير مجلة « الشرق العربى » . وهى مجلة كان يصدرها الحزب الفرنسى باللغة العربية . واقمت في باريس اربعة اشهر وبعدها ابلغتنى السيدة جان ان اسافر الى مارسيليا حيث سيقتل بى شخص معين هناك . وفي

مارسيليا قضيت اربعين يوما دون ان يتصل بي هذا الشخص الذي علمت انه كان موجودا في باريس وارسلت خطابا مليئا بالشتائم والهجوم الى جان واتهمتها انها تقامر ضدى وتمنعنى من العودة الى بلدى والمحت الى انها (وصى من اصل يهودى) جزء من مؤامرة صهيونية ضد العرب .

واستدعنى جان الى باريس فوصلت لاجد جان تعاملنى بحفاف شديد وسلمتنى باسبور لاسافر به الى حيفا ومنها الى بيروت حيث طلب منى ان اتصل بنواد الشمالى وكلفت بان اعمل لبعض الوقت مع الحزب الشيوعى اللبناى .

ليكننى وجدت ان الباسبور كان فى ذاته كافيا لكشفى وتسليمى للبوليس فبقو باسم شخص يهودى اجنبى « جوزيف مزراحي » ، وانا لا يبدو على وجهى اى سمات اجنبية وسن صاحب الباسبور ٢٤ سنة وانا سنى ٣٣ سنة والخطر من ذلك كله انهم قطعوا لى تذكرة تسافر على خط مارسيليا - الاسكندرية .. حيفا اى انه كان من الضرورى ان امر على الاسكندرية .

وفى ميناء الاسكندرية كانت عمليات تفقيش السفن تتم بحرص شديد تمنع اى شيعى من النزول وقبض البوليس على بالفعل وبعد التحقيق معى وتصويرى سلمت مع الجواز المزور الى القبطان وفى حيفا كان البوليس فى انتظارى ولذعشتنى وجدت هناك ضابط بوليس مصرى يرتبة لواء اسمه حلیم بسطا ويبدو ان الانجليز كانوا يقيهون نوعا من التنسيق بين اجهزة الامن فى المنطقة كلها . وبعد تحقيقات طويلة ابلنت انى ممنوع من الدخول وانى ساعد مرة اخرى على نفس المركب . . . وهكذا عدت من جديد الى مارسيليا وفى مارسيليا وبناء على نصيحة من اثنين من الشيوعيين المصريين الارمن وكانا يقيمان هناك بعد ان قام البوليس بابعادهما عن مصر - عدت مرة اخرى الى باريس لاقابل جان الاتى طردتنى من مقر الحزب بحجة اننى لم اتفد التعليمات وام اسافر واننى اخشى من السفر وبعد مجهود كبير وبعد لجوئى الى هيئة M.O.P.R وعى الهيئة الدولية للمعونة الحمراء عادت جان من جديد واتصلت بى واعطتنى باسبور باسم تاجر مصرى من سوهاج سنة ٣٦ وكان الباسبور من دفة الناحية ملائما كذلك اعطتنى تذكرة سفر بالقطار من باريس الى بيروت . وعلى الحدود السورية جمع رجال البوليس الباسبوروات وبعد فحصها ابلغونى ان لديهم صورتى واوامر بمنعى من دخول سوريا واعدت مرة اخرى الى الحدود التركية . وفى استنبول قبض على وحكم القاضى بابعادى الى الحدود البسورية اما بالقطار على ان اسعد ثمن تذكرة السفر وتذكرتين لسفر جنديين لحراستى وتذكرتين لعودتهما واما سيرا على الاقدام ولما كنت مفلسا تماما تقرر ابعادى سيرا على الاقدام . جنديان يركب كلا منهما حصانا وانا

اسير في المقدمة مربوط بخيول واستقرت رحلة العذاب اربعة اشهر كاملة في كل قرية نتوءة، ويستلني الجنديان الى البوليس المحلى الذى يقوم بايداعى الحبس حتى يرتب لى حرسا جديدا وقد تعذبت في هذه الرحلة عذابا يفوق الوصف وتعرضت لاهوال شديدة * .

وأخيرا وصلت الى الحدود السورية وأمرنى الحراس الاتراك بالعبور وعبرت الحدود خلسة بعد ان تغافل عنى متعمدا ضابط الحدود السوري الذى عرف قصة ابعادى سيرا على الاقدام ورشى لحالى وسرت متجها الى الاسكندرونة وعلى طول الشاطئ، ست ساعات وكان معى اربع ليرات تركية هي باقى ثمن الباطون الذى بعته لاحد الاتراك . وركبت الاتوبيس حتى حلب .

وقررت ان ابقى في حلب لاعمل واكسب بعض المال واشترى ملابس لائقة اتقابل بها الرفاق اللبنانيين حتى اقابلهم بمظهر بروليتارى مشرف واشتغلت في حلب عامل بناء وكنت انام في حمام يملكه شخص مصرى واخر كل قرش احصل عليه وبعد ٢٥ يوما اشتريت بعض الملابس وسافرت الى بيروت ، وكان كل ما اعرفه هو انه يتعين على تسليم نفسى لفؤاد الشمالى لكننى وبعد هذه الرحلة كنت قد فقدت عنوانه فتررت ان اعمل حتى اعثر عليه .

اشتغلت في الميناء عامل نحم مستعينا في ذلك بخبرتى كتطنجى في الشبكة الحديد وكنت انام في قهوة يملكها شخص مصرى اسمه الرئيس يونس . واخيرا عثرت على فؤاد الشمالى الذى ابلغنى انه فصل من الحزب لكنه مكفى من الاتصال باحد اعضاء اللجنة المركزية .

واسند الى الحزب مسؤولية المطبعة واصدار المنشورات . واستمر العمل ثلاثة اشهر حتى قبض على . واعتقد ان فؤاد الشمالى هو الذى ابلغ عنى لانه كان في هذا الوقت متعاوننا مع البوليس .

لم يكن امامى مجال للانكار فقد ضيقت معى المطبعة والمنشورات فقررت انام المحقق ان اسمى محمد دويدار وانى شيوعى مصرى ممنوع من العودة الى بلاده بسبب اسقاط الجنسية عنى وانه ليس لى باسجور وانى اناضل في

* روى لى محمد دويدار تفاصيل كثيرة عن هذه الرحلة لكنها لا تتعلق بهذه الدراسة كموضوع علمى فهى اقرب الى القصص الدرامى العنيف ، وربما اتاحت لى الفرصة يوما لتقديمها لاحد الادباء ليخلق منها عاملا دراميا اعتقد انه سيصبح جزءا متكاملا لجانب العلمى في هذه الدراسة - المؤلف .

صفوف الجزييلشيوغى الشقيق، واعترفت باننى كتبت وطبعت المنشورات
الضبوطة، وقدمت إلى المحاكمة، ووجهت لى تهمة دخول البلاد بدون إذن والعمل
ضد الامن العام . . .

كانت الجلسة سرية لكن هناك عدد كبير من المحامين والصحفيين ووقف
ممثل الادعاء وهو فرنسى ليطلب بالحكم على بالسجن وطلبت ان ادافع عن
نفسى وأنقذت دفاعا سياسيا طويلا قلت فيه ان الدعوى وهو اجنبى فرنسى
مستعمر يذممنى انا العربى باننى دخلت هذه البلاد بدون اذن وكأنا هو قد
البتاذن بالدخول ، ان جريمتى هي انبى دخلت هذه البلاد الشقيقة بدون پاسبور
بسيما جريمته هو انه اغتصب هذه البلاد بحد السلاح .

وحكم على بستة أشهر حبس . وقد رحلت الى سجن طرابلس ثم الى
سجن زغرنا وبعد الإفراج عنى احتلت وهربت من البوليس حتى لا ينفذ حكم
الإبعاد واتصلت بزفيق ارمنى اسمه ارتين مادويان الذى أجرى تحقيقا معى فى
ضروف القبض على واصدر قرارا باننى قد اهدمت فى اجراءات الامان وتقرر
بماعتبتي بابعادى عن كنف الحزب لمدة ستة أشهر .

وبعد ذلك طالب لى ان أسافر الى فلسطين لاعمل فى صفوف الحزب
الفلستينى على أساس اننى كشفت للبوليس فى لبنان . وفى فلسطين عملت
ايضا فى مطبعة الحزب وعندما اشتعلت ثورة ١٩٣٦ شاركت فى تنظيم
الاجتماعات الجماهيرية وفى تهريب الاسلحة واصبحت معروفا خلال احداث
الثورة وخاصة بعد ان خطبت كثيرا فى المظاهرات وصار الجميع يعرفوننى باسم
محمد المصرى .

وقبض على ثلاثة مرات وتقرر ابعادى لكننى فى كل مرة كنت اهرب من
الحراس عند الجنود واعدت . . .

وفى آخر مرة كنت فى مزرعة تابعة للحكومة عموم فلسطين فى مجدل
عسقلان وكان ناظرها الزفيق طاهر القبيج وقبض على وتقرر ابعادى . وفى هذه
المره اسألت نفسى لماذا لا اعود الى مصر . . . وكنت اشعر بحنينى الجارف لمصر
والندم على أرضيتها . . . وتسللت الى العريش واستخدمت مرة اخرى مهنتى
كمنظف لى فى المسكة الحديد للاختباء فوق سطح القطار وهو يجرى باقصى
سرعة واخيرا وصلت الى القنطرة شرق . . . وصلت الى داخل مصر ولم تعد اية
قوة تستطيع ابعادى عنها . . . وكان ذلك عام ١٩٣٨ .

س : ماذا فعلت بعد وصولك . . . ؟

ج : اتصلت بالدكتور حسونة بالاسكندرية الذى ابلغنى ان هنا جلايا

حزبية وان خلية الاسكندرية قررت استضافتي لعدة اشهر للاستجمام والراحة بعد هذه الفترة الصعبة
وفعلا اقامت في بيت يجايم يملكه الرفيق محمد عمر (عمروف)

وانضمت الى مجموعة الاسكندرية وكانت تضم د . حسونة - عبد الرحمن فضل - محمد عمر (عمروف) - الشيخ صفوان ابو الفتاح

وبعد ذلك انتقل عبد الرحمن فضل الى القاهرة وقررت انا ايضا ان اذهب للقاهرة لايبحث عن عمل . وفي القاهرة انضمت الى المجموعة الحزبية فيها وكانت تضم شعبان محافظ - وعبد الفتاح القاضى - وعبد الرحمن فضل وآخرين
وبعد ذلك اتصلنا جميعا بهنرى كوريبيل وانضمنا الى تنظيمه وسافرت للعمل في مسكرات الانجليز بالقصاصين وهناك اتصلت باحدى مجموعات التنظيم

لكن الانجليز ما لبثوا ان طردوني واتخذت من القصاصين فعملت في شركة جونسون ريك أند بيير وكانت تقيم قاعدة للامريكان في هاي سكوتب ثم بنت بمصنع كيماوى بالطرية

انتهى النقاش

محضر نقاش مع ادوار ليفي

تمت المناقشة في باريس في اوائل نوفمبر ١٩٦٨

س : ما هي معلوماتك عن نشاط الحركة اليسارية في الثلاثينيات ؟

ج : في حوالي ١٩٢٥ تأسست في القاهرة والاسكندرية جمعية ثقافية اسمها *Essaayistes* وهي جمعية ثقافية ليس لها في الواقع نشاط سياسي ولا علاقة لها بالتيارات ولا الخلافات السياسية وكان نشاطها منحصرًا في المحاضرات الثقافية واقامة معارض وحفلات موسيقية وكان أعضاؤها أساسًا يونانيين ، يهود ، شوام ، وقليل من المصريين الاقباط وقليل جدا من المصريين المسلمين .

وكانت هذه الجمعية تصدر مجلة اسمها *L'effort* (الجهود)

وفي داخل الجمعية بدأ يتجمع تيار يساري ، وأنا أذكر مثلا أن مجلة هذه الجمعية كانت تنشر مقالات عن الماركسية . . .

ومن داخل هذه الجمعية وتيارها اليساري ظهرت فيما بعد شخصيات اُعتبرت دورا في تأسيس الاتحاد الديمقراطي والانظمات القروتسكية والشيوعية . . . واذكر مثلا جورج حنين .

س : هل كانت هناك اية تجمعات اخرى ؟

ج : مثلا كانت هناك مجلة يسارية اصدرها اخي زكي ليفي اسمها *Lagerbe* (الحزمة)

وكانت هناك ايضا جريدة ذات ميول وفدية تصدر بالفرنسية اسمها *Liberte* (الحرية) . . . وكان يرأس تحريرها شخص يساري اسمه ليون كاسترو وهو محام شهير كان صديقا شخصيا لسعد زغلول . . . وقد ظهر ليون كاسترو بعد ذلك ككادر يساري يلعب دورا هاما في اتحاد انصار السلام عام

* انوارد ليفي محام مختلط من الاسكندرية . . . ولد عام ١٩٠٢ كان احد قادة الاتجاهات اليسارية في الثلاثينيات اصاب بالعمى على اثر اعتقاله عام ١٩٤٨ . . . ابعد من مصر في ١٩٥٦ عقب العدوان الثلاثي لانه رغبة فرنسية . . . يقيم في باريس .

١٩٣٧، ويؤسس لجنة مكافحة العداء للسامية (١) وكان يعمل في هذه الجريدة أيضاً روبر بلوم وكانت مقالاته ذات اتجاه يسارى واضح وأذكر انه كان يشير دائما في هذه المقالات الى «الأومانتية» جريدة الحزب الشيوعى الفرنسى .

س : يفهم من كلامك انه كانت هناك اتجاهات يسارية متفرقة ووسط الاجانب . . وأود ان أعرف هل كانت لهذه المجموعات علاقة بالمصريين ؟

ج : الحقيقة ان غالبيتنا كانت لا تعرف اللغة العربية . . وكان ذلك يمثل عقبة هامة في الالتقاء بالمصريين وفي البداية كانت المجموعات أجنبية أو شبه أجنبية ولم تكن لها علاقة بالصراعات السياسية في مصر وذلك طبعاً باستثناء مجلة «ليبرتيه» التي كانت تؤيد الوفد وكانت تتبجح كمحاولة من الوفد لعمل يسار يؤيده وسط الاجانب . . لكن بعد ان اسس جاكوبى كومب لجنة السلام امكن لهذا التيار اليسارى الاجنبى ان يلتقى بالمصريين . . فقد انضم الى لجنة السلام هذه عدد من المصريين منهم شخصيات معروفة مثل هدى شعراوى ، عبد الفتاح الطويل وغيرهما . وهذه الحركات كانت جزءا من حركة عالمية اسمها التجمع العالمى من اجل السلام . .

وكان لهذه الجمعية نشاط جماهيرى نفى عام ١٩٣٥ عند نشوب حرب الحبسة عقدت الجمعية اجتماعا كبيرا لادانة العدوان الايطالى وقد حضرت هذا الاجتماع وأذكر ان الذين تحدثوا فيه هم عزيز أنطون ، عبد الفتاح الطويل ، ريمون كاسترو (ابن ليون كاسترو) . . وقد نشطت هذه اللجنة كثيرا في الدفاع عن الحبسة والدفاع عن شعب الصين ضد الهجوم اليابانى وتأييد الجمهوريين في اسبانيا وعموما فان نشاطها كان مركزا ضد الفاشية والعنصرية والحرب . .

وكانت الجمعية تصدر نشرة بالعربية والفرنسية . .

وقد عقدت الجمعية اجتماعا جماهيريا آخر في الاسكندرية تحدث فيه محامى اسمه عبد الخالق المزونى وباختصار فان هذه الجمعية قد نجحت في ان تقيم علاقات جيدة وقانونية بين اليسار الاجنبى وبين المصريين . .

س : هل اتصلتم باعضاء الحزب الشيوعى القميم ؟

ج : للتقينا مثلا بالشيخ صفوان وهو احد قادة الحزب وكان يحضر اجتماعات جماعة السلام .

س : كيف اتصلتم به ؟

١ - قال ادوارد ليفى ان ليون كاسترو قد اصبغ غيما بعد صينونيا ونظح الشيوعيون علاقاتهم به .

ج : الذي بدأ الاتصال به أخى زكى ليفى فقد كان يجيد العربية ومن هنا كان هو مفتاح علاقتنا بالمصريين وزكى ليفى كان فيما بعد عضواً في (ح : م) (الحركة المصرية للتححر الوطني)

س : عندهما اتصلتم بصفوان هل حاولتم تشكيل تنظيم ؟

ج : لا . . . لكن اكتفينا بالمناقشات وعقد اجتماعات للتشاور والدراسة . . . لكن لم يصل عملنا الى مستوى التنظيم بالمعنى الفهوم .

س : من كانت تتكون لجنة السلام ؟

ج : في الاساس عناصر يهودية ويونانية وكان هناك ايضا انجليز كثيرون ولماذا انا ترددت وخشيت من الاستثمار معهم . . . لقد خشيت من وجود الانجليز . . .

س : يا هي علاقاتكم بالصهيونية ؟

ج : عندها تكونت رابطة مكافحة العداء للسامية وكان مؤسسها من اليساريين بدأ الصدام بينهم وبين الحركة الصهيونية لاننا كنا نجد اليهود لكفاح ضد الفاشية ولم ندع الى الهجرة لفلسطين . . . كنا نرفع شعارا للخلاص هو الكفاح ضد الفاشية اما هم شعار الخلاص عندهم الهجرة الى فلسطين . ومن هنا بدأ الصدام وكنت انا رئيس فرع اللجنة في الاسكندرية وايلى ميزان (صهر بول جاكوب دي كويمب) سكرتير فرع اللجنة في القاهرة .

س : هل هناك اشياء اخرى تريد ذكرها ؟

ج : هناك عدة اشياء متناثرة . . .

* اود ان الفت نظرك الى ان البلد الاجنبي الوحيد الذي تنازل عن الامتيازات الممنوحة لرعاياه في مصر هو الاتحاد السوفييتي بعد ثورة اكتوبر وقد ترك هذا اثرا كبيرا في نفوس الكثيرين .

* سمعت عن شخص اسمه حيام شقرن وكان عضوا بالحزب الشيوعي عام ١٩٢٢ ودرجم مع شخص مصري كتاب لينين « الدولة والثورة » الى اللفة

لأعربية ولكن الترجمة كانت رائعة جداً . . . وقد غادر شبرثن مصر
عام ١٩٣٠ * .

* تذكرت الآن اسم شخص كان يلعب دوراً نشطاً في جمعية السلام
هو جاك طوبى وزوجته . . .

* في بداية الحرب العالمية الثانية تشجعت قليلاً وقمت أنا وصفوان
وسامي. كانت رفقتي (مدرس) بتأليف كتيب من ٢٠ صفحة عن « الزراعة
في الاتحاد السوفييتي » وقد طبعنا منه ١٠٠٠ نسخة واصدرناه بدون توقيع .

أنا لم انسى مصر حتى الآن ، بل أكتب رواية عن مصر اسمها « عيناي
وشمسي » .

انتهى النقاش * *

* يعتقد انه يقصد كتاباً مترجماً صدر باللغة العربية عام ١٩٢١ -
بعنوان « مذكرات لينين » ، تأليف - لينين رئيس الجمهورية الروسية ، عربيها
عن الفرنسية أحمد رفعت - شركة دار الطباعة الفنية - القاهرة .

* * * أجرى هذا الحوار هو عدد آخر من الحوارات الصديق النير أرييه
لنذي اسمهم بذلك اسهاماً جاداً في انجاز هذا الكتاب .

محضر نقاش مع ايلي ميزان

تمت المناقشة في « باريس » في منتصف شهر

نوفمبر سنة ١٩٦٨

س : ما هي معلوماتك عن التجمعات الاشتراكية في بداية الثلاثينيات ؟
ج : في عام ١٩٢٢ وبعد وصول هتلر الى الحكم في ألمانيا تأسست في مصر رابطة مكافحة العداء للسامية ، (L. I. C. A) برئاسة المحامي ليون كاسترو وكنت في ذلك الحين طالبا في مدرسة الليسية فأسست فرعا لهذه اللجنة في المدرسة وكان هذا الفرع هو في واقع الامر يمثل فرع الشباب لهذه اللجنة فمعظم الطلاب الاجانب كانوا متركزين في مدرسة الليسية .

س : ما هي الحدود التي كانت تنشط فيها رابطة مكافحة العداء للسامية ؟

ج : حملات دعائية ضد النازية ، مقاطعة البضائع الالمانية ، ومقاطعة الافلام والمجلات الالمانية والتي تعطف على المانيا . . . وكانت الرابطة مكونة اساسا من اليهود وعدد قليل من الارمن واليونانيين ولهذا كان تأثيرها قليلا وسط الشعب المصري .

س : كيف تحولت هذه الرابطة الى جمعية يسارية ؟

ج : سير الاحداث هو الذي دفعنا ، فقد بدأنا بمعاداة النازية . . . ومن ثم كنا ضد غزو الحبشة وضد الملكيين في اسبانيا . وكذلك تبيننا شعار « الجبهة الشعبية » لتكون اوسع جبهة ضد النازية والحقيقة ان تبيننا لشعار الجبهة الشعبية « كان يمثل نقطة اساسية في موقفنا ، وهكذا بدأنا كيهود يحاربون العداء للسامية ثم انتهينا شيوعيين » .

ولا بد ان ذلك كان ايضا بتأثير عناصر يسارية ساهمت في تأسيس الجمعية .

* ايلي ميزان احد مؤسسي تنظيم « ايسكرا » وهو اخو زوجة بول جاكوبى كومب كان يعمل موظفا في قسم الدعاية بشركة الاعلانات الشرقية واعتقل في عام ١٩٤٨ وطرد من مصر عام ١٩٤٩ .

س : كيف كانت علاقاتكم بجمعية السلام ؟

ج : بعد أن أصبحنا يساريين انضم بعضنا إليها ، لكن جاكو دي كومب كان يقيم حواجز ضدنا فقد كان يتشكك في كل الناس ، وكان يخشى من أى نشاط حتى لا يلفت انظار السلطات .

س : كنتم جمعية يسارية ، يتزعمها شخص ذو ميول وفدية . فكيف كانت علاقاتكم بحزب الوفد ؟

ج : كانت هناك علاقات بالطبع اسابها ليون كاسترو وأذكر اننا في بعض الاحيان اشتركنا في مظاهرات نظمها الوفد .

س : هل كانت لكم علاقات بالخارج أو بإية احزاب شيوعية اجنبية ؟

ج : لا اعرف ، لكننى بهذه المناسبة أود أن أذكر واقعة ربما كانت تنمك ، وهى اننى كان لى قريب هو « إدوارد سوريانو » ، كان يقيم في الاسماعيلية . ومات عام ١٩٣٨ .

وبعد وفاته عثرت في أوراقه على أشياء تفيد انه كان على علاقة بالحزب الشيوعي الفرنسي وعثرت في أوراقه أيضا على أشياء توحي أنه كان أحد مؤلفي كتاب اصدرة الحزب الشيوعي الفرنسي عن مصر اسمه « الإيدب والاستعمار » . مصر في الادب الفرنسي « والكتاب بدون توقيع لكن هناك اهداء من عدة اشخاص منهم الاسم التالي « E.S » وانا اعتقد ان هؤلاء الاشخاص هم المؤلفين وان « E.S » هو « إدوارد سوريانو » . وهذا الكتاب جيد جدا وهو دراسة ماركسية ممتازة عن موقف الادب الاجنبى من مصر .

س : كيف تحولتم الى العمل الشيوعى ؟

ج : انا اتصلت بالاتحاد الديمقراطي . وهو كان تنظيم مفتوح يعكس جمعية السلام وانا وطليل شوارتز عملنا لفترة من الوقت مع هنرى كورييل في الاتحاد الديمقراطي .

وفي يناير ١٩٤٢ اتصل بنا « كيبريو » وهو (عدلى) وجمع عددا من اعضاء (الاتحاد الديمقراطي) وعدد من اعضاء (جمعية السلام) واحضر لنا شخص يونانى ادعى انه ممثل الكومنترن . ودعانا هذا اليونانى الى ضرورة

العمل فوراً على تكوين تنظيم شيوعي وعلى الفور قرراً البدء في تأسيس
تنظيم وكونا لجنة مركزية .

وبعد قليل اكتشفنا ان هذا اليوناني لا يمثل الكومنترن وانه مجرد
شيوعي سابق بالمجموعة اليرنانية ونصل منها . . . فلما واجهنا كيريو ،
اعترف وقال انه اتخذ هذا الموقف ليحثنا على تكوين تنظيم .

س : ممن تكونت اللجنة المركزية الاولى لا سكرًا ؟

ج : انا وعليل شوارتز وماكس اتيريت .

س : ألم يكن فيها هنري كوربييل ؟

ج : كان من المفروض ذلك ولكن شوارتز اعترض على ذلك قائلاً ان كوربييل
سبق اعتقاله بتهمة الشيوعية وانه مكشوف للبوليس . . وانه لا يتبع
قواعد الأمان .

وهكذا استبعدنا كوربييل من القيادة .

جلسة المناقشة الاولى

تمت المناقشة في باريس في أوائل نوفمبر ١٩٦٨

س : هل يمكن أن تقدم لنا موجزا لتاريخ حياتك وكيف أصبحت بستاريا ؟

ج : أنا من أصل سويسرى وقد ولدت في القاهرة .. وكان أبى مهندس مشهور يمتلك شركة كبيرة للمصاعد والمقاولات الكهربائية .. وقد تعلمت في مدرسة أجنبية في القاهرة ولم أعرف كلمة عربية فقد كان التكلم بالعربية مشينا بالنسبة للاجانب المقيمين في مصر وفي أوائل الثلاثينيات ذهبت الى ألمانيا لادرس الموسيقى .. واثناء وجودى بألمانيا ارتبطت بالحزب الشيوعى الالمانى .. لكنى لم أصبح عضواً وإنما مجرد صديق لهم وكنت أمتزج في مجموعات الدعاية والاثارة التى كان الحزب ينظمها وكثيرا ما ذهبت مع الشيوعيين الى المقاهى لنخبط ونغنى أناشيد شيوعية .

وفي عام ١٩٣٢ عدت الى مصر كى أقيم عاما واحدا ثم أعود مرة اخرى .. وخلال هذا العام أرسلنى أبى الى أسوان حيث كانت شركتنا تقيم مشروعا متعلقا بكهربية الخزان وكان أول اتصال حقيقى لى بالعمال والفلاحين المصريين .. ومن مخالطتى لهم بدأت أشعر أنه لا بد من كفاح منظم لانقاذ هؤلاء الناس .. أدركت أن الاشتراكية شئ جميل لكن تطبيقه يحتاج الى كفاية منظم ..

وفي هذه الاثناء وصل هتلر الى الحكم فقررت البقاء في مصر .. وقررت ان أبحث عن الشيوعيين المصريين وأن أتصل بهم ..

ولم أعرثر إلا على مجموعة من الشيوعيين اليونانيين وكانت مجموعة نشيطة جدا ومنظمة جدا وكل أعضائها من اليونانيين ، لكن كانت لها علاقات بالعمال المصريين عن طريق بعض اليونانيين الذين كانوا يعملون أسطوات ورؤساء عمال ..

* جاكودي كروب إحدى الشخصيات الهامة في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، وقد تردد اسمه كثيرا وسط حالة من الغموض ، فقال الكثيرون أنه كان مندوب الكومنترن في مصر .. وأنه مؤسس إحدى التنظيمات الشيوعية الأساسية (دش) (الديمقراطية الشعبية) ..

وظللت لفترة تعمل مع هذا التنظيم دون أن أعرف من هو قائده ..
وبعد أن وثقوا بي سمح لي قاندهم بمقابلته وعرفت أنه ياناكاكس .

وبعد ظهور الفاشية ، وبناء على توجيهات الدولية الثالثة بدأ هذا
التنظيم ينظم حملة للافراج عن الزعيم الألماني تيلمان ..

لكنني بمزور الوقت اكتشفت أننا معزولين عن الواقع المصري وأن
أساليبنا لا يمكن أن تؤدي بنا للالتقاء مع المصريين .. وظالبت بسياسة
جديدة وطرق جديدة تستهدف بشر الشيوعية وسط المصريين أنفسهم .. ولما
رفضوا انقسمت عن هذه المجموعة وخرجت أنا وعدد من النابض بينهم
« بيريدس » (١) .

س : ماذا فعلتم بعد ذلك ؟

ج : فكرت في ضرورة إيجاد منبر قانوني للعمل نستطيع من خلاله
الاتصال بالمصريين .. ورأيت أن الأسلوب الأفضل هو تأسيس منبر علني
معاد للفاشية حتى لا تعترض عليه سلطات الاحتلال .

وهكذا أسست في القاهرة والاسكندرية تجمع السلام بمناسبة حرب
الحبشة . وقد ارتبط هذا التجمع بالتجمع العالمي من أجل السلام ... وقد
عقدنا عدة اجتماعات جماهيرية تحدث فيها مصريين أفكر منهم عبد
الفتاح الطويل ...

س : ما هي حدود نشاط هذه الجمعية ؟

ج : كانت تمارس نشاطا سياسيا وثقافيا وكنا ننظم محاضرات
ومناقشات وكنا نصدر نشرة بالعربية والفرنسية .

وكانت المشكلة الأساسية التي تولجنا هي عدم معرفة اللغة العربية
ومشكلة الترجمة .. وعلى أية حال فقد كان أساس عملنا هو الحذر الشديد
جدا ..

والذين جئناهم كانوا أساسا يونانيين ، يهود ، انجليز ، (معظمهم
مصريين)

١ - بيريدس .. شاعر قبرصي شهير كان يتزعم حركة الشيوعيين
اليونانيين في مصر .. أبعد عن مصر عام ١٩٤٦ خلال حكم اسماعيل صدقي
وقد توفي منذ عدة سنوات في رومانيا حيث أقام هناك مع مجموعات
المهاجرين اليونانيين .

س : هل تذكر أسماء ؟

ج : أذكر بيريدس ، سقراط كالياريكوس (محام مختلط بالاسكندرية
توفي في منتصف عام ١٩٦٨) ، رثايل دويك ، جاك طويي ، سامي حنوكه
(أخو زوجة ريمون أجيون وهو الذي أثار كثيرا في جماعة الحزب المصرى فيما
بعد) وراؤول كوريبيل ، يوسف درويش ، جورج حنين ، مارسيل اسرائيل
وعدد من التروتسكيين .

س : هل يمكن أن تذكر شيئا آخر عن نشاطكم ؟

ج : في عام ١٩٣٦ نشطنا لمساندة الجمهوريين الاسبان وفكرنا في
إرسال متطوعين في الفرقة الدولية .

وفي عام ١٩٣٨ سافرت الى أوروبا لاجتياز اجتماع التجمع العالمى
للسلام وقابلت كريشنا مينون وأبلغنى أن نهرو يرغب في زيارة القاهرة وفي
مقابلة الفحاس باشا ، وعند عودتى اتصلت بعبد الفتاح الطويل وأبلغته
بذلك وقد حضر نهرو عملا ونزل ضيفا على النجاس باشا .

وقد تسببت هذه الزيارة في مشاكل كثيرة لى ، فقد هاجمنى جورج
حنين وراؤول كوريبيل على أساس اننى مكنت نهرو من أن يقبل عناصر
برجوازية وكسان الاجدر أن نقابله نحن . . .

وقد تفاقم هذا الخلاف وأدى الى انقسامهم وتكوينهم مجموعة مستقلة
والحقيقة أنها كانت مجموعة تروتسكية . . .

وأود أن أقرر الان أن أحد أسباب الخلاف هو أنهم قد بدوا ينشطون
نشاطا واسعا وأنا خشيت أن يهدد نشاطهم كيان الجمعية وأن يكشفنا
للبوليس المصرى .

س : ما هو مصير جمعية السلام هذه ؟

ج : في عام ١٩٣٢ بعد نشوب الحرب العالمية الثانية لم يكن من
المكن استمرار جمعية السلام في العمل فتحولت الى « مجموعة الدراسات
Le groupe études » وبدأنا في اعداد دراسات عن الواقع المصرى
والفلاحين . . .

وأصدرنا كتاب بالانجليزية اسمه « مصر الان Egypt Now » وقد
الفه « هيلري وايمانث » وكان الهدف هو توزيع هذا الكتاب على جنود
الاحتلال الانجليز .

وأيام الحرب كنا ننظم سلسلة من المحاضرات في مدرسة الليسية
بالتعامة

س : هل كان لكم اتصال بالكومنترن ؟

ج : لا

س : تردد كثيرا انك كنت على اتصال بالكومنترن ؟

ج : هذا غير صحيح والدليل ان جورج بوانتييه (مدرس سويسرى
الجنسية) تردد على جمعية السلام وكان يستهدف تحويل الجمعية الى تنظيم
شيوعى وافهمنى انه على علاقة بالكومنترن وان لديه تعلقات بناسيس
تنظيم لكتنى شككت فيه ورفضت

س : هل تعتقد ان بوانتييه كان على علاقة بالكومنترن ؟

ج : اعتقد انه كان فقط على علاقة بالجذب السويسرى

وكانت هناك محاولة مماثلة قام بها الدكتور حسونة وكان
حسونة يحضر الى جمعية السلام بالاسكندرية وقد ابلغنى حسونة انه على
علاقة بالكومنترن ... وفى مرة علم اننى مسافر الى ارضيا، فابلغنى انه يريد ان
يرسل تقريرا الى الكومنترن وتبربت منه لائبنى. كنت حزنا جدا. ولاننى قلت
لنفسى اذا كان متصلا بالكومنترن حقيقة لكانت له طريقته الخاصة
بالاتصال، بهم

س : لماذا لم تحاول تكوين تنظيم ماركسى ؟

ج : كنت ارى ان الاجانب الا يمكن ان يؤسسوا حركة شيوعية مصرية ،
وان هذه المهمة يجب ان يقوم بها مصريون. وان مهمتنا هى دراسة الواقع
المصرى وان نبحث فى حذر عن مصريين قادرين على قيادة العمل ثم نترك
لهم مهمة تاسيس التنظيم

والحقيقة ان هذا هو السبب الرئيسى للخلاف بينى وبين هنرى
كوريل لان كوريل كان يرى ان على الشيوعيين الاجانب ان يؤسسوا حركة
شيوعية مصرية وان يقودوها

بول جاكو دي كومب

جاسنة المناقشة الثانية - ٢٦ يناير ١٩٧٠ - بباريس

س : بعد المناقشة السابقة وبعد الاستماع الى كوربيل وآخرين أود أن أوجه اليك سلسلة من الاسئلة حول الدور الذي قمتم به في تاسيس أحد التنظيمات الشيوعية في مصر فعماذا تريد أن تقول حول هذا الموضوع وخاصة فيما بعد عام ١٩٤٠ ؟

ج : أولا أود أن أؤكد اننى منذ ١٩٤٠ قد شعرت شعوراً قويا بأن نورنا قد انقضى . لقد كنا قد وضعنا البخور ويكفى هذا بالنسبة لاجانب وكان رأينا أن نترك الامر للمصريين وخدمهم وإذا احتاجوا الى بعض المعلومات أو المساعدات مثل الترجمة وما الى ذلك فاننا نقمها لهم . لكن قياتنا نحن الاجباتب بتاسيس منظمة شيوعية مصرية كان أمرا مرفوضاً .

وقد اعترض على موقفى هذا ايلي ميزان و انسحب من مجموعتنا لينضم الى مجموعة أخرى كانت تسمى لتاسيس منظمة .

س : حسناً ، لنرجع الى ما قبل ١٩٤٠ ولنبدأ مرة أخرى من البداية الأولى . كيف فكرت في الثلاثينيات في تكوين مجموعة ماركسية ومن حثك على ذلك . وهل كانت لمعاتك بأحد الاحزاب الشيوعية الاوروبية صلة بذلك ؟

ج : لم يحثنى أحد على فكرة تاسيس مجموعة . وأنا لم أكن على علاقة بأى حزب أوروبى . عندما كنت في المانيا كنت مجرد عاطف على الحزب الشيوعى الألمانى وكنت في مجموعة من الدعاة وكان نشاطنا قاصراً على الدخول الى المقاهى والقاء الخطب والانشيد الثورية لكن لم تكن أعضاء في الحزب .

وعندما عدت من المانيا ذهبت الى ادفو حيث كان والسدى يقوم بمشروع دنك والتقيت بالعامل والفلاح المصرى ومن هنا كانت الشرارة الأولى وبعد ذلك عدت الى سويسرا وحاولت العودة الى المانيا لكن هتلت . كان قد تولى السلطة وعدت الى مصر .

س : اسمح لى أن أقاطعك لكن كوربيل يؤكد أنك كنت على علاقة بالحزب السويسرى ؟

* أخو زوجة بول جاكو دي كومب

ج : لا ... ولكن جورج يونانتيه كان على علاقة طفيفة بهذا الحزب
وكان يعمل مدرسا في الاسماعيلية وبورسعيد .

س : كذلك يؤكد لأكور في كتابه الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط
انك كنت ممثل الكومنترون في مصر فما رايك في ذلك ؟

ج : غير صحيح والحقيقة اننا كنا كثيرا ما يتصل بنا أشخاص
ليطلبوا انهم يريدون الكومنترون لكننا لم نؤكد من صحة أى ادعاء من
هذه الادعاءات ولم تكن لدينا بالفعل أى علاقة حقيقية أو رسمية
بالكومنترون *.

س : حسنا ، لنعد الى بدء نشاطك في مصر في الثلاثينيات .

ج : كنت في الاسكندرية ولم أكن أعرف أحد من الليبراليين لكنني كنت
أريد أن أفعل شيئا ومقابلت بعض اليونانيين والاطالين وكانوا على
علاقات بالعمال المصريين وكانه هذه أول علاقة حقيقية لي بالعمل السياسى
في مصر . ولم أكن أعرف أنهم منضمون الى منظمات سرية لكننا كنا
نتناقش بشكل عام . ومع تطور علاقتى باليونانيين قالوا لى ان شخصا
يريد مقابلتي وكان هذا الشخص هو ياناكاكس . وعلمت أنه مسئول
المجموعة الشيوعية اليونانية . والحقيقة اننى حتى هذه اللحظة لم يكن لدى
أى فكرة عن قيادى شخصيا بتأسيس تنظيم . ومع استمرار الاتصال
لاحظت ان نشاط ياناكاكس وكاليفاريكوس و بيريدس محصور تماما وسط
الاجانب .

وخلال بعض المناقشات اقترحوا ان نصدر نداء للمطالبة بتحرير تيلمان
لكننى سألنا انا ، وبعض الشباب ما علاقة هذا بالشعب المصرى . لا بد من
عمل شيء لتحرير الشعب المصرى وتحريك الشعب المصرى .

و ان فصلنا عن ياناكاكس وكونت انا وأربعة من الشباب مجموعة جديدة
تضم بيريدس ، هاجى أندرياس (مصرى الجنسية من اصل يونانى كان يعمل
في مجال القطن وكان شاعرا . وقد نشر عدد من الدواوين والكتيب ويعيش
الآن في اليونان) .

وقلنا ان هدفنا الانساني هو الخروج من مأزق العمل وسط الاجانب
ومن السرية المطلقة التى احاط بها ياناكاكس العمل بحيث جعل المجموعة
معزولة تماما عن كل ما يجرى في مصر .

* خلال أحد الجلسات رأى بول جاكو دى كومب فمى بعض وثائق مصورة
من International Press Correspondence وهي النشرة التى كان
يصدرها الكومنترون ، فقال لقد كتبت عدة مقالات في هذه المجلة . لكنه
لم يعد الى الاشارة الى هذا الموضوع مرة أخرى .

نقد احسننا انه لاقيمة لان يقنوم ٣٠ او ٤٠ من اليونانيين المقيمين
في مصر بعمل تنظيم سرى يحيط نفسه بسرية مطلقة وبدون اية علاقة
مع المصريين

لعلاج اساليب العمل اضطرت المجموعة يوما لاصدار منشور باللغة
اليونانية فارسلوا لى عامل يونانى حتى اكتب المنشور بخطى فلا يستطيع
اليوليس للوصول الى كاتب المنشور لاننى لست يونانيا

ولكى نعمل ونقتصل بالمصريين كان لابد من البحث عن سفد قانونى
لتحركنا ولهذا أسسنا اتحاد أنصار السلام . وأقمنا علاقة مع الحركة
العالمية المسماة *Rassemblement Universel pour la Paix* وهكذا بدأنا
الاتصال بالمصريين

ولكن بعد أن أعلنت الحرب لم يكن من الممكن الاستمرار فى حركة
السلام ولهذا أسسنا « مجموعة الدراسات » وكان هدفها تعريف الأوربيين
بأوضاع المجتمع المصرى

لقد أغلقت الحدود . وهكذا كان لا بد للجانب المقيمين فى مصر أن
يتجهوا لدراسة الواقع المصرى . وكانت لنا علاقة جيدة بالليسيه فرانسيه
وبالفعل تمكنت مجموعة الدراسات من أعداد دراسات جيدة عن الفلاح
المصرى - تاريخ مصر - ثورة عرابى - نهر النيل - الخ

وكانت لنا أيضا علاقات بعدد من الانجليز العاملين فى قوات
الاحتلال ومنهم مثلا كولونيل او كابتن *Klugman* وكان شخص ممتاز
ونشيط . وقد تعرفت به عن طريق اسقاذ انجليزى شيوعى بالجامعة
المصرية

وقال *Klugman* ان علينا ان نضع كتابا بالانجليزية موجه الى
جنود قوات الاحتلال الانجليزية نحدثهم فيه عن مصر وحضارتها وتاريخها
وعن ظروف معيشة الفلاح المصرى وبالفعل أعدنا هذا الكتاب وطبع طبعتين
والحقيقة ان أحد العوامل المساعدة ان الانجليز كانوا يرحبون بالتعاون
معنا خوفا من اتجاه المصريين نحو الالمان

س : هناك شخصية أود أن أسألك عن رأيك فيها هي ليون كاسترو .
هل كان كاسترو يساريا أم صهيونيا وما هي علاقتكم به ؟

ج : كاسترو كان معاديا للنازية ومن هذه الزاوية اتخذ مواقف يسارية
وتعاون مع اليسار لكنه كان أيضا صهيونيا . ومثل هذه التركيبية كانت
موجودة بكثرة فى هذه الايام حيث اندفع كثير من اليهود للنضال ضد الفاشية

في تعاون مع كل أعداء الفاشية بما نعيم الشيوعيين
وعنينا ما كتبنا في مجموعة الدراسات اتصل بي شخص وقال انه مؤيد
من قبل كاسترو وأبدى استعداده لمساعدتنا وتمويل أعمالنا لاننا ضد
الفاشية ولم يقضوا أية شروط لكنهم اظهروا أنهم في خوف شديد من جماعة
الأخوان المسلمين

وقد رفضنا بشدة أى اتصال بهم او قبول أى مساعدة منهم ولكن هذا
الموقف من كاسترو ومجموعته أدى الى حدوث خلاف شديد في صفوف مجموعة
الدراسات

س : كيف كنتم تحصلون على الكتب الماركسية ؟

ج : عندما عدت من سنرى في المرة الاولى أخضرت معي بعض الكتب
وأذكر أنني عندما كنت في أدفو كان معي كتاب رأس المال لكارل ماركس .
وفي ١٩٣٨ سافرت زوجتي التي فرنسا وعادت ومعها عدة حقائب مليئة
بالكتب . وفي هذه الفترة كان كل شخص يسافر للخارج يموذ ومعه كتب .
س : كيف أسست التنظيم ؟

ج : أنا مقصم على أنني لم أؤسس تنظيم . أنا وضعت البذور ثم
تركتها . أنا كنت من الناحية الهندية ضد أن يقوم أجنبي بتأسيس تنظيم
. . . أنني أقر بوضوح أن تاريخ الحركة الشيوعية قد بدأ بعد أن تنحيت
أنا عن العمل .

لقد عملت في مصر عشر سنوات من النضال الديمقراطي والماركسي
بهدف تمثيل الفكر الماركسي الى عدد من المصريين وهذا هو كل دورى وقد
ذلك تركيزهم يفعلون ما يشاءون .

لكن كوربيل كان يرى أنه يمكنه وهو أجنبي أن يؤسس تنظيما .
وعندما حضر إنديريه مارتى الى مصر ناقشه كوربيل وأيد مارتى وجهة نظر
كوربيل . وهذا طبيعي فالحزب الشيوعي الفرنسي كان يرى أنه يمكن لكون
أجنبية أن تقوم بالعمل الحزبي في بلد مستعمر وكان هذا هو موقفهم العملى
في الجزائر .

واستنادا الى تأييد أندريه مارتى كون كوربيل ح . م . وطلب الى
رفاقي أن أعرف وجهة نظر الحزب الفرنسي في هذا الموضوع وظللت اتصل
لمدة أربعة سنوات بالمكتب السياسى للحزب الفرنسي دون أن أتلقى ردا .

س : هل تريد أن تصيف شيئا حول النشاط في الأربعينيات ؟
ج : لا . أسأل أصحاب هذا النشاط أما أنا فكان دورى قد انتهى
تماما .

انتهى النقاش

مخبر نقاش مع ريمون أجيون*

اجريت المناقشة في باريس في ٤ أبريل ١٩٧٣

س : سائداً بمسؤال تطليدي .. الاسم ، الميلاد ، المهنة حالياً ..

ج : اسمي ريمون أجيون ، مولود في عام ١٩٢١ بالأسكندرية ، عمل حالياً تاجراً للوحات التشكيلية وأقيم في باريس

س : كيف .. ولماذا ومنتى انتميت الى الحركة اليسارية .. وعن طريق من ؟

ج : الحقيقة أنه من الصعب ان أقدم اجابات دقيقة على سؤال دقيق كهذا فقد كنا مجموعة من الاجانب ، كل واحد فينا يعرف الآخر وكان عدداً قليلاً ، ومن ثم فقد كان كل منا يتجذبت مع الآخر ويؤثر في الآخر . وفي البداية كنا نسرغ بالاتفاق ثم نسرغ بالخلاف مع بعضنا البعض .

س : المهم كيف اتجهت يساراً ؟

ج : المسألة - بالنسبة لي على الاقل - لم تأت دفعة واحدة ، ثم اتخذ قراراً من جانبي بأن أصبح يسارياً ، كنا نعيش في مصر كأكسرة اجنبية وكنت أتحدث كثيراً على أوروبا ، ولم يكن غريباً ان يدعّب شاب مثلي ، حماساً الى أوروبا وينبهر بها ، ثم يعود الى مصر فيشعر بان الاهور لا تسير في الطريق الصحيح .. وهكذا تكونت لدى في البداية أفكاراً اشتراكية خيالية وكأني شاب اجنبي ذو ثقافة فرنسية قرأت جان جاك روسو ، واليوتان ، ليفيكتور دوجو ، كنت أقرأ ثم أنزل الى الشارع فاشعر بان كل ما يصيغه هو جو من يؤس موجود في مصر ، لكنني لم أكن أعرف ما إذا فعل ؟

وخلال هذه الفترة - وكان سني حوالي ١٥ سنة - وخلال زيارة لباريس سمعت عن النضال الاشتراكي وعن الجبهة الشعبية وكان من اليسير جداً على انسان مثلي ان يتصل باليسار الفرنسي

* ظل ريمون أجيون شخصياً لفترة طويلة الى الحزب الشيوعي الفرنسي وذلك بعد ان غادر مصر في عام ١٩٤٥ حيث مارس نشاطاً حزبياً مع مجموعة من الطلاب المصريين الدارسين في فرنسا وحيث ارتبط اسمه بتأسيس منظمة الحزب الشيوعي المظري (الزاوية)

كذلك كانت هناك مسألة مهمة ، كان ظهور هتلر وانتصاره في ألمانيا يزعج اليهود ، وأنا يهودى ، وقد شعرت كما شعر كثير من اليهود بضرورة اللجوء الى مساندة الحركة الديمقراطية المناهضة للفاشية . وهكذا ومن هذه الخلفية بدأت اقتراب روييدا ورييدا من العمل اليسارى .

وثمة منطلق آخر . فانا من أسرة غنية ، وكنت أشعر وأنا شاب متحمس ، وبهذه الخلفية الفكرية ، ان أسرتي تستغل السمعة المصرية ، ومن خلال هذا الشعور ، ومن خلال التناقض بين الأجيال بدأت أيضا أتورد .

وقد كنت طالبا في المدرسة اليهودية بالاسكندرية ، وهى مدرسة تضم طلابا من مختلف الفئات الاجتماعية ، وكان بالمدرسة بعض المدرسين التقدميين من بينهم مدام آنا طوبى (التى تزوجت فيما بعد زربينى وأصبحت مدام زربينى) . وكانت مدام طوبى زميلة لجاكو دى كومب ، وتعمل معه في اتحاد السلام . وكانت تدرس لنا التاريخ ، وكنا في هذه الفترة نقرأ كتب أندريه مارلو وغيره . وفي سن الرابعة عشرة وجدت نفسى طالبا في مدرسة مديرتنا اشتراكية ومدرستها تقدمية وجوها العام كان ديمقراطيا ومعاديا للفاشية . وكان هناك في المدرسة طلاب يهود فقراء الى حد ما ، وكانوا يشعرون بالتناقض مع الطلاب الاغنياء .

كل هذا خلق المناخ الذى تحولت فيه تدريجيا نحو اليسار وأصبحت ماركسيا .

س : ولكن كيف كانت البداية الفعلية ؟

ج : جذبتنى مدام طوبى الى اتحاد انصار السلام ، وطلبت منى أن أدرس وأن أناقش وكنت صغيرا جدا ، لكننى كنت متحمسا وبدأت في النشاط لكننى وبعد فترة أحسست أننا اجانب نتحدث مع الاجانب عن الاجانب ، والمصرى الوحيد بيننا كان يشعر بعزلة قاسية .

كذلك بدأت أشعر أن هؤلاء العاملين في اتحاد السلام كانوا حذرين أكثر من اللازم ، خائفون دوما ، يخشون أى تحرك ، وكانوا يتحذرون حتى فيما بينهم بجزر شديد ، وخوف شديد ، وقلت في نفسى اذا كانت هذه هى الشيوعية فانا لست شيوعى .

وعندما أصبحت في السابعة عشرة من عمرى وحصلت على البكالوريا بدأ حلمى القديم يراودنى . أن أدرس الطب . وأصبح طبيبا يعيش في ريف مصر ليعالج المبلحين الفقراء . وينشر الاشتراكية في صفوفهم . وتوجهت الى باريس ودرست السنة الإعدادية في كلية الطب ، واتصلت بالشيوعية ولكننى لم انضم للحزب الشيوعى رسميا . وبدأت نذر الحرب

العالمية الثانية فاسرعت بالعودة الى القاهرة . . . كانت سننى ١٨ سنة ونصف ولم أجد سوى العمل مع ذات المجموعة القديمة اتحاد أنصار السلام . . . برئاسة بول جاكو الذى اعتبرنى هو وزملائه متطرفا ومثاعبا ، وفى نوفمبر ١٩٢٩ تركتهم أنا ومارسيل اسرائيل وراؤول كوربييل وفناة يونانية (لا أذكر اسمها) لكنها كانت تعمل بالصحافة وقد أسست معها بعد ذلك صحيفة «يون كيشوت» . وكان مارسيل أكثرنا خبرة ، لكن خبرته كانت هى أيضا متواضعة ، وعندما اتفقنا على ترك مجموعة بول جاكو كنا نعرب بذلك عن سخطنا على التردد والخوف وعلى انحصار العمل وسط الاجانب وحدهم وعلى الابتعاد عن المصريين وعن مشاكل مضر الحقيقية . ولهذا قررنا تاسيس حزب شيوعى .

وفى نوفمبر ١٩٢٩ اجتمعنا نحن الاربعة وقررنا اننا الحزب الشيوعى وكانت هذه سذاجة مفرطة ، وربما كانت محاولة لبث الشجاعة فى نفوسنا لكنها لم تكن باية حال تعبيراً عن واقع موضوعى .

وبدانا . . .

كان مارسيل يعمل فى مصنع قرب حلوان ، وكانت لديه بعض علاقات بالعمال ، وبعضنا كانت له علاقات بعدد من الطلاب . . . وفى نفس الوقت تأسس النادي الديمقراطي وانضمنا اليه لنعمل من داخله .

س : كيف ؟

ج : ابتداءً من نوفمبر ١٩٢٩ كنت أعتبر نفسى شيوعياً ، قبلها كانت لدى مجرد تطلعات اشتراكية . وعندما أسس هنرى كوربييل النيىاوى الديمقراطى ، قلنا لانفسنا نحن حزب شيوعى وهم تجمع قانونى علينا أن نعمل فى داخله لنكسب قوات جديدة لصفوفنا ، ثم كانت هناك أيضا جماعة الفن والحرية فعملنا معها أيضا . . .

أى اننا قسمنا نشاطنا فى الفترة الى قسمين . . .

النشاط القانونى ، وكان يذمحل فى العمل المناهض للفاشية والنشاط الديمقراطى العام ومقاومة الذعايات المناهضة للسوفييت ، ومن هذا المنطلق أقمنا علاقات مثشعية . . . مع النادي الديمقراطى (للقاهرة) ومع اتحاد السلام (اسنابسا بالاسكندرية) ومع مجموعة الفنانين السيريليين الذين أسموا انفسهم « الفن والحرية » ومنهم جورج حنين وزمسيى يونان كامل التلمسانى : وهؤلاء السيريليين لم يكونوا متفقين معنا ١٠٠٪ لكننا قلنا أنه فى بلد كمصر وفى فترة كهذه لا بد أن نتعاون مع أية قوى مستنيرة ، بينما

كان بول جاكو وأمثلة من الجيل العظيم ضيدي أي علاقة مع هذه المجموعة بحجة أنهم يروتسكيين

وأصدرنا مجلة « دون كيشوت » باللغة الفرنسية وقد عارضها مارسيل نيتنما كنت أنا وراؤول كوزيل نعتبرها مجرد وسيلة لتقريبنا من الناس

وكانت افتتاحية العدد الأول عن الاتحاد السوفييتي وكان الموقف معقدا للغاية وقد كتبها أنا وراؤول . وكانت فقرة الوفاق السوفييتي مع ألمانيا ، وكان الكثيرون يهاجمون السوفييت بعنف لهذا السبب ، وقد حاولت الافتتاحية أن تقول بأن السوفييت لم يتحالفا مع الألمان ، وبأن الحرب الفنلندية ليست ضد « المسكر الحر » وإنما هي ضد ألمانيا ، وكانت هناك رقابة على الصحف ، وكنا مضطرين أن نتلاعب بالالفاظ ، ولم يكن ممكنا أن ندافع صراحة عن السوفييت . . .

وإختلاف مارسيل معنا بسبب المجلة ، وانقضت

وتوقفت دون كيشوت وبدأت محاولة جديدة في مجلة تصدر بالعربية في المجلة الجديدة

وعن طريق « دون كيشوت » تعرفت برهنسيي يونان . . . وانقضتنا على العمل معا في المجلة الجديدة واصبحنا شركاء ، لسلامة موسى ثم اشتريت منه المجلة . وكان تكتيك زمسيس يونان وأصدقائه ، مما أتى عندما كان الاتحاد السوفييتي يتراجع أمام الألمان ، ولكن بعند معارك ستالينجراد وبداية الانتصار السوفييتي بدأوا في الهجوم على السوفييت . . . وانقسمنا وبزعم لفتي دفعت كامل ذم « المجلة الجديدة » ، الا أن القفود كانت باسم زمسيس يونان فأخذ المجلة لكنها لم تلبث أن توقفت

وفي المجلة الجديدة كنت قد تعرفت بأسمعد خليم وأسست له دار نشر هي « دار الفجر » ولم يكن أسمعد من مجموعتي لكنني كنت أساعد أي انسان تقدمي . ذلم يكن يهمني الا الفضال

وخلال تقدم القوات الهنزية في جبهة العلمين سافرت الى فلسطين حيث التقيت بعدد من الرعاق الفلسطينيين في حيفا . . .

وبعيد عودتي الى مصر بدأت في الاعتماد بالمسألة اليوغسلافية ، وكان هنيالك : : ٢٨ مهاجر يوغسلافي ، أتى بهم للصليب الأحمر ومنظمة « أونرا » وكيسوهم في معسكر في منطقة الشط بالبنال . وكانوا قد أتوا وبينهم تنظيم سياسي قوى أختبرت قيادته في يوغسلافيا وقد حاول الانجليز تدمير هذا التنظيم . . .

وشهدت اشتراك زوجتي مع عدد من السيدات الانجليزيات في تكوين لجنة للاهتمام بهم ، وقامت اللجنة بجمع تبرعات مالية ، ومساعدتهم على مواصلة نشاطهم السياسي ، وقدمنا لهم مساعدات هامة ، وقامت علاقة بيننا وبين الشيوعيين في صفوفهم ، ولفترة ليست قصيرة كنت اركز نشاطي في هذا الموضوع

وكانت هناك أيضا مشكلة اليونانيين ، كانت التشكيلات العسكرية اليونانية تقاوم سياسة الانجليز المتأمرة ضدهم والتي تحاول تصفية الفرق العسكرية اليونانية التي تنتمتع القوى الثورية فيها بنفوذ هام ، وذلك بالزج بهم في معارك غير متكافئة مع العدو وفي جبهات بعيدة عن الجبهة اليونانية ، وقد قام الجنود اليونانيون بخمسة انتفاضات هامة ، وكنا نساعدهم بمساعدات كبيرة ، وفي أحد هذه الانتفاضات حاصرتهم القوات البريطانية ومنعت عنهم الطعام ، وتحركنا نحن لمساعدتهم ، جمعنا تبرعات واشترينا طعام واتصلنا بعدد من الجنود الانجليز الشيوعيين وعن طريقهم كنا نهرب لهم الطعام والمعلومات وقدمنا لهم مساعدات جديدة

س : وكيف وهتي تركت مصر ؟

ج : في عام ١٩٤٥ بدأت الحركة الشيوعية المصرية تزدهر ، وأحسست أن جذورها بدأت تتعمق ، وكنت في عذة الاثناء أشعر أنني بثقافتي الاجنبية عاجز تماما عن تقديم المزيد ، وكان هذا احساسا بالنسبة لبقية الاجانب وقررت أن أترك مصر ، وغادرتها الى باريس حيث انضمت الى الحزب الشيوعي الفرنسي

س : هكذا أستطيع أن أصل لك الى مرحلة أساسية في الحوار وهي المجموعة الطلابية المصرية التي تكونت في باريس ، علاقتك بها ؟ نشاطها؟ كيف تكونت ؟

ج : أتى الى فرنسا طلاب مصريين كثيرين بعد الحرب العالمية الثانية وكان هناك مصريون سابقون مقيمون أيضا في فرنسا وفي عذا الجين تواجدت في مجموعة حزبية كلفها الحزب الشيوعي الفرنسي للعمل في هذا المجال . . . وهذا هو كل شيء

س : هل تسمح بمزيد من التفصيل ، ولكي أكون محددا فان هناك اعتقاد يأنك كنت على علاقة بمجموعة ما ، وأنت كنت توجهها سياسيا

ج : كان كل عنفي هو العمل على توحيد الشيوعيين المصريين ، وقد اتحدوا ولكنهم عاودوا الانقسام ، أما عن علاقتي بمجموعة ما فالحقيقة أنه

كان هنا * في باريس طلاب مصريون. كنا على علاقة بهم بحكم نشاطي الحزبي ، وبعد عودتهم أضر كان بعضهم يأتي لزيارتي ، وكنا نناقش بتبليغية الحال ، وربما جاء هذا الظن من انهم كانوا يعودون الى مصر فيقولون ان اصدقائنا في فرنسا يقولون كذا وكذا : وتصور البعض انني أوجه هؤلاء الناس من هنا . والحقيقة أنه ربما كانت لنا في فرنسا وجهة نظر معينة لكننا لم نكن ندخل في أي تفاصيل .

س : وماذا عن تدخل الحزب الشيوعي الايطالي في الاوضاع المصرية ؟

ج : الايطاليين لم يهتموا بمصر الا مؤخرا . . كان هناك مصريون سابقون أعضاء في الحزب الشيوعي الايطالي ولم تعد لهم علاقة جدية بمصر مثل ريناتو ميللي . والحقيقة ان الاهتمام بمصر عندما أتى متأخرا لم يأت عن طريقهم وإنما عن طريق بعض الصيحيين من الاوربيات الذين زاروا مصر وأنشأوا علاقات هناك .

س : وأنت شخصيا . . ماذا كان دورك ؟

ج : ربما كنت أقدم أكثر من الآخرين ، ربما كانت علاقاتي أوثق بأصدقائي القدامى من الطلاب الذين عادوا الى مصر ومارسوا دورهم ، ولكنني لم أكن أوجه أوامر أو تعليمات لاحد . . كنت فقط أقول رأيي . . وأقر أنه لم يكن هناك توجيه من الخارج لكن يمكن القول بأنه كان هناك ضغط من الخارج من أجل الوحدة .

س : ماذا اذن عن نشرة « الشرق الاوسط » والتي كنت تصدرها في باريس ، والتي انتهجت خطا سياسيا مشابها لخط من أسميتهم اصدقاءك القدامى . . ؟

ج : عندما فتحت السجون والمعتقلات في مصر قررت القيام بعمل اعلامي لمساعدة المناضلين الشيوعيين المصريين والدفاع عنهم ، ولكن لكي يمكن لهذه المجلة أن تجد قراءا كان لا بد من عدم الاكتفاء بالحديث عن المعتقلين وإنما أن نتحدث عن أوضاع مصر بشكل عام ، وقد كانت « الشرق الاوسط » مجلة جيدة . . وتضم مواد ممتازة وكان لها قراء كثيرين .

س : متى صدرت هذه المجلة . . ومتى توقفت ؟

ج : صدرت في نهاية ١٩٤٩ وتوقفت في نهاية ١٩٥١ . وكانت تصدر شهريا .

س : ماذا كانت الاهتمامات الأساسية للمجلة ؟ وما هي علاقاتها ؟
ومن كان يعولها ؟

ج : كانت مجلة مستقلة ، وكنت أنا الممول ، وأصدرتها أنا وعدد من الأصدقاء وكان تركيزنا الأساسي على قضايا الشرق الأدنى ، وكانت لنا علاقات بالشيوخيين الاسرائيليين وحتى بالانابام ، لكن الشيوعيين السوريين كانوا ضدنا .

انتهى النقاش

محاضر نقاش مع دينا فورتى *

أجريت المناقشة في روما في ٢٤ - ٢ - ١٩٧٣

س : متى بدأ نشاطك السياسي ؟ وكيف ؟ ومن خلال أية منظمات ؟
ج : بدأت نشاطي السياسي في عام ١٩٣٨ ، وكان ذلك في اتحاد أنصار السلام
س : هل يمكن أن تعطيني صورة عن تكوين اتحاد أنصار السلام ، وأسلوب عمله ؟

ج : كان الرئيس بول جاكو دي كومب ، وكان هناك عدد لا بأس به ، أذكر مجموعة من اليونانيين منهم فيو بيريدس الشاعر اليوناني الشهير الذي أقام فيملا بعد في قبرص والذي ترجمت أشعاره الى العديد من اللغات ، وأيضا زوجته الكسندرا ، وفي الاسكندرية كانت هناك مجموعة من الاجانب منهم كازيس Cazes ودورا ستوليار Dōrra Stoliar وأخوها أبي ABY وهما من أصل روسي وأذكر أن ABY هذا شارك في الحرب ضد النازي ومات في المارك في الجبهة الايطالية .

وكانت المسؤولة عن النشاط في الاسكندرية أنا طوبى ANNA TUBY
زوجة جاكو طوبى وكان شيوعيا .

س : وماذا عن نشاط اتحاد أنصار السلام ؟

ج : كان نشاطنا خلال ٢٨ - ١٩٣٩ يتركز أساسا في تأييد الجمهوريين الأسيان ، سواء في جمع تبرعات أو تنظيم حملات اعلامية ودعاية ، وأذكر اننا نظمنا حملة واسعة لجمع تبرعات لمدرسة اطفال في فالينسيا بالمنطقة المحسرة .

وكنا نظم محاضرات لتأييد الحرب الوطنية في الصين .

س : هل كان معكم مصريون ؟

* دينا فورتى مناضلة شيوعية ايطالية ، لعبت دورا هاما في حركة اليسار وسط الجالية الايطالية بمصر في نهاية الثلاثينيات ومطلع الاربعينات ، هاجرت مصر الى ايطاليا حيث ما زالت تمارس دورا نشيطا في الحزب الشيوعي الايطالي .

ج : أدرك شخصاً مُضرباً كان معنا اسمه صبحي وكان مدرساً ، وقد سمعت أنه ترك النشاط بعد ذلك .

س : هل كان نشاطك يقتصر على العمل في اتحاد أنصار السلام ؟

ج : لا . فقد كنت شيوعية وكنت مرتبطة بالحزب الشيوعي الإيطالي وكانت هناك مجموعة إيطالية أذكر منها ريناتو ميلي RENATO MIELY وزوجته إيزا ISA وأوجو ناكسون UGO NACSON ورينادو فرافره RENATO FARFARA .

وكننا نشط وسط الجالية الإيطالية لتعبئة جماهيرها ضد الفاشية وكانت هناك مجموعة إيطالية نشيطة معادية للفاشية تضم أحد قادة الحزب الاشتراكي الإيطالي وهو باولو باتينو PAWLO PATINO . والحقيقة أن المجموعة الشيوعية الإيطالية كانت نشيطة للغاية ووسعت مجالات عملها إلى حد كبير .

س : وماذا عن علاقاتكم بالحزب الشيوعي الإيطالي ؟

ج : كانت علاقتنا بفرع الحزب الشيوعي الإيطالي في فرنسا وكانوا يرسلون لنا نسخاً من جريدة كانوا يصدرونها في باريس وأسمها LA VOCE DELGLI ITALIANE (صوت الإيطاليين) وكانت تصلنا بالبريد وكننا نقوم بدورنا بتوزيعها بالبريد على الأسرى والشخصيات الإيطالية المناهضة للفاشية . وكننا نصدر منشورات في المناسبات والأحداث الهامة ونوزعها بالبريد .

وكانت المجموعة الشيوعية وخاصة ريناتو ميلي وناكسون وباتينو غاية في النشاط في مجال العمل المناهض للفاشية ، وكان هؤلاء الثلاثة مدرسين بالمدرسة الإيطالية ، ومارسوا نشاطهم على نطاق واسع في المدرسة وخاصة في فترة الحرب الإيطالية ضد الحبشة وفي الحرب الإسبانية .

وقد كان ريناتو ميلي أستاذاً في جامعة بادوا ولكنه اضطر للهجرة التي مضى في أعقاب الردة العنصرية لأنه كان يهودياً وبدأ يعمل كمدرس في اللينينية اليهودية .

ومن بين العناصر التي نشطت نشاطاً واسعاً ضد الفاشية محام إيطالي اسمه مارسيل ميسيكوا MESSICWA .

س : هل ثمة معلومات مؤكدة أن الرفيق سبانو أحد قادة الحزب

الشيوعى الإيطالى - فى ذلك الحين - زار مصر فى نهاية الثلاثينيات وأقام
بها لفترة - - فما هى معلوماتك عن هذه الزيارة ؟ وأسبابها ؟

ج : فيما أعلم أنه وصل الى مصر فى فترة الحرب ضد الحبشة وأنه
أقام فى بورسعيد بهدف تنظيم نشاط وسط الجنود الإيطاليين المتجهين الى
الحبشة ، وكان بالفعل ينظم علاقات معهم ويوزع عليهم بيانات معاوية
للحرب ضد الحبشة .

س : هل شعرت من خلال تواجذك فى اتحاد أنصار السلام بأن جول
جاكو كان يسعى لاقامة تنظيم ماركسى فى مصر ؟

ج : لم أشعر ، ولكن سمعت إنه كان يحاول ذلك .

س : وماذا عن المجموعات الشيوعية فى الاقليات الاجنبية الأخرى ؟

ج : قلت لك كان هناك يونانيين وأذكر منهم بالأضافة الى بيريدس
شخص آخر اسمه حاجى بابانديرو وهو كاتب روائى مشهور واسمه الذى
أشتهر به فى ميدان الادب هو تسيركوس Tsirkos . وكانت المجموعة
اليونانية نشيطة للغاية أكثر نشاطا منا لأن الجالية اليونانية كانت أكثر عددا
والثأثير الفأشى فيها أقل .

س : هل كنتم تصدرون نشرات أو مجلات ؟

ج : كنا تصدر مجلة باللغة الإيطالية المناهضة للفأشية وكنا نوزعها على
أسرى الحرب من الإيطاليين وقد لعبت هذه المجلة دورا هاما واسمها
FAUSTA TERNI

وكان يرأس تحريرها لارا ليفى LARA LEVI زوجة راؤول مكاريوس .

س : هل اقامت هذه المجموعة المناهضة للفأشية فى مصر علاقات مع
الأنجليز ؟

ج : طبعاً ، واتفقنا معهم على طبع مجلة باللغة الإيطالية أسمتها
الجبهة المتحدة ، FRONTE UNITO لتوزيعها على أسرى الحرب الإيطاليين
فى كل أنحاء العالم وكانت فعلا توزع فى معسكرات الأسرى بالهند وجنوب
أفريقيا وغيرها . وكان اتجاه المجلة بتقديمها بشكل عام فكانت تؤيد وتمتدح
موقف الاتحاد السوفييتى ، وتشيد ببطولة السوفييت فى معارك ستالينجراد
... الخ .

س : ماذا كان موقفكم تجاه قضايا الشعب المصرى ؟

ج : كان خطانا الأساسى أننا حصرنا انفسنا فى الاهتمام بالأوضاع
الإيطالية ، كنا نناضل من أجل إيطاليا ، ونقتنع أخبارها ، وكنا نوزع نشراتنا

على الايطاليين ، ونعمل بينهم ، وانا مثلا لم اهتم بدراسة اللغة العربية ، ولم اهتم بدراستها الا بعد ان وعيت سياسيا فحاولت ان اتلقى دروسا في اللغة العربية على يد ضيحي : . . . ولكن لم استمر طويلا . . . هذا بينما كان رباتو مييلي يتكلم العربية لكن طموحنا ونضاليتنا كانت تتركز في العمل من اجل ايطاليا وكان النموذج الامثل هو ان يعود الانسان الى ايطاليا ليقتارم الفاشية ، واذكر مثلا كارليتو مندل . وكان مناضلا

CORLETTO MENDEL

ممتازا غادر مصر الى ايطاليا عام ١٩٢٩ ليناضل الى جانب الشعب الايطالي . . . واستمر يناضل حتى قتل بايدي الفاشست عام ١٩٤٢ .

س : هل لديك اية معلومات عن نشاط المجموعات الشيوعية الأجنبية الاخرى في مصر ؟

ج : لم اكن على علاقة الا بالايطاليين واليونانيين

انتهى النقاش

مختصر نقاش مع مارسيل ميسيكو

اجريت المناقشة في باريس في ٤-٥-١٩٧٣

الاسم : مارسيل ميسيكو

تاريخ الميلاد : ١٩٠٧

محل الميلاد : الاسكندرية

المهنة : رجل اعمال ، محام

س : لود أن تعطيني فكرة عن حركة اليسار الاجنبى في الثلاثينيات ،
مكوناته منطلقاته ، اتجاهاته

ج : بالنسبة لى انا بدأت النشاط في عام ١٩٣٦ ، وكنا مجموعة من المثقفين
اليهود واليونانيين اذكر منهم شارل عيسوى * واميل نجار *
وقد تركنا شارل واتجه يمينا ، وكنا مجموعة اجنبية مغزولة تماما عن
الشعب المصرى

واذكر اننى في عام ١٩٣٦ تلقيت بالبريد طردا من الكتب الماركسية
باللغة الفرنسية وكان مرسلا لى من باريس ، واستولى عليه البوليس
ولمستدعانى جينس باشا مدير البوليس وحقق معى طويلا ، ثم اعاد لى الكتب
بعد ان نبه على الا اطلع عليها احدا غيرى

وقد ظلت لسنوات ادرس الماركسية ، واتناقش عندها مع بعض اصدقائى
الاجانب لكننى لم اتصل مطلقا باى مصرى

س : هل يمكنك ان تتذكر بعض الاسماء التى كنت تتصل بها في هذه
الفترة

ج : جاك توبى وكان زوج مدام توبى ثم انفصلت عنه ، ريمون اجيون ،
وكان هناك سيرينى وهو اشتراكى ايطالى وهو رجل ممتاز وكان اخوه احد
قادة الحزب الشيوعى الايطالى

وكانت هناك ايضا لارا ليفى زوجة راؤول مكاريوس واذكر انها كانت
تصدر مجلة ايطالية ، وعندما مر تولياتى بالقاهرة قادما من موسكو بعد الحرب
العانية توجه اليها في منزلها وانتقد المجلة نقدا شديدا

* شارل عيسوى مؤلف كتاب واسع الشهرة عن الاقتصاد المصرى
وقد المح ميسيكوه الى انه قد اسهم في اعداد مواد هذا الكتاب
* اميل نجار سفير اسرائيل في روما (وقت النقاش)

وكان هناك من اليونانيين الشاعر بيريشن والرسام أنزلو بولو واندرته
فاتيديس وهو الآن في أثينا .
س : ألم تكن لكم أية علاقات بالمصريين ؟

ج : بشكل عام لم تكن لنا علاقة بهم ولا حتى اهتمام بالاتصال بهم ، وإن
كنت أذكر بعض علاقات عابرة مع توفيق الحكيم وزعيم جرائده
س : الآن أريد أن أفهم طبيعة هذه المجموعة التي تتحدث عنها ؟

ج : كنا مجرد مجموعة من اليهود الديمقراطيين نتخذ موقفاً ضد النازي ،
وأنك لم تكن لنا أية مبررات للتصادم مع الانجليز أو للاهتمام بمشاكل
مصر . ومن هنا فقد تباعدنا عن الآخرين الذين قرروا الاهتمام بمصر
وبمشاكلها .

س : أفهم من هذا أنه لم تكن لك أية علاقات بالشيوعيين أو المنظمات
الشيوعية !

ج : كان هناك شخص إيطالي اسمه هنريكو تيزني وكان على علاقة
تدبئية بالحزب الشيوعي المصري منذ عام ١٩٢١ ، وبغدها استمر يعمل
كشيعي وسط الإيطاليين ، وكان يعطيني نشرات مكتوبة باللغة الانجليزية
تتمدح الاتحاد الشيوعي .

س : متى غادرت مصر ؟
ج : في مايو ١٩٤٨ .

انتهى النقاش

مخبر نقاش مع راؤول كوربيل *

تمت المناقشة في باريس في منتصف نوفمبر ١٩٦٨

س : ابلغني جاكو دي كومب انك عملت معه في جمعية السلام فهل
هذا صحيح ؟

ج : نعم وكان معنا ايضا راؤول مكاريوس وزوجته (وهو الذي اسس
فيما بعد مجموعة تحرير الشعب) وكان معنا ايضا سيدة ايطالية اسمها
فارسينا تيرتى صدرت في مصر جريدة ايطالية سارية اسمها (الجبهة
المتحدة)

وكذلك ريمون آجيون (انضم بعد ذلك للاتحاد الديمقراطي واسهم فيما
بعد في تأسيس مجموعة الحزب المصري) ومارسيل اسرائيل وآخرين

س : قال جاكو دي كومب انك كنت تروتسكيا ؟

ج : هذا غير صحيح على الإطلاق والحقيقة اننا اختلفنا معه لانه كان يخاف
من أية تحريك ويخشى أي ارتياح بالصريين ويعمل في حذر شديد جدا يصل الى
حد الشلل التام وكان يخشى من أي مظهر ماركسي

والحقيقة انه حتى جورج حنين لم يكن من الممكن اعتباره في ذلك الحين
تروتسكيا .. وان كان قد اصبح فيما بعد احد زعماء التروتسكيين ..

س : ما هي اساليبكم في العمل بعد الانفصال عن جاكو دي كومب ؟

ج : بدانا في تكوين مجموعات صغيرة تدرس الماركسية

انتهى النقاش

* شقيق هنري كوربيل :

نحضر نقاش مع انور كامل *

تمت المناقشة بالقاهرة في ١٤/١/١٩٦٩

س : هل تستطيع أن أسالك عن بدء علاقاتك بالاتجاه اليساري ؟

ج : في البداية اتصلت بجماعة Essayistes المحاولين ، ولكي صلتى بهذه الجماعة كانت ضعيفة جدا ولم تتمتع زيارتين أو ثلاثة لكنني لم أشعر بالقدرة على الاندماج معهم ؟

وفي عام ١٩٣٦ اصدرت كتابا اسمه « الكتاب المنبؤ » ، وقد صدر عن دار نشر يملؤها احمد الصاوي محمد وهي دار « مجلتي » .

وعن طريق هذا الكتاب تعرف بي كامل التلمساني وتدعمت العلاقات بيننا بشبكي وثيق ومستمر .

وفي عام ١٩٣٧ أو ١٩٣٨ لا اذكر بالضبط اقام التلمساني معرضا لرسومه وكان الطابع الغالب عليه هو الطابع السيريالي . وقد احدث معرضه ضجة وتجمع حوله عدد من المثقفين .

وعن طريق التلمساني تعرفت بجورج حنين وتوثقت علاقتي به وكان يرتبب في ذلك الحين هو وعدد من المصريين للانفصال عن جماعة Essayistes

وبعدما اتصلنا بالاتحاد الديمقراطي لكن لم نشعر بالارتياح معهم

ومكذا انفصل جورج حنين مكونا جماعة « الفن والحرية » ، وكنت عضوا

بها

س : ألم تتصلوا بجماعة بول جاكو دي كومب ؟

ج : هذا الاسم لا اذكره مطلقا ، ربما التقيت به ولكنني لا اذكره مطلقا .

س : كيف سار النشاط في جماعتكم الجديدة « الفن والحرية » ؟

ج : اصدرنا سلسلة من النشرات وكلها ذات طابع فني ، والحقيقة اننا

* انور كامل احد مؤسسي تجمعات اليسار المصري في الثلاثينات وتتميز محاولته بانها في جوهرها محاولة مصرية صرفة بعد صدام مع القوى الاخرى . وتحت تأثير علاقاته الشخصية بعناصر تروتسكية اصبح تروتسكيا وفي منتصف الاربعينات توقف عن النشاط ثم اصدر بعد ذلك كتبيا يهاجم فيه الشيوعية ويصفها بانها افيون الشعب .

كنا جميعا نتجه الى الفن ، واذكر ان اول نشراتنا كانت عذيفة جدا وتتضمن بياننا بعنوان « يحيى الفن المنحط » وقد طبعناها بالعربية والفرنسية وقد وقع هذا البيان سلامة موسى ، جورج حنين ، زمسيس يونان ، فواد كامل ، كامل التلمساني ، وانا . . .

وعلى ظهر النشرة طبعنا صورة « جرنیکا » لبيكاسو .

وهذه النشرة رغم صغرما كانت بالغة الاهمية . . . والبيان كان اتجاها العام فمادى للفائضية ودفاع عن حرية الرأي وحرية الادب والفن . . . لكن لم تكن هناك اتجاهات اشتراكية بالمعنى المفهوم . . . لكن اهمية هذا النداء ان موقعه كانوا جميعا من المصريين . . .

وعقب نجاح النشرة الاولى تحممتنا لاصدار نشرة ثانية وكانت دراسة لانييرم جيد اعتقد ان عنوانها كان « دفاع عن الثقافة » . . .

وعقب ذلك تجمع حولنا عدد من الشبان واحسنت انه لابد ان تكون لنا مجلة فحصلت على ترخيص مجلة « التطور » . . . وكنت رئيس التحرير وكان يكتب في المجلة رمسيس يونان ، كامل التلمساني ، احمد عبد العزيز هيكل ، وانا ، عصام الدين حدني ناصف ، توفيق حنا ، زكي سلامة ، عبد الغنى سعيد ، د . نظمي لوقا (وقد كتب مقالا بعنوان « انى اتهم ») . . . وكانت هناك قصص يكتبها البير قصيري وكان يكتبها بالفرنسية ثم نترجمها الى العربية وبالرغم من ذلك بقي في اعتقادي اول قصص عبرت عن التجو الشعبى وعن الاتجاهات الجديدة . . . والمجموعة كلها كما نرى كانت مصرية وهذا هام جدا لكن كان هناك قليل جدا من الاجانب منهم البير قصيري وسام كنتروفيتش . . .
س : يتهم الكثيرون مجلة « التطور » بانها كانت مجلة تروتسكية ، لكننى قرأت فيها عدة مقالات تدافع عن الاتجاه السوفييتى . . . فهل لديك تفسير لذلك ؟ . . .

ج : الحقيقة اننا لم يكن لنا خط واضح في مجلة التطور ، وفي المقال الانتقاهى لاول عيد اصدارنا قلت ان هذه المجلة ستكون بوقت تنصير فيها الافكار المختلفة ، لكن الخط العام للمجلة كان الدفاع عن الحرية وعن حقوق الشعب الديمقراطية . . . مع اتجاهات يئارية دون خط محدد . . .

واذكر اننا هاجمنا في احد الاعداد الزينات التى اقيمت في احدى المناسبات الخاصة بالملك ، عيد ميلاده او عيد جلوسه لا اذكر . . . وفي برواز في صدر الصفحة كتبنا نقول « هذه الزينات في الوقت الذى يجوع فيه الشعب » . . .

وتحول مجلة التطور تجمع عدد كبير من الشبان المصريين المتحمسين للاصلاح ، وبدأت اشعر اننا بحاجة الى حركة اكثر ارتباطا بمشاكل . . .

الجماميز . . . وهكذا تزعمت مجموعة من أعضاء « الفن والحرية » ان تكون ناديا جديدا اسميناه « الخبز والحرية » .

س : هل كان معكم مارسيل اسرائيل في هذه الحركة الجديدة ؟

ج : لم يكن معنا اجانب مطلقا . والحقيقة انه قد حدثت محاولات عديدة من جانب العناصر الاجنبية للاتصال بنا منذ ان كنا في « الفن والحرية » ، وكانت هناك محاولات للاندماج معنا ، لكنني لم اكن ارتاح اليهم ولم اكن اتصور ان اجنبيا مهما كان اخلاصه يمكنه ان يصبح زعيما لحركة شعبية مصرية ، وكنت ارى انه يتعين على حركتنا ان تكون مصرية شعبية واذ كان هناك اجنبيا مخلصا للقضية فعليه ان يقدم مساعداته وخدماته من الخارج .

ويذكرني ذلك بمقال نشره عبد المعنى سعيد في مجلة الثقافة العمالية منذ عدة اشهر قال فيه اننى عندما كنت رئيسا لتحريره التطور خضعت لاموال هنري كوريفيل وانه نصحني في ذلك الحين بالابتعاد عن كوريفيل . وهذا الكلام غير صحيح على الاطلاق .

س : لدى تقرير كتبه مارسيل اسرائيل عن تاريخ الحركة قال فيه صراحة انه هو الذى اسس « الخبز والحرية » ، فما رأيك في هذا ؟

ج : لا جدال في ان مارسيل اتصل بنا ، وحاول ان يؤثر فينا ، لكنني وزملائي جميعا صممنا على ان نكون « الخبز والحرية » حركة مصرية . . . ولم يكن مارسيل اسرائيل وحده هو الذى حاول ذلك فقد حاول كوريفيل وشوارتز وآخرون الاتصال بنا لكنني رفضت ذلك رفضا قاطعا حتى انهم بدأوا يظنونني بالشوفينية .

وفعلا مارسيل اتصل بنا لبعثة اشهر وحاول ان يؤثر فينا . لكنني لم يتزعمننا مطلقا وبعد عدة اشهر اوقف اتصالاته بنا
وأود ان تقصو حقيقتة أوضاعنا في ذلك الحين كانت هناك تيارات عديدة وغير واضحة . . . الاتحاد الديمقراطي . . حركة معارضة العداء للشامية وحركات واندية وجفاعات اخرى عديدة اجنبية وغير واضحة الاتجاه ولم تكن نفهم ماذا يريدون بالضبط . . وكان طبيعيا ان نشكك نحن بمصرية الحركة ورفض اي اجنبي .

س : هل كانت « الخبز والحرية » تنظيما ماركسيا ؟

ج : في البداية كانت مجلة التطور مجرد مجلة تستهدف التقدم والدفاع عن الحرية والديمقراطية ولم تكن قد اظلمنا على المراجع الماركسية ولم تكن

مباحة في مصر في ذلك الحين ، لكنها بعد ذلك وصلت الى ايدينا عن طريق جورج خنين ومارسيل اسراييل ثم عن طريق كوربييل .

س : ماذا كان مصير مجلة التطور ؟

ج : لم يصدر من المجلة سوى سبعة اعداد ثم توقفت .

س : لماذا توقفت ؟

ج : كان جورج خنين هو الضامن المالى للمجلة وعندما انفصلت عن جماعة « الفن الحرة » سحب الضمان فسحب ترخيص المجلة وتوقفت عن الصدور .

س : ماذا حدث بعد تكوين « الخبز والحرة » ؟

ج : استأجرنا مكتب « للخبز والحرة » ، كنا نعقد فيه اجتماعاتنا غدا كنا جمعية علنية لكن البوليس حاصر المكان ومنع اي انسان من دخوله فاضطرت الى تحويل مسكني الى مقر للجمعية . واخذنا نلتقى بالعديد من الشبان وطلبة الجامعات لنمارس نشاطا يساريا .

س : ما هو تقييمك « للفن والحرة » ؟

ج : هناك حقيقة هامة تستلقت النظر هي أن الاتجاه اليساري المصري نشأ في البداية في وسط الفنانين والكتاب وقد نشأ مرتبطا بالتيار اليساري الى التشكيلي ، وكان هناك لقاء غريب بين اليسارية وبين السيريلية في الرسم والشعر ، وفي اعتقادي أن الحركتين كانتا في الجوهر تمرد على الاوضاع السائدة .

وفي عام ١٩٤٠ أقمنا معرض تشكيلي أسميناه « المعرض الاول للفن الحر » وكان شعاره Et Apres « وماذا بعد » وقد نظمنا دعاية ضخمة لهذا المعرض وسط المثقفين ووزعنا عدة آلاف من الدعوات .

وقد استمر المعرض أسبوعين وزاره عدد كبير جدا من الناس وأذكر أن كلمة Et Apres كانت تتردد وسط مثقفي القاهرة كثيرا جدا في هذه الأيام كنتيجة لتأثيرهم بهذا المعرض .

س : بعد تكوينكم الخبز والحرة هل استمرت علاقاتكم بالفن والحرة؟

ج : انفصلنا .. ولكننا ظللنا أصدقاء ..

س : من كان معك في الخبز والحرة ؟

ج : فتحى الرملى . . . احمد عبد العزيز هيكل واسعد حليم وآخريين . .
لكن اسعد حليم لم يستمر طويلا معنا والحقيقة ان عدنا كان قليلا لكننا
أحدثنا ضجة كبيرة وامكننا ان نهز الفكر المصرى عزة عنيقة ، ولو جمعنا
عدد أعضائنا ، كل المنظمات التى نشأت فى ذلك الحين لوجدنا ، أنه قليل جدا
بالنسبة للاثر الفكرى الذى أحدثوه ، فقد كان هناك فراغ فكرى عجزت
البرجوازية عجزا تاما عن ملئه ، وفى هذه الفترة قمنا نحن فكرنا الجديد .
وقد ساعدنا على ذلك ارتباط التيار اليسارى بالوجة التبشيرية فى الصين
واسلوب التعبير .

س : لى سؤال اريد اجابة صريحة عليه : ما هى علاقتكم بالترتسكية ؟

ج : كان هناك أكثر من اتجاه وسط اليسار ، كانت الغالبية ستالينية
وعدد قليل تروتسكى وأذكر مثلا انهم كانوا يقولون ان جورج حنين تروتسكى
واعتقد ان هذا صحيح ، لكن فكرا كهذا لم يكن من الممكن ان يظهر ويتطور
الا من خلال تنظيم سياسى وجورج حنين لم يكون تنظيم سياسى
وأريد ان أشير الى ان ارتباط هذه الوجة اليسارية بالفن والفنانين قد
أعاق تحولها الى تنظيم ، بالفنانين عادة يحبون الدراسة لكنهم لا يقبلون
بسهولة الخضوع لقيود التنظيم .

س : أليست لديك أية معلومات عن التنظيمات التروتسكية أكثر من
ذلك ؟

ج : الحقيقة اننا كنا فى بداية الطريق للدراسة النظرية كنا يماريين
لكن لم نتح لنا فرصة دراسة أفكار ستالين وأفكار تروتسكى والمفاضلة
بينهما . . . لكننى متأكد ان جورج حنين وقد كان أكثر اطلاعا كان له موقف
محدد هو ولطف الله سليمان واعتقد انهما كانا تروتسكيين .

س : ما هى علاقتك بعادل كامل وبشخصيات قصته ، سليم الأكبر ، ؟

ج : لقد نشأت هذه العلاقة بالصدفة . . . فقد قبض على كمنهم أول
فى قضية جماعة « الخبز والحرية » وظلت محبوسا تحت تحقيق لمدة عشر
أشهر ولم أوكل محاميا للدفاع عنى فاختارت المحكمة أحد المحامين وكان
عادل كامل . . . وقرأ المجامى أوراق القضية والضبوطات وتأثر بها وأذكر
أنه أعد دفعا ممتازا بعدم الاختصاص وقد قبلت المحكمة هذا الدفع . . .

ومنذ عدة أشهر شاهدت عادل كامل فى برنامج تليفزيونى يقول ان
قضيته قد غيرت مجرى حياته لكننى لا أخفى عليك اننى لم أقرأ قصة « سليم
الأكبر » . . .

س : مرة أخرى أريد أن أرجع إلى سؤال أريد عنك اجابة جيدة
هل كان مارسيل اسرائيل عضواً في « الخبز والحرية » أم لا ؟

ج : اقطع انه لم يكن عضواً ، لكنه حاول لفترة من الوقت ان يسايرنا
وفشل

س : هل كانت الخلافات بينك وبين المجموعات الاخرى محصورة في
موضوع «مصريين واجانب» ؟

ج : لم يكن هذا هو الخلاف الوحيد ، بل كان هناك خلاف جذري آخر
هو انهم كانوا يسمعون الى تأسيس منظمات سرية ذات صبغة شيوعية اما أنا
فكنت ارى ضرورة تأسيس حركة علنية والاستفادة من الامكانيات القانونية
وكتب اجهيد نفسي بجد من تكييف قانوني ، فالاشتراكية مثلاً لا يعاقب
عليها القانون ولهذا قلت اننا اشراكيون ولينا شيوعيين

وَمَدَّ قَبِيضَ عَلَيَّ مَرَّةً مَرَّةً وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كُنْتُ اعترف انني اسعى الى
تغيير نظام الحكم واقامة الاشتراكية لكنني كنت اؤكد انني اسعى للتغيير
بالطرق المشروعة

وكننت أقول ان هناك مادة في الدستور تمنح نزع الملكية للمصلحة
العامة اذا ما رأى البرلمان ان المصلحة العامة تقتضى تأميم وسائل الانتاج
فان ذلك من حقه وفقاً للدستور
وكان مسئلي هذا سبباً في تناقض شديد مع الآخرين

س : هل هذا هو سبب ضعف التنظيم الذي سميت لانشائه ثم انهياره ؟

ج : لا ، لكن السبب هو انني اعتقلت مرات كثيرة جداً في الفترة من
١٩٤٥ حتى ١٩٤٦ ، كنت افضى شهرين أو ثلاثة أشهر بالخارج ثم اعتقل
شهوراً عديدة وخلال وجودي في السجن كان الاجانب ينتهزون هذه الفرصة
لاجتذاب العناصر التي اجمعها حولي فاعود لاجل جندا في اختيار عناصر
جديدة ، ويمد قليل اعتقل من جديد

س : هل لك ملاحظات على دور الاجانب في الحركة الشيوعية ؟

ج : الشيء الذي أريد أن أؤكدته هو أنه كانت عنباك عناصر مصرية متفجرة ومطلعة الى التغيير والبيئة المصرية كان تخلق هذا في نفوسنا بصورة موضوعية وليس صحيحا أن الاجانب عم الذين أحدثوا هذا التفجر أو هذا الاتجاه نحو اليسار ، فأنا والتلمساني وكثيرين من المصريين اتجهنا يسارا دون أن تكون لنا علاقة بالاجانب .

وإنا لا نستطيع أن أنهم هؤلاء الاجانب ، لكنى فقط أرفض تصميمهم على قيادة حركة مصرية والغريب أنهم لم يكتفوا بالمشاركة في الحركة وإنما كانوا يصممون على قيادتها .

وأود أن أذكر هنا حقيقة هي أن مارسيل لم يكن كالأخرين فلم يكن يريد أن يتزعّم الحركة .

س : مرة أخرى أريد الرجوع الى موضوع التروتسكية هل تذكر شيئا بخصوصها ؟

ج : لقد حدثت تطورات بعد الفترة التي تحدثنا عنها . . . فنجورج حنين ورمسيس يوتان تسلموا المجلة الجديدة ، من سلامة موسى واستمروا في إصدارها عاما ونصف بصورة عادية وبعد ذلك تحولت فجأة الى مجلة تروتسكية سافرة وبدأت في مهاجمة الستالينية وفي تقديم أفكار تروتسكي .

س : وسلامة موسى هل كان يخطط مجموعة ؟

ج : لا . . . إنما جمع حوله مجموعة من المرئدين والمؤمنين بإنكاره وإن كان لم يسمع الى تكوين تنظيم .

انتهى النقاش

تقرير مارسيل اسرائيل (تشييرى) *

(١) بدايات الحركة العمالية في مصر

وبينما كانت الحركة العمالية لا تزال تتخطو خطواتها الاولى ، كان هناك عاملان مساعدان ، الاول هو بعض العناصر ذات الاتجاهات الماركسية بين العمال الاجانب في مصر (وبالاخص الارمن واليونانيين) ومن المعروف ان اللجان النقابية الاولى في مصر كانت تضم بعضا من العمال الاجانب المتأثرين بالماركسية .

وكان هناك أيضا الكثير من المهاجرين الروس الفارين من الاضطهاد القيصري (ومعظمهم من اليهود) وكان بعضهم من البلاشفة (وكان لينين خلال اقامته في فرنسا وسويسرا يجد أنه من الأفضل للتهرب من تعسف الرقابة القيصرية أن يستخدم بعض أصدقائه في مصر كوسطاء في مراسلاته مع روسيا) .

أما العامل الثاني في مساعدة الحركة العمالية المصرية فهو المساندة التي حصلت عليها الحركة الوليدة من الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل والذي كان محمد فريد خليفته في قيادة الحزب برجوازي تقدمي بالفعل وكان للحزب الوطني يساعده الحركة العمالية في الداخل ليزداد قوة في صراعه ضد الامبريالية وبملائها الانتطاعيين أما في الخارج فقد كان يسعى للحصول على مساندة الحركة الاشتراكية العالمية (أو على الأصح لقد قبل بارثناخ المساندة التي كان من الطبيعي أن تقدمها له هذه الحركة) . وقد ضم مؤتمر الحزب الوطني الذي عقد في بروكسل ١٩١٢ (١) مدعويين من

* من أصل ايطالي - لعب دورا عاما في النشاط اليساري في نهاية الثلاثينيات وفي الاربعينيات . والوثيقة المعروضة عبارة عن ترجمة لصفحات من تقرير مكتوب على الآلة الكاتبة باللغة الفرنسية وهو عبارة عن محاولة لتاريخ لحركة اليسار المصري مرفوعة الى قيادة الحزب الشيوعي الايطالي كتبها مارسيل اسرائيل بعد ابعاده عن مصر مقدما نفسه الى الحزب الشيوعي الايطالي . وقد أوردنا النص كاملا باستثناء بعض صفحات لا تتعلق بموضوع الدراسة أو نقاش فترة لاحقة .

١ - الحقيقة أن هذا المؤتمر افتتح في ٢٢ سبتمبر ١٩١٠ - المؤلف -

أغلبية الأحزاب الاشتراكية الأوروبية وكان لاختيار الزعيم العمالي الإنجليزي
الكبير كير هاردى في الرئاسة الشرفية للمؤتمر مغزى خاص بالنسبة لحرب
يناضل ضد انجلترا .

وعشية الحرب ولدت حركة ماركسية بين بعض المثقفين المتأثرين بثورة
أكتوبر وبالحرركات الاشتراكية خصوصا في ألمانيا وانجلترا (حيث كان
الكثير من الطلاب المصريين يستكملون دراساتهم)

وهؤلاء المثقفون - الذين كانت أفكارهم عن الماركسية مشوهة بتأثير
الاشتراكية الديمقراطية الألمانية والاصلاحية الإنجليزية - اشتركوا مع بعض
الماركسيين الأجانب القيمين في مصر (وبالأخص يهود من أصل روسي) في
العمل من أجل تأسيس الحزب الاشتراكي المصري

ولا يجب أن نغفل من تأثير ثورة أكتوبر على الحركة الوطنية المصرية
التي كان جناحا كاملا منها (يتكون في الأساس من العمال ومن متتقى الطبقة
الوسطى) يتخذها منارا له .

وخلال الثورة الوطنية تأسست بعض السوفيئات في بعض القرى ولكنها
دمرت بواسطة القوات البريطانية ويكفي القول هنا بأن الجنرال البريطاني
ويلسون الذي كان في ذلك الوقت على رأس قوات التدخل في القوقاز قد كتب
في أحد تقاريره إلى الحكومة الإنجليزية ناصحا بالانسحاب الفوري من
الأراضي السوفييتية بهدف التركيز على الدفاع عن بعض أجزاء الامبراطورية
(وهي الهند ومصر) من تهديد التأثير البلشفي .

وسرعان ما نشأ داخل الحزب الاشتراكي اتجاهان أحدهما (بزعمامة
محمود حسنى العرابي) اتخذه مسارا ثوريا ، بينما كان الاتجاه الثاني
اصلاحيا .

(٢) نشأة الحزب الشيوعي المصري وتطوره

(١٩٢٢ - ١٩٣١)

في عام ١٩٢٢ قرر الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي المصري الاشتراك
في المؤتمر الرابع للدولية الشيوعية . وأوفد محمود حسنى العرابي إلى موسكو
وشارك العرابي ايجابيا في أعمال المؤتمر وقدم تقريرا عن أهداف ونشاط
الحزب الاشتراكي المصري ، وجاء في تقرير المؤتمر أنه قد تكونت لجنة لمناقشة
ذلك التقرير انتدبت إلى أن الجناح اليساري للحزب الاشتراكي المصري تتوفر
فيه جميع الشروط اللازمة للانضمام إلى الدولية الشيوعية - تحت تحفظ بان

يُفصل عن الجناح الاصلاحى وينظم نفسه كحزب شيوعى . وينبؤ أنه قسدا
وجهت الى العرابى نصيحة بان يبادر فور عودته الى مصر بفقد مؤتمر يدعى
فيه جميع التجمعات والشخصيات ذات الافكار الثورية الموجودة خارج
الحزب بهدف تأسيس الحزب الشيوعى وتحديد برنامجه .

ولكن لم يقدر لهذا المؤتمر أن ينعقد (١) وانفصل الجناح الموالى
للعرابى عن الاصلاحيين ووضع برنامجا للحزب واعتبر فرعا مصرية للدولية
الشيوعية . واخذ الحزب على عاتقه مهمة تنظيم النقابات ، وسرعان ما نجح
فى توحيدها فى اتحاد عام (كان سكرتيره صفوان مضموا . فى اللجنة المركزية
للحزب فى نفس الوقت) (٢) وكانت الاسكندرية هى الموقع القوي للحزب
حيث كانت وتذاك المركز الرئيسى للصناعة فى مصر .

وكان محمود العرابى قد ترجم الى العربية احد اعمال مكدونالد (٣) (٤)
ثم وضع كتيباً حول النقابات ودورها .

ولم يكن الحزب غير شرعى بل ان برنامجه قد نشر فى الصحافة
المصرية فى اوائل ١٩٢٤ (بما فى ذلك الجريدة شبه الرسمية وهى الأهرام) .

وكان الحزب ضعيفا جدا فى الكوادر الماركسية واعمل عمليا تكوين
كوادر جديدة .

وقد قام شخص يدعى رفعت بترجمة كتاب لينين ، الدولة والثورة ،
ولكنه يدعى شرح وتفسير كل جملة من جمل لينين . قد حول احدى روائع
النظرية الماركسية الى رطانة غير مفهومة .

ولم يهتم الحزب - على عكس المفروض - بالمسألة الفلاحية ، وهى مسألة
كان يجب أن تكون فى بلد زراعى كمصر المحور الاساسى لنشاطه مما عزله
عن الجماهير العريضة فى مصر .

وبطبيعة الحال فان الحزب كان يفاضل ضد الاستعمار ولكنه لم يعتبر
ذلك واجبه الاساسى الامر الذى ادى بالضرورة الى عزله عن الحركة الوطنية
وتركها فى ايدي البرجوازية (الممثلة اساسا فى حزب الوفد) .

- ١- عقد هذا المؤتمر وهو المؤتمر الثانى للحزب فى ٦ يناير ١٩٢٣ - المؤلف
- ٢- الحقيقة ان الحزب قد نجح فى تأسيس الاتحادي العام للنقابات
منذ أن تأسس كحزب اشتراكى فى أغسطس ١٩٢١ - المؤلف
- ٣- كتاب الاشتراكية - المؤلف

وكانت مصر (بعد تصريح فبراير ١٩٢٢) مستعمرة من الدرجة الثانية
(كان ستالين قد صنف مصر في خطابه الشهير أمام جامعة كادحي الشرق
على أنها مستعمرة من الدرجة الثانية) .

وأمام النمو المتزايد للحزب الشيوعي وتأثيره المتعاظم على الطبقة العاملة
قررت الامبريالية والبرجوازية العميلة توجيه ضربة قاسية له ، وسهل لهم
هذه المهمة (كما يحدث دائما) تطرف الحزب الشيوعي الفاشي .

وفي عام ١٩٢٤ وخلال معركة دائرة في الاسكندرية من أجل مطالب
عمالبة اطلاق الحزب نداء بالاضراب العام المصحوب باحتلال المصانع وتضمين
الغداء احياءات مليئة بالمعصيان والثورة . ونفذ عمال الاسكندرية توجيهات
الحزب والاتحاد العام بحماس ، واحتلوا مصنع الشركة الاهلية للفزل
بالاسكندرية وهو مصنع يضم عدة آلاف من العمال ورأسماله اجنبي (أساسا
انجليزى) .

وتدخل الاستعمار البريطاني مستندا الى أحد التحفظات الاربعة
الوازية في تصريح فبراير ١٩٢٢ وهو التحفظ الخاص بالمحافظة على المصالح
الاجنبية وأرسل مذكرة الى الحكومة المصرية التي كان يرأسها في ذلك الوقت
سعد زغلول مطالبا بوضع حد لتهياج العمال مهددا بالتدخل المباشر للقوات
البريطانية .

وخضع سعد زغلول للضغط البريطاني وبعد أن اجلى العمال عن
المصانع مستخدما الوعد الكاذبة ، انقلب على الحزب الشيوعي وأعلن أنه
أصبح غير مشروع واءتقل قاداته (العرابي ، صفوان ، أنطون مارون وعدد
كثير من الشيوعيين) .

وأعلن بالاضافة الى ذلك حل اتحاد النقابات . وحكمت المحكمة على
عدد من المتهمين بالسجن ثلاث سنوات مع الشغل وعلى البعض الآخر بعقوبات
أقل .

وعقب اضراب عن الطعام قام به المسجونون احتجاجا على نظام
الحبس الانفرادي الذي فرض عليهم في سجن الحدره بالاسكندرية فقد أنطون
مارون ألم وأخلص قادة الحزب حياته . وكان بذلك أول شهداء الحركة
الشيوعية المصرية .

وكانت الاحكام التي صدرت ضد قيادات الحزب للشيوعي البصري .

موضوع بيان أصدرته الدولية الثالثة تدعو فيه جميع الأحزاب الشيوعية في العالم الى الاحتجاج على الارهاب ، والى التضامن مع المحكوم عليهم .

وكانت تلك الضربة ذات نتائج غاية في الخطورة بالنسبة للحزب ، فلم يكن الحزب يضم كوادر ثورية حقيقية (والذين سجنوا كانوا برغم قلة خبرتهم هم الوحيدين الذين يمتلكون بعض الخبرة) .

ولم يكن الحزب مستعدا للعمل السرى ، وكان معزولا عن الحركة العامة للجماهير ، ولم تكن له أية صلة بالفلاحين ، وصلته بالطبقة العاملة لم يكن قد توفر لها الوقت الكافى لتقوى . هذا بالإضافة الى أن تجربة الاسكندرية المتطرفة بما صاحبها من فشل ونتائج سيئة قد أصابت نفوذ الحزب وسط جماهير العمال أنفسهم ، وقد انتهز الوفد الفرصة فشكّل على الفور منظمة عمالية تحت قيادته .

أما سكرتير الحزب محمود حسنى العربى (وكان قد حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات) فقد سعى في فترة تالية الى التواء مسؤولية الاضراب والعصيان الذى وقع بالاسكندرية على الدولية الشيوعية وادعى أنه قد صدرت اليه تعليمات بأن يتولى قيادة تنظيم الاضراب شخص موقد من قبل اللجنة المركزية للكومنترن ، وسواء كان قد تلقى مثل هذه التعليمات أم لا (يجب أن نتذكر أنه كان يوجد - في ذلك الوقت - عدد كبير من عملاء تروتسكى في صفوف الدولية الشيوعية التى كانت في تلك الفترة تحت قيادة الخسائن زينوفيف) فان مسؤولية محمرد العربى في ذلك ليست ضئيلة ، وعلى أية حال فإنه قد انتهى بأن أصبح عشية الحرب العالمية الثانية وخلالها رئيس الطابور الخامس النازى في مصر .

لكن الحزب الشيوعى المصرى لم يتحطم تماما في ١٩٢٤ بل استمرت الكثير من خلاياه في مختلف المدن المصرية . وأعاد الحزب تنظيم نفسه ، وكون لجنة مركزية جديدة ، ومن وقت لآخر كان بعض العمال يرسلون الى مدرسة الكوادر في موسكو . وقد أصدر الحزب ووزع عدداً من الكتيبات . وكان الحزب على صلة بالحزب الشيوعى الفلسطينى ، وظل باستمرار فرعاً معتزلاً به من قبل الدولية الشيوعية . كذلك انضمت الى الحزب التجمعات الشيوعية لليونانيين والارمن ، وانضم اليه عدد من المثقفين المصريين .

وفي بعض الاحيان كان يقبض على أعضاء من الحزب وينحكم عليهم بالسجن وكان نشاط الحزب سرياً تماماً ولا يبدو أنه استطاع بأى شكل من

الأشكال استغلال أية امكانيات للنضال المشروع (١) .

وباختصار واصل الحزب حياته في وجه صعوبات بالغة .

وعندما خرج محمود حسنى العرابى من السجن اقترح ان ينسحب الحزب من الدولية وطالب باتخاذ مواقف ذات مضمون انتهازى .

وبعد ذلك عين عامل يدعى عبد العزيز كان قد تلقى دراسته في هوسكو في منصب سكرتير الحزب . وكان ترشيحه بناء على توصية من منساضل يونانى قديم يدعى ياناكاكس .

وتحت قيادة عبد العزيز أصيب الحزب بضربات عنيفة ، فاكثرت كوادره وقيادته اخلاصا كانوا يقبضون عليهم أو يختفون بطريقة غامضة ، بل يبدو أن أحد مبعوثى الدولية الشيوعية قد اختفى . هو أيضا لدى مروره بمصر والبعض الآخر (* * * * *) قبض عليه وسجن أو طرد من البلاد .

ولم يكتشف أمر عبد العزيز كعميل للدوليس السياسى المصرى الا حوالى ١٩٣١ . أما ياناكاكس فبالرغم من عدم توجيه أى اتهام اليه الا أنه طرد من الدولية الشيوعية لترشيحه لعبد العزيز . وظل حتى وفاته يساعد الحركة الشيوعية في مصر بعد أن أعيد تنظيمها ، ولكنه رفض الانضمام اليها تمشيا مع قرار الدولية الشيوعية الصادر ضده .

أما عبد العزيز فقد أحس بخيانتة فيما بعد ومات ميتة بائسة وهو نصف مجنون .

وقد نجحت الخيانة من الداخل في أن تحيق بالحزب ما فشلت فيه الاضطهادات والملاحقات من الخارج . فلم يعد للحزب وجود فعلى بعد ذلك ولم يعد معتقرا به كمرع للدولية الشيوعية . وبذلك كسبت الامبريالية البريطانية والرجعية المصرية الموقعة الاولى في المعركة .

وبالرغم من جو الصمت المطبق الذى أحيط بالحزب من قبيل جميع المؤرخين فان هذا الحزب قد ترك لدى بعض منات العمال والمتقنين كثيرا من مشاعر الحنين .

١ - أصدر الحزب في ذلك الحين مجلة علنية اسمها « الحساب » كان يرأس تحريرها رفيق جبور عضو اللجنة المركزية للحزب - المؤلف .
* غير واضحة الأصل .

وفوق ذلك فان هذا الحزب بالرغم من أخطائه وما صادفه من تعاسة يشكل خبرة نضالية هامة عمرها عشر سنوات كان من الضروري دراستها على اساس من التحليل الموضوعى والنقد البناء والاستفادة منها في المرحلة التحفيدة في الحركة الشيوعية . لكن ذلك لم يتم للأسف الشديد .

(٣) نشأة الجماعات الماركسية الاجنبية ونشاطها (١٩٣٤ - ١٩٣٩)

خلال سنوات عديدة ظلت مصر محرومة من أى نشاط شيوعى فعلى ، وان كان قد بقي القبض ذات مرة على عدد من الشيوعيين الامرن ويبدو أن بعض أعضاء الحزب التقدمى فى الاسكندرية كانوا جميعا معروفين للبوليس بسبب خيانة عبد العزيز قد احتفظوا بصلتهم مع بعضهم البعض . نون أن يمارسوا أى نشاط .

وفى ١٩٣٤ قامت جماعة من الماركسيين الاجانب فى الاسكندرية بتأسيس جمعية انموا « رابطة انصار السلام » La Ligue Pacifiste وسرعان ما تأسست جمعية مماثلة بالقاهرة وكان غلبية الاعضاء من اليونانيين واليهود من مختلف الجنسيات . وكان الحرك الحقيقى وراء هذا النشاط بول جاكو دى كورب وهو سويسرى كان على صلة بالدولية وبالْحزب الشيوعى الفرنسى .

وقد انضمت الرابطان الى « التجمع العالمى للسلام »

• Rassemblement Universel Pour La Paix

وقد استطاعت هذه الجماعة الماركسية أن تنمى من نشاطها بشكل محدود خلال عدة سنوات لكن نشاطها الحدود هذا اقتصر على اوساط الاجانب (حيث كان يقيم فى مصر اقامة دائمة حوالى ربع مليون اجنبى معظمهم مستقرين فى القاهرة والاسكندرية) .

وقد اتصفت هذه الجماعة بما يلى :

أ - اقتصر نشاطها على الاجانب . وعم اجانب يقيمون فى بلد مستعمر يخضع لنظام الامتيازات الاجنبية الامر الذى جعل منهم فى واقع الامر دولة داخل الدولة ، وكانوا معزولين الى حد كبير جدا عن باقى السكان . ولم يكونوا يعرفون الا القليل جدا عن واقع مصر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى وباستثناء عدد محدود جدا كانوا لا يعرفون اللغة العربية .

ب - كان الاعضاء اليونانيون فى هذه المجموعة يشكلون فى واقع الامر احدى خلايا الحزب الشيوعى اليونانى . اما باقى الاعضاء فقد كانوا يحكم ثقافتهم الفرنسية مرتبطين عاطفيا وسياسيا بالحزب الشيوعى الفرنسى .

جاء هؤلاء الماركسيون الأجانب لم يكن لديهم في واقع الأمر أية خبرة في
في النضال الشيوعي (لا من وجهة النظر السياسية ولا من وجهة
النظر التنظيمية) . وبحكم أنهم تقريباً قد ولدوا جميعاً في مصر
وأمضوا بها حياتهم فلم يكن بإمكانهم أن ينقلوا إلى الحركة الشيوعية
المصرية خبرات النضال الدولي للبروليتاريا .

وقد تسلط على أذهان هذه المجموعة شبح المصير الممزن للحزب
الشيوعي المصري (الذي كانه اثنان تولينا سكرتيريته على التوالي) الأمر
الذي دفعهما إلى انتهاج موقف شديد التطرف يقسم بالتشكك في كل الناس :

وبدلاً من أن تفتتح هذه المجموعة على الجماهير متمسكة بيقظتها فإن
هذه المجموعة قد نهجت نهجاً حلقياً وانغلقت على نفسها بصورة شديدة
بحيث لم تفتح أبوابها خلال أكثر من عشر سنوات إلا لعدد قليل جداً من
الأجانب .

وأم تحوّل هذه المجموعة المغلقة إلى تنظيم (له خلايا وقيادة) إلا
عام ١٩٤٥ .

ولكن الخطأ الأكبر الذي ارتكبه هذه المجموعة كان في تبنيها لتطيل
غير صحيح يقوم على أساس أن فشل الحزب الشيوعي المصري السابق
كان نتيجة لأن الظروف الموضوعية في مصر لم تكن قد نضجت لقيام مثل
هذا الحزب .

وهكذا وبدلاً من تحليل التجربة الأليمة ، وبدلاً من أن تصبح المشكلة
المباشرة هي إعادة تنظيم الحزب الشيوعي المصري (أو إعادة تأسيسه) فإن
هذا التجمع الماركسي الأجنبي قد تجاهل الخبرات السابقة وتبنى خطأ
ينادي بأنه يتعين على مصر أن تمر خلال تطورات اقتصادية وسياسية طويلة
تقبل أن تصبح الطبقة العاملة المصرية جديرة بتكوين حزبيها وحتى يتم ذلك
فإنه يتعين على الماركسيين أن يؤلفوا تجمعا صغيرا مطلقا (كما حدث في
روسيا لتبصرية قبل المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديمقراطي) وأن يكونوا
بالتدريج جناحا يسارياً لحزب الوفد (بما يشبه حزب المؤتمر الهندي) .
وظلت هذه الفكرة سائدة حتى عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ لدى جماعة « الفجر الجديد »
وهي الجماعة التي تولدت عن هذا التجمع الماركسي الأجنبي .

وهذه الفكرة التي تخلت عن مهمة إعادة بناء الحزب وتجاهلت أهمية وضع
برنامج ولوائح واستراتيجية وتكتيك (وهو ما يمكن إعتباره منشأ ما اتصفت
به الحركة الشيوعية المصرية من تلقائية) ولكنها أيضاً أدت إلى نشأة
ما تعانيه الحركة الشيوعية المصرية من مظاهر الانقراض الدائم حتى اليوم .

* كُتِبَ هذا التقرير في أوائل الخمسينيات .

وقد كُتبت السنوات الخمس السابقة على الحرب العالمية الثانية
من الناحية الدولية ومن الناحية المحلية سنوات مواتية تماما من وجهة النظر
الموضوعية لنهاية حركة ثورية مصرية .

بيد ما كان هذا التجمع الماركسي الاجنبي الذي لم يكن يوجد غيره
في ذلك الوقت يعيش بعيدا تماما عن الواقع المصري ويجعل كل شيء عن الجماهير
المصرية ، وظل مغلقا على نفسه في ابراجه العاجية وليس له ميدان نشاط
حقيقي سوى الأوساط الاجنبية في مصر لكنه كان يمكن اعتباره في واقع الامر
مركزا للحزب الشيوعي الفرنسي . فقد كان ينقل مبادئه كما هي دون أي اعتبار
للمواقع الموضوعية في مصر .

وفي مثل هذا المناخ الذي كان مواتيا من الناحية الموضوعية لنشوء
تنظيم شيوعي قوي فان حساب التنظيم الذي يمكن اعتباره يؤرثه تتطور
حولها هذه التيارات الماركسية قد أدى بها الى أن انبثقت في وقت واحد
تقريبا الواحدة تلو الأخرى .

وسرعان ما خاضت هذه التيارات الجديدة صراعات عنيفة ضد
بعضها البعض ، كل منها يدعى أنه هو وحده الثوري والبلشفي بينما
الباقيون انتهازيون ومنشيك أو تروتسكيون .

ومنذ ١٩٢٤ - ١٩٢٥ حتى نهاية ١٩٢٨ كانت الجماعة التي يقودها
بول جاكو دي كرمب هي الجماعة الوحيدة الموجودة في مصر واتخذ نشاطها
شكل العمل من خلال رابطة أنصار السلام التي كانت تنظم مؤتمرات في
القاهرة والاسكندرية (يحضرها ما يتارب الخمسين شخصا من الاجانب)
وكانت تصدر نشرة باللغتين اليونانية والفرنسية (متضمنة من حين لآخر
مقالا باللغة العربية) وكانت أيضا تنظم حفلات موسيقية ورحلات .

وتجدر الإشارة أيضا الى أنهم قد قاموا بدعاية جيدة للنسبان الجمهوريين
في الأوساط الاجنبية في مصر . وجرت في الاسكندرية محاولة لتجنيد بعض
الشيئان المصريين . وضمهم للمجموعة ، لكن كل ما أسفرت عنه هذه المحاولة
من نتائج أنه قد تجند شخص واحد (ما لبث أن أيمد بعد فقرة عن
المجموعة) . أما أكثر المحاولات جدية فكانت تلك المحاولة التي سعت الى
عقد حفلات مع عدد من النواب الوندبيين . وبالتعاون معهم عقدت ثلاثة
لقاءات عامة لرابطة أنصار السلام في القاهرة والاسكندرية . وبالإضافة
الى ذلك تكونت لجنة فخرية للتجمع المصري من أجل السلام ضمت عددا من

المصريين (وكان نسكرتيرها العام بول جاكو دي كومب) . ولكن هذه المحاولات وان كانت لا تأتي بها الا أنها لم تؤد الى نتيجة ايجابية لان التجمع الباركني قال اجنبيا صرعا ليس فقط من حيث تركيبه العضوي وانما ايضا من حيث الخط الذي يتحكم نشاطه . وفي واقع الامر فانه كان يقدم نفسه للمصريين باعتبارها تجمعا للاجانب الديمقراطيين وليس تجمعا مصرية . وعلى سبيل المثال حين ألغيت الامتيازات الاجنبية في مصر ، صدر منشور باللغة الفرنسية والعربية يحمل توقيع « الأجانب الديمقراطيين » يحيي باسم الاجانب الديمقراطيين في مصر الغاء الامتيازات الاجنبية ويؤكد للشعب المصري صداقة الأجانب .

وفي عام ١٩٢٧ قام أحد الاعضاء الايطاليين في رابطة أنصار السلام بالقاهرة (مارسيل اسراييل) وكان عضوا فقط في رابطة السلام ولكنه بالرغم من كونه باركنسيا الا انه لم ينضم للمجموعة الماركسية التي كان يتزعمها بول جاكو دي كومب . قام بزيارة لبنان واتصل بالحزب الشيوعي اللبناني وناقش مع بعض قادته نشاط رابطة أنصار السلام في مصر ، وقد قال هذا النشاط نقدا قاسيا من قبل هذه القيادات بسبب سماته الاجنبية التي لا تمت بصلة الى مصر ، وقد قدمت هذه القيادة اللبنانية النصح بضرورة ان تكون المهمة الأساسية لهذه (.....) في مصر هو تكوين عاركيين من بين الطلاب والعمال المصريين .

وقد كلفت هذه القيادات مارسيل اسراييل بان يظل على اتصال بالحزب السوري اللبناني وعين مراسلا في مصر لجريدة الحزب ، صوت الشعب .

وعندما عاد مارسيل اسراييل الى مصر ناقش بول جاكو دي كومب في هذه الموضوعات وكان رد « دي كومب » بان عليه ان يهتم فقط بالنشاط في رابطة السلام ، ونظرا لمعرفة بالغة القربية فقد طلب منه ان يمتحن على ضم مصريين التي رابطة أنصار السلام .

وحتى هذه المحاولة المتواضعة منيت بالفشل بسبب عدم الثقة التي كانت تبدو دائما من قبل غالبية أعضاء الرابطة الاجانب تجاه اي عضو مصري جديد . وسرعان ما تكون داخل الرابطة تيار ينادي بالتمصير وينتقد قيادتها (دي كومب) اوقفها المناهض للتمصير . وكان الحديث بطبيعة الحال يجري في الظاهر حول رابطة أنصار السلام وان كان يعنى في واقع الامر مسألة تمصير النشاط الماركسي .

* غير واضحة في الأصل .

وكانت المعركة الحاسمة تدور حول حانت مخجل . فمقتب اتفاقية ميونخ صدر بيان عن قيادة أنصار السلام لا يضع في الاعتبار الواقع المصرى ، وانتقد أنصار التمسير هذا الخط الاجنبى للبيان واقترحوا نصا آخر يدين اتفاقية ميونخ ، ولكنه يتحدث عن القضية الوطنية المصرية ، ولكنهم هوجوهوا من قبل القيادة وانتهوا بانهم تروتسكيون واجبروا في واقع الامر على ترك الرابطة .

وكان هناك سبب آخر أقل أهمية وهو رفض الرابطة قبول عضوية عدد من الايطاليين المناهضين للفاشية بحجة انهم مشاعيين وان قبولهم قد يؤدي الى تدخل البوليس (وكان هذا حقيقى الى حد ما)

وفي بداية ١٩٤٩ تكون في القاهرة والاسكندرية تجمع جديد باسم الاتحاد الديمقراطي وكان مؤسسه عم أنصار التمسير من الاعضاء السابقين في رابطة أنصار السلام بالاضافة الى مجموعة الايطاليين المناهضين للفاشية وبعض المصريين الذين اتصلوا برابطة أنصار السلام ثم تركوها لانشائهم بالفربة في داخلها .

وقد تضمنت لوائح الاتحاد الديمقراطي نصوصا تقول بأنه يتعين أن تكون غالبية اللجنة القيادية من المصريين . ولكن الشيء الهام هو أنه قد تكونت خلف الاتحاد الديمقراطي (كتجمع قنادونى) جماعة سرية ماركسية (تتكون هي الاخرى من الاجانب وخدم) ، وحددت هذه الجماعة مهمتها الرئيسية بجذب أكبر عدد ممكن من الشباب المصريين الى الاتحاد الديمقراطى بهدف تجنيد افضل العناصر من بينهم كاعضاء في الجماعة الماركسية المصرية .

وبالاضافة الى ذلك تقرر اخضاع الواقع المصرى لتحليل اقتصادى وسياسى واجتماعى . وكانت هذه هي المحاولة الاولى لوضع نصوص القيادات الشيوعية اللبنانية موضع التطبيق .

ونظرا لان جميع اعضاء هذا التنظيم الماركسى الجديد لم يكونوا يعلمون بوجود تجمع ماركسى بقيادة بول جاكوبى فقد اعتبروا انفسهم اول تجمع ماركسى منظم في مصر بعد اختفاء الحزب . ولم يعلموا الا بعد فترة ان ثمة جماعة ماركسية اخرى قد سبقته الى الوجود .

ورغم أن هذا التجمع الجديد يعتبر خطوة ايجابية بالمقارنة بالتجمع الاول (نظرا لتبنيه خط التمسير) الا أنه كان في واقع الامر يتأصف بكثير من صفات التجمع القديم . فقد كان مكونا فقط من المثقفين الاجانب نوى المعرفة المحدودة جدا بالواقع المصرى والذين لا يمتلكون اى خبرات عن العمل

الثوري ، كما أنه قد ارتكب نفس الخطأ الفادح الذي ارتكبه سلفه وهو تجاهل خبرات وتجارب الحزب الشيوعي المصري وعدم اعتبار أن إعادة بناء هذا الحزب هي المهمة المباشرة والواجب العاجل .

ولم يبذل أى جهد لوضع برنامج ولائحة وخط استراتيجي وتكتيكي وكان التمسير أو كما أصبح يسمى فيما بعد تكوين الكوادر الماركسية المصرية يعتبر في رأيهم عملية طويلة المدى وسابقة على مهمة إعادة بناء الحزب .

وكان ذلك هو الطريق الى التصفية والتلقائية والانقسام .

و يتضمن برنامج الاتحاد الديمقراطي دنيس ما تضمنه برنامج رابطة أنصار السلام مؤتمرات ديمقراطية ومناقضة للفاشية ، احاديث تفضيلية عن الشيوعية الخ ولكن على نطاق أكثر اتساعا مع اجتزاي عدد كبير من المثقفين والطلاب المصريين .

وقد عقد حفل الافتتاح برئاسة المدير العام لدار الكتب (وكان أيضا محاضرا بالجامعة) وبناء على شكوى من السفارة الإيطالية داهم البوليس الاجتماع اتخ أحد الإيطاليين من الحديث متنازل هذا الأخير عن كلمته حتى لا يتسبب في افشال حفل الافتتاح .

وقد حضر الحفل أكثر من ٤٠٠ شخص من بينهم عدد كبير من المثقفين والطلاب المصريين .

وقد طلب الاتحاد الديمقراطي الانضمام الى رابطة أنصار السلام ولكن طلبه ظل بدون اجابة (وهو ما يساوى الرفض) ومن ثم أعلنت الحرب بين الاتحاد الديمقراطي ورابطة أنصار السلام أو بالأحرى بين الجمعيتين الماركسييتين اللتين توجهان كل منظمة منهما .

وتخطت هذه الحرب حدود مصر وعرضت على الحزب الشيوعي الفرنسي ومنظمات دولية هامة مثل اللجنة الدولية لإعادة الحرب والفاشية .

وفي أغسطس ١٩٣٩ عشية الحرب قرر المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي بالاشتراك مع سكرتارية اللجنة العالمية لإعادة الحرب والفاشية عقد لجنة في باريس للاجتماع الى ممثلى كلا الجمعيتين والتحقيق في الاتهامات المتبادلة ووضع حد للخلاف بينهما .

وكانت هذه هي المحاولة الاولى من قبل الحركة الشيوعية في الخارج للمساعدة في توحيد الحركة الماركسية في مصر (في مصر وليس المصرية ذلك

أنها كانت مكونة من أجنبى ، لكن اشتعال الحرب أدى الى اضعاف هذه
الفرضة .

وخلال السنوات الأولى للحرب غيرت رابطة انصار السلام اسمها وأصبح
الاسم الجديد : جماعة الدراسات Le groupe études . ومارست
هذه الجماعة نشاطا تقدميا في إطار ثقافى بحث وموجه دوما للاوساط
الأجنبية .

وعلى العكس من ذلك فان الاتحاد الديمقراطي قد نما وسرعان ما خضع
لتطورات وتقلبات كبيرة فالجموعه الماركسية التي كانت توجه نشاطه من
خلف ستار قامت من الناحية العملية بسحب أفضل عناصرها من هذا التجمع
المعنى لكن يركزوا نشاطهم في انشاء مدرسة سرية لتدريس الماركسية
للمصريين الذين جنوا اثناء تردهم على الاتحاد الديمقراطي . وبالإضافة
الى ذلك فان هذه الجموعه قررت تكوين تجمع علمى للفنانين والفقهاء المصريين
أسمى : الفن والحرية Art et Liberté وهو تجمع ما لبث أن وقع تحت
تأثير القروتشيكيين .

وقيد أدى هذا التثقيت في الجهود الى أن فقد هذا التجمع الماركسى
سيطرته على الاتحاد الديمقراطي تحت تأثير قائم جديد هو هنرى كوربيلى
الذى حوله الى دائرة * (أو كما قيل وقتذاك الى اتحاد
أوسنتقراطى) .

ولكن هذا التجمع الماركسى كان في طريقه الى أن يعيش نظورا دائما
يفتح به مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية .

(رابعا) تهمس الحركة الماركسية ١٩٣٩ - ١٩٤٥

ركزت الجموعه الماركسية التي تكوّنت عام ١٩٣٩ نشاطها على
التكوين الماركسى للعناصر المصرية التي تم تجنيدها سواء عن طريق الاتحاد
الديمقراطى أو عن طريق : الفن والحرية . ونظمت دراسات سرية في الماركسية
باللغة العربية : وأعدت كتابا دراسيا باللغة العربية ليكون أساسا لتلك
الدراسات .

ووفقى خلال عدة أشهر فقط استطاعت هذه الجموعه أن تجند وتنظم
العديد من المصريين وهكذا وبسرعة فائقة أصبح المصريون أغلبية في صفوفها .

* غير واضح في الاصل

وفي ١٩٤٠ قررت هذه المجموعة أن تتحول إلى منظمة شيوعية وعقدت مؤتمرا تم في خلاله مناقشة عدة تقارير حول الموقف العالمي - والموقف في مصر وتقرير عن التنظيم (قدمه مصري كان يعيش في فرنسا وكان عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي) وسميت المنظمة التي أعلن تأسيسها منظمة تحرير الشعب Liberation du peuple وانتخبت لجنة تنفيذية (ضمت ثلاثة من المصريين بالإضافة إلى الإيطالي مارسيل إسرائيل) ونظم الأعضاء في خلايا وتم وضع برنامج للعمل .

وكانت منظمة تحرير الشعب هي أول تنظيم شيوعي في مصر بعد اختفاء الحزب القديم ، وكانت منظمة بدائية ليست لديها خبرة حقيقية بتراث الحركة العالمية ، وكان المستوى الثقافي لا بأس به ولكن دون أية خبرة في العمل السري .

ورأت المنظمة ان الاتحاد الديمقراطي الذي خرج من تحت سيطرتها لم يعد يتلاءم مع أهدافها فقررت ان تسحب أعضائها منه خاصة وأنه قد تحول إلى النشاط الاجتماعي . وفي نفس الوقت قامت العناصر الشيوعية داخل الفن والحرية ، بشن هجوم ضد العناصر الفوضوية والبروتستانتية وأدى ذلك إلى إغلاق الفن والحرية ، وحلت محلها لجنة (بدون مقر) لتنظيم معارض سنوية للفنون التشكيلية .

كما قام أعضاء تحرير الشعب بوضع أيديهم على مجلة « التطور » وأصدروها باسم « الفن والحياة » وحولوها من مجلة فوضوية وسريالية إلى مجلة عمالية . وكانت بذلك أول مجلة يديرها الشيوعيون ، لكنها لسوء الحظ لم يتسع أمامها الوقت لتدعيم تأثيرها فقد منعتها الرقابة بعد صدور عدة أعداد منها .

وبعد ان عقدت تحرير الشعب كل من « الاتحاد الديمقراطي » ، و « الفن والحرية » ، كمنابر علنية كونت بدلا منهما منبرين علنيين آخرين هما « الخبز والحرية » (والذي اختير اسمه بوجه من معارضة المثقفين الفوضويين في اختيارهم لاسم الفن والحرية) أما التجمع الثاني فسمى « ثقافة وفن » Culture et Loisirs واقتصر التنظيم الأول على المصريين (اتباعا لخط التمصر ولكن يبعدوا عن الحركة التقدمية المصرية التهمة التي كانت قد التصقت بها بأنها بذلت للاجانب) وكان مقر « الخبز والحرية » يقع في احد الأحياء الشعبية بالقاهرة (على العكس من التجمعات التقدمية الأخرى التي كانت تتخذ مقرا لها في الأحياء الأوروبية من المدينة) وسرعان ما اجتذبت « الخبز والحرية » كثيرا من العمال وخاصة عمال الطباعة ، ومارست « الخبز والحرية » نشاطا متعدد الجوانب يجمع بين العمل السياسي الديمقراطي والدعاية النقابية والنشاط

الثقافي واصطبح كل ذلك بطابع يساري واضح ومنذ البداية تدخل البوليس ودون ان يخلقي المقر أصدر قرارا يمنع الاجتماعات العامة بدخله وبسبعين ما عرفت ، الخبز والحرية ، في بعض الاوساط العمالية (وخاصة عمال الطباعة) وفي اوساط الطلاب كتنظيم شيوعي مما اكسبها شعبية كبيرة

لقد كان الاحتلال البريطاني لمصر الذي اتخذ اشكالا سافرة خلال الحرب ، بالإضافة الى الغلاء الفاحش سببا في دفع قطاعات كبيرة من العمال والطلاب الى التعاطف مع الاتحاد السوفييتي والشيوعية

وفي ١٩٤١ أصدرت « الخبز والحرية » نشرة عن الحركة النقابية وأشير فيها الى الدور الذي لعبه الحزب الشيوعي المصري القديم في تنظيم النقابات والدفاع عن مصالح الطبقة العاملة ، فأغلق البوليس مقر « الخبز والحرية » ولكن التجمع ظل موجودا

اما الدراسات الماركسية والتي كانت حتى ذلك الوقت قاصرة على المثقفين المصريين فقد امتدت لتشمل بعض العمال الذين جذبوا من داخل وحول « الخبز والحرية » .

وللاسف فان هذه الدراسات كانت تدور حول مسائل ايدولوجية معتدة وليست لها صلة مباشرة بالاحتياجات النضالية

اما تجمع « ثقافة وفراغ » وهو التجمع الآخر الذي انشأته الجماعة اليسرية « تحرير الشعب » فقد اقتصرت في البداية على الاجانب ولكن نشاط « الخبز والحرية » ادى بعدد من المثقفين والفنانين المصريين الى التردد على مقر « ثقافة وفراغ » واخذوا يمارسون فيها نشاطا وتأثيرا متزايدا ، وقد اغلق البوليس مقر « ثقافة وفراغ » في منتصف عام ١٩٤١

اما الاتحاد الديمقراطي الذي اصبح تحت قيادة هنري كورييل فقد كان يتردد عليه أيضا بعض المثقفين المصريين وأصدر صحيفة باللغة الفرنسية اسمها « دون كيشوت » نشرت بعض المواد التي تحمل طابعا فوضويا وتروتسكيا

اما « جماعة الدراسات » فقد استمرت تحت قيادة بول جاكوب دي كورب في نشاطها الثقافي الشديد الجذر والشديد الانغلاق ، مما حجب متابعة البوليس

لكن الجماعة الماركسية التي كان يقومها كورييل كانت قد توصلت هي أيضا الى اقامة بعض الصلات مع بعض المصريين وبدأت في تثقيفهم ثقافة ماركسية

ولقد استمرت الجرب بين هذه التجمعات الثلاث ، كل عنهم يتسقط إخطاء
الآخرين لكي يتهمهم بالانتهازية والتروتسكية ، وايضا بالعمالة للبوليس .

وفي اليوم الذي غزت فيه قوات المانيا الهتلرية اراضى الاتحاد السوفييتى
وجه تنظيم « تحرير الشعب » الدعوة الى جميع التقدميين في مصر لبذل جهود
مشتركة دفاعا عن الاتحاد السوفييتى . وقد تمت الدعوة بشكل علنى عن طريق
« الخبز والحرية » ، التي وجهت الدعوة الى التجمعات العننية الاخرى . « ثمانية
وفراغ » و « جماعة الدراسات » و « الاتحاد الديمقراطي » وحتى « الفن
والحرية » (التي كانت تتمتع بتأثير على لوساط الزمامين والنحاتين
المصريين) واستجابت كل هذه للتجمعات للدعوة باستثناء « جماعة الدراسات »
التي رفضت بعناد أى تعاون مع الآخرين .

وبالفعل عقد اجتماع مشترك واتفق فيه على برنامج للعمل المشترك .

وكانت هذه هي المحاولة الثانية لتوحيد الماركسيين في مصر (الاولى
حدثت في باريس في أغسطس عام ١٩٢٩) ولكن رفض جماعة الدراسات ،
لفكرة التعاون (بالرغم من انها كانت قاصرة فقط على الدعاية للاتحاد
السوفييتى) بالاضافة الى الضربات البوليسية التي سرعان ما وجهت الى قيادة
« تحرير الشعب » قد افشلت هذه المحاولة .

وكان اعضاء « تحرير الشعب » على درجة كبيرة من النشاط والايجابية ،
لكن حماسهم سرعان ما اقدهم الحذر ودفهم الى الامبال في قواعد الايمان .
وعقب توزيع المنشور الخاص بالحركة النقابية قرر البوليس السياسى (بناء
على امر من المخابرات البريطانية) الهجوم .

وفي اكتوبر ١٩٤١ قبض على عشرة من اعضاء التنظيم والقوا في السجن .

وادی تحقيق النيابة الى انتماء ما يبرر اقامة الدعوى (ذلك ان التشريع
القديم المضاد للشيوعية لم يعدل الا في عام ١٩٤٦) ومن ثم اطلق سراح جميع
الاعضاء بعد شهرين (ما عدا الايطالى مارسيل اسرائيل الذى ارسل الى احد
مسكرات الاعتقال الخاصة بالفاشية) .

واستأنف اعضاء « تحرير الشعب » نشاطهم بعد خروجهم من السجن
وتبنوا تكتيكا جديدا وهو اصدار صحيفة عننية توسع من نطاق حركتهم
فاشبهوا صحيفة كان يصدرها لسنوات طويلة كاتب ليبرالى * وهي « المحلة
الجيدة » وبدأوا يقومون عن طريقها بدعاية ماركسية استمرت طوال سنتين

* سلامة موسى . - المؤلف -

الأمر الذي جعلها منبرا لجميع المثقفين الظالمين وأسهمت بالكثير في نشر
الماركسية بين الطلاب وبعض الفئات المتقدمة من البروليتاريا
وكان يمولها ويشرف عليها الإيطالي « ريمون اجيون »
وقد أحدث العدد الخاص الذي صدر منها حول انتصار ستالينجراد دويا
كبيرا

وفي أوائل ١٩٤٢ صدرت صحيفة يمولها « هنري كوريبيل » اسمها « حرية
الشعوب » وقد ساعد في إصدارها بعض البرجوازيين الوطنيين وقد بدأت هذه
المجلة في دعايات مناهضة للامبريالية ولكن بشكل مبهم وبانحرافات كبيرة
نحو الشوفينية القومية .
ومن الطبيعي ان مجلتي « حرية الشعوب » و« المجلة الجديدة » لم تكونا
على وفاق

وفي يونيو ١٩٤٢ قبض البوليس على حوالي خمسين من المصريين من
أعضاء وانصار « الخبز والحرية » وظلت أغلبيتهم محتجزة دون محاكمة
حتى نهاية ١٩٤٣ (بسبب القانون العسكري)

وفي عام ١٩٤٢ تكونت جماعة ماركسية ثالثة تحت قيادة هنري كوريبيل
وهليل شوارتز وسيطرت هذه للجماعة على الاتحاد الديمقراطي الذي تصاعد
نشاطه . وكانت هذه الجماعة على علاقة بالشيوعيين الانجليز واليونانيين
المجندين في صفوف قوات الحلفاء المتمركزة في مصر

لكن هذه الجماعة سرعان ما انقسمت الى مجموعتين جديدتين تحولتا
فيما بعد الى منطقتين كبيرتين « الحركة المصرية للتحرير الوطني » (ويقودها
هنري كوريبيل) ، « ايسكرا » (ويقودها هليل شوارتز)

وفي يوليو ١٩٤٢ . ولثناء تقدم روميل الكتيبة نحو مصر لجأ اغلب
الشيوعيين الاجانب الى فلسطين وهناك دخلوا في علاقات مع الحزب الشيوعي
الفلسطيني الذي دعا ممثلين من كل المجموعات لبحث اسباب الانتقام والمحاولة
توحيدهم . وحضر الاجتماع اعضاء من سكرتارية الحزب الشيوعي
الفلسطيني

وفي هذا الاجتماع اعلن اعضاء مجموعة بول جاكو دي كومب ان الظروف
الموضوعية في مصر لا تسمح بتأسيس حزب شيوعي . ولكن الحزب الشيوعي
الفلسطيني رفض هذه الفكرة . وهذه المحاولة (وهي الثالثة) لتوحيد
الماركسيين قد فشلت هي الاخرى بسبب المناد الشديد لجماعة بول جاكو دي
كومب وأصرارها على اعتبار نفسها المجموعة الشيوعية الوحيدة في مصر . هذا
بالإضافة الى سبب آخر يتمثل في ان المحاولة نفسها قد جرت بشكل سطحي
وبإشراف حزب كان هو نفسه خارجا لتوه من ازمة قاسية :

محاضر نقاش مع فتحى الرملى *

اجريت المناقشة بالقاهرة في ٤-٥-١٩٧٥

الاسم : محمود فتحى عبد الله فكرى الرملى

الشهرة : فتحى الرملى

تاريخ الميلاد : ٢٨-٧-١٩١٩

المهنة : صحفى

س : كيف بدأت نشاطك السياسى ؟

ج : كنت عضواً في مصر الفتاة ، وانا طالب في مدرسة انبيا الثانوية ، وقبل ان ادخل المدرسة الثانوية كنت طالب في المدرسة الصناعية فقد دخلت قسم الخفص لاننى اهورى الرسم ثم ما لبثت ان اكتشفت ان الدراسة في هذه المدرسة لا تشبع هوايتى فتركتها الى المدرسة الثانوية حيث عجزت فيها عن سداد المصروفات ، فانا من اسرة فقيرة ، وكانت امى تعاني الكثير في الانفاق علينا بعد وفاة ابي ، وكانت تستدين مصروفات المدرسة فقررت ان اترك المدرسة واذكر دروسى من المنزل ، وقد انضممت لمصر الفتاة بعد ان استهوتنى شعاراتها الحماسية وكانت مجلة الصرخة التى تصدرها مصر الفتاة تثير في نفسى حماس بالغ ، واذكر ان اول عدد رأيت من « الصرخة » كان عبارة عن ورقة واحدة بحجم الجريدة العادية وهى عبارة عن منشور اثارى بعنوان « عشر سنوات من العمل من اجل مصر » واستهوتنى هذه الشعارات وانضممت لمصر الفتاة .

* تردد اسم فتحى الرملى كواحد من الدعاة اليساريين في الاربعينيات ، وقد بدأ نشاطه مبكرا في حركة اليسار ، وانسلخ منها مبكرا أيضا ، وفي الوقت الذى بدأت فيه الحلقات الماركسية تتبلور في منظمات شيوعية سرية ، اتجه هو الى تكوين حلقة اسماها الجبهة الاشتراكية اتسمت بالعموية ، وبرغم ان وثائق وزارة الخارجية البريطانية قد حاولت ان تضخم كثيرا من دوره الا انه يبدو ان هذا التضخيم كان متعمدا لاضفاء طابع معين على حركة اليسار ككل ، وما لبث فتحى الرملى ان تورط في كتابات معادية للشيعوية والتنظيمات فى مصر ، ومع ذلك فقد تمت اجراء حوار معه استكمالا لكافة جوانب الصورة ، وايضا فان هذا النقاش يوضح اسلوب وطبيعة نشاطه وحقيقته وحجم ما اسمى بالجبهة الاشتراكية (المؤلف)

وبعد فترة من النشاط التخصي استدعاني وكيل الخيرية لمقابلته وكان اسمه ابراهيم فهوى السيد بك وفوجي، وكيل الخيرية بي وانا شاب صغير السن وفوجي، أكثر باننى دخلت عليه وقد علفت في سترتي شعار مصر الفتاة (الاهرامات الثلاثة المكتوباً تحتها الله . والوطن . الملك) وهاج بشدة لاننى تجرات ودخلت عليه والشعار على سترتي واعتبر ذلك تجدياً له واستدعى احد الجنود وأمره بايداعى الحبس والغريب في الامر اننى شعرت بحماس غريب وفخر لاننى دخلت السجن وعمولت معاملة الزعماء . .

وفي هذه الفترة ايضا اصدرت منشورا سياسيا بعنوان « ارقام مخيفة » عبارة عن كلام انشائي ، نقلته اساسا من خطاب القاه هيكل باشا في البرلمان . وكان يتضمن ارقاما مثل ٧٠٪ من ابناء الفلاحين معرضين للسلب ، وبعد ذلك سلمية من الشعارات الحماسية تدعو الشعب الى الثورة . واستدعيتى النيابة انا وزملائي وفوجي، وكيل النيابة وكان اسمه معروف محمد بانفا شبان صغار لا يزال ترتدى الثوب وكان من جينفا شاب هو ابن اخ يسمن باشا احمد النائب العام في ذلك الحين . وقد اسهم هذان العاملان في حفظ القضية . لكن البوليس قدر ضرورة ابعادى من المنيا فعلا نفيت من المنيا ورحلت الى القاهرة وكنت سعيدا بذلك ايضا لاننى سبأتنى مثل الزعماء ولان الحكومة سوف تتحول نفقات سفرى . .

وقبيل سفرى من المنيا كنت قد وجدت عملا في مجلة اقليمية بالنيابا اسمها « الانذار » ، بدأت بمرتب ١٨٠ قرشا في الشهر زيدت بعد عدة اشهر الى جنيهان

وهكذا فعند وصولى الى القاهرة كنت اعتبر نفسى ضحى ، وبقيت فترة منعطلا ، لكننى تهييت، دور الضحى وبدأت اكتب وأعرض كتاباتى على الصحف ، واذكر اننى اعددت موضوعا لآخر بساعة ، وثابتنى مصطفى امين وكان يعمل ساعتها مع التابعى في آخر ساعد وايدى اعجابه بالمقال ونشره فعلا لكنه لم يعطنى نقودا واعدا باعطائى نقود في المرة المقبلة . لكننى لم اعد اليهم واتجهت الى مجلة منافسة لآخر ساعة اسمها « الشعلة المصورة » . وهناك قابلت فرج جبران وكان سكرتير تحرير المجلة وشريك لصاحبها . وانفقوا معى على ان اعمل لديهم بالقطعة والمساحة أى ان اتقاضى أجرى وفقا للمساحة التى تنشر لى . وقيلت لسببين اولاً لانه لم يكن امامى أى مورد آخر وثانياً لاننى كنت سعيد بالعمل كصحفى . . وكنت قبل ذلك قد عملت في مجلة مصر الفتاة واغرونى بلقب سكرتير تحرير لكن مرتبى كان « اذونات بريد » تاتى للمجلة سدادا للاعلانات واذكر ان اقصى أجر حصلت عليه منهم كان عشرة اذونات بريد بقيمة كل منها ٢٠ قرشا . .

المهم اننى عملت في مجلة الشعلة المصورة . وهناك تعرفت باسمه حليم .
س : كيف ؟

ج : اسعد حليم هو ابن اخت فرج جبران ، وذلت يوم حضره لي فرج جبران هو واخوه حلمي حليم وقال لي اسعد غاوى صحافة وحلمي غاوى سينما حاول ان تساعدهما واهتمت باسعد وكان يترجم بعض المقالات فأقوم انا باعادة صياغتها بأسلوب صحفى ، وبدأنا نتناقش انا واسعد حول الوضع السياسى ورويدا رويدا تكونت مجموعة من الاصدقاء انا واسعد حليم وصالح عرابى (سودانى) وعبد العزيز هيكل وموسى عبد الحفيظ (كان موظفا في وزارة المعارف و أسس بعد ذلك شركات للاعلانات) واخذتهم جميعا وقابلنا مارسيل اسراييل

س : كيف تعرفت على مارسيل اسراييل ؟

ج : كنت عامل حركة في مصر الفتاة تسبهدف عزل احمد حسين ، وجمعت حولي عدد من الاعضاء يقاومون احمد حسين ولا يعترفون بزعامته ، وكنا نحاول عزله ونرشح فتحى رضوان للزعامة ، اى اننا كنا نريد استبدال فاشستى بفاشستى آخر ، وبعد فترة احسبنا ان فتحى رضوان يتحدث في واد آخر يعيدا عن مشاكل الشعب ، والحقيقة ان مصر الفتاة كانت مجموعة متناقضة متنافرة وعلى صفحات المجلة انعكس هذا التناقض فمثلا احمد حسين يحزر صفحة ملتية تتحدث عن المقاومة والعنف والقوة ، بينما يحزر فتحى رضوان صفحة اخرى تتحدث عن غاندى وسياسة التسامح ، ومن هذا التناقض نشأت حيرتنا

وفي هذه الفترة التقيت بشاب نوبى اسمه بدر عوض وكان معنا في مصر الفتاة وانا كنت اسمى لضمه لمجموعتنا المناهضة لاحمد حسين .. وسألنى لماذا ؟ فقلت لانه فاشستى .. وفي هذه الاثناء كان بدر عوض هذا على علاقة بمارسيل اسراييل وكان يحرضه ايضا على احمد حسين وعلى حزب مصر الفتاة فقال له بدران في الحزب تيار جيد يقاوم القيادة ويتهمها بانها فاشستية .. وطلب مارسيل ان يرانى ، وذهبت اليه لاول مرة انا وبدر عوض في منزله بالقرب من وزارة الاوقاف ، وبعدها اخذت له اسعد حليم ، وصالح عرابى وعبد العزيز هيكل وموسى عبد الحفيظ وبدأ مارسيل يدرس لنا النظرية الماركسية وكان هناك انور كامل وبعد فترة انضم اليها ثابت امين وهو اخو الهامى امين

* الهامى امين شيوعى قديم حكم عليه بالسجن لفترة وفصل بعدها من عمله كموظف في السكة الحديد ، وعمل في عام ١٩٣٠ مع حسنى العرابى و د عبد الفتاح القاضى في مجلة روح العصر وكان الهامى امين وثيق الصلة بحسنى العرابى . وقد اصدر مجموعة من مقالاته في كتيب بعنوان مقالات العرابى ، - عنى بجمعها وترتيبها ونشرها الهامى امين - المطبعة الاميرية الكبرى . (المؤلف)

س : كيف سارت الامور بعد ذلك ؟

ج : بعد فترة من الدراسة قال لنا مارسيل انتم درستكم ويمكنكم ان تعملوا بانفسكم وانبسنا جمعية « الخبز والحرية » ، لكنني لاحظت انه برغم حديثه عن ضرورة تولينا امور النشاط بانفسنا الا انه مصمم على أن يضع الحركة تحت اشرافه واحس مارسيل ان اهم شخصين في المجموعة هما انا وانور كامل وحاول ان يكسبنا نحن الاثنين فاقترح ان يتولى كل منا منصب السكرتير واحد للشئون الداخلية وهو انا وآخر للشئون الخارجية وهو انور كامل :

واستأجرنا شقة من حجرتين فوق مطبعة الرغائب في شارع محمد علي وكانت اخدي الحجرتين واسعة وتصلح كصاله للاجتماعات . وغملا قمنا وانا وانور كامل بشراء حوالي ٦٠ كرسي ومكتب .

س : من اين آتيتم بالنقود ؟

ج : تمويل ذاتي ، كنا نجمع اشتراكات شهرية أخرناها لعبد اشهر ، واشترينا هذه الاشياء ، وبعدها عقدنا اجتماع للمجموعة لنبحث كيف نبدأ العمل في جماعة « الخبز والحرية » وبدأ البعض يطالب باخطار المحافظة باننا قد كوننا جمعية حتى تأخذ وضعها القانوني ، لكنني تمسكت بعدم ابلاغ المحافظة وقلت ان علينا ان نمارس نشاطنا حتى نتف على اقدامنا وبعدها نسعلم البوليس بعد ان نضعه أمام الامر الواقع ، لكن ابلاغ السلطات منذ البداية معناه اننا ندعوم كي يهدموا كل شي ، وبعد النقاش كانت الاغلبية معي ، لكنهم بعد الاجتماع اتصلوا بمارسيل اسرائيل الذي أيد الرأي الاخر وبعد يوم جاءوا جميعا وهم ضد رأبي ، وصممت على موقفي ، وأبلغوا المحافظة بتأسيس الجماعة وحضر جلان من رجال البوليس السري - رابطا أمام مقر الجماعة يقومان باحصاء عدد المتواجدين في المتجر حتى اذا ما بلغ خمسة اشخاص منعوا أي شخص آخر من الدخول على أساس ان القانون يعتبر ان اجتماع أكثر من خمسة اشخاص هو بمثابة تجمهر . وفي هذه الاثناء وخلال أحد الاجتماعات قطع عنا النور لأن جورج حنين كان قد سدد تأمين عداد النور ثم سحب التأمين ليمنعنا من النشاط وعندما أطفى النور صحت في الحاضرين معلنا أن علينا أن نعتمد على انفسنا . وكانت اللخامات قد تشعبت بيني وبين المجموعة ، وقد قررت أن أبدأ بداية جديدة في مقر جديد وأسببت الجماعة ، نحن انفسنا ، تحديا لمحاولات السيطرة علينا .

وأكذا أصبحت مستقلا عن مارسيل اسرائيل وجماعته ، ودعيت الي ما انسميته « أسبوع التفكير الحز » ودعوت عدة اشخاص كانوا معروفين بميولهم الليبرالية مثل د- ابراهيم ناجي وعبد المجيد نافع وغيرهما .

وبدأت في هذه المرحلة حملة ضد اليهود وضد تواجدهم أو سيطرتهم على الحركة وعملت نشيد ضدهم اتهمت بسببه بالشوفينية وأذكر بعض كلمات النشيد وتقول :

في أيامنا السكود خواجهات ويهود
جمعوا الملايين واحنا شبيانيين

وبعد ذلك أغلقت دارنا .. وقررت العمل بطريقة جديدة ..

وبدأنا نجتمع في قهوة بحى النواله أنا وزملائي ونطالع صحف اليوم ونبحث عن المحاضرات التي سنتلقى في هذا اليوم . ونذهب الى هناك بحثا عن التجمعات ونعاقبتها والادلاء بראينا من خلال هذا النقاش .. وأذكر أننا في يوم قرأنا خبر عن محاضرة لعبد الفتاح عنبايت في مقر جبهة مصر (تنظيم أنشاء على باشا ماهر) وذهبت أنا وعدد من زملائي ووزعتهم في القاعة حتى يساندوننى بالتصديق والحماس من أكثر من مكان في القاعة ، وطلبت الكلمة وسأندخني زملائي في القاعة حتى يسمح لي بالكلام . وفعلا وجدت فرصة للحديث وشرح وجهة نظري وخرجت من المحاضرة ومعى معظم الجالسين الذين تبعونى الي حيث ذهبت واستمرت مناقشاتي معهم الى ما بعد منتصف الليل .

س : ما هي نوعية مجموعتك هذه ؟

ج : كانت جماعة تسمى نفسها ، الجبهة الاشتراكية ،

س : هل كانت هذه الجبهة تنظيما بالمعنى المفهوم ؟

ج : كانت شبه تنظيم .

س : ما معنى شبه تنظيم ؟

ج : كنا مجموعة تعمل علنا وتنشط وتناقش دون أن تكون تنظيما

بالمعنى المفهوم

س : وما هي قصة ترشيحك في الانتخابات ؟

ج : في الانتخابات البرلمانية ٤٤ - ١٩٤٥ انتهزت الفرصة للسانحة

وهي أن الوفد كان يعارض اجراء الانتخابات في ظل الاحكام العرفية على أساس انها ستقدم تحت قهر السلطة بينما أحمد ماهر كان يقول بإمكانية اجراء الانتخابات في ظل الاحكام العرفية وتعهده بعدم التدخل ، لكن الوفد قاطع الانتخابات ، وقررت أن أنتهز الفرصة وأرشح نفسي على المبادئ الاشتراكية ، وكنت أول من تقم للانتخابات البرلمانية في مصر كمرشح

الاشتراكي ، وأحدث ذلك ضجة كبيرة جدا وأخرجت الحكومة انما اخراج ، لكنها لم تستطع منعي من الترشيح .

س : من الذي مول عملية الاتفاق على الانتخابات ؟

ج : جمعنا أموال من الناس ، أنا مثلا في ذلك الحين كنت أدير معهد لتعليم الصحافة بالمراسلة فأرسلت لتلاميذي خطابات ادعوهم للتبرع ، وتحررت مجموعتي لساندي وجمعت أموال حتى من خصومي الذين ماجتهم مثل هنري كورييل ، لكنني أصرر أن الذي أمدنا بمعظم المال الذي احتجنا اليه هو لطف الله سليمان * .

س : في أي دائرة رشحت نفسك ، ومن هم المرشحين الآخرين في نفس الدائرة ؟

ج : دائرة محكمة السيدة . (أقرب دائرة انتخابية لها الان هي دائرة قصر النيل) ، وكان هناك عشرة مرشحين منهم أحمد حسين الذي ركز دعايته الانتخابية ضد اعتباري شيوعي

س : كم صوتا نلت ؟

ج : ٢٢ صوتا .

س : فقط ؟

ج : فقط . ويجب أن تضع في الاعتبار أنه كانت هناك مقاطعة للانتخابات من جانب الوفد .

س : تعود الى الجبهة الاشتراكية ، كيف واصلت العمل ؟

ج : كما قلت لك من قبل ، كنا مجموعة من الاصدقاء نشط كلما اتاحت الفرصة أمامنا .

س : ماذا كانت علاقتك بالمنظمات الشيوعية ؟

ج : كانوا حريصين على التباعد عني ، ويقتصرون أي أخطاء لي . وأذكر أنني أصدرت بالتعاون مع عبد الفتاح الشرقاوي (الحزب الشيوعي لشعوب وادي النيل) منشورا ضد هنري كورييل نذمهم فيه بالصهيونية . وقد أصدرت عدة نشرات ضدهم وزعتها علينا .

انتهت المناقشة

* لطف الله سليمان ، تروتسكي النزعة مقيم حاليا في باريس

والتي كانت لها أهمية كبيرة في الحياة الفكرية والفنية في مصر آنذاك. وقد تفرقت هذه المجموعات بعد ذلك إلى مجموعات أخرى، من أهمها: **مجلس نقاش مع أسعد حليم**، والذي أجرى النقاش بالقاهرة في ٢٠ أكتوبر ١٩٦٩.

س : ما هي معلوماتك عن الفعالة الجديدة للحركات الاشتراكية في أواخر الثلاثينيات ؟

ج : يمكن تقسيم الاتجاهات اليسارية في ذلك الحين إلى اتجاهين: إيساريتين، تروتسكيتين، يتزعمهم جورج حنين، وزمبينيون، يوفان، وتركز نشاطهم العلني، ووسط مجموعات الفنانين وفي إقامة المعارض، واصدقان، نشرات، وفي جماعة الفن، والحرية. وتجمعات ماركسية يتزعمها ثلاثة أشخاص:

* بول جاكوب، ذي كومت، وكانت مجموعته تضم أحمد، رشدي صالح، ويوسف درويش، وآخرين، واتخذت عددا من المناير العلنية، ولجنة نشر الثقافة الحديثة، وجماعة الدراسات، واتحاد انصار السلام.

* وهنري كوربين، وقد أسس مع شوارتز، ماركس، إسرائيل، ويولا العلايلي وغيرهم النادي الديمقراطي، ومن هذه المجموعة خرجت فيما بعد ح م واينكرا.

* ومارسيل، انترنايل، وقد أسس حركة تحرير الشعب، و

غير أن هذه التقسيمات غير قاطنة ففي المناير العلنية اختلطت عناصر من المجموعات المختلفة. وفي لجنة نشر الثقافة الحديثة مثلا كان هناك أناس من حركة تحرير الشعب، وفي جماعة الفن والحرية كان هناك التروتسكيون وتحرير الشعب وتحسين المصري (ح م فيما بعد).

كل ذلك كان في مطلع عام ١٩٣٩، وقبل نشوب الحرب.

س : أريد بعض التفاصيل عن جماعة « الفن والحرية ».

ج : نشأت الفن والحرية كجماعة يغلب عليها الطابع الفني، وكان محركها الأساسي جورج حنين ومجموعة من الفنانين الأجانب وبعض المصريين (أنور

* أسعد حليم واحد من المصريين الأوائل الذين انضموا إلى التجمعات الاشتراكية في أواخر الثلاثينات وقد لعب دورا هاما في فترات حاسمة وقد ارتبط اسمه واسم زوجته - أسماء البقلبي - بكثير من أوجه النشاط المبكر.

كامل - كامل التلمساني) وقد ركزت هذه المجموعة جهودها على نشر الفن السيربالي واصدرت مجلة ذات أهمية تاريخية هي مجلة التطور ، وكان يرأس تحريرها أنور كامل وأنا . اعتقد ان هذه المجلة قد لعبت دورا هاما في تطوير الفكر المصري وبرزت الي الوجود الشكل الادبي السيربالي وقدمت شعاعا وقصصا سيربالية لعدد من الكتاب السيرباليين لمع منهم رمسيس يونان .

س : لماذا السيربالية بالذات ؟

ج : في العالم كله كانت السيربالية تعبرا عن التمرد على القوالب الكلاسيكية الخامة . والحقيقة ان أعضاء الفن والحرية قد قاموا بنشاط كثير بحيث أصبحوا يمثلون قطناعا هاما في الفن وشكلوا واحدا من أهم التيارات الأدبية وأحتفوا هزة عنيفة في المفاهيم الفنية .

ولم تقتصر جهود الجماعة على اصدار المجلة وانما أقاموا سلسلة من المعارض والنحوات . ومن خلال هذه النحوات برزت عدة شخصيات ، رمسيس يونان ، الخصم المصيري وهو (مهندس مصري درس في باريس وعاد متشعبا بالأفكار اليسارية) وفارسيل اثرائيل ، واتفق هؤلاء الثلاثة على ضرورة تجميع عدد من خيرة المثقفين والتحدث معهم حول الماركسية واتفق كل واحد من الثلاثة على أن يكون مجموعة مستقلة للدراسة الماركسية .

س : كيف بدأت علاقتك المباشرة بالحركة ؟

ج : كنت أنا وفتحي الرملي وصالح بجرايبي (سوداني) نعمل في مجلة وسعيدة أسمها ، الشعلة ، وكانت تطبع في نفس المطبعة التي يطبع فيها أنور كامل مجلة التطور وتعارفنا ودعانا لحضور النحوات .

وبعيد فترة ضم مارسيل فتحي الرملي الي مجموعته الضيقة ولم ادع أنا ، وحكي لي فتحي الرملي ما دار في هذا الاجتماع المطلق حول دراسة الماركسية وفي الاجتماع التالي تحدث مارسيل عن أهمية السرية وضرورة عدم ابلاغ أي شخص بوجود مثل هذه الاجتماعات فقال الرملي انه فاتحنى في الموضوع فعلا وهكذا اتفق على ضمي للمجموعة .

س : ماذا هو شكل هذه المجموعة ؟

ج : مجرد مجموعة دراسية ولم تكن تنظيما بالمعنى المفهوم وحتى كانت بقدر اقل .

س : كيف انقسمت الفن والحرية ؟

ج : الحقيقة ان هذه المجموعة الضيقة التي تشكلها مارسيل بدأت تنشط
وكنا نحن شبانا نشيطين وبدأت الافكار الماركسية تبهرنا فاندفعنا بكل
قوتنا لجذب أكبر عدد ممكن من المصريين ومن العمال خاصة وبدأنا نحشد
في ندوات الفن والحرية عمالا وكادحين وخلق هذا رد فعل، وبدأ التناقض
واضحاً ، هم أغنياء أرستقراطيون وأجانب ومثقفون ونحن فقراء ، وحدث
تمايز ، وبدأ قادة المجموعة لا يرحبون بحضورنا لكننا اعتبرناها مسألة
كرامة، وصممنا على الحضور فلم يستد الأرسقراطيون رسم استقبال الكهرياء
وقطع التيار من النادى لكننا صممنا على الاستمرار وكنا نعقد ندواتنا
على ضوء شمعة ، ومن هنا برز التساؤل لماذا لا نؤسس نادياً خاصاً بنا
يكون مستقلاً ومصرياً ونستطيع ان نتحدث فيه بأفكارنا كاملة ، وكان
فتحى الرملى هو الذى اختار اسم « الخبز والحرية » .

ش : يقول مارسيل انه مؤسس « الخبز والحرية » ، ويؤكد أنور
كامل انه مؤسسها فما هي الحقيقة ؟

ج : كلامنا صادق ، نحن أسهمنا مساهمة إيجابية في إنشائه ، « الخبز
والحرية » وكان مارسيل يوجهنا ويثبنا ، وأنور كامل كان الرئيس الرسمى
وكان مجلس إدارة الجمعية أنور كامل - د : عبد العزيز هيكل - أسعد جليم -
فتحى الرملى - صالح عرابى - وبعد مدة ضمنا عبد العزيز هيكل إلى
مجمعنا الضيقة ، وإذا كان مارسيل لم يضم اسمه كعضو في مجلس إدارة
« الخبز والحرية » الا أنه كان مسؤولاً عن ثلاثة أشخاص من مجلس الإدارة :

وكان مارسيل نشيطاً في اتجاهات عديدة فقد أسهم في تأسيس جمعية
أخرى يطلب عليها الأجانب أنشأت نادياً أسمته « ثقافة وفراغ » وقد
ضمت هذه المجموعة عدداً قليلاً من المصريين منهم فوزى جرجس وكانت خطة
مارسيل أن تعمل هذه المجموعة وسط المثقفين أما مجموعتنا فتعمل وسط العمال .

س : وما حدث للمجموعتين الأخرتين ؟

ج : رسميس يونان استمر مع مجموعته لفترة قصيرة ثم تبعرت والحقيقة
أن التروتسكيين كانوا شلة وليس تنظيمياً ولم يؤسسوا تنظيمياً حقيقياً وكانت
لهم صلة ما بالدولية الرابعة لكن دون أن ينجحوا في تأسيس تنظيم .

أما تحسين فقد استمر مع مجموعته لكنه سرعان ما انضم إلى النادى
الديمقراطى ليشارك فيما بعد في تأسيس ح . م .

من أين وابتعدت هل شاركت في تأسيسها ؟

س : يقول عبده ذهب أنك كنت في اللجنة المركزية للحركة المصرية ؟

ج : لم يحدث ، وأنا في هذه الأثناء كنت أعمل مع مارسيل ، وبعد مدة انقسمت « الخبز والحرية » فمقد وقفنا ضد اتجاهات أنور كامل وخرجنا من « الخبز والحرية » لنكون تنظيمًا مستقلًا ولم نسمه أولًا ثم فيما بعد أسميناه « تحرير الشعب » .

س : يقول مارسيل إسرائيل في تقرير له أنه مؤسس « تحرير الشعب » ، وأنه لعب دورًا أساسيًا في هذه الفترة فما هو تقييمك لدوره ؟

ج : هو فعلاً مؤسس « تحرير الشعب » ، كان المحرك والمنظم الفعلي لنشاطنا ، كان أكبرنا سنًا وأوسع منا ثقافة وإدراكًا ، كانت الماركسية تنهزنا وكان مصدرها الوحيد هو مارسيل ومن هنا نهرنا به ، والتحقيق أن مارسيل قد بذل خلال عام ١٩٣٩ جهدًا خارقًا في تثقيف عدد من الكوادر المصرية ، فقد تقفنا مارسيل بسلسلة محاضرات ممتعة بذل جهدًا كثيرًا جدًا في إعدادها وكانت هذه المحاضرات تتضمن الناقية والمثالية - المثالية الجدلية - المثالية التاريخية - تطور المجتمعات - المجتمع الرأسمالي وقوانينه - صراع الطبقات - الثورة - الحرب الخ

انتهى النقاش

مجلس محضر نقاش مع هنري كورييل

جلسة المناقشة الاولى

تمت المناقشة بباريس في الاسبوع الاول من نوفمبر ١٩٦٨.

س: ما هي معلوماتك عن نشأة الحركة الشيوعية في الثلاثينيات ؟

ج: في بداية الثلاثينيات بدأت الحركة عن طريق عدد من الشيوعيين الاجانب كانوا اما اعضاء في بعض الاغزاب الشيوعية الاخبيلية او متأثرين بها . . . وكان كثير من هؤلاء المثقفين الاجانب مدرسين بالمدارس الابتدائية والثانوية (١) . . . وانكر من بين هؤلاء المدرسين جورج بوانتييه وكان عضوا في الحزب الشيوعي السويسري . . .

وقد ابلغني بوانتييه بذلك بنفسه . . . وقد كلفني قبل سفره من مصر لينضم للفرقة الفرنسية في الحرب العالمية الثانية ان ابلغ تقريرا لحزبه عن نشاطه لانه ربما يموت في الحرب وقد مات بوانتييه فعلا في الحرب . . .

والحقيقة ان ظهور الفاشية قد اعطى دفعة قوية للحركة الشيوعية في مصر (٢) كذلك كان الخط الذي تبناه المؤتمر السابع للكونغرس وهو المشهور باسم (خط ديمتروف) ينادي بتكوين جبهات شعبية واسعة للكفاح ضد الفاشية وقد ساعد هذا الخط في القيام بحركة واسعة لمعاداة الفاشية . . . وقد تجمع عدد من اليساريين الايطاليين في مصر وبدأوا نشاطا واسعا واستغلوا عددا من المنابر منها مثلا الجمعيات المسونية . . .

هنري كورييل هو مؤسس الحركة المصرية للتحرير الوطني ثم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني وقد ظل مسؤولا لهذه الحركة حتى انقضاءها من مصر بقرار من وزير الداخلية في عام ١٩٥٠ . . .

١ - كان تدريس اللغتين الانجليزية والفرنسية يقوم به اثنا عشر مدرسين اجانب خلال هذه الفترة . . .

٢ - فقد حرك كثيرا من اليهود الممهل ضد النازية ومن اجل اقرار الحقوق الديمقراطية . . . كذلك دفعهم الى الاهتمام بتأييد كل الحركات المناهضة للنازية وتأييد الجمهوريين في اسبانيا . . . وقد تغاضى الاحتلال الانجليزي عن هذا النشاط لانه موجه ضد الالمان . . . (وهذا التفسير اذلى به كورييل في نهاية النقاش) . . .

ويمكن تصوير حركة الأحداث كما يلي : شيوعيون اجانب قامون من الخارج (مدرسين في الإيباس) يتصلون باجانب مقيمين في مصر (وبعدهم ذلك بمدرسين مصريين) وعن طريق هؤلاء يتم الاتصال بقطاعات من المثقفين المصريين . . .

س : كيف بدأ النشاط الفطنى ؟

ج : في البداية لجأ الجميع الى أسلوب تكوين نوادى علمية تستهدف تجميع عدد من المثقفين حولها . . . وانت كيف أصبحت شيوعيا ؟ . . . هناك أقوال ان أخى راؤول هو الذى جعلنى شيوعيا وهذا غير صحيح لكننى تأثرت تأثرا عميقا بالحركة الوطنية المصرية الجارمة فى عام ١٩٣٦ . . .

بعد واول تصرف سياسى اتخذته هو انه عندما بلغت سن الحادية والعشرين قررت الاختيار بالجنسية المصرية بدلا من الإيطالية . . . وفى عام ١٩٣٧ - ١٩٣٨ اقتنعت بالماركسية وبدأت فى الاتصال بأخرين وفعلا اتصلت بجوزج بوانتشي ، راؤول كوريل (أخى) ، مارسيل اسرائيل وأخرين وبدأنا فى تأسيس الاتحاد الديمقراطى . . . وكان معنا عدد من المظريين هم : إسماعيل الأهوانى ومحمد نصر الدين وكان مدرسا فى كلية البوليس . . . واتخذ الاتحاد الديمقراطى مقرا علميا له فى العمارة رقم ٢ شارع شبكة الفضل وقبل أن يتخذ هذا القرار عقد الاتحاد الديمقراطى أولى اجتماعاته فى مقر إحدى الجمعيات المسيونية . . . وعلى الفور بدأ الاتحاد الديمقراطى بنشاط واسع جدا وهذا هو الفرق بيننا وبين المجموعة الأخرى هم كانوا خائفين بينما انطلقنا نحن فى نشاط ماركسى واسع النطاق . . . والحقيقة ان مهمتنا لم تكن سهلة فقد تحدثنا عن الشيوعية ثم سألنا انفسنا ما هى الشيوعية واذا بنساء لا نعرف عنها شيئا . . . والسبب ان الكتب الماركسية كانت نادرة جدا والشئ الغريب انه كان مشهورا بالكتب التروتسكية أما الكتب الأخرى فلا . . . وقد أصدرنا فى عام ١٩٣٨ نشرة اسمها « يون كيشوت » . . . وعندما بدأت الحرب تبلور تياران أساسيان واعتقد انهما ظهرا فى كنف المستعمرات وهذان التياران هما :

١ - تيار يرى أن الأولوية يجب أن تعطى للخط المعادي للفاشية ومن ثم لا يستبعد التعاون مع الانجليز على أساس أنه كان هناك تعاون بين الاتحاد السوفييتي والحلفاء.

٢ - تيار آخر يرى الكفاح ضد الفاشية وضد الاستعمار معا، وأنا كنت أؤيد هذا التيار.

وقد ظهرت هذه المشكلة كما قلت في عديد من البلاد ومنها الهند فعينجا اصطدم غاندى ونهرو بالانجليز اعترض الشيوعيون الهنود على هذا الموقف وخسروا كثيرا من هذا الموقف ...

والحقيقة أنه بعد اعلان الحرب اتصلت بنا السلطات الانجليزية وعرضوا علينا التعاون ووعدوا بتقديم مساعدات لثنا لخدمتنا فرفضنا ولما فشلوا تماما في استخدامنا لجأوا الى تانينيس فننظيم خاص بهم هو الاخوان الحرة ...

وقد أدى الخط الذي سريا فيه الى الاضطراب بالانجليز أثناء الحرب وقد بدأنا في الاتصال باليساريين الايطاليين وكانوا قد اعتقلوا ايضا مع بقية الايطاليين وبدأنا في تنظيم بعضهم داخل المعتقلات ...

كذلك اتصلنا باليساريين اليونانيين في الفيلق اليوناني ثم حدثت تطورات هامة أثرت جدا في مستقبل مصر وأثرت في أنا شخصيا ... وهذه التطورات الهامة هي أحداث يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ فهذه الحوادث دفعت الكثيرين الى التيقظ وأعطت ديمعة كبيرة للمسألة الوطنية وأبرزت مصر كبلد مستعمر لا ازادة له اهيئت كرامته امانته بالغة ...

والحقيقة ان كثيرا من الشيوعيين المصريين لم يدركوا أهمية هذا الحادث ويطوروا فقط الى الجانب الايجابي فيه وهو تولي النحاس باشا الحكم ...

والى جانب أحداث فبراير ١٩٤٢ كانت هناك أحداث هامة الهبت مشاعر الجماهير فعندما اقترب روميل من العلمين أحييت الجماهير بأمل قرب خروج الانجليز ... وعندما هزم روميل في العلمين فهمت الجماهير أن الفاشية يمكن أن تهزم وتحطمت أسطورة الفاشية ...

ثم جاءت معركة ستالينجراد التي اصفت الدعاية المعادية للشيوعية ورفعت اسم الاتحاد السوفييتي وسمعه لدى جماهير المصريين ...

وفيما بعد كان اعتراف الحكومة المصرية بالاتحاد السوفييتي وتبادل العلاقات الدبلوماسية معه . . . وأقيم معرض للكتاب السوفييتي . . . الخ . . . وقد تجذبت هذه الأحداث مجتمعة لتشكل خطوة حاسمة في تاريخ مصر وقد كانت الظروف مهيأة تماما للعمل . . . وبهذا انتقلت الماركسية من الخلفيات والنوادى إلى العمل الجماهيري . . . وإلى التنظيم النجاد . . .

والحقيقة أن المشكلة لم تكن مشكلة تجنيد وإنما مشكلة تنظيم هذه الأعداد التي تجتمعت حولنا . . . كانت المسألة الأساسية هي أن نستفيد من الإمكانيات التي خلقتها تطور الأحداث لتبدأ عملاً ناجداً . . .

س : كيف بدأت الخطوة الحاسمة ؟

ج : في البداية كنا ونحننا . . . ففي ايام حوارات فبراير وكانت القاهرة تموج بالمظاهرات طبعاً منشوراً باللغة العربية نقول فيه للمصريين لا تتصوروا أن الألمان أفضل من الانجليز . . .

وخرجت لأوزعه بنفسى أنا وجورج بوانتية وكان منظراً مضحكاً : اثنان من الأجانب يوزغان منشورات باللغة العربية . . . وقد وزعنا ٤٠٠٠ نسخة من هذا المنشور . . .

وفي هذه الأثناء قرر بوانتية أن ينضم الى الفيلق الفرنسى واستشهد في ١٩٤٤ أثناء تحرير فرنسا . . .

وفي ١٩٤٢ وقبل معركة العلمين اعتقلنى الانجليز وأرسلت الى معتقل الزيتون وكان معظم المعتقلين من الموالين للقائمية . . . وكان طبعياً أن يكون هناك اتجاه معاد لى في المعسكر فقد كنت الشيوعى الوحيد . . . وكذلك بسبب يهوديتى . . . ولذى بدا الهجوم على هو حسنى المرابى وكان قد أصبح فاشمستياً صريحاً . . .

وفي المعتقل استحدثت فائدة كبرى . . . لقد مارست اختكاً كما يناشراً وجاداً . . . مع كثير من السياسيين هم في الأساس من أبناء البرجوازية الصغيرة . . . وباختصار لقد أخذت في المعتقل حمام تمصير . . . واحسنيت احساسنا عميقاً أن البرجوازية الصغيرة تموج بحركة وطنية عارمة وأنه يتعين الاستفادة منها . . .

وأنا اعتبر أن فترة اعتيالى في معتقل الزيتون كان فترة حاسمة في حياتى . . .

• وبعد فترة قصيرة اختفى العذاب فتدى ونظمت إضرابا عن الطعام لجميع المعتقلين • • • واثنا الإضراب اعتدى البوليس للسياسى على احدى المعتقلين المصريين فترأخ الباقون إلا اننا استمروا فى الإضراب عن الطعام حتى أفرج عني • • • وبعد ذلك خرجت من جو النوادى والحلقات ذات الطابع الإجتى وبشذات على الفور فى تأسيس حركة شيوعية منظمة • • • وأسست ح • م

واقصت بمجموعة من المثقفين المصريين وأنطلقنا فى عمل واسع سريع جدا ومنتشر • • • فاتصلنا بعدد من العمال وعمال الطيران والسودانيين والنوبيين •

• وفى يناير ١٩٤٣ عقدت أول مدرسة كادر • • • تولى التدريس فيها د • زكى هاشم ، تحسين المصرى ، جوماتالون ، دافيد ناحوم والدمرداش التونى وأنا • • •

وكانت هذه المدرسة نقطة تحوّل هامة • • • فقد حضرها الكادر الأسانى الذى تولى قيادة الحركة فيما بعد ولهذا فقد اعتبرنا هذا اليوم هو تاريخ تأسيس ح • م • • •

س : هل اتصلتم بالشيوعيين القدامى ؟

ج : اتصلنا بعدد منهم من بينهم الشيخ صفوان ، عبد الرحمن فضيل ، ياناكاكس ، د • حسونة ، د • القاضى • وكانوا خائفين فشحجناهم وضممناهم للممثل •

س : • • • بعد ان أسست ح • م • هل استمر الاتحاد الديمقراطى فى العمل ؟

ج : ظهرت مجموعة جديدة تقود الاتحاد الديمقراطى منهم عزرا هرارى ، هليل شوارتز ، سيدنى سلامون ، ايلى ميزان وكنت مستمرا معهم • • • وفى ١٩٤٢ تغير الاسم الى المركز الثقافى والاجتماعى وفى ١٩٤٣ اطلق البوليس الدار •

س : ما هى معلوماتك عن مارشيل اسراييل ؟

ج : كان معنا فى الاتحاد الديمقراطى لكنه كان يسعى دائما لعمل تنظيمات جانبية وفى احد المرات دعانى الى اجتماع لجموعته واحسنت انهم جميعا برجوازيون صغار ولم استمر معهم •

س : هل كانت لكم علاقات بالكومنترن ؟

ويجب ان لا ننسى الحقيقة انه لم تكن هناك علامة لاخذ الكومنترن والذي يؤكد ذلك انه في عام 1943 مر اندريه مارتى بالقاهرة فاجما من موسكو في طريقه الى الجزائر ليقيم هناك ممثلا للحزب الشيوعي الفرنسي وعند وصوله للقاهرة اتصل بمقر فرنسا الحرة وكانت زوجته تعمل موظفة هناك فاتصلت به وحضر للاقامة عندها في المنزل

وسالت مارتى عن الاوضاع في الكومنترن وعن الموقف من النشاط في مصر فقال لي انه قبل سفره تلقى تعليمات من الكومنترن بالاقتصاص باحد من الشيوعيين المصريين - اثناء مروره بالقاهرة - لان فيهم عناصر بوليسية كثيرة

من هم الاشخاص الذين تعتقد ان لديهم معلومات مفيدة وتنصح بمناقشتهم ؟

ج : انصحيح بمقابلة انور كامل - اسعيد حليم - محمد نصر الدين - عبده ديب - صالح عرابي - دكتور اليماني

هنري كوربيل

جلسة المناقشة الثانية - باريس ٢٥ يناير ١٩٧٠

س: سنحاول الآن مواصلة النقاش الذي اجريته منذ عدة اشهر وأود ان
احصل على اجابات تفصيلية على عدة أسئلة: أولها هو متى وكيف أصبحت
ماركسيا ؟

ج: عندما بلغت من العمر ٢١ سنة كنا في عام ١٩٢٥ وكانت مصر تموج
بالمظاهرات الوطنية المعادية للاستعمار وتحمست انا أيضا لمصر وللمصريين
وقررت ان اختار الجنسية المصرية فاننا مولود في مصر من اب مولود في مصر ومن
حقى عندما ابلغ من العمر ٢١ سنة ان اختار الجنسية التي أريد. وقررت ان
اخذت الجنسية المصرية ولم يكن هذا امرا سهلا ولا مقبولا وسط المجتمع الاجنبي
لان معناه ان نفقد حقى في الاستمتاع بالامتيازات الاجنبية . وقد قاوم ابي ذلك
بشدة لكننى اصررت على موقفى .

وكان ابي صاحب بنك وكنت اعمل معه وكثيرا ما كنت ازور عزبتنا في
الريف والحقيقة اننى كنت المس الفقير المنتشر في المدينة لكن الفقر في الريف كان
غاية في البشاعة . وتأثرت جدا بحالة الفلاحين وقررت ان نحاول اصلاح حال
الفلاحين وكنت انا وزوجتى نذهب مرتين اسبوعيا لى عزبتنا القريبة من القاهرة
... كان معنا نفود ولنا اطباء اصحاء اسمهموا معنا في المشروع لكننى اكتشفت
بسرعة فشل المحاولات الاصلاحية .

وبدأت ابحث عن طريق آخر . . .

وفي أوائل ١٩٣٦ بدأت الحرب الاهلية في اسبانيا وكان المثقفون الاجانب
المستعدون يتابعون انباءها بعواطف تميل مع الجمهوريين . وبدأت انا في جمع
تبرعات للجمهوريين وكان هذا اول نشاط جدى اقوم به . . . وتعاقبت احداث
هامة . . . مثل حرب الحبشة والحرب الصينية وغيرها وبدأت عينى تتجه في اتجاه
اليسار .

وفي ١٩٣٧ - ١٩٣٨ كنت مريضا جدا وسافرت الى باريس للعلاج . . .

وقبل سفرى مباشرة اتصل بي مارسيل اسراييل وكان معه مجموعة من
حوالى عشرة اشخاص كانوا مجرد برجوازيين صغارا . وكنت انا برجوازيا .
والبرجوازية لها عيوب كثيرة لكن فيها ميزة هامة هي اتساع الافق واحسنت انهم
مجموعة من ضيقى الافق مجرد موظفين صغار يبيعون على هامش المجتمع

ولا يشعرون بما يدور فيه . وأحسنت بالفكر منهم وقررت ان اعمل شيئا
وبدأت فعلا فور عودتي من باريس في ١٩٣٨ .

س : وفي باريس ألم تتصل بالحزب الفرنسي ؟

ج : لا ، فقد كنت مريضا واكتفيت بالعلاج .

س : كيف بدأت العمل ؟

ج : في ١٩٣٨ تكونت النادي الديمقراطي وكان هدفه الكفاح ضد الفاشية
مسترشدا بخط المؤتمر السابع للكومنترن والذي يدعو لتكوين جبهة شعبية
معادية للفاشية وانضم اليها عدد كبير من الاجانب (انجليز ويونانيين وايطاليين
وسويسريين) ومن المصريين انضم لنا احمد فؤاد الازهري - محمد نصر الدين
(مدرس بكلية البوليس) وكان معظم هؤلاء الاجانب من مدرسي اللغتين الفرنسية
والانجليزية بالمدارس الثانوية وكانوا بالتالي محتكين بالمجتمع المصري . وبين
طريقهم انضم الينا الازهري وكان في ذلك الحين مدرسا في مدرسة ثانوية .

س : كان اتحاد انصار السلام موجودا في ذلك الحين فما هو الفارق بينكم
وبينهم ؟

ج : الفارق اننا كانت لنا علاقات بالمصريين وقرربا الانفتاح على المصريين
وهم كانت علاقاتهم بالمصريين قليلة جدا .

س : وماذا عن مازستيل اسرائيل ؟

ج : قرر هو ومجموعته ان يعملوا من خلال النادي الديمقراطي لكنهم فشلوا
وخرجوا وكونوا مجموعة الثقافة والفراغ ، وكان معهم اسمعدي حليم وكان اسمعدي
بالنسبة لمارسيل مظهر التمسير .

س : هل يمكن القول انك كنت في ذلك الحين ماركسيا فعلا ؟

ج : انا كنت اعطف على الماركسية واؤيد الاتحاد السوفييتي . وعندما
اشتعلت الحرب طلبت التطوع في الجيش الفرنسي لاجراب الفاشية ولكن طلبي
لم يقبل .

والمسألة التي كانت تحيرني فعلا هي انني كنت اكره انجلترا كرها شديدا
بينما يتعجب علينا مساندتها ضد الفاشية .

وفي هذه الاثناء اتصل بي مندوب من السفارة البريطانية اسمه ايضا اعتقد
مسترحجوهين . طالبا ان يعمل النادي معهم عملا موحدا ضد الفاشية وتحدث
كثيرا عن اهمية توحيد القوى الديمقراطية ضد الفاشية وضد الشيوعية . لكننا
رفضنا التعاون معهم . وقد طرح هذا علينا سؤالان هما : هو هل نتعاون مع

الاستعمار ضد الفاشية لم نواجه الاثنين معا . . .

س : كيف سارت الامور في النادي للديمقراطي ؟

ج : تجمعت منذ البداية الا ادخل مجلس ادارة النادي وانما كان فيه احمد قواد الامواني لكنه انسحب من مجلس الادارة بعد ان بدأت مطاردة البوليس لنا . وخلال العمل حدث خلاف بيني انا وجورج بوانتيه من جانب وبين ٧ اعضاء في مجلس الادارة . لكننا صممنا على رأينا حتى هزمنا السبعة وكان هذا درسا مفيدا لي هو ان التصميم في وجه العناصر المترددة سلاح فعال وكان الخلاف يدور اساسا حول هل نصبح شيوعيين ام لا . . .

وعندما انتصرت وجهة نظرنا اعلنا اننا شيوعيون . . . لكن ما معنى ان نكون شيوعيين ؟ لا احد يعرف ، ما هو الشيء الذي يتعين علينا القيام به ؟ . . . لا احد يعرف . وقلت علينا ان ندرس ولكي ندرس يجب ان تكون هناك كتب وهكذا كانت اول خطوة هي العمل علي افتتاح مكتبة . وفعلا افتتحت مكتبة الميدان . وكانت تعمل في المكتبة هنريت آربييه زوجة سام باردل (وهو ضابط انجليزي عضوا في الحزب الشيوعي الانجليزي) . والحقيقة انه كان هناك عشرات من الشيوعيين وسط القوات البريطانية لكن سام باردل تمكن من العمل معنا لانه كان يعمل في المخازن بالقاهرة .

س : هل كانت هناك أية اتصالات باحزاب خارجية ؟

ج : بالنسبة لي لا . . . لكن بول جاكو كان على علاقة سابقة بالحزب الشيوعي السويسري . ومارسيل انرايل كان متصلا بالحزب الفلسطيني وجورج بوانتيه كان عضوا بالحزب السويسري قبل حضوره الى مصر . . . وعندما اقترب الالماني من العلمين اعد الانجليز قطارا خاصا ليهاجر فيه الاجانب التقدميون الى فلسطين ورفضنا نحن السفر وهناك انفصل مارسيل اسرايل بالحزب الفلسطيني واجري معهم مناقشات طويلة .

س : ألم تتصلوا بالحزب الانجليزي ؟

ج : اول علامة مباشرة كانت عن طريق مدرس انجليزي يدرس في السودان . . . وكان هذا المدرس يحاول تكوين تنظيم شيوعي سوداني . وخلال مروره بالقاهرة قال لي انه يجب ربط التنظيم السوداني بالحزب الانجليزي فرفضت ذلك . . .
س : . . . عندما شرعتم في تأسيس ح . م . هل كانت هناك خلافات جسدية بينكم وبين الجموعات الاخرى مثل مجموعة بول جاكو . . . ومجموعة . . .

ج : نعم كانت هناك خلافات مبدئية فيالنسبة لجاكو دي كومب نحن كنا نرى ان الخطوة الحاسمة هي التمسير وهو ايضا كان تنادي بالتمسير لكن للتمسير عنده كان يعنى مجرد ضم عدد من الاجانب المتمصرين وكان يعوقه الحذر الشديد والمبالغ فيه من جانبية . اما نحن فكاننا نرى الانفتاح على المصريين مباشرة وكذلك على النوبيين والسودانيين وعلى اوسع نطاق وكانت فكرتنا عن الامان مختلفة تماما .

وقد نشطنا في الازهر وحققنا نجاحا وضممنا الى صفوفنا عددا من طلابه وكان معنا ازهرى في كلية اصول الدين صناع قوانين الجدل شعرا على طريقة الفية ابن مالك . وكنا نختلف مع ايستكرا حول موضوع التقيد بالاخلاقيات : كنا نقول ان المناضل الشيوعي يجب ان يتقيد بالاخلاق وان كونه نموذجا في الالتزام بها بينما ايستكرا اعلنت ان النظام البرجوازي هو الذى فرض هذه الاخلاقيات المزيفة وان علينا التخلص منها . وبالنسبة للتمسير الحقيقية ان الحدا لم يعترض عليه من حيث المبدأ لكننا نحن وحدنا الذين مارسناه بشجاعة ووضعتنا الى القيادة فوزا عناصر مصرية وعملية .

وكل هذه مسائل اساسية لانه على ضوءها يمكن ان يتحدد مصير جماهيرية التنظيم واحترام الجماهير له والتعاقب حولها .

س : متى ولدت ح . م . (الحركة المصرية للتحزب الوطنى)

ج : تاريخ ميلاد ح . م . هو تاريخ انعقاد اول مدرسة للكادر (لم يذكر التاريخ) حيث تجتمع في عزبة والدى ٢٥ من الكوادر الجديدة لحضور اول مدرسة كادر .

كان المدرسون في المدرسة محمد زكى هاشم - احمد دمرداش توتى - تحسين المصرى - موسى كاظم وانا . اما الطلبة فكان عددهم ٢٥ من بينهم ٢ او اربعة من ميكانيكى الطيران اذكر منهم سيد سليمان رفاعى - يوسف مصطفى - المغربى - واثنين من الازمزيين (لم يذكر اسميهما) واثنين من طلبة الجامعات هما مختار العطار وكمال شعبان اما برنامج الدراسة فكان محاضرات حول تاريخ مصر (على ضوء المادية التاريخية) - جغرافية مصر - المناقشة الجدلية - الاقتصاد السياسى وكنا قد ترجمنا نشيد الدولية الى اللغة العربية وكان يطلع به باللغة العربية :

يا بؤساء الدنيا قوموا قوموا يا محرومين من الخير
وكان نظام المدرسة صارما وبروليتاريا جفا ، الجميع يناهون علي
الارض ، يستيقظون في ساعة محددة لينشعوا عدة اناشيد ثورية بينها نشيد
الدولية ثم تبدأ المحاضرات

وفي المدرسة اعليا نحن المدرسين للطلبة انما قد نكون اناسا ثوريين لكننا
لسنا الاصحاب الحقيقيين للقضية وانهم اى الطلبة هم الاصحاب الحقيقيون
لها
واذكر ان اول منشور شيوعي صدر عن ح م قد اشترك في كتابته
اربعة اشخاص هم جورج بوانتية ومحمد نصر الدين و د فؤاد الالهوانى وانا
وطبع منه اربعة آلاف نسخة وكان ذلك في عام ١٩٤٢

ثم اصدرنا بعد ذلك مجلة (حرية الشعوب) واعدنا كورس محاضرات
للاعضاء ، كانت اول محاضرة نيه بعنوان « عيوب المجتمع » وكانت تقدم
تفسيرا علميا لعيوب المجتمع ومصادرها الحقيقية واساليب التغلب عليها وكان
الهدف هو ان نضرب منذ البداية الاتجاهات الاصلاحية التي كانت تنتشر في
ذلك الحين

س : ما هي علاقاتكم بالمجموعات الاجنبية التي كانت مقيمة في مصر ؟
ج : كانت مصر في ايام الحرب مركزا دوليا هاما وكان بها حوالي ١٠
او ١٥ حكومة بالنفى واستطيع ان اقول اننا حاولنا مساعدة جفيع المجموعات
الثورية والوطنية ساعدنا الالبانيين والاستراليين والانجليز واتصلنا
بمعسكرات الاسرى الايطاليين وكنا نهرب اليهم نشرات بالاطالية وكتبنا
ماركسية لتعزز نفوذ عناصر يسارية كانت موجودة معهم . . . وكذلك اتصلنا
بمعسكرات الاسرى الالمان وكان د عبد الفتاح القاضي يكتب نشرات باللغة
الالمانية ونرسلها اليهم لتوزع هناك

وكذلك اتصلنا باليونانيين وكانت الفرقة اليونانية بمصر على خلاف مع
قوات الاحتلال وكان يتزعمها شيوعي يوناني اسمه نيقوليديس وقامت الفرقة
بانتفاضة ضد الجيش الانجليزي لانهم كانوا يريدون السفر الى اليونان لتحرر
بلدهم . بينما الانجليز كانوا يريدون ارسالهم الى ايطاليا لاقتنائهم بعيدا عن
اليونان وحتى يتخلصوا منهم لانهم شيوعيون

وقد هاجمتهم الاسكرا بخجة انهم يعرقلون معركة الحلفاء ضد الفاشية انما
نحن نقولنا اننا لسنا قضاة في هذا الموضوع وعلى اليونانيين ان يختاروا الموقف

الذي يريدون. لكن وإيجينا. ان يساعدهم كرفاق وقد حاصرتهم القوات الانجليزية في احد المباني بالاسكندرية وجنحت ح ٥٠م - كل اعضائها بالاسكندرية لمساعدتهم وكنا نهرب لهم الطعام والياتاه ٥٥٠ والمعلومات

س : لماذا لخذتم اسم الحركة المصرية للتحرير الوطني ولم تعلنوا من البداية تأسيس حزب شيوعي ؟

الحقيقة ان الكثيرين طالبوا بذلك. لكننا كنا نرى ان اعلان حزب يمكنه ان يعبر حقيقة عن آمال الجماهير المصرية يتطلب وقتا كثيرا وجهدا اكبر واعدادا سياسيا وماديا ونضاليا لم يكن متوفرا لنا ٥٥ كنا في بداية الطريق ولم يكن من السهل ان نعلن للجماهير ان هذا التكوين الضعيف هو الممثل الفعلي للبروليتارية المصرية

وهكذا اعلنا اننا حركة للتحرير الوطني تستهدف تحقيق عدة اهداف من بينها

- ١- تكوين حزب شيوعي مصري
- ٢- اصلاح زراعي
- ٣- تنظيم الكفاح المشترك مع الشعب السوداني

س : قامت ح ٥٠م على اساس تنظيم فتوى فهل كان هذا هو الشكل الصحيح لتنظيم شيوعي ؟

نعم. قام تنظيمنا في البداية على اساس اقسام فتوية بعضها قومي مثل قسم الارمن وقسم الدوبيين وقسم السودانيين وبعضها اجتماعي مثل اقسام النساء والطلبة والشباب والعمال

وقد يتصور البعض ان هذا خطأ لكنني اعتقد ان التنظيم اداة وان هذه الاداة يجب ان تتشكل بالشكل الملائم

فقد كنا مبتدئين وكنا بحاجة الى فهم القضايا الاجتماعية فهما اكثر عمقا وبملا مشكلات النساء لا يمكن فهمها في ظل شكل الخلية العائلي المشتركة وانما من خلال جميع النساء مما كان يمكن خلق طبيعة حقيقية لفئة معينة

والتشبيب الثاني الذي دمنا التي ذلك هو الامان فربط التوبين معا والارمن معا والطلبة ٥٥ الخ - كان يمكن الكوادر من العمل بسهولة وفي ظل امان افضل ويصعبهم من اختيار افضل العناصر واكثرها اخلاصا

س : وماذا عن سنة ١٩٤٧ و١٩٤٨ ووجهنا بمشكلة تنظيم اعضائنا في كتلة الوفاري وما

فعاقل النفس، القادح خديتيا من الريف ينشط ويميش في ظلل مجموعات من
البلديات، ومخدة المجموعه، تربيط العامل اكثر مما ترقطه صالة العمل ولهذا اقمنا
الخلايا ليس على اساس تقسيم العمل وانما على اساس البلديات مثلا، خلية
لابناء المنوفية وكان هذا الشكل حتى القاعدة فقط، وكان فعلا مفيدا جدا، ويحمي
الخلايا من تسلل البوليس.

لكن مثلا في شبوات الخيمة كان العمال اكثر تشددا، ولم تكن ميشكلة
البلديات حادة مثل كبر الدوار، فاقمنا التنظيم على اساس خلية المصنع.

وفي ح.م. كونا، مثلا، قسما للازهر، لاننا لو مزجنا المثقف الازهرى مع
المثقف المصري في بذاية العميل فان كلا منهما سيخسر بالتناقص، وكان
تخصيص قسم للازهر مسألة هامة دفعت العطف الى الامام وادى الى انه كان لنا
قسم شبيوعى كبير في الازهر، تقبعه خلايا في جميع المعاهد، سواء نجحنا في
الازهر لاننا نفرض على العقلية الازهرية تغييرا عينا.

س. نه وماذا عن نشاطكم في الجيش ٩.

ج. بدأنا مع عمال سلاح الطيران ووجدنا انهم خاضعون لنظام عسكري
وليبر من الممكن تنظيمهم مع زملاء الاخوانهون، نفس الخطر، فاقمنا لهم
قنصا، خاصا، وعلى اية حال، كان لدينا في ح.م. صف ضباط فقط، وبعد للوحدة
قدمت اليسكر، ضابطا هو احمد حمروين، كان قد انضم اليها، عن طريق تنظيم
اللقطة، وبعد ذلك اتولى انضمام الضباط، فقد قام حمروين بتأسيس قسم
الجيش في وحيته.

وكان لدينا في ح.م. تجليل، طبقى القتات الجيش هو
الجنود - قلاحين.

عمال الجيش - عمال

صف الضباط - برجوازية صغيرة

الضباط - برجوازية متوسطة

الضباط الكبار - برجوازيين مرتبطين بالمصالح الغنارية والملكية

وقد اتصلنا في ح.م. بعدد من الضباط منهم محمد نجيب وقد اتصلنا
به عن طريق احد اعواننا النوبيين (صالح عزابي)، وقد اتصل بي صالح
عزابي وقال ان ضابطا من اصطل سودانى يريد ان يعرف ما هو موقف
الشيوعيين من السودان، وكان هذا السؤال فرصة لبحث الموضوع واعيدنا
تقريزا مفصلا عن وجهة نظرنا في المسئلة، واعلنا فيه اننا نرفع شعار الكفاح

المشترك مع الشعب السودانى ضد العدو المشترك في مواجهة شعار نيل واجد
وطيك واجد . وبعد اتصالات عديدة مع محمد نجيب شعرنا انه لم يكن له تكوين
سياسى مجدد لكنه كان يواصل اتصالاته بالوادى النوبية - وبما ان النوبيين
هم اكثر الفئات فقرا - فانه كان قريبا من المفهوم الشعبى .

كذلك اتصلنا بصلاح سالم عن طريق الزميل الطيار ابراهيم العطار .

س : فما هي علاقة عبد الفتاح الشرقاوى بالتنظيم ؟

ج : كان عضوا في اللجنة المركزية للحركة المصرية وكان متفينا ويصلنى
باستمرار . والحقيقة انه انضم الينا وهو ضدنا . لانا غير مصريين ؛ لكنه
انضم الينا ليكسب الخبرة ليؤسس تنظيما جديدا ؛ وفعلنا انسحب الشرقاوى
يوم ١٦ اكتوبر ١٩٤٥ مطننا فشلنا ومؤكدا ان البلاد تمر بفترة حرجا شديد .
كذلك كان احد اسباب الخلاف هو مسألة الدين فهو لم يكن يكتفى بموقفنا
الاجابى من الدين لكنه كان يفهم الماركسية فهما اسلاميا صرفا .

س : بلغت نظرى انك حددت يوم ١٦ اكتوبر ١٩٤٥ للخلاف حول مسألة
المد والحزر في الثورة المصرية فهل لهذا التاريخ صلة بهذا الخلاف ؟

ج : طبعا . والحقيقة اننا عندما اقتربت الحرب من نهايتها طرحنا
السؤال التالي هل نستشهد فترة ما بعد الحرب مدا ثوريا في مصر ام العكس ؟ كنا
نحن نقول ان الفترة القادمة فترة مد وان المظاهرات الوطنية ستفجر مطالبنا
بالاستقلال التام . وان علينا ان نستعد لنلعب دورا اساسيا في هذه الحركة .

لكن المنظمات الاخرى حطت الموقف بصورة اخرى فقالوا ان الوفد مطرود
من الحكم وان حكومية احمد ماهر قررت الدخول في مفاوضات الانجليز وان
الرجعية ترى ان معاهدة ١٩٣٦ تضمنت نقضا في الاستقلال والمطلوب هو
مفاوضات لاستكمال هذا النقص .

١ وكان تقديرا ان المظاهرات ستفجر في ٦ اكتوبر ١٩٤٥ وهو موعد بدء
الدراسة في الجامعة .

وفي ٥ اكتوبر اصدرت ح . م . منشورا الى جنود الجيش والبوليس تقول
لهم فيه انهم جزء من القوى الوطنية المعادية للاستعمار ويجب الا يسمحوا
لانفسهم بان يستخدموا لضرب مظاهرات الطلبة التي ستتطلع عدا .

لكن ٦ اكتوبر ياتى ولم تقم مظاهرات وتهدمت علينا كل المنظمات وثار
عبد الفتاح الشرقاوى وقال انتم فشلتم وتطيلتكم خاطئة لكننا قلنا نحن لم
نهزم . وانما الذى هزم هو القيادات التقليدية للحركة الوطنية لانها عجزت عن
قيادة الحركة الوطنية في ظل الشعارات الملائمة وطرح علينا هذا واجبات جديدة .

من العمل على تكوين قيادة وطنية جديدة تعود العنق السياسي والوطني وهدانا
في تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال

وطبعا قامت هذه اللجنة باضرابات ومظاهرات ضخمة جدا. اكدت صحة
تحليلنا السابق . . .

س : اريد ان نتحدث عن تجرية الوحدة بين ح . م . وايسكورا . . .

ج : كنا دائما نسمى للتوحيد . وكان من شروط الوحدة انعقاد الاجانب
وفعلا كونا قسما للاجانب ابعدنا اليه جميع الاجانب ما عدا انا وميلال سوارتز
وبهذا تم التمسير بشكل فعلي وحيدنيا رايات الكيفاح الجديدة لنا وهي
الديمقراطية والتحرر الوطني وهكذا اسمينا التنظيم الجديد الحركة الديمقراطية
للتحرر الوطني ح . د . ت . و . لكننا لم نكن نتصور ان حققوا هي الحزب بل
كانت خطوة في سبيل السعي لاقامة الحزب . . .

وبعد ذلك اعلنا هدف التعميل وتصورنا انه يمكن انجاز مهمة التعميل
بنفس الاسلوب الذي اتبعناه في التمسير . وهكذا كونا اقتساما غير عمالية ثم
قسما للعمال ابعد عنه كل من ميلال وانا وقلنا ان مهمة قسم العمال ليس مجرد
توزيع النشاط وسط العمال وانما ان يتحول بنفسه ليصبح هو الحزب وكان
على رأس القسم اربعة من المصريين سيد رفاغي - محمد شطا - شهدي عطية
- عبد المعبود الجبيلي . . .

وقد وقعنا في خطأ كبير فان عملية التمسير تمت بالتصعيد السريع لعناصر
مضرية الى القيادة وتدريبها وترتيبها من خلال الممارسة نفسها وتصورنا انه
يمكن التعميل بنفس الطريقة ان تصعد عمالا بغض النظر عن مستواهم الفكري
الى صفوف القيادة . . . وضعنا الى القيادة عددا كبيرا من العمال بقصد ان
نشعر العمال انهم المالك الحقيقيين للتنظيم . . .

لكن من هم العمال ؟ هذا هو السؤال الذي حاولنا ان نجيب عليه . وقلنا
ان التعميل بالمعنى النظري والثوري هو ضم طلائع العمال في المراكز العمالية
الكبرى . . . وهذا يعني في ظروف مصر ضم قيادات عمال النسيج وعمال النسيج
المصريين كانوا في ذلك الحين ثوريين لكنهم كانوا بشكل عام غير متعلمين
وأدى التصعيد السريع للعمال الى اضعاف التكوين الفكري لقيادة التنظيم في
ظروف بدأ التنظيم يتعرض فيها لصعوبات تنظيمية وتواجهت مشكلات
نظريات وفكرية خطيرة . . .

كذلك أعاق عملية التصدير. إن المثقفين المصريين في قيادة التنظيم قالوا
إن المسألة للواسعة بين الأجنبي والمصري حيث تمت التصدير. لكن هذه المسألة تظل
كثيرا فيما بين المثقف والعمال المصريين. وكان بعض المثقفين يشعرون بالخطر
على مراكزهم من التعميل وكان البعض يشعر بمخاطر انخفاض المستوى النظري
للقيادة وعلى أية حال أدى هذا الموضوع الى خلاقات عميقة في قيادة إحديتنا.

وفي هذه الظروف بدأت الرجعية في الضغط على الحركة. وأدى الضغط
بالضرورة الى توليد اتجاهات متطرفة متصارا فانقسمت مجموعة م. ش. م.
واتجاهات متطرفة يمينيا مثل مجموعة فوزى جرجيس التي رفعت شعاره احناء
الزواجر للعاصفة.

وتمتادى ايضا الى العاصف. مواجهاة التنظيم للضغط للرجعي ان هذا
الضغط توجه الينا بقدم يضم مجموعات ضعيفة من الناحية النضالية (مثل
كثير من عناصر ايسكرا).

س: ما هي القصة الحقيقية لزيارة اندريه مارتى لك في القاهرة وما هي
حقيقة علاقتك به؟

بيته: زوجتي كانت تعمل مترجمة لدى وفد فرنسا الجرة بالقاهرة
وهناك قابلت مارتى وكان قائما من موسكو دعته هو وزوجته للإقامة في شقتنا
مقبيل علي الفور وعندما سألناه فيما بعد عن سير قبوله السريع قال انهم
جنوه في موسكو من أن القاهرة مليئة بالجواسيس ولهذا فضل الا يقسم في
مناقشاته مع مناقشات حول الوضع في مصر. وأجبرته علي أن يقابل
قائد المجموعة الشيوعية في الفرقة اليونانية المسلحة بمصر الرفيق نيقوليفيس
وكان مارتى متحمدا في الإقامة أي اتصال بنأي انسان لكنني أصريت. وبعد
ذلك نيامت مارتى إلى الجزائر واستمرينا في إرسال كتب ونشرات اليه. وفي
أر ١٩٤٩ أسافرت زوجتي إلى باريس وكانت صحيفة للزوجة مارتى مقابلتها
ونقلت اليها وجهيات نظرا للسياسية لتتقلها إلى الحزب الفرنسي. وطلبت
منها أن تتصل بجارودي ليكتب مقدمة للترجمة العربية لكتابه الذي كتب
قد قرنا طبعه في سلسلة الكتب الخضراء. فعلا كتب جارودي مقدمة
ممتازة.

في ١٩٥٥ عندما طردت من مصر الي إيطاليا ثم طردت من إيطاليا
فسيافرت إلى باريس فتمت تمضي للمكتب السياسي للحزب الفرنسي فقالوا لي
قابل مارتى ومقابلته وطلب تقديرا عن تطورات الظروف السياسية في مصر
فأعدت له التقرير وبعد ذلك فواجهنا بأن الحزب بطرد مارتى ويتهمه
بالحاشونية فكتبنا تقريرا إلى الحزب الفرنسي أشرنا فيه الي مقابلتنا السابقة
معه وشرحنا وجهة نظرا في اتهام مارتى.

وبعد أيام فوجدنا بالأمم المتحدة تنشر تقريراً للمكتب السياسي يقول
إن مارتى كان على علاقة باثنين من المصريين مشكوك فيهما وهذان الاثنان هما
أنا وزوجتي

وبعد ذلك كتبت الى الحزب رسالة قلت فيها اننا لا نوافق على رأيهم
لكننا لن نقول شيئاً حتى لا نضعف مركز الحزب في المعركة مع مارتى

والحقيقة أن سبب الخلاف بيني وبين الحزب الفرنسي والإيطالي
يرجع الى اختلاف معهم في المواقف والتحليلات السياسية ازاء مصر . فعندما
القيت معاهدة ٣٦ قالوا ان ذلك تعبيراً عن التقود الامريكى ورفضنا هذا
التحليل . وعندما قامت ثورة يوليو هاجمواها بينما أيدتها أنا .

وهكذا فان أسباب الخلاف هي في الأساس أسباب سياسية .
انتهى النقاش

محضر نقاش مع عبده ذهب حسين *

تم النقاش في الخرطوم ١٨/١٠/١٩٦٩

س : كيف بدأت علاقتك بالعمل السياسي في مصر ؟
ج : في عام ١٩٣٥ بدأت حياتي السياسية وأنا شاب صغير في وادي حلفا واتصلت بحزب مصر الفتاة وكان له فرع بوادي حلفا لقربها من مصر وللتعريف عن تصميم الحزب على وحدة وادي النيل . ولبيت القميص الاخضر . واستدعاني حاكم البلدة وهو انجليزي وطلب الي خلع هذا القميص فرفضت . فبدأ في اضطهادي . وبعد ذلك غادرت حلفا الى القاهرة وعملت هناك مع حزب مصر الفتاة . وقد طلب الي قادة الحزب ان تعمل لدى الايطاليين (لتعريف العلاقة بالفاشست) وعملت فعلا في حمام سباحة بالهرم مملوك للايطاليين .

وفي هذه الاثناء كنت متحمسا جدا ضد الانجليز وشعر بحماسي ايطالي شيوعي اسمه ماريو كان يعمل في نفس النادي فسألني لماذا أنت متحمس ضد الانجليز ؟ فقلت لانهم يستعمرون بلادنا . فقال ولماذا تحب ايطاليا فقلت لكي تخلصنا من الانجليز .

وضحك ماريو وأخذ كحادثتي طويلا عن فكرة الاستعمار وكيف ان الايطاليين يحاولون طرد الانجليز من مصر ليحلوا محلهم .

وبدا ماريو تدريس الماركسية لي وأفهمني ان الدولة الوحيدة التي يمكن ان تساعدنا مساعدة جدية هي روسيا .

* عبده ذهب حسين . سوداني من وادي حلفا قضى فترة طويلة من حياته (١٩٣٥ - ١٩٥٠) بالقاهرة وكان من أوائل الذين انضموا الى النادي الديمقراطي ثم الى الحركة المصرية للتحرير الوطني . لعب دورا كبيرا في تاسيس الحركة السودانية للتحرير الوطني . عندما عاد الى السودان مارس نشاطه لفترة من الوقت ثم ابتعد عن التنظيم بسبب بعض الخلافات . ويعمل الآن بالتجارة . يحتفظ بمذكرات يومية عن نشاطه وذاكرته قوية .

من مواليد ١٩١٧

وفي سنة ١٩٣٩ بدأت حملة اعتقالات ضد الإيطاليين وبعيها جاء
البوليس ليقبض على ماريو قال لي حاول الاتصال بهنري كورريل او مارسيل
اسرائيل . لكنه لم يعطني أية عناوين . ولم أستطع ان أعثر عليهما .

وكانت الافكار التي علمني ماريو اياها تشكل حاجزا بيني وبين مصر
الفتاة قيدات في الانشقاق عنها وفعلا انقسمت عن مصر الفتاة انا وعصام
عبد المعطي وفهمي عقل وحتن كمال وآخرين مكونين تنظيمًا جديدًا اسمه
« كتلة الشباب المصري » وأصدرنا مجلة اسمها « الجلاء » كان مقرها شارع
سليمان باشا .

س : هؤلاء الذين كونوا معك « كتلة الشباب المصري » هل كانوا جميعًا
يساريين ؟

ج : لا . . . أنا وعصام عبد المعطي فقط . . .

س : وكيف اتصلت بالشيوعيين ؟

ج : كنت أشعر أنني بحاجة إلى الثقافة وكنا نبحث في الصحف
عن الاعلانات التي تنشر عن المحاضرات والندوات في الاندية المختلفة . وذات
يوم من أيام عام ١٩٣٩ قرأت عن مناظرة ستجري في مقر النادى الديمقراطى
بشارع سكة الفضل حول المرأة المصرية والمرأة الاوربية بين الاستاذين يسلمه
موسى وزكى مبارك . وذهبت لحضور هذه المناظرة واشتركت في نقاش عنيف
ضد زكى مبارك . وبعد أن انتهت المناظرة تقدم الى شخص اجنبى وطلب
منى أن أدخل معه أحد المكاتب حيث وجدت بعض الأشخاص . وسألني
هذا الشخص الذى علمت فيما بعد أنه هليل شوارتز . هل أنت عبيده
ذهب . . .

فقلت نعم . . . فقال : اننا نبحث عنك من زمن طويل . . .

وآر نقاش حول الاوضاع في السودان ونظم التعليم هناك لكن النقاش
كان محصورا بيني وبين شوارتز اما الآخرون فلم يشتركوا فيه . وكانوا هنري
كورريل وبولا العلايلي ومارسيل اسرائيل . . .

وعندما كنت أوشك على مغادرة المكتب طلب منى هنري كورريل موعدا
وقابلته بعد أيام في مكتبه بشارع الشواربى . حيث حدثني طويلا عن
رغبته في تأسيس مجلة تعمل على نشر الوعي في مصر .

وكلفني أن أبحث عن مجلة مصرية لاستئجارها حيث يصعب على أشخاص
مثلهم الحصول على زخمة مجلة . وفعلا استأجرت مجلة « حرية الشعوب » .

وكان يصدرها شخص اسمه رجب أحمد وهو شخص غايب جدا لم تكن لديه أية مؤيرون شائنة رغم هذا الاسم الذي أطلقه على مجلته وكان الأبخاز المتفق عليه ١٥٠ مؤيرون شهريا ارتفعت إلى ٢٥٠ بعد أن بدأت مضايقات البوليس

واحتفظنا باسم المجلة واضفنا شعارا يقول انهما مجلة مصرية سودانية

س : هل كان يعمل معك على اصدار هذه المجلة ؟

ج : كثيرون جمعهم معي كورثيل مثل سيد قنديل وهو نقابي مشهور ونقابي آخر اسمه زكي أبو الخير ومن السودانيين محيي الدين صابر وعقدا آخر من أعضاء النادي الديمقراطي وفضل يوسف برويش وايزاك عبود وقد اختلفا لأنهما يجيدان اللغة العربية

س : هل اكنتم يا اصدار المجلة ؟

ج : لا .. فهنري كوريبيل كان ينظم مع كل مناديات للماركسية ويطلب بالحاح كتب المزيد من العناصر المصرية وفيلا كسينيا معنا اسعد حليم انون كامل ، مصطفى كامل منيب

س : كيف تأسس التنظيم ؟

ج : واضح ان النادي الديمقراطي كان نجما يستهدف خلق حركات ماركسية تتكيف تكوين تنظيم فيما بعد وواضح انه كان هناك خلاف حول أسلوب العمل .. لكننا لم نكن نعلم أي شيء عن هذا الخلاف وفجأة وجهت إلى الدعوة لتضور اجتماع في منزل شخص عرفت فيما بعد انه جوماتالون وكان الاجتماع ساخنا جدا ودار فيه نقاش حاد . وفي البداية احسست اني لا افهم شيئا وبالتدريج فهمت ان هناك خلافا بين كوريبيل وشوارتز

وفي هنري كوريبيل وفي يده تقرير مكتوب باللغة الفرنسية لكنه كان يترجمه فوراً إلى العربية وتحدث طويلاً عن أهمية تشكيل تنظيم يقود معركة التحرر الوطني وتحدث عن أهمية تخصيص هذا التنظيم بحيث تكون عضوية أعضاء اللجان القيادية من المصريين وقال انه يعلم انه لا توجد كواد مصرية كافية لكنهم سيتدربون من خلال ممارسة المسئولية

وتحدث شوارتز فأبد فكرة تأسيس منظمة لكنه عارض فكرة اشتراط ان تكون غالبية المستويات القيادية من المصريين وأفكر انه قال ان لبنين كتب مقالا في العدد ٢٨ من الايسكرا ، قال فيه انه يمكن لطلاب راجينية ان تلعب الدور القيادي في التنظيم في بلد مختلف

وتحدث جورج حنين قائلا ان وخيبة نظر كوريبيل صنيحة بشرط ان يتم ابعاد كوريبيل نفسه لانه اجنبي

وتحدثت كوريبيل قائلا ثبانه مستعد ان يوجد في اللجنة المركزية كمفتوح مرشح بدون صوت وبعد مناقشات حادة انفض الاجتماع دون اتفاق وبدأت بعده سلسلة من الاتصالات الفرعية

س : هل تذكر أسماء بعض الذين حضروا هذا الاجتماع ؟

ج : اذكر البعض عصام الدين حنفي ناصف - بولا الغلايلى - جورج حنين - عبد الفتاح القاضي - وآخرين

س : ماذا حدث بعد ذلك ؟

ج : اتصل بي كوريبيل واتصل بي جورج حنين وعصام ناصف يعرضون فكرة تأسيس تنظيم مستقل بعيدا عن كوريبيل وشوارتز وشعرت ان لديهما ميولا تروتسكية : وناقشني شوارتز وكان يردد باستمرار روايته عن مقال لينين بالايسكرا حتى اطلقنا عليه تهكما اسم « ايسكرا » واطلق هذا الاسم على التنظيم الذى أسسه فيما بعد

وبعد تفكير اخترت ان اعمل مع كوريبيل ومكثا شهدت مولد الحركة الضريبة للتحزب الوطنى (ح : م : ت : ز)

س : هل انتم من ذلك انك شاركت في التأسيس ؟

ج : نعم كنت احد اعضاء اول لجنة مركزية

س : هل تذكر أسماء بعض من كانوا معك في اللجنة المركزية ؟

ج : انكر تحسين المصري - د : عبد الفتاح القاضي - محمود كامل - د : زكى هاشم - أحمد الدمرداش توفى - هنري كوريبيل - اسمعيل طيم - أسماء البقلی

س : وماذا فعل الآخرون ؟

ج : شوارتز كون « الايسكرا » ومارسيل اسراييل كون « الخبز والحرية »

س : هل يمكن ان تسرد لي بايجاز تطورات نشاط ح : م : في الفتره الاولى من تاسيسها ؟

ج : في البداية بدأنا عملية تجنيد واسعة واتصالات على نطاق كبير وبعد سنة تقريبا رفع كوريبيل شعار « التعميل » وهو داه ان تصعد الى اللجان القيادية عناصر عمالية وكان لنا نشاط واسع وسط ميكانيكى السلاح

البحري ووسط عمال النسيج قصعد إلى القيادة شيد سليمان زقاعن وفؤاد هبشي (من السلاح الجوي) ومحمد محمد شطا (النسيج) والحقيقة أن سيد زقاعن وفؤاد جيشي قد استطاعا أن يؤسسا تنظيما قويا جدا داخل سلاح الطيران وبالذات وسط خريجي مدرسة ميكانيكا الطيران

وتبعد مدة امتد نشاطنا وسط اتحاد خريجي المدارس الصناعية وأنكر من بينهم يوسف بديرا محمد على

ومن خلال هذه التجمعات الكبيرة أمكن توسيع نشاطنا إلى حد كبير

س : هل كنتم تصدرون مجلة في ذلك الحين ؟

ج : نعم استمرت مطة حرية الشعوب لسانا لنا وكنت أنا المسئول عن المجلة وعن تحريرها . وعندما سافرت فيما بعد إلى السودان بتكليف من التنظيم تولت أسماء البقلبي مسئولية المجلة لكنها حولتها إلى مجلة نسائية الأمر الذي أثار انتقادات كثيرة .

س : كيف تطورت علاقاتكم بايسكرا ؟

ج : في البداية لم تكن نشعر بالتناقض معهم . ولكن مع امتداد نشاط كتلا التنظيمين في مجالات عديدة الجامعة - الحركة العمالية وغيرها بدأ الاحتكاك بين قواعد التنظيمين .

س : هل كانت لكم علاقات بأحزاب أجنبية أو عناصر منضمة لهذه الأحزاب ؟

ج : كان هناك ضباط وجنود شيوعيون في قوات الاحتلال . لكنهم لم ينضموا للتنظيم وكانوا يتصلون بكورييل شخصيا . وأعرف أنهم قدموا لنا مساعدات كثيرة .

س : متى بدأت في جذب عناصر سودانية إلى الحركة ؟

ج : أذكر أنه في عام ١٩٤٢ كلفني التنظيم بالاهتمام بتجنيد عناصر سودانية . وبعد ذلك كلفت بالسفر إلى السودان للاتصال بمجموعة شيوعية سمعنا أنها موجودة هناك .

وفي ١٩٤٣ وصلت إلى الخرطوم وقابلت أخذ مؤسسى هذه المجموعة وهو ضابط إنجليزي اسمه « استورى » وقد تحدثت معي طويلا عن صعوبة العقل وسط السودانيين خاصة وأنه ضابط في قوات الاحتلال . وقال أنه رغم

ما يذل من جهود لم يستطع أن يجند سوى شخصين فقط هما أحمد زين
العابدين (طالب في كلية غردون وأصبح فيما بعد وزيرا) وحسن الطاهر
زروق (مدرس)

وبقيت في الخرطوم شهرين استقطعت خلالهما أن أتصل ببعض قراء
مجلتنا « حرية الشعوب » .

وقبل أن أعاد الخرطوم دعائى الى منزله مهندس اسمه حسن أبو جبل
وهناك وجدت ما يقرب من عشرين شخصا وطلبوا الى ان اتحدث معهم
عن الماركسية وبمعد حديث طويل أعلن حسن أبو جبل اقتناعه وضمته الى
زين العابدين وزروق .

وأذكر أنه خلال مناقشاتي مع « استورى » قال لى أنه يعلم اننا قد
جئنا في القاهرة عددا من الطلاب السودانيين وطالب بضمهم الى مجموعته
التي يزمع أن يلحقها بنشاط الحزب الشيوعى الانجليزى .

وعند عودتى عرضت ذلك على اللجنة المركزية وعارض كورييل بشدة
وأثبت في محضر الاجتماع أن السودانيين الشيوعيين الموجودين بمصر هم جزء
من الحركة المصرية وان علينا أن نسرع بتكوين قسم مستقل لهم يعمل
وسط السودانيين في مصر تمهيدا لتأسيس تنظيم مستقل في السودان . وفعلا
تكون هذا القسم سريعا وكان اسمه الحركى « شركة الملح والنودا » .

س : هل تذكر أسماء الأعضاء الاول في هذا القسم ؟

ج : د : عبد الوهاب زين العابدين - محمد أمين حسين - عبد الرحيم
مودة - د : عز الدين على عامر وعبد الماجد أبو حسبو - حسن اسماعيل .

س : من كان مسئول القسم السودانى ؟

ج : الحقيقة أن لجنتنا المركزية اتخذت قرارا بأن تضم الى صفوفها
باستمرار اثنين يمثلان القسم السودانى وأول اثنين كنا أنا وعبد الماجد
أبو حسبو . وكنت أنا لفترة مسئولاً عن القسم السودانى .

س : متى بدأ الاستقلال الفعلى للتنظيم في السودان ؟

ج : في ١٩٤٥ وصل الى مصر شخصان موفدان من قبل د : عبد الوهاب
زين العابدين وهما حسن الطاهر وزروق والمهندس عبد الحميد أبو القاسم .
وعقد اجتماع ضم قادة القسم السودانى بالقاهرة ومندوبى الخرطوم .

وعقدنا من المصريين منهم كوربيل ود. عبد الفتاح القاضي، وتخصين، المصري
وكان الاجتماع في منزل كوربيل.

وقدم التدويان تقريرا يطالبان فيه بتشكيل تنظيم مستقل له قيادة
مستقلة ووافق المجتمعون على ذلك.

واتفق على أن يستمر السودانيون المقيمون في القاهرة أعضاء في ح.م.

واتفق على أنه في حالة عودتهم إلى السودان ينضمون إلى التنظيم
هناك في نفس المستوى الذي كانوا يعملون فيه في القاهرة.

واتفق أيضا على أنه في حالة انتقال أي سوداني لاقامة في مصر، ولو
بصفة مؤقتة ينضم إلى المستوى المقابل في ح.م.

واتفق على تسمية التنظيم السوداني الحركة السودانية للتحرر الوطني
(ح.م.ت.و.)

س : هل كان للتنظيمات الأخرى نشاط وسط السودانين ؟

ج : لا اعتقد وأذكر أن سوارتز عندما أحس بنشاط القسم السوداني
وبتأسيس ح.م.ت.و. تقدم التي ح.م.م. بطلب رسمي من ضمن السماح للسودانيين
بالعمل لفترة مع المنظمات المختلفة حتى يتكسبوا خبرات متنوعة . ولكن
طلبه رفض .

س : سمعت أنك كنت على علاقة بتأسيس القسم النوبي في ح.م.
هل هذا صحيح ؟

ج : سأعذتي على الارتباط بالتوبيين انني نوبي سوداني وقد اتصلت
بعدد من النوبيين منهم محمد خليل قاسم وشخص آخر اتهمه شريف . وعن
طريقتي اتسع النشاط جدا وسط النوبيين وتكون قسم ضخيم وساعد على ذلك
ترابط النوبيين والازمة التي كانوا يعيشون فيها عقب التهجير .

س : هل كانت هناك أقسام أخرى في ح.م.م. ؟
ج : كان هناك قسم الارمن . لكن لا علاقة لي به .

س : هل كان لكم نشاط وسط عناصر اجنبية أخرى ؟
ج : كنا نسعى دوما للبحث عن عناصر تساعد على امتداد النشاط

الماركسي إلى أي مكان في العالم .

وأذكر أنه خلال علاقتي بالطلبة السودانيين في مدرسة حلوان تعرفت
في ١٩٤١ بشاب حبشي متحمس اسمه « ملاس بوجوتي » وبدأت في المناقشة
معه ولما علم كوربيل طلب إلى الاهتمام به .

وإصبح، وبوجوتى، عضواً فى ربح ثم تركنا نشاطه، باستمرار بالتركيز على
حزبنا مشكلات زيادة وتقسيم أبحاث عنها. دعوى ١٩٤٢م، أتم دراسته
الثانوية، وقرن الألتحاق بالجامعة. لكن، كوربيل. اجتمع به، وأقنعه بأهمية
السفر إلى الحبشة لتأسيس تنظيم ماركسى هناك. وأنكر إنساناً قدمنا له
مساعداً وكثيرة جداً وسافر بوجوتى وظل يرأسنا لفترة طويلة. ويرسل لنا
تقارير عن تطورات نشاطه وكنا طوال هذه المدة بتقسيمه كل ما يطلب
من مساعدات مالية وكتب وغيرها.

وبوجوتى هو الآن أحد قادة الحزب الشيوعى فى الحبشة.

وأنكر أيضاً أننا اتصلنا ببعض الطلاب اليمنيين وبعض اليمنيين
الذين وصلوا للتدريب فى مصلحة البريد وحاولنا تجنيد بعضهم وأعطينا
لهم كميات كبيرة من النشرات والكتب قبل سفرهم.

س : ما هى قصة تأسيس مجلة أم درمان ؟
ج : كان هناك صراع بين شىعارين شعار يرفعه الشيوعيون « الكفاح
المشترك - مع حق تقرير المصير » وشعار الأحزاب الأخرى « وحدة وادى النيل
تحت التاج المصرى » وكان يؤيده من السودانيين فى القاهرة على التفرقة.

وعلمنا أن القصر الملكى سيصدر مجلة اسمها السودان وسرناش تحريزها
على البربر للدعوة لشعار وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى.

فأصرعنا باصدار مجلة لنا.

وفى البداية طلبنا ترخيصاً لمجلة باسم « مجلة الكفاح المشترك » ورفضت
وزارة الداخلية مقدهنا طلباً آخر لمجلة باسم « أم درمان » ورفض طلبنا
أيضاً.

لكن أحمد الدمرداش التونى وهو زوج ابنة محمد محمود جلال استطاع
أن يقنع صهره الذى كان نائباً فى البرلمان بأن هذه المجلة ستحمل لواء الدعوة
لمبادئ الحزب الوطنى وتقدم النائب محمد محمود جلال بضمانة للمجلة أمام
السلطات.

وبناء على وساطة محمد محمود جلال استقبلنى رئيس الوزراء حسن
باشا صبرى فى كلوب محمد على وأبلغنى أنهم سيعطوننا ترخيص المجلة وضحك
وقال وان كنت أعتقد أن اسمها الحقيقى سيكون « موسكو » وليس « أم درمان ».

• وصدر الامتياز باسم محمد امين حسين لانه كان اكبرنا سينا وكنت انا رئيس التحرير وقد لعبت الجريدة دورا كبيرا. ضايق المراري • الى حد ان احد سكرتيرئ الملك وهو حسن بك حسنى اتصل بى وعرض على ٢٠٠٠ جنيه مقابل ان اغلق المجلة وان اسافر الى السودان • فلما رفضت هددنى بالقتل • وطُلبت عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية وعرضت عليهم الامر وقررنا ان نتخدي هذا التهديد :

س : هل لعبت ام درمان دورا في السودان ؟

ج : لعبت دورا كبيرا جدا • وقد صادرتها سلطات الاحتلال ومنعتها من الدخول الى السودان لكنها كانت تهرب لبيع العبد الواحد بخمسة وعشرين قرشا •

وفيما بعد قالت احدى الصحف السودانية وهي « الراى العام » ان ام درمان كانت حاملة لواء طرد الاستعمار من السودان •

س : ما هو رقم توزيع ام درمان ؟

ج : في البداية كتب نوزع ٣٠٠٠ نسخة ثم ارتفع الرقم في ١٩٤٦ وعندما صاها صدى كانت توزع ٨٠٠٠ نسخة وكان معظم التوزيع يتم بواسطة الاعضاء والعاطفين •

س : ارتبط اسمك ايضا بمجلة الجماهير فما قضتها ؟

ج : الجماهير كانت اصلا مجلة ايسكرا قبل ان نتحد معهم • وعندما اتحدنا في الحركة الديمقراطية كان الاتفاق ان يكون المسئول السياسى والتنظيمى في جميع المستويات من ح م • ومسئول الدعاية ومسئول العمل الجماهيرى من ايسكرا •

ونتيجة للوحدة صار ضمى الى « الجماهير » كمسئول سياسى لكن شهدي عطية المسئول السياسى للمجلة ايام ايسكرا لم يقبل هذا الوضع • وبعد صراع اتفق على ان تشرف ل م • مباشرة على المجلة وقد بلغ توزيع الجماهير ١٢ الفيا •

س : كم كان عدد اعضاء ح م • ؟

ج : عند الوحدة مع ايسكرا قمنا بحصر للاعضاء وبلغ عددهم ١٨٠٠

انتهى النقاش

المراجع

مراجع عربية ومترجمة

- أمين عز الدين - المنصوري سيرة مثقف ثوري
- اسماعيل مظهر - الاشتراكية
- السيد محمد عفيفي البقلي - فوائد الثورات الاحممية في المباحث الاقتصادية والسياسية
- آثار الزعيم سعد زغلول - عهد وزارة الشعب - جمعها ورتبها محمد ابراهيم الحريري
- احمد الصاوي محمد - ما قل ودل - الجزء الاول
- احمد شفيق باشا - حوليات مصر السياسية - الأجزاء ٣ ، ٤ ، ٥
- أمين عز الدين - شخصيات ومراحل عمالية
- القيد الثوري - خطب وأحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا
- الياس مرقص - تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي - ١٩٦٤
- الياس مرقص - الاممية الشيوعية والثورة العربية
- د. رفعت السعيد - عصام الدين حفني ناصف - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي
- د. رفعت السعيد - نقولا الحداد - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي
- رؤوف عباس - الحركة العمالية في مصر
- سمير غريب - السيريلية في مصر
- صالح علي عيسى السوداني - الاسرار السياسية لابطال الثورة المصرية ، وآراء الدكتور محبوب ثابت
- صديق رسول القادري - الميجر جنرال - مذكرات القادري - ترجمة القاسم العلوي
- عبد النعم الغزالي - تاريخ الحركة النقابية المصرية
- عبد العظيم رمضان - تطور الحركة الوطنية في مصر

في الدولية الشيوعية قبل المؤتمر السابع - تقرير بالالمانية
- د. محمد أنيس - الحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الاوربي -
سلسلة محاضرات المهدي العالي للدراسات الاشتراكية (غير
منشور)

دوريات عربية :

اتحاد العمال

الاتحاد

التطور

الأحرار الدستوريين

الأخبار (جريدة الحزب الوطني)

الأخبار (الحالية)

الف - باء (اللبنانية)

الفن والحرية (مطبوعة بالرونيو)

الإذاعة والتلفزيون

الأمثل

الأمرام

البلاغ

التطور

الجهاد

روح العصر

الرقيب

روزا اليوسف

السياسة (الاسبوعية)

شبرا

العصيان (١٩٢٤ - ١٩٢٥)

العمّون
الفلاح الاقتصادى
كوكب الشرق
الكشكول
كل شيء والدنيا
اللطائف المصورة
اللواء
الطلائع
المجلة
المجلة الجديدة
المقتطف
المنرى
المصور
الهلال
دوريات اجنبية

Unéffort
The Communist International
The Egyptian-Gazette
International Press Correspondence
The Labour Monthly
Savoir Vivre
Ecs Humbles
Don Quichotte
Revolutsionnyi Vostok

(باللغة الروسية)

فهرست الجزء الثانى

٢٦١ ليست مقدمة

- القسم الأول -

مصر الثلاثينيات ؟

٢٦٧ الصراعات الفكرية والسياسية بين اليمين واليسار

- ١ -

اليمين

٢٧٠ * حرب الدعاية

٢٨٠ * قادة برجوازيون للطبقة العاملة

٢٩٨ * ... وللفلاحين ايضا

٤١٠ * الفاشست ينشطون

- ٢ -

٤١٨ * موجات من الدعاية الاشتراكية

اليسار

٤٣٧ * مسرحية سكلتا تقالا

٤٤٣ * عبد الرحمن فضل .. يعدل قانون الجنسية

٤٥٥ * تهادنت قيادة الوفد فتحالف المستضعفون

٥٢٢ * العرابى - ناصف - القاضى - جماعة التمسك بالقانونية

* جورج جنين - زمسيس يونان - انور كامل

٥٣٥ هل الفن وحده يكفى ؟

٥٤٥ * بعض القضايا الايديولوجية

٥٦٧ * كلمة أخيرة

- القسم الثالث -

ملاحق

(١) وثائق ابيولوجية :

- ٥٧٢ * برنامج لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين
٥٧٤ * بلا مخرج - مقال - ا. الجبالي
٥٧٨ * الحزب الذي يثرثر كثيرا - مقال - ا. الجبالي
٥٨١ * برنامج ديكتاتورية محمود في مصر - مقال - ج. ب.
٥٨٤ * الازمة والمد الثورى في مصر - مقال - انيچدور
* موقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى في فلسطين وسوريا
٥٨٦ من الانقلاب في مصر

(٢) اوراق قضائية :

- ٥٨٨ * قرار الاتهام في قضية الشيوعية ٨ سبتمبر ١٩٢٥
٥٩٢ * مرسوم ملكى باسقاط الجنسية عن ثمانية من المصريين
* حيثيات الحكم ببراءة عصام الدين ناصف في القضية ٣٤٤ كلى
٥٩٣ الاسكندرية لسنة ١٩٣١
٦٠٦ * محضر تحقيق النيابة العسكرية مع انور كامل
* مذكرة من حكمدارية بوليس مصر عن هنرى كورييل
(مذكرتان)
٦٢٢

- ٦٢٦ * مذكرة من حكمدارية بوليس مصر عن الجبهة الاشتراكية

(٣) وثائق حول موضوع س كلا تفالا :

- ٦٣٠ * معلومات عن س كلا تفالا (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)
* نداء من س كلا تفالا الى شعب مصر (وثائق وزارة الخارجية
البريطانية)
٦٣١ * رسالة من س كلا تفالا الى عدلى باشا يكن (وثائق وزارة

* مناقشات في البرلمان المصري (مضابط مجلس النواب

(المصري)

* ملخص لترجمة مقال في جريدة « بندر اسلام » الملاوية (وثائق

وزارة الخارجية البريطانية)

(٤) تقارير شخصية ومحاضر نقاش :

* محضر نقاش مع محمد دويدار

* محضر نقاش مع انوار ليمى

* محضر نقاش مع ايلي ميزان

* محضر نقاش مع بول جاكو دي كومب

* محضر نقاش مع ريمون اجيون

* محضر نقاش مع دينا فورتي

* محضر نقاش مع مارسيل ميسيكوا

* محضر نقاش مع راؤول كورييل

* محضر نقاش مع انور كامل

* تقرير مارسيل اسرايل « تشريزي » (بدايات الحركة

العمالية في مصر)

* محضر نقاش مع فتحي الرملى

* محضر نقاش مع اسعد خليل

* محضر نقاش مع هنرى كورييل

* محضر نقاش مع عبده دهب

الراجع

مصدر للمؤلف :

- الأساس الاجتماعي للثورة العرابية
- تاريخ الفكر الاشتراكي في مصر
- كتابات في التاريخ
- صفحات من تاريخ مصر

* في سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي :

- نقولا حداد ..
- عصام الدين حنفى ناصف
- ثلاثة لبنانيين في القاهرة

* في سلسلة قادة العمل السياسي في مصر :

- محمد فريد ، الموقف والمأساة
- سعد زغلول ، بين اليمين واليسار
- مصطفى النحاس ، السياسي والزعيم والناضل
- حسن البنا ، أمتي، وكيفي، ولماذا؟
- أحمد حسين ، كلمات ومواقف
- تأملات في الناصرية
- أوراق ناصرية في ملف سرى للغاية

* في سلسلة تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر :

- ١٩٢٥ - ١٩٠٠ تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر
- ١٩٤٠ - ١٩٣٥ التنوير المصري
- ١٩٥٠ - ١٩٤٠ تاريخ المنظمات اليسارية المصرية
- ١٩٥٧ - ١٩٥٠ منظمات اليسار المصري
- ١٩٦٥ - ١٩٥٧ تاريخ الحركة الشيوعية المصرية
- ١٩٤٨ - ١٩٣٥ الصحافة اليسارية في مصر ج١
- ١٩٥٢ - ١٩٥٠ الصحافة اليسارية في مصر ج٢
- اليسار المصري والقضية الفلسطينية

* روايات

- السكن في الأديان العليا
- العيصقة

رقم الايداع ۸۷/۳۸۰۶

شركة العمل للطباعة
والتشريع والتوزيع
"مورافيتاي سابقا"

۱۹ صمدیہ ریاض - عابدین تہ ۹۰۴۰۹۶



كنت اعتمد - ولم ازل - ان ثمرة القرب تمتلك
مذاقاً خاصاً بكل ارض تنبت فيها ومن ثم فانها
يصعب على الباحث ان يدرك المعطيات الخاصة
لحركة واسمة الانتشار ، ممتدة التاريخ ، سرية
الفعل ، متمتدة المسارات ، مصرية الاداء والمذاق
كالحركة الشيوعية المصرية ، اذاً هنا اكتفى
برؤية احادية ، او نظرة خارجية ، او مقاسمات
ظاهريه او مستنده التي تعميمات او تقسيمات
متعطفه .
عشرون عاماً وأكثر وصيتها اداء لهذا الواجب
المع . واجب دراسة هذا المسار الجديد ، دراسة
اكاديمية وانتقادية .

وهذه الدراسة ليست مجرد بحث في الماضي
ولا مطابقة مع الحاضر ، وانما تطلع الى المستقبل
ولقد صدر هذان الكتابان اللذين يضمهما
هذا المجلد في اكثر من طبعة لكنهما يمتلكان الآن
اصنافاً عديدة تراكمت لدى الباحث عبر فترة البحث
التي امتدت عبر اكثر من عشرين عاماً .

المؤلف

25 011



مركز الأمل للطباعة والنشر والتوزيع
الجولان بني سويف سابقاً

1981